

المواخط والأعني في ذكر الخط والآثار

لنهي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقدسي

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ
١٣٦٥ - ١٤٤١ م

حَقَّقَهَا وَكَتَبَ مُقَدِّمَتَهَا وَوَصَّيَ قَهَّارَهَا
الدكتور أمهرن فؤاد سيد



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
لندن ١٤١٦ / ١٩٩٥

فهرست الموضوعات

صفحة

تقدير لعالي الشيخ أحمد زكي يمانى ١٥-١٦

مقدمة الحق

١٧-١٩	موضوع المجلد الثاني
١٩-٤٩	مصادر المجلد الثاني
٥٠-٧٠	مستندات المقرري وثيقة مخطوطات الخطوط (تكملة)
٧١-٩٨	النسخ المستخدمة في نشر هذا المجلد
٩٩-١٠٠	طريقتي في إخراج النص

ذكر فسطاط مصر

٤-٦	ذكر ما كان عليه موضع فسطاط مصر قبل الإسلام إلى أن احتل المسلمون مدينة
٦-١٠	ذكر الحصن الذي يُعرف بقصر الشنع
١٠-٢٤	ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر
٢٤-٢٩	ذكر ما قبل في مصر هل فُتحت بصلح أو غنوة
٢٩-٣٠	ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضي الله عنهم
٣٠-٣٢	ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط
٢٢-٣٩	ذكر الخط الذي كانت بمدينة مصر
٤٠-٥٩	ذكر أمراء الفسطاط من حين فُتحت مصر إلى أن بُني القسطنطينية
٤٥-٥٥	[الدولة الأموية]
٥٥	[الدولة العباسية]
٥٦-٨٠	ذكر القسطنطينية الذي بُني بظاهر مدينة فسطاط مصر

صفحة

- ذِكْرُ مَنْ نَزَلَ الْعَشْكَرَ مِنْ أَمْرَاءِ مِصْرَ مِنْ حِينَ بُنِيَ إِلَى أَنْ بُنِيَ الْقَطَائِعِ ٥٩ - ٨٠
- ذِكْرُ الْقَطَائِعِ وَدَوْلَةِ بَنِي طُولُون ٨٠ - ١١٢
- [الدَّوْلَةُ الطُّولُونِيَّةُ] ٨٣ - ١١٢
- ذِكْرُ مَنْ وَلِيَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْرَاءِ بَعْدَ خَرَابِ الْقَطَائِعِ إِلَى أَنْ بَنِيَ قَاهِرَةَ الْمُعِزِّ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ جُوْهَرَ ١١٣ - ١٢٢
- [الدَّوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةُ] ١١٩ - ١٢٢
- ذِكْرُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ الْقُسْطَاطِ مِنْ كَثْرَةِ الْعِمَارَةِ ١٢٢ - ١٣٢
- ذِكْرُ الْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي خَرَابِ مِصْرَ ١٣٣ - ١٣٤
- ذِكْرُ خَرَابِ الْقُسْطَاطِ ١٣٥ - ١٤٦
- السُّدَّةُ الْغُضْطَى ١٣٥ - ١٤٢
- حَرْقُ مِصْرَ ١٤٢ - ١٤٦
- ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مَدِينَةِ قُسْطَاطِ مِصْرَ ١٤٧ - ١٥٥
- ذِكْرُ مَا عَلَيْهِ مَدِينَةُ مِصْرَ الْآنَ وَصِفَتُهَا ١٥٥ - ١٥٧
- ذِكْرُ سَاحِلِ النِّيلِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ ١٥٨ - ١٦٣
- ذِكْرُ الْمُنْشَأَةِ ١٦٤ - ١٦٦
- المَوْقِفُ ١٦٦ - ١٦٨
- ذِكْرُ أَبْوَابِ مَدِينَةِ مِصْرَ ١٦٩ - ١٧٠
- بَابُ الصَّفَا ١٦٩ ..
- بَابُ السَّاحِلِ ١٦٩
- بَابُ مِصْرَ ١٦٩ - ١٧٠
- بَابُ الْقَنْطَرَةِ ١٧٠

ذِكْرُ قَاهِرَةِ الْمُعِزِّ

- ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي تَسْبِ الْحُلُقَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ١٧٢ - ١٧٦
- ذِكْرُ الْحُلُقَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ١٧٦ - ٢٠٦
- ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْقَاهِرَةِ قَبْلَ وَضْعِهَا ٢٠٧ - ٢٠٩

صفحة

٢٠٩-٢١٢	ذِكْرُ حَدِّ الْقَاهِرَةِ
٢١٢-٢٢٢	ذِكْرُ بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ
٢٢٢-٢٢٥	ذِكْرُ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْقَاهِرَةُ بَعْدَ اسْتِيلَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ عَلَيْهَا
٢٢٥-٢٤١	ذِكْرُ طَرَفٍ مِمَّا قِيلَ فِي الْقَاهِرَةِ وَمُنْتَزَعَاتُهَا
٢٤١-٢٤٣	ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مُدَّةِ بَقَاءِ الْقَاهِرَةِ وَوَقْتُ خَرَابِهَا
٢٤٤-٢٥٣	ذِكْرُ مَسَالِكِ الْقَاهِرَةِ وَشَوَارِعِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ
٢٤٤-٢٤٩	الشَّارِعُ الْأَوَّلُ وَالطَّرِيقُ الْمُظْلَمُ قِصَّةُ الْقَاهِرَةِ
٢٤٩-٢٥١	الشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ فِيهِ إِلَى بَابِ الْقُتُوحِ
٢٥١-٢٥٣	الشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ فِيهِ إِلَى بَابِ النَّصْرِ
٢٥٤-٢٦٧	ذِكْرُ سُورِ الْقَاهِرَةِ
٢٥٤-٢٥٥	السُّورُ الْأَوَّلُ
٢٥٥-٢٦٠	بِجْوَهرِ الْقَائِدِ
٢٦٠-٢٦٤	السُّورُ الثَّانِي
٢٦٤-٢٦٧	السُّورُ الثَّالِثُ
٢٦٧-٢٨٣	ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ
٢٦٧-٢٧١	بَابُ رَوْبِلَةَ
٢٧١-٢٧٢	بَابُ النَّصْرِ
٢٧٢-٢٧٥	بَابُ الْقُتُوحِ
٢٧٦-٢٧٩	أَمِيرُ الْجَيْشِ بَذَرُ الْجَمَالِيِّ
٢٧٩	بَابُ الْقَطْرَةِ
٢٧٩	بَابُ الشُّعْرِيَّةِ
٢٨٠	بَابُ سَعَادَةِ
٢٨٠	بَابُ الْفَرَجِ
٢٨١-٢٨٢	البَابُ الْمَخْرُوقُ
٢٨٢-٢٨٣	بَابُ التَّوَقُّفِ
٢٨٤-٤٣٨	ذِكْرُ قُصُورِ الْخُلَفَاءِ وَمَنَاطِيرِهِمُ وَالْأَمَاعِ بِطَرَفٍ مِنْ مَآثِرِهِمْ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ أَسْوَاقُهَا مِنْ بَقَايِهِمْ

صفحة	
٢٨٤-٤٣٨	القَصْرُ الكبير
٢٨٧	قاعة الدُّعْب
٢٨٨-٢٩٣	هيئة مجلس الخليفة بمجلس الملك
٢٩٣	كيفية سباط شهر رمضان بهذه القاعة
٢٩٣-٢٩٨	عَمَلُ سباط عيد الفِطْر بهذه القاعة
٢٩٨-٣٠٥	الإسوان الكبير
٢٩٨-٣٠٥	عيد القدير
٣٠٥-٣٠٨	ذِكْرُ المَحْمُول
٣٠٨-٣١٧	وَضْفُ الدُّعْوَةِ وتزيينها
٣٠٨-٣١١	الدُّعْوَةُ الأولى
٣١١-٣١٢	الدُّعْوَةُ الثانية
٣١٢	الدُّعْوَةُ الثالثة
٣١٢-٣١٤	الدُّعْوَةُ الرابعة
٣١٤	الدُّعْوَةُ الخامسة
٣١٥	الدُّعْوَةُ السادسة
٣١٥-٣١٦	الدُّعْوَةُ السابعة
٣١٦-٣١٧	الدُّعْوَةُ الثامنة
٣١٧-٣١٨	ابتداء هذه الدُّعْوَةِ
٣١٨-٣٢٠	صفة العهد الذي يُؤْتَلَفُ على المدعو
٣٢١	ذِكْرُ الدَّيْران
٣٢١-٣٢٢	ديوان المجلس
٣٢٢-٣٢٣	ديوان النُّظَر
٣٢٣-٣٢٣	ديوان التَّحْقِيق
٣٢٣-٣٣٦	ديوان الجُورِش والرواتب
٣٢٣	ديوان الجَنَش
٣٣٦-٣٣٤	ديوان الرواتب

صفحة

٣٣٦	ديوان الإنشاء والمكاتبات
٣٣٧-٣٣٦	التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم
٣٣٧	التوقيع بالقلم الجليل
٣٣٩-٣٣٧	مجلس النظر في المظالم
٣٤٠-٣٣٩	رتب الأمراء
٣٤٢-٣٤٠	قاضي القضاة
٣٤٢	عزود إلى القصر الكبير
٣٤٢	ذكر قاعة القضاة
٣٤٣-٣٤٢	ذكر قاعة السندرة
٣٤٣	ذكر قاعة الخيم
٣٤٣	ذكر المناظر الثلاث
٣٤٣	ذكر قصر الشوك
٣٤٤	ذكر قصر أولاد الشيخ
٣٤٥-٣٤٤	قصر الزمرد
٣٤٥	ذكر الوكن الخلق
٣٤٨-٣٤٥	الشفية
٣٥٠-٣٤٩	ذكر دار الضرب
٣٥٠	ذكر خزائن السلاح
٣٥١-٣٥٠	ذكر المارشتان العتيق
٣٥٣-٣٥١	ذكر الثربة
٣٥٤	ذكر القصر النافعي
٤٠١-٣٥٥	ذكر الخزائن التي كانت بالقصر
٣٥٩-٣٥٥	خزانة الكتب
٣٧٠-٣٥٩	خزانة الكسوات
٣٧٧-٣٧٠	خزائن الجوهر الطيب والطرائف
٣٨٠-٣٧٧	خزائن الفروش والأمتعة

صفحة	
٢٨١-٢٨٠	خَزَائِن السِّلَاح
٢٨٣-٢٨١	خَزَائِن الشُّرُوج
٢٨٦-٢٨٣	خَزَائِن الْحَيَم
٢٩٢-٢٨٧	خِزَانَةُ التَّوَابِل
٢٩٣-٢٩٢	دار الثَّقِيبة
٢٩٣	خِزَانَةُ الْأَدَم
٣٩٥-٢٩٣	خَزَائِن دار أَتْكِين
٤٠١-٣٩٥	خِزَانَةُ الْبُرُود
٤٠٥-٤٠١	دار الْفِطْرَة
٤٢١-٤٠٥	الْمَشْهَدُ الْحُسَيْنِي
٤١٧-٤١١	خَبَرُ الْحَمْتَيْنِ
٤٢١-٤١٧	ما كَانَ يُعْمَلُ فِي نَوْمِ عَاشُورَاءَ
٤٣١-٤٢١	ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ
٤٢٥-٤٢١	بَابُ الذَّهَبِ
٤٢٧-٤٢٥	بَابُ الْبَحْرِ
٤٢٩-٤٢٧	بَابُ الرِّيحِ
٤٢٩	بَابُ الرُّمُودِ
٤٣٠	بَابُ الْعِيدِ
٤٣٠	بَابُ قَصْرِ الثُّوَكِ
٤٣١	بَابُ الدُّيَلَمِ
٤٣١	بَابُ تَرْبَةِ الرُّعْفَرَانِ
٤٣١	بَابُ الرُّمُومَةِ
٤٣٢-٤٣١	ذِكْرُ الْمَخْر
٤٣٦-٤٣٢	ما كَانَ يُعْمَلُ فِي عِيدِ النَّخْرِ
٤٣٨-٤٣٦	الْمَخْلَقَاتُ بِرُكُوبِ الْخَلِيفَةِ فِي عِيدِ النَّخْرِ
٤٤٢-٤٣٨	ذِكْرُ دَارِ الْوِزَارَةِ الْكُبْرَى

صفحة

٤٤٢-٤٥٣	ذِكْرُ رُثْبَةِ الْوَزَارَةِ وَهَيْئَةِ خِلَاجِهِمْ وَمِقْدَارِ جَارِيهِمْ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ
٤٥٣-٤٥٥	ذِكْرُ الْحَجَرِ الَّتِي كَانَتْ يَرْسُمُ الصَّبِيَّانِ الْحَجَرِيَّةَ
٤٥٦	ذِكْرُ الْمَنَاحِ الشَّعِيدِ
٤٥٧-٤٥٩	ذِكْرُ إِشْطِيقِ الطَّارِمَةِ
٤٥٩-٤٦٠	ذِكْرُ دَارِ الضَّرْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا
٤٦٠-٤٦١	ذِكْرُ دَارِ الْعِلْمِ الْحَدِيدَةِ
٤٦١-٤٧٦	ذِكْرُ مَوْسِمِ أَوَّلِ الْقَامِ
٤٦٨-٤٧١	[آلَاتُ الْمُؤَكَّبِ]
٤٧١-٤٧٦	[طَرِيقُ الْمُؤَكَّبِ]
٤٧٦-٤٧٧	دَنَائِرُ الْغُرَةِ الَّتِي كَانَتْ تُضْرَبُ وَتُفَرَّقُ فِي أَوَّلِ الشَّتَةِ فِي أَيَّامِ الْخُلُقَاءِ
٤٧٧	ذِكْرُ مَا كَانَ يُضْرَبُ فِي خَمِيسِ الْعَدَسِ مِنْ خَرَارِيبِ الذُّقْبِ
٤٧٨	ذِكْرُ دَارِ الْوَكَالَةِ الْآيَرِيَّةِ
٤٧٨-٤٩٤	ذِكْرُ مُصَلَّى الْعِيدِ
٤٧٨-٤٩٢	ذِكْرُ هَيْئَةِ صَلَاةِ الْعِيدِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا
٤٩٢-٤٩٤	. الْخُلُقَاتُ بِرُكُوبِ الْخَلِيفَةِ لَصَلَاةِ الْعِيدِ
٤٩٥-٥٠١	ذِكْرُ الْقَصْرِ الصَّغِيرِ الْغَرْبِيِّ
٤٩٦	الْمَيْدَانِ
٤٩٦-٤٩٧	الْبَيْتَانِ الْكَافُورِي
٤٩٧-٤٩٨	السَّرَادِيبِ
٤٩٩-٥٠٠	الْقَاعَةُ
٥٠١	أَبْوَابُ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ
٥٠١	بَابُ السَّابِاطِ
٥٠١	بَابُ التَّجَانِينِ
٥٠١	بَابُ الزُّمُودِ
٥٠٢-٥٠٨	ذِكْرُ دَارِ الْعِلْمِ
٥٠٤-٥٠٨	نَوْبَةُ الْقَصْرِ

صفحة	
٥١٠-٥٠٨	ذِكْرُ دار الضيافة
٥١٠	ذِكْرُ إسْطَبَل الحُجْرَةِ
٥١١-٥١٠	ذِكْرُ مَعْطِخ القَصْرِ
٥١٢-٥١١	تَرْبُ السِّلْسِلَةِ
٥١٢	ذِكْرُ الدَّارِ المَأْمُونَةِ
٥١٥-٥١٣	ذِكْرُ المَأْمُونِ البَطَلِ المَحِي
٥١٦-٥١٥	مَحَبَّةُ المَقْرُونَةِ
٥١٨-٥١٦	ذِكْرُ الحِفْظَةِ ودار العِيَّار
٥١٩-٥١٨	إِسْطَبَلُ الحِمِيْزَةِ
٥٢٠-٥١٩	دَارُ الدِّيَّاجِ
٥٢٢-٥٢٠	الأَهْرَاءُ السُّلْطَانِيَّةُ
	ذِكْرُ المَنَاطِرِ الَّتِي كَانَتْ لِلخُلَفَاءِ الفَاعِلِيَّينَ وَمَوَاضِعُ تَرْهِيهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ أُمُورٍ
٥٩٠-٥٢٢	جَمِيلَةٌ
٥٢٨-٥٢٢	مَنْظَرَةُ الجَامِعِ الأزْهَرِ
٥٢٩-٥٢٢	ذِكْرُ لِبَالِي الوُقُودِ
٥٣٣-٥٢٨	مَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤَةِ
٥٣٦-٥٢٣	مَنْظَرَةُ القَرْزَالَةِ
٥٣٦-٥٣٤	الطَّرَازُ الشَّرِيفُ
٥٣٧-٥٣٦	دَارُ الدَّهَبِ
٥٦١-٥٣٧	مَنْظَرَةُ السُّكْرَةِ
٥٥١-٥٣٨	ذِكْرُ مَا كَانَ يُعْمَلُ يَوْمَ فَتْحِ الخَلِيجِ
٥٦١-٥٥١	وَقَاءُ الثَّيْلِ
٥٦٢	مَنْظَرَةُ الدُّكْمَةِ
٥٦٥-٥٦٢	ذِكْرُ مَنْظَرَةِ المَقْصَرِ
٥٦٧-٥٦٥	مَنْظَرَةُ البَغْلِ
٥٦٧	مَنْظَرَةُ النَّجَاحِ

صفحة

٥٦٨-٥٦٧	مَنْظَرَةُ الْخَمْسِ الْوُجُوهِ
٥٧٠-٥٦٨	مَنْظَرَةُ بَابِ الْفُتُوحِ
٥٧٣-٥٧٠	مَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةِ
٥٧٦-٥٧٣	دَارُ الْمَلِكِ
٥٧٦	مَنَازِلُ الْعِزِّ
٥٨٠-٥٧٧	الْهَوْدَجُ
٥٨١-٥٨٠	قَصْرُ الْأَنْدَلُسِ بِالْقَرَاءَةِ
٥٨٢-٥٨١	الْمَنْظَرَةُ بِبِرْكَةِ الْحَبَشِ
٥٨٤-٥٨٢	الْبَسَاتِينُ
٥٨٤	قُبَّةُ الْهَوَاءِ
٥٨٧-٥٨٤	بَحْرُ أَبِي الْمُتَّجَا
٥٨٨-٥٨٧	قَصْرُ الْوَزْدِ بِالْحَاقَابِيَةِ
٥٩٠-٥٨٨	بِرْكَةُ الْجُبِّ
٥٩٠	الْمُسْتَهْفَى
	ذِكْرُ الْأَهَامِ الَّتِي كَانَ الْخُلَفَاءُ الْفَاطِمِيُّونَ يَتَّخِذُونَهَا أَغْرَافًا وَمَوَاسِمَ تَتَّبِعُ بِهَا أَحْوَالُ الرَّمِيَةِ
٥٩١	وَتَكْثُرُ يَفْعُهُمْ
٥٩١	مَوْسِمُ رَأْسِ الشَّتَةِ
٥٩٢	مَوْسِمُ أَوَّلِ الْقَامِ
٥٩٣-٥٩٢	يَوْمُ عَاشُورَاءَ
٥٩٣	عِيدُ النَّصْرِ
٥٩٣	الْمَوَالِدُ الشَّتَةِ
٥٩٤	لَيْالِي الْوَقُودِ الْأَرْبَعِ
٥٩٤	مَوْسِمُ شَهْرِ رَمَضَانَ
٥٩٤	إِبْطَالُ الْمُتَكَبِّرَاتِ
٥٩٥-٥٩٤	عُرْوَةُ رَمَضَانَ
٥٩٥	رُكُوبُ الْخَلِيفَةِ فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ

صفحة	
٥٩٥	سِمَاطُ شَهْرِ رَمَضَانَ
٥٩٦-٥٩٥	سُحُورُ الْحَلِيقَةِ
٥٩٧-٥٩٦	الْحَقْمُ فِي آخِرِ رَمَضَانَ
٥٩٨-٥٩٧	ذِكْرُ مَذَاهِبِهِمْ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ
٥٩٨	قَافِلَةُ الْحَاجِّ
٥٩٨	مَوْسَمُ عِيدِ الْفِطْرِ
٥٩٩	عِيدُ النَّخْرِ
٥٩٩	عِيدُ الْقَدِيرِ
٥٩٩	كُتُوبُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
٥٩٩	مَوْسِمُ قَحْحِ الْخَلِيجِ
٦٠٣-٦٠٠	ذِكْرُ النُّورِوزِ
٦٠٣	الْمِلَادُ
٦٠٥-٦٠٣	الْغِطَاسُ
٦٠٥	تَحْمِيسُ الْعَهْدِ
٦٠٥	أَيَّامُ الرُّكُوبَاتِ
٦٠٥	صَلَاةُ الْجُمُعَةِ
٦٠٧-٦٠٦	قَصِيدَةُ عُثْمَانَ الْيَمَنِيِّ فِي رِثَاءِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ
٦٠٨	عُثْمَانَةُ الْيَمَنِيِّ
٦١٢-٦٠٨	ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْقَصْرَيْنِ وَالْمَنَاطِرِ بَعْدَ زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِإِسْنَادِ الْمُسْتَعَانَ

ذَكَرَ قُشَطَاطُ مِصْرَ

قال الجَوْهَرِيُّ: القُشَطَاطُ بَيْتٌ من شَعْرٍ. قال: ومنه قُشَطَاطُ مَدِينَةِ مِصْرَ^١.

- اعْلَمَ أَنَّ قُشَطَاطَ مِصْرَ اخْتُطُّ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَا فُتِحَتْ أَرْضُ مِصْرَ، وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ، وَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ الرُّومِ وَالْقِبْطِ وَهُمْ نَصَارَى مُلْكَانِيَّةٌ وَيَغُوثِيَّةٌ وَمَنْشَانِيَّةٌ^(a). وَحِينَ اخْتُطُّ الْمُسْلِمُونَ الْقُشَطَاطَ، انْتَقَلَ كُرْسِيُّ الْمَمْلَكَةِ مِنْ مَدِينَةِ «الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ»، بَعْدَ مَا كَانَتْ مَثَرَلُ الْمُلِكِ وَدَارَ الْإِمَارَةِ زِيَادَةً عَلَى تِسْعِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَصَارَ مِنْ حَيْثُ «الْقُشَطَاطُ» دَارَ إِمَارَةٍ يَنْزِلُ بِهِ أُمَرَاءُ مِصْرَ. فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَنِيَ «الْعَشْكُرُ» بظَاهِرِ الْقُشَطَاطِ، فَتَزَلَّ فِيهِ أُمَرَاءُ مِصْرَ وَسَكَنُوهُ، وَرُبَّمَا سَكَنَ بَعْضُهُمُ الْقُشَطَاطَ.

١٠

فَلَمَّا أُنْشَأَ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ «الْقَطَائِعِ» بِجَانِبِ الْعَشْكُرِ، سَكَنَ فِيهَا، وَاتَّخَذَهَا الْأُمَرَاءُ مِنْ بَعْدِهِ مَثَرَلًا إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي طُولُونَ، فَصَارَ أُمَرَاءُ مِصْرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يَثْرِلُونَ بِالْعَشْكُرِ خَارِجَ الْقُشَطَاطِ. وَمَا زَالُوا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى قَدِمَتْ عَسَاكِرُ الْإِمَامِ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدَّ الْفَاطِمِيِّ مَعَ كَاتِبِهِ بِجَوْهَرِ الْقَائِدِ، فَبَنَى «الْقَاهِرَةَ»^(b) وَنَزَلَ فِيهَا بِمِنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ثُمَّ قَدِمَ الْمُعِزُّ فَتَزَلَّ فِي قَصْرِهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَصَارَتْ دَارَ خِلَافَةٍ^(b).

١٥

(a) يولاي: ميانة. (b-b) ساقطة من يولاي.

واستمر سُكْنَى الرعيّة بالفُسطاط، وبلغ من وفور العِمارة وكثرة الخلائق ما أُنْزِي على عاتق مُدُن المعمور - حاشا بَقْداد^١ - وما زال على ذلك حتى تَغَلَّب الفِرْنَجُ على سواجل البلاد الشّامية، ونَزَلَ مُروِي [Amaury] مَلِكُ الفِرْنَجِ بِجُمُوعِهِ الكَثيرة على بَرْوَكَةِ الحَبَشِ يُريدُ الاِستيلاء على مَمْلَكَةِ مِصر وأَخَذَ الفُسطاط والقاهرة. فَعَجَزَ الوَزِيرُ شَاوُزُ بنُ مُجِيرِ السُّعْدي عن جَفْظِ البَلَدَيْنِ مَعًا، فَأَمَرَ النَّاسَ بِإِخْلَاءِ مَدِينَةِ الفُسطاط واللِّحَاقِ بِالقاهرة للاِمتِناعِ مِنَ الفِرْنَجِ - وكانت القاهرة إِذْ ذَاكَ مِنَ الحَصَانَةِ والامْتِناعِ بحيث لا تُرَامُ - فَارْتَحَلَ النَّاسُ مِنَ الفُسطاط، وساروا بِأَسْرِهِمُ إِلَى القاهرة، وَأَمَرَ شَاوُزُ فَالَقَى العَبِيدَ النَّارَ فِي الفُسطاط، فلم تَزَلْ به بَضْعًا وخَمْسِينَ يَوْمًا حَتَّى اخْتَرَقَتْ أَكْثَرُ مَسَاكِينِهِ^٢.
فَلَمَّا رَحَلَ مُروِي [Amaury] عَنِ القاهرة، واستولى شِيرُوكُوهُ عَلَى الوِزَارَةِ، تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى الفُسطاط وَرَثُوا بَعْضَ شَعْنِهِ، ولم يَزَلْ فِي نَقْصٍ وَخَرَابٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وقد صَارَ الفُسطاطُ يُعْرَفُ فِي زَمَانِنَا بِـ «مَدِينَةِ مِصر»، والله أَعْلَمُ.

ذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الفُسطاط قَبْلَ الإِسْلَامِ

إِلَى أَنْ اخْتُطَّتِ الْمُسْلِمُونَ مَدِينَةً

اعْلَمُ أَنَّ مَوْضِعَ «الفُسطاط» - الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ «مَدِينَةِ مِصر» - كَانَ فَضَاءً وَمَزَارِعَ فِيمَا بَيْنَ الثَّيْلِ وَالْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْجَبَلِ الْمُقَطَّمِ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْبِنَاءِ وَالْعِمَارَةِ سِوَى حِصْنٍ، يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِعَصْبَةِ بـ «قَصْرِ الشَّمْع» وبـ «الْمُعَلِّقَةِ»، يَنْزِلُ بِهِ شَيْخَتَةُ الْيَوْمِ الْمُتَوَلِّي عَلَى مِصرَ مِنْ قِبَلِ الْقَيَاصِرَةِ مُلُوكِ الْيَوْمِ، عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَيُقِيمُ فِيهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ وَمَنْزِلِ الْمَلِكِ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

وَكَانَ هَذَا الْحِصْنُ مُبْطَلًا عَلَى الثَّيْلِ، وَتَصِلُ الشُّقُنُ فِي الثَّيْلِ إِلَى بَابِهِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِبَابِ الْحَدِيدِ، وَمِنْهُ رَكِبَ الْمُتَوَلِّي فِي الشُّقْنِ^٥ حِينَ غَلَبَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْحِصْنِ الْمَذْكُورِ، وَصَارَ

(٥) بعد ذلك في بولاق: في الثيل من بابه الغربي ١

^١ ذكر الرحالة المقدسي البشاري الذي زار مصر في نهاية القرن الرابع الهجري بعد تأسيس الفاطميين للدولة في مصر في حديثه عن الفسطاط أنه «مصر مصر وتاسخ بقداد ومفخر الإسلام ومتجر الأنام، وأجل من مدينة السلام ... ليس في الأمصار أهل منه ...» (المقدمي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٩٧)، وانظر فيما يلي ٢٠٧.
^٢ فيما يلي ١٤٢ - ١٤٦.

فيه إلى الجزيرة التي تجاه الحِصْن ، وهي التي تُعرَف اليوم بـ «الرَّوَضَة» قُبالة مصر .

وكان مِقْيَاسُ الثَّيْلِ بجانب الحِصْن . قال ابنُ الْمُتَوَجِّح : وَعُمُودُ الْمِثْيَاسِ مَوْجُودٌ فِي زُقَاقِ مَسْجِدِ ابْنِ التُّعْمَانِ ؛ قُلْتُ : وَهُوَ بَاقِي إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، أَعْنِي سَنَةَ عَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ^١ .

وكان هذا الحِصْنُ لَا يَزَالُ مَسْمُوحًا بِالْمَقَاتِلَةِ ، وَسِيرِدُ فِي هَذَا الْكِتَابِ خَبْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وكان بجوار هذا الحِصْنِ مِنْ بَحْرِهِ - وَهِيَ الْجِهَةُ الشَّمَالِيَّةُ - أَشْجَارٌ وَكُرُومٌ صَارَ مَوْضِعَهَا الْجَامِعُ الْعَتِيقُ . وَفِيمَا بَيْنَ الْحِصْنِ وَالْجَبَلِ عِدَّةٌ كَنَائِسَ وَدِيَارَاتٍ لِلنَّصَارَى ، أَكْثَرُهَا^٢ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعرَفُ الْيَوْمَ بِرَاشِدَةَ .

وبجانب الحِصْنِ - فِيمَا بَيْنَ الْكُرُومِ الَّتِي كَانَتْ بِجَانِبِهِ وَبَيْنَ الْجُرُوفِ الَّذِي يُعرَفُ الْيَوْمَ بِجَبَلِ تَشْكُرَ حَيْثُ جَامِعُ ابْنِ طُولُونِ وَالْكَبْشِ - عِدَّةٌ كَنَائِسَ وَدِيَارَاتٍ لِلنَّصَارَى ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يُعرَفُ فِي أَوَائِلِ الْإِسْلَامِ بِالْحَمْرَاءِ ، وَعرِفَ الْآنَ بِحُطِّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ وَالسَّبْعِ سِقَايَاتِ . وَبَقِيَ بِالْحَمْرَاءِ^٣ عِدَّةٌ مِنَ الدِّيَارَاتِ إِلَى أَنْ هُدِمَتْ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، عَلَى مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ كَنَائِسِ النَّصَارَى^٤ .

فَلَمَّا انْفَتَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَدِينَةَ الْإِسْكَانَدَرِيَّةِ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ ، نَزَلَ بِجَوَارِ هَذَا الْحِصْنِ ، وَاخْتَلَطَ الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَبِجَامِعِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، وَاخْتَلَطَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ مِنْ حَوْلِهِ ، فَصَارَتْ مَدِينَةً عُرِفَتْ بِـ «الْقُسْطَاطِ» ، وَنَزَلَ النَّاسُ بِهَا .

فَانْتَحَسَرَ بَعْدَ الْفَتْحِ بِأَغْوَامِ مَاءِ الثَّيْلِ عَنْ أَرْضِ تَجَاهِ الْحِصْنِ وَالْجَامِعِ الْعَتِيقِ ، فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ يُعْرِقُونَ^٥ هُنَاكَ دَوَابَّهُمْ ، ثُمَّ اخْتَلَطُوا فِيهِ الْمَسَاكِينَ شَيْقًا بَعْدَ شَيْءٍ . وَصَارَ سَاحِلُ الْبَلَدِ حَيْثُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ فِي مِصْرَ الْمَعَارِيجِ ، مَارًا إِلَى الْكُومِ الَّذِي عَلَى يَمْنَنِ الدَّائِجِلِ مِنْ بَابِ مِصْرَ بِعَدِّ الْكِبَارَةِ ، وَفِي مَوْضِعِ هَذَا الْكُومِ كَانَتْ الدُّورُ الْمُطْلَعَةُ عَلَى الثَّيْلِ . وَيَجُوزُ السَّاحِلُ مِنْ بَابِ مِصْرَ الْمَذْكُورِ إِلَى حَيْثُ بُشْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ ، الَّذِي يُعرَفُ الْيَوْمَ بِبُشْتَانِ الطَّوَّاشِي ، فِي أَوَّلِ تَمَرَاغَةِ مِصْرَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) ساقطة من ط . (c) بولاق : يوقنون .

^١ فيما يلي ٥١٠ : ٢ ، وهذه التراجم تفيدنا في التعرف على ليعرق ، ويقول أعرق الفرس يريد أعدّه لأنه إذا أعد أعرق الفترات المختلفة التي كان يدون فيها القريزي فصول كتابه .

^٢ انظر فيما يلي ٥١٢ : ٢ - ٥١٣ .
^٣ حاشية بخط المؤلف : «أعرت الفرس وعرفته ، أجريته

فيكفني بذكر العرق من ذكر الفرس» .

وجميع الأماكن التي تُعرف اليوم بمرآة مصر وبالجزف إلى الخليج عرّصًا ، ومن حيث قنطرة
السّد إلى سوق المقاريح طولًا ، كان غامرًا بماء النيل ، إلى أن انحصر عنه ماء النيل بعد سنة ست
مائة من سني الهجرة ، فصار رثلة . ثم اختطّ فيه الأمراء ممّا يلي النيل آدرًا عندما عثر الملك
الصّايح نجم الدين أيوب قلعة الرّوضة^١ ، واختطّ بعضه شوتًا إلى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن
قلاوون جامعًا المعروف بالجامع / الجديد الناصريّ ، ظاهر مصر ، فعثر ما حوّله^٢ .

وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراي إلى بركة الحش طولًا ، ومن
ساحل النيل بمزودة الحلفاء ، وتجاه الجامع الجديد إلى سوق المقاريح ، وما على سعته إلى تجاه
المشهد الذي يقال له مشهد الرأس - وتسميه العائمة اليوم مشهد زمن العايدين - كلها بحرًا لا
يحول بين الحوض والجامع ، وما على سعتيهما إلى الحمراء الدنيا التي منها اليوم خطّ قناطر
السباع ، وبين جزيرة مصر التي تُعرف اليوم بالروضة ، شيء سوى ماء النيل . وجميع ما في هذه
المواضع من الأبنية ، انكشف عنه النيل قليلًا قليلًا^٣ ، واختطّ على ما يتبين لك في هذا الكتاب .

ذكر الحوض الذي يُعرف بقصر الشمع

اعلم أنّ هذا القصر أُخِذَ بعد خراب مصر على يد بُنْت نَصْر ، وقد اختلّف في الوقت الذي
بُنِيَ فيه ومن أنشأه من الملوك ، (فذكر الواقدي أنّ الذي بناه اسمه الرّيان بن الوليد بن أرميلوس^٤ .
وكان هذا القصر يُوقد عليه الشمع في رأس كلّ شهر ، وذلك أنّه إذا حلت الشمس في بُرج
من البروج ، أُوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر ، فيعلم الناس بوقود الشمع أنّ
الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلى بُرج آخر غيره .

فلم^٥ يزل القصر على حاله إلى أن خربت مصر زمن بُنْت نَصْر بن ثيروز الكلداني ، فأقام
خرابًا خمس مائة سنة ، ولم يبق منه إلّا أثره فقط ، فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدي

(a-a) غير موجود في ظ . (b) بولاق : ولم .

- ١٦٣ .

^١ انظر فيما يلي ١٨٣:٢ - ١٨٥ .

^٢ انظر فيما يلي ٣٠٤:٢ .

^٤ الواقدي : فزع مصر والإسكندرية ٤١ .

^٣ عن انحسار ماء النيل وانتقاله غربا انظر فيما يلي ١٥٨

اليونانيين، ولبي مصر من قبيلهم رجل يُقال له أرجاليس بن مقراطيس، فبنى القصر على ما وجد من أسمايه^١.

وقال ابن سعيد: وصارت مصر والشام بعد بُحْت نَصْر في مملكة الفُرس، فولّيتها منهم كَثْرَجُوش الفارسي باني قَصْر الشَّمْع، وبعده طخارست الطويل الولاية، وتوالت بعده نواب الفُرس إلى ظهور الإسكندر.

وقال غيره: إن الذي بناه طخشاش، أخذ ملوك الفُرس، عندما سار لحاربة أهل مصر، فلما غلب قسطنطين^(٢) ملك مصر الذي يُعرف بفروغون سابان، وفرّ منه إلى مقدونية، غلب على تلك مصر، واستولى عليها، وبقي للفُرس قَصْرًا، وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي، وعُرف بقصر الشمع لأنه كان له باب يُقال له باب الشمع، وجعل في القصر بيت نار، وهو باقي.

وقال ابن عبد الحكم، عن الليث بن سعد: وكانت الفُرس قد أتممت بناء الحصن الذي يُقال له باب أليون، وهو الحصن الذي بقسطاط مصر اليوم، فلما انكشفت^(٣) جموع فارس عن الروم، وأخرجه الروم من الشام، أتمت بناء ذلك الحصن وأقامت به. فلم تزل مصر في تلك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين^٢.

قال: وكان أبو الأسود نصر بن عبد الجبار^٣ يقولها بالميم - يعني باب اليوم -

(a-a) غير موجودة في ط. (b) بولاق: قسطور. (c) بولاق: انكشف.

Islam VIII (1918), pp. 1-14, 136-37; Monneret de Villard, U., «Recherche sulla topografia di Qasr el-Šam», *BSRGEXII* (1923-24), pp. 205-32; Toy, S., «Babylone of Egypt», *JBAA 3^e Dérie* (1937); Loukianoff, E., «La forteresse romaine du Vieux-Caire», *BIE XXXIII* (1950-51), pp. 285-93; Becker, C.H., *El² art. Babalyuz I*, pp. 867-68; Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, pp. 6-8.

^٢ ابن عبد الحكم: فوج مصر وأخبارها ٣٤-٣٥.

^٣ أبو الأسود النصر بن عبد الجبار بن نصير المرادي =

^١ لا نعرف على وجه الدقة إن كان قصر الشمع الذي يتحدث عنه القريزي هو نفسه الأثر الموجود الآن ويطلق عليه قصر الشمع في مصر القديمة، ولتفاصيل أكثر راجع، باقوت: معجم البلدان ٣٥٧: ١٣٥٨. Abbate, W., «Les origines du Caire. Esquisse historique sur Babylone et Fostat», *BIE 3^e série I* (1890), pp. 5-18; Butler, A.J., *The Arab Conquest of Egypt*, Oxford 1902, pp. 238-48. مصر، القاهرة ١٩٣٣، ٢٠٩-٢١٧، *Babylon of Egypt, a study in the History of Old Cairo*, Oxford 1914; Herz, M., «Babylon und Qasr el-Šam», *Der*

(٨) ويقول (ب) إنما سُمِّيَ كذا لأنهم كانوا يقولون : من يُقاتِل اليوم (٩) ؟

وقال القضاة : ذَكَرَ الحِصْنُ المعروف بِقَصْرِ الشُّع : يُقَالُ إِنَّ فَارِسَ لَمَّا ظَهَرَتْ عَلَى الرُّومِ ، وَمَلَكَتْ عَلَيْهِمُ الشَّامَ وَمَلَكَتْ مِصْرَ ، بَدَأَتْ بِنَاءَ هَذَا الْقَصْرِ ، وَبَنَتْ فِيهِ هَيْكَلًا لِبَيْتِ النَّارِ ، وَلَمْ يَمِ بِنَاؤُهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ الرُّومُ عَلَيْهِمْ ، فَتَمَّتْ بِنَاؤُهُ وَخَصَّتْهُ ، وَلَمْ تَزَلْ فِيهِ إِلَى حِينِ الْفَتْحِ . وَهَيْكَلُ النَّارِ هُوَ الْقُبَّةُ الْمَعْرُوفَةُ الْيَوْمَ بِقُبَّةِ الدُّخَانِ ، وَبِحَضْرَتِهَا مَسْجِدٌ مُعَلَّقٌ أَحَدُهُ الْمُسْلِمُونَ .

(٩) وقال أبو عبيد البكري : بَابُ أَلْيُونٍ بِمِصْرَ إِنْ كَانَ عَرَبِيًّا فَإِنَّهُ مِثْلُ يَوْمٍ وَيُزَحُّ مِمَّا فَاءُهُ يَاءٌ وَعَيْنُهُ وَاوٌ ، وَقَدْ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعْلًا مِنْ يَتَنُّ ، وَهُوَ اسْمٌ مُؤْضِعٌ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ فِي «فُعْلٍ» مِنْ الْبَيْعِ بُرْعَ . قَالَ : وَلَيْسَتْ الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِيهِ لِلتَّعْرِيفِ ، فَعَلَى هَذَا يَجِبُ أَنْ تُثَبَّتَ فِي الرُّسْمِ .
وقال أبو صخر ٢ :

[الطويل]

جَلَّوْا مِنْ ٣ تَهَامٍ أَرْضِنَا وَتَبَدَّلُوا بِمَكَّةَ بَابُ أَلْيُونٍ ، وَالرُّيُطُ بِالْقَضْبِ
وَالرُّوَايَةُ فِي شَعْرِ كَثِيرٍ عَزَّةٌ فِي قَوْلِهِ ٢ :

[الطويل]

جَزَى بَيْنَ بَابِ أَلْيُونٍ وَالْهَضْبِ ٥ دُونَهُ رِيَّاحٌ أَسْفَتْ بِالْثُّقَا وَأَشْشَتْ
بِالْبَاءِ وَبَفَتْحِ النَّونِ غَيْرِ مَجْرُورٍ لِلْعُجْمَةِ ، عَلَى أَنَّ هَمْزَتَهُ مَقْطُوعَةٌ وَصَلَّهَا لِلضَّرُورَةِ ٤ .
وقال الحازمي ٥ : بَابُ أَلْيُونٍ - بِالْيَاءِ - اسْمُ مَدِينَةٍ مِصْرَ ، فَتَحَّهَا الْمُسْلِمُونَ وَسَقَّوْهَا الْقُسْطَاطُ ٦ .

(٨-٩) ساقطة من ظ . (ب) بولاق : يقال . (ج) ساقطة من بولاق . (د) بولاق : العصب .

= البصري ، كاتب الحكم لقاضي مصر لهجة بن عيسى بن
لهجة المتوفى سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م (الذهبي : سير أعلام النبلاء
١٠: ٥٦٧-٥٦٨) .
١١٨٨/٥٨٤ : معجم ما استعجم ١٨٩ وأيضاً
٢١٨ ، ١٤٠٣ .

١ ابن عبد الحكم : فروع مصر ٢٨٠ .
٢ أي أبو صخر الهذلي .
٣ البيت في ديوان شُكْرٍ عَزَّةَ ، تحقيق إحسان عباس ،
بيروت - دار الثقافة ١٩٧١ ، ٣٢٦ ، وهو من قصيدة يرثي
فيها عبد العزيز بن مروان ؛ وورد عند باقوت : معجم البلدان
٢١: ١٦٧-١٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٥: ٢٨٨-
هو الحافظ النعمانية أبو بكر محمد موسى بن عثمان
الحازمي الهذلي الشافعي المتوفى سنة ١١٨٨/٥٨٤م
(المنذري : التكملة لوفيات النقلة ١: ٨٩-٩٢ ابن خلكان :
وفيات الأعيان ٤: ٢٩٤-٢٩٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء
٢١: ١٦٧-١٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٥: ٢٨٨-
٢٨٩) .

^(٨) وقال عبدُ الملك بن هشام: بابليون المنسوب إليه مصر، هو بابليون بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإن من ولده عمرو بن أمري القيس بن بابليون بن سبأ، وهو الملك على مصر لما قديم إليها إبراهيم خليل الرخمتين صلوات الله عليه. والقبط تُسمّى عمرو هذا طوطيس، ومن ولده خلوان بن بابليون بن عمرو بن أمري القيس، وبه سُميت خلوان^(٩).

وقال القاضي القضاي: في ظاهر القسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف - ليون اسمُ بلد مصر بلغة السودان والروم - وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة/ على طرف الجبل بالشرف، وعليه اليوم مسجد.

قال كاتبه^(١٠): فهذا - كما ترى - صريح في أن قصر باب ليون غير قصر الشع، فإن قصر الشع في داخل القسطاط، وقصر باب ليون هذا - عند القضاي - على الجبل المعروف بالشرف، والشرف خارج القسطاط، وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب «فتوح مصر» والله أعلم. ويُقال إن في زمن ناحور بن شاروع - وهو الثامن عشر من آدم - ملك مصر رجل اسمه أقطوطس مدة اثنين وثلاثين سنة، وأنه أول من أظهر علم الحساب والشعر، وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين إلى مصر. وفي ذلك الزمان بُنيت بابليون على بحر النيل بمصر، وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وتسعين للعالم.

وقال ابن سعيد في كتاب «المغرب»: وأما قسطاط مصر فإن مبايها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شعس، وجاء الإسلام وبها بناء يُعرف بالقصر حوله مساكن، وعليه نزل عمرو ابن العاص، وصُرب قسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه^(١١).

وهذا وهم من ابن سعيد، فإن قسطاط عمرو إنما كان مضمومتاً عند دُرب حُمام شمول بخط الجامع^(١٢)، كذا هو بخط الشريف محمد بن أشعد الجواني الشنابة، وهو أقعد بخط مصر وأعرف من ابن سعيد.

(٨-٩) ساقط من ظ. (ب) بولاق: المؤلف. (ج) بولاق: هكذا.

= السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٣: ٧-١٤. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ١

^١ ابن هشام: الصيغان في ملوك حمير ٥٣، ٥٧ وفيما

^٢ انظر فيما يلي ٣١ وأبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٥. تقدم ٥١: ١.

وأما توضيح الجامع فكان كروماً وجناناً، وحاز موضعه قيسية الثجيبى ثم تصدق به على المسلمين، فعمل المسجد. وستقف على هذا إن شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو، عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب^١.

وقال ابن المتوج: حُطَّ قَصْر الشَّع، هذا الخطُّ يُعرف بقصر الشَّع، وفيه قَصْر الرُّوم، وفيه أَرْقَة ودُور^٢؛ قال: وَكُنَيْسَةُ الْمُعَلِّقَةُ بِمِصْرَ بَابِ الْقَصْرِ، وَهُوَ قَصْرُ الرُّوم.

وقال ابن عبد الحكم: وَأَقْرَ عَمْرُو بْنُ الْقَاصِ الْقَصْرَ لَمْ يُقْسِمَهُ وَوَقَّعَهُ^٣.

وقال أبو عَمْرٍو الْكِتْدِيّ في كتاب «الأمراء»، وقد ذَكَرَ قِيَامَ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَطُرُقَ الْمَسْجِدِ، فِي إِمَارَةِ يُزَيْدِ بْنِ حَاتِمٍ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى مِصْرَ: وَوَزَدَ كِتَابَ أَبِي جَعْفَرِ الْمُتَّصِرِ عَلَى يُزَيْدِ بْنِ حَاتِمٍ بِأَمْرِهِ بِالْحَوَلِ مِنَ الْعَتَاكِ إِلَى الْفُتُطَاطِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الدِّيَّانَ فِي كُنَائِسِ الْقَصْرِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً^٤.

ذِكْرُ حِصَارِ الْمُسْلِمِينَ لِلْقَصْرِ وَفَتْحِ مِصْرَ

اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي فَتْحِ مِصْرَ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَأَبُو مَعْشَرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيّ وَيُزَيْدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ وَأَبُو عَمْرِو الْكِتْدِيّ: فَتِخَتْ سَنَةَ عَشْرِينَ؛ وَقَالَ سَيْفُ بْنُ عَمْرِو: فَتِخَتْ سَنَةُ سِتٍّ عَشْرَةٍ؛ وَقِيلَ فَتِخَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ سَنَةُ إِحْدَى وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ؛ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ^٥.

(٥) زيادة من ط.

المسلمين لمصر، واعتمد عليه كل المؤرخين اللاحقين الذين بنوا روايتهم للفتح عليه (وانظر فيما تقدم ٤٤١:١-٤٥١ فتح الإسكندرية). أمّا أهم الدراسات الحديثة التي درست موضوع الفتح فأهمها كتاب الفرد بتلر Butler, A.J., *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of Roman Domination*, Oxford 1902، وقدم له P.M. Fraser نشرة مراجعة ضمنها دراسات أخرى -

^١ انظر فيما يلي ٢: ٢٤٦.

^٢ ابن عبد الحكم: فُتِحَ مِصْرَ ١١٤.

^٣ الكندي: ولاة مِصْرَ ١٣٧، وانظر فيما يلي

٦٢.

^٤ بعد كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكم «فُتِحَ مِصْرَ وأخبارها» المصدر الرئيس الذي تناول تفاصيل فتح العرب

- قال ابن عبد الحكم: لما قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْجَايِئَةَ، قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُو بْنُ الْقَاصِ فَخَلَا بِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَذَنُّ لِي أَنْ أُسِيرَ إِلَى مِصْرَ وَخَوْضَهُ عَلَيْهَا وَقَالَ: إِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهَا كَانَتْ قُوَّةً لِلْمُسْلِمِينَ وَعَوْنًا لَهُمْ، وَهِيَ أَكْثَرُ الْأَرْضِ أَمْوَالًا، وَأَعْجَزُهَا^(٥) عَنِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ. فَتَخَوَّفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَكَرِهَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُو يُعْظِمُ أَمْرَهَا عِنْدَ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَيُخْبِرُهُ بِحَالِهَا، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِ فَتَحَهَا حَتَّى رَكَنَ لِذَلِكَ. فَقَعَدَ لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ رَجُلٌ كُلُّهُمْ مِنْ عَمَلِهِ، وَيُقَالُ بَلْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ. وَقَالَ لَهُ عُمَرُ: سِيرْ وَأَنَا مُسْتَخِيرُ اللَّهِ فِي مَسِيرِكَ، وَسَيَأْتِيكَ بِكَتَابِي سَرِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ أَذَرَكَ كِتَابِي آثْرُكَ فِيهِ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْ مِصْرَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهَا أَوْ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَانْصَرَفْ، وَإِنْ أَنْتَ دَخَلْتَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ كِتَابِي فَامْنُصْ لَوَجْهِكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاسْتَنْصِرْهُ. فَسَارَ عُمَرُو بْنُ الْقَاصِ مِنْ بَحْوَفِ اللَّيْلِ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.
- وَأَسْتَخَارَ عُمَرُ اللَّهِ، فَكَانَتْهُ تَخَوُّفٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْقَاصِ أَنْ يَنْصَرِفَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَذَرَكَ عُمَرُو الْكِتَابَ إِذْ هُوَ يَرْفَعُ؛ فَتَخَوَّفَ عُمَرُو إِنْ هُوَ أَخَذَ الْكِتَابَ وَفَتَحَهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْإِنْصِرَافَ كَمَا عَاهَدَ إِلَيْهِ عُمَرُ، فَلَمْ يَأْخُذْ الْكِتَابَ مِنَ الرَّسُولِ^١ وَدَافَقَهُ، وَسَارَ كَمَا هُوَ حَتَّى نَزَلَ قَرْيَةً فِيمَا بَيْنَ رَفْعٍ وَالْقَرِيشِ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ لَهَا مِنْ مِصْرَ. فَذَعَا بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ عُمَرُو لِمَنْ مَعَهُ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنْ مِصْرَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَاهَدَ إِلَيَّ، وَأَمَرَنِي إِنْ لَحِقَنِي كِتَابُهُ وَلَمْ أَدْخُلْ أَرْضَ مِصْرَ أَنْ أَرْجِعَ، وَلَمْ يَلْحَقَنِي كِتَابُهُ حَتَّى دَخَلْنَا أَرْضَ مِصْرَ، فَسِيرُوا وَامْنُصُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.
- وَيُقَالُ بَلْ كَانَ عُمَرُو بِفِلَسْطِينَ، فَتَقَدَّمَ عُمَرُو بِأَصْحَابِهِ إِلَى مِصْرَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَكُتِبَ فِيهِ إِلَى عُمَرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَهُوَ دُونَ الْقَرِيشِ، فَحَبَسَ الْكِتَابَ فَلَمْ يَقْرَأْهُ حَتَّى بَلَغَ الْقَرِيشَ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ:

(٥) النسخ. وأعجز والتعصوب من ابن عبد الحكم.

29; Cristidia, V., *El² art. Misr VII*, pp. 154-55; Kaegi, W., «Egypt on the Eve of the Muslim Conquest» in *The Cambridge History of Egypt*, I, pp. 34-61.

^١ هو عُثْمَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجَنْهَنِيُّ (فَيْسَا بَلِي ٣٠؛ أَبُو الْهَاسَنِ: النجوم الزاهرة ١: ٢٢).

= لينر حول موضوع الفتح ظهرت في أكسفورد سنة ١٩٧٨ (نقله إلى العربية عن الطبعة الأولى محمد فريد أبو حديد بعنوان: فتح العرب لمصر، القاهرة ١٩٣٣)؛ وانظر كذلك سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام، القاهرة ١٩٤٧، بيروت ١٩٨٦؛ Jarry, J., «L'Égypte et l'invasion musulmane», *An. Isl.* 6 (1966), pp. 1-

«من عُمر بن الخطَّاب إلى العاصي ابن العاصي . أمَّا بقُدْ ، فإنَّك سيُوت
إلى مصر ومن/ معك ، وبها جُمُوعُ الرُّوم ، ولَمَّا مَعَكَ نَفَرٌ يَسِير ، ولَعَنَري
لو كان ثُكل أمك^٥ ما سيُوت بهم ، [فإذا جاءكَ كتابي هذا]^٥ فإن لم تكن
بَلَّغْتَ مصر فازِجِع .

٢٨٩:١

٥ فقال عمرو : الحَقُّ لله أيُّه أرض هذه ؟ قالوا : من مصر ، فتقدَّم كما هو^١ .

ويقال بل كان عمرو في جُنْدِه على قيساريَّة مع من كان بها من أجناد المسلمين وعُمَرُ بن
الخطَّاب - رضي الله عنه - إذ ذاك بالجباية ، فكتبَ سيرا فاستأذن أن يسيرَ إلى مصر ، وأتَرَ
أصحابه ، فتتَّبعوا كالكوم الذين يُريدون أن يتنَّحَّوا من منزلي إلى منزلي قريب ، ثم سارَ بهم ليلاً .
فلَمَّا فَقَدَهُ أُمراءُ الأجناد ، اشتكروا الذي فعل ، ورأوا أن قد عَزَزَ^٥ ، فزفَعُوا ذلك إلى عُمر بن
الخطَّاب - رضي الله عنه - فكتبَ إليه عُمر :

«إلى العاصي ابن العاصي أمَّا بقُدْ ، فإنَّك قد عَزَزْتَ بمن معك ، فإن
أذَرَكَ كتابي ولم تَدْخُلْ مصر فازِجِع ، وإن أذَرَكَ وقد دَخَلْتَ فامض ،
واعلَمَ أَنِّي مُيَدِّدُ» .

١٥ ويُقال إنَّ عُمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - كتبَ إلى عمرو بن العاص بعدما فَتَحَ الشَّام : أن
انْدُب النَّاسَ إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خَفَ معك فيسر به ؛ وبَقِيَ به مع شريك بن عبيدة ؛
فندَّبَهُم عَمْرُو ، فأشْرَعُوا إلى الخُروج مع عَمْرُو .

٢٠ ثم إنَّ عُثْمَانَ بن عفَّان - رضي الله عنه - دَخَلَ على عُمر بن الخطَّاب ، فقال عُمر : كُتِبَتْ إلى عَمْرُو
ابن العاص يسير إلى مصر من الشَّام ، فقال عُثْمَان : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إنَّ عَمْرُوًا لَجَرَّ فِيهِ^٥ إقدامٌ وحُبٌّ
للإمارة ، فأخشَى أن يَخْرُجَ في غير ثِقَةٍ ولا بجماعة ، فيُعَرِّضَ المسلمين للهَلَكَة رَجاءَ فَوْصَةٍ لا
يُنْزِي تكون أم لا ؛ فندِّمَ عُمر على كتابه إلى عَمْرُو ، وإشفاقاً^٥ لما قال عُثْمَان ، فكتبَ إليه : «إن
أذَرَكَ كتابي هذا^٥ قبل أن تَدْخُلَ إلى مصر فازِجِع إلى موضِعِكَ ، وإن كنت دَخَلْتَ فامض لَوُجْهِكَ» .

(a) بولاق : لو نكل بك ، ظ : نكلت أمك . فوح : كانوا نكل أمك ، الكندي : لو كان نكل أمك . (b) زيادة من
الكندي . (c) بولاق : غدر . (d) بولاق : لجرى وفيه . (e) بولاق : أشفق . (f) زيادة من ظ .

^١ ابن عبد الحكم : فوح مصر ٥٦-٥٧ ، الكندي : ولاية مصر ٣٠-٣١ ، ابن سديد : المغرب ١٩-٢٠ ، أبو الحسن :
النجوم الزاهرة ٥٠:١-٦٩ ، وفيما تقدم ٤٣٠:١ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمُقَوْسُ قُدُومَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ إِلَى مِصْرَ، تَوَجَّهَ إِلَى مَوْضِعِ الْقُسْطَاطِ، فَكَانَ يُجَاهِزُ عَلَى عَمْرُو الْجَبُوشِ، وَكَانَ عَلَى الْقُسْرِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ الْأَعْعِيجُ وَالْيَا عَلَيْهِ، وَكَانَ تَحْتَ يَدَيْهِ^(٥) الْمُقَوْسُ. وَأَقْبَلَ عَمْرُو حَتَّى إِذَا كَانَ بِجَبَلِ الْحَلَالِ نَفَرَتْ مَعَهُ رَاشِدَةٌ وَقَبَائِلُ مِنَ لَحْمٍ، فَتَوَجَّهَ عَمْرُو حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْعَرِيشِ أَذْرَكَهُ الشَّخَرُ، فَضَعَى عَنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَعِدَ بِكَبْشٍ. وَتَقَدَّمَ فَكَانَ أَوَّلُ مَوْضِعٍ قُوتِلَ فِيهِ الْفَرَمَا، فَاتَّلَتْهُ الرُّومُ قِتَالًا شَدِيدًا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ عَلَى مَيْمَنَةِ عَمْرُو مِنْذُ تَوَجَّهَ مِنْ قَيْسَارِيَّةَ إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْ حَرْبِهِ. وَكَانَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَشَقْفٌ لِلْقَيْطِ يُقَالُ لَهُ أَبُو مِيَامِينَ^(٦)، فَلَمَّا بَلَغَهُ قُدُومُ عَمْرُو إِلَى مِصْرَ، كَتَبَ إِلَى الْقَيْطِ يُغْلِبُهُمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِلرُّومِ دَوْلَةٌ، وَأَنْ مُلْكَهُمْ قَدْ انْقَطَعَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَلْقَى عَمْرُو، فَيُقَالُ إِنَّ الْقَيْطَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْفَرَمَا كَانُوا يَوْمَعِدَ لِعَمْرُو أَهْوَانًا.

- ١٠ ثُمَّ تَوَجَّهَ عَمْرُو لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ^(٧)، حَتَّى نَزَلَ الْقَوَاصِرَ، فَسَمِعَ رَجُلٌ مِنَ لَحْمٍ نَفَرَا مِنَ الْقَيْطِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، يُقَدِّمُونَ عَلَى جُمُوعِ الرُّومِ وَأَمَّا هُمْ فِي قِلَّةٍ مِنَ النَّاسِ؟ فَأُجَابَتْهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا ظَهَرُوا عَلَيْهِ، حَتَّى يَقْتُلُوا خَيْرَهُمْ. وَتَقَدَّمَ عَمْرُو لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ حَتَّى أَتَى بَلْبَئِيسَ، فَقَاتَلُوهُ بِهَا نَحْوًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. ثُمَّ مَضَى لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ حَتَّى أَتَى أُمَّ دُنَيْنَ، فَقَاتَلُوهُ بِهَا قِتَالًا شَدِيدًا.

١٥

وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ الْفَتْحُ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ شَيْمَةَ، فَأَمَّنَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ تَمَامَ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، وَقِيلَ بِلِ أَمَّنَهُ بِأَثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، فَوَصَّلُوا إِلَيْهِ أَرْسَالًا يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكَانَ فِيهِمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ^١ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةٌ: الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ؛ وَقِيلَ إِنَّ الرَّابِعَ خَارِجَةُ بْنُ لُحْدَاقَةَ دُونَ مَسْلَمَةَ.

- ٢٠ ثُمَّ أَحَاطَ الْمُسْلِمُونَ بِالْحِصْنِ، وَأَمِيرُهُ يَوْمَعِدُ الْمُنْدُقُورِ^(٨) - الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْأَعْعِيجُ - مِنْ قِبَلِ الْمُقَوْسِ بْنِ قُرُوبِ الْيُونَانِيِّ، وَكَانَ الْمُقَوْسُ يَنْزِلُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَهُوَ فِي سُلْطَانِ هِرْقُلَ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ

(٥) يولاق: يد. (٦) كذا في جميع النسخ وهو المعروف عند الأقباط باسم بنيامين. (٧) ظ: الأخف. (٨) يولاق: المنصور.

^١ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٥٧-٥٩، ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ٢٠-٢١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة

حاضِر الحِصْن حين حاصِرَه المسلمون ، فقاتَل عُمرو بن العاص مَن بالحِصْن ^١.

وجاءَ رَجُلٌ إلى عُمرو فقال : انْذُبْ معي خَيْلًا حتى آتي من ورائِهِمْ ^٢ عند القتال . فَأَخْرَجَ معه خمس مائة فارس ، عليهم خَارجَةٌ بن حُذافَةَ في قَوْلٍ ، فساروا من ورائِ الجَبَلِ حتى دَخَلُوا مَغَار بني وإِثْلَ قبل الصُّبْح . وكانت الرُّومُ قد خَنَدُوا خَنَدًا ، وجعلوا له أبوابًا ، وبُثُوا في أَفْيَئَتِها حَسَك الحَدِيدِ ، فالتقى القومُ حين أَصْبَحُوا ، وَخَرَجَ خَارجَةٌ من ورائِهِمْ ، فانْهَزَمُوا حتى دَخَلُوا الحِصْنَ ، وكانوا قد خَنَدُوا حَوْلَهُ ^٣.

فَنَزَلَ عُمرو على الحِصْنِ ، وقاتَلَهُم قتالًا شَدِيدًا يُضَيِّحُهُم وَيُتَسِيهِم . وقيل إِنَّهُ لما أَبْعَثَ الفَتْحَ على عُمرو ، كَتَبَ إلى عُمَرَ بن الحَفْطابِ يَسْتَمِدُّهُ وَيُقْلِمُهُ بِذَلِكَ ، فَأَمَّتُهُ بِأَرْبَعَةِ آلافِ رَجُلٍ ، على كُلِّ أَلْفٍ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ ^٤ مَقَامُ الأَلْفِ : الزُّبَيْرُ بن العَوَّامُ ، والمِقْدَادُ بن عُمرو ، وعبادة بن الصَّامِتِ ، ومَسْلَمَةُ بن مَخْلَدٍ ، وقيل بل خَارجَةٌ بن حُذافَةَ لا يمدون مَسْلَمَةَ ، وقال عُمَرَ : اغْلَمْ أَنْ مَعَكَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، ولا تُغْلَبْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ ^٥.

وقيل قَدِيمُ الزُّبَيْرِ في اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، وإنَّ عَمْرًا لما قَدِمَ مِنَ الشَّامِ كان في عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، فكان يُفَرِّقُ أَصْحابَهُ ليرى القَدْرُ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِمَّا هُمْ . فَلَمَّا انْتَهَى إلى الحَنْدَقِ نادوه : أَنْ قَدْ رَأَيْنَا ما صَنَعْتَ ، وإِنَّمَا مَعَكَ مِنْ أَصْحابِكَ كَذَا وكَذَا ، فلم يُخْطِئُوا بِرَجُلٍ وَاحِدٍ . فَأَقَامَ عُمرو على ذَلِكَ أَيَّامًا ، يُقَدِّمُ في السَّحَرِ فَيُصَفِّ أَصْحابَهُ على أَقْواءِ الحَنْدَقِ عليهم السَّلاحُ ، فبينما هو على ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ خَبِيرُ الزُّبَيْرِ ابنِ العَوَّامِ أَنَّهُ قَدِمَ/ في اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، فتلَقَّاه عُمرو ، ثم أَقْبَلَا يَسِيران . ثم لَمْ يَلْبَثِ الزُّبَيْرُ أَنْ رَكِبَ ، ثم طَافَ بِالْحَنْدَقِ ، ثم فَرَّقَ الرُّجَالَ حَوْلَ الحَنْدَقِ ، وَأَلْعَجَ عُمرو على القَصْرِ ، وَوَضَعَ عليه المُنَجْنِيقَ . ودَخَلَ عُمرو إلى صَاحِبِ الحِصْنِ ، فتنَاطَرَا في شَيْءٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ ، فقال عُمرو : أَخْرِجْ وَأَسْتَشِيرُ أَصْحابِي ، وقد كان صَاحِبُ الحِصْنِ أَوْصَى الذي على الباب إِذَا مَرَّ بِهِ عُمرو أَنْ يُلقِي عليه صَخْرَةً

(a) بولاق : دياراتهم . (b) ساقطة من بولاق .

^١ الكندي : ولاية مصر ٣١ وانظر حول شخصية

المقوقس الذي دارت معه المفاوضة من المسلمين الفاتحين

والجلال حولها Ohrenberg, K., *Et* art. 21 Mukawis VII, pp. 511-13 أحمد فزاد : تاريخ

الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ،

القاهرة ١٩٩٧ ، ٦٤٢-٧٦٣ .

^٢ ابن عبد الحكم : فروع مصر ١٥٩ ، أبو المحاسن : النجوم

الزاهرة ٨ : ١ .

^٣ ابن عبد الحكم : فروع مصر ١٦١ ، أبو المحاسن : النجوم

فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ ، فَمَرُّ عَمْرُو وَهُوَ يُرِيدُ الْخُرُوجَ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ دَخَلْتُ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَخْرُجُ . فَرَجَعَ عَمْرُو إِلَى صَاحِبِ الْحِصْنِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيكَ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي حَتَّى يَسْمَعُوا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي سَمِعْتُ . فَقَالَ الْعِلْجُ فِي نَفْسِهِ : قَتَلْتُ جَمَاعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ وَاحِدٍ . وَأَرْسَلَ إِلَى الَّذِي كَانَ أَمْرَهُ بِمَا أَمْرَهُ بِهِ مِنْ قَتْلِ عَمْرُو : أَلَّا يَتَعَرَّضَ لَهُ ، وَرَجَاءُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَصْحَابِهِ فَيَقْتُلَهُمْ ^١ .

فَخَرَجَ عَمْرُو ، وَغِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فِي نَاحِيَةِ يُصَلِّي وَفَرَسُهُ عِنْدَهُ ، فَرَأَاهُ قَوْمٌ مِنَ الرُّومِ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ جَلِيَّةٌ وَبُرَّةٌ ، فَلَمَّا ذَنَبُوا مِنْهُ سَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ ، وَوَتَّبَعَ عَلَى فَرَسِهِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَوْهُ وَلَوْ رَاجِعِينَ ، فَاتَّبَعَهُمْ فَجَعَلُوا يُلْقُونَ مَنَاطِقَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ لِيَشْغَلُوهُ بِذَلِكَ عَنْ طَلَبِهِمْ ، وَهُوَ لَا يَلْتَمِثُ إِلَيْهِ ، حَتَّى دَخَلُوا الْحِصْنَ ، وَرُمِيَ غِبَادَةُ مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ بِالْحِجَارَةِ ، فَجَرَجَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَشَيْءٍ ثُمَّ طَرَحُوا مِنْ مَتَاعِهِمْ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ فَاسْتَقْبَلَ الصَّلَاةَ ، وَخَرَجَ الرُّومُ إِلَى مَتَاعِهِمْ يَجْمَعُونَهُ ^٢ .

فَلَمَّا أَبْطَأَ الْفَتْحُ عَلَى عَمْرُو ، قَالَ الزُّبَيْرُ : إِنِّي أَهْبُ نَفْسِي لِلَّهِ ^٣ أَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ فَوَضَعَ سُلْعًا ^٤ إِلَى جَانِبِ الْحِصْنِ مِنْ نَاحِيَةِ سُوقِ الْحَمَامِ ، ثُمَّ صَعِدَ فَأَمْرَهُمْ إِذَا سَمِعُوا تَكْبِيرَهُ أَنْ يَجِيبُوهُ جَمِيعًا ، فَمَا سَمِعُوا إِلَّا وَالزُّبَيْرُ عَلَى رَأْسِ الْحِصْنِ يُكَبِّرُ وَمَعَهُ السَّيْفُ ، وَتَحَامَلُ النَّاسُ عَلَى السَّلَامِ حَتَّى نَهَاهُمْ عَمْرُو خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْكَسِرَ . وَتَكَبَّرَ الزُّبَيْرُ ، فَكَثُرَتِ النَّاسُ مَعَهُ ، وَأَجَانِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجٍ ، فَلَمْ يَشْكُ أَهْلُ الْحِصْنِ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ اقْتَحَمُوا جَمِيعًا ، فَهَرَبُوا . وَعِنْدَ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى بَابِ الْحِصْنِ فَفَتَحُوهُ ، وَاقْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ الْحِصْنَ . فَخَافَ الْمُتَوَقِّسُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَحِينَئِذٍ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْقَاصِ الصُّلْحَ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ ، عَلَى أَنْ يُفَرِّضَ لِلْعَرَبِ عَلَى الْقَبِيطِ دِينَارَيْنِ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَأُجَابَهُ عَمْرُو إِلَى ذَلِكَ . وَكَانَ مُكْتَبُهُمْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ حَتَّى فَتَحُوهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ^٥ .

(٥) بولاق : أهب الله نفسي .

^١ ابن سعيد : المغرب ٢٢ .

القضاة : ٤ .

^٢ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦١-٦٢ .

^٣ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦٣ ؛ ابن سعيد : المغرب

^٤ حاشية بخط المؤلف : « هذا السُّلْمُ أُحْرَقَ بَعْضُهُ ثُمَّ

٢٣-٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٩: ١-١٠ .

أُحْرَقَ مَا بَقِيَ مِنْهُ بَعْدَ سِتَّةِ تَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، قَالَ

قال: وقد سمعت في فتح القصر وجهها آخر، هو أن المسلمين لما حاصروا^١ باب أليون، كان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس، فقاتلوهم شهراً. فلما رأى القوم الجدد من العرب على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب القصر القبطي ودونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة^٢ - موضع الصناعة اليوم - وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري الليل. ويقال إن الأعترج تخلف في الحصن بعد المقوقس، وقيل خرج معهم، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة^٣.

فأرسل المقوقس إلى عمرو:

«إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا، وألحستم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا، وإنما أنتم غصبة يسيرة، وقد أطلتكم الروم، وجهروا إليكم ومعهم من العدة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا الليل، وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فابتعدوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعلمه أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما نحبون ونحب، ونقطع غنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفقنا الكلام ولا تقدر عليه، ولعلكم أن تذكروا إن كان الأمر مخالفاً لطلبكم وزجائكم، فابتعدوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعالملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء».

فلما أتت عمرو بن القاص رسل المقوقس، حبسهم عنده يومين وليتين حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أترون أنهم يقتلون الرسل، ويستحلون ذلك في دينهم؟ وإنما أراد عمرو بذلك أن يزوا حال المسلمين. فرد عليهم عمرو مع رسله:

«إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن تدخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فأعطيتكم الجزيرة عن يد

(a) بولاق: حصروا.

^٢ ابن عبد الحكم: فزع مصر ٦٤.

^١ حاشية بخط المؤلف: وهذه الجزيرة هي الروضة، والصناعة كانت في القديم بها وقد ذكرت في موضعه من هذا الكتاب.

وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَإِنَّمَا أَنْ جَاهِدْنَاكُمْ بِالصَّبْرِ وَالْقِتَالِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

فَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُ الْمُقَوْسِ إِلَيْهِ قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا قَوْمًا الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَى
أَعْدِيهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَالتَّوَاضُّعُ أَحَبُّ إِلَى أَعْدِيهِمْ مِنَ الرَّفْعَةِ ، لَيْسَ لِأَعْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا رَغْبَةٌ وَلَا
نَهْمَةٌ ، إِنَّمَا يَجْلِسُونَ عَلَى الثَّرَابِ ، وَأَكْلُهُمْ عَلَى رُكْبِهِمْ ، وَأَمِيرُهُمْ كَوَاجِدٍ مِنْهُمْ ، مَا يُعْرِفُ
رَفِيعُهُمْ مِنْ وَضِيعِهِمْ ، وَلَا الشَّيْءُ مِنْهُمْ مِنَ الْعَبْدِ ، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْهُمْ
أَحَدٌ ، يَفْسِلُونَ أَطْرَافَهُمْ بِالْمَاءِ ، وَيُحْسِنُونَ فِي صَلَاتِهِمْ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُقَوْسُ : وَالَّذِي يُخَلَّفُ
بِهِ ، لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ اسْتَقْبَلُوا الْجِبَالَ لِأَزَالُوهَا ، وَمَا يَقْوَى عَلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ ، وَلَئِنْ لَمْ نَنْقَتِمْ
صُلْحَهُمَ الْيَوْمَ وَهُمْ مَخْصُورُونَ بِهَذَا الثَّلِيلِ ، لَمْ يُجِيبُوا بَعْدَ الْيَوْمِ إِذَا أَمَكْتَهُمُ الْأَرْضُ ، وَقَوُوا/ عَلَى
الْخُرُوجِ مِنْ مَوْضِعِهِمْ . فَرَدَّ إِلَيْهِمُ الْمُقَوْسُ رُسُلَهُ : ابْتَغُوا إِلَيْنَا رُسُلًا مِنْكُمْ نُعَايِلُهُمْ ، وَنَتَدَاغَى نَحْنُ
وَهُمْ إِلَى مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَلَاحٌ لَنَا وَلَكُمْ .

فَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَشْرَةَ نَفَرٍ ، أَحَدُهُمْ عِبَادَةٌ بِنِ الصَّامِتِ ، وَكَانَ طَوْلُهُ عَشْرَةَ أَشْبَارٍ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمُ الْقَوْمِ ، وَلَا يُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ دَعَاهُ إِلَيْهِ إِلَّا إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ بِحِصَالٍ ، فَإِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ ، وَأَمَرَنِي أَلَّا أَقْبَلَ شَيْئًا يَسُوِي خِصْلَةً مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ بِحِصَالٍ .
وَكَانَ عِبَادَةٌ أَسْوَدَ ، فَلَمَّا رَكِبُوا الشُّقْنَ إِلَى الْمُقَوْسِ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، تَقَدَّمَ عِبَادَةٌ ، فَهَابَهُ الْمُقَوْسُ
لِسَوَادِهِ ، وَقَالَ : نَحْنُو عَنِّي هَذَا الْأَسْوَدَ ، وَقَدَّمُوا غَيْرَهُ يُكَلِّمُنِي . فَقَالُوا جَمِيعًا : إِنَّ هَذَا الْأَسْوَدَ
أَفْضَلُنَا رَأًيًا وَعِلْمًا ، وَهُوَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْنَا ، وَإِنَّمَا نَرْجِعُ جَمِيعًا إِلَى قَوْلِهِ وَرَأْيِهِ ، وَقَدْ أَمَرَهُ
الْأَمِيرُ دُونَنَا بِمَا أَمَرَهُ ، وَأَمَرْنَا أَلَّا نُخَالِفَ رَأْيَهُ وَقَوْلَهُ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الْأَسْوَدَ أَفْضَلَكُمْ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ دُونَكُمْ ؟ قَالُوا : كَلَّا ، إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ كَمَا
تَرَى ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِنَا مَوْضِعًا وَأَفْضَلِنَا سَابِقَةً وَعَقْلًا وَرَأًيًا ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ الشَّوَادُ فِينَا ؛ فَقَالَ
الْمُقَوْسُ لِعِبَادَةِ : تَقَدَّمْ يَا أَسْوَدَ وَكَلِّمْنِي بِرَفْقٍ ، فَإِنِّي أَهَابُ سَوَادَكَ ، وَإِنْ أَشَدُّ كَلَامُكَ عَلَيَّ ،
ازِدَدْتَ لَكَ هَيْبَةً .

تَقَدَّمَ عَلَيْهِ عِبَادَةٌ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتَ مَقَالَاتِكَ ، وَإِنِّي فِيمَنْ خَلَفْتُ مِنْ أَصْحَابِي أَلْفَ رَجُلٍ أَسْوَدَ
كُلِّهِمْ أَشَدَّ سَوَادًا مِنِّي وَأَنْفَطَعَ مَنَظَرًا ، وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَكُنْتَ أَهْيَبَ لَهُمْ مِنْكَ لِي ، وَأَنَا قَدْ وَدَّيْتُ وَأَذْهَبُ
شَبَابِي ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا أَهَابُ مِائَةَ رَجُلٍ مِنْ عَدُوِّي لَوْ اسْتَقْبَلُونِي جَمِيعًا ،
وَكَذَلِكَ أَصْحَابِي ؛ وَذَلِكَ إِنَّمَا رَغَبْنَا وَهَمُّنَا الْجِهَادَ فِي اللَّهِ وَاتِّبَاعَ رِضْوَانِهِ ، وَلَيْسَ غَرَضُنَا عَدُوًّا مِنْ

حازب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها ، إلا أن الله - عز وجل - قد أحل لنا ذلك ، وجعل ما غنينا من ذلك خلافا ؛ وما يئالي أخذنا إن كان له قنطار من ذهب أم كان لا يئلك إلا يزهنا ، لأن غاية أخذنا من الدنيا أكلة يأكلها يشد بها جوعه ليله ونهاره ، وشغلة يلتحفها ، فإن كان أخذنا لا يئلك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفق في طاعة الله ، واقتصر على هذا الذي بيده ويتلغه ما كان في الدنيا ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورعائها ليس برعائها ، إنما التعميم والرخاء في الآخرة . وبذلك أمرنا الله ^{١٨} ، وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألا تكون همة أخذنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويشتت عورته ، وتكون همة وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع الموقر ذلك منه ، قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره ، وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لحراب الأرض ، ما أظن ملكتهم إلا سيقب على الأرض كلها .

ثم أقبل الموقر على عبادة بن الصامت فقال له : أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتي وما ذكرت عنك وعن أصحابك . ولقنري ما بلغتكم ما بلغتكم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لخبهم الدنيا ورغبتهم فيها . وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ما يئالي أخذهم من لقي ولا من قاتل ، وإننا لنعلم أنكم لم تقدرنا عليهم ، ولن تطيقوهم لضغفكم وقليكم . وقد أقعتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم في ضيبي وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضغفكم وقليكم وقلة ما بين أيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصلحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به .

فقال عبادة بن الصامت : يا هذا لا تفرن نفسك ولا أصحابك ، إنما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم ، فلقنري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي تكبرنا عما نحن فيه . وإن كان ما قلتم حقا فذلك والله أروع ما يكون في قتالهم ، وأشد لحوصنا عليهم ، لأن ذلك أهدر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه ؛ إن قيلنا عن آبرنا ، كان أمكن لنا في رضوانه وحجته ، وما شيء أقر لأعيننا ، ولا أحب لنا من ذلك . وإننا منكم حينئذ لعللى إحدى

الحسنين: إما أن تغطم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرونا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفروتم بنا، وإنها^(a) لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا؛ وإن الله - عز وجل - قال لنا في كتابه: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَبِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يزرقه الشهادة، وألا يزره إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا هم فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أماننا.

وأما قولك إنما في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا، ما أزدنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه. فانظر الذي تريد فينبه لنا، فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك إليها، إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تطلع نفسك في الباطل، بذلك أمرني/ الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين، وهو عهد رسول الله الله من قبل إلينا.

إما أجبت^(b) إلى الإسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا، وكان أحنانا في دين الله؛ فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك، فقد سددتم في الدنيا والآخرة، وزجفنا عن قتالكم، ولم نستجل أذاكم ولا التعرض لكم؛ وإن أبيتم إلا الجزية، فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وأن نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم، وتقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودياركم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في دثنا، وكان لكم به عهد علينا؛ وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى تموت من أجربنا، أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال الموقس: هذا ما لا يكون أبداً، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا؛ فقال له عبادة: هو ذاك، فاختر لنفسك ما شئت؛ فقال الموقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث يحصل؟ فرفع عبادة يده إلى السماء فقال: لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاخاروا لأنفسكم.

فالتفت الموقس عند ذلك إلى أصحابه فقال: قد قرع القوم فما ترون؟ فقالوا: أو يرضى أحد بهذا الذل! أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم، فهذا لا يكون أبداً أن ترك دين المسيح بن مريم

وَنَدْخُلُ فِي دِينٍ غَيْرِهِ لَا نَعْرِفُهُ ؛ وَأَمَّا مَا أَرَادُوا أَنْ يَشْبُونَا وَيَجْعَلُونَا عِبِيدًا ، فَاَلْمُوتُ أَثْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ،
لَوْ رَضُوا مِنَّا أَنْ نَضْعِفَ لَهُمْ مَا أَغْطَيْنَاهُمْ مِرَارًا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا .

فَقَالَ الْمُقَوْسُ لِعِبَادِهِ : قَدْ أَتَى الْقَوْمُ فَمَا تَرَى ، فَرَاجِعْ صَاحِبَكَ عَلَى أَنْ تُعْطِيَكُمْ فِي مَوْتِكُمْ
هَذِهِ مَا تَمَنُّيْتُمْ وَتَنْصَرِفُونَ ؛ فَقَالَ عِبَادُهُ وَأَصْحَابُهُ : لَا .

فَقَالَ الْمُقَوْسُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَطِيعُونِي وَأَجِيبُوا الْقَوْمَ إِلَى خَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَكُمْ
بِهِمْ طَاقَةٌ ، وَلَكِنْ لَمْ تُجِيبُوا إِلَيْهَا طَائِعِينَ لِتُجِيبَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كَارِهِينَ ؛ فَقَالُوا : وَإِيَّ خَصْلَةٍ
تُجِيبُهُمْ إِلَيْهَا ؟ قَالَ : إِذَنْ أَخْبِرْكُمْ ، أَمَّا دُخُولُكُمْ فِي غَيْرِ دِينِكُمْ فَلَا أَمْرُكُمْ بِهِ ، وَأَمَّا قِتَالُهُمْ فَأَنَا أَعْلَمُ
أَنْتُمْ لَنْ تَقُومُوا عَلَيْهِمْ وَلَنْ تَضْرِبُوا صَبْرَهُمْ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ ؛ قَالُوا : فَكُونَ لَهُمْ عَبِيدًا أَبَدًا . قَالَ :

نَعَمْ تَكُونُونَ عَبِيدًا مُسَلِّطِينَ فِي بِلَادِكُمْ ، آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَذُرَارِيكُمْ ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ
أَنْ تَمُوتُوا مِنْ آخِرِكُمْ ، وَتَكُونُوا عَبِيدًا تُبَاعُوا وَتَمْرَقُوا فِي الْبِلَادِ ، مُسْتَعْبِدِينَ أَبَدًا أَنْتُمْ وَأَهْلِيكُمْ
وَذُرَارِيكُمْ ؛ قَالُوا : فَاَلْمُوتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا . وَأَمَرُوا بِقَطْعِ الْجِسْرِ مِنَ الْقُسْطَاطِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْقَصْرِ مِنْ
جَمْعِ الْقَيْطِ وَالرُّومِ كَثِيرٍ .

فَالْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْقِتَالِ عَلَى مَنْ بِالْقَصْرِ حَتَّى ظَفِرُوا بِهِمْ ، وَأَثَرَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، فَقُتِلَ
مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ مِنْ أُسِيرٍ ، وَانْجَرَتْ الشُّقُوفُ كُلُّهَا إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ يُرَاقِبُونَهُمْ ،
وَقَدْ أَخَذَ قَوْمُهُمُ الْمَاءَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْقُلُوا نَحْوَ الصَّعِيدِ ، وَلَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
الْمَدَنِ وَالْقُرَى . وَالْمُقَوْسُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : أَلَمْ أُعَلِّمَكُم هَذَا ؟ وَأَخَافُهُ عَلَيْكُمْ ، مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فَوَاللَّهِ
لَتُجِيبَهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا طَوْعًا ، أَوْ لَتُجِيبَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ كَرْهًا ، فَأَطِيعُونِي مَنْ قَتَلَ أَنْ
تَنْدَمُوا . فَلَمَّا رَأَوْا مِنْهُمْ مَا رَأَوْا ، وَقَالَ لَهُمُ الْمُقَوْسُ مَا قَالَ ، أَذْغَعُوا بِالْجَزِيرَةِ ، وَرَضُوا بِذَلِكَ عَلَى
صُلْحٍ يَكُونُ بَيْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُ .

وَأَرْسَلَ الْمُقَوْسُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : إِنِّي لَمْ أَزَلْ خَرِصًا عَلَى إِجَابَتِكُمْ إِلَى خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ
الْخِصَالِ الَّتِي أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا ، فَأَتَى عَلِيٌّ مِنْ خَضِرْنِي مِنَ الرُّومِ وَالْقَيْطِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَفَاتَ
عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَقَدْ عَزَفُوا نَضْحِي لَهُمْ وَخُبِّي صِلَاحَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِي ، فَأَعْطَيْتُ أَمَانًا
أُجْتَمِعُ أَنَا وَأَنْتَ : أَنَا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي ، وَأَنْتَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَإِنْ اسْتَقَامَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا تَمَّ
ذَلِكَ جَمِيعًا ، وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ رَجَعْنَا إِلَى مَا شُكْنَا عَلَيْهِ .

فاستشار عُمَرُو أَصْحَابَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالُوا : لَا تُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الصُّلْحِ وَلَا الْجِزْيَةِ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَتَصِيرَ الْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا قَبْلاً وَغَنِيَةً ، كَمَا صَارَ لَنَا الْقَصْرُ وَمَا فِيهِ . فَقَالَ عُمَرُو : قَدْ عَلِمْتُمْ مَا عَهَدَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَهْدِهِ ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى خَصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ الَّتِي عَهَدَ إِلَيَّ فِيهَا ، أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا وَقَبِلْتُ مِنْهُمْ ، مَعَ مَا قَدْ حَالَ هَذَا الْمَاءُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نُرِيدُ مِنْ قِتَالِهِمْ .

- ٥ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عَهْدِ بَيْنِهِمْ ، وَاضْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُفَرِّضَ لَهُمْ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ بَصْرَ ، أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا ، مِنَ الْقَيْطِ : دِينَارَانِ دِينَارَانِ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ ، شَرِيْقُهُمْ وَوَضِيْقُهُمْ ، مِمَّنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْحُلُمُ ، لَيْسَ عَلَى الشَّيْخِ الْفَانِي ، وَلَا عَلَى الصَّغِيرِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ الْحُلُمَ ، وَلَا عَلَى النِّسَاءِ شَيْءٌ ^١ . وَعَلَى أَنَّ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمُ التَّزُلُّ بِجَمَاعَتِهِمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، وَمَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ ضَيْفٌ وَاجِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، كَانَتْ لَهُمْ ضِيَاةٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مُفْتَرَضَةً عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ لَهُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، لَا يُفَرِّضُ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا ؛ فَشَرَطَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى الْقَيْطِ خَاصَّةً .

وَأَخْصَوْا عَدَدَ الْقَيْطِ يَوْمَئِذٍ ، خَاصَّةً مِنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ وَفَرَضَ / عَلَيْهِمُ الدِّينَارَانِ - رَفَعَ ذَلِكَ عُرْفَاؤُهُمُ بِالْأَيَّامِ الْمُؤَكَّدَةِ - فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ أَخَصِي يَوْمَئِذٍ بِبَصْرَ - أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا - مِنْ جَمِيعِ الْقَيْطِ ، فِيمَا أَخْصَوْا وَكَتَبُوا وَرَفَعُوا ، أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ آلَافِ أَلْفِ نَفْسٍ ، فَكَانَتْ قَرِيبَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ^٢ .

- ١٥ وَقَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ : لَمَّا فَتَحَ عُمَرُو مِصْرَ ، صَالَحَ عَنْ جَمِيعِ مَنْ فِيهَا مِنَ الرِّجَالِ مِنَ الْقَيْطِ ، مِمَّنْ رَاقَى الْحُلُمُ إِلَى مَا فَوْقَ ذَلِكَ ، لَيْسَ فِيهِمْ امْرَأَةٌ وَلَا شَيْخٌ وَلَا صَبِيٌّ ، فَأَخْصَوْا بِذَلِكَ عَلَى دِينَارَيْنِ دِينَارَيْنِ ، فَبَلَّغَتْ عِدَّتُهُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفٍ .

- قال : وَشَرَطَ الْمُتَقَوِّسُ لِلرُّومِ أَنْ يُخَيَّرُوا : فَمَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ أَنْ يُقِيمَ عَلَى مِثْلِ هَذَا ، أَقَامَ عَلَى ذَلِكَ لَا زِمًا لَهُ مُفْتَرَضًا عَلَيْهِ ، مِمَّنْ أَقَامَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ كُلِّهَا ، وَمَنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا إِلَى أَرْضِ الرُّومِ ، خَرَجَ ؛ وَعَلَى أَنَّ لِلْمُتَقَوِّسِ الْخِيَارَ فِي الرُّومِ خَاصَّةً ، حَتَّى يَكْتُبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ وَيُعْلِمَهُ مَا فَعَلَ ، فَإِنْ قَبِلَ ذَلِكَ وَرَضِيَتْهُ ، جَازَ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَّا كَانُوا جَمِيعًا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ^٣ .

^١ انظر عن الجزية (الجبالية جـ. الجوالي) فيما تقدم المغرب ٢٤-٢٩ أبو الحسن: النجوم الزاهرة ١٠٠:١-١٩٠.

^٢ نفسه ٧٠-٧١.

٢٠٧:١.

^٣ ابن عبد الحكم: فروع مصر ٦٤-١٧٠ ابن سعيد:

وَكَتَبُوا بِهِ كِتَابًا ، وَكَتَبَ الْمُقَوِّسُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ كِتَابًا يُعَلِّمُهُ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ
الرُّومِ يُقَبِّحُ رَأْيَهُ وَيَعْجِزُهُ ، وَيُرِدُّ عَلَيْهِ مَا فَعَلَ ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ :

«إِنَّمَا أَنَاكَ مِنَ الْعَرَبِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَبَصَرَ مَنْ بَهَا مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ الْقَيْبِطِ مَا
لَا يُنْخَصِي ، فَإِنْ كَانَ الْقَيْبُطُ كَرِهُوا الْقِتَالَ وَأَحْبَبُوا أَذَاءَ الْحِزْبَةِ إِلَى الْعَرَبِ
وَاخْتَارَوْهُمْ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ عِنْدَكَ بِمَصْرِ مِنَ الرُّومِ ، وَبِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَمِنْ مَعَكَ ،
أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مَعَهُمُ الْغُدَّةُ وَالْقُوَّةُ ، وَالْعَرَبُ وَحَالُهُمْ وَضَعْفُهُمْ عَلَى مَا
قَدْ رَأَيْتَ ، فَعَجِزْتَ عَنْ قِتَالِهِمْ ، وَرَضَيْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ
الرُّومِ فِي حَالِ الْقَيْبِطِ أَذِلَّةً ، فَقَاتِلْهُمْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الرُّومِ حَتَّى تَمُوتَ أَوْ
تُظْفَرَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ فِيكَ ، عَلَى قَدَرِ كَثَرَتِكَمْ وَقُوَّتِكَمْ وَعَلَى قَدَرِ قِلَّتِهِمْ
وَضَعْفِهِمْ ، كَأَنَّكَ ، نَاهِضُهُمُ الْقِتَالَ ، وَلَا يَكُنْ لَكَ رَأْيٌ غَيْرَ ذَلِكَ » .

وَكَتَبَ مَلِكُ الرُّومِ بِمِثْلِ ذَلِكَ كِتَابًا إِلَى جَمَاعَةِ الرُّومِ ؛ فَقَالَ الْمُقَوِّسُ لَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ مَلِكِ الرُّومِ :
وَاللَّهِ أَغْلَمَ أَنَّهُمْ عَلَى قِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ أَقْوَى وَأَشَدَّ مِنَّا عَلَى قُوَّتِنَا وَكَثَرَتِنَا ؛ إِنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ
لَيُعْدِلُ مِائَةَ رَجُلٍ مِنَّا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَوْمُ الْمَوْتِ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ ، يُقَاتِلُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ وَهُوَ
مُسْتَقْبِلُ يَمْنَى أَلَّا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا بَلَدِهِ وَلَا وَلَدِهِ ، وَيُرُونَ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا فِيمَنْ قَتَلُوهُ مِنَّا ،
وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِنْ قُتِلُوا دَخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا لَذَّةٌ إِلَّا قَدَرُ بُلْغَةِ الْعَيْشِ مِنْ
الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ ؛ وَنَحْنُ قَوْمٌ نَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَنَحِبُّ الْحَيَاةَ وَلَذَّتْهَا ، فَكَيْفَ نَسْتَقِيمُ نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ ،
وَكَيْفَ صَبَرْنَا مَعَهُمْ ؟

وَاعْلَمُوا مَغْشَرُ الرُّومِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَخْرُجُ مِمَّا دَخَلْتُ فِيهِ ، وَلَا صَالَحْتُ الْعَرَبَ عَلَيْهِ ، وَإِنِّي
لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَرْجِعُونَ عَدَا إِلَى قَوْلِي وَرَأْيِي ، وَتَسْتَمْتُونَ أَنْ لَوْ كُتِمَ أَطْعَمْتُمُونِي ، وَذَلِكَ أَنِّي قَدْ
عَاطَيْتُ وَرَأَيْتُ وَعَرَفْتُ مَا لَمْ يُعَايِنِ الْمَلِكُ وَلَمْ يَرِهِ وَلَمْ يَعْرِفِهِ ، أَمَا يُؤْذِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ آيَةً فِي
ذَمِّهِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ بِدِينَارَيْنِ فِي السَّنَةِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ الْمُقَوِّسُ إِلَى عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ كَرِهَ مَا فَعَلْتَ وَعَجِزَنِي ، وَكَتَبَ إِلَيَّ وَإِلَى
جَمَاعَةِ الرُّومِ أَلَّا تَرْضَى بِمُصَالَحَتِكَ ، وَأَمَرَهُمْ بِقِتَالِكَ حَتَّى يَظْفَرُوا بِكَ أَوْ تَظْفَرَ بِهِمْ ، وَلَمْ أَكُنْ
لَأَخْرُجَ مِمَّا دَخَلْتُ فِيهِ وَعَاقَدْتُكَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا سُلْطَانِي عَلَى نَفْسِي وَمَنْ أَطَاعَنِي . وَقَدْ تَمَّ صَلُحُ الْقَيْبِطِ
فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ يَأْتِ مِنْ قِتَالِهِمْ نَقْصٌ ، وَأَنَا مَتَمُّ لَكَ عَلَى نَفْسِي ، وَالْقَيْبِطُ مَتَمُّونَ لَكَ عَلَى
الصُّلْحِ الَّذِي صَالَحْتَهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقَدْتَهُمْ ، وَأَمَّا الرُّومُ فَأَنَا مِنْهُمْ بِرِيءٌ . وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تُعْطِنِي

ثلاث يحصل : لا تنقض بالقبض وأذعنني معهم وألزميني ما لزمهم ، وقد اجتمعت كلمتي
وكلمتهم على ما عاقدتك عليه فهم يثبتون لك على ما تحب . وأما الثانية إن سألك اليوم بعد
اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا وعبيدا ، فإنهم أهل ذلك لأنني نصحتهم
فاستغشوني ، ونظرت لهم فاثموني . وأما الثالثة أطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم أن يذنبوني
في أبي يحنس بالإسكندرية ^(٥).

فأنتم له عمرو بذلك ، وأجابه إلى ما طلب ، على أن يصمنوا له الجيزتين جميعا ، ويقيموا لهم
الأزوال والضياقة والأشواق والجسور ، ما بين القسطنطين إلى الإسكندرية . ففعلوا ، وصارت لهم
القبض أحرانا كما جاء في الحديث ^(١).

وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح : فسار عمرو بمن معه حتى نزل على
الحيص ، فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحيص ، ففعل ^(١٠)
ذلك ، ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبزنا وعمامة وخفين . وسألوه
أن يأذن لهم أن يهيئوا له ولأصحابه ضيعة ، ففعل ، وأمر عمرو أصحابه فتهيئوا وليسوا البرود ثم
أقبلوا .

فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو : كم أنفقتم ؟ قالوا : عشرين ألف دينار ؛ قال عمرو : لا
حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ، أدوا إلينا عشرين ألف دينار . فجاءه التفر من القبط ، فاستأذنوه إلى ^(١٥)
قراهم وأهليهم ، فقال لهم عمرو : كيف رأيتم أمرنا ؟ قالوا : لم نزل إلا حسنا ؛ فقال الرجل الذي
قال في المرة الأولى [ما قال لهم] ^(٢٥) : إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا
خيركم رجلا . فغضب عمرو وأمر به ، فطلب إليه أصحابه وأخبروه / أنه لا يذري ما يقول حتى
يخلصوه .

فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أرسل في طلب ذلك القبطي فوجده ^(٢٠)
قد هلك ، فعجب عمرو من قوله . ويقال إن عمرو بن العاص قال : فلما طعن عمر بن
الخطاب ، قلت : هو ما قال القبطي ، فلما حدثت أنه إنما قتله أبو لؤلؤة رجل نصراني ، قلت :

(٥) بولاق : يذنبوني بجسر الإسكندرية . (ب) زيادة من فروع مصر .

^(١) ابن عبد الحكم : فروع مصر ٧١ - ٧٢ ؛ ابن سعد : المغرب ٢٩ - ٣١ .

لم يقن هذا إنما عني من قتله المسلمون . فلما قُبل عُثمان ، عَزَفَتْ أَنْ ما قال الرجلُ حقَّ .
فلما فَرَعَ القَيْطُ من صَنِيعِهِمْ ، أَمَرَ عُمَرُ بن العاصِ بِطَعَامِ فَصْنِيعٍ لَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْضُرُوا
لذلك ، فَصْنَعَ لَهُمُ الثَّرِيدَ والعُرَاقَ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِلِبَاسِ الْأَكْسِيَةِ واشْتِمَالِ الصُّنَّاءِ والقُعودِ على
الرُكَبِ . فلما خَضَرَتِ الرُّومُ ، وَضَعُوا كُرَاسِي الدِّيَابِاجِ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا ، وَجَلَسَتْ الْعَرَبُ إِلَى
جَوَانِبِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ يَلْتَقِمُ اللَّقْمَةَ الْعَظِيمَةَ مِنَ الثَّرِيدِ ، وَيَتَهَشَّ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْمِ ،
فَيَتَطَايَرُ عَلَى مَنْ إِلَى جَنْبِهِ مِنَ الرُّومِ . فَتَبَيَّنَتْ الرُّومُ بِذَلِكَ وَقَالَتْ : أَيْنَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا أَتُونَا
قَبْلَ ؟ فَقِيلَ لَهُمْ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَشْوَرةِ ، وهؤلاء أَصْحَابُ الْحَزْبِ ^١ .

وقال الْكِندِيُّ : وَذَكَرَ يَزِيدُ بن أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ عَدَدَ الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عُمَرُ بن العاصِ
خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن سَعِيدٍ بن يَفْلَاحٍ أَنَّ الَّذِينَ جَزَتْ سِيَاهَهُمْ
فِي الْحِصْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، بَعْدَ مَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ فِي الْحِصَارِ بِالْقَتْلِ
وَالْمَوْتِ ^٢ .

وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي هَذَا الْحِصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دُفِنُوا فِي أَصْلِ الْحِصْنِ .
وَذَكَرَ الْقَضَاعِيُّ أَنَّ مِصْرَ قُبِحَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلَ الْحَرَمِ سِتَّةَ عَشْرِينَ ، وَقِيلَ قُبِحَتْ سِتَّةُ
سِتِّ عَشْرَةٍ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ ، وَقِيلَ قُبِحَتْ وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةُ سِتَّةَ خَمْسَ عَشْرِينَ ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى
أَنَّهَا قُبِحَتْ قَبْلَ عَامِ الرُّمَادَةِ ، وَكَانَتِ الرُّمَادَةُ فِي آخِرِ سِتَّةَ سَبْعَ عَشْرَةٍ وَأَوَّلِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ ^٣ .

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مِصْرَ هَلْ مَسَّحَتْ بِصُلْحٍ أَوْ عَثْوَةٍ

وقد اخْتَلَفَ فِي فَتْحِ مِصْرَ فَقَالَ قَوْمٌ : قُبِحَتْ صُلْحًا ، وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا قُبِحَتْ عَثْوَةً . فَأَمَّا
الَّذِينَ قَالُوا : كَانَ فَتْحُ مِصْرَ بِصُلْحٍ ، فَإِنَّ حُسَيْنَ بن شَفِيٍّ قَالَ : لَمَّا فَتَحَ عُمَرُ بن العاصِ
الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ بَقِيَ مِنَ الْأَسَاوِزِ بِهَا ، يُنَمُّ بَلْعُ الْخَرَجِ وَأُخْصِي يَوْمَعِدٍ ، سِتَّةَ مِائَةِ أَلْفٍ سِوَى النِّسَاءِ
وَالصِّبْيَانِ ؛ فَاتَّخَذَ النَّاسُ عَلَى عُمَرُ فِي قِسْمِهِمْ ، فَكَانَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ يُرِيدُ قِسْمَهَا . فَقَالَ
عُمَرُ : لَا أَقْدِرُ عَلَى قِسْمِهَا حَتَّى أَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ يُغْلَمُ بِقِسْمِهَا وَشَأْنُهَا وَأَنَّ
الْمُسْلِمِينَ طَلَبُوا قِسْمَهَا ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لَا تَقْسِمُهَا ، وَخَزَنُهَا يَكُونُ خَرَايِجَهُمْ

^١ الكندي : ولادة مصر ٣٢٢ .

^٢ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٦٠ ابن سعيد : المغرب

^٣ انظر فيما تقدم ١٠٠ .

فَيَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ . فَأَقْرَبُهَا عَمْرُو ، وَأَخْصَى أَهْلُهَا ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَرَاجَ .

فَكَانَتْ مِصْرُ كُلِّهَا صُلْحًا بِقَرِيبَةِ دِينَارَيْنِ دِينَارَيْنِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَلْزَمُ بِقَدْرِ مَا يَتَوَسَّعُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ وَالزُّرْعِ ، إِلَّا الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُؤَدُّونَ الْحَرَاجَ وَالْجِزْيَةَ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مَنْ وَلِيَّتِهِمْ ، لِأَنَّ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ قُتِبَتْ غَنَوةٌ بغيرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ صُلْحٌ وَلَا ذِمَّةٌ^١ .

وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ : مِصْرُ كُلِّهَا صُلْحٌ ، إِلَّا الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ فَإِنَّهَا قُتِبَتْ غَنَوةٌ . وَقَالَ عُقَيْبُ اللَّهِ^(أ) بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِّنْ أَدْرَكِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالَ : لِلْقَبِيطِ عَهْدٌ عِنْدَ ثُلَانٍ ، وَعَهْدٌ عِنْدَ ثُلَانٍ ، فَسَمِعْتُ ثَلَاثَةَ نَقَرٍ . وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ عَهْدَ أَهْلِ مِصْرَ كَانَ عِنْدَ كُبَرَائِهِمْ .

وَفِي رِوَايَةٍ : سَأَلْتُ شَيْخًا مِنَ الْقَدَمَاءِ عَنْ فَتْحِ مِصْرَ قُلْتُ لَهُ : فَإِنَّ نَاسًا يَذْكُرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ ؟ فَقَالَ : مَا يُيَالِي الْأَمْثَلِيَّ مِنْ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ ؟ فَقُلْتُ : فَهَلْ كَانَ لَهُمْ كِتَابٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، كُتِبَ ثَلَاثَةٌ : كِتَابٌ عِنْدَ طَلَمَاسٍ صَاحِبِ إِيْجَنَّا^(ب) ، وَكِتَابٌ عِنْدَ قُزْمَانَ صَاحِبِ زَشِيدٍ ، وَكِتَابٌ عِنْدَ يُحْنَسٍ صَاحِبِ الْبُرُوسِ . قُلْتُ : كَيْفَ كَانَ صُلْحُهُمْ ؟ قَالَ : دِينَارَيْنِ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ جِزْيَةً ، وَأَزْزَاقُ الْمُسْلِمِينَ ؛ قُلْتُ : فَتَقَلَّمَ مَا كَانَ مِنَ الشُّرُوطِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، سِتَّةَ شُرُوطٍ : لَا يُخْرِجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَلَا تُنْتَزَعُ نِسَاؤُهُمْ ، وَلَا تُكْفَرُ رُءُوسُهُمْ ، وَلَا تُأْرَضِيهِمْ ، وَلَا يُزَادُ عَلَيْهِمْ^٢ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي الْجُمُعَةِ مَوْلَى عُقَيْبَةَ ، قَالَ : كَتَبَ عُقَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَسْأَلُهُ أَرْضًا يَسْتَرْفِقُ بِهَا عِنْدَ قَرْيَةِ عُقَيْبَةَ ؛ فَكَتَبَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَلْفِ ذِرَاعٍ فِي أَلْفِ ذِرَاعٍ ؛ فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ كَانَ عِنْدَهُ : انْتَظِرْ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - أَرْضًا صَالِحَةً . فَقَالَ لَهُ عُقَيْبَةُ : لَيْسَ لَنَا ذَلِكَ ، إِنَّ فِي عَهْدِهِمْ شُرُوطًا سِتَّةَ : لَا يُؤْخَذُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَا مِنْ نِسَائِهِمْ ، وَلَا مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَلَا يُزَادُ عَلَيْهِمْ ، وَيُذْفَعُ عَنْهُمْ مَوْضِعُ الْخَوْفِ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَأَنَا شَاهِدٌ لَهُمْ بِذَلِكَ .

(أ) بولاق : عبد الله . (ب) بولاق : إيجنا .

^١ انظر فيما تقدم ١ : ٤٥٠ ؛ وقارن مع ابن عبد الحكم : ^٢ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ١٩٠ - ٢٠ .

وعن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن حطان ، أنه كان لغزيات من مصر - منهن أم ذئب وثلهيب - عهد ، وأن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما سمع بذلك ، كتب إلى عمرو يأمره أن يختيرهم : فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، وإن كرهوا فازددهم إلى قراهم ^١.

وقال يحيى بن أثوب وخالد بن حميد : ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الإسكندرية ، وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين - سلفيس ، ومصيل ، وثلهيب - فإنه كان للروم جمع ، فظاهروا الروم على المسلمين . فلما ظهر عليها المسلمون اشتغلوا ، وقالوا : هؤلاء لنا فيء مع الإسكندرية .

فكتب / عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فكتب إليه عمر أن يجعل الإسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ، ويضربون عليهم الخراج ، ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين ، لا يجعلون قيتاً ولا عبيداً ، ففعلوا ذلك إلى اليوم ^٢.

وقال آخرون : بل فُتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد . قال شفيان بن وهب الخولاني : لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد ، قام الزبير بن العوام فقال : أقسمها يا عمرو بن العاص ؛ فقال عمرو : والله لا أقسمها ؛ فقال الزبير : والله لتقسمها كما قسم رسول الله ﷺ خير ؛ فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين . فكتب إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أقرها حتى يقر منها جبل الحبل . وصوليح الزبير على شيء أرضي به ^٣.

وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة : إن مصر فُتحت عنوة . وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال : سمعت أشياخنا يقولون إن مصر فُتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، منهم أبي يخذلنا عن أبيه ، وكان فيمن شهد فتح مصر . وعن أبي الأسود ، عن عروة ، أن مصر فُتحت عنوة ^٤.

وعن عمرو بن العاص أنه قال : لقد فُتحت مَقْعدي هذا وما لأخذ من قبط مصر علي عهد ولا عقد إلا أهل أنطاكيوس ، كان لهم عهد يؤمى به : إن يفت قتل ، وإن يفت خُست ، وإن يفت يفت .

^٣ نفسه ٨٨ وفيما تقدم ٤٥٠:١ ، ٢٤:٢ - ٢٥.

^١ ابن عبد الحكم : فوح مصر ٨٦.

^٤ نفسه ٨٨ - ٨٩.

^٢ نفسه ٨٧ - ٨٨.

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنَّ عمرو بن العاص فتح مصرَ بغير عهد ولا عقد، وأنَّ عمرَ ابن الخطَّاب - رضي الله عنه - حبسَ ذُرَّها وطَرَعَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْ شَيْءٍ، نَظَرُوا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

وعن زَيْد بن أَسْلَم قال: كان تابوتُ لعمر بن الخطَّاب فيه كلُّ عهد كان بينه وبين أحدٍ من عاهدِهِ، فلم يُوجد فيه لأهل مصر عهدٌ فمن أسْلَم منهم فأُتِيَ^(٨)، ومن أقامَ منهم فليمةٌ.

وكتبَ حِثَّانُ بن شُرَيْح إلى عُمَر بن عبد العزيز يسأله أن يجعلَ جِزْيَةَ مَوْتَى الْقَيْطِ على أحيائِهِمْ. فسألَ عُمَرُ عِرَاكَ بن مالك، فقال عِرَاكَ: ما سمِعتُ لهم بعهد ولا عقد، وإنما أُخِذُوا عَتْوَةً بمنزلة العبيد. فكتبَ عُمَرُ إلى حِثَّان أن يجعلَ جِزْيَةَ مَوْتَى الْقَيْطِ على أحيائِهِمْ^(٩).

وقال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر: خَرَجَ أَبُو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن يُريد الإسكَنْدَرِيَّةَ في سفينة، فاخْتاجَ إلى رَجُلٍ يُجَدِّفُ، فَتَسَحَّرَ^(١٠) رَجُلًا مِنَ الْقَيْطِ، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ، فقال: إِنَّمَا هُمْ بمنزلة العبيد إِنْ اخْتَجْنَا إِلَيْهِمْ.

وقال ابنُ لَهْيعة عن الصَّلْتِ بن أبي عاصم: إِنَّهُ قَرَأَ كِتَابَ عُمَر بن عبد العزيز إلى حِثَّان بن شُرَيْح أَنَّ مِصْرَ قُضِيََتْ عَتْوَةً بغير عهد ولا عقد.

وعن عبيد الله بن أبي جعفر أنَّ كَاتِبَ حِثَّان حَدَّثَهُ أَنَّهُ اخْتِيجَ إِلَى تَحْشِيبِ لِمِنَاةِ الْجَزِيرَةِ، فَكَتَبَ حِثَّانُ إِلَى عُمَر بن عبد العزيز يَذْكُرُ ذَلِكَ لَهُ، وَأَنَّهُ وَجَدَ تَحْشِيبًا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الدُّمَّةِ، وَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَأْخُذَ^(١١) مِنْهُمْ حَتَّى يُغْلَمَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: لُحْظُهَا مِنْهُمْ بِقِيَمَةِ عَذْلٍ، فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لِأَهْلِ مِصْرَ عَهْدًا أَوْ عَتْوَةً لَهُمْ^(١٢).

وقال عُمَر بن عبد العزيز لسالم: أَنْتَ تَقُولُ لَيْسَ لِأَهْلِ مِصْرَ عَهْدٌ؟ قال: نعم.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده أنَّ عُمَر بن العاص كَتَبَ إِلَى عُمَر بن الخطَّاب فِي رَهْبَانٍ يَتَرَهَّبُونَ بِمِصْرَ، فَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَلَيْسَ لَهُ وَارِثٌ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: «إِنْ مِنْكَ كَانَ مِنْهُمْ لَهُ عَقِبٌ فَادْفَعْ مِيرَاثَهُ إِلَى عَقِبِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقِبٌ فَاجْعَلْ مَالَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ وَلَاءَهُ لِلْمُسْلِمِينَ».

(a) بولاق: أقامه. (b) بولاق: فسخر. (c) بولاق: يأخذها.

^١ ابن عبد الحكم: فتح مصر ٨٩.

وقال ابن شهاب: كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة، وبعضها غنوة، فجعلها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جميعها ذمة، وحملهم على ذلك، فمضى ذلك فيهم إلى اليوم^١.
 وقال القاضي: فلما رأى الموقر أن العرب قد ظفروا بالحضن جلسوا في سفينة هو وأهل القوة فلاحقوا بالجزيرة، وسأل الموقر في الصلح فبعت إليه عمرو بعيادة بن الصامت فصالحه الموقر عن القبط والروم على أن للروم الخيار في الصلح إلى أن يوافي كتاب ملكهم، فإن رضي تم ذلك وإن سخط انتقض الصلح ما بينه وبين الروم، وأما القبط فبغير خيار. فمن قال إن مصر فُتحت صلحا تعلق بهذا الصلح. وقال: إن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين الموقر وعلى ذلك أكثر علماء أهل مصر منهم: عتبة بن عامر ويزيد بن أبي حبيب والليث بن سعد وغيرهم.

وذهب الذين قالوا إنها فُتحت غنوة إلى أن الحضن فُتخ غنوة فكان حكم جميع الأرض كذلك. ومن قال إنها فُتحت غنوة: عبيد الله بن المغيرة النسائي وعبد الله بن وهب ومالك بن أنس وغيرهم. وذهب قوم إلى أن بعضها فُتخ غنوة وبعضها فُتخ صلحا منهم ابن شهاب وابن لهيعة. وكان منها يوم الجمعة مستهل الحرم سنة عشرين، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: اشتبه على الناس أمر مصر والصلح في أمرها: إن أبي قديمها فقاتله أهل أليون ففتنوها قهرا ودخلها المسلمون. وكان الزبير أول من علا حصنها فقال صاحبها لأبي: إنه قد بلغني فعلكم بالشام ووضعكم الجزيرة على النصارى واليهود وإقراركم الأرض في الأيدي أهلها يعمرونها ويؤدون خراجها وإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أزد عليكم من قبلنا وسبينا واحلنا فاستشار أبي المسلمين فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلا نفر منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم فوضع على كل رجل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيرا والأزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرباب حنطة وقشطي زيت وقشطي غسل وقشطي حل رزقا للمسلمين يجمع في دار الزرق ويقسم فيهم وأخصى المسلمين فالزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف ويزننا وعمامة وسراويل وخفين في كل عام أو عدل الجبة الصوف سويا قبطيا وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فأجاز ذلك، وصارت الأرض أرض خراج، إلا أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس أنها فُتحت صلحا. وقال ابن عبد البر: إن عمر بن الخطاب لم يقسم أرض السودان ومصر والشام وجعلها

٢٨-٢ هذه الفقرة حتى بداية الصفحة التالية من الشيخ للنقولة من خط المؤلف، وساقطة من بولاق.

^١ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٠.

مَادَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَجِءَ بَعْدَ الْعَالَمِينَ وَاحْتَجَّ بِالْآيَةِ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَوَى عَنْهُ - بَعْدَ عُثْمَرَ - إِنْكَارَ لِقَوْلِ عُمَرَ، وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُثْمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَوْلَا آخِرُ النَّاسِ مَا فَتَحَتْ قَرْيَةُ إِلَّا قَسَمْتُهَا كَمَا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا^(١).
وَالْأَشْرَى اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ شَيْقًا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِأَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ مِصْرَ صُلِّحَ. وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يُنْكَرُ عَلَى اللَّيْثِ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهْيَعَةَ وَنَافِعُ بْنُ زَيْدٍ لِأَنَّ مِصْرَ عَنْدهُمْ كَانَتْ غَنَوَةً^(٢).

ذَكَرَ مَنْ شَهِدَ قَتَلَ بِضَرْ مِنْ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

- قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: وَكَانَ مَنْ حَفِظَ مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا قَتَلَ مِصْرَ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ صُحْبَةٌ: الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُمَرُو بْنُ الْعَاصِ - وَكَانَ أَمِيرَ الْقَوْمِ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَخَارِجَةُ بْنُ خُذَافَةَ الْقُدَوِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقَيْسُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ السُّهْمِيُّ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَشْوَدِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ الْعَامِرِيِّ، وَنَافِعُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ الْفَهْرِيِّ - وَيُقَالُ بَلْ هُوَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ - وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ زَيْدُ بْنُ أَنَسٍ الْفَهْرِيُّ، وَأَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبْنُ عَبَّادَةَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَزَيْعَةُ ابْنَا سُرْحَبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَوَزْدَانُ مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَكَانَ حَامِلَ لِيَوَاءِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقِيلَ لَمَّا دَخَلَهَا بَعْدَ الْفَتْحِ.
- وَشَهِدَ الْفَتْحَ مِنَ الْأَنْصَارِ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَقَدْ شَهِدَ بَدْزًا وَيَقَعُ الْعَقَبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ - وَقَدْ شَهِدَ بَدْزًا وَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عُثْمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى مِصْرَ، فَقَاسَمَ عَمْرٍو ابْنَ الْعَاصِ مَالَهُ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ كَانَ صَبَدَ الْحِصْنَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ الْأَنْصَارِيِّ يُقَالُ لَهُ صُحْبَةٌ، وَأَبُو أَهْبُوبٍ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ عُوَيْرُ بْنُ عَامِرٍ، وَقِيلَ عُوَيْرُ بْنُ زَيْدٍ. وَمِنْ أَفْنَاءِ^(٣) الْقَبَائِلِ: أَبُو بَصْرَةَ^(٤) لُحْمِيلُ بْنُ نَضْرَةَ الْغِفَارِيِّ، وَأَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ الْغِفَارِيِّ وَشَهِدَ الْفَتْحَ مَعَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَهَبِيبُ بْنُ مُثَقِّلٍ^(٥) - وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ وَادِي هُبَيْبِ الَّذِي بِالْمَغْرِبِ -

(١) نهاية الفقرة الساقطة من بولاق. (b-b) هذه الفقرة ساقطة من أباصونيا. (c) بولاق: أحياء. (d) بولاق:

نصرة. (e) بولاق: معقل.

^١ هذا النص الطويل المنقول عن القاضي ساقط من بولاق ومن نشرة G. Wiet.

وعبد الله بن الحارث بن جزء الرُّبَيْدِي، وَكَغَبَ بنُ ضَبَّةَ الْقَيْسِي - ويقال كَعَب بن يَسَار بن ضَبَّة^(٨) - وَعُقْبَةُ بن عَامِر الْجُهَنِي - وهو كان رَسُولَ عُمَرَ بن الخطَّابِ إلى عَمْرِو بن العاص حين كَتَبَ إليه يَأْمُرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِنْ لَمْ يَكُنْ دَخَلَ أَرْضَ مِصْرَ - وَأَبُو زَمْعَةَ الْبَلَوِي، وَبَرْحُ بن حُشْكُل - وَيُقَالُ بَرْحُ بن عُشْكُر - وَشَهْدَةُ قَتَحَ مِصْرَ وَاخْتَطَّ بِهَا، وَجُنَادَةُ بن أُمَيَّةَ الْأَزْدِي، وَسُفْيَانُ بن وَهْبِ الْخَوْلَانِي وَلَهُ صُحْبَةٌ، وَشُعَاوِيَةُ بنُ حُدَيْجِ الْكِنْدِي - وهو كان رَسُولَ عَمْرِو بن العاصِ إلى عُمَرَ بن الخطَّابِ بِفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ: فَقَالَ قَوْمٌ لَهُ صُحْبَةٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: لَيْسَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - وَعَامِرٌ مَوْلَى جَمَلٍ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ عَامِرُ جَمَلٍ، شَهِدَ الْفَتْحَ وَهُوَ تَمْلُوكٌ، وَعُمَارُ بن بَاسِرٍ، وَلَكِنْ دَخَلَ بَعْدَ الْفَتْحِ فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ، وَجَهَّهَ إِلَيْهَا فِي بَعْضِ أُمُورِهِ^١.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: مِنْهُمْ مَنْ اخْتَطَّ بِالْبَلَدِ فَذَكَرْنَا خِطَّتَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ لَهُ خِطَّةً؛ قَالَ: فَاخْتَطَّ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ دَارَهُ الَّتِي عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ بَيْنَهُمَا الطَّرِيقُ، وَدَارَهُ الْآخَرَى اللَّاصِقَةَ إِلَى جَنْبِهَا، وَفِيهَا دَفُنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو - فِيمَا زَعَمَ بَعْضُ مَشَايِخِ الْبَلَدِ - لِحَدِيثٍ كَانَ يَوْمَئِذٍ فِي الْبَلَدِ، وَالْحَقَامُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ حَقَامُ الْفَأْرِ - وَأَمَّا قِيلُ لَهُ حَقَامُ الْفَأْرِ، لِأَنَّ حَقَامَاتِ الرُّومِ كَانَتْ دِيْمَاسَاتٍ كِبَارًا، فَلَمَّا بُنِيَ هَذَا الْحَقَامُ وَرَأَوْا صِغَرَهُ، قَالُوا: مَنْ يَدْخُلُ هَذَا؟ هَذَا حَقَامُ الْفَأْرِ^٢.

ذِكْرُ السَّبَبِ فِي تَسْمِيَةِ مَدِينَةِ مِصْرَ بِالْقُسْطَاطِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، عَنْ يَزِيدَ بنِ أَبِي حَبِيبٍ: إِنَّ عَمْرُو بنَ الْعَاصِ لَمَّا قَتَعَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ، وَرَأَى بَيُوتَهَا وَبِنَائَهَا مَفْرُوعًا مِنْهَا، هَمَّ أَنْ يَسْكُنَهَا وَقَالَ: مَسَاكِينٌ قَدْ كُفِّينَاهَا. فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَسْتَأْذِنُهُ فِي ذَلِكَ، فَسَأَلَ عُمَرَ الرَّشِيدَ: هَلْ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَاءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَرَى النَّيْلُ.

فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمْرٍو: «إِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تُنْزَلَ الْمُسْلِمِينَ^(ب) مَنَزِلًا يَحُولُ الْمَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي شَيْءٍ وَلَا صَيفٍ». فَتَحَوَّلَ عَمْرُو مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِلَى الْقُسْطَاطِ.

(٨) يولاق: ضبة. (ب) النسخ: تنزل بالمسلمين والتبت من فتوح مصر.

^١ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٢-٩٥، وانظر كتاب «دور الصحابة في من دخل مصر من الصحابة» لجلال الدين (١٦٦٤-٢٥٤).
^٢ نفسه ٩٦.

قَالَ: وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ نَازِلٌ بِمَدَائِنَ كِشْرَى، وَإِلَى عَامِلِهِ بِالْبَصْرَةِ، وَإِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ: «أَلَا تَجْعَلُونَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَاءً، فَتَى أُرَدْتُ أَنْ أَرْكَبَ إِلَيْكُمْ رَاجِلَتِي حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيْكُمْ قَدِمْتُ». فَخَوَّلَ سَعْدٌ مِنْ مَدَائِنَ كِشْرَى إِلَى الْكُوفَةِ، وَخَوَّلَ صَاحِبُ الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَتَزَلَ الْبَصْرَةَ، وَخَوَّلَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِلَى الْقُسْطَاطِ^١.

- قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْقُسْطَاطُ لِأَنَّ عُمَرُو بْنَ الْعَاصِ لَمَّا أَرَادَ التَّوَجُّعَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ لِقِتَالِ مَنْ بِهَا مِنَ الرُّومِ، أَمَرَ بِتَرْجِ قُسْطَاطِهِ فَإِذَا فِيهِ يَمَامٌ قَدْ فَرَّخَ، فَقَالَ عُمَرُو: لَقَدْ تَحَرَّمَ مِنَّا بِمُتَحَرِّمٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُفِّرَ كَمَا هُوَ، وَأَوْصَى بِهِ صَاحِبَ الْقَصْرِ. فَلَمَّا قَفَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ قَالُوا: أَيْنَ نَتَزَلُ؟ قَالُوا: الْقُسْطَاطُ، لِقُسْطَاطِ عُمَرُو الَّذِي كَانَ خَلْفَهُ، وَكَانَ مَضْرُوبًا فِي مَوْضِعِ الدَّارِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَارِ الْحَصَا^٢ عِنْدَ دَارِ عُمَرُو الصَّغِيرَةِ^٣.

- ١٠ قَالَ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ أَشْعَدَ الْجَوَانِي: كَانَ قُسْطَاطُ عُمَرُو عِنْدَ دَرْبِ حَتَّامِ شَمُولَ بِحُطٍّ الْجَامِعِ^٤.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، إِنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْقُسْطَاطِ» يَزُوهُ سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الثَّغْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنِ مَكْحُولٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

- ١٥ الْقُسْطَاطُ الْمَدِينَةُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ قُسْطَاطُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَصْرِ قُسْطَاطُ.
- (b) وَأَخْبَرَنِي أَبُو حَاتِمٍ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ: هَذَا مَا اشْتَرَى فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ مِنْ عَجَلَانَ مَوْلَى زِيَادٍ، اشْتَرَى مِنْهُ خَمْسَ مِائَةِ جَرِيبٍ حِيَالَ الْقُسْطَاطِ، يُرِيدُ الْبَصْرَةَ.
- وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ فِي الْأَبَقِ: إِذَا أَخَذَ فِي الْقُسْطَاطِ عَشْرَةَ، وَإِذَا أَخَذَ خَارِجًا عَنْ

(a) بولاق: دار الحصار. (b-b) هذه الفقرة - وهي بقية رواية ابن قتيبة، وردت في بولاق في آخر الفصل، وهي - مرة أخرى - نتيجة إساءة نقل المطبوعات التي كان يستعملها المقرئ في نسخته.

^١ فيما تقدم ٤٥٢:١. الزاهرة ١: ٦٤-٦٥.

^٢ ابن عبد الحكم: فخر مصر ٩٩: ابن سعيد: المغرب ^٣ انظر فيما تقدم ٩٩: أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٣٩-٤٤٠: ابن دقماق: الانتصار ٤: ٢: أبو المحاسن: النجوم ٦٥:١.

الْقُسْطَاطُ أَرْبَعُونَ. وَأَرَادَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّ مَنْ شَذَّ عَنْهُمْ، وَفَارَقَهُمْ فِي الرَّأْيِ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْ يَدِ اللَّهِ. وَفِي ذَلِكَ آثَارٌ^١.

وقال البكري: الْقُسْطَاطُ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِهِ وَإِسْكَانِ ثَانِيهِ - اسْمٌ لِمِصْرَ. وَيُقَالُ قُسْطَاطٌ وَبُسْطَاطٌ. قَالَ الْمَطَرُزِيُّ: وَفُسْطَاطٌ وَفُسْتَاذٌ، وَبَكْسَرُ أَوَائِلِ جَمِيعِهَا، فَهِيَ عَشْرُ لُغَاتٍ. وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: كُلُّ مَدِينَةٍ قُسْطَاطٌ، وَذَكَرَ حَدِيثٌ «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْقُسْطَاطِ»^٢.

ذِكْرُ الْخِطَّةِ الَّتِي كَانَتْ بِمَدِينَةِ الْقُسْطَاطِ

اعْلَمْ أَنَّ الْخِطَّةَ الَّتِي كَانَتْ بِمَدِينَةِ قُسْطَاطِ مِصْرَ، بِمِثْلَةِ الْحَارَاتِ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ بِالْقَاهِرَةِ، فَقِيلَ لِنَاسٍ فِي مِصْرَ خِطَّةٌ /، وَقِيلَ لَهَا فِي الْقَاهِرَةِ حَازَةٌ^٣.

قَالَ الْقَضَائِيُّ: وَلَمَّا رَجَعَ عَمْرُو مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَنَزَلَ مَوْضِعَ قُسْطَاطِهِ، انْضَمَّتِ الْقَبَائِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَنَافَسُوا فِي الْمَوَاضِعِ. فَوَلَّى عَمْرُو عَلَى الْخِطَّةِ مُعَاوِيَةَ بْنَ خَدَّاجٍ الثَّعْلَبِيَّ، وَشَرِيكَ بْنَ سَعْيٍ الْعُطَيْفِيَّ، وَعَمْرُو بْنُ قَحْزَمٍ الْخَوْلَانِيَّ، وَخَيْوِيلَ بْنَ نَاسِرَةَ

fouilles d'al-Foustât et les origines de la maison arabe en Égypte, Paris 1921; Kubiak, W., «The Circulation Tracks of al-Fustat. One Aspect of the Physionomy of a Mediaeval Arab City», *Africana Bulletin* XXV (1976), pp. 51-64; id., *Al-Fustat. Its Foundation and Early Urban Development*, Cairo - AUC 1987; Denoix, S., *Décrire le Caire, Fusât Misr d'après Ibn Duqmâq et Maqrîzî*, Le Caire - IFAO 1992; Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, Beirut 1998, pp. 591-664; Becker, C.H., *El*^١ art. *Misr* VII, pp. 149-50.

وعن معنى الخطة والمصطلحات الخاصة بالمدينة الإسلامية في القسطنطينية والقاهرة، انظر دراسة جارسان Garcin, J.-Cl., «Toponymie et topographie urbaines médiévales à Foustât et au Caire», *JESHO* XXXII (1984), pp. 116-17, 122; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 24-25.

^١ ابن قتيبة: غريب الحديث ١: ٣١٨، وانظر الرمحشري: الفائق في غريب الحديث ٣: ١١٦؛ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٦٣-٢٦٤.

^٢ مادة «قسطنطين» ساقطة من نشرة معجم ما استمعجم لأبي عبيد البكري؛ وانظر كذلك Bosworth, C.E., *El*^١ art. *Misr* VII, p. 148.

^٣ قامت دراسات عديدة حول إعادة تخطيط مدينة القسطنطينية اعتماداً على المصادر الأدبية وعلى الحفائر المتعددة التي تمت في موقع القسطنطينية أهمها: Guest, R., «The Foundation of Fustat and the Khittahs of that Town», *JRAS* (1907), pp. 49-83; Casanova, P., *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Foustât ou Misr*, Le Caire - MIFAO 35, 1913-19; Bahgat, A. & Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Foustât*, Le Caire - Paris 1921 (نقله إلى العربية علي بهجت وسعيد عكوش بعنوان «حفريات القسطنطينية»، القاهرة - دار الآثار العربية ١٩٢٨) Gabriel, A., *Les*

الْمَعَارِي، وَكَانُوا هُمْ الَّذِينَ أُنْزِلُوا النَّاسُ وَفَصَّلُوا بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ^١.

خِطَّةُ أَهْلِ الرَّايَةِ - أَهْلُ الرَّايَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَخِزَاعَةَ وَأَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ وَثَقِيفَ وَدَوْسَ وَعَبَسَ بْنِ بَغِيضَ وَجَزْشَ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَلَيْثَ بْنَ بَكْرَ، وَالْعَتَقَاءَ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنْ مَثَرَلَ الْعَتَقَاءَ فِي غَيْرِ الرَّايَةِ^٢. وَلَمَّا سَمِعُوا أَهْلَ الرَّايَةِ، وَنُسِبَتِ الْخِطَّةُ إِلَيْهِمْ، لَأَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَكُنْ لِكُلِّ بَطْنٍ مِنْهُمْ الْعَدَدُ مَا يَنْقَرِدُ بِدَعْوَةِ مِنَ الدِّيَّانِ، فَكَرِهَ كُلُّ بَطْنٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ قَبِيلَةٍ غَيْرِ قَبِيلَتِهِ؛ فَجَعَلَ لَهُمْ عَمْرُو بْنُ الْقَاصِ رَايَةً وَلَمْ يُنْسِبْهَا إِلَى أَحَدٍ، فَقَالَ: يَكُونُ مُؤَقِّفُكُمْ تَحْتَهَا، فَكَانَتْ لَهُمْ كَالنَّسَبِ الْجَامِعِ، وَكَانَ دِيْوَانُهُمْ عَلَيْهَا. وَكَانَ اجْتِمَاعُ هَذِهِ الْقَبَائِلِ لَمَّا عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّايَةِ بَيْنَهُمْ.

١٠ وَهَذِهِ الْخِطَّةُ مُحِيطَةٌ بِالْجَامِعِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، ابْتَدَأُوا مِنَ الْمَصَفِّ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِي حِصَارِهِمُ الْحِصْنَ - وَهُوَ بَابُ الْحِصْنِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ الشُّنْعِ - ثُمَّ مَضَوْا بِخِطَّتِهِمْ إِلَى حَتَمِ الْفَارِ، وَشَرَعُوا بِغَرِيبِهَا إِلَى الثَّيْلِ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِلَى النَّحَّاسِينَ، فَالْحَاجِيَانِ لِأَهْلِ الرَّايَةِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الزُّوَاقِينَ، ثُمَّ يَسْلُكُ عَلَى حَتَمِ شَمُولٍ.

وَفِي هَذِهِ الْخِطَّةِ رُقَاقُ الْقَنَادِيلِ إِلَى ثَوْبَةِ عَفَّانَ، إِلَى سُوقِ الْحَتَمِ، إِلَى بَابِ الْقَصْرِ الَّذِي بَدَأْنَا بِذِكْرِهِ.

١٥ خِطَّةُ مَهْرَةَ بَنِي حِيدَانَ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرَ^٣ - وَخِطَّةُ مَهْرَةِ هَذِهِ قَيْلِي خِطَّةُ الرَّايَةِ. وَاسْتَخْطَتِ مَهْرَةَ أَيْضًا عَلَى سَفْحِ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَبَلُ يَشْكُرَ مِمَّا يَلِي الْحَفْدَقَ، إِلَى شَرْقِيِّ الْقَشْكَزِ، إِلَى جَنَانِ بَنِي يَشْكُرَ. وَمِنْ جُمْلَةِ خِطَّةِ مَهْرَةِ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَسَاطِبِ الطَّبَاحِ، وَاسْمُهُ حَمْدٌ.

٢٠ وَيُقَالُ إِنَّ الْخِطَّةَ الَّتِي لَهُمْ قَيْلِي الرَّايَةِ، كَانَتْ حُوزًا لَهُمْ يَزْبَطُونَ فِيهَا خَيْلَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى الْجُمُعَةِ، ثُمَّ انْقَطَعُوا إِلَيْهَا وَتَزَكَّوْا مَنَازِلَهُمْ يَشْكُرَ.

خِطَّةُ نُجَيْبٍ - وَنُجَيْبُ هُمْ بَنُو عَدِيٍّ وَسَعْدُ ابْنِي الْأَشْرَسِ بْنِ شَيْبِ بْنِ الشَّكَنِ بْنِ الْأَشْرَسِ بْنِ كِلْدَةَ^٤، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ عَدِيٍّ وَسَعْدٍ يُقَالُ لَهُمْ نُجَيْبٌ. وَنُجَيْبُ أَهْلُهُمْ: وَهَذِهِ الْخِطَّةُ تَلِي خِطَّةَ مَهْرَةَ، وَفِيهَا دَرْبُ الْمَمْصُوصَةِ، آخِرُهُ حَائِطُ مِنَ الْحِصْنِ الشَّرْقِيِّ.

^٣ نفسه ٤: ٣.

^٢ نفسه ٤: ٣.

^١ ابن دُقَمَالٍ: الْإِنْصَارَ ٤: ٣؛ أَبُو الْيَحْيَى: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١: ٦٥.

^٤ نفسه ٤: ٣.

وَحِطَّ لَحْمٍ فِي مَوْضِعَيْنِ - فَمِنْهَا حِطَّةٌ لَحْمٍ بِنِ عِدِيٍّ بِنِ مُرَّةٍ بِنِ أَدَدٍ وَمِنْ خَالَطُهَا مِنْ جُدَامٍ^١، فَابْتَدَأَتْ لَحْمٌ بِحِطَّتِهَا مِنَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ حِطَّةُ الرَّائِيَةِ، وَأَصْعَدَتْ ذَاتَ الشَّمَالِ. وَفِي هَذِهِ الْحِطَّةِ سَوْقٌ يَزْبَرُ، وَشَارِعُهُ مُخْتَلَطٌ فِيمَا بَيْنَ لَحْمٍ وَالرَّائِيَةِ.

وَلَهُمْ حِطَّتَانِ أُخْرَيَانِ: إِحْدَاهُمَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى بَنِي زَيْلَةَ بِنِ عَمْرٍو بِنِ الْحَارِثِ بِنِ وَائِلِ ابْنِ رَاشِدَةَ مِنْ لَحْمٍ، وَأُولَاهَا شَرْقِيَّةُ الْكَنِيسَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِمِكَائِيلِ الَّتِي عِنْدَ خَلِيجِ بَنِي وَائِلِ^٢. وَهَذَا الْمَوْضِعُ الْيَوْمَ وَرَاقَاتٌ يُعْمَلُ فِيهَا الْوَزْقُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ خَارِجَ مِصْرَ.

وَالْحِطَّةُ الثَّانِيَةُ حِطَّةٌ رَاشِدَةَ بِنِ أَدَبٍ بِنِ جُزَيْلَةَ مِنْ لَحْمٍ^٣، وَهِيَ مُتَاخِمَةٌ لِلْحِطَّةِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَفِي هَذِهِ الْحِطَّةِ جَامِعٌ رَاشِدَةَ^٤، وَجِنَانٌ كَهْمَسَ بِنِ مَعْمَرٍ الَّذِي عُرِفَ بِالْمَذْرَائِي، ثُمَّ عُرِفَ بِجِنَانَ الْأَمِيرِ تَمِيمٍ، وَهُوَ الْيَوْمَ يُقَالُ لَهُ الْمَفْشُوقُ^٥، بِجَوَارِ رِبَاطٍ^٦ الْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ. وَلَهُمْ مَوَاضِعُ مَعَ اللَّفِيفِ، وَحِطَّطَ بِالْحَمْرَاءِ أَيْضًا^٧.

حِطَّطُ اللَّفِيفِ - إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَلْيَافِ بَعْضِهِمْ يَبْغِضُ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ لَمَّا فَتَحَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ، أَخْبَرَ أَنَّ مَرَائِبَ الرُّومِ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ عَمْرٍو بِعَمْرٍو بِنِ جَمَالَةَ الْأَزْدِيِّ الْحَبَرِيِّ لِيَأْتِيَهُ بِالْخَبَرِ، فَمَضَى. وَتَسَرَّعَتْ^٨ هَذِهِ الْقَبَائِلُ الَّتِي تُدْعَى اللَّفِيفِ، وَتَعَاقَدُوا عَلَى اللَّحَاقِ بِهِ، وَاسْتَأْذَنُوا عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ فِي ذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَمْرٍو بِنِ جَمَالَةَ اسْتَكْرَهَمَ، وَقَالَ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا قَدْ سَدُّوا الْأَفْقَ مِثْلَكُمْ، وَإِنَّكُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الْآيَةُ ١٠٤ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ]، فَبِذَلِكَ سُمُّوا مِنْ يَوْمِئِذٍ اللَّفِيفِ. وَسَأَلُوا عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ أَنْ يُفَرِّدَ لَهُمْ دَعْوَةً، فَأَمْتَنَّتْ عَشَائِرُهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا لِعَمْرٍو: فَإِنَّا نَجْتَمِعُ فِي الْمَنْزِلِ حَيْثُ كُنَّا؛ فَأُجَابَتُهُمْ إِلَى ذَلِكَ. فَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِي الْمَنْزِلِ مُتَفَرِّقِينَ فِي الدِّيَّانِ، إِذَا دُعِيَ كُلُّ بَطْنٍ مِنْهُمْ انْتَضَمَ إِلَى بَنِي أَبِيهِ. قَالَ فَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّمْحَاكُ بِنِ مُزَاجِمٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ قَالَ: جَمِيعًا.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: أَيْضًا بِالْحَمْرَاءِ. (c) بولاق: وَأَسْرَعَتْ.

^١ ابن دقماق: الانحصار ٤: ٣.

^٢ انظر فيما يلي ٥١٧: ٢.

^٣ انظر فيما يلي ١٥٩: ٢ - ١٦٠.

^٤ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٢٣، ٤٧٧.

وكان عاثئهم من الأزد من الحجر ومن غُشَّان ومن شُجاعة، والتف بهم نَفَرٌ من مُجَذام ولَحْمٍ والوَخاف^(a) وتَنَوَّخ من قُضاعة، فهم مجتمعون في المنزل، متفرقون في الدِّيوان^١.

وهذه الخِطَّةُ أولُها مِمَّا يلي الرِّاية، سَالِكًا ذات الشمال إلى نَقَاشِي البلاط، وفيها دارُ ابن عَشْرَات إلى نحو من سَوَقٍ وَرَدَانِ.

يَحْطُ أَهْلُ الظَّاهِر - أَمَّا سُمِّيَ هذا المنزل بالظَّاهِر، لَأَنَّ الْقَبَائِلَ الَّتِي نَزَلَتْهَ كَانَتْ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، ثُمَّ قَعَلَتْ بَعْدَ قُتُولِ عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ، وَبَعْدَ أَنْ اخْتَفَى النَّاسُ يَحْطُطُهُمْ. فَخَاصَمَتْ إِلَى عُمَرُو، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْفٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يَتَوَلَّى الْخِطَّةَ يَوْمَئِذٍ: أَرَى لَكُمْ أَنْ تَظْهَرُوا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ، فَتُخَذُوا مَنَزِلًا، فَسُمِّيَ الظَّاهِرُ بِذَلِكَ.

وكانت الْقَبَائِلُ الَّتِي نَزَلَتْ الظَّاهِرَ/ الْعَتَاءَ، وَهِيَ جُمَاعٌ مِنَ الْقَبَائِلِ كَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ^(b) عَلَى أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَأَتَى بِهِمْ أَشْرَى فَأَعْتَقَهُمْ، فَقِيلَ لَهُمُ الْعَتَاءُ^٢؛ وَدِيَانُهُمْ مَعَ أَهْلِ الرِّايَةِ، وَخِطَّتُهُمْ بِالظَّاهِرِ مُتَوَسِّطَةٌ فِيهِ، وَكَانَ مِنْهُمْ^(c) طَوَائِفٌ مِنَ الْأَزْدِ وَفَهُمْ.

وَأَوَّلُ هَذِهِ الْخِطَّةِ مِنْ شَرْقِي خِطَّةِ لَحْمٍ، وَتَتَّصِلُ بِمَوْضِعِ الْعَشْكِرِ. وَمِنْ هَذِهِ الْخِطَّةِ سُوَيْقَةُ الْعِرَاقِيِّينَ، وَغُرِفَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ زِيَادًا لَأَمَّا وَلَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْبَصْرَةَ، غَرَبَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَزْدِ إِلَى مِصْرَ، - وَبِهَا مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ - فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، فَتَزَلَّ مِنْهُمْ هُنَا نَحْوُ مِنْ مِائَةِ وَثَلَاثِينَ، فَقِيلَ لِمَوْضِعِهِمْ مِنْ خِطَّةِ الظَّاهِرِ سُوَيْقَةُ الْعِرَاقِيِّينَ^٣.

يَحْطُطُ غَافِقٌ - هُوَ غَافِقُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَكَّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَزْدِ^٤. وَهَذِهِ الْخِطَّةُ تَلِي خِطَّةَ لَحْمٍ إِلَى خِطَّةِ الظَّاهِرِ، بِجَوَارِ دَرْبِ الْأَعْلَامِ.

يَحْطُطُ الصَّدْفُ - وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عُمَرُو بْنِ قَيْسِ بْنِ حِمْيَرَ، وَدَعَاوُهُمْ مَعَ كِنْدَةَ^٥. وَ(d) يَحْطُطُ عَمْلَانُ بْنُ عُمَرُو بْنِ مَالِكِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ حَرِيبٍ. وَهَذِهِ الْخِطَّةُ تَتَّصِلُ بِالْقَطَائِعِ^(d).

(a) بولاق: الزخاف. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: فيهم. (d-d) ساقطة من بولاق.

^١ ابن دقماق: الانحصار ٤: ٣-٤، والوخاب هو الوخاب بن الحنك من لحم ينسب إليه سوق الوخاب والعامية يقولون سوق لحاف (نفسه ٣٤: ٤ عن القضاعي).
^٢ نفسه ٤: ٤.
^٣ نفسه ٤: ٣٤.
^٤ نفسه ٤: ٤. وفيه: والنفق الهجوم على الشيء فجأة.
^٥ نفسه ٤: ٤. وأضاف أنه سمي الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل الغريم فأجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف.....

حِطَّةُ الْفَارِسِيِّينَ - وَاسْتَنْدَ الْحِطَّةُ خَوْلَانَ مِنْ حَضَرَ فَتَحَ مِصْرَ مِنَ الْفَارِسِيِّينَ ، وَهَمَّ بِقَايَا جُنْدٍ بِإِذْنِ عَامِلٍ يَكْشُرِي عَلَى الْيَمَنِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، أَسْلَمُوا بِالشَّامِ ، وَرَغِبُوا فِي الْجِهَادِ ؛ فَتَقَرُّوا مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى مِصْرَ ، فَاسْتَخَطُوا بِهَا ^١ ، وَأَخَذُوا فِي سَفْحِ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَبَلُ بَابِ أَلْيُونِ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْيَوْمَ شَرْفٌ ^٢ مِنْ وَرَاءِ حِطَّةِ جَامِعِ بْنِ طُولُونَ ، تُعْرَفُ أَرْضُهُ بِالْأَرْضِ الصُّفْرَاءِ ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْعَشْكَرِ .

حِطَّةُ مَذْجِجٍ - بِالْحَاءِ قَبْلَ الْجِيمِ - وَهُوَ مَالِكُ بْنُ مَرْوَةَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ [بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاجِيَةٍ] ^٣ . حِطَّةُ حَطِيفِ بْنِ مُرَادٍ ^٤ .

حِطَّةُ وَغْلَانِ بْنِ قُزْنَ بْنِ نَاجِيَةٍ بْنِ مُرَادٍ ، وَكُلُّهُمْ مِنْ مَذْجِجٍ ^٥ ، فَاسْتَخَطَتْ وَغْلَانُ مِنَ الرُّفَاقِ الَّذِي فِيهِ الصَّنَمُ الْمَعْرُوفُ بِسَرِيَّةِ فَوْعُونَ ، وَهَذَا الرُّفَاقُ أَوَّلُهُ بَابُ الشُّوقِ الْكَبِيرِ ، وَاسْتَخَطَتْ أَيْضًا بِخَوْلَانَ .

ثُمَّ انْفَرَدَتْ وَغْلَانُ بِحِطَّةِهَا مُقَابِلَ الْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ بِالذَّيْتُورِيِّ ، وَأَسْتَنْدَتْ إِلَى خَوْلَانَ . وَهَذِهِ الْحِطَّةُ الْيَوْمَ كَيْمَانُ تَطْلُ عَلَى قَبْرِ الْقَاضِي بَكَارٍ .

حِطَّةُ يَخْضَبِ [وَهُوَ حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَإِذَا نَسَبَتْ إِلَيْهِ قُلْتُ يَخْضَبِي مِثْلَ ثِقَلَيْ ، وَهُوَ يَخْضَبُ] ^٦ . ابْنُ مَالِكِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَوْثٍ ، وَهَذِهِ الْحِطَّةُ مَوْضِعُهَا كَيْمَانُ ، وَهِيَ تُتَّصَلُ بِالشَّرَفِ ^٧ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرُّضْدِ ، الْمُطَّلُ عَلَى رَاشِدَةٍ .

حِطَّةُ رُغَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ [بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، مِنْ جِمْفَرٍ وَحِطَّتُهُمْ قِبَلِي مَذْجِجٍ] ^٨ .

حِطَّةُ ذِي الْكِلَاعِ بْنِ شُرْحِبِيلِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ جِمْفَرٍ [وَحِطَّةُ الْكِلاعِ مُتَّصِلَةٌ بِحِطَّةِ رُغَيْنِ إِلَى بَحْرِي مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ] ^٩ .

حِطَّةُ الْمَقَافِرِ بْنِ يَغْفَرِ بْنِ مَرْوَةَ بْنِ أَدَدَ - وَهَذِهِ الْحِطَّةُ مِنَ الرُّضْدِ إِلَى سِقَايَةِ ابْنِ طُولُونَ . وَهِيَ الْقَنَاظِرُ الَّتِي تَطْلُ عَلَى عَقْصَةِ ، وَتَفْصِلُ بَيْنَ الْقَرَارَتَيْنِ . وَالْقَنَاظِرُ لِلْمَعَاظِرِ ، وَلَهُمْ إِلَى مُصَلَّى خَوْلَانَ ، وَإِلَى الْكُومِ الْمُشْرِفِ عَلَى الْمُصَلَّى .

(١) بولاق : شرقي . (٢) زيادة من ابن دقماق .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٤ . ^٢ نفسه ٤ : ٤ . ^٣ نفسه ٤ : ٤ . ^٤ نفسه ٤ : ٤ . ^٥ نفسه ٤ : ٤ . ^٦ نفسه ٤ : ٤ . ^٧ نفسه ٤ : ٤ . ^٨ نفسه ٤ : ٤ . ^٩ نفسه ٤ : ٤ .

- خِطَّةٌ سَبَاً وَخِطَّةُ الرُّخْبَةِ بِنِ زُرْعَةَ بِنِ كَعْبٍ^١.
- خِطَّةُ السُّلَفِ بِنِ سَعْدٍ^٢ - فِيمَا بَيْنَ الْكُومِ الْمُطَّلِّ عَلَى قَبْرِ الْقَاضِي بَكَّارٍ وَبَيْنَ الْمَغَائِرِ.
- خِطَّةُ بَنِي وَائِلَ بِنِ زَيْدٍ مَتَاةَ بِنِ أَقْصَى بِنِ إِيَّاسَ بِنِ حِرَامَ بِنِ مُجْدَامَ بِنِ عُدِيِّ^٣ - وَهِيَ مِنْ سَفْحِ الشَّرَفِ الْمَعْرُوفِ بِالرُّضْدِ إِلَى خِطَّةِ خَوْلَانَ.
- خِطَّةُ الْقَبْضِ (بِالتَّحْرِيكِ) ابْنِ مُؤَنَّدٍ^٤ - وَهِيَ بِجَانِبِ خِطَّةِ بَنِي وَائِلَ إِلَى نَحْوِ يَرْكَةِ الْحَبَشِ.
- قَالَ: وَكَانَ سَبَبُ نُزُولِ بَنِي وَائِلَ وَالْقَبْضِ وَرَيْةَ وَرَاشِدَةَ وَالْفَارِسِيِّينَ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِي طَوَالِجِ عَمْرُو بِنِ الْعَاصِ، فَتَزَلُّوا فِي مُقَدِّمَةِ النَّاسِ، وَحَازُوا هَذِهِ الْمَوَاضِعَ قَبْلَ الْفَتْحِ.
- خِطَّةُ الْحَمْرَاءِ الثَّلَاثِ - قَالَ الْكِتْدِيُّ: وَكَانَتِ الْحَمْرَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ قُؤَادٍ^٥: بَنُو يَثَّةَ^٦، وَرُؤَيْلَ، وَالْأَزْرَقَ، وَكَانُوا مَعْنَى سَارَ مَعَ عَمْرُو بِنِ الْعَاصِ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ مِنْ عَجَمِ الشَّامِ، ثُمَّ كَانَ رَغِبٌ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ قِبَلِ التَّيْمُوكِ، وَمِنْ أَهْلِ قَيْسَارِيَّةَ وَغَيْرِهِمْ.
- وَقَالَ الْقَضَاعِيُّ: وَتَمَّا قِيلَ لَهَا الْحَمْرَاءُ لِتُزُولَ الرُّومُ بِهَا؛ وَهِيَ خِطَّةُ بَلْيَ بِنِ عَمْرُو بِنِ الْحَافِ بِنِ قُضَاعَةَ، وَفَهْمُ، وَعَدْوَانُ، وَبَعْضُ الْأَزْدِ وَهُمْ ثُرَادُ، وَبَنِي بَخْرَ، وَبَنِي سَلَامَانَ، وَيَشْكُرُ مِنْ^٧ الْحَمِّ، وَهَذَا بِلِ بِنِ مُذْرِكَةَ ابْنِ إِيَّاسَ مِنْ^٨ مُضَرَ، وَبَنِي يَثَّةَ^٩، وَبَنِي الْأَزْرَقَ وَهُمْ مِنَ الرُّومِ، وَبَنِي رُؤَيْلَ وَكَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ^{١٠}.
- فَأَوَّلَ ذَلِكَ: الْحَمْرَاءُ الدُّنْيَا خِطَّةُ بَلْيَ بِنِ عَمْرُو بِنِ الْحَافِ بِنِ قُضَاعَةَ، وَمِنْهَا خِطَّةُ ثُرَادَ مِنَ الْأَزْدِ، وَخِطَّةُ فَهْمَ بِنِ عَمْرُو بِنِ قَيْسِ عِيلَانَ، وَمِنْهَا خِطَّةُ بَنِي بَخْرَ بِنِ سَوَادَةَ مِنَ الْأَزْدِ.
- وَمِنْ ذَلِكَ: الْحَمْرَاءُ الرُّشَطِيُّ: مِنْهَا خِطَّةُ بَنِي يَثَّةَ^{١١} وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الرُّومِ حَضَرَ الْفَتْحَ مِنْهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ، وَمِنْهَا خِطَّةُ هَذَا بِنِ مُذْرِكَةَ ابْنِ إِيَّاسَ مِنْ مُضَرَ، وَمِنْهَا خِطَّةُ بَنِي سَلَامَانَ مِنَ الْأَزْدِ، وَمِنْهَا خِطَّةُ عَدْوَانَ.
- وَمِنْ ذَلِكَ: الْحَمْرَاءُ الْقَضَوِيُّ، وَهِيَ خِطَّةُ بَنِي الْأَزْرَقِ، وَكَانَ رُومِيًّا، حَضَرَ الْفَتْحَ مِنْهُمْ أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخِطَّةُ بَنِي رُؤَيْلَ، وَكَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، وَحَضَرَ الْفَتْحَ مِنْهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ، وَخِطَّةُ بَنِي يَشْكُرَ ابْنِ حِزْيَلَةَ مِنْ^{١٢} الْحَمِّ. وَكَانَتِ مَنَازِلُ يَشْكُرَ مُفْرَقَةً فِي الْجَبَلِ^{١٣} الَّذِي عَلَيْهِ الْآنَ بِجَامِعِ أَحْمَدَ بِنِ طُولُونَ^{١٤}، فَذُيِّتْ قَدِيمًا وَعَادَتْ صَحْرَاءَ، حَتَّى جَاءَتِ الْمُسَوَّدَةُ - يَعْنِي جُبُوشَ بَنِي الْقَبَّاسِ - فَعَمَّرُوهَا، وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ^{١٥}.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: نه. (c) بولاق: بين والتصويب من مسودة الخطوط. (d-d) زيادة من المسودة.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٤. ^٢ نفسه ٤: ٤. ^٣ نفسه ٤: ٤. ^٤ نفسه ٤: ٤. ^٥ نفسه ٤: ٤. ^٦ مسودة الخطوط ٥١ ظ. ^٧ مسودة الخطوط ٤٦ ظ. ^٨ ٥١ ظ.

وقال ابنُ التَّوْج: الحَمَرَاوَاتُ ثَلَاثٌ: أُولَى، وَوُشَطَى، وَقُصَوَى: فَأَمَّا الْأُولَى فَتَجَمَّعَ حَائِزُ الْإِوَرِّ وَعَقَبَةُ الْعَدَّاسِينَ، وَشَوْقٌ وَزِدَانٌ، وَخِطَّةُ الزُّبَيْرِ، إِلَى نَقَاشِينَ^(a) الْبِلَاطِ، طُولًا وَعَرْضًا، عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ؛ وَأَمَّا الْوُشَطَى، فَمَنْ دَرَبَ نَقَاشِينَ^(a) الْبِلَاطِ إِلَى دَرَبٍ مَعَانِي، طُولًا وَعَرْضًا عَلَى قَدَرِهِ؛ وَأَمَّا الْقُصَوَى فَمَنْ دَرَبَ مَعَانِي إِلَى الْقَنْطَرَةِ^(b) الظَّاهِرِيَّةِ - يَعْنِي قَنَايِرَ السَّبَاعِ -، وَهِيَ حَدُّ وُلَايَةِ مِصْرَ مِنَ الْقَاهِرَةِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَمَرَاوَاتُ لِمَجْلٍ عِمَارَةٍ مِصْرَ فِي زَمَنِ الرُّومِ. فَإِذَا الْحَمَرَاءُ الْأُولَى وَالْوُشَطَى هُمَا الْآنَ خَرَابٌ، وَمَوْضِعُهُمَا فِيمَا بَيْنَ شَوْقِ الْمَعَارِيحِ، وَحِمَامِ ظَنٍّ^(c) مِنْ شَرْقِيهِمَا/ إِلَى مَا يُقَابِلُ الْمَرَاغَةَ فِي الشَّرْقِ^١.

وَأَمَّا الْحَمَرَاءُ الدُّنْيَا فَهِيَ الْآنَ تُعْرَفُ بِحُطِّ قَنَايِرِ السَّبَاعِ، وَبِحُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ، وَبِحُكْرِ الْخَلِيلِي وَبِحُكْرِ آفِيغَا، وَالْكُومِ حَيْثُ الْأَشْرَى، وَمِنْهَا أَيْضًا حُطُّ الْكَبْشِ، وَحُطُّ الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ وَالْعَشْكَرِ، وَمِنْهَا حَدَرَةُ ابْنِ قَمِيحَةَ إِلَى حَيْثُ قَنْطَرَةُ السَّدِّ، وَبُشْتَانُ الطَّوَّاشِي وَمَا فِي شَرْقِيهِ إِلَى مَشْهَدِ الرَّأْسِ الْمَعْرُوفِ بِرَبْنِ الْعَابِدِينَ. وَسَيَأْتِي لَذَلِكَ تَزْيِيدُ بَيَّانٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، عِنْدَ ذِكْرِ الْعَشْكَرِ.

وَكَانَتْ مَدِينَةُ الْفُشَطَاطِ عَلَى قِسْمَيْنِ: هُمَا «عَمَلُ فَوْقَ»، وَ«عَمَلُ أَسْفَلَ». فَ«عَمَلُ فَوْقَ»^٢ لَهُ طَرَفَانِ: غَرْبِيٌّ، وَشَرْقِيٌّ. فَالْغَرْبِيُّ مِنْ شَاطِئِ الثَّيْلِ فِي الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ وَأَنْتَ مَاژ فِي الشَّرَفِ، الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالرَّضْدِ، إِلَى الْقَرَاةِ الْكُبْرَى. وَالشَّرْقِيُّ مِنَ الْقَرَاةِ الْكُبْرَى إِلَى الْعَشْكَرِ. وَعَمَلُ أَسْفَلَ^٣ مَا عَدَا ذَلِكَ إِلَى حَدِّ الْقَاهِرَةِ.

(a) بولاق: نقاشي، والتصويب من المسودة. (b) بولاق: القناطر. (c) بولاق: حمام طن.

^١ انظر فيما يلي ١٥٨ + المسودة ٥٠ ط.

الغربية وتمثل حثا سكنيا خاليا من المراكز التجارية والحرفية التي تركزت في الجانب الآخر من المدينة. وقد دُمر هذا القسم من المدينة تمامًا منذ الشدة الفظي في زمن المستنصر بالله في منتصف القرن الخامس الهجري ولم يُعَدَّ سكنه بعد ذلك بسبب الأوبئة، ولكن أعيد استخدام أنقاضه في بناء مناطق أخرى خاصة منطقة المشاهيد بين المشهد الثقفي جنوبًا وباب زويلة شمالًا (انظر فيما تقدم ٩:١ وفيما يلي ٥٨، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٦-١٥٧، ١٦٧-١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١

ذكر أمراء الفسطاط

من حين فتحت مصر إلى أن بُني القنكر

اعْلَمْ أَنَّ عِدَّةَ مَنْ وَلِيَ مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي الْإِسْلَامِ - مِنْذُ فَتِحَتْ وَشَكِنَ الْفُسْطَاطُ إِلَى أَنْ بُنِيَ الْقَنْكَرُ - تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَمِيرًا فِي مُدَّةِ مِائَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَسَبْعَةِ أَشْهُرٍ. أَوَّلُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ مَسْتَهْلَ الْحَرَمِ سَنَةِ عِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ - وَهُوَ يَوْمُ فَتْحِ مِصْرَ - وَآخِرُهَا سَلَخُ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، آخِرَ وِلَايَةِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى مِصْرَ، وَأَوَّلَ وِلَايَةِ أَبِي غَوْثٍ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ الْقَنْكَرَ مِنْ أُمَرَاءِ مِصْرَ.

وَأَوَّلُ أُمَرَاءِ الْفُسْطَاطِ بَعْدَ الْفَتْحِ - عَلَى مَا ذَكَرَ الْكِتَابِيُّ وَغَيْرُهُ^١ - عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. كَانَ تَاجِرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ بِتِجَارَتِهِ إِلَى مِصْرَ - وَهِيَ الْأَذَمُّ وَالْعَطَرُ - ثُمَّ صَرَبَ الذَّهْرَ صَرَبَاتِهِ حَتَّى فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الشَّامَ، فَخَلَا بَعَثَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى مِصْرَ، فَسَارَ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ، وَأَتَى الْخِصْنَ فَخَاصَرَهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، إِلَى أَنْ فَتَحَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَسْتَهْلَ الْحَرَمِ سَنَةِ عِشْرِينَ^٢.

وَقِيلَ كَانَ فَتْحُ مِصْرَ فِي ثَانِي عَشْرِ بَيُوتَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ لِذِقْلُطِيَانُوسَ، فَعَلِيَ هَذَا يَكُونُ فَتْحُ مِصْرَ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

كتاب «عقد جواهر الأسفاط» الذي خصَّصه المقرئ لتاريخ مصر في القرون الثلاثة الأولى للإسلام - لو كان وصل إلينا - لَأَمْتَدْنَا فِيهِ الْمَقْرِئَ بِتَفَاصِيلَ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْفَتْرَةِ. وَانْظُرْ كَذَلِكَ، صِيْدَةُ إِسْمَاعِيلِ كَاشَفَ: مِصْرَ فِي عَصْرِ الْوَلَاةِ مِنَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ إِلَى قِيَامِ الدَّوْلَةِ الطُّوْلُونِيَّةِ، الْقَاهِرَةِ د.ت، Kennedy, H., «Egypt as a province in the Islamic Caliphate, 641-868», *The Cambridge History of Egypt*, pp. 62-85; Cristidies, V. & Kennedy, H., *El² art. Misr VII*, pp. 155-63.

^٢ الكندي: ولاية مصر ٢٩، ٣٠.

= شاطئ النيل، ورغم أنه أكثر رطوبة وأقل صحية عن الجزء الآخر إلا أنه يشتمل على أهم منشآت المدينة: المسجد الجامع ودار الضرب والأسواق والقياسر. وهذا الجزء الغربي هو الشاهد على جميع الأحداث التي مرّت بها الفسطاط Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, p. 594; Kubiak, F., *(op. cit. pp. 34-36)*.

^١ اعتمد المقرئ في تروء أسماء ولاية وأمراء مصر حتى العصر الإخشيدى على كتاب «ولاية مصر» للكندي والترم بنص عباراته (انظر للمقدمة)، وراجع كذلك أبا المحاسن: النجوم الزاهرة الأجزاء من الأول إلى الثالث. ولاشك أن

وَتَحْرِيرُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي بَيْنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ مُلْكِ دِقْلَطِيَانُوسَ ، وَبَيْنَ يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوَّلَ سَنَةِ الْهَجْرَةِ ، ثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ وَثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فَارِسِيَّةٍ وَتِسْعَةَ وَثَلَاثُونَ يَوْمًا .

فَإِذَا أَلْفَيْتُمَا ذَلِكَ مِنْ تَارِيخِ مِصْرَ فِي ثَانِي عَشَرَ بَيُوتَةَ سَنَةٍ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، بَقِيَ ثَمَانُ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَهَذِهِ سُبُوتُونَ شَمْسِيَّةٌ ، عَنْهَا مِنْ سَنِي الْقَمَرِ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَشَهْرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي ثَالِثِ عَشَرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ عَشْرِينَ ، فَلَعَلَّ الْوَقْعَ فِي الشَّهْرِ الْقَيْطِي .

وَحَازَ الْحِصْنَ بِمَا فِيهِ ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْهَا ، فَحَاصَرَهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ فَتَحَهَا عَنُوتَةُ - وَهُوَ الْفَتْحُ الْأَوَّلُ - وَيُقَالُ بَلْ فَتَحَهَا مُسْتَهْلَ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ ، ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى بَرْقَةِ ، فَافْتَتَحَهَا ^(١) بِصُلُحٍ فِي آخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَمَضَى مِنْهَا إِلَى أَطْرَابُلُسَ فَفَتَحَهَا ^(٢) عَنُوتَةُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ .

١٠ وَقَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدَمَتَيْنِ : اسْتَخْلَفَ فِي إِحْدَاهُمَا زَكْرِيَّا بْنَ جَهْمَ الْعَبْدَرِي ، وَفِي الثَّانِيَةِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ .

وَتُوْفِيَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ، وَبُويعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَوْقَ عَلَيْهِ عُمَرُو ، وَسَأَلَهُ عَزَلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عَنْ صَعِيدِ مِصْرَ - وَكَانَ عُمَرُ وَلَاهُ الصَّعِيدَ - فَاثْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ عُثْمَانُ ، وَعَقَدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ عَلَى مِصْرَ كُلِّهَا . فَكَانَتْ

١٥ وَلايَةُ عُمَرُو عَلَى مِصْرَ ، صَلَاتُهَا وَخَرَايجُهَا ، مِنْذُ افْتَتَحَهَا إِلَى أَنْ صُرِفَ عَنْهَا ، أَرْبَعِ سِنِينَ وَأَشْهُرًا ^١ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَاسْمُهُ الْحُسَامُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبٍ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ نَضَرَ ابْنِ مَالِكِ بْنِ جِشَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَلِيَّيَ مِنْ قَبْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَجَاءَهُ الْكَتَابُ بِالْفَيْيُومِ ، فَجَعَلَ لِأَهْلِ أَطْرَابِ ^(٣) مَجْعَلًا ، فَقَدِمُوا بِهِ الْفُتُطَاطَ ^٢ .

ثُمَّ إِنَّ مَنُوبِلَ الْخَصِيصِي سَارَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ ، فَسَأَلَ أَهْلَ مِصْرَ عُثْمَانَ أَنْ يُرَدُّ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ لِحَازِبَتِهِ ، فَوَدَّهَ وَإِلَيْهَا عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَحَارَبَ الرُّومَ بِهَا حَتَّى افْتَتَحَهَا ، وَعَبَدَ

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أطواب .

^١ الكندي : ولاية مصر ٣٣ ، وانظر كذلك عن عمرو بن

العاص : حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ،

^٢ نفسه ٣٤ .

القاهرة ١٩٢٦ ، *Amr b. Wensinck, A.J., EI² art.*

الله بن سعد مقيم بالمسقط، حتى فُتِحَت الإسكندرية الفتح الثاني غزوة في سنة خمس وعشرين^١.

ثم جُمِعَ لعبد الله بن سعد أمر^٥ مصر، صلاتها وخراجها، ومكث أميراً مدة ولاية عثمان - رضي الله عنه - كلها، محموداً في ولايته. وغزا ثلاث غزوات كلها لها شأن: غزاة إفريقية سنة سبع وعشرين، وقتل ملكها مجزير. وغزاة غزوة الأسود حتى بلغ دُمُقْلَةَ في سنة إحدى وثلاثين. وغزاة ذا الصواري في سنة أربع وثلاثين، فلقبهم قسطنطين بن هرقل في ألف مَرَكَب، وقيل في سبع مائة مَرَكَب والمسلمون في مائتي مَرَكَب، فهَزَمَ الله الروم؛ وأُتِمَّتْ غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها^٢.

ووفد على عثمان/ حين تكلم الناس بالطعن على عثمان، واستخلف عتبة بن عامر الجهني - وقيل السائب بن هشام العامري - وجعل على خراجها سليم^٣ بن عثر التميمي، وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب^٤.

محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: انتزى^٥ في سؤال سنة خمس وثلاثين، على عتبة بن عامر خليفة عبد الله بن سعد، فأخرجته من المسقط، ودعا إلى خلع عثمان، وأشعر البلاد، وخرص على عثمان بكل شر يقدر عليه^٦. فاعتزله شبيعة عثمان وناهذوه - وهم معاوية بن حذيج، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أبي^٧ أزطاة، ومسلمة بن مخلد، في جمع كثير - وبعثوا إلى عثمان بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة^٨.

فبعث سعد بن أبي وقاص ليضليح أمرهم، فخرج إليه جماعة، فقبلوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه، فركب وعاد راجعاً، ودعا عليهم.

وأقبل عبد الله بن سعد، فمتعوه أن يَدْخُلَ، فأنصرف إلى عسقلان. وقيل عثمان - رضي الله عنه - وسعد^٩ بعسقلان.

(a) بولاق: أمير. (b) بولاق: سليمان. (c) بولاق: أمر. (d) ساقطة من بولاق. (e) بولاق: ابن سعد.

^١ الكندي: ولاية مصر ١٣٥، وانظر فيما تقدم ١: ٤٤٨. ^٢ نفسه ٣٥-٣٧، وانظر فيما تقدم ١: ٤٥٦-٤٥٨.

^٣ نفسه ٣٧. ^٤ نفسه ٣٨. ^٥ نفسه ٣٩.

^٦ نفسه ٣٧.

ثم أَجْمَعَ ابنُ أَبِي حُدَيْفَةَ عَلَى بَعَثِ جَيْشٍ إِلَى عُثْمَانَ ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ سِتُّ مِائَةِ رَجُلٍ عَلَيْهِمْ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عُذَيْسِ الْبَلَوِيِّ^١.

ثم قُتِلَ عُثْمَانُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا^٢ ، فَتَارَ شَيْعَةُ عُثْمَانَ بِبَصْرَإِ ، وَعَقَدُوا لِمُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ،
وَبِأَيُّمِهِ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِّ عُثْمَانَ ، وَسَارُوا إِلَى الصُّعَيْدِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ خَيْلًا
فَهَزَمَتْ .

وَمَضَى ابْنُ حُدَيْجٍ إِلَى بَزْجَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ بِجَيْشٍ
آخَرَ ، فَأَقْتَلُوا بِخَرْبَتَا فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ ، فَأَنْهَزَمَ الْجَيْشُ ، وَأَقَامَتِ شَيْعَةُ
عُثْمَانَ بِخَرْبَتَا^٣.

وَقَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ يُرِيدُ الْفُسْطَاطَ ، فَتَزَلَّ سَلَمَتٌ فِي سَوَّالٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي
حُدَيْفَةَ فِي أَهْلِ مِصْرَ فَمَنَعُوهُ ، ثُمَّ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَجْعَلَا رَهْنًا وَيُتْرَكَ الْحَرْبُ . فَاسْتَخْلَفَ ابْنُ أَبِي
حُدَيْفَةَ عَلَى مِصْرَ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ ، وَخَرَجَ فِي الزَّهْنِ هُوَ وَابْنُ عُذَيْسٍ وَعِدَّةٌ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ ،
فَلَمَّا بَلَغُوا لُدًّا سَجَنَهُمْ مُعَاوِيَةُ بِهَا وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَهَزَبُوا مِنَ السَّجْنِ ، وَتَبِعَهُمْ أَمِيرُ فَلَسْطِينَ
فَقَتَلَهُمْ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ^٤.

قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَلَئِهْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - لَمَّا بَلَغَهُ مُصَابُ ابْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ ، وَجَمَعَ لَهُ الْخَرَاجَ وَالصَّلَاةَ . فَدَخَلَ مِصْرَ مُسْتَهْلَ رَجَبِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ ، فَاسْتَمَالَ الْخَارِجِيَّةَ بِخَرْبَتَا شَيْعَةَ عُثْمَانَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أُعْطِيَاتِهِمْ ، وَوَقَدَ
عَلَيْهِمْ وَقْدَهُمْ فَأَكْرَمَهُمْ . وَكَانَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ ، فَجَهَّزَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
عَلَى أَنْ يُخْرِجَاهُ مِنْ مِصْرَ لِيَقْلِبَا عَلَى أَمْرِهَا ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ جَيْشِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَفْتَقَعَ
مِنْهُمَا بِالذَّهَاءِ وَالْمَكَايِدَةِ ، فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَى مِصْرَ ، حَتَّى كَادَ مُعَاوِيَةُ قَيْسًا مِنْ قَيْلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - فَأَشَاعَ أَنَّ قَيْسًا مِنْ شَيْعَتِهِ ، وَأَنَّهُ يَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالْكَتُوبِ وَالنَّصِيحَةِ سِرًّا^٥.

نقلها إلى العربية خليل أحمد خليل بعنوان : الوثيقة - جدلية الدين

والسياسة في الإسلام المبكر ، بيروت - دار الطليعة ١٩٩٢ .

^٣ الكندي : ولاية مصر ٤١ - ٤٢ .

^٤ نفسه ٤٢ - ٤٣ .

^٥ نفسه ٤٤ - ٤٥ .

^١ الكندي : ولاية مصر ٣٩ - ٤١ .

^٢ انظر حول مقتل عثمان والفتنة : Hinds, G. M., «The Murder of the Caliph 'Uthmân», *JMES* 3 Djaïl, ودراسة هشام جعيط المتميزة (1972), pp. 450-69 H., *La grande discorde. Religion et politique dans l'Islam des origines*, Paris - Gallimard 1989

فسمِع ذلك جواسيسُ عليّ - رضي الله عنه - وما زال به محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر، حتّى كَتَبَ إلى قيس بن سعد يأمره بالقدوم إليه ؛ فَوَلِيَهَا إلى أن غَزِيَ أربعة أشهر وخمسة أيام، وضُرِفَ لخمسٍ تحلّون من رَجَب سنة سبع وثلاثين^١.

فَوَلِيَهَا الْأَشْتَرُ مَالِك بن الحارث بن خَالِد التُّخَيْمِي، من قِبَل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فلَمَّا قَدِمَ الْقَلْزَمُ شَرِبَ عَسَلًا فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرًا وَمُعَاوِيَةَ، فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ جُنُودًا مِنْ عَسَلٍ^٢.

ثُمَّ وَلِيَهَا مُحَمَّدُ بن أبي بَكْر الصَّدِيق من قِبَل عليّ - رضي الله عنه - وَجَمَعَ لَهُ صَلَاتَهَا وَخَرَّاجَهَا، فَدَخَلَهَا لِلنَّصَفِ مِنْ رَمَضَانَ سنة سبع وثلاثين، فَهَدَمَ دُورَ شَيْعَةِ عُثْمَانَ، وَنَهَبَ أَثْوَالَهُمْ، وَسَجَنَ ذُرَارِيَهُمْ، فَتَضَبَّوْا لَهُ الْحَرْبَ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَحِقُوا بِمُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ^٣.

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو بن العاص في جُيُوشِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْقُسْطَاطِ، وَتَنَقَّبَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَظَفِرَ بِهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْفٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي جِيْفَةٍ جِمَارٍ مَيِّتٍ، وَأَخْرَقَهُ بِالنَّارِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ. فَكَانَتْ وَلايَتُهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ^٤.

ثُمَّ وَلِيَهَا عَمْرُو بن العاص وَلايَتُهُ الثَّانِيَةَ، مِنْ قِبَل مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنه - فَاسْتَقْبَلَ بِوَلايَتِهِ شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالْخَرَاجَ جَمِيعًا، وَجُعِلَتْ مِصْرُ لَهُ طُعْمَةً بَعْدَ عَطَاءِ جُنْدِهَا وَالثَّقَفَةِ فِي مَصْلَحَتِهَا. ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو لِلْحُكُومَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مِصْرِ ابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ بِلِ خَارِجَةٍ بِنِ حُذَافَةَ، وَرَجَعَ إِلَى مِصْرٍ.

وَتَعَاقَدَ بَنُو مُلْجِمٍ^٥: عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَيْسُ وَيزِيدُ عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو، وَتَوَاعَدُوا لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، فَتَضَيَّ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى صَاحِبِهِ، وَكَانَ يَزِيدُ هُوَ صَاحِبُ عَمْرُو، فَقَرَضَتْ لِعَمْرُو عِلَّةٌ مَنَعَتْهُ مِنْ حُضُورِ الْمَشْجَدِ، فَصَلَّى خَارِجَةَ بِالنَّاسِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَزِيدُ فَضَرَبَتْهُ حَتَّى قَتَلَهُ ؛ فَذُنِخِلَ بِهِ

(٥) بولاق : بنو لجم .

^٢ نفسه ٥٠، ٥١ .

^٢ نفسه ٤٦، ٤٧ .

^١ الكندي : ولاة مصر ٤٥، ٤٦ .

^٤ نفسه ٥٢ .

على عمرو، فقال: أما والله ما أزدتُ غيرك يا عمرو؛ قال عمرو: ولكن الله أرادَ خارجة^١.
والله ذُرُّ القائل:

[البيط]

وَأَيَّتَهَا إِذْ قَدَّتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ قَدَّتْ عَلَيْنَا بَمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ

[الدُّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ]

وعَقَدَ عمرو لشريك بن سُحَيٍّ على غَزْوِ لَوَاثَةٍ مِنَ التَّوْبَرِ، فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم. ثم انْتَقَضُوا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عُقْبَةَ بنِ نَافِعٍ، في سنة إحدى وأربعين، فغزاهم حتى هَزَمَهُمْ. وعَقَدَ لِعُقْبَةَ أيضًا على غَزْوِ هَوَازَةَ، وعَقَدَ لشريك/ بن سُحَيٍّ على غَزْوِ لَبْدَةَ، فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين، فَقَفَلَا وغمروا شديد الدَّنَفِ في مَرَضِ مَوْتِهِ^٢.

وتوفي لَيْلَةَ الْفِطْرِ، فغَسَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بن عمرو، وأخرجَه إلى المِصْلَى وصَلَّى عليه؛ فلم يَبْقَ أَحَدٌ شَهِدَ الْعِيدَ إِلَّا صَلَّى عليه، ثم صَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعِيدِ، وكان أبوه اسْتَحْلَفَهُ^٣.

وحَلَفَ عمرو بن العاص سبعين بَهَارًا دَنَانِيرَ (والبَّهَارُ جِلْدُ ثَوْرٍ، ومبلغه إِزْدَبَانُ بِالمصري)، فلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَخْرَجَهُ، وقال: من يَأْخُذْهُ بما فيه؟ فَأَتَى وَلَدَاهُ أَخْذَهُ وَقَالَا: حتى نَرُدَّ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فقال: والله ما أَجْمَعُ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ. فَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ، فقال: نحن نَأْخُذْهُ بما فيه:

١٥

ثم وَلِيَهَا عُثْبَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ قِتْلِ أَخِيهِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، على صَلَاتِهَا، فَقَدِمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة ثلاث وأربعين، وَأَقَامَ أَشْهُرًا^٤. ثم وَقَدَّ عَلَى أَخِيهِ، واسْتَحْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بن قَيْسِ ابْنِ الْحَارِثِ - وكان فيه شِدَّةٌ - فَكَرِهَ النَّاسُ وَلَايَتَهُ، وَاِمْتَنَعُوا مِنْهَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْبَةَ، فَرَجَعَ إِلَى مِصْرَ وَصَعِدَ الْمِيزَبَ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مِصْرَ! قد كُنْتُمْ تَغْلِظُونَ بَعْضَ الْمَنَعِ مِنْكُمْ لِبَعْضِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ وَلَيْتُكُمْ مِنْ إِنْ^٥ قَالَ فَعَلْ، فَإِنْ أَتَيْتُمْ دَرَاكِمَ يَدِهِ، فَإِنْ أَتَيْتُمْ دَرَاكِمَ بَسِيفِهِ، ثم رَجَعَا^٦ فِي الْأَخِيرِ مَا أَذْرَاكَ فِي الْأَوَّلِ، إِنَّ الْبَيْعَةَ شَائِعَةٌ، لَنَا عَلَيْكُمْ الشَّمْعُ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ، وَأَبْنَا غَدَرَ فَلَا

٢٠

(a) يولاق: شهرا والكندي: بها أشهرها. (b) يولاق: إذا. (c) الكندي: ثم جاء.

ذِمَّة له عند صاحبه؛ فناداه المصريون من جَنَبَاتِ الْمَسْجِدِ : سَمْعًا سَمْعًا ، فناداهم : عَذْلًا عَذْلًا ، ثم نَزَلَ^١ .

ثم جَمَعَ له مُعَاوِيَةَ الصَّلَاةِ وَالْحَرَجِ .

وَعَقَدَ عُقْبَةَ لِقَائِهِ عَلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الدِّيَّانِ تَكُونُ لَهَا رَابِطَةً . ثم خَرَجَ إِلَيْهَا مُرَابِطًا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ ، فَمَاتَ بِهَا ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ . فَكَانَتْ وَلايَتُهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ^٢ .

ثم وَلَّيَهَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ عَبْسٍ الْجُهَنِيُّ ، مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ ، وَجَعَلَ لَهُ صَلَاتَهَا وَخَرَجَهَا ، وَكَانَ قَارِئًا فَقِيهًا مُفَرِّصًا شَاعِرًا ، لَهُ الْهَجْرَةُ وَالصُّحْبَةُ وَالشَّابَقَةُ^٣ .

ثم وَلَدَ مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ^٤ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَوَلَّاهُ مِصْرَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُمَ ذَلِكَ عَنْ عُقْبَةَ ابْنِ عَامِرٍ ، وَجَعَلَ عُقْبَةُ عَلَى الْبَحْرِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى رُودُسَ .

فَقَدِمَ مَسْلَمَةُ فَلَمْ يَقْلَمْ إِمَارَتَهُ ، وَخَرَجَ مَعَ عُقْبَةَ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ سَائِرًا اسْتَوَى مَسْلَمَةُ عَلَى سَرِيرِ إِمَارَتِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُقْبَةُ فَقَالَ : أَخْلَعَانَا وَغَزَاةً^٥ ١٩٠ وَكَانَ صَرْفُهُ لِعَشْرٍ بَقِيْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَكَانَتْ وَلايَتُهُ سِتِّينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ^٦ .

فَوَلَّى مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ بْنُ صَامِتٍ بْنُ نِيَارِ الْأَنْصَارِيَّ ، مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ ، وَجَمَعَ لَهُ الصَّلَاةَ وَالْحَرَجَ وَالْقَرْوُ ، فَانْتَضَمَتْ غَزَوَاتُهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَفِي إِمَارَتِهِ نَزَلَتْ الرُّومُ الْبَرْطُلُسَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ، فَاسْتَشْهِدَ يَوْمَئِذٍ وَزْدَانُ مَوْلَى عَمْرُو بْنِ الْقَاصِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ^٧ .

وَهَدَمَ مَا كَانَ عَمْرُو بْنُ الْقَاصِ بَنَاهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَبَنَاهُ ، وَأَمَرَ بِإِثْنَاءِ مَنَارَاتِ الْمَسَاجِدِ كُلِّهَا إِلَّا خَوْلَانَ وَتُجَيْبَ . وَخَرَجَ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ سِتِّينَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَائِشَ بْنَ سَعِيدٍ^٨ .

وَمَاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي رَجَبٍ مِنْهَا ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ يُزَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، فَأَقَرَّ مَسْلَمَةُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ ، فَبَاتِقَهُ الْجُنْدُ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْقَاصِ ، فَدَعَا عَائِشَ بِالنَّارِ لِيُحْرِقَ عَلَيْهِ بَاتِقَهُ ، فَحَبِثَ بِأَتَاعِ لِيُزَيْدَ^٩ .

(٨) بولاق : محمد بن . (ب) بولاق : أخلاها وغربة .

^١ الكلبي : ولاية مصر ٥٧-٥٨ . ^٢ نفسه ٥٩ . ^٣ نفسه ٥٩-٦٠ . ^٤ نفسه ٦٠-٦١ . ^٥ نفسه ٦١ . ^٦ نفسه ٦١ . ^٧ نفسه ٦٢ .

وَقَدِيمَ مَسْلَمَةَ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، فَجَمَعَ لِعَائِسَ مَعَ الشَّرْطِ الْقَضَاءِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَتِينَ ^١ .
وَقَالَ مُجَاهِدٌ : صَلَّيْتُ خَلْفَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ ، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَمَا تَرَكَ أَلْفًا وَلَا وَاقًا . وَقَالَ
ابْنُ لَهْيَعَةَ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ : كَانَ مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ يُصَلِّي بِنَا ، فَيَقُومُ فِي الظُّهْرِ ، فَرُبَّمَا قَرَأَ
الرَّجُلُ الْبَقَرَةَ .

- وَتُوفِيَ مَسْلَمَةُ وَهُوَ وَالِىَ لِحْمِيسَ بِقَيْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَتِينَ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ
سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَائِسَ بْنُ سَعِيدٍ ^٢ .

ثُمَّ وَلِيَهَا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَلَقَمَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَوْفِ الْأَزْدِيِّ مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينِ ، فَقَدِيمٌ
مُسْتَهْلٌ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَتِينَ ، فَتَلَقَّاهُ عُمَرُو بْنُ قَحْزَمِ الْخَوْلَانِيِّ فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَمَّا كَانَ فِينَا مِائَةَ شَابٍ كُلُّهُمْ بِمِثْلِكَ يُولِّي عَلَيْنَا أَحَدَهُمْ ! وَلَمْ تَزَلْ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى الشُّتَّانِ لَهُ ،
وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، وَالتَّكْبَرِ عَلَيْهِ حَتَّى تُوْفِيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ . وَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ^{١٠}
إِلَى نَفْسِهِ ، فَقَامَتِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ بِمِصْرَ وَأَظْهَرُوا دَعْوَتَهُ ، وَسَارَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ ، فَبَيَّعَتْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
جَعْفَرٍ فَقَدِيمٌ .

وَاعْتَزَلَ سَعِيدًا ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَتَيْنِ غَيْرِ شَهْرٍ ^٣ .

ثُمَّ وَلِيَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، مِنْ قَيْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَدَخَلَ فِي شَعْبَانَ
سَنَةِ أَرْبَعِ وَسَتِينَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَأَظْهَرُوا التَّحْكِيمَ وَدَعَّوْا إِلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الْجَنْدُ ذَلِكَ ،
وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى غِلٍّ فِي قُلُوبِ شَيْعَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ .

ثُمَّ بُويعَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بِالْخِلَافَةِ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلُ مِصْرَ مَعَهُ فِي الْبَاطِنِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ،
وَبَيَّعَتْ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ فِي جَيْشٍ إِلَى أَمَلَةٍ لِيَدْخُلَ مِصْرَ مِنْ هُنَاكَ .

وَأَجْمَعَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَلَى حَرْبِهِ ، وَحَفَرَ الْخَنْدَقَ فِي شَهْرِ ، وَهُوَ الَّذِي فِي شَرْقِي الْقَرَّاقَةِ ^(a) ^٤ .

وَقَدِيمَ مَرْوَانَ فَحَارَبَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ اضْطَلَحَا ، وَدَخَلَ مَرْوَانُ
لِقُرْبِهِ ^(b) جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسِ وَسَتِينَ . فَكَانَتْ مُدَّةُ ابْنِ جَعْفَرٍ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ^٥ .

(a) الكندي : فِي مَقْبَرَةِ الْفُسْطَاطِ الْيَوْمَ . (b) يُولَاي : لِعَشْرِينَ .

^١ الكندي : وَلَايَةُ مِصْرَ ٦٢ . ^٢ نَفْسُهُ ٦٢ - ٦٣ . ^٣ نَفْسُهُ ٦٣ - ٦٤ . ^٤ نَفْسُهُ ٦٤ - ٦٥ .

^٥ نَفْسُهُ ٦٧ .

ووضَعَ مَرْوَانَ الْعَطَاءَ ، فَبَاتَهُ النَّاسُ ، إِلَّا نَفَرٌ مِنَ الْمُعَافِرِ قَالُوا : لَا نَخْلَعُ بَيْعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ - وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا - وَذَلِكَ لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ^١.

وَيَوْمَئِذٍ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ /، فَلَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ لِشُغْبِ الْجُنْدِ عَلَى مَرْوَانَ ^٢.

وَجَعَلَ مَرْوَانَ صَلَاةَ مِصْرَ وَخَرَّاجَهَا إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَارَ ، وَقَدْ أَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ لِهَيْلَالِ رَجَبٍ ^٣.

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَبُو الْأَصْبَغِ ، وَلِيٌّ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ ، لِهَيْلَالِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ . وَمَاتَ أَبُوهُ ، وَتُوِيَغَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَأَقْرَأَ أَخَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^٤.

وَوَقَعَ الطَّاغُوتُ بِمِصْرَ سَنَةِ سَبْعِينَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِنْهَا ، وَكَرَّرَ حُلُوتَهُ فَاتَّخَذَهَا دَارًا وَسَكَنَهَا ، وَجَعَلَ بِهَا (ب) الْحَرَسَ وَ (ب) الْأَعْوَانَ ، وَبَنَى بِهَا الدُّورَ وَالْمَسَاجِدَ ، وَعَمَّرَهَا أَحْسَنَ عِمَارَةٍ ، وَغَرَسَ نَخْلَهَا وَكَرَّمَهَا ^٥.

وعُرفَ بِمِصْرَ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عُرِفَ بِهَا - فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ^٦.

وَجَهَّزَ الْبَغْتِ فِي الْبَحْرِ لِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ^٧.

ثُمَّ مَاتَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ عَشْرِينَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ^٨.

فَوَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ عَلَى صَلَاتِهَا وَخَرَاجِهَا ، فَدَخَلَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ ^٩ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَبُوهُ أَنْ يُعْقَى (د) آثَارَ عَمِّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَاسْتَبَدَلَ بِالْعُثَالِ وَالْأَصْحَابِ ^٩.

(a) يولاق : رمضان . (b-b) سافطة من يولاق . (c) يولاق : تسع . (d) يولاق : يقضي .

^١ الكندي : ولاية مصر ٦٧ . ^٢ نفسه ٦٨ ، ٧٠ . ^٣ نفسه ٦٨ . ^٤ نفسه ٧٠ ، وقد فصل المقرئ ترجمة عبد العزيز بن مروان فيما تقدم ٥٦٩ : ٥٧٢ . ^٥ نفسه ٧١ . ^٦ نفسه ٧٢ وفيما تقدم ١ : ٥٧٠ . ^٧ نفسه ٧٢ . ^٨ نفسه ٧٧ . ^٩ نفسه ٧٩ .

وماتَ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَيُوبِعُ ابْنَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَقَرَّ أَخَاهُ عَبْدُ اللَّهِ^١.

وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ فَتَسَيَّحَتْ ذَوَابِينُ مِصْرَ بِالْعَرِيَّةِ، وَكَانَتْ بِالْقَبْطِيَّةِ^٢.

وَفِي وَلايَتِهِ عَلَّتِ الْأَشْعَارُ، فَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ - وَهِيَ أَوَّلُ شِدَّةٍ وَأَوْهَا بِمِصْرَ - وَكَانَ يَزِيدُ شَيْئًا. ثُمَّ وَفَدَ عَلَى أَخِيهِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَحْزَمَ الْخَوْلَانِي، وَأَهْلَ مِصْرَ فِي شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ^٣.

وَرَفَعَ سَقْفَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ، ثُمَّ صَرَّفَ، فَكَانَتْ وَلايَتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ^٤.

فَوَلَّى قُرَّةَ بْنَ شَرِيكٍ بْنُ مَرْثَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْعَبْسِيِّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^٥، عَلَى صَلاَةِ مِصْرَ وَخَرَايِجِهَا، فَقَدِمَهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ رَيْبِ الْعَوَّلِ سَنَةِ تِسْعِينَ^٦.

وَعَرَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ مِصْرَ بِكُلِّ مَا مَلَكَه، فَأُحِيطَ بِهِ فِي الْأَرْدُنِّ، وَأُخِذَ سَائِرُ مَا مَعَهُ، وَحُجِّلَ إِلَى أَخِيهِ^٧.

وَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِهَدْمِ مَا بَنَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي الْمَسْجِدِ، فَهَدِمَ أَوَّلَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَنُبِّيَ. وَاسْتَنْبَطَ قُرَّةً^٨ بِزُكَّةِ الْحَبَشِ مِنَ الْمَوَاتِ وَأَحْيَاهَا، وَغَرَسَ فِيهَا الْقَصَبَ، فَقَبِلَ لَهَا إِسْطَبْلَ قُرَّةَ وَاسْطَبْلَ الْقَاشِ^٩.

(a) بولاق : قرة بن شريك.

d'Égypte Qorra b. Sharik d'après les papyrus arabes», dans *Études sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth 1930, pp. 305-23; Abbot, N., *The Kurra Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute, Studies in Ancient Oriental Civilisation* XX, Chicago 1938; إبراهيم أحمد العدوي : «ولاية قُرَّة ابن شريك على مصر في ضوء الأوراق البردية»، المجلة التاريخية المصرية ١١ (١٩٦٣)، ٤٩-٦٤، Râgib, Y., «Lettres nouvelles de Qurra b. Sharik», *JNES* 40 (1981), pp. 173-88; Bosworth, C.E., *Et* 2 art. *Kurra b. Sharik* V, pp. 503-504.

^١ الكندي : ولاية مصر ٨٤.

^٢ نفسه ٨٥. ^٣ نفسه ٨٦.

^١ الكندي : ولاية مصر ٧٩-٨٠.

^٢ نفسه ٨٠، وفيما تقدم ٢٦٤:١.

^٣ نفسه ٨٠. ^٤ نفسه ٨١، ٨٢.

^٥ صُوِّرَتِ الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ قُرَّةَ بْنَ شَرِيكٍ عَلَى أَنَّهُ مِثَالُ الْقُسْوَةِ وَالْجُورِ (ابن الأثير : الكامل ٥٨٣:٤-٥٨٤:٤ أبو الهامان : النجوم الزاهرة ٢١٧:١-٢١٨). وَلَكِنْ أَوْرَاقُ الْبُرْدِيِّ الَّتِي كُشِفَتْ فِي مَسْتَهْلِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ فِي قَرْيَةِ كُومِ أَشْقَاوَ بِمَحَافِظَةِ سُوْهَاجَ بِمِصْرَ، صُحِّحَتْ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ مُحِطَةً بِدَرَسَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ انْظُرْ Lammens, H., «Un gouverneur omayyade

ثم مات وهو والي ليلة الخميس لست بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين، واستخلف على الجند والحراج عبد الملك بن رفاعه، فكانت ولايته ست سنين ^(أ) إجماعاً ^١.

ثم ولي عبد الملك بن رفاعه بن خالد بن ثابت الفهمي، من قتل الوليد بن عبد الملك، على صلاحها. وتوفي الوليد، واستخلف سليمان بن عبد الملك، فأقر ابن رفاعه.

وتوفي سليمان، وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعه، فكانت ولايته ثلاث سنين.

ثم ولي أيوب بن شرحبيل بن أكمشوم بن أئزة بن الصباح، من قتل عمر بن عبد العزيز، على صلاحها في ربيع الأول سنة تسع وتسعين. فوزد يكتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامة، وحرمتم ^(ب) الحرث وكسرت وعطلت حاناتها، وتيسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار، ونزع موارث القبط عن الكور واشتغل المسلمون عليها، وتبع النساء ^(ج) الحجامات ^٢.

وتوفي عمر بن عبد العزيز، واستخلف يزيد بن عبد الملك، فأقر أيوب على الصلاة، إلى أن مات لإحدى عشرة، وقيل لسبع عشرة، خلت من رمضان سنة إحدى ومائة، فكانت ولايته سنتين ونصفاً ^٣.

فولي بشر بن صفوان الكلبي، من قتل يزيد بن عبد الملك، قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى ومائة.

وفي إمرته نزل الروم تيس ^٤.

ثم ولأه يزيد على إفريقية، فخرج إليها في شوال سنة اثنين ومائة، واستخلف أخاه حنظلة ^٥. فولي حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه، فأقره يزيد بن عبد الملك، وخرج إلى الإسكندرية في سنة ثلاث ومائة، واستخلف عقبة بن مسلم ^(د) التميمي.

وتكتب يزيد بن عبد الملك، في سنة أربع ومائة، بكسر الأضنام والثماثيل، فكسرت كلها ومجيت الثماثيل.

(أ) بولاق : و . (ب) بولاق : عمرت . (ج) بولاق : الناس . (د) بولاق : مسلمة .

^١ الكلبي : ولاية مصر ٨٨ . ^٢ نفسه ٨٩ . ^٣ نفسه ٩٠ . ^٤ نفسه ٩١ . ^٥ نفسه ٩٢ .

وَمَاتَ تَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَبُوِيَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَصَرَفَ حَنْظَلَةَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ^١ .

وَوَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، مِنْ قِبَلِ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَلَى الصَّلَاةِ ، فَدَخَلَ مِصْرَ لِاحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ . وَوَقَعَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ بِمِصْرَ ، فَتَرَفَّعَ مُحَمَّدٌ إِلَى الصَّمِيدِ هَارِيثًا مِنَ الْوَبَاءِ أَبَاطًا ، ثُمَّ قَدِمَ وَخَرَجَ عَنْ مِصْرَ لَمْ يَلْهَا إِلَّا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ، وَانْصَرَفَ إِلَى الْأُرْدُنِّ ^٢ .

فَوَلِيَ الْحَزْرُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ ، مِنْ قِبَلِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَلَى صَلَاتِهَا ، فَدَخَلَ لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ .

وَفِي إِفْرَتِهِ كَانَ أَوَّلُ انْتِقَاضِ الْقَيْطِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ، وَرَابِطٌ بِذِي قَبْطِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ وَقَدَّ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَخْلَفَ حَفْصُ بْنُ الْوَلِيدِ . وَقَدِمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ ، وَانْكَشَفَ الثَّيْلُ عَنْ أَرْضِ ^(أ) فَتَنَى فِيهَا ^٣ .

وَصُرِفَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ بِاسْتِغْفَائِهِ ، لِمُغَاضَبَةِ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُيَيْدِ اللَّهِ ^(ب) بْنِ الْحَبِيبِ ابْنِ مَتَوَلَّى خَرَّاجِ مِصْرَ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ سَوَاءً ^٤ .

وَوَلِيَ حَفْصُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ سَيِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنْ قِبَلِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ صُرِفَ بَعْدَ جُمُعَتَيْنِ يَوْمَ الْأَضْحَى بِشَكْوَى ابْنِ الْحَبِيبِ مِنْهُ ، وَقِيلَ صُرِفَ سَلَخَ سَنَةٍ ^(ج) ثَمَانٍ وَمِائَةٍ ^٥ .

فَوَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ رِفَاعَةَ ثَانِيًا عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدِمَ مِنَ الشَّامِ عَلِيلًا لثَنَتِي عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ يَخْلُفُهُ مِنْ أَوَّلِ الْحَرَمِ . وَقِيلَ بَلْ وَلِيَ أَوَّلُ الْحَرَمِ ، وَمَاتَ لِلنَّصَفِ مِنْهُ . وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ^٦ .

(أ) بولاق : الأرض . (ب) بولاق : عبد الله . (ج) ساقطة من بولاق .

Review of the Administration of 'Ubad Allāh ibn al- Habhab in George Makdisi (ed.), *Arabic and Islamic Studies in honour of Hamilton A.R. Gibb*, Leiden 1965, pp. 21-35.

^١ الكندي : ولاية مصر ٩٣ .

^٢ نفسه ٩٤ .

^٣ نفسه ١٩٥ وفيما تقدم ٢١٣ : ١ .

^٤ الكندي : ولاية مصر ٩٦ ، ٩٧ .

^٥ نفسه ٩٦ ، وانظر عن إدارة عبد الله بن الحبيب

^٦ نفسه ٩٧ .

للخراج في مصر ، Abbot, N., «A New Papyrus and a

ثم ولي أخوه الوليد بن رفاعَة باستخلاف أخيه ، فأقره هشام بن عبد الملك على الصلاة . وفي ولايته نُقِلَتْ قَيْسٌ إلى مصر ولم يكن بها أحدٌ منهم ، وخرج وهيبُ التَّحْصِي شاردًا في سنة سبع عشرة ومائة من أجل أنَّ الوليدَ أذنَ للتَّصارِي في إيتاء كنيسة بُومينا^(٥) بالحفراء^١ .

وتوفي وهو والٍ أوَّلُ جمادى الآخرة سنة سبع عشرة ، واستخلف عبد الرحمن بن خالد ، فكانت إمرته تسع سنين وخمسة أشهر^٢ .

فولي عبد الرحمن بن خالد بن مُتَافِرِ الفَهمي أبو الوليد ، من قِتل هشام بن عبد الملك ، على صلاحها^٣ .

وفي إمرته نزل الروم على تزوجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا ، فصرقه هشام ، فكانت ولايته سبعة أشهر^٤ .

١٠ وولي حنظلة بن صفوان ثانيًا ، قديمَ لحَمِيسِ خلون من الحرم سنة تسع ومائة ، فانتقص القبط ، وحازتهم في سنة إحدى وعشرين ومائة^٥ .

وقدم رأس زيد بن عليٍّ إلى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة^٦ .

ثم ولَّاه هشامُ إفریقیة ، فاستخلف حفص بن الوليد بأمر^(ب) هشام . وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة ، فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر^٧ .

١٥ وولي حفص بن الوليد الحَضْرَمِي ثانيًا ، باستخلاف حنظلة له ، على صلاحها ، فأقره هشام ابن عبد الملك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين ، فجمع له الصلاة والخراج جميعًا ، واستشقى بالناس^(ج) وخطب ودعا ، ثم صلي بهم^٨ .

ومات هشام بن عبد الملك ، واستخلف من بعده الوليد بن يزيد ، فأقر حفصًا على الصلاة والخراج . ثم صرف عن الخراج بعيسى بن أبي عطاء ، لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة ، وانفرد بالصلاة ، ووقد على الوليد بن يزيد ، واستخلف عُقبة بن نعيم الرَّمْثِي .

(٥) بولاق : بومنا ، والكندي : أبو مينا . (ب) بولاق : بامرة . (ج) بولاق : الناس .

^١ الكندي : ولادة مصر ٩٨ ، ١٠٠ . ^٢ نفسه ١٠١ . ^٣ نفسه ١٠١ . ^٤ نفسه ١٠٢ .

^٥ نفسه ١٠٣ . ^٦ نفسه ١٠٣ ، وفيها يلي ٤٣٦ : ٢ . ^٧ نفسه ١٠٤ . ^٨ نفسه ١٠٤ ، ١٠٥ .

وَقُتِلَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَحَفْصُ بِالشَّامِ ، وَتُوبِعَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ حَفْصًا بِاللُّحَاقِ بِجُنْدِهِ ، وَأَمَرَهُ بِفُرُوسٍ^(٥) ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَقَدِمَ^(ب) وَقَرَضَ الْفُرُوسَ ، وَبَعَثَ بِنِيعَةٍ^(ج) أَهْلَ مِصْرَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ^١ .

ثُمَّ تُوَفِّيَ يَزِيدُ ، وَتُوبِعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَخَلَقَهُ مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيُّ ، فَكَتَبَ حَفْصُ بِشَتَّافِيهِ مِنْ وِلَايَةِ مِصْرَ ، فَأَعْفَاهُ مَرْوَانُ ؛ فَكَانَتْ وِلَايَةُ حَفْصِ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَّا شَهْرًا^٢ .
وَوَلَّى حَسَنَانُ بْنُ عَتَاهِيَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّجِيبِيَّ وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَكَتَبَ إِلَى خَيْرِ بْنِ نَعِيمٍ بِأَسْخِلَافِهِ ، فَسَلَّمَ حَفْصَ إِلَى خَيْرٍ .

ثُمَّ قَدِمَ حَسَنَانُ لِنِسِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً عَلَى الصَّلَاةِ ، وَعِيسَى بْنُ أَبِي عَطَاءٍ عَلَى الْخَرَاجِ ، فَأَشَقَطَ حَسَنَانُ فُرُوسَ حَفْصِ كُلِّهَا . فَوُتِّبُوا بِهِ وَقَالُوا : لَا تُرَضَى إِلَّا بِحَفْصٍ . وَرَكِبُوا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَدَعَوْا إِلَى خَلْعِ مَرْوَانَ ، وَحَصَرُوا حَسَنَانَ فِي دَارِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَخْرِجْ عَنَّا ، فَإِنَّكَ لَا تُعِيمُ مَعَنَا بَلَدًا^٣ .

وَأَخْرَجُوا عِيسَى بْنَ أَبِي عَطَاءٍ صَاحِبَ الْخَرَاجِ وَذَلِكَ فِي آخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَأَقَامُوا حَفْصًا ، فَكَانَتْ وِلَايَةُ حَسَنَانَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا^٤ .

فَوَلَّى حَفْصُ بْنُ الْوَلِيدِ الثَّلَاثَةَ كَرَمًا ، أَخَذَهُ قُوَاذُ الْفُرُوسِ بِذَلِكَ ، فَأَقَامَ عَلَى مِصْرَ رَجَبَ وَشَعْبَانَ ، وَلَحِقَ حَسَنَانُ بِمَرْوَانَ .

وَقَدِمَ حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ - وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُهَا - فَتَزَلَّ الْجِهْرَةَ ، وَكَتَبَ مَرْوَانَ بِوِلَايَتِهِ عَلَى مِصْرَ .

فَانْتَقَعَ الْمَصْرِيُّونَ مِنْ وِلَايَةِ حَنْظَلَةَ ، وَأَظْهَرُوا الْخَلْعَ ، وَأَخْرَجُوا حَنْظَلَةَ إِلَى الْخَوْفِ الشَّرْقِيِّ ، وَمَتَّقُوهُ مِنَ الْمَقَامِ بِالْفُسْطَاطِ .

وَهَرَبَ ثَابِتُ بْنُ نَعِيمٍ مِنْ فِلَسْطِينَ يُرِيدُ الْفُسْطَاطَ ، فَحَارَبُوهُ وَهَزَمُوهُ^٥ .

وَسَكَّتَ مَرْوَانَ عَنْ مِصْرَ بِقِيَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، ثُمَّ عَزَلَ حَفْصًا مُسْتَهْلًا سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ^٦ .

(٥) بولاق : وأمره على . (ب) ساقطة من بولاق .. (ج) بولاق : نية .

^١ الكندي : ولاة مصر ١٠٥ . ^٢ نفسه ١٠٦ . ^٣ نفسه ١٠٧ . ^٤ نفسه ١٠٨ .

^٥ نفسه ١٠٩ . ^٦ نفسه ١١٠ .

وَوَلِيَّ الْحَوْزَةِ بن سَهْل بن العجلان الباهلي ، فسار إليها في آلاف ، وقَدِمَ أَوَّلَ الْحَرَمِ وقد اجتمع الجند على منعه ، فأبى عليهم حفص ، فخافوا حوزة وسألوه الأمان ، فأمنهم . ونزل ظاهراً القسطنطين وقد اطمأنوا إليه ، فخرج إليه حفص ووجوه الجند ، فقبض عليهم وقبضهم ، فانهزم الجند^١.

٥. ودخل معه^٢ عيسى بن أبي عطاء على الخراج لثنتي عشرة خلت من الحرم ، وبعث في طلب رؤساء الفئقة ، فجمعوا له وضرب أعناقهم ، وقتل حفص بن الوليد^٣.

ثم صُرف في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وبعثه مزوان إلى العراق فقتل ، واشتخلف على مصر حشان بن عتابية ، وقيل أبا الجراح^٤ بشر بن أوس^٥ ، وخرج لعشر خلون من رجب . وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر^٦.

١٠. ثم ولي المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة الفزاري على الصلاة من قتل مزوان ، فقَدِمَ لست بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ، وخرج إلى الإسكندرية ، واشتخلف أبا الجراح الجزشي . وتوفي لثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى / سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فكانت ولايته عشرة أشهر . واشتخلف ابنه الوليد بن المغيرة ، ثم صُرف الوليد في النصف من جمادى الآخرة^٧.

١٥. وولي عبد الملك بن مزوان بن موسى بن نصير ، من قتل مزوان ، على الصلاة والخراج - وكان والياً على الخراج قبل أن يولي الصلاة - في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فأمر بأخذ المناير في الكور ولم تكن قبله ، وإنما كانت ولاء الكور يخطبون على العصي إلى جانب القبة^٨.

وخرج القبط فحاربهم ، وقتل كثيراً منهم^٩.

٢٠. وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مزوان على مزوان ، فاجتمع^{١٠} عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي ، فبعث إليهم عبد الملك بجيش ، فلم تكن حرب^{١١}.

(a) بولاق : ودخل معه . (b) آياصوليا : أبا الجراح . (c) بولاق : واجتمع .

^١ الكندي : ولاية مصر ١١٠ ، ١١١ . ^٢ نفسه ١١١ . ^٣ انظر ترجمته عند المقرئ : المفق الكبير ٢ : ٤٣٤ .

^٤ الكندي : ولاية مصر ١١٤ . ^٥ نفسه ١١٥ . ^٦ نفسه ١١٦ . ^٧ نفسه ١١٦ . ^٨ نفسه ١١٦ .

وسارَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى مِصْرَ مُنْهَزِمًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَدِمَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ لِمَدِينَةِ بَقِينَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَقَدْ سَوَّدَ أَهْلُ الْخَوْفِ الشَّرْقِيَّ وَأَهْلُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَأَهْلُ الصُّعِيدِ وَأَسْوَانَ . فَغَزَمَ مَرْوَانُ عَلَى تَغْدِيَةِ النَّيْلِ ، وَأَحْرَقَ وَأَزَالَ^(أ) دَارَ آلِ مَرْوَانَ الْمَذْهَبَةَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْجَيْزَةِ وَحَرَقَ الْجَيْشَيْنِ ، وَبَعَثَ بِجَيْشٍ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فَاقْتَتَلُوا بِالْكُرْيُونِ . وَخَالَفَتِ الْقَيْطُ بِرُشِيدٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَبَعَثَ إِلَى الصُّعِيدِ^١ .

فَقَدِمَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي طَلَبِ مَرْوَانَ ، هُوَ وَأَبُو عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ يَزِيدٍ ، يَوْمَ الثَّلَاثَةِ لِلنَّصَفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، فَأَذْرَكَ صَالِحُ مَرْوَانَ بِبُوصَيْرٍ مِنَ الْجَيْزَةِ - بَعْدَ مَا اسْتَخْلَفَ عَلَى الْقُشَطَاطِ مُعَاوِيَةَ^(ب) بْنِ بَحِيرٍ^(ج) بْنِ رَيْثَانَ - فَحَارَبَ مَرْوَانَ حَتَّى قُتِلَ بِبُوصَيْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ . وَدَخَلَ صَالِحُ إِلَى الْقُشَطَاطِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِمَدِينَةِ خَلَوْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِ مَرْوَانَ إِلَى الْعِرَاقِ^٢ . وَانْقَضَتْ أَيَّامُ بَنِي أُمَيَّةَ .

[الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ]

فَوَلَّى صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلِيَّ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّفَّاحِ ، فَاسْتَقْبَلَ بِوَلَايَتِهِ الْحَرَمَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَبَعَثَ بِوَقْدِ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الشَّفَّاحِ بِبَيْتَةِ أَهْلِ مِصْرَ ، وَأَسَرَّ عَبْدَ الْمَلِكِ [بْنَ مَرْوَانَ]^(د) بْنَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ وَجَمَاعَةً ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ شِيعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَحَمَلَ طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ^٣ ، فَقَتَلُوا بِقَلَنْشَوَةَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ . وَأَمَرَ لِلنَّاسِ بِأَعْطِيَتِهِمْ لِلْمُقَاتِلَةِ وَالْيَعَالِ ، وَقُيِّمَتِ الصَّدَقَاتُ عَلَى الْبِتَامِيِّ وَالْمَسَاكِينِ ، وَزَادَ صَالِحُ فِي [مُؤَخَّرِ]^(هـ) الْمَسْجِدِ [الْجَامِعِ بِالْقُشَطَاطِ أَرْبَعَةَ أَسَاطِينَ]^(د)^٤ .

وَوَزَدَ عَلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّفَّاحِ بِإِمَارَتِهِ عَلَى فَلَسْطِينَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ عَلَى مِصْرَ ، فَاسْتَخْلَفَ أَبَا عَوْنُ مُسْتَهْلًا شُعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ ، وَسَارَ وَمَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ [بْنَ مَرْوَانَ] ابْنُ مُوسَى^(هـ) بْنَ نُصَيْرٍ مُلْزَمًا وَعِدَّةً مِنْ أَهْلِ مِصْرَ صَحَابَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَقْطَعَ الَّذِينَ

(ب) ساقطة من بولاق . (ب) عند الكندي : محمد بن معاوية . (ج) بولاق : بحيرة . (د) إضافة من الكندي .

سَوَّدُوا قَطَائِعَ ، منها مُنْبَتَةٌ بُولَاق^(a) وَقُرَى أَهْنَسَ وَغَيرَهَا^١ .

ثم من بعد صالح بن علي ، سَكَنَ أَمْرَاءُ مِصْرَ الْعَشْكَرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَكَنَهُ أَبُو عَوْن .

ذِكْرُ الْعَشْكَرِ الَّذِي بَنِي بَقَاةُ مَدِينَةِ قُسْطَاطٍ مِصْرَ

اعْلَمْ أَنَّ مَوْضِعَ الْعَشْكَرِ كَانَ^(b) يُعْرَفُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ بِالْحَمْرَاءِ الْقُصْوَى . وقد تقدَّم أَنَّ
 ٥ الْحَمْرَاءَ الْقُصْوَى كَانَتْ خِطَّةَ بَنِي الْأَزْرَقِ وَبَنِي رُوَيْلِ وَبَنِي يَشْكُرَ بن جَزَيْلَةَ ، ثم دَثُرَتْ هَذِهِ
 الْحِطَّاطُ بعدَ الْعِمَارَةِ بِتِلْكَ الْقَبَائِلِ حَتَّى صَارَتْ صُغْرَاءَ . فَلَمَّا قَدِمَ مَرْوَانُ بن مُحَمَّدٍ - آخِرُ خُلَفَاءِ
 بَنِي أُمَيَّةٍ - إِلَى مِصْرَ مُنْهَرِجًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، نَزَلَتْ عَسَاكِرُ صَالِحِ بن عَلِيٍّ وَأُمِّي عَوْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بن
 يَزِيدَ فِي هَذِهِ الصُّغْرَاءِ - حَيْثُ يَجِبُ يَشْكُرَ - حَتَّى مَلَأُوا الْقُصَاءَ ، وَأَمَرَ أَبُو عَوْنُ أَصْحَابَهُ بِالْبِنَاءِ
 فِيهِ ، فَهَبُوا وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ .

فَلَمَّا خَرَجَ صَالِحُ بن عَلِيٍّ مِنْ مِصْرَ ، خَرِبَ أَكْثَرُ مَا بُنِيَ فِيهِ إِلَى زَمَنِ مُوسَى بن عِيسَى
 ١٠ الْهَاشِمِيِّ ، فَابْتَنَى فِيهِ دَارًا أُنْزِلَ فِيهَا حَكَمَتُهُ وَعَبِيدُهُ ، وَعَمَّرَ النَّاسُ .

ثم وَلِيَ الشَّرِيفُ بن الْحَكَمِ ، فَأَذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْبِنَاءِ ، فَابْتَنَوْا فِيهِ وَصَارَ تَمْلُوكًا بِأَيْدِيهِمْ ، وَاتَّصَلَ
 بِنَاؤُهُ بِنَاءَ الْقُسْطَاطِ ، وَبُنِيَتْ فِيهِ دَارُ الْإِمَارَةِ وَمَسْجِدُ جَامِعِ عُرْفِ بـ «جَامِعِ الْعَشْكَرِ» ، ثُمَّ عُرِفَ
 بـ «جَامِعِ سَاجِلِ الْعَلَّةِ» .

وَعُمِلَتِ الشُّرْطَةُ أَيْضًا فِي الْعَشْكَرِ ، وَقِيلَ لَهَا «الشُّرْطَةُ الْعُلْيَا» ، وَإِلَى جَانِبِهَا بَنَى أَحْمَدُ بن
 ١٥ طُولُونٍ جَامِعَهُ الْمَوْجُودَ الْآنَ . وَسُمِّيَ مِنْ حِينِئذٍ ذَلِكَ الْقُصَاءُ بـ «الْعَشْكَرِ» ، وَصَارَ أَمْرَاءُ مِصْرَ إِذَا
 وَلُّوا يَنْزِلُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَبِي عَوْنٍ ، فَقَالَ النَّاسُ مِنْ يَوْمِئِذٍ : «كُنَّا بِالْعَشْكَرِ» ، وَخَرَجْنَا إِلَى الْعَشْكَرِ^٢ ،
 وَكُتِبَ مِنَ الْعَشْكَرِ ، وَصَارَ مَدِينَةً ذَاتَ مَحَالٍّ وَأَسْوَاقٍ وَدُورٍ عَظِيمَةٍ .

وفيه بَنَى أَحْمَدُ بن طُولُونٍ مَارِسْتَانَهُ ، فَأَلْفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُسْتَقَلِّهِ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ
 ٢٠ بِالْقُرْبِ مِنْ يَوْكَةِ قَارُونِ الَّتِي صَارَتْ كَيْمَانًا ، وَبَعْضُهَا يَوْكَةُ عَلَى يَمِينِهِ مِنْ سَارٍ مِنْ حَذْرَةِ ابْنِ

(a) الكندي: قطائع بالميمون وهي في الواحات الخارجة . (b) بولاق: قد كان .

وفيما يلي ٢٦٤:٢-٢٦٥ .

^١ الكندي: ولاية مصر ١٢٢ .

^٢ انظر Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 28-34

قَمِيحَةً يُرِيدُ قَنْطَرَةَ السَّحْبِ . وَعَلَى بَرْكَةِ قَارُونَ هَذِهِ كَانَتْ جَنَانُ بَنِي مِشْكِينَ ، وَبَنَى كَافُورُ الْإِشْشِيدِي دَارًا أَتَفَقَّ عَلَيْهَا مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَسَكَنَهَا فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَانْتَقَلَ مِنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ لُؤْبَاءٍ وَقَعَ فِي غِلْمَانِهِ مِنْ بُخَارِ الْبَرْكَةِ .

وَعَظُمَتِ الْعِمَارَةُ فِي الْعَشْكَرِ جِدًّا ، إِلَى أَنْ قَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مِصْرَ ، فَتَزَلَّ بِدَارِ الْإِمَارَةِ مِنَ الْعَشْكَرِ ، وَكَانَ لَهَا بَابٌ إِلَى جَامِعِ الْعَشْكَرِ ، وَتَزَلَّهَا الْأُمَرَاءُ مِنْذُ بَنَاهَا صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِهِ مَرْوَانَ . / وَمَا زَالَ بِهَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ إِلَى أَنْ بَنَى الْقَصْرَ وَالْمِيدَانَ بِالْقَطَائِعِ ، فَتَحَوَّلَ مِنَ الْعَشْكَرِ وَسَكَنَ قَصْرَهُ بِالْقَطَائِعِ .

فَلَمَّا وَلِيَ أَبُو الْجَيْشِ شُحْمَارُوقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ بَعْدَ أَبِيهِ ، بَجَعَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ دِيوانَ الْخِرَاجِ ، ثُمَّ فُوتَتْ مُحَجَّرًا بَعْدَ دُخُولِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبِ إِلَى مِصْرَ وَزَوَالَ دَوْلَةِ بَنِي طُولُونٍ ، فَسَكَنَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِدَارِ^(١) فِي الْعَشْكَرِ عِنْدَ الْمُصَلَّى الْقَدِيمِ ، وَكَانَ الْمُصَلَّى الْقَدِيمُ حَيْثُ الْكُومُ الْمَطْلُ الْآنَ عَلَى قَبْرِ الْقَاضِي بَكَارٍ . وَمَا زَالَتِ الْأُمَرَاءُ تَنْزِلُ بِالْعَشْكَرِ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَائِدُ جَوْهَرُ بْنُ الْمَغْرِبِ ، وَبَنَى «الْقَاهِرَةَ الْمُعِزَّةَ» .

وَلَمَّا بَنَى أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ الْقَطَائِعِ ، اتَّصَلَتْ مَبَانِيهَا بِالْعَشْكَرِ ، وَبَنَى جَامِعَهُ عَلَى جَبَلٍ يُشْكِرُ ، فَعُمِّرَ مَا هُنَاكَ عِمَارَةٌ عَظِيمَةٌ تَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ فِي الْكَثْرَةِ . وَقَدِمَ جَوْهَرُ الْقَائِدُ بِمَسَاكِرِ مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَالْعَشْكَرُ عَامِرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مُنْذُ بُنِيَتْ الْقَطَائِعُ هُجِرَ اسْمُ الْعَشْكَرِ ، وَصَارَ يُقَالُ «مَدِينَةُ الْقُسْطَاطِ وَالْقَطَائِعِ» ، وَرُبَّمَا قِيلَ «وَالْعَشْكَرُ» أَحْيَانًا . فَلَمَّا خَرَّبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَصْرَ ابْنِ طُولُونٍ وَمِيدَانَهُ ، بَقِيَ فِي الْقَطَائِعِ مَسَاكِينُ جَلِيلَةٍ حَيْثُ كَانَ الْعَشْكَرُ . وَأَنْزَلَ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ عَمَّهُ أَبَا عَلِيٍّ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُهُ بِهَا إِلَى أَنْ خَرِبَتْ الْقَطَائِعُ فِي الشَّدَّةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي خِلَافَةِ الْمُشْتَصِرِ ، أَعْوَامَ بَضْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعَ مِائَةٍ . فَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دَارٍ سِوَى الْهَسَاتِينَ^(٢) ، وَمَا هَذَا يَعْنِيهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مَا بَيْنَ سَفْعِ الشَّرَفِ الَّذِي عَلَيْهِ الْآنَ قَلْعَةُ الْجَبَلِ ، وَبَيْنَ سَاجِلِ مِصْرَ الْقَدِيمِ حَيْثُ الْآنَ الْكَبَابُزَةُ خَارِجَ مِصْرَ ، وَمَا

(١) بولاق : بدار الإمارة .

دار عند المصلى القديم في العسكر حيث الكوم المطل على قبر القاضي بكار لا في دار إمارة العسكر .

^١ أضافت نشرة بولاق أن محمد بن سليمان الكاتب سكن بدار الإمارة في العسكر ، وهي إضافة لم ترد في النسخ التي احتضمت عليها ، فيكون محمد بن سليمان قد نزل في

^٢ فيما يلي ١١٢ .

على سُمِّيَها إلى كُوم الجارح ، ومن كُوم الجارح إلى جامع ابن طولون وخطَّ قَنَاطِر السَّبَّاح وخطَّ السَّبَّاح سِقَايَا ، إلى قَنْطَرَة السَّدِّ ومِراغة مصر ، إلى المَعارِج بمصر ، وإلى كُوم الجارح ؛ ففي هذه المَوَاضِع كان العَشْكَر والقَطَائِع .

وَيُخَصَّر العَشْكَر من ذلك ما بين قَنَاطِر السَّبَّاح وخطَّة ابن قَمِيحَة إلى كُوم الجارح ، حيث الفَضَاء الذي يَتَوَسَّطُ ما بين قَنْطَرَة السَّدِّ وبين سُور القَرَاة الذي يُعْرَف بِباب المَجْدَم ؛ فهذا هو العَشْكَر .

ولَمَّا اسْتَوَلَى الخَرَابُ فِي الحِجَّة ، أَمَرَ بِنَاء حَائِطٍ يَمُشِّر الخَرَابَ عَنِ نَظَر الخَلِيفَة إِذَا سَارَ مِنَ القَاهِرَة إِلَى مِصر ، فِيمَا بَيْنَ العَشْكَر والقَطَائِع وَبَيْنَ الطَّرِيق ، وَأَمَرَ بِبِنَاء حَائِطٍ آخَرَ عِنْد جَامِعِ ابْنِ طُولُون .

فَلَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ الأَمِير بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَمِي عَلِيٍّ مَنصُورِ بْنِ المُشْتَقْلِي ، أَمَرَ وَزِيرُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَائِذٍ المَنْعُوتِ بِالْأَجَلِ المَأْمُونِ بْنِ البَطَائِحِي فَتَوَدَّى مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي القَاهِرَة وَمِصر : بَأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ دَارٌ فِي الخَرَابِ أَوْ مَكَانٌ فَلْيُشْمِرْهُ ، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ عِمَارَتِهِ يَبِيعَهُ أَوْ يُؤَجِّرْهُ مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ شَيْءٍ مِنْ أَنْقَاضِهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا حَقَّ لَهُ وَلَا يَحْكُرُ يَلْزَمُهُ ، وَأَبَاحَ تَعْمِيرَ جَمِيعِ ذَلِكَ بِغَيْرِ طَلَبٍ حَقٍّ^١ .

وَكَانَ سَبَبُ هَذَا التَّدَاءِ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الجُيُوشِ بَذَرُ الجَمَالِي فِي آخِرِ السَّنَةِ العُظْمَى وَقَامَ بِعِمَارَةِ إِقْلِيمِ مِصر ، أَخَذَ النَّاسُ فِي نَقْلِ مَا كَانَ بِالْقَطَائِعِ وَالْعَشْكَرِ مِنْ أَنْقَاضِ المَسَاكِين ، حَتَّى أَتَى عَلَى مُعْظَمِ مَا هُنَاكَ الهَدْمُ ، فَصَارَ مُوجِشًا ، وَخَرِبَ مَا بَيْنَ القَاهِرَة وَمِصرِ مِنَ المَسَاكِين ، وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ إِلَّا بَعْضُ البَسَاتِين .

فَلَمَّا نَادَى الوَزِيرُ المَأْمُونُ ، عَظُرَ النَّاسُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ يَمَّا يَلِي القَاهِرَة مِنْ جِهَةِ المُشْهَدِ التَّقْيِيسِي إِلَى ظَاهِرِ بَابِ رَوَيْلَة - كَمَا يَرِدُ خَبَرُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^٢ - وَنُقِلَتْ أَنْقَاضُ العَشْكَرِ كَمَا تَقَدَّمَ ؛ فَصَارَ هَذَا الفَضَاءُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ مُشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةً وَمِنْ جَامِعِ الطُّولُونِي وَمِنْ قَنْطَرَةِ السَّدِّ وَمِنْ بَابِ المَجْدَمِ فِي سُورِ القَرَاةِ ، وَيُسَلِّكُ فِي هَذَا الفَضَاءِ إِلَى كُومِ الجَارِحِ .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٤ - ١٣٥ ، وفيها

^٢ فيما يلي ٢٠ : ٢ ، ٢٠٠ ؛ وأيضاً ابن عبد الظاهر :

الروضة البهية ١٣٤ - ١٣٥ .

يلي ٢٠ : ٢ ، ١٠٠ ، ٢٦٥ .

ولم يبقَ الآن من العَشْكَرِ ما هو عَامِرٌ سِوَى جَبَلِ يَشْكُرَ الَّذِي عَلَيْهِ جَامِعُ ابْنِ طُولُونٍ ، وما حَوْلَهُ من الكَيْشِ وَحُدُودِ ابْنِ قَمِيحَةَ ، إِلَى حُطِّ الشَّيْبِ سِقَايَاتِ وَحُطِّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ إِلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ . وَأَمَّا شَوْقُ الْجَامِعِ مِنْ قِتْلِهِ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى الْمَشْهَدِ النَّفْسِيِّ وَإِلَى الْقُبُورِ وَالرَّمِيْلَةِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْقَطَائِعِ ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَطَائِعِ ، وَعِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْخِطَطِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَطَالَ مَا سَلَكَتُ هَذَا الْفَصَاءَ الَّذِي بَيْنَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ وَكُومِ الْحَارِجِ حَيْثُ كَانَ الْعَشْكَرُ ، وَتَذَكَّرْتُ مَا كَانَ هُنَالِكَ مِنَ الدُّورِ الْجَلِيلَةِ وَالْمَنَازِلِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْحَمَامَاتِ وَالنَّسَاتِينَ وَالْبِرْكَةِ الْبَدِيعَةِ وَالْمَارِشَتَانِ الْعَجِيبِ ، وَكَيْفَ بَادَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لشيءٍ مِنْهَا أَثَرٌ أَلْبَتَّةَ ، فَأَتَشَدَّدْتُ أَقُولُ :

[المتقارب]

وَبَادُوا فَلَا مُخَبِّرَ عَنْهُمْ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَهَذَا الْخَبَرُ
فَعَنْ كَانَ ذَا عِوَرَةٍ فَلْيَكُنْ قَطِينًا فِي مَنْ مَضَى مُغْتَبِرُ
وَكَانَ لَهُمْ أَثَرٌ صَالِحٌ فَأَيْنَ هُمْ ثُمَّ أَيْنَ الْآخَرُ؟

وَسَيَأْتِي لِدَلِكْ مَزِيدُ بَيَانٍ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَطَائِعِ ، وَعِنْدَ ذِكْرِ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ وَغَيْرِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^١ .

إِذْ كُرِّمَ مَنْ نَزَلَ الْعَشْكَرَ مِنْ أَمْرَاءِ مِصْرَ مِنْ حِينَ بَنِيَ إِلَى أَنْ بَنَيْتَ الْقَطَائِعَ

أَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَاءَ مِصْرَ مَا بَرَّحُوا يَنْزِلُونَ فُشْطَاطَ مِصْرَ ، مِنْذُ اخْتُطِّعَ بَعْدَ الْفَتْحِ إِلَى أَنْ بَنَى أَبُو عَوْنُ الْعَشْكَرَ ، فَصَارَتْ أَمْرَاءُ مِصْرَ مِنْ عَهْدِ أَبِي عَوْنٍ إِنَّمَا يَنْزِلُونَ بِالْعَشْكَرِ . وَمَا بَرَّحُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَنْشَأَ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونِ الْقَضْرَ وَالْمَيْدَانَ وَالْقَطَائِعَ ، فَتَحَوَّلَ مِنَ الْعَشْكَرِ إِلَى الْقَضْرِ وَسَكَنَ فِيهِ ، وَسَكَنَ الْأَمْرَاءُ مِنْ أَوْلَادِهِ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ . فَسَكَنَ الْأَمْرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَشْكَرَ إِلَى أَنْ زَالَتْ دَوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةِ ، بِقُدُومِ جُوهَرِ الْقَائِدِ مِنَ الْمَغْرِبِ .

وَأَوَّلُ مَنْ سَكَنَ الْعَشْكَرَ مِنْ أَمْرَاءِ مِصْرَ أَبُو عَوْنُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ يَزِيدَ ، مِنْ أَهْلِ مَجْرُجَانَ ، وَلَبَّى صَلَاةَ مِصْرَ وَخَرَّاجَهَا بِأَسْتِخْلَافِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ لَهُ فِي مُسْتَهْلِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ^٢ .

^٢ الكندي : ولاية مصر ١٢٣ .

^١ انظر فيما يلي ١٣٥:٢ - ١٣٦ ، وانظر وصفه للقطائع

فيما يلي ٨٠ - ٩٤ .

وَوَقَعَ الزبَاءُ بِمِصْرَ، فَهَرَبَ أَبُو عَوْنٌ إِلَى يَشْكُرَ، وَاسْتَخْلَفَ صَاحِبُ شُرُوطِهِ عِكْرِمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَمْرِو بْنِ قَحْزَمٍ. وَخَرَجَ إِلَى دُثَيْبٍ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَاسْتَخْلَفَ عِكْرِمَةَ، وَجَعَلَ عَلَى الْخَرَاجِ عَطَاءَ بْنَ شَرْحِبِيلٍ. وَخَرَجَ الْقَيْطُ بِسَمْنُودَ، فَبَتَّتْ إِلَيْهِمْ وَقَتْلَهُمْ^١.

وَوَرَدَ الْكِتَابُ بِوَلَايَةِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ وَالْمَغْرِبِ، جُمِعَتْ لَهُ، وَوَرَدَتْ الْجَبُوشُ مِنْ قَيْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّفَاحِ لِقَزْوِ الْمَغْرِبِ^٢.

فَوَلَّى صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الثَّانِيَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ، فَدَخَلَ لِحَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَيْبِ الْآخِرِ سَنَةٍ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، فَأَقَرَّ عِكْرِمَةَ عَلَى شُرُوطَةِ الْفُسْطَاطِ، وَجَعَلَ عَلَى شُرُوطِهِ بِالْعَشْكَرِ يُرِيدُ بْنُ هَانِيٍّ الْكِنْدِيَّ، وَوَلَّى أَبَا عَوْنَ مَجِيُوشَ الْمَغْرِبِ، وَقَدَّمَ أَمَانَةَ دُعَاةَ الْأَهْلِ لِأَفْرِيقِيَّةٍ. وَخَرَجَ أَبُو عَوْنٌ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَجُهِزَتِ الْمَرَائِبُ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ إِلَى بَرْقَةِ^٣.

فَمَاتَ الشَّفَاحُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُتَّصِرَ، فَأَقَرَّ صَالِحَ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عَوْنٍ بِالرَّجْعِ، وَرَدَّ الدُّعَاةَ وَقَدْ تَلَّغُوا سُورَتَ^٤. وَتَلَّغَ أَبُو عَوْنٌ بَرْقَةَ، فَأَقَامَ بِهَا أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ فِي جَيْشِهِ، فَجُهِزَهُ صَالِحُ إِلَى فِلَسْطِينَ لِحَرْبِهِ، فَغَلَبَ وَسَيَّرَ إِلَى مِصْرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَأْسًا. ثُمَّ خَرَجَ صَالِحُ إِلَى فِلَسْطِينَ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ الْفَضْلَ، فَتَلَّغَ بَلْبَيسَ وَرَجَعَ^٥.

ثُمَّ خَرَجَ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَلَقِيَ أَبَا عَوْنَ بِالْقَرَمَا، فَأَمَّرَهُ عَلَى مِصْرَ صَلَاتِهَا وَخَرَاجِهَا وَمَضَى؛ فَدَخَلَ أَبُو عَوْنُ الْفُسْطَاطَ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ^٦.

فَوَلَّى أَبُو عَوْنٌ وَلَايَتَهُ الثَّانِيَةَ مِنْ قَيْلِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ أَفْرَدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بِوَلَايَتِهَا. وَقَدِيمُ أَبُو جَعْفَرٍ بَيْتُ الْقُدْسِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عَوْنٍ بِأَنْ يَسْتَخْلَفَ عَلَى مِصْرَ وَيَخْرُجَ إِلَيْهِ، فَاسْتَخْلَفَ عِكْرِمَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَعَطَاءَ عَلَى الْخَرَاجِ، وَخَرَجَ لِلنَّصَفِ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ. فَلَمَّا صَارَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ بَيْتِ الْقُدْسِ، بَتَّتْ أَبُو جَعْفَرٍ مُوسَى بْنَ كُفَّيْ، فَكَانَتْ إِذَا لَيْتَ أَبِي عَوْنٌ هَذِهِ ثَلَاثَ سَنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ^٧.

(٥) بولاق: شيرت.

^١ الكندي: ولاية مصر ١٢٣. ^٢ نفسه ١٢٣. ^٣ نفسه ١٢٣-١٢٤. ^٤ نفسه ١٢٤-١٢٥. ^٥ نفسه ١٢٦. ^٦ نفسه ١٢٧.

فَوَلَّيَهَا مُوسَى بْنِ كَعْبٍ بْنِ عُيَيْنَةَ ابْنِ عَائِشَةَ أَبُو عُيَيْنَةَ مِنْ تَمِيمٍ ، مِنْ قَبْلِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ -
وَكَانَ أَحَدُ نُبَّاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ - فَدَخَلَهَا لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ بَقِيَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
وَمِائَةٍ ، عَلَى صَلَاتِهَا وَخَرَجَ بِهَا . وَنَزَلَ الْعَشْكَرُ وَبِهَا النَّاسُ مِنَ الْجُنْدِ يَتَقَدُّونَ وَيُرَوِّحُونَ إِلَيْهِ كَمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْأَمْرَاءِ قَبْلَهُ ، فَانْتَهَوْا عَنْهُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَلْزِمُ بَابَهُ ^١ .

وَكَانَ قَدْ أَتَاهُمْ فِي خُرَاسَانَ بِأَمْرِ أَبِي مُشَلِّمٍ ، فَأَمَرَ بِهِ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبِجَلِيُّ ، وَالْيَ خُرَاسَانَ ،
فَأُلْجِمَ يُلْجِمًا ، ثُمَّ كُتِبَتْ أَسْنَانُهُ ، فَكَانَ يَقُولُ بِمَصْرٍ : كَانَتْ لَنَا أَسْنَانٌ وَلَيْسَ عِنْدَنَا حَبِيرٌ ، فَلَمَّا
جَاءَ الْحَبِيرُ ذَهَبَتْ الْأَسْنَانُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ : «إِنِّي عَزَلْتُكَ مِنْ غَيْرِ سَخَطٍ ^٢» ، وَلَكِنْ بَلَّغَنِي أَنَّ غَايِلًا ^٣ يُقْتَلُ
بِمَصْرٍ يُقَالُ لَهُ مُوسَى ، فَكَرِهْتُ أَنْ تَكُونَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ مُوسَى بْنُ مُضْعَبِ زَمَنِ الْمُهَدِيِّ ،
كَمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَوَلَّيْتُ مُوسَى بْنَ كَعْبٍ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَصُرِفَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ،
وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجُنْدِ خَالِدٌ ^٤ بْنُ حَبِيبٍ ، وَعَلَى الْخَرَاجِ تَوْفَلُ بْنُ الْفُرَاتِ ، وَخَرَجَ لَسْتُ بِقَيْنٍ
مِنْهُ ^٥ .

فَوَلَّيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ بْنِ عُقَيْبَةَ الْخَزَاعِيَّ مِنْ قَبْلِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ ، وَقَدِمَ
لِخَمْسٍ تَحْلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ . وَبَعَثْتُ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى تَوْفَلِ بْنِ الْفُرَاتِ «أَنْ
اغْرَضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ضَمَانَ خَرَاجِ مِصْرٍ ، فَإِنْ ضَمِنَهُ فَأَشْهَدَ عَلَيْهِ وَأَشْخِصَ إِلَيَّ ، وَإِنْ
أَتَى فَاغْتَمَلَ عَلَى الْخَرَاجِ» . فَعَرَضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَتَى ، فَانْتَقَلَ تَوْفَلُ بِالْذَوَابِينِ [إِلَى دَارِ الرُّمْلِ] ^٦ ،
فَانْتَقَدَ ابْنُ الْأَشْعَثِ النَّاسَ ، فَقِيلَ لَهُ «هَمَّ عِنْدَ صَاحِبِ الْخَرَاجِ» ، فَتَدِيمَ عَلَى تَسْلِيمِهِ ، وَعَقَدَ عَلَى
جَيْشٍ بَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ لِحَرْبٍ ^٧ فَانْتَهَزَمَ ^٨ .

وَخَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ يَوْمَ الْأَضْحَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَاسْتَخْلَفَ
مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَحِيرٍ بْنِ زَيْمَانَ ^٩ صَاحِبَ شُرَطَتِهِ . ثُمَّ صُرِفَ ابْنُ الْأَشْعَثِ ، فَكَانَتْ وَلايَتُهُ
سَنَةِ وَشَهْرًا ^{١٠} .

(a) بولاق : مسخطة . (b) بولاق : غلاما . (c) بولاق : ابن خاله . (d) بولاق والأصل : الدواوين والكتب من
الكندي . (e) بولاق : لخره . (f) بولاق : بهجير بن ريسان .

^١ الكندي : ولاية مصر ١٢٨ . ^٢ نفسه ١٢٩ . ^٣ نفسه ١٣٠ - ١٣١ . ^٤ نفسه ١٣١ .

وولي حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن مغدان^٤ الطائي من قتل أبي جعفر، على الصلاة والخراج، فدخل في عشرين ألفاً من الجند لحمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة، ثم قدم عسكر آخر في شوال^١.

وقدم علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لأبيه وعمة، فدم إلى حميد فتأيب، فكتب بذلك إلى أبي جعفر، فصرفه في ذي القعدة، وخرج لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين^٢.

فولي يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، من قتل أبي جعفر، على الصلاة والخراج، فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة، فاستخلف على الخراج معاوية بن مزوان بن موسى بن نصير^٣.

وفي إمرته ظهرت دغوة بني الحسن بن علي بمصر، وتكلم بها الناس، وبايع كثير منهم لعلي ابن محمد بن عبد الله. وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين، كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى^٤.

ثم قدمت الخطباء برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذي الحجة فتصبت في المسجد^٥.

وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر إلى القسطنطين، وأن يجعل الديوان في كنائس القصر، وذلك في سنة ست وأربعين ومائة، من أجل ليلة المسجد^٦.

ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين، فلم يخرج أحد منهم ولا من أهل الشام، لما كان بالحجاز من الاضطراب بأمر بني حسن. ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن مخنف صاحب شرطته^٧.

(a) بولاق: سعدان.

^١ الكندي: ولاية مصر ١٣٢. ^٢ نفسه ١٣٢-١٣٣. ^٣ نفسه ١٣٣. ^٤ نفسه ١٣٣ وفيما يلي ٢:

^٥ نفسه ١٣٦. ^٦ نفسه ١٣٧ وفيما تقدم ١٠. ^٧ نفسه ١٣٧.

وَبَعَثَ بِجَيْشٍ لِقَاوِ الْحَيْشَةِ مِنْ أَجْلِ خَارِجِي ظَهَرَ هُنَاكَ ، فَطَفَّرَ بِهِ الْجَيْشُ ، وَقَدِمَ رَأْسُهُ فِي عِدَّةِ رُؤُوسٍ ، فَحَمِلَتْ إِلَى هُنْدَادٍ^١ .

وَصَمَّ يَزِيدُ بَزْقَةَ إِلَى عَمَلِ مِصْرَ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَمَّهَا إِلَى مِصْرَ - وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ^٢ .

- وَخَرَجَ الْقَيْطُ بِسَحَا ، فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ ، فَشَتَّتَهُ الْقَيْطُ وَرَجَعَ مُلْهَزَمًا . فَصَرَفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي رَيْبِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَبْعَ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ^٣ .

- وَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ، مِنْ قَيْلِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَلَى الصَّلَاةِ لِثَنِي عَشْرَةَ بَقِيَّةً مِنْ رَيْبِ الْآخِرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِالشَّوَادِ . وَخَرَجَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ لِعَشْرِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ، وَرَجَعَ فِي آخِرِهَا^٤ .

وَمَاتَ وَهُوَ وَالِي مُسْتَهْلَ صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ^٥ .

- فَوَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ بِاسْتِخْلَافِ أَخِيهِ ، فَأَقْرَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الصَّلَاةِ . وَمَاتَ وَهُوَ وَالِي لِلنَّصَفِ مِنْ شَوَّالٍ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَاسْتَخْلَفَ مُوسَى بْنَ عَلِيٍّ^٦ .

- فَوَلَّى مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَبَاحٍ بِاسْتِخْلَافِ مُحَمَّدِ بْنِ حُدَيْجٍ ، فَأَقْرَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الصَّلَاةِ . وَخَرَجَ الْقَيْطُ بِبُلْهَيْبٍ^٧ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ وَهَزَمَهُمْ . وَكَانَ يَزُوحُ إِلَى الْمَسْجِدِ مَاثِيًا وَصَاحِبُ شُرْطَتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ يَحْمِلُ الْحَزْبَةَ . وَإِذَا أَقَامَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ الْحُدُودَ يَقُولُ لَهُ : « ازْحَمِ أَهْلَ الْبَلَاءِ^٨ » ، فَيَقُولُ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا يُضْلِحُ النَّاسَ إِلَّا مَا يُنْقَلُ بِهِمْ » ، وَكَانَ يُحَدِّثُ فَيَكْتُبُ النَّاسَ عَنْهُ^٩ .

(a) بولاق : بهيب . (b) بولاق : البلاد .

^١ الكندي : ولاية مصر ١٣٧ . ^٢ نفسه ١٣٧ . ^٣ نفسه ١٣٧ ، ١٣٨ . ^٤ نفسه ١٣٩ . ^٥ نفسه ١٤٠ .

^٦ نفسه ١٤٠ . ^٧ نفسه ١١٤١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦ .

ومات أبو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، ويؤيع ابنه محمد المهدي ، فأقر مؤسسى بن علي إلى سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة ، فكانت ولايته ست سنين وشهرين ^١.

وزلي عيسى بن لقمان بن محمد الجعفي ، من قبل المهدي ، على الصلاة والحراج ، فقلم ثلاث عشرة بقية من ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة ، وصرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ومائة ، فوليتها أربعة أشهر ^٢.

ثم ولي واضح مؤلى أبي جعفر ، من قبل المهدي ، على الصلاة والحراج ، فدخل لست بقين من جمادى الأولى ، وصرف في رمضان ^٣.

فولي منصور بن يزيد بن منصور الرعيتي - وهو ابن خال المهدي - (من قبل المهدي ^٤) على الصلاة ، فقلم لإحدى عشرة خلّت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة ، وصرف للنصف من ذي الحجة ، فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام ^٥.

ثم ولي يحيى بن داود أبو صالح من أهل خراسان ، من قبل المهدي ، على الصلاة والحراج . فقلم في ذي الحجة ، وكان أبوه تركيا ، وهو من أشد الناس وأعظمهم هتية وأقذمهم على الدم ، وأكثرهم غقوبة ^٦.

فتمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت ، حتى جعلوا عليها شرائج ^(ب) القصب لمنع الكلاب . وتمنع خراس الحمامات أن يجلسوا فيها ، وقال : من ضاع له شيء فقلبي أداؤه . وكان الرجل يذخل الحمام ، فيضغ ثيابه ويقول : يا أبا صالح احرسها ؛ فكانت الأمور على هذا مدة ولايته ^٧.

وأمر الأشراف والفقهاء وأهل الثوبات بلبس القلائس الطوال ، والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا أزدية . وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال : «هو

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : شرائح .

^١ الكندي : ولاية مصر ١٤٢ . ^٢ نفسه ١٤٢ ، ١٤٣ .

^٣ نفسه ١٤٣ وورد اسمه عند أبي المحاسن : واضح بن عبد الله المنصور الحصري (النجوم الزاهرة ٤٠: ٢) .
^٤ للذكاين .
^٥ الشرائح ج . شريحة ، وهي باب من القصب لقتل

^٦ الكندي : ولاية مصر ١٤٥ .
^٧ نفسه ١٤٤ .

رَجُلٌ يَخَافُنِي وَلَا يَخَافُ اللَّهَ، فَوَلِّيَ إِلَى الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ^١.

وَقَدِمَ سَالِمُ بْنُ سَوَادَةَ التَّمِيمِي، مِنْ قَيْلِ الْمَهْدِيِّ، عَلَى الصَّلَاةِ، وَمَعَهُ أَبُو قَطِيفَةَ^(a) إِسْمَاعِيلُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْخَزَاجِ لَثْنَتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنَ الْحَرَمِ^٢.

ثُمَّ وَلَّى إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ قَيْلِ الْمَهْدِيِّ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَزَاجِ، فَقَدِمَ لِاحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ، وَابْتَنَى دَارًا عَظِيمَةً بِالْمَوْقِفِ مِنَ الْقَسْكَرِ^٣.

وَخَرَجَ دُخَيْتَةُ بْنُ الْمُغْصَبِ بْنِ الْأَصْبَغِ بْنِ عَبْدِ الْقَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِالصُّعَيْدِ، وَنَابَذَ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ بِالْخِلَافَةِ، فَتَرَاخَى عَنْهُ / إِبْرَاهِيمُ، وَلَمْ يَخْفِ بِأَمْرِهِ حَتَّى مَلَكَ عَامَةَ الصُّعَيْدِ؛ فَتَخِيطُ الْمَهْدِيُّ لَذَلِكَ، وَعَزَلَهُ عَزْلًا قَبِيحًا لَسَبِخِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِينَ، فَوَلَّيْتُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ^٤.

ثُمَّ وَلَّى مُوسَى بْنُ مُضْعَبٍ بْنُ الرَّبِيعِ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَزَاجِ، مِنْ قَيْلِ الْمَهْدِيِّ، فَقَدِمَ لَسَبِخِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْمَذْكُورِ، فَرَزَدَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَخَذَ مِنْهُ وَمِنْ عُمَّالِهِ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَادِ.

وَتَشَدَّدَ^(b) مُوسَى فِي اسْتِخْرَاجِ الْخَزَاجِ، وَزَادَ عَلَى كُلِّ قَدَانٍ ضِعْفَ مَا تُقْبَلُ^(c) بِهِ، وَارْتَشَى فِي الْأَحْكَامِ، وَجَعَلَ خَزَجًا^(d) عَلَى أَهْلِ الْأَشْوَاقِ وَعَلَى الدُّوَابِ، فَكَرِهَهُ الْجُنْدُ وَنَابَذُوهُ، وَتَارَتْ قَيْسُ وَالْيَمَانِيَّةِ، وَكَاتَبُوا أَهْلَ الْفُسْطَاطِ فَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ^٥.

وَبَقِيَ بِجَيْشٍ إِلَى قِتَالِ دُخَيْتَةَ بِالصُّعَيْدِ، وَخَرَجَ فِي مُجْنَدٍ مِصْرَ كُلَّهُمْ لِقِتَالِ أَهْلِ الْخَوْفِ. فَلَمَّا اتَّفَقُوا، انْهَزَمَ عَنْهُ أَهْلُ مِصْرَ بِأَجْمَعِهِمْ وَأَسْلَمُوهُ، فَقُتِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكَلِّمَ^(e) أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ لَسَبِخِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ، فَكَانَتْ وَلايَتُهُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ^٦.

(a) بولاق : أبو قطيفة . (b) بولاق : شدد . (c) بولاق : يقبل . (d) بولاق : خراجا . (e) بولاق : يتكلم .

^١ الكندي : ولادة مصر ١٤٥ . ^٢ نفسه ١٤٦ . وهبها عند خروجه لآل عبد الرحمن بن عبد الجبار .

^٣ نفسه ١٤٧ وفيه : « واجتى إبراهيم بن صالح داره » نفسه ١٤٧ . ^٤ نفسه ١٤٨ .

العظمى المعروفة اليوم بدار عبد العزيز التي في الموقف ، ثم ^٥ نفسه ١٤٩ ، ١٥٠ . ^٦ نفسه ١٤٩ ، ١٥٠ .

وكان ظالماً غاشماً، سَمِعَهُ اللَّيْثُ بن سَعْدٍ يَقْرَأُ فِي خُطْبَتِهِ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الآية ٢٩ سورة الكهف]، فَقَالَ اللَّيْثُ: اللَّهُمَّ لَا تَقِهْ مِنْهَا^١.

ثُمَّ وَلِيَ عَشَامَةَ بن عَمْرٍو بِاسْتِخْلَافِ مُوسَى بن مُضْعَبٍ، وَبَعَثَ إِلَى دِخْيَةَ جَيْشًا مَعَ أَخِيهِ بَكَّارِ بن عَمْرٍو، فَحَارَبَ يُوسُفُ بن نَصْبِيرٍ وَهُوَ عَلَى جَيْشٍ دِخْيَةَ، فَتَقَاعَتَا، وَوَضَعَ يُوسُفُ الرُّمَحَ فِي خَاصِرَةِ بَكَّارٍ، وَوَضَعَ بَكَّارُ الرُّمَحَ فِي خَاصِرَةِ يُوسُفَ، فَقَتِلَا مَقَا، وَرَجَعَ الْجَيْشَانِ مُنْهَزِمَيْنِ وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ^٢.

وَصُرِفَ عَشَامَةُ، لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، بِكِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ بن صَالِحٍ بِأَنَّهُ وَلِيَ مِصْرَ وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ، فَخَلَعَهُ إِلَى سَلْخِ الْحَرَمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ^٣.

ثُمَّ قَدِمَ الْفَضْلُ بن صَالِحٍ بن عَلِيٍّ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ، سَلْخِ الْحَرَمِ الْمَذْكُورِ، فِي مَجْيُوشِ الشَّامِ. وَمَاتَ الْمَهْدِيُّ فِي الْحَرَمِ هَذَا، وَبُويعَ مُوسَى الْهَادِي، فَأَقْرَ الْفَضْلُ^٤.

وَقَدِمَ وَمِصْرَ تَضَطَّرِمٌ^٥ مِنْ أَهْلِ الْحَوْفِ وَمِنْ خُرُوجِ دِخْيَةَ، فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا قَدْ كَاتَبُوهُ وَدَعَوْهُ، فَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ حَتَّى هَزَمَ دِخْيَةَ وَأَسِيرَ وَسِيقَ إِلَى الْفُسْطَاطِ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَصُلِبَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِينَ. فَكَانَ الْفَضْلُ يَقُولُ: أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِوِلَايَةِ مِصْرَ، لِقِيَامِي فِي أَمْرِ دِخْيَةَ وَقَدْ عَجَزَ عَنْهُ غَيْرِي، فَغَزَلَ وَنَدِمَ عَلَى قَتْلِ دِخْيَةَ.

وَالْفَضْلُ هُوَ الَّذِي بَنَى الْجَامِعَ بِالْعَشْكَرِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ، فَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ^٦.

ثُمَّ وَلِيَ عَلِيٌّ بن سُلَيْمَانَ بن عَلِيٍّ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ، مِنْ قِبَلِ الْهَادِي، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخُرَاجِ، فَدَخَلَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ. وَمَاتَ الْهَادِي لِلنَّصَفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَبُويعَ هَارُونَ بن مُحَمَّدٍ الرَّشِيدُ، فَأَقْرَ عَلِيٌّ بن سُلَيْمَانَ. وَأَظْهَرَ فِي وِلَايَتِهِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَتَعَ الْمَلَاحِي وَالْحُمُورَ، وَهَدَمَ الْكِنَائِسَ الْمُتَحَدِّثَةَ بِمِصْرَ، وَبَدَّلَ لَهُ فِي تَرْكِهَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ فَامْتَنَعَ^٧.

(a) الشَّيْخُ وَبُولَاقُ: لَا تَمُتْنَا، وَالصُّوْبُ مِنَ الْكُنْدِيِّ. (b) بُولَاقُ: وَقَدِمَ مِصْرَ بِضَطْرَبٍ.

^١ الْكُنْدِيُّ: وِلَاةُ مِصْرَ ١٥١.

^٢ نَفْسُهُ ١٥١. ^٣ نَفْسُهُ ١٥١-١٥٢.

^٤ نَفْسُهُ ١٥٢. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ ٦١:٢).

^٥ نَفْسُهُ ٢: ٢٦٤.

^٦ أَيْ اِمْتَنَعَ عَنْ أَخْذِ الدَّنَائِرِ وَأَصْرَ عَلَى هَدْمِ الْكِنَائِسِ

وكان كثير الصدقة في الليل، وأظهر أنه تصلح له الخلافة وطبع فيها، فسخط عليه هازون الرشيد، وعزله لأربع بقين من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائة^١.

ثم ولي موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، من قبل الرشيد، على الصلاة. فأذن للنصارى في بئان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان، فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة^٢. ثم صرف لأربع عشرة خلعت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة، فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفًا^٣.

ثم ولي مسلمة بن يحيى بن قرة بن غنيد الله البجلي من أهل مجرجان^٤، من قبل الرشيد، على الصلاة، ثم صرف في شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليتها أحد عشر شهرًا^٥.

ثم ولي محمد بن زهير الأزد على الصلاة والخراج لحبس خلون من شعبان، فبادر الجند لغمر بن غيلان صاحب الخراج، فلم يدفع عنه، فصرف بعد خمسة أشهر في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة^٦.

فولي داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، وقدم هو وإبراهيم بن صالح بن علي، فولي داود الصلاة، وبقي إبراهيم لإخراج الجند الذين ثاروا من مصر. فدخل لأربع عشرة خلعت من المحرم سنة أربع وسبعين ومائة، فأخرجت الجند القديدة إلى المشرق والمغرب في عالم كثير، فساروا في البحر فأسرتهم الروم. وصرِفَ لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين، فكانت ولايته سنة ونصف شهر^٧.

ثم ولي موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، على الصلاة والخراج، من قبل الرشيد. فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين، وصرِفَ لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة، فولي سنة واحدة^٨.

^١ الكندي: ولاية مصر ١٥٤، ١٥٥. نفسه ١٥٧، وفيه أن الجند الثائرين يطلق عليهم

«القديدة».

^٢ انظر أبا الحسن: النجوم الزاهرة ٢: ٦٦.

^٣ نفسه ١٥٧-١٥٨.

^٤ الكندي: ولاية مصر ١٥٥-١٥٦.

^٥ في النجوم الزاهرة ٢: ٧١، أصله من أهل خراسان. نفسه ١٥٨-١٥٩، وفي النجوم الزاهرة ٢: ٨٠، إلا أنها قليلة وأن سبب عزله أنه هتم بالخروج على

الرشيد.

^٦ الكندي: ولاية مصر ١٥٦.

ثم ولي إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيا من قتل الرشيد ، فكتب إلى عثمارة بن عمرو فاستخلفه . ثم قديم نصر بن كئثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الأول . وتوفي عثمارة لسبع بقين من ربيع الآخر ، فقديم رزح بن رزح بن زبناح خليفة لإبراهيم على الصلاة والخراج . ثم قديم إبراهيم للنصف من جمادى الأولى ، وتوفي وهو والي لثلاث خلون من شعبان . فكان مفاته بمصر شهرين / وثمانية عشر يوما . وقام بالأمر بعده ابنه صالح بن إبراهيم ، مع صاحب شوطيه خالد بن يزيد ^١ .

ثم ولي عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمرو الضبي ، من قتل الرشيد ، على الصلاة لإحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة ، وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة ^٢ .

فولي إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قتل الرشيد ، على الصلاة والخراج مستهل رجب . فكشف أمر الخراج ، وزاد على المزارعين زيادة أجمعت بهم . فخرج عليه أهل الخوف ، فحاربهم فقتل كثير من أصحابه . فكتب إلى الرشيد بذلك ، فعقد لهزيمة بن أعين في جيش عظيم وبعت به ، فنزل الخوف ، فلقاه أهله بالطاعة وأدعوا ، فقبل منهم واستخرج الخراج كله . فكان صرف إسحاق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة ^٣ .

فولي هزيمة بن أعين من قتل الرشيد ، على الصلاة والخراج لليلتين خلتا من شعبان ، ثم سار إلى إفريقية لثنتي عشرة خلّت من شوال ، فأقام بمصر شهرين ونصفا ^٤ .

ثم ولي عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قتل الرشيد ، على الصلاة والخراج . فلم يدخل مصر ، واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي ، وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة ^٥ .

فولي عبيد الله بن المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس ، من قتل الرشيد ، على الصلاة والخراج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خلّت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة ، فاستخلف ابن المسيب ، ثم قديم لإحدى عشرة خلّت من ربيع الأول ، وصرف في شهر رمضان ، فولي تسعة أشهر ، وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال ^٦ .

^١ الكندي : ولاية مصر ١٥٩ - ١٦٠ . ^٢ نفسه ١٦٠ . ^٣ نفسه ١٦٠ - ١٦١ . ^٤ نفسه ١٦١ .
^٥ نفسه ١٦٢ . ^٦ نفسه ١٦٢ .

فَاعَادَ الرَّشِيدُ مُوسَى بْنَ عِيسَى وَوَلَّاهُ مَرَّةً ثَلَاثَةً عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدِمَ ابْنُهُ يَحْيَى بْنُ مُوسَى خَلِيفَةً لَهُ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، ثُمَّ قَدِمَ آخِرَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَصُرِفَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ^١ .

فَوَلَّى الرَّشِيدُ عُيَيْنَةَ اللَّهِ بْنِ الْمُهْدِيِّ ثَانِيًا عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدِمَ دَاوُدُ بْنُ حَبَّاشٍ خَلِيفَةً لَهُ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَصُرِفَ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ^٢ .

فَوَلَّى إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الصَّلَاةِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَاسْتَخْلَفَ عَزَّ بْنُ وَهْبٍ الْخَزَاعِيَّ ، ثُمَّ قَدِمَ لْخَمْسِ بَقِيَّةٍ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ عُفَيْرٍ : مَا رَأَيْتُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ أُخْطِبَ مِنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ صَالِحٍ . ثُمَّ صُرِفَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ^٣ .

فَوَلَّى إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، مِنْ قِبَلِ الرَّشِيدِ ، عَلَى الصَّلَاةِ . فَقَدِمَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ بَقِيَّةٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَصُرِفَ فِي رَمَضَانَ^٤ . فَوَلَّى اللَّيْثُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَيُّوُّودِيَّ ، مِنْ أَهْلِ أَيُّوُّودٍ^٥ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَزَاجِ ، وَقَدِمَ لْخَمْسِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّشِيدِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ^٦ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ بِالْمَالِ وَالْهَدَايَا ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ عَلِيَّ بْنَ الْفَضْلِ^٧ ، ثُمَّ عَادَ فِي آخِرِ السَّنَةِ . وَخَرَجَ ثَانِيًا بِالْمَالِ لَتِسْعِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسِ وَثَمَانِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ، وَقَدِمَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ . فَكَانَ كُلُّمَا أَغْلِقَ^٨ خَزَاجَ سَنَةٍ ، وَفَرَّغَ مِنْ جِسَابِهَا ، خَرَجَ بِالْمَالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ الْحِسَابُ^٩ .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْخَوْفِ ، وَسَارُوا إِلَى الْقُشَطَاطِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيًا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رَبَاحٍ عَلَى الْجُنْدِ^{١٠} .

(a) النسخ وبولاق : البهزدي ... يورد والصواب ما أثبتته فاسم البلد أيوود . (b) بولاق : بقين ، والخطب من الأصل والكندي . (c) الأصل وبولاق : الفضل بن علي . (d) بولاق : غلق .

^١ الكندي : ولاية مصر ١٦٣ . ^٢ نفسه ١٦٣ . ^٣ نفسه ١٦٤ . ^٤ نفسه ١٦٤-١٦٥ . ^٥ نفسه ١٦٦-١٦٥ .

والخراج . فواقع أهل الخوف ، وانهمزم عنه الجند فبقي في نحو المائتين ، فحمل بهم وهزم القوم من أرض الحب إلى غيغا^١ ، وبثت إلى القسطنطينية بثمانين رأساً وقدم . فرجع أهل الخوف ، ومنعوا الخراج . فخرج ليث إلى الرشيد ، وسأله أن يثبث معه بالجيوش ، فإنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الأخواف إلا بجيش^٢ .

٥ فزعم مخفوظ بن سليمان أنه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا . فولاه الرشيد الخراج ، وصرف ليثا عن الصلاة والخراج ، وبثت أحمد بن إسحاق على الصلاة مع مخفوظ . وكانت ولاية ليث أربع سنين وسبعة أشهر^٣ .

١٠ فولى أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلاة والخراج . وقدم لحسن بنين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ، ثم صرف لثمان عشرة خلعت من شعبان سنة تسع وثمانين ، فولى ستين شهراً ونصفاً^٤ .

ثم ولي عبد الله^٥ بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلاة ، واشتد خلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمي ، ثم قدم للنصف من شوال . وصرف لإحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج ، واشتد خلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج^٦ .

١٥ فولى الحسين بن جميل ، من قبل الرشيد ، على الصلاة ، وقدم لعشر خلون من رمضان ، ثم جمع له الخراج مع الصلاة في رجب سنة إحدى وتسعين^٧ .

وخرج أهل الخوف ، وامتنعوا من أداء الخراج . وخرج أبو النداء بأيلة في نحو ألف رجل ، فقطع الطريق بأيلة وشقيب ومدن ، وأغار على بعض قرى الشام ، وصوى إليه من مجذام جماعة ، فبلغ من النهب والقتل مبلغاً عظيماً .

٢٠ فبث الرشيد من بغداد جيشاً لذلك ، وبث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير ابن ضائي الجزوي في عسكر . فالتقى العسكران بأيلة ، فظفر عبد العزيز بأبي النداء . وسار

(a) الأصل وبولاق : غيغا . (b) بولاق : عبيد الله .

^١ الكلبي : ولاية مصر ١٦٦ . ^٢ نفسه ١٦٧ . ^٣ نفسه ١٦٧ . ^٤ نفسه ١٦٨ . ^٥ نفسه ١٦٨ - ١٦٩ .

جَيْشُ الرُّشَيْدِ إِلَى بَلْبَيْسٍ فِي شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، فَأَذْعَرَ أَهْلَ الْخَوْفِ بِالْخَرَّاجِ. وَصُرِفَ ابْنُ جَمِيلٍ لِنَتْنِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَيْعِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ^١.

فَوَلَّى مَالِكُ بْنُ دَلْهَمٍ بْنُ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيُّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَّاجِ، وَقَدِمَ لِسَبْعِ بَقِينَ مِنْ رَيْعِ الْآخِرِ^٢. وَفَرَّغَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ أَمِيرُ جَيْشِ الرُّشَيْدِ مِنْ أَمْرِ الْخَوْفِ، وَقَدِمَ الْقُسْطَاطُ لَعَشْرِ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْأَخْوَافِ: «أَنْ أَقْدَمُوا حَتَّى أَوْصِي بِكُمْ مَالِكُ بْنُ دَلْهَمٍ». فَدَخَلَ الرُّؤَسَاءُ مِنَ الْبِمَايَةِ وَالْقَيْسِيَّةِ، فَأَخِذَتْ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابُ وَقُيِّدُوا، وَسَارَ بِهِمْ لِلنَّصَفِ مِنْ رَجَبٍ^٣.

وَصُرِفَ مَالِكُ لِأَرْبَعِ خَلَّتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ^٤.

فَوَلَّى الْحَسَنُ بْنُ التُّخْتَاخِ^(أ) بَنَ الْبَيْحُتْكَانِ^(ب) عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَّاجِ، فَاسْتَخْلَفَ الْعَلَاءُ بْنُ عَاصِمِ الْخَوْلَانِي، وَقَدِمَ لثَلَاثِ خَلَّوْنَ مِنْ رَيْعِ الْأَوَّلِ.

وَمَاتَ الرُّشَيْدُ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ، فَتَارَ الْجُنْدُ بِمِصْرَ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ قُتِلَ فِيهَا عِدَّةٌ. وَسَيَّرَ الْحَسَنُ مَالَ مِصْرَ، فَوَقَّبَ أَهْلَ الرُّومَةِ وَأَخَذُوهُ^٥.

وَبَلَغَ الْحَسَنُ عَزْلَهُ، فَسَارَ مِنْ طَرِيقِ الْحِجَازِ لِقِسَادِ طَرِيقِ الشَّامِ لثَمَانِ بَقِينَ مِنْ رَيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَزْفُ بْنُ وَهْبٍ عَلَى الصَّلَاةِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ طَبِيقِ الْقَيْسِي عَلَى الْخَرَّاجِ^٦.

فَوَلَّى حَاتِمُ بْنُ هَرْثَمَةَ بْنُ أَعْيَنَ، مِنْ قِبَلِ الْأَمِينِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَّاجِ. وَقَدِمَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْأَنْبَاءِ فَتَزَلَ بِلْبَيْسٍ، فَصَالَحَهُ أَهْلُ الْأَخْوَافِ عَلَى خَرَايجِهِمْ.

وَتَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ نَسَوِ وَنَمِي وَعَشْكُرُوا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا فَأَنْهَزَمُوا، وَدَخَلَ حَاتِمُ إِلَى الْقُسْطَاطِ وَمَعَهُ نَحْوُ مِائَةِ مِنَ الرُّهَائِنِ لِأَرْبَعِ خَلَّوْنَ مِنْ شَوَّالِ. وَصُرِفَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ^٧.

(أ) بولاق: التختاخ. (ب) بولاق: البختكان. (ج) بولاق: ثم.

^١ الكندي: ولاية مصر ١٦٩-١٧٠. ^٢ نفسه ١٧١. ^٣ نفسه ١٧٢. ^٤ نفسه ١٧٢. ^٥ نفسه ١٧٢-١٧٣. ^٦ نفسه ١٧٣. ^٧ نفسه ١٧٣-١٧٤.

فولجى جابر بن الأشعث بن يخيى الطائي ، من قِبل الأمين ، على الصلاة والخراج لحقيس بقين من جمادى الآخرة ، وكان لينا . فلما حَدَّثَتْ فِتْنَةُ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، قام السري بن الحكم غَضَبًا للمأمون ، ودعا الناس إلى خلع الأمين ، فأجابوه وبايعوا المأمون لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وأخرجوا جابر بن الأشعث ، وكانت ولايته سنة ١ .

فولجى عباد بن محمد بن حيان أبو نصر ، من قِبل المأمون ، على الصلاة والخراج لثمان خلون من رجب ، بكتاب هرثمة بن أعين - وكان وكيله على ضياعه بمصر - في الثامن من رجب سنة ست وتسعين .

فبلغ الأمين ما كان بمصر ، فكتب إلى ربيعة بن قيس بن الزبير الجُرشي - رئيس قيس الحوف - بولاية مصر ، وكتب إلى جماعة بمعاونته ، فقاموا ببيعة الأمين ، وخلعوا المأمون ، وساروا لمحاربة أهل القسطنطية فخذق عباد .

وكانت محروب ، فقتل الأمين . وصرف عباد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة ، فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر ٢ .

فولجى المطلب بن عبد الله بن مالك الخراعي ، من قِبل المأمون ، على الصلاة والخراج . فدخل من مكة للنصف من ربيع الأول ، فكانت في أيامه محروب ، وصرف في شوال بعد سبعة أشهر ٣ .

فولجى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قِبل المأمون ، على الصلاة والخراج ، فقدم ابنه عبد الله ، ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الأنصاري ، في آخر شوال فسجن المطلب ٤ .

فثار الجند مراز ، فمتهم الأنصاري أعطياتهم وتهذدهم ، وتعامل على الرعية وعسفها وتهذد الجميع ، فثاروا وأخرجوا المطلب من الحبس ، وأقاموه لأربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة .

(a) النجوم الزاهرة : وهيب .

٣ نفسه ١٧٨ ، ١٧٩ .

١ الكندي : ولاية مصر ١٧٤ ، ١٧٥ .

٤ نفسه ١٧٩ - ١٨٠ .

٢ نفسه ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ وانظر فيما تقدم ١ : ٤٨١ .

وَأَقْبَلَ الْعَبَّاسُ فَتَزَلَ يَلْبِيسُ، وَدَعَا فَيَسَّأُ إِلَى نُصْرَتِهِ، وَمَضَى إِلَى الْجَزَوِيِّ يَتَيْسُ، ثُمَّ عَادَ فَمَاتَ فِي يَلْبِيسٍ لثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ^١.

وَيُقَالُ إِنَّ الْمُطَّلِبَ دَسَّ إِلَيْهِ شُثًّا فِي طَعَامِهِ فَمَاتَ مِنْهُ. وَكَانَتْ حُرُوبٌ وَفَتْحٌ، فَكَانَتْ وَلَايَةُ الْمُطَّلِبِ هَذِهِ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ^٢.

- ثُمَّ وَلِيَ الشَّرِيفُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ يُوسُفَ - مِنْ قَوْمِ الرُّطِّ وَمِنْ أَهْلِ بَلْخَ - بِاجْتِمَاعِ الْجُنْدِ عَلَيْهِ عِنْدَ قِيَامِهِ عَلَى الْمُطَّلِبِ فِي مَسْتَهْلَ رَمَضَانَ سَنَةِ مائَتَيْنِ^٣.

ثُمَّ وَلِيَ مُلْكِيمَانُ بْنُ غَالِبِ بْنِ جَبْرِيلَ الْبَجَلِيِّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَرَّاجِ، بِمُبَايَعَةِ الْجُنْدِ لَهُ، لِأَرْبَعِ خَلَائِفٍ مِنْ ربيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ، فَكَانَتْ حُرُوبٌ. ثُمَّ صَرِفَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ^٤.

- ١٠ وَأُعِيدَ الشَّرِيفُ بْنُ الْحَكَمِ ثَانِيًا، مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَرَّاجِ. فَذُمَّتْ وَلَايَتُهُ، وَأُخْرِجَ الْجُنْدُ مِنَ الْحَبْسِ لثَمَنِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ، وَتَبَيَّعَ مِنْ حَارِثِهِ وَقَوِيَ أَمْرُهُ، وَمَاتَ وَهُوَ وَالِدٌ لَا يَسْلَخُ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا^٥.

- فَوَلِيَ ابْنَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّرِيفِ أَبُو نُصْرٍ، أَوَّلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَرَّاجِ، وَكَانَ الْجَزَوِيُّ قَدْ غَلَبَ عَلَى أَشْغَلِ الْأَرْضِ/، فَجَزَّتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ. ثُمَّ مَاتَ لثَمَانِ خَلَائِفٍ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ. وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهْرًا^٦.

ثُمَّ وَلِيَ عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ الشَّرِيفِ بْنِ الْحَكَمِ، بِمُبَايَعَةِ الْجُنْدِ، لِتِسْعِ خَلَائِفٍ مِنْ شَعْبَانَ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَرَّاجِ. فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَزَوِيِّ حُرُوبٌ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ، وَأَذْعَنَ لَهُ عُثَيْدُ اللَّهِ فِي آخِرِ صَفَرٍ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ^٧.

- ٢٠ فَوَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ، مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَرَّاجِ. فَتَخَلَّيَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلْيَلْبِيسِ خَلَّتَا مِنْ ربيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَأَقَامَ فِي مُعَشَكَرِهِ حَتَّى خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الشَّرِيفِ إِلَى بَغْدَادَ لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى^٨.

^١ الكندي: ولاية مصر ١٨٠. ^٢ نفسه ١٨١. ^٣ نفسه ١٨٦. ^٤ نفسه ١٩٠، ١٩١.

^٥ نفسه ١٩١، ١٩٦. ^٦ نفسه ١٩٦، ١٩٨. ^٧ نفسه ١٩٨، وفيما تقدم ٤٨٣:١. ^٨ نفسه ٢٠٦.

ثم سار إلى الإسكندرية مستهلاً صَفَر سنة اثنتي عشرة ، واشتخلف عيسى بن يزيد الجلودى ،
فخضرها بضع عشرة ليلة ، ورجع في جمادى الآخرة ، وأمر بالزيادة في الجامع العتيق فريد فيه مثله ^١ .
وركب الثيل متوجّهاً إلى العراق الخمس بقين من رجب ، وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر
شهراً وعشرة أيام ^٢ .

ثم ولي عيسى بن يزيد الجلودى ، باشتخلاف ابن طاهر ، على صلاحيها إلى سابع عشر ذي
القعدة سنة ثلاث عشرة ، فصرف ابن طاهر . وولي الأمير أبو إسحاق بن هارون الرشيد مصر ،
فأقر عيسى على الصلاة فقط ، وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد ، فظلم الناس وزاد عليهم في
خراجهم . فانتفض أهل أشقل الأرض وعشكروا ، فبعث عيسى بابنه محمد في جيش ،
فحاربوه ، فانهزم وقيل أصحابه في صَفَر سنة أربع عشرة ^٣ .

فولي عُمَيْر بن الوليد التميمي ، باشتخلاف أبي إسحاق بن الرشيد ، على الصلاة لسبع
عشرة خلّت من صَفَر ، وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الخوف في ربيع الآخر ،
واشتخلف ابنه محمد بن عُمَيْر . فاشتتلوا ، وكانت بينهم معارك قيل فيها عُمَيْر لست عشرة خلّت
من ربيع الآخر ، فكانت مدة إمرته ستين يوماً ^٤ .

فولي عيسى الجلودى ثانياً لأبي إسحاق على الصلاة ، فحارب أهل الخوف بمئة مَطر ، ثم
انهزم في رجب . وأقبل أبو إسحاق إلى مصر في أربعة آلاف من أتراكه ، فقاتل أهل الخوف في
شعبان ، ودخل إلى مدينة الفسطاط لثمان بقين منه ، وقتل أكابر أهل ^٥ الخوف .
ثم خرج إلى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في أتراكه ، ومعه جموع من الأسارى
في ضُرّ وجه شديد ^٦ .

وولي على مصر عبدةويه بن جبلة من الأبناء على الصلاة ، فخرج ناس بالخوف في شعبان ،
فبعث إليهم وحاربهم حتى ظفّر بهم ^٧ .

(a) ساقطة من بولاق .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٠٧ ، وانظر تفصيل ذلك فيما يلي ٢ : ٢٤٩ . ^٢ نفسه ٢٠٧ - ٢٠٨ . ^٣ نفسه ٢٠٨ .
^٤ نفسه ٢٠٩ ، ٢١٠ . ^٥ نفسه ٢١١ ، ٢١٢ . ^٦ نفسه ٢١٣ . ^٧ نفسه ٢١٣ .

ثُمَّ قَدِمَ الْأَفْشِينَ خَيْدَرًا^(a) بِنِ كَاوَسِ الصُّغْدِيِّ^(b) إِلَى مِصْرَ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْقَزِيزِ الْجَوَوِيِّ لِأَخْذِ مَالِهِ ، فَلَمْ يَذْفَعْ إِلَيْهِ شَيْئًا فَقَتَلَهُ . وَصَرِفَ عَبْدُؤَيْهِ ، وَخَرَجَ إِلَى بَرْقَةِ^(c) .

وَوَلِيَ عَيْسَى بْنُ مَنصُورٍ بِنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى الرَّافِعِيِّ^(d) ، فَوَلَّيَ مِنْ قِبَلِ أَبِي إِسْحَاقَ أَوَّلَ سَنَةِ سِتٍّ عَشْرَةَ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَانْتَقَضَتْ أَسْفَلُ الْأَرْضِ - غَرْبُهَا وَقِبْطُهَا - فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَأَخْرَجُوا الْعُمَالُ لِسُوءِ سَبَرَتِهِمْ ، وَخَلَعُوا الطَّاعَةَ . فَقَدِمَ الْأَفْشِينَ مِنْ بَرْقَةِ لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ هُوَ وَعَيْسَى فِي سُؤَالٍ ، فَأَوْقَعَا بِالْقَوْمِ وَأَسْرَا مِنْهُمْ وَقَتْلًا ، وَمَضَى الْأَفْشِينَ وَرَجَعَ عَيْسَى ، فَسَارَ الْأَفْشِينَ إِلَى الْحَوْفِ وَقَتَلَ جَمَاعَتَهُمْ^(e) .

وَكَانَتْ مُحْرُوبٌ إِلَى أَنْ قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ ، لَعَشْرِ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحْرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَبَّخَ عَلَى عَيْسَى ، وَخَلَّ لِيَوَائِهِ ، فَأَخَذَهُ بِلِيسَ الْبَيْضِ ، وَنَسَبَ الْحَدَّثَ إِلَيْهِ وَإِلَى عُمَالِهِ . وَسَيَّرَ الْجِيُوشَ ، وَأَوْقَعَ بِأَهْلِ الْفَسَادِ ، وَسَبَى الْقِبْطَ وَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ ، ثُمَّ رَحَلَ لثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ بَعْدَ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا^(f) .

وَوَلِيَ كَيْدَرٌ - وَهُوَ نَصْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مَالِكِ الصُّغْدِيِّ^(g) - فَوَرَدَ كِتَابُ الْمَأْمُونِ عَلَيْهِ بِأَخْذِ النَّاسِ بِالْحِجَّةِ^(h) فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ ، وَالْقَاضِي بِمِصْرَ يَوْمئِذٍ هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ ، فَأَجَابَ وَأَجَابَ الشُّهُودَ ، وَمِنْ وَقَفَ مِنْهُمْ سَقَطَتْ شَهَادَتُهُ ، وَأَخَذَ بِهَا الْقَضَاةَ وَالْمُحَدِّثُونَ وَالْمُؤَدِّثُونَ ، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ⁽ⁱ⁾ .

(a) بولاق : حيدر . (b) بولاق : الصغدِي . (c) بولاق : الراضي .

^١ الأفشين خيذر بن كاوس الصغدِي ، قال ابن خلكان : «والأفشين ... بكسر الهمزة وفتحها واسمه خيذر - يفتح الحاء المعجمة وسكون الباء المتنة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء - وإنما قَدِمَتْ لَهُ لأنه يتصغف على كثير من الناس بخيذر ، بالحاء المهملة . (وفيات الأعيان ٥: ١٢٣) .

^٢ الكندي : ولادة مصر ٢١٤ .

^٣ نفسه ٢١٤ - ٢١٥ .

^٤ نفسه ٢١٦ .

^٥ الكندي : ولادة مصر ٢١٧ .

^٥ الميخنة ، هي ميخنة «خلق القرآن» التي تبناها الخليفة

المأْمُونُ الَّذِي كَانَتْ مِيُولُهُ الْفَارِسِيَّةَ سَبَّأَ فِي مَنَاقِشِهِ بِحِمَاسٍ نَظَرِيَّاتِ الْمُعْتَرِضَةِ الدِّينِ أَبَاحُوا حُرِيَّةَ التَّضَكُّرِ ، وَمِنْ بَيْنِهَا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ - وَإِنْ كَانَ وَحْيًا - إِلَّا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ ، وَخَالَفَ بِذَلِكَ مَا كَانَ مُسْتَقَرًّا مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ أَوَّْلِي غَيْرِ مَخْلُوقٍ . وَجَاءَتْ «الْمِيخَنَةُ» نَتِيجَةً لِإِلْزَامِ الْمَأْمُونِ الْعُلَمَاءَ وَجَلَّةَ الْفُقَهَاءِ الْأَخْذَ بِمَذْهَبِهِ . (أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ، القاهرة Hinds, M., *Et art. Mihna* ١٣٩٨ - ٣٩٥: ١ ، ١٩٢٨ (VII, pp. 2-7) .

ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة، وبويع أبو إسحاق المعتصم، فوزد كتابه على كيدر بيته، وأمره بإسقاط من في الديوان من القرب وقطع العطاء عنهم، ففعل ذلك^١.

فخرج يحيى ابن الوزير الجزي في جمع من لحم ومجذام. ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين^٢.

فولي ابنه المظفر بن كيدر، باشتخلاف أبيه، وخرج إلى يحيى بن وزير، وقائله وأسرته في جمادى الآخرة. ثم صرف^٣ مصر إلى أبي جعفر أشناس، فدعي له بها، وصرف مظفر في شعبان^٤.

فولي موسى بن أبي العباس، من قتل أشناس، على الصلاة مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة، وصرف في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين، فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر^٥.

فولي مالك بن كيدر بن عبد الله الصغد^٦، من قتل أشناس، على الصلاة، وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر، وصرف ثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين. فولي سنتين وأحد عشر يوماً، وتوفي لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين^٧.

فولي علي بن يحيى الأزمني، من قتل أشناس، على صلاتها. وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين. ومات المعتصم في ربيع الأول سنة سبع وعشرين، وبويع الواثق بالله، فأقره إلى سابع ذي الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين، فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر^٨.

ثم ولي عيسى بن منصور الثانية، من قتل أشناس، على صلاتها، فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين. ومات أشناس سنة ثلاثين، وجعل مكانه إناخ، فأقر عيسى^٩.

ومات الواثق، وبويع المتوكل، فصرف عيسى للنصف من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وقدم على ابن مهزوبه خليفة هروثة بن النضر. ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر^{١٠}.

(a) بولاق : صرف . (b) بولاق : الصغد .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢١٧ . ^٢ نفسه ٢١٧ ، ٢١٨ . ^٣ نفسه ٢١٨ . ^٤ نفسه ٢١٩ . ^٥ نفسه ٢١٩ - ٢٢٠ . ^٦ نفسه ٢٢٠ . ^٧ نفسه ٢٢١ . ^٨ نفسه ٢٢١ .

فَوْلِي هَرْثَمَةَ بْنِ نَضْرَ الْجَبَلِي، مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ، لِإِيْتَاخٍ عَلَى الصَّلَاةِ. وَقَدِيمٌ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ. فَوَزَدَ كِتَابُ الْمُتَوَكَّلِ بِتَوَكُّلِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ لِحَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ. وَمَاتَ هَرْثَمَةُ وَهُوَ وَالِي، لَسَبْعَ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَاسْتُخْلِفَ ابْنُهُ حَاتِمٌ بْنُ هَرْثَمَةَ^١.

٥ فَوْلِي حَاتِمُ بْنُ هَرْثَمَةَ بْنِ النَّضْرِ بِاسْتِخْلَافِ أَبِيهِ لَهُ، عَلَى الصَّلَاةِ، وَصُرِفَ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ^٢.

فَوْلِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ الثَّانِي، مِنْ قَبْلِ إِيْتَاخٍ عَلَى الصَّلَاةِ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ. وَصُرِفَ إِيْتَاخٌ فِي الْحَرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، وَاسْتُضْفِيَتْ أَمْوَالُهُ بِمِصْرَ، وَتُرِكَ الدُّعَاءُ لَهُ، وَدُعِيَ لِلْمُنْتَصِرِ^٣ مَكَانَهُ، وَصُرِفَ عَلِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ^٤ مِنْهَا^٥.

١٠ فَوْلِي إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ بْنِ مُسْلِمِ الْخَطْلِيِّ^٦، مِنْ قَبْلِ الْمُنْتَصِرِ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ، فَقَدِيمٌ لِأَحَدَى عَشْرَةِ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَوَزَدَ كِتَابُ الْمُتَوَكَّلِ وَالْمُنْتَصِرِ بِإِخْرَاجِ الطَّالِبِينَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَأُخْرِجُوا. وَمَاتَ إِسْحَاقُ بَعْدَ عَزْلِهِ أَوَّلَ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ^٧.

١٥ فَوْلِي خُوَطُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنصُورِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ زُرَيْقٍ، مِنْ قَبْلِ الْمُنْتَصِرِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ. فَقَدِيمٌ لَسَبْعَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ، وَصُرِفَ عَنِ الْخَرَاجِ لَسَبْعَ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، وَأُقِرَّ عَلَى الصَّلَاةِ. ثُمَّ صُرِفَ سَلَخَ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ بِخَلِيفَتِهِ عَنبَسَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالشَّرَكَةِ فِي الْخَرَاجِ مَسْتَهْلٍ رَبِيعِ الْأَوَّلِ^٨.

٢٠ فَوْلِي عَنبَسَةُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ سَمِيرِ بْنِ عَبَّاسِ أَبُو جَابِرٍ، مِنْ قَبْلِ الْمُنْتَصِرِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَشَرِكَا لِأَحْمَدَ بْنِ خَالِدِ الصُّرَيْفِينِي صَاحِبِ الْخَرَاجِ. فَقَدِيمٌ لِحَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ، وَأَخَذَ الْعُمَالُ بَرْدَ الْمَظَالِمِ، وَأَقَامَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَنْصَفَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ مِنَ الْعَدْلِ مَا لَمْ يُسَمَعْ بِمِثْلِهِ فِي زَمَانِهِ. وَكَانَ يَرْجُو مَاشِيًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الْعَشْرِ، وَكَانَ يُنَادِي

(a) أباصرفيا : للمنتصر . (b) الكندي : في ذي القعدة . (c) بولاق : الجبلي .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٢٢ . ^٢ نفسه ٢٢٢ . ^٣ نفسه ٢٢٣ . ^٤ نفسه ٢٢٣ ، ٢٢٤ . ^٥ نفسه

في شهر رمضان: السحور، وكان يؤمى بمذهب الخوارج^١.

وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها، وقتلوا بها جمعًا كثيرًا من الناس، وسبوا النساء والأطفال. فتفر إليهم يؤم الشجر من سنة ثمان وثلاثين في بجيشه وكثير من الناس، فلم يندركهم^٢.

وأفرد بالخراج^٣ مع الصلاة، ثم صُرف عن الخراج أول جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأفرد بالصلاة، ووَزِدَ الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين، فدعا له. وعُتِبَتْ هذا آخر من ولي مصر من العرب، وأخيراً أمير صُلِّي بالناس في المسجد الجامع، وصُرف أول شهر^٤ رجب منها.

فقَدِمَ العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله، بولاية يزيد. وكانت ولاية عُتِبَتْ أربع سنين وأربعة أشهر، وخُرج إلى العراق في رمضان سنة أربع وأربعين^٥.

فولي يزيد بن عبد الله بن دينار أبو خالد من الموالي، ولأه المتصير على الصلاة، فقَدِمَ لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين، فأخرج المؤمنين من مصر وضربهم وطاف بهم، ومنع من اللداء على الجنائز، وضرب فيه، وخُرج إلى دمياط مرابطاً في الحرم سنة خمس وأربعين، ورجع في ربيع الأول، فبلغه نزول الروم الفرما، فرجع إليها فلم يلقهم^٦.

وعطل الزهان، وباع الخيل التي تُتخذ للسلطان، فلم تخر إلى سنة تسع وأربعين. وتبع الروافض، وحملهم إلى العراق، وبني مقياس الثيل في سنة سبع وأربعين^٧. وجزت على العلويين في ولايته شدائد^٨.

ومات المتوكل في سؤال، ويوبع ابنه محمد المتصير، ومات الفتح بن خاقان، فأقر المتصير يزيد على مصر. ثم مات المتصير في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين، ويوبع المستعين، فوزد كتابه بالاشتقاق لفتح كان بالعراق، فاستشقوا لسبع عشرة خلّت من

(a) بولاق: وأضيف له الخراج. (b) ساقطة من بولاق.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٢٦.

^٢ نفسه ٢٢٨-٢٢٩.

^٣ فيما تقدم ٥٨٢:١

^٤ فيما تقدم ١: ١٥٢.

^٥ الكندي: ولاية مصر ٢٢٧-٢٢٨.

^٦ الكندي: ولاية مصر ٢٢٩.

ذِي الْقَعْدَةِ، وَاسْتَشَقَّى أَهْلُ الْآفَاقِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ^١.

وُخِلِقَ الْمُشْتَمَلُونَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَتُوبِعَ الْمُعْتَزُّ، فَخَرَجَ جَائِزٌ بِنَ الْوَلِيدِ بِأَرْضِ
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ حُرُوبٌ ابْتَدَأَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ^٢، فَقَدِمَ مُزَاجِمٌ بِنَ خَاقَانَ مِنَ الْعِرَاقِ
مُعِينًا لِيَزِيدَ فِي جَيْشِ كَثِيفٍ لثَلَاثَ عَشْرَةِ بَقِيَّتِ مِنْ رَجَبٍ، فَوَاقَعَهُمْ حَتَّى ظَفِرَ بِهِمْ^٣. ثُمَّ صَرَفَ
يَزِيدُ، وَكَانَتْ مُدَّتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ^٤.

فَوَلِّيَ مُزَاجِمٌ بِنَ خَاقَانَ بِنَ / عُرْطُوجَ أَبُو الْفَوَارِسِ التَّرْكِي، لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ
ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، عَلَى الصَّلَاةِ مِنْ قِبَلِ الْمُعْتَزِّ. وَخَرَجَ إِلَى الْخَوْفِ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهِ وَعَادَ، ثُمَّ
خَرَجَ إِلَى الْحِمْيَرَةِ، فَسَارَ إِلَى تَرْوُجَةٍ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهَا وَأَسْرَعَ عِدَّةً مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ، وَقَتَلَ كَثِيرًا، وَسَارَ إِلَى
الْقَيْوَمِ فَطَاشَ سَيْفُهُ وَكَثُرَ إِيقَاعُهُ بِسُكَّانِ التَّوَجِي، وَعَادَ^٥.

وَوَلَّى الشَّرِطَةَ أَرْجُوزُ^٦، فَمَنَعَ النَّسَاءَ مِنَ الْحَمَامَاتِ وَالْمَقَايِرِ، وَسَجَنَ الْمُؤَنَّثِينَ وَالتَّوَائِجِ، وَمَنَعَ
مِنَ الْجَهْرِ بِالْبَشْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ بِالْجَامِعِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى
الْجَهْرِ بِهَا فِي الْجَامِعِ مِنْذَ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ مَنَعَ مِنْهَا أَرْجُوزُ^٦. وَأَخَذَ أَهْلُ الْجَامِعِ بِتَمَامِ الصُّنُوفِ،
وَوَكَّلَ بِذَلِكَ رَجُلًا مِنَ الْعَبْجَمِ يَقُومُ بِالسُّوْطِ مِنْ مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْخِلْقِ بِالتَّحَوُّلِ إِلَى
الْقِبْلَةِ قَبْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَمَنَعَ مِنَ الْمَسَائِدِ الَّتِي يُسْتَقْتَدُ إِلَيْهَا، وَمِنَ الْحَضَرِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمَجَالِسِ فِي
الْجَامِعِ. وَأَمَرَ أَنْ تُصَلَّى التَّرَاوِيحُ فِي رَمَضَانَ خَمْسَ تَرَاوِيحٍ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ مِصْرَ يُصَلُّونَهَا سِتًّا إِلَى
شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَمَنَعَ مِنَ التَّثْوِبِ، وَأَمَرَ بِالْأَذَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي مُؤَخَّرِ
الْمَسْجِدِ، وَأَنْ يُغْلَسَ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ. وَنَهَى أَنْ يُشَقُّ ثَوْبٌ عَلَى مَيِّتٍ، أَوْ يُسَوَّدَ رَجُلٌ، أَوْ يُخْلَقَ
شَعْرٌ، أَوْ تَصْبِيحُ امْرَأَةٍ، وَعَاقَبَ فِي ذَلِكَ وَشَدَّدَ فِيهِ.

ثُمَّ مَاتَ مُزَاجِمُ الْخَمْسِ مَضِيٍّ مِنْ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعَ وَخَمْسِينَ^٦.

فَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ أَحْمَدُ بِنَ مُزَاجِمٍ، قَوْلِي بِاسْتِخْلَافِ أَبِيهِ عَلَى الصَّلَاةِ، إِلَى أَنْ مَاتَ لِسَبْعِ
خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ شَهْرَيْنِ وَيَوْمًا^٧. فَاسْتَخْلَفَ أَرْجُوزُ^٨ بِنَ أُولُغَ طَرْخَانَ

(٨) بولاق : أرجور وعند الكندي : أرجور.

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٣٠. ^٢ نفسه ٢٣١. ^٣ نفسه ٢٣٢. ^٤ نفسه ٢٣٤. ^٥ نفسه ٢٣٤، ٢٣٥.

^٦ نفسه ٢٣٦-٢٣٧. ^٧ نفسه ٢٣٧.

التركي على الصلاة، فولّي خمسة أشهر ونصفاً. وخَرَجَ أوّل ذي القعدة بعد أن صُرفَ بأحمد بن طولون في شهر رَمَضَانَ سنة أربع وخمسين ومائتين^١.
 وإليه كان أمرُ البلدِ جميعه من أيام مُزَاجِم، وفي أيام ابنه أحمد أيضاً، والله أعلم.

ذِكْرُ الْقَطَائِعِ وَوَلَاةِ بَنِي طُولُون

٥ أَعْلَمُ أَنَّ «الْقَطَائِعَ» قد زالت آثارها، ولم يبقَ لها رَسْمٌ يُعْرَفُ. وكان مَوْضِعُهَا من قُبَّةِ الهَوَاءِ - التي صَارَ مَكَانُهَا قَلْعَةُ الْجَبَلِ - إلى جامع ابن طولون، وهذا أشبه أن يكون طول القطائع. وأما عَرْضُهَا فإنه من أوّل الرَمِيْلَةِ تحت القلعة إلى المَوْضِعِ الذي يُعْرَفُ اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يُقال له الآن زَيْن العائدين^٢.

وكانت مِسَاحَةُ الْقَطَائِعِ ميلاً في ميل، فَقُبَّةُ الهَوَاءِ كانت في سَطْحِ الجُرُوفِ الذي عليه قَلْعَةُ الْجَبَلِ، وتحت قُبَّةِ الهَوَاءِ قَصْرُ ابن طولون، ومَوْضِعُ هذا القصر المَيْدَانُ السُلْطَانِي تحت القلعة، والرَمِيْلَةُ التي تحت القلعة مكان سوق الخَيْلِ والحَمِيرِ والجمال كانت بُشْتَانًا، ويُجاورها المَيْدَانُ، في المَوْضِعِ الذي يُعْرَفُ اليوم بالقُبَيْبَاتِ، فيصير المَيْدَانُ فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد ابن طولون. وبجِذَاءِ الجامع دَائِرُ الإِمَارَةِ في جِهَتِهِ الْقِبْلِيَّةِ، ولها بابٌ من جِدَارِ الجامع يُخْرِجُ منه إلى المَقْصُورَةِ المحيطة بِمُصَلَّى الأمير إلى جِوَارِ المِحْرَابِ. وهناك أيضاً دَائِرُ الْحُرَمِ.

١٥ وَالْقَطَائِعُ عِدَّةٌ قِطَعٌ تَسْكُنُ فِيهَا عِبِيدُ ابن طولون وعساكره وغلمانه، وكلُّ قِطِيعَةٍ لَطَائِفَةٌ. فيُقَالُ قِطِيعَةُ الشُودَانِ، وقِطِيعَةُ الرُّومِ، وقِطِيعَةُ الْفَرَاشِينَ، ونحو ذلك، فَكَانَتْ كُلُّ قِطِيعَةٍ لِسُكْنَى جَمَاعَةٍ بِمَنْزِلَةِ الْحَارَاتِ التي بِالْقَاهِرَةِ^٣.

وكان ابتداءُ عِمَارَةِ هذه الْقَطَائِعِ وَسَبِّحُهَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَصِمَ بالله، أبا إِسْحَاقَ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ، لَمَّا اخْتَصَّ بِالْأَتْرَاقِ، وَوَضَعَ مِنَ الْقَرْبِ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الدِّيَوَانِ وَأَسْقَطَ أَشْمَاءَهُمْ

phie du Caire : la Kal'at al-Kabch et la Birkat al-Fil, Le Caire 1902; Hassan, Z.M., Les Tulumides, pp. 288-92 زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في

مصر، القاهرة ١٩٣٧: فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، القاهرة ١٩٧٠: Fu'ad Sayyid, A., La Capitale de l'Égypte, pp. 34-36.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٣٨.

^٢ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤.

^٣ نفسه ٣: ١٥: ابن دقماق: الانتصار ١٢١: ٤-

١٢٢ وعن تاريخ مدينة القطائع، العاصمة الإسلامية الثالثة في مصر، انظر Salmon, G., Étude sur la topogra-

وَمَنْعَهُمُ الْعَطَاءَ، وَجَعَلَ الْأَثْرَاقَ أَنْصَارَ دَوْلَتِهِ وَأَعْلَامَ دَعْوَتِهِ؛ كَانَ مَنْ عَظُمَتْ عِنْدَهُ مَنَزَلَتُهُ، قَلَّدَهُ الْأَعْمَالُ الْجَائِلَةَ الْخَارِجَةَ عَنِ الْحَضَرَةِ، فَيَسْتَخْلِفُ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ الَّذِي تَقْلُدُهُ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ مَالَهُ، وَيُدْعَى لَهُ عَلَى مَنَابِرِهِ كَمَا يُدْعَى لِلْخَلِيفَةِ. وَكَانَتْ مِصْرُ عِنْدَهُمْ بِهَذِهِ السَّبِيلِ. وَقَصَدَ الْمُقْتَصِمُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ بِذَلِكَ الْعَمَلِ مَعَ الْأَثْرَاقِ، مُحَاكَاتًا مَا فَعَلَهُ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ، وَالْمَأْمُونُ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ؛ فَقَعَلَ الْمُقْتَصِمُ مِثْلَ ذَلِكَ بِالْأَثْرَاقِ، فَقَلَّدَ أَشْنَاسَ، وَقَلَّدَ الْوَائِقَ لِمَتَاخٍ، وَقَلَّدَ الْمُتَوَكِّلَ بُغَا^(a) وَوَصِيفَ، وَقَلَّدَ الْمُهْتَدِي يَارْجُوخ^(b)، وَغَيْرَ مَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَعْمَالِ الْأَقَالِيمِ مَا قَدْ تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ التَّارِيخِ^١.

فَقَلَّدَ بِأَكْبَاشِكِ مِصْرَ، وَطَلَّبَ مِنْ يَخْلُفُهُ عَلَيْهَا؛ وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ قَدْ مَاتَ أَبُوهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ، وَلِأَحْمَدَ عَشْرُونَ سَنَةً مِنْذُ وُلِدَ مِنْ جَارِيَةٍ كَانَتْ تُدْعَى قَاسِمَ، وَكَانَ مَوْلَاهُ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَمِائَتِينَ، وَوُلِدَتْ أَيْضًا أَخَاهُ مُوسَى وَخَبِيثِيَّةَ وَشُمَانَةَ.

وَكَانَ طُولُونُ مِنَ الطُّغُرْغُزِ^٢ مِمَّا حَمَلَهُ نُوحُ بْنُ أَسَدٍ عَامِلُ بُخَارَى إِلَى الْمَأْمُونِ - فِيمَا كَانَ مُوَظَّفًا عَلَيْهِ - مِنَ الْمَالِ وَالزَّوْقِ وَالْبِرَازِينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ مِائَتِينَ^٣.

فَنَشَأَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ نَشَأً جَمِيلًا غَيْرَ نَشْءِ أَوْلَادِ الْعَبْجَمِ، فَوُصِفَ بِمُلُوكِ الْهَيْعَةِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ، وَالذُّهَابِ بِنَفْسِهِ عَمَّا كَانَ يَرَامَى إِلَيْهِ أَهْلُ طَبَقَتِهِ، وَطَلَّبَ الْحَدِيثَ، وَأَحَبَّ الْعَزْوَ، وَخَرَجَ إِلَى طَرَشُوسَ/ مَرَاتٍ، وَلَقِيَ الْمُحَدِّثِينَ وَسَمِعَ مِنْهُمْ وَكَتَبَ الْعِلْمَ، وَصَحِبَ الزُّهَادَ وَأَهْلَ الْوَزَعِ فَتَأَدَّبَ بِأَدَابِهِمْ.

وظَهَرَ فَضْلُهُ، فَاشْتَهَرَ عِنْدَ الْأَوْلِيَاءِ، وَتَمَيَّزَ عَلَى الْأَثْرَاقِ، وَصَارَ فِي عِدَادِ مَنْ يُوثَقُ بِهِ، وَيُؤْتَمَنُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَشْرَارِ فَرَزَّوَجَهُ يَارْجُوخ^(b) ابْنَتَهُ، وَهِيَ أُمُّ ابْنِ الْقَبَّاسِ وَابْنَتُهُ فَاطِمَةُ. ثُمَّ إِنَّهُ سَأَلَ

(a) بولاق : نقا . (b) بولاق : ماجور .

^٢ الطُّغُرْغُزُ. مصطلح استخدمه المؤرخون المسلمون للتدليل على جنس الأوغور حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (انظر المسعودي: التنبيه والإشراف ٨٣؛ Golden, P.B., *El² art. Toghuuzghuz* (X), pp. 596-98).

^٣ نقلًا عن ابن الداية مصدر ابن سعيد: المغرب (قسم مصر ١٧٣؛ أبو المحاسن: النجوم ٣: ٣).

^١ هذا نوع من الإقطاع الإداري يعود إلى الفترة التي استولى فيها الأتراك على السلطة في سامراء، وبلغ هذا الإقطاع الإداري ذروته في عهدي المعتمد والموفق طليحة، وقد أتاح هذا النظام للوالي أن يستغل حائد ولايته لدفع مرائب رجاله في مقابل مبلغ متفق عليه يدفع مقدمًا إلى بيت المال المركزي (Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, p. 35).

الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر، فأجابته، وخرج إلى طرسوس فأقام بها، وشق على أمه مفارقتها، فكاتبته بما أفلقه.

فلما قتل الناس إلى سر من رأى، سار معهم^(٨) إلى لقاء أمه، وكان في القافلة نحو خمس مائة رجل، والخليفة إذ ذاك المستعين بالله أحمد بن المعتصم، وكان قد أتقذ خادما إلى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسة، فلما عاد بها - وهي قر بغل - إلى طرسوس، خرج مع القافلة. وكان من رسم المرأة أن يسيرا معتزقين، فطرق الأعراب بعض سوادهم، وجاء الصائح، فبدر أحمد بن طولون لقتالهم وتبعوه، فوضع الشيف في الأعراب، ورعى بنفسه فيهم حتى اشتتقذ منهم جميع ما أخذوه وقروا منه. وكان من مجئ ما اشتتقذ من الأعراب البغل المحمل بتناع الخليفة، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم، وكثير في أغشين القافلة.

فلما وصلوا إلى العراق، وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به، وعرفه الخادم خروج الأعراب وأخذهم البغل بما عليه، وما كان من صنع أحمد بن طولون، فأمر له بألف دينار، وسلم عليه مع الخادم، وأمره أن يعرفه به إذا دخل مع المسلمين، ففعل ذلك. وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله، ووجهه جارية اسمها مياس اشتولدها ابنه خمارويه في النصف من الحرم سنة خمسين ومائتين.

فلما خلع المستعين، وبويع المعتز، أخرج بالمستعين إلى واسط، واختار الأتراك أحمد بن طولون أن يكون معه، فسلم إليه ومضى به، فأحسن عشرته، وأطلق له التزهر والصيد، وخشي أن يلحقه منه اخيشام، فآلزمه كاتبه أحمد بن محمد الواسطي، وهو إذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضِر النادرة، فأنس به المستعين.

ثم إن قبيحة^(٩) أم المعتز كتبت إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط، فامتنع من ذلك، وكتب إلى الأتراك يحيرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة. فزاد محله عند الأتراك بذلك، ووجهوا سعيدا الحاجب، وكتبوا إلى ابن طولون بتسليم المستعين له، فتسلّمه منه وقتله، وواراه ابن طولون، وعاد إلى سر من رأى، وقد ثقلد بالحباك مصر وطلب من يوجهه إليها، فذكر له أحمد بن طولون، فقلّده خلائقه، وصم إليه بجيشا.

وسار إلى مصر، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين، متقلدا للقصبة دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها كالإسكندرية ونحوها. ودخل معه أحمد

(٨) أباصوفيا: وكتبته بما فعل الناس إلى سر من رأى سار معهم. (ب) بولاق: قبيحة.

ابن محمد الواسطي . وجلس الناس لرؤيته ، فسأل بعضهم غلام أبي قبيل صاحب الملاجم - وكان مكفوماً - عما يجده في كتبهم . فقال : هذا رجلٌ نجد صِفَتَه كذا وكذا ، وأنه يتقَلَّد الملك هو وولده قريباً من أربعين سنة . فما تمَّ كلامه حتى أقبِلَ أحمد بن طولون ، وإذا هو على الثقت الذي قال .

[الدَوَلَةُ الطُولُونِيَّةُ]^١

ولما تسَلَّم أحمد بن طولون مصر ، كان على الخراج أحمد بن محمد بن المذَّبر - وهو من ذُهاة الناس وشياطين الكتاب - فأهْدَى إلى أحمد بن طولون مَدَايا قيمتها عشرة آلاف دينار ، بعد ما خَرَجَ إلى لقائه هو وشُقَّير الخادم ، غلام قبيحة^٢ أُمُّ الْمُعْتَز ، وهو يتقَلَّد البريد . فرأى ابن طولون بين يدي ابن المذَّبر مائة غلام من القور ، قد اتَّخَذَتْهُمْ وَصِيْرَهُمْ عُدَّةً وجمالاً ، وكان لهم خَلْقٌ حسن وطولُ أجسام وبأسٌ شديد ، وعليهم أَقْبِيَّةٌ ومناطق يقال عِراض ، وبأيديهم مقارِع غِلاظ على طَرَفٍ كُلٌّ مِقْرَعَةٌ مِقْمَعَةٌ مِنْ فِصَّةٍ ، وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مَجْلِسِهِ إذا جَلَسَ ، فإذا رَكِبَ رَكَبُوا بين يديه ، فيصير له بهم هَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ في صُدُورِ النَّاسِ .

فلَمَّا بَعَثَ ابن المذَّبر بهديته إلى ابن طولون رَدَّهَا عليه ، فقال ابن المذَّبر : إنَّ هذه لِهَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ ، من كانت هذه هَيْبَتُهُ لَا يُؤْمَنُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْأَطْرَافِ . فخافه وَكَرِهَ مُقَامَتَهُ بِمِصْرَ مَعَهُ ، وسَارَ إِلَى شُقَّيرِ الْخَادِمِ صَاحِبِ الْبَرِيدِ ، وَاتَّفَقَا عَلَى مُكَاتَبَةِ الْخَلِيفَةِ بِإِزَالَةِ ابْنِ طُولُونَ .

(a) بولاق : فبيحة .

^١ عن تاريخ الدولة الطولونية ، وهي أوَّلُ الدُولِ الْمُسْتَقْلَةِ

في مصر الإسلامية ، راجع ، إضافة إلى كتابي «سيرة أحمد ابن طولون» لِلْبُيُوتِيِّ و«المُكْرَبُ فِي حُلِيِّ الْمُكْرَبِ» (تسم مصر) لِابْنِ سَعِيدِ الْخُرَيْمِيِّ ، ابن ظافر الأُرْدِيِّ : أخبار الدُولِ الْمُتَقَطِّعَةِ ، نشرة علي محمد عمر ، ٦٥-٧٢ ، النُورِيّ : نهاية الأرب ١١:٢٨ - ٣٦ ، ابن أبيك الدُوَادَرِيّ : كنز الدرر وجامع الغرر ٢٦٨:٥-٢٧٢ ، ٣١٨-٣٢١ ، أبا الحسن : النجوم الزاهرة ١:٣-١١٤٣ ، Hassan, Z.M., *Les Tulinides. Étude de l'Égypte musulmane à la fin du IX^e siècle 868-905*, Paris 1933; Grabar, O., *The*

سيدة *Coinage of the Tulunids*, New York 1957
إسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود : مصر في عصر الطولونيين والإعشيديين ، القاهرة ١٩٦٠ ، حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني ، القاهرة د.ت ، Gordon, M.S., *Et art. Tulunides X*, pp. 662-65; Bianquis, Th., «Autonomous Egypt from Ibn Tūlūn to Kāfūr 868-969», *The Cambridge History of Egypt*, pp. 86-119
وانظر فيما يلي ٩٦ .

فلم يكن غير أيام حتى بعت ابن طولون إلى ابن المدبر يقول له : قد كنت - أعزك الله - أهدئت لنا هدية وفع الغنى عنها ، ولم يجر أن يقتنم مالك - كثرة الله - فرددناها^(١) توفيراً عليك ، ونحب أن تجعل العوض منها العلماء الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أخرج منك . فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة : هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل ، إذ كان يؤد الأغراض والأموال ، ويستهدي الرجال ويأبر عليهم ، ولم يجد بُدّاً من أن يبعثهم إليه . فتحوّلت هيئة ابن المدبر إلى ابن طولون ، ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة العلماء مجلسه . فكتب ابن المدبر فيه إلى الحاضرة يغري به ويحرض على عزله ، فبلغ ذلك ابن طولون فكتب في نفسه ولم يثبده .

واتفق عزت المقتز في رجب سنة خمس وخمسين ، وقيام المهدي بالله محمد بن الواثق ، وقتل بالشباك وزد جميع ما كان بيده إلى يارجموخ^(٢) التركي ، خمو ابن طولون ، فكتب إليه : « تسلم من نفسك لتفسيك » ، وزاده الأعمال الخارجة عن قسبة مصر ، وكتب إلى إسحاق بن دينار وهو يتقلد الإسكندرية / أن يسلمها لأحمد بن طولون . فعظمت لذلك منزلة ، وكثر قلن ابن المدبر وعلمه ، ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون إلى ملاطفته والتقرب من خاطره . وخرج ابن طولون إلى الإسكندرية ، وتسلمها من إسحاق بن دينار ، وأقره عليها .

وكان^(٣) عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والأردن ، فلما مات وثب ابنه على الأعمال واشتد بها ، فبعث ابن المدبر سبع مائة ألف وخمسين ألف دينار خملاً من مال مصر إلى بغداد ، فقبض ابن شيخ عليها ، وفوقها في أصحابه ، وكانت الأمور قد اضطربت ببغداد ، فطبع ابن شيخ في الثقل على الشامات ، وشيع^(٤) أنه يريد مصر . فلما قيل المهدي في رجب سنة ست وخمسين ، وبوع المغنم بالله أحمد بن المتوكل ، لم يدع ابن شيخ له ، ولا تابع هو ولا أصحابه فبعث إليه بتقليد أرمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام ، وقسح له في الاشتغال عليها والإقامة على عمله ، فدعا حينئذ للمغتمد . وكتب إلى ابن طولون أن يتأهب لحرب ابن شيخ ، وأن يزيد في غدته ، وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد^(٥) .

فقرض ابن طولون الرجال ، وأثبت من يصلح ، واشترى القيد من الروم والشودان ، وعمل سائر ما يحتاج إليه ، وخرج في تجهل كبير وجيش عظيم ، وبعث إلى ابن شيخ يدعو إلى طاعة

(a) بولاق : فردتها . (b) بولاق : ماجور . (c) تضيف النسخ هنا : أحمد بن قبل عيسى بن شيخ وهو خلط والنص موجود عند الكندي وابن سعيد . (d) بولاق : أشيع . (e) بولاق : يريده .

الْخَلِيفَةُ، وَرَدَ مَا أَخَذَ مِنَ الْمَالِ، فَأُجَابَ بِجَوَابٍ قَبِيحٍ. فَسَارَ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ جُمَاذَى الْآخِرَةِ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُوسَى بْنَ طُولُونٍ عَلَى مِصْرَ، ثُمَّ رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ بِكِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِرَاقِ، وَدَخَلَ الْقُسْطَاطُ فِي شَعْبَانَ^١.

وَقَدِمَ مِنَ الْعِرَاقِ أَمَاجُورُ^(أ) الْتُرْكِيُّ مُحَازِمَةُ ابْنِ شَيْخٍ، فَلَقِيَهُ أَصْحَابُ ابْنِ شَيْخٍ وَعَلِيهِمْ ابْنُهُ فَأَنْهَزُوا مِنْهُ وَقِيلَ الْإِبْنُ، وَاسْتَوَلَى أَمَاجُورُ عَلَى دِمَشْقَ، وَلَحِقَ ابْنُ شَيْخٍ بِنَوَاحِي أَرْمِينِيَّةَ، وَتَقَلَّدَ أَمَاجُورُ^(ب) أَعْمَالَ الشَّامِ كُلَّهُ.

وَصَارَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ، مِنْ كَثْرَةِ الْعَبِيدِ وَالرِّجَالِ وَالْآلَاتِ بِحَالٍ يَضِيقُ بِهِ دَارُهُ وَلَا يَتَسَّعُ لَهُ، فَزَيَّجَ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ فِي شَعْبَانَ وَأَمَرَ بِحُزْثِ قُبُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَاسْتَخْطَطَ مَوْضِعَهَا، فَبَنَى الْقَصْرَ وَالْمِيدَانَ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَغُلَمَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ أَنْ يَخْتَطُّوا لِأَنْفُسِهِمْ حَوْلهُ، فَاسْتَخْطَطُوا وَبَنَوْا حَتَّى انْتَصَلَ الْبِنَاءُ بِعِمَارَةِ الْقُسْطَاطِ^٣. ثُمَّ قُطِعَتِ الْقَطَائِعُ، وَسُمِّيَتْ كُلُّ قَطِيعَةٍ بِاسْمٍ مِنْ سَكَنَتِهَا: فَكَانَتْ لِلثُّورَةِ قَطِيعَةٌ^(ب) مَفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ، وَلِلزُّومِ قَطِيعَةٌ^(ب) مُفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ، وَلِلْفَرَّاشِينَ قَطِيعَةٌ^(ب) مَفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ، وَلِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْغُلَمَانِ قَطِيعَةٌ^(ب) مُفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ. وَبَنَى الْقَوَادِ مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةً، فَتَعَمَّرَتِ الْقَطَائِعُ عِمَارَةً حَسَنَةً، وَتَفَرَّقَتْ فِيهَا السُّكُكُ وَالْأَرْقَةُ، وَبُنِيَتْ فِيهَا الْمَسَاجِدُ الْحِيسَانُ وَالطَّوَّاحِينَ وَالْحَمَامَاتُ وَالْأَقْرَانُ^٤.

وَسُمِّيَتْ أَسْوَاقُهَا: فَقِيلَ سُوقُ الْعَبَّارِينَ وَكَانَ يَجْمَعُ الْعَطَّارِينَ وَالْبَزَّازِينَ، وَسُوقُ الْقَائِمِينَ وَيَجْمَعُ الْجَزَّارِينَ وَالْبَقَّالِينَ وَالشُّوَّارِينَ، فَكَانَ فِي ذِكَاكِينَ الْقَائِمِينَ جَمِيعٌ مَا فِي ذِكَاكِينَ نَظَرَائِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَأَكْثَرُ وَأَحْسَنَ، وَسُوقُ الطَّبَّاخِينَ وَيَجْمَعُ الصِّيَارِفَ وَالْحَبَّازِينَ وَالْحَلْوَانِيِّينَ، وَلِكُلِّ مَنْ

(أ) النسخ وكذلك الكندي: ماجور والصواب ما أثبت. (ب) أياصوفها وثبت: قطعة، وقد فصلت إثبات رواية بولاق ورواية النجوم الزاهرة.

سنتي ٢٥٦-٢٦٤هـ/٨٧٠-٨٧٨م. (الصفدي: الوافي

بالوفيات ٣٧٥:٩-٣٧٦، Déroche, F., «The Qur'an ٣٧٦-٣٧٥», pp. 59-66 (of Amâgûr), MME V (1990-91).

^٣ أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٣: ١١٥ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١ (عن القضاعي).

^٤ نفسه ٣: ١٥ عن القضاعي.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٤١-٢٤٢.

^٢ وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ بِصِيغَةِ خَاطِطَةٍ فِي جَمِيعِ مَخْطُوطَاتِ الْكِتَابِ: مَاجُورٌ، مَاجُورٌ (فِيمَا يَلِي ٢: ١٧٩، ١٨٠) كَمَا لَمْ يَصُوبْهُ ثَبِتٌ. وَصَوَّبَ اسْمُهُ أَمَاجُورٌ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْمُصْحَفِ الَّذِي وَفَّقَهُ فِي سَنَةِ ٢٦٢هـ عَلَى أَحَدِ مَسَاجِدِ مَدِينَةِ صُورَ. وَكَانَ أَمَاجُورُ الْتُرْكِيُّ هُوَ وَالِي دِمَشْقَ الْعَبَّاسِي بَيْنَ

الباعة شوق حسن عاير نبيل^(a). فصارت «القطايط» مدينة كبيرة أعمر من أكبر مدُن الشام وأحسن^(b).

وبنى ابن طولون قصره ووسّعه وحسنه، وجعل له ميداناً كبيراً يضرب فيه بالصوالجة، فسمي القصر كله الميدان، وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير إذا شئ له ذهابه يقول: «إلى الميدان».

وعمل للميدان أبواباً لكل باب اسم، وهي: باب الميدان ومنه كان يَدْخُل ويَخْرُج مُعْظَم الجيش، وباب الصوالجة، وباب الخاصة ولا يدخل منه إلا خاصة ابن طولون، وباب الجبل لأنه ممّا يلي جبل المقطم، وباب الحرم ولا يَدْخُل منه إلا خادِم خَصِي أو حُرْمَة، وباب الدُزْمون لأنه كان يجلس عنده حاجب أسود عظيم الخِلقة يتقلد جنبايات الغلمان السودان الرُجالة فقط، يُقال له الدُزْمون، وباب دَغَنَاج لأنه كان يجلس عنده حاجب يقال له دَغَنَاج، وباب الساج لأنه عمل من خشب الساج، وباب الصلاة لأنه كان في الشارع الأعظم ومنه يَتَوَصَّل إلى جامع ابن طولون، وعُرف هذا الباب أيضاً بباب السباع لأنه كان عليه صورة سَبْعَيْن من جنس^(١).

وكان الطريق الذي يَخْرُج منه ابن طولون - وهو الذي يَخْرُج منه إلى القصر - طريقاً واسعاً، فَقَطَعَهُ بحائط، وعمل فيه ثلاثة أبواب كأكبر ما يكون من الأبواب، وكانت مُتَّصِلة بعضها ببعض واحدًا بجانب الآخر. فكان^(٢) ابن طولون إذا ركب يَخْرُج معه عَشْكَو مُتْكَائِفُ الخُروج على ترتيب حسن بغير رَحْمَة، ثم يَخْرُج ابن طولون من الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة بِمُفْرَدَة من غير أن يَخْتَلَطَ به أحد من الناس.

وكانت الأبواب المذكورة تُفْتَح كلها في يوم العيد، أو يوم عَرْض الجيش، أو يوم صَدَقَة، وما عدا هذه الأيام لا تُفْتَح إلا بترتيب في أوقات معروفة^(٣).

وكان القصر له مجلس يُشرف منه ابن طولون يوم الغرض ويوم الصَدَقَة لينظر من أعلاه من يَدْخُل ويَخْرُج. وكان الناس يَدْخُلون من باب الصوالجة، ويخرجون من باب السباع. وكان

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: أصغر وأحسن من الشام. (c) بولاق: وكان.

^١ أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٣: ٢١٦، وانظر كذلك القسطنطينيما يلي ٥٧٥.

الشارع الأعظم بالقاهرة فيما يلي ٢٤٤ واستلاده إلى نفسه ٣: ١٦.

على باب السُّبَاعِ مَجْلِسٌ يُشْرِفُ مِنْهُ ابْنُ طُولُونَ لَيْلَةَ الْعِيدِ عَلَى الْقَطَائِعِ ، لِيرَى حَرَكَاتِ الْعِلْمَانِ وَتَأْهِبِهِمْ وَتَصَوُّرِهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، فَإِذَا رَأَى فِي حَالٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ تَقْصُصًا أَوْ خَلَلًا ، أَمَرَ لَهُ بِمَا يَنْسُجُ بِهِ وَيَزِيدُ فِي تَجَمُّلِهِ ؛ وَكَانَ يُشْرِفُ مِنْهُ أَيْضًا/ عَلَى الْبَحْرِ ، وَعَلَى بَابِ مَدِينَةِ الْقُسْطَاطِ وَمَا يَلِي ذَلِكَ ؛ فَكَانَ مَتْنَزِّهَا حَسَنًا .

- وَبَنَى الْجَامِعَ فَغُرِفَ بِالْجَامِعِ الْجَدِيدِ ، وَبَنَى الْعَيْنَ وَالْمَقَاتِيَةَ بِالْمَقَائِرِ ، وَبَنَى تَنْوِيرَ فِرْعَوْنَ فَوْقَ الْجَبَلِ . وَاسْتَعْتِ أَحْوَالَهُ ، وَكَثُرَتْ إِسْطِبْلَاتُهُ وَكِرَاعُهُ ، وَعَظُمَ صَيْتُهُ ، فَعَاقَبَهُ أَمَاجُورٌ^(٨) ، وَكَتَبَ فِيهِ إِلَى الْحَضْرَةِ يُغْرِي بِهِ ، وَكَتَبَ فِيهِ ابْنُ الْمَذْبُورِ وَشَقِيقُ الْحَاذِمِ .

- وَكَانَتْ لَابْنِ طُولُونَ أَعْيُنٌ وَأَصْحَابٌ أَخْبَارُ يُطَالِعُونَهُ بِسَائِرِ مَا يَخْدُثُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ ، تَلَطَّفَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ لَهُ بِيَتُّدَادٍ عِنْدَ الْوَزِيرِ ، حَتَّى سَيَّرَ إِلَى ابْنِ طُولُونَ بِكُتُبِ ابْنِ الْمَذْبُورِ وَكُتُبِ شَقِيقٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَغْلَمَا بِذَلِكَ ، فَإِذَا فِيهَا «إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ عَزَمَ عَلَى الثَّقَلَيْنِ عَلَى مِصْرَ وَالْعِصْيَانِ بِهَا» . فَكَتَمَ خَبَرَ الْكُتُبِ ، وَمَا زَالَ بِشَقِيقٍ حَتَّى مَاتَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَضْرَةِ بِسَأْلِ صَرْفِ ابْنِ الْمَذْبُورِ عَنِ الْخَرَجِ وَتَقْلِيدِ هِلَالٍ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَبِضَ عَلَى ابْنِ الْمَذْبُورِ وَحَبَسَهُ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُ أُمُورٌ آلَتْ إِلَى خُرُوجِ ابْنِ الْمَذْبُورِ عَنْ مِصْرَ .

- وَتَقَلَّدَ ابْنُ طُولُونَ خَرَجَ مِصْرَ مَعَ الْمُتَوَنِّةِ وَالثُّغُورِ الشَّامِيَةِ ، فَأَسْقَطَ «الْمَعَاوِنَ وَالْمَرَافِقَ»^١ - وَكَانَتْ بِمِصْرَ خَاصَّةً فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ - فَأَظْفَرَهُ اللَّهُ غَقِيبَ ذَلِكَ بِكَثْرٍ فِيهِ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ بَنَى مِنْهُ الْمَارِشَتَانِ^٢ .

- وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ وَقَدْ تَقَلَّدَهَا ، فَتَسَلَّمَ دِمَشْقَ وَحِمَصَ ، وَنَازَلَ أَنْطَاكِيَةَ حَتَّى أَخَذَهَا . وَكَانَتْ صَدَقَاتُهُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْكَنَةِ وَالْمَشْرِ وَعَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الشُّجْعَلِ مُتَوَاتِرَةً ، وَكَانَ رَاتِبُهُ لَذَلِكَ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَلْفِي دِينَارٍ سِوَى مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ مِنَ الثُّدُورِ وَصَدَقَاتِ الشُّكْرِ عَلَى تَجْدِيدِ النُّعْمِ ، وَسِوَى مَطَايِخِهِ الَّتِي أُقِيمَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلصَّدَقَاتِ فِي دَارِهِ وَغَيْرِهَا ، يَذْبَحُ فِيهَا الْبَقَرِ وَالْكَبَاشِ ، وَيَهْرَفُ لِلنَّاسِ فِي الثُّدُورِ الْفَحَّارِ وَالْقِصَاعِ ، عَلَى كُلِّ قَدَرٍ أَوْ قِصْعَةٍ لِكُلِّ مَسْكِينٍ أَرْبَعَةَ أَرْغِفَةٍ ، فِي اثْنَيْنِ مِنْهَا فَالْوَدَجَ ، وَالْإِثْنَانِ الْآخَرَانِ عَلَى الْقِدْرِ . وَكَانَتْ تُفْعَلُ فِي دَارِهِ وَيُنَادَى : مَنْ

(٨) بولاق : ماجور .

^١ عن «المعاون والمرافق» انظر فيما تقدم ١ : ٢٧٩ .
^٢ انظر خبر الكثر فيما يلي ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٧ .

أَحَبُّ أَنْ يَحْضُرَ دَارَ الْأَمِيرِ فليَحْضُرَ. وَتُفْتَحُ الْأَبْوَابُ، وَيَدْخُلُ النَّاسُ الْمِدَانَ وَابْنُ طُولُونَ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي تَقْدِمُ ذَكَرَهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَسَاكِينِ، وَيَتَأَمَّلُ فَرْحَهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ وَيَحْمِلُونَ، فَيُسَرِّهُ ذَلِكَ وَيَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ^١.

ولقد قال له مَرَّةً إِبْرَاهِيمُ بْنُ قَرِاطَعَانَ، وَكَانَ عَلَى صَدَقَاتِهِ: أَيُّدُ اللَّهِ الْأَمِيرِ، إِنَّا نَقِفُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تُفَرِّقُ فِيهَا الصَّدَقَةُ، فَتُخْرَجُ لَنَا الْكَفُّ النَّاعِمَةُ الْمُخْضُوعَةُ نَفْسًا، وَالْمَقْصَمُ الرَّابِعُ فِيهِ الْحَدِيدَةُ، وَالْكَفُّ فِيهَا الْحَافَمُ. فَقَالَ: يَا هَذَا، كُلُّ مَنْ مَدَّ إِلَيْكَ يَدَهُ فَأَعْطَاهُ، فَهَذِهِ هِيَ اللَّطِيفَةُ الْمُسْتَوْرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْطِيَةِ﴾ [الآية ٢٧٣ سورة البقرة]، فَاحْذَرِ أَنْ تَرُدَّ يَدًا امْتَدَّتْ إِلَيْكَ، وَأَعْطِ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ مِنْكَ.

فَلَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ خُصَامُزَوَيْهِ، أَقْبَلَ عَلَى [عِمَارَةٍ]^٢ قَصْرَ أَبِيهِ وَزَادَ فِيهِ، وَأَخَذَ الْمِدَانَ الَّذِي كَانَ لِأَبِيهِ فَبَجَّلَهُ كُلَّهُ بُشْتَانًا، وَزَرَعَ فِيهِ أَنْوَاعَ الرِّيحَاتِ وَأَصْنَافَ الشُّجَرِ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ الْوَدَى اللَّطِيفَ الَّذِي يَتَأَلَّ ثَمَرُهُ الْقَائِمُ، وَمِنْهُ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْجَالِسُ مِنْ أَصْنَافِ خِيَارِ النَّخْلِ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الشَّجَرِ الْمُطْعَمِ الْعَجِيبِ وَأَنْوَاعِ الْوُزْدِ، وَزَرَعَ فِيهِ الرُّعْفَرَانَ؛ وَكَسَا أَجْسَامَ النَّخْلِ نُحَاسًا مُذَهَّبًا حَسَنَ الصَّنْعَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ النُّحَاسِ وَأَجْسَادِ النَّخْلِ مَزَارِبَ الرِّصَاصِ، وَأَجْرَى فِيهَا الْمَاءَ الْمُدَبَّرَ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ تَضَاعِيفِ قَائِمِ النَّخْلِ عُيُونُ الْمَاءِ؛ فَتَنْحَدِرُ إِلَى فَسَاقِي مَعْمُولَةٍ، وَيَفِيضُ مِنْهَا الْمَاءُ إِلَى مَجَارٍ تَشْفِي سَائِرَ الْبُشْتَانِ. وَغَرَسَ فِيهِ مِنَ الرِّيحَانِ الْمَرْزُوعِ عَلَى نُقُوشٍ مَعْمُولَةٍ وَكِتَابَاتٍ مَكْتُوبَةٍ، يَتَعَاهَدُهَا الْبُشْتَانِيُّ بِالْمِقْرَاضِ حَتَّى لَا تَزِيدَ وَرَقَةً عَلَى وَرَقَةٍ، وَزَرَعَ فِيهِ الثُّلُوفَ الْأَحْمَرَ وَالْأَزْرَقَ وَالْأَصْفَرَ وَالْخَيْثَرِيَّ^٣ الْعَجِيبَ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنْ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا كُلَّ أَضَلِّ عَجِيبٍ، وَطَعَمُوا لَهُ شَجَرِ الْمَشْمَشِ بِاللُّوزِ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا يُسْتَظَرَفُ وَيُسْتَشْعَسُنُ^٤.

وَبَنَى فِيهِ بُرْجًا مِنْ خَشَبِ الشَّجَرِ الْمَنْقُوشِ بِالنَّقْرِ الْنَافِذِ [وَطَعْمُهُ]^٥ لِيَقُومَ مَقَامَ الْأَقْقَاصِ، وَزَوَّقَهُ بِأَصْنَافِ الْأَصْبَاغِ، وَبَلَطَ أَرْضَهُ، وَجَعَلَ فِي تَضَاعِيفِهِ أَنْهَارًا لِيَطَافًا، جَدَاوِلُهَا يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ مُدَبَّرًا مِنَ السُّوَاقي الَّتِي تَدُورُ عَلَى الْآبَارِ الْعَذْبَةِ، وَيُسْقَى مِنْهَا الْأَشْجَارُ وَغَيْرُهَا.

(a) زيادة من النجوم الزاهرة. (b) بولاق: الجنوي.

^٢ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٣-٥٤.

^١ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٧.

ومَرَج^٥ في هذا البرج من أصناف القماري والدباسي والتوبيات^٦ وكل طائر مُشتَحسن حَسَن الصَّوْت ، فكانت الطَّيْر تُشْرَب وتُغْتَسِل من تلك الأنهار الجارية في البرج ، وتجعل فيه أوكارًا في قَوَاديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفريخ الطيور فيها ، وعارض لها فيه عبدانًا مُمكنة في بجوانيه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يُجاوب بعضها بعضًا بالصياح ، وسرح في البستان من الطير العجيب ، كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها ، شيئًا كثيرًا^١.

وعمل في داره متجلبسًا برواقه سقاء «بيت الذهب»^٧، طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد، المعمول في أحسن نقش وأطرف تفصيل، وجعل فيه - على مقدار قامة ونصف - صورًا في حيطانه بارزة من حشَب معمول على صورته وصور حظاياها والمُغَنِّيات اللاحي ثغثينه ، بأحسن تصوير وأبهج تزويق ، وجعل على رؤوسهن الأكاليل من الذهب الخالص الإبريز الرزين ، والكواذن المرسعة بأصناف الجواهر ، وفي آذانها الأخراس^٨ الثقال الوزن المحكمة الصنعة ، وهي مُسمَّوة في الحيطان ، ولُوئت / أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الأصباغ العجيبة ، فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا^٩.

وجعل بين يدي هذا البيت^{١٠} «فَسَقِيَّة» مُقدَّرة ، وملأها رُتَبًا ، وذلك أنه شكا إلى طبيبه كثرة السهر ، فأشار عليه بالتعمير^{١١}، فأينف من ذلك وقال : لا أقدر على وضع يد أحيد علي ؛ فقال له : تأمر بعمل بركة من الرُتَب ، فعمل بركة - يُقال إنها خمسون ذراعًا طولًا في خمسين ذراعًا عرضًا - وملأها من الرُتَب ، فأثقف في ذلك أموالًا عظيمة ، وجعل في أركان البركة سيكنا من الفضة الخالصة ، وجعل في الشكك زنانير منحرير محكمة الصنعة في جلق من الفضة ، وعمل فرشًا من أدم يُحشى بالريح حتى ينتفخ فيحككم حيث يشاءه ، ويُلقى على تلك البركة الرُتَب ، وتشد زنانير الحرير التي في جلق الفضة ببيك الفضة ، وينام على هذا الفرش ، فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الرُتَب ما دام عليه .

وكانت هذه البركة من أعظم ما سُمع به من الهِمَم الملوكية ، فكان يُرى لها في الليالي المقمرة منظرٌ عجيب إذا تألف نور القمر بثور الرُتَب . ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يخفرون

(٥) بولاق : وسرح . (٦) بولاق : النونيات . (٧) النجوم الزاهرة : دار النعب . (٨) بولاق : الأجراس . (٩) النجوم الزاهرة : هذا القصر من أعجب ما بني في الدنيا . (١٠) النجوم الزاهرة : القصر . (١١) النجوم : التكيس .

لأخذ الزئبق من شقوق البركة . وما عُرِفَ مِلْكٌ قَطُّ تقدّم حُمَارُوتِهِ في عَمَلٍ مثل هذه البركة ^١ .
 وَبَنَى أَيْضًا فِي الْقَصْرِ قُبَّةً تُضَاهِي قُبَّةَ الْهَوَاءِ سَمَّاهَا «الذُّكَّة» ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ شَيْءٍ بَنَى ، وَجَعَلَ
 لَهَا الشَّرَّ الَّتِي تَقِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، فَتَسْدُلُ ^٢ إِذَا شَاءَ وَتَرْفَعُ إِذَا أَحَبَّ ، وَفَرَشَ أَرْضَهَا بِالْفُرُشِ السَّرِيَّةِ ،
 وَعَمِلَ لِكُلِّ فَضْلٍ فَوْشًا يَلِيقُ بِهِ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ فِي هَذِهِ الْقُبَّةِ لِيُشْرِفَ مِنْهَا عَلَى جَمِيعِ مَا
 فِي دَارِهِ مِنَ الثَّنَاتِ وَغَيْرِهِ ، وَيَرَى الصُّعْرَاءَ وَالثِّيلَ وَالْجَبَلَ وَجَمِيعَ الْمَدِينَةِ . وَبَنَى مَقْدَانًا آخَرَ أَكْبَرَ
 مِنْ مَقْدَانِ أَبِيهِ ^٣ .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَدْ اتَّخَذَ حُجْرَةً بِقَرْبِهِ فِيهَا رِجَالٌ سَمَّاهُم بِالْمَكْبُورِينَ ، عِدَّتُهُمْ اثْنَا عَشَرَ
 رَجُلًا ، يَبِيتُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَرْبَعَةٌ يَتَعَاقِبُونَ اللَّيْلَ نَوْبًا ، يُكَبِّرُونَ وَيُسَبِّحُونَ وَيُحَمِّدُونَ وَيُهَلِّلُونَ ،
 وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ تَطْرِيبًا بِالْحَنَانِ ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِقَصَائِدِ زُهْدِيَّةٍ ، وَيُؤَذِّنُونَ أَوْقَاتَ الْأَذَانِ ^٤ .

فَلَمَّا وَلِيَ حُمَارُوتِهِ ، أَقْرَبَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ ، وَأَجْرَاهُمْ عَلَى رَشِيمِهِمْ . وَكَانَ يَجْلِسُ لِلشُّرْبِ مَعَ
 حُظَايَاهُ فِي اللَّيْلِ وَقَبَائِلُهُ تَغْتَنِيهِ ، فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَ هَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَالْقَدْحَ فِي يَدِهِ وَضَعَهُ
 بِالْأَرْضِ وَأَسْكَتْ مُغْتَنِيَاتُهُ ، وَذَكَرَ اللَّهُ مَعَهُمْ أَبَدًا حَتَّى يَسْكُتَ الْقَوْمُ لَا يُضْمِرُهُ ذَلِكَ ، وَلَا يَغِيظُهُ
 أَنْ قَطَعَ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ لَذَّةٍ بِالسَّمَاعِ .

وَبَنَى أَيْضًا فِي دَارِهِ دَارًا لِلشَّبَاعِ ، عَمِلَ فِيهَا بِيوتًا بَازَاجَ ، كُلُّ يَتِيمٍ يَسْعُ سَبْعًا وَلَبَّوْعَةً ، وَعَلَى
 تِلْكَ الْبُيُوتِ أَبْوَابٌ تُفْتَحُ مِنْ أَعْلَاهَا بِخَرَكَاتٍ ، وَلِكُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا طَاقٌ صَغِيرٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الرَّجُلُ
 الْمُرْكُلُ بِخِدْمَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ لِقَرُوشِهِ بِالرَّمْلِ ^٥ ، وَفِي جَانِبِ كُلِّ بَيْتٍ حَوْضٌ مِنْ رُخَامٍ يُمِيزُابُ مِنْ
 نُحَاسٍ يَصُبُّ فِيهِ الْمَاءُ . وَبَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ الْبُيُوتِ قَاعَةٌ ^٦ فَسِيحَةٌ مُتَّسِعَةٌ ، فِيهَا رَمْلٌ مَفْرُوشٌ بِهَا ، وَفِي
 جَانِبِهَا حَوْضٌ كَبِيرٌ مِنْ رُخَامٍ يُصَبُّ فِيهِ مَاءٌ مِنْ مِيزَابٍ كَبِيرٍ .

فَإِذَا أَرَادَ سَائِسٌ سَبْعٍ مِنْ تِلْكَ الشَّبَاعِ تَنْظِيفَ بَيْتِهِ ، أَوْ وَضَعَ وَظِيفَةَ اللَّحْمِ الَّتِي لِعِزَائِهِ ، رَفَعَ
 الْبَابَ بِحِيلَةٍ مِنْ أَعْلَى الْبَيْتِ ، وَصَاحَ بِالشَّبْعِ فَيُخْرِجُ إِلَى الْقَاعَةِ ^٧ الْمَذْكُورَةِ ، وَتَرْدُ الْبَابَ ، ثُمَّ يَنْزِلُ
 إِلَى الْبَيْتِ مِنَ الطَّاقِ ، فَيَكْنِسُ الرَّمْلَ ، وَيَبْدُلُ الرَّمْلَ بِغَيْرِهِ ثُمَّ هُوَ تَنْظِيفٌ ، وَيُضَعُ الْوُظِيفَةُ مِنَ اللَّحْمِ

(a) بولاق : قبل . (b) بولاق : يفرشه بالزبل . (c) النجوم الزاهرة : رحبة . (d) النجوم : الرحبة .

^١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥٥:٣ ومصدره فيه نفسه ٥٦:٣ .

^٢ نفسه ١٧:٣ .

القضاعي .

في مكان مُعَدٍّ لذلك بعدما يُخْلَص ما فيه من العُتْد ، ويقطعه لهما ، ويتسل الخَوْض ويملاؤه ماءً ، ثم يخرج ويَرْفَع الباب من أعلاه . وقد عَرَفَ الشَّيْع ذاك ، فحالاً ما يَرْفَع السَّائِسُ باب البيت ، دَخَلَ إليه الأسدُ فَأَكَلَ ما هُئِيَ له من اللَّحْم حتى يستوفيه ، ويتشرب من الماء كِفَايَتَهُ .

- فكانت هذه مملوءةً من السَّباع ، ولهم أوقاتٌ يُفْتَح فيها سائرُ بُيوت السَّباع ، فتخرج إلى القاعة^(٨) وتتشمس^(٩) فيها ، وتَمْرَح وتَلْعَب ويُهَارِش بعضها بعضاً ، فتقيم يوماً كاملاً إلى العِشِيِّ ، فيصبح بها السَّوَّاس ، فيَدْخُلُ كُلُّ سَبْعٍ إلى بيته لا يتخطأه إلى غيره . وكان من جملة هذه السَّباع سَبْعُ أَرْقُ العَيْنين يُقال له «زُرَيْق» قد أنيس بحُمازَوَيْهِ ، وصار مُطْلَقاً في الدار لا يُؤْذِي أحداً ، ويقام له بوظيفته من الغداء في كُلِّ يوم . فإذا نُصِبَت مائدةُ حُمازَوَيْهِ ، أقبل زُرَيْقُ معها ، ورَبَضَ بين يديه ، فرمى إليه بيده الدَّجاجة بعد الدَّجاجة ، والفَضْلَةَ الصَّالِحَةَ من الحَدْي ، ونحو ذلك ممَّا على المائدة ، فيفتكُّه به . وكانت له لَبْوَةٌ لم تَأْنَسْ^(١٠) كما أنيس ، فكانت مقصورة في بيت ، ولها وَقْتُ معروفٍ يجتمع معها فيه .

- فإذا نام حُمازَوَيْهِ جاء زُرَيْقُ ليحرُسه ، فإن كان قد نامَ على سَرِيرٍ رَبَضَ بين يدي السرير ، وجعل يُراعيه ما دام نائماً ، وإن كان إنما نامَ على الأرض ، بقي قَرِيباً منه ، وتفتطن لمن يدخل ويقصد حُمازَوَيْهِ ، لا يَغْفُلُ عن ذلك لحظةً واحدةً . وكان على ذلك دَهْرُهُ ، قد أَلِفَ ذلك ودُرِبَ عليه ، وكان في عُنُقِهِ طَرِيقٌ من دَهَبٍ ، فلا يقدر أحدٌ أن يَذَنُو من حُمازَوَيْهِ ما دام نائماً لمراعاة زُرَيْقٍ له وجراسته إِيَّاه ؛ حتى إذا شاء الله إنفاذ قضائه في حُمازَوَيْهِ ، كان بدمشق وزُرَيْقُ غائِبٌ عنه بمصر ، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لا يُغْنِي حَذَرٌ من قَدَرٍ^١ .

- وبَنَى أيضاً «دار الحرُم» ، ونَقَلَ إليها أُمّهات أولاد أبيه مع أولادهم ، وجعل معهم المَقْرُولات من أُمّهات أولاده ، وأَفْرَدَ لكلِّ واحدة حُجْرَةً واسعة ، نَزَلَ في كُلِّ حجرة منها بعد زوال دولتهم ، قائداً جليلٌ فَوْسَعَتْهُ ، وَفَضَّلَ عنه منها شيء . وأقام / لكلِّ حُجْرَةٍ ، من الأَنْزَالِ والوَظَائِفِ الواسعة ، ما كان يُفْضَلُ عن أهلها منه شيءٌ كثيرٌ ؛ فكان الحَدَمُ الموكَّلون بالحرُم ، من الطَّبَّاخين وغيرهم ، يُفْضَلُ لكلِّ منهم - مع كثرة عددهم - بعد التوشع في قُوته ، الزُّلَّةُ الكبيرة والتي فيها العِدَّةُ من

(٨) النجوم : الرحبة . (ب) بولاق : وتشمس . (ج) بولاق : تستأنس .

^١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٥٦ - ٥٧ .

الدجاج، فمنها ما قُلِعَ فَخَذُها ومنها ما قد تَشَعَّبَ صَدْرُها، ومن الفِراخ مثل ذلك، مع القِطْع الكِبَار من الجُدِّي ولُحُوم الضَّان، والعدَّة من ألوان عديدة، والقِطْع الصَّالِحَة من الفَالُودَج، والكثير من اللُّوزِيَج والقِطَائِف والهَرات^٥ من القصيدة - التي تُعرف اليوم في وَتْنَا هذا بالمأثونية - وأشباه ذلك مع الأَرْغَفَة الكِبَار. واشتَهَرَ بمصر يَتَعَمُّهم لذلك وعَرِفُوا به، فكان الناس يتناوبونهم لذلك. وأكثر ما تُباع الزَّلَّة الكبيرة منها بِيَذْهَمِيْن، ومنها ما يُباع بديرهم، فكان كثير من الناس يتفكّهون من هذه الزَّلَات. وكان شيئاً موجوداً في كُلِّ وَقْتٍ لَكَثْرَتِه وأتساعه، بحيث إنَّ الرجل إذا طَرَقَه ضيفٌ خَرَجَ من قُورِه إلى باب دار الحُرْم، فيجد ما يشتريه ليتجمل به لَصِيفِه، ممَّا لا يقدر على عَمَل مثله، ولا يَتَهَيَّأُ له من اللُّحُوم والفِراخ والدِّجَاج والحَلَوَى مثل ذلك^١.

وَأَتَسَعَت أيضاً إِسْطَبْلَات شُحَارَوْتِه، فَعَمِلَ لِكُلِّ صِنْفٍ من الدُّوَاب إِسْطَبْلًا مُفَرَّدًا: فكان لِلخَيْل الخاصِّ إِسْطَبْلٌ مُفَرَّد، والدُّوَاب الغلمان إِسْطَبْلَات عِدَّة، ولِبِغَال القِيَاب إِسْطَبْلَات، ولِبِغَال الثَّقَل غير يَغَال القِيَاب إِسْطَبْلَات، ولِلنَّجَائِب والبَخَاتِي إِسْطَبْلَات لِكُلِّ صِنْفٍ إِسْطَبْلٌ مُفَرَّد، لِلتَّسَاع في المواضع، والتَّفَنُّن في الأَتْقَال.

وعَمِلَ لِلثُّمُور دارًا مفردة، ولِلْفُهود دارًا مفردة، ولِلفَيْلَة دارًا، ولِلزُّرافات دارًا. كُلُّ ذلك سِوَى الإِسْطَبْلَات التي بِالْحِيْزَة، فَإِنَّه كَانَ له في عِدَّة ضِيَاعٍ من الْحِيْزَة إِسْطَبْلَات، مِثْلُ نَهْيَا وَوَسِيم وَسَفْط وَطُهْرُوس وغيرها، وكانت هذه الضِّيَاع لَا تُزْرَع إِلَّا الْقُرُوط بِرِسْم الدُّوَاب. وكان لِلخَلِيفَة أيضاً بِمِصْر إِسْطَبْلَات، سِوَى مَا ذُكِرَ، تَنْتَج فيها الخَيْل لِحَلَبَة السَّبَاق، وَلِلرِّبَاط في سَبِيل الله تَعَالَى بِرِسْم الْعَزْو. وكان لِكُلِّ دَارٍ من الدُّور المذكورة، وَلِكُلِّ إِسْطَبْلٍ، وَكَلَاءٌ لَهُم الرُّزْق السَّنِيّ وَالْوِظَائِف الكَثيرة والأَمْوَال المُتَسَعَة^٢.

وَبَلَغَ رِزْقُ الْحَيْش في أَيَّام شُحَارَوْتِه تِسْع مِائَة أَلْف دِينَار في كُلِّ سَنَة، وَقَامَ مَطْبِخُهِ المعروف بِـ«مَطْبِخِ الْعَامَّة»، بِثَلَاثَة وَعِشْرِينَ أَلْف دِينَار في كُلِّ شَهْر، سِوَى مَا هُوَ مُوَظَّف لِحَوَارِيهِ وَأَزْزَاقٍ من يَخْدُمُهُن وَيَتَصَرَّف في حَوَائِجِهِنَّ.

وكان قد اتَّخَذَ لِنَفْسِه، من مُوَلَدِي^٥ الحَوَف وشَتَايِرَة الضِّيَاع، قَوْمًا مَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَة

(a) بولاق: الهرائس. (b) بولاق: ولد.

والبأس، لهم خَلَقَ عَظِيمٌ تامٌ وَعِظَمُ أجسام. وَأَدَّرَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، وَوَسَّعَ لَهُمُ فِي الْعَطَاءِ، وَشَغَّلَهُمْ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَأَذْيَةِ النَّاسِ بِخِدْمَتِهِ، وَأَلْبَسَهُمُ الْأَقْيِيَّةَ وَجَوَاشِينَ الدِّيَابِجِ، وَصَاغَ لَهُمُ الْمَنَاطِقَ الْعِرَاضَ الثَّقَالَ، وَقَلَّدَهُمُ الشُّيُوفَ الْمُحَلَّلَةَ يَصْنَعُونَهَا عَلَى أَكْثَافِهِمْ إِذَا مَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ (١) وَسَمَّاهُمْ «الْمُخْتَارَةَ»، فَكَانَ إِذَا رَكِبَ وَمَضَى الْحُجَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ (٢) وَمَوْكِبُهُ عَلَى تَرْتِيهِ، وَمَضَتْ أَصْنَافُ الْعَشْكَرِ وَطَوَائِفُهُ، تَلَاهُمُ السُّودَانُ وَعِدَّتُهُمْ أَلْفُ أَشْوَودَ، لَهُمْ ذَرَقٌ مِنْ حَدِيدٍ مُنْحَكَمِ الصَّنِيعَةِ، وَعَلَيْهِمْ أَقْيِيَّةُ سُودٍ وَعِمَائِمُ سُودَ، فَيُخَالَهُمُ النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ بَخْرًا أَشْوَودَ يَسِيرُ لِسُودِ أَلْوَانِهِمْ وَسُودِ لِيَابِهِمْ، وَيَصِيرُ لِبَرِيقِ ذَرَقِهِمْ وَلُحْلِيِّ شُيُوفِهِمْ وَالْبَيْضِ الَّتِي تَلْمَعُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِنْ تَحْتِ الْعِمَائِمِ زَيْيٌ يَهْجُ؛ فَإِذَا مَضَى السُّودَانُ قَدِيمَ خُمَارَوْنِهِ وَقَدْ انْفَرَدَ عَنْ مَوْكِبِهِ، وَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْكِبِ نَحْوُ نِصْفِ غُلُودَةٍ (٣) سَهْمٍ وَالْمُخْتَارَةُ تَحْفُ بِهِ، وَكَانَ تَامَ الظَّهْرِ وَيُرَكِّبُ فَرَسًا تَامًا، فَيَصِيرُ كَالْكَوْكَبِ إِذَا أَقْبَلَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، كَأَنَّهُ قِطْعَةُ جَبَلٍ فِي وَسْطِ الْمُخْتَارَةِ.

وَكَانَ مُهَابًا (٤) ذَا سَطْوَةٍ، وَقَدْ وَقَعَ فِي قُلُوبِ الْكَافَّةِ أَنَّهُ مَتَى أُنْشِرَ إِلَيْهِ أَحَدٌ بِأَصْبَعِهِ أَوْ تَكَلَّمَ أَوْ قَرَّبَ مِنْهُ، لَحِقَهُ مَكْرُوهٌ عَظِيمٌ؛ فَكَانَ إِذَا أَقْبَلَ كَمَا ذَكَرْنَا، لَا يُسْمَعُ مِنْ أَحَدٍ كَلِمَةً وَلَا شُعْلَةً وَلَا عَطْسَةً، وَلَا تَخَنُّعَ أَلْبَتَّةِ، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ؛ وَكَانَ يَتَّقَلُّدُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ سَيْفًا بِخِمَائِلَ، وَلَا يَزَالُ يَتَفَرَّجُ وَيَتَنَزَّهُ، وَيَخْرُجُ إِلَى مَوَاضِعَ لَمْ يَكُنْ أَبُوهُ يَهْشُ إِلَيْهَا، كَالْأَهْرَامِ وَمَدِينَةِ الْعُقَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، لِأَجْلِ الصَّيْدِ فَإِنَّهُ كَانَ مَشْغُوفًا بِهِ، لَا يَكَادُ يَسْمَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَصَدَهُ وَمَعَهُ رِجَالٌ عَلَيْهِمْ لُبُودٌ، فَيَدْخُلُونَ إِلَى الْأَسَدِ وَيَتَوَلَّوْنَهُ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ غَايَةِ عَنُودٍ وَهُوَ سَلِيمٌ، فَيَصْنَعُونَهُ فِي أَقْفَاصٍ مِنْ خَشَبٍ مُحْكَمَةٍ الصَّنِيعَةِ يَسَعُ الْوَاحِدُ مِنْهَا الشَّيْءَ وَهُوَ قَائِمٌ، فَإِذَا قَدِمَ خُمَارَوْنَهُ مِنَ الْعَبِيدِ، سَارَ الْقَقْصُ فِيهِ الشَّيْءَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَكَانَتْ خَلْبَةُ السَّبَاقِ فِي أَيَّامِهِمْ تَقُومُ مَقَامَ الْأَعْيَادِ، لِكَثْرَةِ الزَّيْنَةِ وَوُكُوبِ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَسَاكِرِ - عَلَى كَثَرَتِهِمْ - بِالسَّلَاحِ التَّامِ وَالْعُدَدِ الْكَامِلَةِ، فَيَجْلِسُ النَّاسُ لِمُشَاهَدَةِ ذَلِكَ كَمَا يَجْلِسُونَ فِي الْأَعْيَادِ، وَتُطْلَقُ الْخَيْلُ مِنْ غَايَتِهَا، فَتَمَرُّ مُتَفَاوِتَةً يَتَقَدَّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى يَتَمَّ السَّبَقُ (٥).

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: مهيا.

٢ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥٩: ٣ - ٦٠.

١ الغلوة. وثبتت سهم أبعد ما يُقدر عليه.

قال القضاعي: «المنظر» بناه أحمد بن طولون في ولايته لغرض الخيل. وكان غرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التي منها هذا الغرض، ورَمَضَانُ بِمَكَّةَ، والعِيد كان بطَرشوس، والجمعة ببغداد؛ فبقي من هذه الأربعة شهر رَمَضَان بِمَكَّةَ، والجمعة ببغداد، وذهبت اثنتان^١. قال كاتيه: وقد ذهبت الجمعة من بغداد^٢ أيضًا بعد القضاعي، بقتل هولاء للخليفة المستعصم، وروال شعائر الإسلام من العراق، وبقيت مكة - شرفها / الله تعالى - وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه إنه من عجائب الإسلام^٣.

ولما تكامل عز حمارونه وانتهى أمره، بدأ يشتري منه الذهب ما أعطاه؛ فأول ما طرده مؤث حظيته بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب، وصور فيه صورته وصورتها كما تقدم، وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له إلا بسلامتها وينظره إليها وتمتعه بها، فكدر موثها عيشه، وانكسر انكسارًا بأن عليه.

ثم إنه أخذ في تجهيز ابنته، فجهزها جهازًا ضاهى به نعم الخلافة، فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها. فكان من جملته دكة أربع قطع من ذهب، عليها قبة من ذهب مشبك، في كل عين من التشبيك قوط معلق فيه حبة جواهر لا يُعرف لها قيمة، ومائة هون من ذهب^٤.

قال القضاعي: وعقد المعتضد النكاح على ابنته - يعني ابنة حمارونه - قطر الندى، فحملها أبو الجيش حمارونه مع أبي^٥ عبد الله بن الجصاص^٦، وحمل معها ما لم ير مثله، ولا يُسمع به.

ولما دخل إليه ابن الجصاص^٧ يودعه، قال له حمارونه: هل بقي بيني وبينك حساب؟ فقال: لا؛ فقال: انظر حسنًا^٨، فقال: كتمت بقي من الجهاز؛ فقال: أحضروه، فأخرج رُبْع طومار فيه

(a) بولاق: ببغداد. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الجصاص. (d) بولاق: حسابك.

^١ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦٠:٣ وانظر كذلك عرض الخيل عند الفاطميين فيما يلي ٤٦٧.

^٢ نفسه ٦١:٣.

^٣ راجع سبب زواج الخليفة المعتضد العباسي بقطر الندى ابنة حماروية عند أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥٢:٣-٥٣.

^٤ أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين بن الجصاص الجمهوري المتوفى سنة ٣١٥/٩٢٧م، أحد أعيان التجار ذوي الثروة الواسعة واليسار، أصله من العراق ثم رحل إلى مصر زمن حمارويه بن أحمد بن طولون الذي قربه وجعله وكيله الوحيد في تجهيز قصره بالأحجار الكريمة، وهو الذي

تَبَتْ ذِكْرُ الثَّقَفَةِ، فَإِذَا هِيَ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَازَرَاتِيُّ: فَتَطَوَّرَتْ فِي الطُّلُومَارِ، فَإِذَا فِيهِ «وَأَلْفُ بُكَّةٍ»، الثَّمَنُ عَنْهَا عَشْرَةُ أَلْفِ دِينَارٍ؛ فَأُطْلِقَ لَهُ الْكُلُّ. قَالَ الْقَضَائِيُّ: وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا الْخَبَرَ لِتَشْتَدِلَ بِهِ عَلَى أَشْيَاءَ: مِنْهَا سَعَةُ نَفْسِ أَبِي الْجَيْشِ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ ابْنُ الْجَصَّاصِ^٥، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ: «كَسَّرَ بَقِيَّ مِنَ الْجِهَازِ»، وَهُوَ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، لَوْ لَمْ يَغْتَضِهِ ذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ. وَمِنْهَا مَيَسُورُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، لَمَّا طُلِبَ فِيهِ أَلْفُ بُكَّةٍ مِنْ أَلَمَانَ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ قُدِّرَ عَلَيْهَا فِي أَيْسَرِ وَقْتٍ وَبِأَقْوَمِ سَعْيٍ، وَلَوْ طُلِبَ الْيَوْمَ خَمْسُونَ لَمْ يُقَدَّرَ عَلَيْهَا^١.

قَالَ كَاتِبُهُ: وَلَا يُغْرِفُ الْيَوْمَ، فِي أَشْوَاقِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، بُكَّةٌ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ إِذَا طُلِبَتْ تُوجَدُ فِي الْحَالِ، وَلَا بَعْدَ شَهْرٍ، إِلَّا أَنْ يُغْتَنِي بِعَمَلِهَا فَتُغْمَلُ.

وَلَمَّا فَرَّغَ خُمَارُؤَيْهِ مِنْ جِهَازِ ابْنَتِهِ، أَمَرَ فَبَنِي لَهَا - عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَرَحَلَةٍ تَنْزِلُ بِهَا - قَصْرًا فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَبَغْدَادَ، وَأَخْرَجَ مَعَهَا أَخَاهُ شَيْبَانَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ ابْنِ الْجَصَّاصِ^٥، فَكَانُوا يَسِيرُونَ بِهَا سَبِيلَ الطُّفْلِ فِي الْمَهْدِ، فَإِذَا وَاقَتْ الْمَنْزِلَ وَجَدَتْ قَصْرًا قَدْ فُرِشَ فِيهِ بِجَمِيعِ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ، وَغُلِّقَتْ فِيهِ الشُّتُورُ، وَأُعِدَّ فِيهِ كُلُّ مَا يَضْلُجُ لِمِثْلِهَا فِي حَالِ الْإِقَامَةِ. فَكَانَتْ فِي مَسِيرِهَا مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ - عَلَى بَعْدِ الشُّقَّةِ - كَأَنَّهَا فِي قَصْرِ أَبِيهَا، تَنْتَقِلُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَى مَجْلِسٍ، حَتَّى قَدِمَتْ بَغْدَادَ أَوَّلَ الْحَرَمِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَرُفِّتَ عَلَى الْحَلِيفَةِ الْمُقْتَضِدِ^٢.

وَبَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ خُمَارُؤَيْهِ بِدِمَشْقَ:

وَكَانَتْ مُدَّةُ بَنِي طُولُونَ بِمِصْرَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَوَلِيَ مِنْهُمْ خَمْسَةُ أَمْزَاءَ. أَوَّلُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ: وَلِيَ مِصْرَ مِنْ قِتْلِ الْمُغْتَرِّ عَلَى صَلَاتِهَا، فَدَخَلَ يَوْمَ

(٥) بُولَاقُ: الْجَصَّاصُ.

٣٩١؛ ابن شاکر: فوات الوفیات ١: ٣٧٢-٣٧٦ المقريزي: للمقفي الكبير ٣: ٥٢٠-٥٣٤ عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت - دار المشرق ١٩٧٤، ١٢٢ - Pellat, Ch., *El² art. Ibn al-Djassās III*, p. ١٢٤ (773)

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٧.

^٢ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٦١-٦٣.

= جَهْرُ قَطْرِ النَّدَى ابْنَةُ خُمَارُؤَيْهِ عِنْدَ زَوَاجِهَا مِنَ الْحَلِيفَةِ الْمُقْتَضِدِ الْعَبَّاسِيِّ فَأَفْرَغَ خَزَائِنَ خُمَارُؤَيْهِ حَتَّى قَالَ هَذَا: «لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ الْجَصَّاصِ»، أَفْقَرَنِي فِي الشُّرَّةِ (التَّنَوُّحِي): نَشَوَارِ الْمَحَاضِرَةِ ٢: ٣١٥. وَفِي أَعْقَابِ ذَلِكَ نَقَلَ ابْنُ الْجَصَّاصِ مَرْكَزَهُ إِلَى بَغْدَادَ حَيْثُ زَادَتْ ثَرْوَتُهُ وَاتَّسَعَ نَفْوَؤُهُ. (رَاجِعْ، الْمَسْعُودِي: مَرْوَجُ النُّعْبِ ٥: ١٣٩-١٤٠، ١٧٣؛ التَّنَوُّحِي: نَشَوَارِ الْمَحَاضِرَةِ وَأَخْبَارُ الْمَذَاكِرَةِ ١: ٢٥-٣٧، ٢: ٣١٢-٣١٧؛ الصَّفْدِي: الْوَانِي بِالْوَفَايَاتِ ١٢: ٣٨٦-

الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين^١.

وخرج بقا الأصغر، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا^٢، فيما بين بركة والإسكندرية، في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين، وسار إلى الصعيد، فقتل في الحرب، وحمل رأسه إلى القسطنطين لإحدى عشرة بقيت من شعبان.

وخرج ابن الصوفي العلوي، وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب، ودخل إسنا في ذي القعدة، فتهب وقتل. فبعث إليه ابن طولون جيشاً، فهزم الجيش في ربيع الأول سنة ست وخمسين، فبعث بجيش آخر، فواقعه بإخميم في ربيع الآخر، فانهزم ابن الصوفي إلى ألواح فأقام به^٣.

وخرج أحمد بن طولون يريد حزب عيسى بن الشيخ، ثم عاد فابتدأ في بناء الميذان. وقدم العباس وخمارويه من أبناء أحمد^٤ بن طولون، من العراق على طريق مكة سنة سبع وخمسين^٥. وورد كتاب يارجوخ^٦ بتسلم أحمد بن طولون الأعمال الخارجة عن يده من أرض مصر، فتسلم الإسكندرية، وخرج إليها لثمان خلون من شهر رمضان، واستخلف طغلج^٧ صاحب

(a) بولاق: وخمارويه ابنا أحمد. (b) بولاق: ماجور. (c) بولاق: طنج.

المغرب (قسم مصر) ٧٣-١٤٦؛ المقرئ: المقفى الكبير ٤١٧:١-٤٥٢؛ أبا الحسن: النجوم الزاهرة ١٠٣-٤٤٩؛ وراجع من الدراسات الحديثة: Corbett, E.R., «The Life and Works of Ahmed ibn Tulun», *JRAS XVIII* (1891), pp. 527-62; Hassan, Z.M., *El art. Ahmad* (1891), pp. 287-88. *ib. Tulu I*, pp. 287-88. سيد إسماعيل كاشف: أحمد ابن طولون، القاهرة ١٩٦٥.

^٢ توفي بقا الأصغر سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م (راجع، المقرئ: المقفى الكبير ١: ٦٢٠).

^٣ راجع أخبار ابن الصوفي العلوي، المتوفى بعد سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م عند الكندي: ولاية مصر ٢٤٠، ٢٤١؛ المقرئ: المقفى الكبير ١: ٣١٨-٣١٩؛ أبا الحسن: النجوم الزاهرة ٣: ٧-٧.

^٤ الكندي: ولاية مصر ٢٤٢.

^١ أهم مصادر سيرة ابن طولون كتاب «المشتختن من أخبار أحمد بن طولون» لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن الدابة المتوفى بعد سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م (انظر ماقوت: معجم الأدياء ٢: ١٥٧-١٦٠). الصندي: الرافعي بالوفيات ٨: ٢٨٢-٢٨٣). ولم يصل إلينا أصل هذا الكتاب وإن كان ابن سعيد المغربي قد ضخته في كتاب «الدور المكنون في حلى دولة بني طولون» أحد أقسام قسم مصر من كتاب «المغرب في حلى المغرب»، وأيضاً كتاب «سيرة أحمد بن طولون» لأبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي المتوفى في النصف الثاني للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد وصل إلينا هذا الكتاب ونشره علامة الشام محمد كرد علي في دمشق سنة ١٣٥٨هـ، واعتمد المقرئ كثيراً على كتاب البلوي ونقل منه نقولاً مطولة. وأخبار ابن طولون كثيرة في كتب التاريخ، انظر على الأخص ابن سعيد:

الشُرط . ثم قَدِم لأربع عشرة بقيت من شَوَّال ، وسَخِط على أخيه مُوسَى ، وأَمَرَه بلباس البياض ، وخرَّج إلى الإسكندرية ثانياً لثمانٍ بقين من شَعْبَانَ سنة تسع وخمسين ، واستخلف ابنه العبَّاس . وقَدِم لثمانٍ خلَّون من شَوَّال ، وأَمَر ببناء المَسْجِد الجامع على الجَبَل في صَفَر سنة تسع وخمسين ، وبناء المَارِشَتان للمَرْصَى ^١ .

• ووَرَدَ كِتَابُ الْمُعْتَمِد بِشَيْخِهِ فِي حَقْلِ الْأَمْوَال ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : «لَسْتُ أُطِيقُ ذَلِكَ وَالْخَرَاجُ يَدُ غَيْرِي» . فَأَتَفَقَدَ الْمُعْتَمِدُ نَفِيسَ الْخَادِمِ بِتَقْلِيدِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونِ الْخَرَاجَ ، وَبُولَايَةَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ . فَأَقَرَّ أبا أَهْبُوبَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ شُجَاعٍ عَلَى الْخَرَاجِ خَلِيفَةً لَهُ عَلَيْهِ ، وَعَقَدَ لَطِخْشِي بْنِ بَلْبُرْدٍ عَلَى الثُّغُورِ ، فَخَرَّجَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ ^٢ .

وتقدَّم أهر أحمد المَوْفَّق إلى مُوسَى بْنِ بُغَا فِي صَفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونِ وَتَقْلِيدَهَا أُمَاجُورَ^٣ التركي والي دِمَشْقَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَتَوَقَّفَ لَعَجْزِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ ابْنِ طُولُونِ ، فَخَرَّجَ مُوسَى بْنُ بُغَا وَنَزَلَ الرُّقَّةَ . فَبَلَغَ ابْنُ طُولُونِ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَيْهِ ، فَابْتَدَأَ فِي بِنَاءِ الْحِصْنِ بِالْجَزِيرَةِ لِيَكُونَ مَغْفِلًا لِمَالِهِ وَخَزَائِرِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ ، وَاجْتَهَدَ فِي عَمَلِ الْمَرَائِبِ الْخَرِيبَةِ ، وَأَطَافَهَا بِالْجَزِيرَةِ . فَأَقَامَ مُوسَى بِالرُّقَّةِ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، وَاضْطَرَبَتْ أُمُورُهُ ^٤ .

ومَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةِ / أَرْبَعٍ وَسِتِينَ . وَمَاتَ أُمَاجُورُ^٥ بِدِمَشْقَ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ عَلِيَّ بْنَ أُمَاجُورِ^٦ . فَخَرَّكَ ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونِ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ أُمَاجُورِ^٧ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِإِقَامَةِ الْأَنْزَالِ وَالْمِيرَةِ ، فَأَجَابَ بِجَوَابٍ حَسَنٍ .

وَشَكَا أَهْلُ مِصْرَ إِلَى ابْنِ طُولُونِ ضَيْقَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِجُنْدِهِ وَشُودَانِهِ ، فَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِجَبَلِ يَشْكُرَ ، فَابْتَدَأَ بِنَائِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ ، وَتَمَّ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ ^٨ . وَخَرَّجَ فِي حَيَوِشِهِ لثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ ^٩ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِي مُدَبِّرًا وَوَزِيرًا ، فَبَلَغَ الرُّقَّةَ ، وَتَلَقَّاهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَابْنُهَا ، وَأَقَامَ لَهُ بِهَا ^{١٠} .

(a) بولاق : ماجور . (b) بولاق : طنج .

^١ الكندي : ولادة مصر ٢٤٢-٢٤٣ / ١٢٤٣ ، أبو المحاسن : نفسه ٢٤٥ ، وانظر عن الجامع فيما يلي ٢٦٥:٢-٢٦٦ .

٢٦٦ .

النجوم ٧:٣ .

^٢ انظر عن العبَّاس بن أحمد بن طولون *El² art. al-Abbās b. Ahmad b. Tūlūn, Suppl. p. 1.*

^٣ نفسه ٢٤٣-٢٤٤ / نفسه ٧:٣ .

^٤ نفسه ٢٤٤ .

الدُّعْوَة ، فَأَقَرَهُ . وَمَضَى إِلَى دِمَشْقَ ، فَمَلَّاهُ عَلِيَّ بْنَ أَمَاجُور^٩ ، وَأَقَامَ لَهُ بِهَا الدُّعْوَة ، فَأَقَامَ حَتَّى اسْتَوْتَقَى لَهُ أَفْرَهَا . وَمَضَى إِلَى جَمْعٍ فَتَسَلَّمَهَا ، وَبَعَثَ إِلَى سَيِّمَا الطَّوِيلِ - وَهُوَ بِأَنْطَاكِيَّةَ - بِأَمْرِهِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ ، فَأَتَى ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ وَحَاصِرَهُ ، وَرَمَاهُ بِالْمَجَانِيْقِ حَتَّى دَخَلَهَا فِي الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ ، فَقَتَلَ سَيِّمَا ، وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُ وَرَجَّاهُ^١ .

وَمَضَى إِلَى طَرَسُوسَ فَدَخَلَهَا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَضَاقَتْ بِهِ وَغَلَا السُّعْرُ بِهَا ، فَجَاهَدَهُ أَهْلُهَا فَقَاتَلَهُمْ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَنْهَزُوا عَنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ لِيَلْغَ طَاغِيَةُ الرُّومِ فَيَعْلَمَ أَنَّ جَيُوشَ ابْنِ طُولُونَ - مَعَ كَثْرَتِهَا وَشِدْدَتِهَا - لَمْ تَقُمْ لِأَهْلِ طَرَسُوسَ فَانْهَزُوا . وَخَرَجَ عَنْهُمْ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا طَحْشِي ، فَوَزَّدَ الْخَبْرَ عَلَيْهِ بِأَنَّ ابْنَ الْعَبَّاسِ قَدْ خَالَفَ عَلَيْهِ ، فَأَزْعَجَهُ ذَلِكَ وَسَارَ . فَخَافَ الْعَبَّاسُ وَقَيَّدَ الْوَاسِطِيَّ ، وَخَرَجَ بِطَائِفَتِهِ إِلَى الْحِجْزَةِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَقْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ فَقَشَرَ بِهَا ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ رَيْعَةَ بْنَ أَحْمَدَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ وَسَارَ إِلَى بَرْقَةِ^٢ .

فَقَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ مِنَ الشَّامِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَأَتَقَدَّ الْقَاضِي بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ فِي نَقْرِ بَيْتَابِهِ إِلَى الْعَبَّاسِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ بِبَرْقَةِ ، فَأَتَى أَنْ يَرْجِعَ ، وَعَادَ بَكَّارُ فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ ؛ وَمَضَى الْعَبَّاسُ يُرِيدُ أَفْرِيقِيَّةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ ، فَتَهَبَ لِبَيْدَةِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا عِدَّةً ، وَضَجَّتْ نِسَاؤُهُمْ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَيْشُ ابْنِ الْأَعْلَبِ وَالْأَبَاضِيَّةِ ، فَقَاتَلَهُمْ بِنَفْسِهِ وَحَسَنَ بِلَاؤُهُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَالَ :

[البسيط]

لِلَّهِ دَرْيَ إِذْ أَحْمَدُو عَلَى قَرْسِي	إِلَى الْهِتَاجِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِرُ
وَفِي يَدِي صَارِمٌ أَفْرِي الرُّؤُوسَ بِهِ	فِي حَلَّةِ الْمَوْتِ لَا يُبْقِي وَلَا يَهْدُرُ
إِنْ كُنْتُ سَيَّائِلَةً عَنِّي وَعَنْ خَبْرِي	فَهَا أَنَا اللَّيْثُ وَالصُّمُصَامَةُ الذَّكْرُ
مَنْ آلٍ طُولُونَ أَصْلِي إِنْ سَأَلْتَ فَمَا	فَوْقِي لِمُتَخَبِرٍ بِالْجُرُودِ مُفْتَحَرُ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَةً كَرِّي بِلَيْدَةِ إِذْ	بِالشَّيْفِ أَضْرِبُ وَالْهَامَاتِ تُبْقَدُرُ
إِذَنْ لِمَعَانِيَّتِي مِثِّي مَا تَنَادَرَةُ ^٣	عَنِّي الْأَحَادِيثُ وَالْأَنْبَاءُ وَالْخَبَرُ

(a) بولاق : ماجور . (b) بولاق : تبادره .

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ صِنَادِيدُ عَشِكَرِهِ وَوُجُوهُ أَصْحَابِهِ ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُ ، وَفَرَّ إِلَى بَزْجَةَ فِي ضَرٍّ^١ .

وَعَقَدَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ عَلَى بَجِيشٍ ، وَبَقِيَ بِهِ إِلَى بَزْجَةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ . ثُمَّ خَرَجَ بِنَفْسِهِ فِي عَشِكَرٍ عَظِيمٍ ، يُقَالُ إِنَّهُ بَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ ، لِثِنْتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ ، فَأَقَامَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَفَرَّ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ مِنْ عِنْدِ الْعَبَّاسِ ، فَصَغَّرَ عِنْدَهُ أَمْرَ الْعَبَّاسِ ، فَعَقَدَ عَلَى بَجِيشٍ سَيِّرَهُ إِلَى بَزْجَةَ ، فَوَاقَعُوا أَصْحَابَ الْعَبَّاسِ وَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ كَثِيرًا ، وَأَذْرَكُوا الْعَبَّاسَ لِأَرْبَعِ خَلُوفٍ مِنْ رَجَبٍ .

وَعَادَ أَحْمَدُ إِلَى الْقُسْطَاطِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْهُ ، وَقَدِمَ الْعَبَّاسُ وَالْأَسْرَى فِي شَوَّالٍ ، ثُمَّ أَخْرَجُوا أَوَّلَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَقَدْ بُنِيَتْ لَهُمْ دُكَّةٌ عَالِيَةٌ ، فَضَرِبُوا وَأَلْقَوْا مِنْ أَغْلَاهَا^٢ .

ثُمَّ بَقِيَ بَلُؤْلُؤُ فِي بَجِيشٍ إِلَى الشَّامِ ، فَعَالَفَ عَلَى أَحْمَدَ وَمَالَ مَعَ الْمُؤَفَّقِ وَصَارَ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ أَحْمَدُ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ ثُمَامُزَوْبَةَ فِي صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ ، فَتَزَلَّ دِمَشْقُ - وَمَعَهُ ابْنُهُ الْعَبَّاسُ مُقَيَّدٌ - فَعَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلَ طَرَسُوسَ ، فَخَرَجَ يُرِيدُ مُحَارَبَتَهُمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ لَوُرُودِ كِتَابِ الْمُقْتَدِمِ عَلَيْهِ ؛ إِنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِ لِيَلْتَجِئَ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ كَالْمُتَصَبِّدِ مِنْ بَغْدَادَ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الرُّوْقَةِ ؛ فَبَلَغَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقَ مَسِيرَهُ - وَهُوَ مُحَارِبٌ لِمُصَاجِبِ الرُّزْنَجِ^٣ - فَعَمِلَ عَلَيْهِ حَتَّى عَادَ إِلَى سَامَرَا ، وَوَكَّلَ بِهِ جَمَاعَةً ، وَعَقَدَ لِإِسْحَاقَ بْنِ كِنْدَاجِ الْحَزْرِيِّ عَلَى مِصْرَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ طُولُونَ ، فَزَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَأَخْضَرَ الْقَضَاةَ وَالْقُضَاءَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَكَتَبَ إِلَى مِصْرَ كِتَابًا قُرِئَ عَلَى النَّاسِ : بِأَنَّ أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقَ نَكَثَ بَيْعَةَ الْمُقْتَدِمِ ، وَأَسْرَهُ فِي دَارِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَصِيبِ ، وَأَنَّ الْمُقْتَدِمَ قَدْ صَارَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ ذِكْرُهُ وَإِنَّهُ يَكْفِي بُكَاءَ شَدِيدًا . فَلَمَّا خَطَبَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ذَكَرَ مَا نِيلَ مِنَ الْمُقْتَدِمِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ فَاتَكِفِهِ مَنْ حَصَرَهُ وَظَلَمَهُ .

وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ وَجَمَاعَةٌ إِلَى دِمَشْقَ ، وَقَدْ حَصَرَ أَهْلَ الشَّامَاتِ وَالثُّغُورِ ، فَأَمَرَ ابْنَ طُولُونَ بِكَتَابٍ فِيهِ خَلَعَ الْمُؤَفَّقَ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ لِمُخَالَفَةِ الْمُقْتَدِمِ وَحَضَرَهُ إِثَاءً ، وَكَتَبَ فِيهِ : «إِنَّ أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقَ خَلَعَ الطَّاعَةَ وَبَرَّئَ مِنَ الدُّمَةِ ، فَوَجِبَ جِهَادُهُ عَلَى الْأُمَّةِ» . وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ^٤

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٤٨ - ٢٤٩ . (٢٥٥ - ٢٧٠ / ٨٦٩ - ٨٨٣ م) في جنوب العراق وجنوب

غرب فارس الدولة العباسية ، ومطت تهديدًا خطيرًا للدولة .

(راجع ، فيصل السامر : ثورة الرنخ ، بغداد ١٩٥٤

Popovic, A., *La révolte des esclaves en Iraq au*

. III^e / IX^e siècle, Paris 1976

^٢ نفسه ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وقارن البلوي : سيرة أحمد بن

طولون ٢٦٨ - ٢٦٩ .

^٣ أُلْقَتْ ثَوْرَةُ الرُّزْنَجِ الَّتِي اشْتَعَلَتْ لِمُدَّةِ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ

من حضر، إلا بكار بن قتيبة/ وآخرين، وقال بكار: لم يصبح عندي ما فعله أبو أحمد ولم أعلمه، وامتنع من الشهادة والخلع، وكان ذلك لإحدى عشرة^١، خلّت من ذي القعدة^٢.

فبلغ ذلك المؤفق، فكتب إلى عماله بآمن أحمد بن طولون على المنابر، فلمن عليها بما صيغته: «اللهم اعنه لقنا بقل حده ويثيس مجده، واجعله مثلاً للغايرين، إنك لا تضيع عمل المؤمنين». ومضى أحمد إلى طرسوس فنارزها، وكان البرد شديداً، ثم رحل عنها إلى أدنة^٣.

وسار إلى المصيصة فنزلت به علة الموت. فأعد الشير يريد مصر حتى بلغ القرمنا، فركب النيل إلى القسطاط، فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين، فأوقف بكار بن قتيبة، وبعث به إلى السجن. وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الأحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين. فلما بلغ المعتد موته اشتد وجده وجزع عليه، وقال يزيه^٤:

[المقارب]

إلى الله أشكو أشي عراني كوقع الأسئل
على رجل أرويع يزي منه فضل الرجل^٥
شهاب حبا وقده وعارض غيب أقل
سكت دولتي فقده وقد كان زين^٥ الدول

فقام بعده ابنه أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وبايعه الجنود يوم الأحد لعشر خلون من ذي القعدة^٦، فأمر بقتل أخيه العباس لامتناعه عن مبايعته. وعقد لأبي عبد الله أحمد الواسطي على جيش إلى الشام لست خلون من ذي الحجة، وعقد لسعد الأيسر على جيش آخر، وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية. فنزل الواسطي فلسطين، وهو خائف من

١٠

١٥

(a) عند الكندي لاثني عشرة ليلة. (b) بولاق: الرجل. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: يزين.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٥١-٢٥٢.

^٢ نفسه ٢٥٤.

^٣ نفسه ٢٥٦-٢٥٧.

^٤ راجع أخبار أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون أيضاً عند الكندي: ولاية مصر ٢٥٨-٢٦٤ ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١٣٤-١٤٠ ابن خلكان: وفیات

الأعيان ٢٤٩:٢-٢٥١: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٤٦:١٣-٤٤٨: الصفدي: الوافي بالوفيات ٤١٦:١٣-٤١٨: المقرئ: المفاتيح الكبير ٨١١:٣-٨١٣: أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٤٩:٣-٨٧: Haarmann, U., *El art. Khumārawayh* V, pp. 50-52.

خُمارَوْيه أن يُوقِعَ به لَأَنَّهُ كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِقَتْلِ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ الْمُؤَقِّقِ يُصَغِّرُ أَمْرَ خُمارَوْيه ، وَيُحَرِّضُهُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ^١.

فَأَقْبَلَ مِنْ بَغْدَادَ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَاجٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الشَّجَاعِ ، وَنَزَلَ الرُّقَّةَ فَتَسَلَّمَ يُبَشِّرِينَ وَالْعَوَاصِمَ ، وَسَارَ إِلَى شَيْزَرٍ ، فَقَاتَلَ أَصْحَابَ خُمارَوْيه وَهَزَمَهُمْ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ . فَخَرَجَ خُمارَوْيه فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ ، لِعَشْرِ خَلَوْنٍ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، فَالْتَقَى مَعَ أَحْمَدَ بْنِ الْمُؤَقِّقِ ^٥ بِنَهْرِ أَبِي فُطُوسٍ ^٢ - الْمَعْرُوفِ بِالطُّوَّاجِينَ - مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ ، وَاقْتَتَلَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ خُمارَوْيه ، وَكَانَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَابْنُ الْمُؤَقِّقِ فِي نَحْوِ أَرْبَعَةِ أَلْفٍ ، وَاخْتَوَى عَلَى عَشْكَرِ خُمارَوْيه بِمَا فِيهِ . وَمَضَى خُمارَوْيه إِلَى الْفُسْطَاطِ ، وَأَقْبَلَ كَمِينَ كَانَ ^٣ لَهُ عَلَيْهِ سَعْدُ الْأَيْسَرِ ^٤ ، وَلَمْ يَقْلَمْ بِهَزِيمَةِ خُمارَوْيه ، فَحَارَبَ ابْنَ الْمُؤَقِّقِ حَتَّى أزالَهُ عَنِ الْمُعْشَكَرِ ، وَهَزَمَهُ اثْنِي عَشَرَ مِائَةً ، وَمَضَى إِلَى دِمَشْقَ فَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ ^٦.

وَدَخَلَ خُمارَوْيه إِلَى الْفُسْطَاطِ لثَلَاثِ خَلُونٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَسَارَ سَعْدُ الْأَيْسَرِ ^٥ وَالْوَاسِطِي فَمَلَكَا دِمَشْقَ . وَخَرَجَ خُمارَوْيه مِنْ مِصْرَ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَوَصَلَ إِلَى فِلَسْطِينَ ، ثُمَّ عَادَ لِاثْنَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، فَقَتَلَ سَعْدًا الْأَيْسَرَ ^٥ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ لِسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ^٣.

وَسَارَ لِقِتَالِ ابْنِ كَنْدَاجٍ ، فَكَانَتْ عَلَى خُمارَوْيه فَاثْنَهَزَمَ أَصْحَابَهُ ، وَثَبَّتَ هُوَ فِي طَائِفَةٍ ، فَهَزَمَ ابْنَ كَنْدَاجٍ وَاتَّبَعَهُ حَتَّى بَلَغَ أَصْحَابُهُ سُرَّ مِنْ رَأَى ، ثُمَّ اضْطَلَحَا وَتَصَاهَرَا ^٧ ، وَأَقْبَلَ إِلَى خُمارَوْيه فَأَقَامَ فِي عَشْكَرِهِ ، وَدَعَا لَهُ فِي أَعْمَالِهِ الَّتِي بِيَدِهِ ^٤.

وَكَاتَبَ خُمارَوْيه أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَقِّقَ فِي الصُّلْحِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ بِهِ فَالِئِى الْخَادِمِ إِلَى مِصْرَ فِي رَجَبٍ ، ذَكَرَ فِيهِ أَنَّ الْمُغْتَنِمَ وَالْمُؤَقِّقَ وَابْنَ كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَبِوِلَايَةِ خُمارَوْيه وَوَلَدَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى مِصْرَ وَالشَّامَاتِ . ثُمَّ قَدِمَ خُمارَوْيه سَلْخَ رَجَبٍ ، فَأَمَرَ بِالْدُّعَاءِ ^٨.

(a) بولاق: بطرس. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الأعسر واللبث من آياصوليا والظاهرية والكندي. (d) بولاق: تظاهرا.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٥٨.

^٢ نفسه ٢٦٠.

^٣ نفسه ٢٦٠ - ٢٦١.

^٤ نفسه ٢٥٩ - ٢٦٠.

لأبي أحمد المؤفق وترك الدعاء عليه، وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حروب. وبلغه مسير محمد بن أبي الشاج إلى أعماله، فخرج إليه في ذي القعدة، ولقيه ببيعة العقاب^(a) من دمشق، فانتهز أصحاب حماروته، وثبت هو فحاربه حتى هزمه أقيح هزيمة^١.

وعاد إلى مصر، فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين، ثم خرج إلى الإسكندرية لأربع خلون من شوال، وورد الخبر أنه دعي له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين، وخرج إلى الشام لسبع عشرة من ذي القعدة.

ومات المؤفق في سنة ثمان وسبعين، ثم مات المعتضد في رجب سنة تسع وسبعين؛ وتوفي المعتضد أبو العباس أحمد بن المؤفق، فبعت إليه حماروته بالهدايا، وقدم من الشام لست خلون من ربيع الأول سنة ثمانين. فورد كتاب المعتضد بولاية حماروته على مصر هو وولده ثلاثين سنة، من الثرات إلى بركة، وجعل له الصلاة والخراج والقضاء وجميع الأعمال، على أن يخيل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى، وثلاث مائة ألف للمستقبل^٢.

ثم قدم رسول المعتضد بالخيل، وهي اثنتا عشرة خيلة وسيف وتاج ووشاح، مع خاديم في رمضان. وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت حماروته في سنة إحدى وثمانين^٣.

وفيهما خرج حماروته إلى نزهته بزيوط^(b) في شعبان، ومضى إلى الصعيد فبلغ شيوط، ثم رجع في^(c) الشرق إلى الفسطاط أول ذي القعدة. وخرج إلى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين، فأقام بمئنة الأصنع ومئنة مطر، ثم رحل حتى أتى دمشق، فقيل بها على فراشه ذبحه بجواره / وخذاه^(d)^٤.

وحمل في صندوق إلى مصر، وكان لدخول تابوته يوم عظيم، واستقبله بجواره وجواري غلمان ونساء قواده ونساء القضاة بالصباح وما يصنع في الماتم، وخرج الغلمان وقد حلوا أقيعهم، وفيهم من سود ثيابه وشققها، وكانت في اليد ضجة عظيمة وصرخة^٥.

(a) بولاق: شبة العقاب. (b) الكندي: بمريوط. (c) بولاق: من. (d) بولاق: خدمه.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٦١-٢٦٢.

^٢ نفسه ٢٦٣-٢٦٤.

^٣ نفسه ٢٦٤، وانظر نكاح قطر الندى فيما تقدم ٩٤-١٣٤.

تُغْتَبِغُ الْقُلُوبَ حَتَّى دُفِنَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا^١ .

ثُمَّ وَلِيَ أَبُو الْقَسَائِكِرِ جَيْشُ بْنُ خُمَارَؤَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، بِدِمَشْقَ . فَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى أُمُورٍ أُكْبِرَتْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْعَشَ مِنْ عِظَمَاءِ الْجُنْدِ وَتَنَكَّرَ لَهُمْ ، فَخَافُوهُ وَذَأَبُوا فِي الْقَسَادِ . فَخَرَجَ مُتَنَزِّهًا إِلَى مِثْبَةِ الْأَضْبَحِ ، فَفَرَّ جَمَاعَةٌ مِنْ عِظَمَاءِ الذُّوَلَةِ إِلَى الْمُغْتَصِدِ ، وَخَلَقَهُ أَحْمَدُ بْنُ طُغْغَانَ وَكَانَ عَلَى الثُّغْرِ ، وَخَلَقَهُ طُغْغَانُ بْنُ جُحْفَ بِدِمَشْقَ ، فَوُتِبَ جَيْشٌ عَلَى عَمِّهِ مُضَرَّ^٢ .

• وَكَانَ خَلْفَهُ لِعَشْرِ خَلَوْنٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةً ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ ، فَوَلِيَ سَنَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، وَمَاتَ فِي السَّجْنِ بَعْدَ أَيَّامٍ^٣ .

١٠ ثُمَّ وَلِيَ أَبُو مُوسَى هَارُونَ بْنُ خُمَارَؤَيْهِ يَوْمَ خَلَعَ جَيْشُ ، فَقَامَ طَائِفَةٌ مِنَ الْجُنْدِ ، وَكَاتَبُوا رَبِيعَةَ ابْنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ وَكَانَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَدَعَوْهُ وَوَعَدُوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ . فَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبَحِيرَةِ وَمِنَ الْبَزْزِ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ظَاهِرَ فُشْطَاطِ مِصْرَ ، فَخَذَلَهُ الْقَوْمُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْقَوَاذِ ، فَقَاتَلُوهُ وَأَسْرَوْهُ لِأَحَدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ وَمِائَتَيْ سَوْطٍ ، فَمَاتَ^٤ .

١٥ وَبِمَاتِ الْمُغْتَصِدُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، وَبُوِيَغَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ ، وَخَرَجَ الْقَرْمَطِيُّ بِالشَّامِ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ ، فَخَرَجَ الْقَوَاذِ مِنْ مِصْرَ وَحَارَبُوهُ فَهَزَمَهُمْ^٥ .

وَبَقِيَ الْمُكْتَفِي مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبِ فَتَزَلَّ جِصْرُ ، وَبَقِيَ بِالْمَرَاكِبِ مِنَ الثُّغْرِ إِلَى سَوَاجِلِ مِصْرَ ، وَأُقْبِلَ إِلَى فِلَسْطِينَ . فَخَرَجَ هَارُونَ يَوْمَ الثَّوَرِيَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَسَيَّرَ الْمَرَاكِبَ الْحَزْبِيَّةَ ، فَالْتَقَوْا بِمَرَاكِبِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي تَبَّاسٍ فَعَلَّيُوا ، وَمَلَكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ تَبَّاسَ وَدِمَاطَ . فَسَارَ هَارُونَ إِلَى الْعَبَّاسَةِ ، وَمَعَهُ أَهْلُهُ وَأَعْمَامُهُ فِي ضَيْقٍ

٢٠

(٥) الكندي : نصر .

١١٧ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٨٨ - ٩٨ .

١ الكندي : ولاية مصر ٢٦٤ .

٢ نفسه ٢٦٦ .

٢ نفسه ٢٦٥ - ٢٦٦ وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب

٣ نفسه ٢٦٧ .

(قسم مصر) ١٤٣ - ١٤٤ الصغدني : الوافي بالوفيات

١١ : ٢٢٩ - ٢٣٠ للفريزي : المقفى الكبير ٣ : ١١٦ -

وجُهد، فتفرق عنه كثير من أصحابه، وبقي في نَجْرٍ يسير وهو مُتَشَاغِلٌ باللَّهُو. فأَجْمَعَ عَمَّاهُ شَيْبَانٌ وَعَدِيْدٌ ابْنَا أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ عَلَى قَتْلِهِ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَتَلَاهُ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَحَدَى عَشْرَةِ بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ، وَسِئُهُ يَوْمَئِذٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَمَانِ سَنَيْنَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا^١.

٥ ثم وَلِيَ شَيْبَانٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ أَبُو الْمُقَاتِلِ^٢ عِشْرِينَ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ، فَزَجَعَ إِلَى الْفُسْطَاطِ. وَبَلَغَ طُغْجُ بْنُ جُفٍّ وَغِيْرُهُ مِنَ الْقَوَادِ قَتْلَ هَارُونَ، فَأَتَكَرَّهُوْا وَخَالَفُوْا عَلَى شَيْبَانَ، وَبَعَثُوا إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ فَأَمَّتْهُمْ، وَخَرَّكُوْهُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى مِصْرَ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ الْعَبَّاسِيَّةَ، فَلَقِيَهُ طُغْجُ بْنُ نَاسٍ مِنَ الْقَوَادِ كَثِيرٌ، فَسَارُوا بِهِ إِلَى الْفُسْطَاطِ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ عَائِمَةُ أَصْحَابِ شَيْبَانَ. فَخَافَ حَيْثُ شَيْبَانَ، وَطَلَبَ الْأَمَانَ، فَأَمَّتْهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ لِلَّيْلَةِ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ اثْنِي عَشْرَ يَوْمًا^٣.

وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ أَوَّلَ رَمَضَانَ الْأَوَّلِ، فَأَلْقَى النَّارَ فِي الْقَطَائِعِ، وَنَهَبَ أَصْحَابَهُ الْفُسْطَاطِ، وَكَتَسَرُوا الشُّجُونَ وَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهَا، وَهَجَمُوا الدُّوْرَ، وَاشْتَبَاخُوا الْحَرِيْمَ، وَقَتَكُوا فِي الرَّمِيَّةِ^٤، وَاقْتَضَوْا الْأَبْكَارَ، وَسَاقُوا النِّسَاءَ، وَقَتَلُوا كُلَّ قَبِيْحٍ، مِنْ إِيْخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ دُوْرِهِمْ وَغِيْرِ ذَلِكَ. وَأَخْرَجَ وَلَدُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ وَهُمْ عِشْرُونَ إِنْسَانًا، وَأَخْرَجَ قَوَادِمَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ بِمِصْرَ مِنْهُمْ أَحَدٌ يُذَكَّرُ، وَخَلَّتْ مِنْهُمْ الدِّيَارُ، وَعَفَّتْ مِنْهُمْ الْآثَارُ، وَتَعَطَّلَتْ مِنْهُمْ الْمَنَازِلُ، وَحُلَّ بِهِمُ الدُّلُّ بَعْدَ الْعِزِّ، وَالتُّطْرِيْدُ وَالتَّشْرِيدُ بَعْدَ اجْتِمَاعِ الشُّمْلِ وَنُضْرَةِ الْمَلِكِ وَمُسَاعَدَةِ الْأَيَّامِ^٥.

١٥ ثم سَاقَ أَصْحَابُ شَيْبَانَ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَدَبَّحُوا بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا تُدَبَّحُ الشَّيَاطِينُ، وَقَتَلَ مِنَ السُّودَانِ - سُكَّانِ الْقَطَائِعِ - خَلْقًا كَثِيرًا؛ فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبِيْشِيُّ^٥:

(أ) بولاق: أبو الواقيت. (ب) أباصوفيا وبولاق: وهتكوا الرعية والثلث من الظاهرية.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٦٨-٢٦٩ وانظر كذلك ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١٤٤-١٤٥؛ أباه المحاسن: النجوم الزاهرة ٩٨:٣-١٣٤. الكندي: ولاية مصر ٢٧١، وقارن مع أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣٨:٣-١٣٩.

^٢ نفسه ٢٧٠؛ وانظر كذلك ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١٤٥-١٤٦؛ أباه المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣٤-١٣٨ وفيه أن مدة تغلب شيبان على مصر تسعة أيام، منها

^٥ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٧١-٢٧٢.

[البسيط]

قد لَمَّ بِالْأَمْنِ شَعْبَ الْحَقِّ فَانْشَعَبَا
فَسُوءُ عَاقِبَةِ الْمَفْزَى لِمَنْ كَذَبَا
وَفَرَجَ الظُّلَمَ وَالْإِظْلَامَ وَالْكَرْبَا
وَفِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ تُذْهِبُ الرِّيبَا
فَانْقَضَ عَذْرَتُهَا بِالشَّيْفِ وَانْقَضَتَا
نَفْسًا وَأَكْرَمَتْهُمْ فِي الدَّاهِيَيْنِ أَمَا
أَضْحَى غَرِيبُهُمُ الْخَطِيئُ لَا الْقَضَا
مِثْلَ الذَّنْبِ يَمْتَحِنُونَ الدَّبَّةَ الدَّأْبَا
أَمَا عَلَيَّ تَرَى مِنْ دُونِهَا الرُّوتْبَا
مِنَ الْخَطُوبِ وَعَاقَتْ مِنْهُمْ الْخَطْبَا
وَشَيَّبَ الرُّغْبَ شَيْبَانًا وَقَدْ رَغِبَا
كَأَنَّهَا مِنْ زَمَانٍ غَابِرٍ ذَهَبَا
وَمِنْ نَعِيمٍ جَنَى مِنْ عَذْرِهِمْ عَطْبَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِقْرَارًا بِمَا وَهَبَا
اللَّهُ أَصْدَقَ هَذَا الْفَتْحِ لَا كَذِبَا
فَتَحَّ بِهِ فَتَحَ الدُّنْيَا مُحَمَّدُهَا
لَا زَيْنَ زُبَّ هِبَاجٍ يَفْتَضِي دَعَا
رَمَى الْإِمَامَ بِهِ عَذْرَاءُ غَادِرَةً
مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ أَعْرَضَهُمْ
سَرَى بِأَمْسِدِ الشَّرَى لَوْ لَمْ يُرْزَا بِشَرَا
حُجْمَ الْقَضَاءِ عَلَى الْبَحْمُومِ حِينَ أَتَوْا
/إِلَيْهَا عُلُوتٌ عَلَى الْأَهْيَامِ مَرْتَبَةً
لَمَّا أَطَالَ بَنُو طُولُونَ خُطْبَتَهُمْ
هَازَتْ بِهَارُونَ مِنْ ذِكْرِكَ بُقْعَتُهُ
فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ
وَكَمْ تُرَى لَهُمْ مِنْ جَنَّةٍ أَتُفِ
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ١:

[الكامل]

فَازَتْغَ وَغُجَّ بِمَرَايِعِ الْمَيْدَانِ
وَاشْرَخَ بِزَهْرَةِ ذَلِكَ الْجُشْتَانِ
تُنْبِيكَ كَيْفَ تَصْرِفُ الْعَضْرَانِ
وَأَشْبَتَ رَأْسُ أَمِيرِهِمْ شَيْبَانِ
فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ وَلَا غَشَّانِ
لَمْ يُصَصِّرَا بِأَخِيهِمَا عَذْنَانِ
وَتَمَزَّقَتْ عَنْ شَيْعَةِ الشَّيْطَانِ

إِنْ كُنْتُ تَسْأَلُ عَنْ جَلَالَةِ مُلْكِهِمْ
وَانْظُرْ إِلَى تِلْكَ الْقُصُورِ وَمَا حَوَتْ
وَإِنْ اعْتَبَرْتَ فِيهِ أَيْضًا عِبْرَةً
يَا قَتْلَ هَارُونَ اجْتَنَنْتَ أَصُولَهُمْ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ ٢ تَأْسُ قَيْسٍ إِذْ عَدَا
وَعُدَّةُ الْبَطْلُ الْكَيْسِ وَخَزَزَجْ
رُفَّتْ إِلَى آلِ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ ٢:

[الكامل]

(١) بولاق، عنكم، الكندي: عنهم.

١ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٧٢-٢٧٣. الخاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠.

٢ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٧٤، أبي

فَفِ وَقَفَةٌ بِفَنَاءٍ^(٥) باب الساج
وزنوع قَوْمٍ أُرْعِبُوا عَنْ دَارِهِمْ
كانوا مصايحاً لَدَى^(٦) ظَلَمِ الدُّجَى
وكان أَوَجَّهُهُمْ^(٧) إذا أَبْصَرَتْهَا
كانوا لُيُونًا^(٨) لا يُرَامُ جِماهُمُ
فانظُرْ إلى آثارِهِمْ تَلْقَى لَهُمُ
وعَلَيْهِمْ ما عِشْتُ لا أَدْعُ الْبُكَاءَ
وقال سَعِيدُ الْقَاصِ:^(٩)

[الطويل]

جزى دَفْعُهُ ما بين سَحَرٍ إلى نَحَرٍ
وباتَ وَقِينًا لِلَّذِي خَافَرَ الْحَنَّا
وهل يستطيع الصَّبْرُ مَنْ كان ذا أَسَى
تتابع أَخْداثَ تَحَيُّفٍ^(١٠) صَبْرِهِ
أصابَ على رَغَمِ الْأُتُوفِ وَجَذَعِهَا
طَوَى زِينَةَ الدُّنْيَا وَمِضْباجَ أَهْلِهَا
وقد بني طُولونَ في كُلِّ مَوْطِنٍ
فبادُوا وَأَضْحَوْا بعد عِزٍّ وَمَنْعَةٍ
وكان أبو العَبَّاسِ أَحْمَدُ ما جَدَا
كأنَّ لِيالي الدَّهْرِ كانتَ لِحُسْنِهَا
تُدُلُّ على فَضْلِ ابنِ طُولونَ هِئَةَ
فإن كُنتَ تَبْغِي شَهِيدًا ذا عَدَالَةٍ
فبالجَبَلِ الْغَرْبِيِّ يَحْطِئُ بِشُكْرِ

(٥) بولاق: بقباب. (٦) الكندي: إذا. (٧) الكندي: وجهمهم. (٨) بولاق: من فضاء أو من عاج. (٩) الكندي: ثريا. (١٠) بولاق: يضيئ. (١١) هذا البيت ساقط من الكندي والنجوم. (١٢) الكندي: البدر.

^١ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٧٤-٢٧٧، ١٤١: ٣، وقارن هذه القصيدة بالقصيدة التي رثى فيها عمارة وأورد منها بعض أبيات أبو المحاسن: النجوم الزاهرة
الهمني الدولة الفاطمية فيما يلي ٦٠٦-٦٠٧.

يُدِلُّ ذَوِي الْأَبَابِ أَنْ يَنْعَاهُ
بَنَاهُ بِأَجْرٍ وَسَاجٍ^(a) وَعَرَوَعِرِ
بَعِيدُ مَدَى الْأَقْطَارِ سَامَ بِنَاؤُهُ
فَسَيْخُ الرِّحَابِ يَحْصِرُ^(b) الطُّرُفَ ذَوْتَهُ
(وَتَلَوُّ فِرْعَوْنَ) الَّذِي قَوَّقَ قُلَّةَ
بَنَى مَسْجِدًا فِيهِ يُرْوَقُ^(c) بِنَاؤُهُ
تَحَالَ سَنَا قَلْبِي بِهِ وَضِيَاءُهُ
وَعَيْنُ مَعِينِ الشُّرْبِ غَيْرُ^(d) رَكِيئَةٍ
كَأَنَّ وَفُودَ الثَّمِيلِ فِي جَنَابَاتِهَا
فَأَرْقَاهَا^(e) مُسْتَقْبَطًا لِمَعِينَتِهَا
بِنَاءٌ لَوْ أَنَّ الْحَيَّ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ
يَمْزُ عَلَى أَرْضِ الْمَغَافِرِ كُلِّهَا
قَبَائِلُ لَا تَوْءُ السُّحَابِ يَمْدُهَا
وَلَا تَنْسُ (مَارِشَتَانَهُ) وَاتِّسَاعُهُ
وَمَا فِيهِ مِنْ قُورَاهِ وَكُفَاتِهِ
فَلِلْمَيِّتِ الْمَقْبُورِ حُسْنُ جِهَارِهِ
وَأَنْ جِئْتَ رَأْسَ الْجَيْشِ فَانْظُرْ تَائِلًا
تَرَى أَثَرًا لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَطِيعُهُ
مَاتُوا لَا تَبْلَى وَإِنْ بَادَ أَهْلُهَا
لَقَدْ ضَمِنَ الْقَبْرِ الْمَقْنَرُ ذَرْعُهُ
وَقَامَ أَبُو الْجَيْشِ ابْنُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَتَتْهُ الْمَنَاقِبُ وَهَرَّتْ فِي أَثَرِ دَارِهِ
كَذَاكَ اللَّيَالِي مِنْ أَعَارِئِهِ بَهْجَةٍ
وَوُزَّتْ هَارُونَ ابْنَةُ تَاجِ مُلْكِهِ^(f)
وَقَدْ كَانَ جَيْشُ قَبْلِهِ فِي مَحَلِّهِ

وَبَانِيهِ لَا بِالضُّنَيْنِ وَلَا الْعُمَرِ
وَبِالْمَوْتِ الْمَشْنُونِ وَالْحَصِّ وَالصُّخْرِ
وَتَمِثُّ الْمَتَانِي مِنْ عُقُودٍ وَمِنْ جُذْرِ
رَقِيقِ النَّسِيمِ^(g) طَلِبُ الْقُرْبِ وَالنَّشْرِ
عَلَى جَبَلٍ عَالٍ عَلَى شَاهِقٍ وَغَيْرِ
وَيَهْدِي بِهِ فِي اللَّيْلِ إِنْ ضَلَّ مَنْ يَسْرِي
شَهِيئًا إِذَا مَا لَاحَ فِي اللَّيْلِ لِلشُّفْرِ
وَعَيْرُ^(h) أَجَاجٍ لِلرَّوَاةِ وَلِلطُّهْرِ
تَرُوحُ وَتَعْدُو بَيْنَ مَدٍّ إِلَى جَزِيرِ
مِنَ الْأَرْضِ مَنْ تَعْلُنَ عَمِيقَ إِلَى ظَهْرِ
لَقِيلَ: لَقَدْ جَاءَتْ بِمُسْتَقْطَعٍ نُكْرِ
وَشُعْبَانٍ وَالْأَخْمُورِ وَالْحَيِّ مِنْ بَشْرِ
وَلَا الثَّمِيلُ يَزُوبُهَا وَلَا جَذُولُ يَجْرِي
وَتَوْسِيعَةُ الْأَوْزَاقِ لِلْحَوْلِ وَالشَّهْرِ
وَرَفَقَهُمْ بِالْمُعْتَفِينَ ذَوِي الْفَقْرِ
وَاللَّحَى رَفَقَ فِي عِلَاجٍ وَفِي خَبِيرِ
إِلَى (الْحِصْنِ) أَوْ قَاعُهُ إِلَيْهِ عَلَى الْجَنْبِ
مِنَ النَّاسِ فِي بَدْوِ الْبِلَادِ وَلَا خَضِرِ
وَمَجْدٌ يُوْدِي وَإِرْبَهُ إِلَى الْقَحْرِ
أَجَلٌ إِذَا مَا قِيسَ مِنْ قَيْمَتِي حَجَرِ
كَمَا قَامَ لَيْثُ الْغَابِ فِي الْأَسَلِ الشَّعْرِ
فَأَضْبَحَ مَسْلُوبًا مِنَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
فَيَا لَكَ مِنْ نَابٍ حَدِيدٍ وَمِنْ ظُفْرِ
كَذَاكَ أَبُو الْأَشْبَالِ ذُو النَّابِ وَالنَّهْضِ
وَلَكِنْ جَيْشًا كَانَ مُسْتَقْصِرُ⁽ⁱ⁾ الْعُمَرِ

(a) الكندي: آس. (b) بولاق: بحصر. (c) بولاق: نسيم. (d) الكندي: يفوق. (e) بولاق: حين.

(f) بولاق: فارك بها. (g) الكندي: تاج ماجد. (h) الكندي: مستقص. (i) بولاق: حين.

فقام بأمر الملك هارون مئة على كطط^(a) من ضيق باع ومن حضر
وما زال حتى زال والدفر كاشع عقاربه من كل ناحية تشري
تذكرتهم لما مضوا فتقاتلوا كما افض سلك من جمان ومن شذر
فمن يتك شيئا ضاع من بعد أهله لفقدهم فليتك حزنا على مصر
ليتك بني طولون إذ بان غضبهم فبوربك من دفر وبورك من غضب
ثم أتمر الحسين بن أحمد الماذرائي، متولي خراج مصر، بهدم الميدان^(b)، فابثدى في هدمه في
شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وبقت أنقاضه ودثر كأن لم يكن^١.
وقال محمد بن طشونه^٢:

[البيت]

من لم ير الهدم للميدان لم يره تبارك الله ما أعلاه وأقصره
لو أن عين الذي أنشاه تبصره والحادثات ثعاده لأكبصره
كانت عيون الوري تغشو لهيبه إذا أضاف إليه الملك عسكره
أهن الملك التي كانت تحمل به وأين من كان يحميه ويحرسه
صاح الزمان بمن فيه فقرقه وأمن من كان يحسن جذبه
دكت مناظره واجتث جوسقه وأخلق الدهر منه محسن جذبه
أو هب إعصار نار في جوانبه كتم كان يأوي إليه في مقاصره
كم كان فيه لهم من مشرب غدق مثل الكتاب مخا العضران أشطره
أهن ابن طولون بانيه وساكنه كائما الحنف فاجأه فدمره
/ ما أوضح الأمر لو صحت لنا فكره فعدا معروفه للعين منكزه
أحوى أغر غضيب الطوف أخوره فعبت صرف الردى فيه فكثره
أمنه الملك الأعلى فأقبره طوتى لمن خصه رشدا فذكره

١٠

١٥

٢٠

(a) الكندي: نكد. (b) بولاق: الديوان. (c) بولاق: بالإنقاذ.

^١ أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤١-١٤٢ وهو ينقل عن الخطط، ووردت هذه الفقرة في غير موضعها الصحيح في بولاق.
^٢ الكندي: ولاية مصر ١٢٨٣ واختار أبو الحسن ستة أبيات من القصيدة أوردتها في النجوم الزاهرة ٣: ١٤٢.

وقال أحمد بن إسحاق الجفري^١:

[الخفيف]

وَإِذَا مَا أَرَزْتُ أَعْجُوبَةَ الدُّهْرِ
تَنْظُرُ الْبَيْتَ^٥ وَالْهُمُومَ وَأَتُوا
يَعْلَمُ الْعَالِمُ الْبَصِيرُ أَنَّ السَّ
أَفْنِ مَا فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ وَمِنْ عَذِ
أَنَّ ذَاكَ الْمَشْكُ الَّذِي دِيفَ بِالْعَدِ
أَمِنْ ذَاكَ الْحَزَّ الْمَضَاعِفُ وَالْوَشِ
أَمِنْ تِلْكَ الْقِيَانِ تَشْدُو عَلَى الْفَرْ
دَوْرَ^٥ الدُّهْرِ آلَ طُولُونَ فِي مُدِ
وَأَعَاضُ الْمَيِّدَانِ مِنْ تَعْدِ أَهْلِي
وقال سعيد القاص^٢:

[الخفيف]

وَكَاؤُ الْمَيِّدَانِ تَكَلَّى أَصِيبَتْ
تَنْعَشِي الرِّيحَ مِنْهُ مَحَلًّا
وَلَفَزِشَ الْإِضْرِيحَ وَالْبُشِيطَ وَالْدَّ
وُجُوهٍ مِنَ الْوُجُوهِ حَسَانِ
كُلَّ كَحْلَاءَ^٥ كَالْعَرَالِ وَتَجَلَّا
آلَ طُولُونَ كَنْتُمْ زِينَةَ الْأَرْ
وقال ابن أبي هاشم^٣:

[البسيط]

يَا مَثَرًا لَبْتِي طُولُونَ قَدْ دَثَرَا
يَا مَنْزَلًا صِرْتُ أَجْفُوهَ وَأَهْجَرَه

(a) الكندي: الحكر. (b) بولاق: اللين. (c) بولاق: حوز. (d) بولاق: قد ضاع. (e) بولاق: لمس. (f) بولاق: بخلاء.

^١ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٨٤. منها أبو الخامس بعض أبيات، النجوم الزاهرة ٣: ١٤٢-١٤٣.
^٢ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٨٤-٢٨٥ وأورد
^٣ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٨٥ وأبي =

بِإِلَهِ عِندَكَ عِلْمٌ مِنْ أَحِبَّتِنَا أَمْ هَلْ سَمِعْتَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِنَا خَيْرًا

وقال :

[الطويل]

أَلَا فَاسْأَلِ (الْمِيدَانَ) ثُمَّ اسْأَلِ (الْجَبَلِ)
وعن ابنه العباس إن كنت سائلاً
وجيش وهارون الذي قام بعده
ومن قبله أزدى ربيعة يؤمّه
وأين ذراريهم وأين مجموعهم
وأين بناء القصر والجوسق الذي
لقد ملكوه يرمقه من زماننا
فما منهم خلق يحسن ولا يرى
وصاروا أحاديثاً لمن جاء بعدهم

عن الملك الماضي ابن طولون ما فعل
وأين أبو الجيش القضاضة البطل
وشيطان بالأنس الذي خائنه الأمل
وكان هزيراً لا يطاق إذا حمل
وكيف تقضي عنهم الملك فاضتحل
عهدها معشور القناء له رجل
بدولتهم ثم انقضوا بانقضاء الدول
بذكر طوال الدهر لما انقضى الأجل
وكان بهم في ملكهم يضرب المثل

٥

١٠

وقال :

[الكامل]

قِفْ وَفَقَّةً وَانْظُرْ إِلَى (الْمِيدَانَ)
(وَالْجَوْسَقِ) الْعَالِي لِلنِّيفِ بِنَاؤُهُ
أَيْنَ الذِّهْنُ لَهُوَ بِهِ وَعَثُوا بِهِ
يُجِئِي الْخَوَاجِ إِلَيْهِمْ فِي دَارِهِمْ
يَجْمَعُوا الْجُمُوعَ مَعَ الْجُمُوعِ فَأَتَكَّرُوا
/فَانْظُرْ إِلَى مَا شِئِدُوا مِنْ بَقِيهِمْ
أَيْنَ الْأَلَى حَفَرُوا الْعِيُونَ بِأَرْضِهِ
غَرَسُوا صُنُوفَ الثُّخْلِ فِي سَاحَاتِهِ
وَالرُّغَمَرَانِ مَعَ الْبَهَارِ بِأَرْضِهِ
كَانُوا مُلُوكَ الْأَرْضِ فِي أَهْلِيهِمْ
فَتَمَرَّقُوا وَتَفَرَّقُوا فَهُنَاكَ هُمْ
أَلَا أَعْيِلَعَةَ أَسَارَى بَعْدَهُمْ
مُتَلَدِّدِينَ بِأَسْرِهِمْ قَدْ سُردُوا

(وَالْقَصْرِ) ذِي الشُّوفَاتِ وَالْإِيوَانِ
مَا بَالُهُ قَفَرٌ مِنَ السُّكَّانِ
زَمَنًا مَعَ الْقِيَانِ وَالشُّنَوَانِ
لَا يَزْهَبُونَ غَوَائِلَ الْحَدَثَانِ
وَأَسْتَأْثَرُوا بِالرُّومِ وَالسُّودَانِ
هَلْ فِيهِ غَيْرُ الْجُومِ وَالْخِرْمَانِ
وَتَأْتَقُّوا فِيهِ وَفِي الْبُيُوتِ
وَعَرَائِبِ الْأَعْنَابِ وَالرُّمَّانِ
وَالزُّوزِ بَيْنَ الْأَسْرِ وَالرُّيْحَانِ
كُتِرَاءَ كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَكَانِ
تَحْتَ الثَّرَى يَنْلُونِ فِي الْأَكْمِفَانِ
فِي دَارِ مَضْجَعَةٍ وَدَارِ هَوَانِ
وَنُقُوا عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ

١٥

٢٠

والله وإرث كل حيّ بغيرهم وله البقاء وكل شيء فاني

وقال :

[مجزوء الخفيف]

إِنَّ فِي قُبَّةِ الْهَوَاءِ لَذي اللَّبِّ مُغْتَبِرُ
وَالْقُصُورِ الْمُشِيدَاتِ مَعَ الدُّورِ وَالْحَبَرِ
وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَجَالِسِ وَالْبَيْتِ وَالزُّهَرِ
وَالْجَوَارِي الْمُغْنِيَاتِ ذَوِي الدَّلِّ وَالْحَقَرِ
يَتَبَخَّخْنَ فِي الْحَرَمِ وَفِي الْوُشْيِ وَالْحَبَرِ
وَمُلُوكَ عَبِيدِهِمْ عِدَّةَ الشُّوكِ وَالشُّبَرِ
وَجَيْشٍ مُؤَيَّدُونَ لَذي الْبَأْسِ وَالطُّفَرِ^(أ)
مِنْ صُنُوفِ السُّودَانِ وَالشُّوكِ وَالزُّورِ وَالْحَزَرِ
عَمَرُوا الْأَرْضَ مُدَّةً ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْحَقَرِ
وَاسْتَدْلُ^(ب) الزَّمَانُ مِنْ عَاشَ مِنْهُمْ فَلَمْ يَنْدُرْ
فَهُمْ فِي الْهَوَانِ وَالذَّلِّ أَشْرَى عَلَى خَطَرِ
وَهُمْ بَعْدَ صَفْوِ عَيْشٍ مِنَ الذَّلِّ فِي كَنْزِ
يَا لَطُولُونَ مَا لَكُمْ صِرْتُمْ لِلْوَرَى سَمَرُ
يَا لَطُولُونَ كُنْتُمْ خَبَرًا فَانْقَضَى الْحَبَرُ

وقال :

[الطويل]

مَرَزْتُ عَلَى (الْمَيْدَانِ) مُغْتَبِرًا بِهِ
خَمَارَ وَعَبَاسٍ وَأَخْصَدَ قَبْلَهُمْ
وَأَمِنْ ذَرَارِي آلِ طُولُونَ بَعْدَهُمْ
وَأَمِنْ ثِيَابِ الْخَزَرِ وَالْوُشْيِ وَالْحَلِيِّ
وَأَمِنْ فُتَاتِ الْمَيْشِكِ وَالْعَبِيرِ الَّذِي
لَقَدْ غَالَلَكَ الذُّهْرُ الْحَقُونَ بِصُرْفِهِ
فَسَادَتْهُ أَهْنُ الْجِيَالِ الشَّوَامِخُ
وَأَمِنْ تُرَى شَيْبَائِهِمُ وَالْمَشَايِخُ
أَمَّا فَيْكَ مِنْهُمْ أَهْمُ الرُّيْغِ صَارِخُ
وَأَزْبَائِهِمْ، أَمْ أَهْنُ تِلْكَ الْمَطَائِخُ
غُنِيَتْ بِهِ ذَهْرًا وَتِلْكَ اللَّطَائِخُ
فَأَصْبَحْتَ مُنْخَطًا وَغَيْرِكَ بِإِذْخُ

وقال :

[الطويل]

مَرَّوْتُ عَلَى الْمَيْدَانِ بِالْأَمْسِ ضَاجِحًا فَأَبْصَرْتُهُ قَفَرَ الْجَنَابِ قَرَاعَنِي
فَنَادَيْتُ فِيهِ : يَا آلَ طُولُونَ مَا لَكُمْ هُمُودًا^٥ فَمَا خَلَقَ بِحَرْفِ أَجَابَتِي
فَأَذْرَيْتُ عَيْنًا ذَاتَ دُمْعٍ غَزِيرَةٍ وَرُخْتُ كَتِيبَ الْقَلْبِ بِمَا أَصَابَتِي
وَأُنِّي عَلَيْهِمْ مَا تَقِيْتُ كَمُوجِعٍ وَلَسْتُ أَهَالِي مَنْ لَحَانِي وَعَابَتِي

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَفْقُوبَ الْكَاتِبُ^١، قَالَ : لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ عِيدِ الْفِطْرِ، مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، تَذَكَّرْتُ مَا كَانَ فِيهِ آلُ طُولُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، مِنَ الزَّيِّ الْحَسَنِ بِالسَّلَاحِ وَمُلُونَاتِ الْبُيُودِ، وَالْأَعْلَامِ، وَشَهْرَةِ الْقِيَابِ، وَكُفْرَةِ الْكُرَاعِ، وَأَصْوَاتِ الْأَبْوَاقِ وَالطُّبُولِ، فَاعْتَرَانِي لِذَلِكَ فِكْرَةٌ، وَنَمَتْ فِي لَيْلَتِي فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ : ذَهَبَ الْمَلِكُ وَالتَّمَلَّكُ وَالزَّيْنَةُ لَمَّا مَضَى بَنُو طُولُونَ .

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو عُفْمَانُ النَّابُلُوسِيُّ فِي كِتَابِ «مَحْشَنِ الشَّرِيرَةِ»^٢ فِي اتِّخَاذِ الْحِصْنِ بِالْجَزِيرَةِ^٣ : رَأَيْتُ كِتَابًا قَدَّرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُرَاسَةً، مَضْمُونُهُ فُهْرِسَتْ شُعْرَاءُ الْمَيْدَانِ الَّذِي لِأَحْمَدَ ابْنِ طُولُونَ قَالَ : فَإِذَا كَانَتْ أَشْغَاءُ الشُّعْرَاءِ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُرَاسَةً، كَمْ يَكُونُ شِعْرُهُمْ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ مِنْ ذَلِكَ الْآنَ دِيوَانٌ وَاحِدٌ^٤ ؟

وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دَحِيَّةٍ فِي كِتَابِ «النَّبْرَاسِ» : وَخُرُوبَتْ قَطَائِعُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - يَعْنِي فِي الشَّدَّةِ الْمُظْهَرِ زَمَنَ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَتَبِ -، وَهَلَكَ جَمِيعٌ مِنْ كَانَ بِهَا مِنَ السَّائِكِينَ، وَكَانَتْ نَيْفًا عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دَارِ نَزْهَةٍ لِلنَّاطِرِينَ مُحْدِقَةً بِالْجِنَانِ وَالتَّبَسَاتِينِ، وَاللَّهِ يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ^٥ .

(a) بولاق : فهو . (b) بولاق : السيرة .

^١ كذا في سائر النسخ ولعل المقصود أحمد بن أبي

يعقوب إسحاق بن جعفر بن ولّب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، وهو جغرافي ومؤرخ وُلِدَ فِي بَغْدَادَ وَلَكِنَهُ غَادَرَهَا إِلَى خُرَاسَانَ وَأَرْمِينِيَّةٍ وَفِلَسْطِينَ وَالْمَغْرِبِ وَأَقَامَ فِي مِصْرَ وَتَمَتَّعَ بِرِعَايَةِ الطُّولُونِيِّينَ . (راجع ، باقوت : معجم الأدباء ٥: ١٥٣-١٥٤)

المقرئ: المقفى الكبير ١: ٧٣٨، اليعقوبي : البلدان ٣٧٢).

^٢ انظر فيما تقدم ١: ٢٣١.

^٣ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ١٣٩-١٤٠.

^٤ ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس

١٤٢، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠، وانظر فيما يلي

١٤٢.

ذِكْر مَنْ وَلِيَ مِصْرَ مِنَ الْأُمَرَاءِ بَعْدَ خَرَابِ الْقَطَائِعِ إِلَى أَنْ بُنِيَتْ قَاهِرَةُ الْمُؤَيَّدِ عَلَى يَدِ الْفَائِدِ بْنِ خَمْرٍ

وكان أول من ولي مصر - بعد زوال ذؤلة بني طولون وخراب القطائع - محمد بن سليمان الكاتب، كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون، دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائتين، ودعا على الخبير لأمر المؤمنين المكتفي بالله وخذه، وحمل أبا علي الحسين ابن أحمد الماذرائي على الخراج، عوضاً عن أحمد بن علي الماذرائي^١.

ثم ورد كتاب المكتفي بولاية عيسى بن محمد التوشري أبي موسى، فولي على الصلاة، ودخل خليفته لأربع عشرة حلت من جمادى الأولى، فتسلم الشرطتين وسائر الأعمال. ثم قديم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة^٢، وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب، وكان مقامه بمصر أربعة أشهر.

وأخرج كل من بقي من الطولونية، فلما بلغوا دمشق، انحنس عنهم محمد بن علي بن الخليلج^٣ في جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القواد، ففقدوا له عليهم، وبايقوه بالإمرة في شغبان، ورجع إلى مصر.

فبعث إليه التوشري^٤ بجيش أول رمضان وقد دخل أرض مصر، ثم خرج إليه التوشري^٥، وعشكر بباب المدينة أول ذي القعدة، وسار إلى القباسة، ثم رجع لثلاث عشرة حلت منه،

(a) في المصادر الأخرى: الخليلج، الخليلجي. (b-b) ساقطة من آياصوفيا نتيجة انتقال نظر.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٧٧-٢٧٨، وانفرد المقرئ بأن جعل محمد بن سليمان الكاتب أول من ولي مصر بعد سقوط الدولة الطولونية، وتبعه في ذلك أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٤ ولكنه أضاف: وفي ولايته أقوال كثيرة فمن الناس من لا يبعده من الأمراء بمصر بل ذكر دخوله لفتح مصر وأنه كان مقدم المسافر لا غير، وقائلو هذه المقالة هم الأكثر، ووافقهم أنا أيضاً على ذلك، لأن المكتفي لما تخلع عليه أمره بالتوجه لقتال مصر وأمر أصحابه بالشفع والطاعة

ولم يوله عملها؛ وعندما بلغ الخليفة المكتفي فتح مصر ولي عليها في الحال عيسى التوشري ٤٠٠٠... ومن الناس من عده من جملة أمراء مصر بواسطة تحكّمه وتصرفه في الديار المصرية؛ وانظر كذلك المقرئ: المقفى الكبير ٥: ٧٠٠-٧٠٥.

^٢ الكندي: ولاية مصر ٢٧٨ ويوجد بعد ذلك سقط قدر صفحة أو صفحتين في نشرة ولاية مصر للكندي موجود في أصل النسخة الوحيدة المصحح عليها في النشر.

وخرج إلى الجزيرة من غده، وأحرق الجسرَيْن، وسار يُريد الإسكندرية، ففر عنه طائفة إلى ابن الخليج^٨، فبعث إليه بجيش فهزمه، وسار إلى الصعيد. ودخل محمد بن الخليج^٩ القسطنط لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة، فوضع العطاء، وفرض القروض.

وقدّم أبو الأغز من قبل المكتفي في طلب ابن الخليج^٩، فخرج إليه ثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحازمه، فانهزم منه أبو الأغز^{١٠}، وأسر من أصحابه جمعًا كثيرًا، وعاد لثمان بقين منه^١. فقدّم فاتك المقتضي من بغداد في البر فقتل، وقدّم ديانة في المراكب، فنزل فاتك الثورية. فخرج ابن الخليج^٩ وعسكر بباب المدينة، وقام في الليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيت فاتكًا، فأضلوا الطريق، وأصبحو قبل أن يتلغوا الثورية، فعلم بهم فاتك، فتهاص بأصحابه وحازب ابن الخليج^٩، فانهزم عنه أصحابه، وثبت في طائفة، ثم انهزم إلى القسطنط ثلاث خلون من رجب فاستقر^٢.

ودخل ديانة في مراكب الثغور، وأقبل عيسى التوسري، ومعه الحسين الماذرائي ومن كان معهما، لحمس خلون منه، فعاد التوسري إلى ما كان عليه من صلاتها، والماذرائي إلى ما كان عليه من الخراج. وعرف التوسري بكان ابن الخليج^٩، فهجم عليه وقبضه لست خلون من رجب. وكانت مدة ابن الخليج^٩ بمصر سبعة أشهر وعشرين يومًا^٣.

ودخل فاتك في عسكره إلى القسطنط لعشر خلون من رجب، فأخرج ابن الخليج^٩ في البحر لست خلون من شعبان، فلما قدّم بغداد طيف به بأصحابه وهم ثلاثون نفرًا، فكان يومًا مذكورًا^٤.

واثدئ في هدم ميدان بني طولون في شهر رمضان، وبيعت أنقاضه^٥.

وخرج فاتك إلى العراق للنصف من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين^٦.

وأمر التوسري بتقي المؤمنين، ومنع الترح والتداء على الجنائز، وأمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين، ثم أمر بفتحه بعد أيام^٧.

(a) في المصادر الأخرى: الخليج، الخلجي. (b) بولاق: الأعر.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٧٩. نفسه ٢٨٠-٢٨١. نفسه ٢٨١-٢٨٢. نفسه ٢٨٢. نفسه^٥.
^٦ نفسه ٢٨٥. نفسه ٢٨٥. نفسه^٧.

وَمَاتَ الْمُكْتَفِي فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ، فَشَنَّبَ الْجُنْدُ بِمِصْرَ، وَحَارَبُوا التُّوشَرِيَّ عَلَى طَلَبِ مَالِ الْبَيْعَةِ، فَظَفِرَ بِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ. وَتَوَيْعَ جُفُفَرُ الْمُقْتَدِرُ، فَأَقْرَأَ التُّوشَرِيَّ عَلَى الصَّلَاةِ^١.

وَقَدِمَ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ أَمِيرَ إِفْرِيقِيَّةٍ مَهْزُومًا مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِي، فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ إِلَى الْحِيزَةِ، فَخَنَقَهُ التُّوشَرِيَّ مِنَ الثُّبُورِ، وَكَانَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ جُنْدِ مِصْرَ مُنَافَسَةٌ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَغْتَبِرَ وَخَلَّاهُ^٢.

وَمَاتَ التُّوشَرِيَّ لِأَرْبَعِ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَهُوَ وَالِي، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ وَنِصْفًا، مِنْهَا مُدَّةُ ابْنِ الْخَلِيجِ^٣ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ يَوْمًا. وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى^٤.

ثُمَّ وَلِيَ تَكِينُ الْخَزَرِيَّ أَبُو مَنْصُورٍ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ، فَذُعِيَ لَهُ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ شَوَّالٍ، وَقَدِمَ خَلِيفَتُهُ لِسَبْعِ بَقِينَ مِنْهُ، ثُمَّ قَدِمَ تَكِينُ لِلْيَلْتِينَ خَلَّتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ^٥.

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالْجَدِّ فِي أَمْرِ الْمَغْرِبِ وَالْإِخْتِرَاسِ مِنْهُ، فَبَعَثَ بِجَيْشًا إِلَى بَرْقَةِ عَلَيْهِ أَبُو الْيَمَنِ، فَحَارَبَهُ حُبَابَةُ بْنُ يُوشَفَ بِقَسَاكِرِ الْمُهْدِيِّ عِبِيدَ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ، وَاسْتَوَلَى عَلَى بَرْقَةِ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي زِيَادَةِ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، فَدَخَلَهَا فِي الْحَرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ^٦.

فَقَدِمَتِ الْجُيُوشُ مِنَ الْعِرَاقِ مَدْدًا لِتَكِينٍ فِي صَفَرٍ، وَقَدِمَ الْحُسَيْنُ الْمَازَرَانِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ كَيْفَلَنْغٍ فِي جَمْعٍ مِنَ الْقَوَادِ، وَبَرَزَتِ الْقَسَاكِرُ إِلَى الْحِيزَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى، وَخَرَجَ تَكِينُ فَكَانَتْ وَاقِعَةً لِحُبَابَةِ قُتِلَ فِيهَا آلَافٌ مِنَ النَّاسِ، وَعَادَ حُبَابَةُ إِلَى الْمَغْرِبِ^٧.

وَقَدِمَ مُؤَيِّنُ الْحَاذِمِ مِنْ بَغْدَادٍ فِي جُيُوشِهِ لِلنِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَتَرَلَّ الْحَقَمَاءُ، وَلَقِيَ النَّاسُ مِنْهُمْ شِدَائِدَ، وَخَرَجَ ابْنُ كَيْفَلَنْغٍ إِلَى الشَّامِ فِي رَمَضَانَ^٨.

(٨) فِي الْمَصَادِرِ الْآخَرَى: الْخَلْنَجِ، الْخَلْنَجِي.

^١ الْكَنْدِي: وَلَاةُ مِصْرَ ٢٨٥. ^٢ نَفْسُهُ ٢٨٦. ^٣ نَفْسُهُ ٢٨٦. ^٤ نَفْسُهُ ٢٨٦. ^٥ نَفْسُهُ ٢٨٧، ٢٨٨.

^٦ نَفْسُهُ ٢٨٨. ^٧ نَفْسُهُ ٢٩١.

وضُرِفَ تَكِينٌ لأربع عشرة خَلَّتْ من ذي القعدة صَرَفَهُ مُؤَنَسٌ ، فَخَرَجَ لِسَبْعِ خَلَوْنٍ من / ذي الحجة ، وأقام مؤنس يُدْعَى ويُخاطَبُ بالأشتاذ^١ .

ثم وَلِيَ ذَكَا الرُّومِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَعْمُورُ من قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَدَخَلَ لثِنْتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ من صَفَرٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَخَرَجَ مُؤَسَى بِجَمِيعِ مَجِيوشِهِ لثَمَانِ خَلَوْنٍ من ربيع الآخر^٢ . وَخَرَجَ ذَكَا إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ فِي الْحَرَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، ثُمَّ عَادَ فِي ثَامِنِ ربيع الأول ، وَتَبَعَ كُلٌّ مِنْ يَوْمَا إِلَيْهِ بِمُكَاتَبَةِ الْمُهْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ ، فَسَجَنَ مِنْهُمْ وَقَطَعَ أُنْهَدِي أَنْاسٍ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَجَلَّأَ أَهْلَ لُؤَيَّةٍ وَمَرَاقِيَّةٍ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ خَوْفًا مِنْ صَاحِبِ بَرْقَةِ ، وَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّعِيَّةِ بِسَبَبِ ذِكْرِ^٣ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالْقُرْآنِ [بِمَا لَا يَلِيْقُ]^٤ ٣ .

١٠. وَقَدِمَتِ عَسَاكِرُ الْمُهْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ إِلَى لُؤَيَّةٍ وَمَرَاقِيَّةٍ عَلَيْهَا أَبُو الْقَاسِمِ ، فَدَخَلَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ ثَامِنَ صَفَرٍ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَقَرَّ النَّاسُ مِنْ مَصْرٍ إِلَى الشَّامِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ .^٥ وَخَرَجَ ذَكَا وَالْجُنْدُ مُخَالِفُونَ^٦ لَهُ ، فَعَشَرَ بِالْجِيْزَةِ وَقَدِمَ الْحُسَيْنُ^٧ بِنِ أَحْمَدَ الْمَازَرَانِيَّ وَالْيَا عَلَى الْخَزَاجِ ، فَوَضَعَ الْعَطَاءَ^٨ .

١٥. وَجَدَ ذَكَا فِي أَمْرِ الْحَرْبِ ، وَاحْتَفَرَّ خَنْدَقًا عَلَى عَشْكَرِهِ بِالْجِيْزَةِ ، فَمَرَضَ وَمَاتَ لِاحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ربيع الأول بِالْجِيْزَةِ ، فَكَانَتْ إِمْرَتُهُ أَرْبَعِ سِنِينَ وَشَهْرًا^٩ . فَوَلِيَ تَكِينٌ مَرَّةً ثَانِيَةً مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ ، وَقَدِمَتِ مَجِيوشُ الْعِرَاقِ عَلَيْهَا مَخْمُودُ بْنُ حَمَكٍ^{١٠} وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ كَيْفَلُغٍ فِي ربيع الأول ، وَدَخَلَ تَكِينٌ لِاحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ ، فَتَزَلَّ الْجِيْزَةُ وَحَفَرَ خَنْدَقًا ثَانِيًا ، وَأَقْبَلَتْ مَرَائِكُ الْمَغْرِبِ فَظَفَرُ بِهَا فِي شَوَالٍ^{١١} .

٢٠. وَقَدِمَ مُؤَنَسُ الْخَادِمِ مِنْ بَغْدَادَ بِعَسَاكِرِهِ لِحَمْسِ خَلَوْنٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، فَتَزَلَّ الْجِيْزَةُ وَكَانَ فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَسَيَّرَ ابْنُ كَيْفَلُغٍ إِلَى الْأَشْمُونِيِّ ، فَمَاتَ بِالْبَهْتَسَا أَوَّلَ ذِي الْقَعْدَةِ^{١٢} .

(a) بولاق : سب . (b) إضافة من الكندي . (c-c) بولاق : وأخرج ذكا الجند المخالفون . (d) بولاق : أبو الحسن . (e) بولاق : حمل .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٩١ . ^٢ نفسه ٢٩١ . ^٣ نفسه ٢٩٢ . ^٤ نفسه ٢٩٢-٢٩٣ . ^٥ نفسه ٢٩٣ . ^٦ نفسه ٢٩٣ . ^٧ نفسه ٢٩٣ ، ٢٩٤ . ^٨ نفسه ٢٩٤ .

وَمَلَكَ أَصْحَابُ الْمَهْدِيِّ الْغَيُومَ وَجَزِيرَةَ الْأَشْمُونَيْنِ ، فَقَدِمَ جُنِّي الْخَادِمِ مِنْ بَغْدَادِ فِي عَشْكَرٍ آخَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، فَعَشَكَرَ بِالْجِيزَةِ ، فَكَانَتْ حُرُوبٌ مَعَ أَصْحَابِ الْمَهْدِيِّ بِالْغَيُومِ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَرَجَعَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ إِلَى بَرْقَةِ ^١ .

وَصَرِفَ تَكِينٍ لثَلَاثَ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ^٢ .

- فَوَلَّى مُؤَيَّسَ أَبَا قَائِبُوسَ مَحْمُودَ بْنَ حَمَكٍ ^٣ ، فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَعَزَلَهُ ، وَرَدَّ تَكِينَ لَخْمِيسَ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ صَرَفَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الشَّامِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الدِّيَّانِ ^٤ .
- ثُمَّ وَلِيَ هِلَالَ بْنَ بَذْرٍ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَدَخَلَ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَخَرَجَ مُؤَيَّسَ لثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْهُ وَمَعَهُ ابْنُ حَمَكٍ ^٥ ، فَشَقَبَ الْجُنْدُ عَلَى هِلَالٍ ، وَخَرَجُوا إِلَى مِثْنَةِ الْأَضْبَعِ وَمَعَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ صَاحِبِ الشَّرْطِ ، فَكَثُرَ النَّهْبُ وَالْقَتْلُ وَالْفَسَادُ بِمِصْرَ ، إِلَى أَنْ صَرِفَ عَنْهَا فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَخَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ^٦ .

- فَوَلَّى أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلُغٍ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَقَدِمَ ابْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةُ لَهُ أَوَّلَ جُمَادَى الْأُولَى ، ثُمَّ قَدِمَ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَازَرَانِيُّ عَلَى الْخِزَابِ فِي رَجَبٍ ، فَأَخْضَرَا الْجُنْدَ وَوَضَعَا الْعِطَاءَ ، وَأَشَقَطَا كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ - وَكَانَ ذَلِكَ بِمِثْنَةِ الْأَضْبَعِ - فَتَارَ الرِّجَالَةَ بِهِ ، فَفَرَّ إِلَى فَاقُوسَ ، وَأَدْخَلَ الْمَازَرَانِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ لثَمَانَ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ ، وَأَقَامَ ابْنُ كَيْغَلُغٍ بِفَاقُوسَ إِلَى أَنْ صَرِفَ بِقُدُومِ رَشُولِ تَكِينٍ فِي ثَالِثِ ذِي الْقِعْدَةِ ^٧ .

- فَوَلَّى تَكِينُ الْمَرَّةَ الثَّالِثَةَ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَخَلَفَهُ ابْنُ مَنُجُورٍ إِلَى أَنْ قَدِمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَأَشَقَطَ كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ - وَكَانُوا أَهْلَ الشَّرِّ وَالنَّهْبِ - وَنَادَى بِبِرَاةِ الدُّمَةِ مِمَّنْ أَقَامَ مِنْهُمْ بِالْفُسْطَاطِ ^٨ .

- وَصَلَّى الْجُمُعَةَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بِالْعَشْكَرِ . وَتَرَكَ حُضُورَ الْجُمُعَةِ فِي مَسْجِدِ الْعَشْكَرِ وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْقَتِيقِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ ، وَلَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْراءِ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ الْجُمُعَةَ ^٩ .

(a) بولاق : حمل .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٩٤ ، ٢٩٥ . ^٢ نفسه ٢٩٥ . ^٣ نفسه ٢٩٥ ، ٢٩٦ . ^٤ نفسه ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
^٥ نفسه ٢٩٧ . ^٦ نفسه ٢٩٨ . ^٧ نفسه ٢٩٨ .

ثم قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ فِي شَوَّالِ سَنَةِ عَشْرِينَ ، وَبُويعَ أَبُو مَنْصُورِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، فَأَقْرُو تَكِينٌ حَتَّى مَاتَ فِي سَادِسَ عَشَرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَحُجِّلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَكَانَتْ إِفْرَئُتُهُ هَذِهِ تِسْعَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ^١ .

فَقَامَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ تَكِينٍ مَوْضِعَهُ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَادَرَايِيُّ بِأَمْرِ الْبَلَدِ كُلِّهِ ، وَنَظَرَ فِي أَعْمَالِهِ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَيْهِ فِي مَلَأَبِ أَزْرَاقِهِمْ ، وَأَحْرَقُوا دُورَهُ وَدُورَ أَهْلِهِ . فَخَرَجَ ابْنُ تَكِينٍ إِلَى مِثْنَةِ الْأَصْبَغِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَادَرَايِيُّ بِأَمْرِهِ بِالْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، وَعَشَرَكَرَ بَابِ الْمَدِينَةِ وَأَقَامَ هُنَاكَ بَعْدَمَا رَحَلَ ابْنُ تَكِينٍ إِلَى سَلَخِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، فَلَحِقَ ابْنُ تَكِينٍ بِدِمَشْقَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يُرِيدُ مِصْرَ فَمَتَّعَهُ الْمَادَرَايِيُّ^٢ .

ثُمَّ وَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجِ بْنِ جُفَى الْفَرَّغَانِيَّ أَبُو بَكْرٍ ، مِنْ قِبَلِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، عَلَى الصَّلَاةِ . فَوَزَّدَ كِتَابَتَهُ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَدُعِيَ لَهُ وَهُوَ بِدِمَشْقَ مُدَّةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا^٣ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ رَسُولُ أَحْمَدَ بْنِ كَيْغَلُغَ بُولَايَتَهُ الثَّانِيَةَ مِنْ قِبَلِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالِ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبَا الْفَتْحِ بْنِ عَيْسَى التُّوشَرِيَّ^٤ .

فَشَغَبَ الْجُنْدُ فِي أَزْرَاقِهِمْ عَلَى الْمَادَرَايِيِّ صَاحِبِ الْخِرَاجِ ، فَاسْتَرَّ مِنْهُمْ ، فَأَحْرَقُوا دُورَهُ وَدُورَ أَهْلِهِ ، وَكَانَتْ يَتَنَّى قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ^٥ ، إِلَى أَنْ أَنَاهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ تَكِينٍ مِنْ فِلَسْطِينَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَيْنِ/ وَعَشْرِينَ ، فَأَتَكَرَّ الْمَادَرَايِيُّ وَلَايَتَهُ ، وَتَقَصَّبَ لَهُ طَائِفَةٌ ، وَدُعِيَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ ، وَخَرَجَ قَوْمٌ إِلَى الصُّعِيدِ فِيهِمْ ابْنُ التُّوشَرِيَّ ، فَأَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى الدُّعَاءِ لِابْنِ كَيْغَلُغَ ،^٦ وَكَانَتْ حُرُوبٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ وَأَقْبَلَ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلُغَ^٧ فَنَزَلَ مُثْنِيَةَ الْأَصْبَغِ لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبِ ، فَلَحِقَ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ تَكِينٍ ، فَفَرَّ ابْنُ تَكِينٍ لَيْلًا ، وَدَخَلَ ابْنُ كَيْغَلُغَ الْمَدِينَةَ لَسِتْ خَلَوْنَ مِنْهُ ، وَكَانَ مُقَامُ ابْنِ تَكِينٍ بِالْفَسْطَاطِ مِائَةَ يَوْمٍ وَاثْنِي عَشَرَ يَوْمًا^٨ .

وَحُلِيَ الْقَاهِرُ ، وَبُويعَ أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّضَايِيُّ بِاللَّهِ ، فَعَادَ ابْنُ تَكِينٍ وَأَظْهَرَ أَنَّ الرَّضَايَّ وَلَاهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَشَرَكَرُ وَحَارَبُوهُ فِيمَا بَيْنَ بَلْبَاسٍ وَفَافُوسَ ، فَأَنْهَزَمَ وَأَسِيرَ^٩ وَجِيَءَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحُجِّلَ إِلَى الصُّعِيدِ^{١٠} .

a-b) ساقطة من بولاق . b) ساقطة من بولاق .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

^٢ نفسه ٢٩٩ ، وانظر ترجمة أبي بكر محمد بن علي

المادراي عند المقرئ : المقي الكبر ٢٣٤ : ٢٤٧ .

^٣ نفسه ٢٩٩ .

^٤ نفسه ٣٠٠ .

^٥ نفسه ٣٠١ ، ٣٠٢ .

^٦ نفسه ٣٠٣ .

^٧ نفسه ٣٠٠ .

فَوَزَدَ كِتَابَ يُخْبِرُ^(a) بَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ طُغْجِ سَارَ إِلَى مِصْرَ بَوَايَةِ الرَّاضِي لَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ كَيْقَلُغَ بِجَيْشٍ لِيَتَنَعَوْهُ مِنْ دُخُولِ الْفَرَمَاتِ ، فَأَقْبَلَتْ مَرَاكِبُ ابْنِ طُغْجِ إِلَى يَتَيْسَ ، وَسَارَتْ مُقَدِّمَتَهُ فِي الْبَرِّ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ^(b) فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ كَانَتْ لِأَصْحَابِ ابْنِ طُغْجِ ، وَأَقْبَلَتْ مَرَاكِبُهُ إِلَى الْفُسْطَاطِ سَلَخَ شَعْبَانَ ، فَأَقْبَلَ عَشْكَرُ^(c) ابْنِ كَيْقَلُغَ لِلنِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَاقْبَاهُ لَسِبَ بَقِيْنَ مِنْهُ ، فَسَلَّمَ ابْنُ كَيْقَلُغَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ^١ .

[الدَّوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةُ]^٢

وَوُلِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجِ الثَّانِيَةَ مِنْ قِتْلِ الرَّاضِي عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَرَجِ ، فَدَخَلَ لِسْتُ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَقَدَّمَ أَبُو الْفَتْحِ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاتِ بِاخْلَعَ لِمُحَمَّدِ بْنِ طُغْجِ . وَكَانَتْ حُرُوبٌ مَعَ أَصْحَابِ ابْنِ كَيْقَلُغَ انْتَهَزُوا مِنْهَا إِلَى بَرْزَةِ ، وَسَارُوا إِلَى الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهْدِيِّ بِالْمَغْرِبِ ، فَحَرَّصُوهُ عَلَى أَخْذِ مِصْرَ ، فَجَهَّزَ بِجَيْشٍ سَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَبَعَثَ ابْنُ طُغْجِ عَشْكَرَهُ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَالصُّعَيْدِ^٣ .

(a) الأصول وبولاق : فورد الخبر ، والمثبت من الظاهرية . (b) بولاق : حروب . (c) الأصول وبولاق : وأقبل فسكر ، والمثبت من الظاهرية .

^١ الكندي : ولاية مصر ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

^٢ المصدر الرئيس لدراسة تاريخ الدولة الإخشيدية في مصر هو سيرة محمد بن طُغْجِ لابن زولاق ، التي فقدت اليوم ، وإن كان من حسن الحظ أن حَشَنَهَا ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِيِّ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِهِ «الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ» فِي الْقِسْمِ الَّذِي تَخَصَّصَهُ لِلدَّوْلَةِ الْإِخْشِيدِيَّةِ وَسَمَّاهُ «كِتَابُ الْفُتُوحِ» فِي حُلَى دَوْلَةِ بَنِي طُغْجِ وَهُوَ ضَمَّنَ الْجُزْءَ الْخَاصَّ بِمِصْرَ مِنَ الْكِتَابِ وَالَّذِي نَشَرَهُ أُولَا تَلْكَوِست Tailqvist فِي لَيْدِنَ سَنَةِ ١٨٩٩ ، ثُمَّ زَكِي مُحَمَّد حَسَن وَشَوْفِي ضَيْف وَسَيِّدَةُ إِسْمَاعِيلَ كَاشَفُ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٩٥٣ وَانْظُرْ كَذَلِكَ ابْنُ ظَلْفَرِ الْأُرْدِيِّ : أَخْبَارُ الدَّوْلِ لِلْمُقَطَّعَةِ (نَشْرَةُ عَلِي عَمْرٍ ٧٥ - ١٨٦ : التَّوْبَرِي : نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٨ : ٤٤ - ٦٢ أَمَا الْمُحَاسِنُ : ١٣ .

^٣ الكندي : ولاية مصر ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

ثم وَرَدَ الْكِتَابُ مِنْ بَعْدَادَ بِالزِّيَادَةِ فِي اسْمِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ، فَلَقَّبَتْ «الْإِخْشِيدَ»^١ وَدُعِيَ لَهُ بِذَلِكَ عَلَى الْمُبْتَدِئِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ^٢.

وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ إِلَى الشَّامَاتِ فَعَرَضَ الْإِخْشِيدَ الْفُرُوزَ وَبَعَثَ بِمُرَاكِبٍ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ سَارَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ الْحَسَنَ بْنَ طُغْجٍ، فَتَزَلَّ الْقَرَمَا وَابْنُ رَائِقٍ بِالرَّهْمَةِ، فَسَقَرَ بَيْنَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ يَحْيَى الْعَلَوِي فِي الصُّلْحِ حَتَّى تَمَّ، وَعَادَ إِلَى الْقُسْطَاطِ مُسْتَهْلًا لِمَحَادِي الْأُولَى. ثُمَّ أَقْبَلَ ابْنُ رَائِقٍ مِنْ دِمَشْقَ فِي شَعْبَانَ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْإِخْشِيدَ الْجَيْشَ، ثُمَّ خَرَجَ لِسِتِّ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ وَاتَّقَمَا لِلنَّصَفِ مِنْ رَمَضَانَ بِالْقَرِيشِ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ انْكَسَرَتْ فِيهَا مِئْسَرَةُ الْإِخْشِيدِ، ثُمَّ حَمَلَ بِنَفْسِهِ فَهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ رَائِقٍ، وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْهُمْ، وَأَتَّخَذَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا^٣.

وَمَضَى ابْنُ رَائِقٍ فَقَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ طُغْجٍ بِاللَّجُونِ، وَدَخَلَ الْإِخْشِيدُ الرَّهْمَةَ بِخَمْسِ مِائَةِ أَسِيرٍ، فَتَدَاغَى ابْنُ طُغْجٍ وَابْنُ رَائِقٍ إِلَى الصُّلْحِ، فَضَمَّ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى صُلْحٍ، وَقَدِمَ الْإِخْشِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ إِلَى مِصْرَ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ^٤.

وَمَاتَ الرَّاظِي بِاللَّهِ، وَتَوَيْعَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِبْرَاهِيمَ فِي شَعْبَانَ، فَأَقَرَّ الْإِخْشِيدُ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ بِالْمَوْصِلِ، فَتَلَّهَ بَنُو حَمْدَانَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، فَبَعَثَ الْإِخْشِيدُ بِجُيُوشِهِ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ سَارَ لِسِتِّ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ أَبَا الْمُظَفَّرَ الْحَسَنَ بْنَ طُغْجٍ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ^٥.

ثُمَّ عَادَ لثَلَاثِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ مَحَادِي الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ، فَتَزَلَّ الْبُيُوتَانِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْكَافُورِيِّ مِنَ الْقَاهِرَةِ، ثُمَّ دَخَلَ دَارَهُ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ أُونُوجُورٍ عَلَى جَمِيعِ الْقَوَادِ أَخْبَرَ ذِي الْقَعْدَةِ.

^١ نفسه ٣٠٦، ٣٠٧ وأبو بكر محمد بن رائق المتوفى سنة ٨٣٣/٩٤١م، هو أول من تلقب بأمير الأمراء سنة ٨٣٢٤/٩٣٥م، وتمكن من الخليفة الراضي بالله وأصبح يعين الوزراء ويعزلهم وهو الذي قطع يد ابن ثعلبة ولسانه. (راجع أخباره عند الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، القاهرة ١٩٣٥، ١٩٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٢:٨-٣٨٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٢٥:١٥-٣٢٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ١٩٩؛ Sourdel, D., *El² art. Ibn Râ'ik* III, p. 926-27).

^٢ نفسه ٣٠٨.

^٣ نفسه ٣٠٨، ٣٠٩.

^١ الإخشيد. لَقَّبَ - بمعنى ملك الملوك - كان يُنْتَحَبُ لحكام إيران من السُّنَدِ والفرغانين قبل الإسلام وفي بداية الإسلام. وفي الفترة التي فتح فيها العرب بلاد ما وراء النهر كان حكام السُّنَدِ يحملون لقب «إخشيد»؛ فيذكر المقدسي أن ملك سمرقند كان يعرف بالإخشيد، كما أن الحكام المحليين في فرغانة كانوا أيضًا يحملون هذا اللقب. وظلَّ اللقب يحتفظ بحره حتى منحه الخليفة العباسي الراضي لحمد بن طُغْجٍ سنة ٨٣٢٧/٩٣٩م (انظر Bosworth, C.E., *El² art. Ikshid* III, p. 1097).

^٢ الكندي: ولاية مصر ٣٠٦.

وسار المتقي لله إلى بلاد الشام ومعه بنو حمدان ، فسار الإخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنين وثلاثين ، واستخلف أخاه الحسن ، فلقى المتقي ، ثم رجع فنزل البستان لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين . وتخلع المتقي ، ويوبع عبد الله المشتكي لسبع خلون من جمادى الآخرة ، فأقر الإخشيد^١ .

- وبعت الإخشيد بحانك وكافور في الجيوش إلى الشام ، ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين ، واستخلف أخاه الحسن . فلقى علي بن عبد الله بن حمدان بأرض قنشرين وحاربه ، ومضى فأخذ منه حلب .

وتخلع المشتكي ، ودعي للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة أربع وثلاثين ، فأقر الإخشيد إلى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة^٢ .

- ١٠ فولّي بعده ابنه أونوجور أبو القاسم باستخلافه إياه ، وقبض على أبي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين ، وجعل مكانه على الخراج محمد بن علي الماذرائي ، وقدم القسرك من الشام أول صفر .

فلم يزل أونوجور واليا إلى أن مات لسبع خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاث مائة ، وحمل إلى القدس فدفن عند أبيه . وكان كافور متحكما في أمّته ، ويطلق له في السنة أربع مائة ألف دينار ، فلما مات قوي كافور ، وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

- ١٥ فاقام كافور أخاه علي بن الإخشيد أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة ، فأقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين ، وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه ، وأطلق له ما كان يطلق لأخيه في كل سنة .

- وفي سنة إحدى وخمسين ترفع السغر ، واضطربت الإشكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين إليها ، وتزايدت القلاء ، وعز وجود القمح . وقدم القومطي إلى الشام في سنة ثلاث وخمسين ، وقل ماء النيل ، ونهبت ضياع مصر ، وتزايدت القلاء . وسار / تلك الثورة إلى أسوان ، ووصل إلى إخميم ، فقتل ونهب وأحرق ، واشتد اضطراب الأعمال .

^١ الكندي : وفاة مصر ٣٠٩ . بعد ذلك لمس من كلام أبي عمر^١ ويختلف النص بعد ذلك

^٢ نفسه ٣١٠ ، وجاء هنا على هامش نسخة وفاة مصر : بين المقرئ وما ورد في بقية كتاب أبي عمر الكندي ، وإلى هنا انتهى ما كتبه أبو عمر وأخرسته النية قبل إكماله . واعتمد المقرئ على ما أورده ابن زولاق من أخبار قال ذلك ابن زولاق في أول كتابه أخبار قضاة مصر . وما الإخشيديين .

وَقَسَدَ مَا بَيْنَ كَافُورَ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ الْإِخْشِيدِ ، فَمَتَّعَ كَافُورَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بِهِ ، وَاعْتَلَّ عَلِيٌّ بِعَدِّ ذَلِكَ عِلَّةً أَخِيهِ ، وَمَاتَ لِإِحْدَى عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَحُمِلَ إِلَى الْقُدْسِ . وَبَقِيَتْ مِصْرُ بِغَيْرِ أَمِيرٍ أَبَاطًا ، وَلَمْ يُذْعَ بِهَا إِلَّا لِلْمُطِيعِ لِلَّهِ وَخَلْدِهِ ، وَكَافُورُ يُدَبِّرُ أُمُورَهَا وَمَعَهُ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْفُرَاتِ .

٥ ثُمَّ وَلِيَ كَافُورُ الْخَصِيمِ الْأَسْوَدَ مَوْلَى الْإِخْشِيدِ ، مِنْ قِتْلِ الْمُطِيعِ ، عَلَى الْحَزْبِ وَالْخِرَاجِ وَجَمِيعِ أُمُورِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحَزْمَيْنِ . فَلَمْ يُغَيِّرْ لِقَبِّهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُدْعَى وَيُخَاطَبُ بِـ «الْأَسْتَاذِ» ، وَأَخْرَجَ كِتَابَ الْمُطِيعِ بِوَلَايَتِهِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ تُوْفِيَ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ١ .

فَوَلِيَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ الْإِخْشِيدِ أَبُو الْقَوَارِسِ وَسِتَّةَ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ ، فِي يَوْمِ وَفَاةِ كَافُورَ ، وَجَعَلَ الْحَسَنَ ^(أ) بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طُغْجٍ يَخْلُفُهُ ، وَأَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْفُرَاتِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ ، وَسَمُولُ الْإِخْشِيدِي يُدَبِّرُ ^(ب) الْعَسَاكِرَ ؛ إِلَى أَنْ قَدِمَ جَوْهَرُ الْقَائِدِ مِنَ الْمَغْرِبِ بِجُيُوشِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي سَابِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَفَرَّ الْحَسَنُ ^(أ) ، وَتَسَلَّمَ جَوْهَرُ الْإِلَادِ كَمَا سِيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَكَانَتْ مُدَّةُ الدُّعَاءِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ بِمِصْرَ ، مِنْذُ ابْتَدَأَتْ دَوْلَتُهُمْ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَائِدُ جَوْهَرُ إِلَى مِصْرَ ، مِائَتِي سَنَةٍ وَخَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةٍ ، وَمُدَّةُ الدُّوَلَةِ الْإِخْشِيدِيَّةِ بِهَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَأَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا . وَمِنْذُ انْفَتَحَتْ مِصْرُ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ كُوزِيبِي الْإِمَارَةَ مِنْهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ثَلَاثَ مِائَةٍ سَنَةٍ وَسَبْعَ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَأَشْهُرَ ٢ .

ذِكْرُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَدَائِنُ الْفُسْطَاطِ مِنْ كَثْرَةِ إِهْمَارِهَا

٢٠ قَالَ ابْنُ يُونُسَ ، عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ : إِنَّ حَكِيمَ بْنَ أَبِي رَاشِدٍ حَدَّثَهُ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جُزْأٍ فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّعْرِ ، فَقَالَ : بِأَرْبَعَةِ أَقْلُسِ الرُّطْلِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَلَمَةَ : هَلْ لَكَ أَنْ تُعْطِنَا بِهَذَا الشَّعْرِ مَا يَدَّ لَنَا وَيَدَّا لَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَ مِنْهُ أَبُو سَلَمَةَ ، وَحَزَنَ فِي ^(أ) الْقَصَبَةِ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوقِيَهُ ، قَالَ : بِقَتْنِي بِدِينَارٍ ، ثُمَّ قَالَ : اضْرَفْهُ فَلَوْشًا ثُمَّ وَقَّهِ .

(أ) بولاق : الحسين . (ب) ساقطة من بولاق . (ج) بولاق : ومري في .

^١ انظر ترجمة كافور الإخشيدي فيما يلي ٢٦٠:٢ - ٢٧٠ . ^٢ انظر عن الفترة السابقة للفتح القاطمي لمصر بعد =

وقال الشريف أبو عبد الله محمد بن أشعث الجَوَانِي الشَّابَةِ فِي كِتَابِ «التَّقْطِ عَلَى كِتَابِ^a الْخِطَطِ»: سَمِعْتُ الْأَمِيرَ تَأْيِيدَ الدَّوْلَةِ تَمِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفَ بِالصُّنْعَامِ، يَقُولُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ: «حَدَّثَنِي^b الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخَلَعِي، عَنِ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقَضَائِي، قَالَ: كَانَ فِي مِصْرَ الْفُسْطَاطِ مِنَ الْمَسَاجِدِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ مَسْجِدٍ^١، وَثَمَانِيَةِ أَلْفِ شَارِعٍ مَسْلُوكٍ، وَأَلْفٌ وَمِائَةٌ وَسَبْعُونَ حَقًّا، وَأَنَّ حَقًّا مَجْنَادَةً فِي الْقَرَاةِ مَا كَانَ يُتْرَكُ لِلِهَا إِلَّا بَعْدَ غَنَائٍ مِنَ الرِّحَامِ، وَأَنَّ قِبَالَتَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَجْمُوعَةٌ خَمْسٌ مِائَةٍ دِرْهَمٍ».

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة الْقَضَائِي فِي كِتَابِ «الْخِطَطِ»: إِنَّهُ طُلِبَ لِقَطْرِ الثَّدْيِ ابْنَةُ خُمَارُزْمِيَّةٍ بِنِ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ أَلْفَ بَكَّةَ بَعَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، مِنْ أَمَانٍ كُلِّ بَكَّةَ بَعَشْرَةَ دَنَانِيرٍ، فَوُجِدَتْ فِي الشُّوقِ فِي أَهْسَرِ وَقْتٍ وَبَاهُوتٍ سَعْيٍ^٢.

وَذَكَرَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي عُثَيْبٍ أَنَّهُ لَمَّا صُرِفَ عَنْ قَضَاءِ مِصْرَ، كَانَ فِي الْمَوْذِعِ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنَّ فَائِقًا مَوْلَى أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ اشْتَرَى دَارًا بَعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَسَلَّمَ الثَّمَنَ إِلَى الْبَائِعِينَ وَأَجْلَهُمْ شَهْرَيْنِ؛ فَلَمَّا انْقَضَى الْأَجَلُ، سَمِعَ فَائِقٌ صِيَاحًا عَظِيمًا وَبُكَاءً، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُمُ الَّذِينَ بَاعُوا الدَّارَ، فَدَعَاهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: إِنَّمَا نَبْكِي عَلَى جَوَارِكِ. فَأَطْرَقَ وَأَمَرَ بِالْكُتُبِ فَرُدَّتْ عَلَيْهِمْ، وَوَهَبَ لَهُمُ الثَّمَنَ، وَرَكِبَ إِلَى أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ فَأَخْبِرَهُ، فَاسْتَضَوَّبَ رَأْيَهُ وَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهُ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِفَائِقٍ ثَلَاثُ مِائَةِ فَرْسَةٍ، كُلُّ فَرْسَةٍ لِحِطِيَّةٍ مُشْتَنَةِ. وَأَنَّ دَارَ الْحَرَمِ بَنَاهَا خُمَارُزْمِيَّةٌ لِحَرَمِهِ، وَكَانَ أَبُوهُ اشْتَرَاهَا لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ الثَّمَنُ وَأُجِرَةُ الصَّنَاعِ وَالْبِنَاءِ بِسَبْعِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَأَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ طَبَّاطِبَا الْحُسَيْنِي دَخَلَ الْجَامِعَ، فَلَمْ يَحِدْ مَكَانًا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَوَقَّفَ فِي الصَّفِّ الثَّانِي، فَالْتَفَتَ أَبُو خَفْصَ بْنِ الْجَلَّابِ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَأَخَّرَ، وَتَقَدَّمَ الشَّرِيفُ مَكَانَهُ، فَكَافَاهُ عَلَى ذَلِكَ بِنِعْمَةٍ حَمَلَهَا إِلَيْهِ وَدَارِ ابْتَاعَهَا لَهُ، وَنَقَلَ أَقْلَهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ كَسَاهُمْ وَحَلَّاهُمْ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: وحديثي.

وذكر غير القاضي^(a) أَنَّهُ دَفَعَ إِلَيْهِ خَمْس مِائَةِ دِينَارٍ قَالَ : وَيُقَالُ إِنَّهُ أَهْدَى إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الطَّحَاوِيِّ كُتُبًا قِيمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ . وَأَنَّ رَشِيقًا الْإِخْشِيدِي اسْتَحْبَبَهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَازَرَاتِي ، فَلَمَّا مَضَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ رَفَعَ فِيهِ أَنَّهُ كَسَبَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَخَاطَبَهُ فِي ذَلِكَ ، فَخَلَفَ بِالْإِيمَانِ الْعَلِيظَةِ عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ ، فَأَقْسَمَ أَبُو بَكْرٍ الْمَازَرَاتِي بِمِثْلِ مَا أَقْسَمَ بِهِ : لَئِنْ خَرَجْتَ مَسْتَنًا هَذِهِ وَلَمْ تَكْسِبْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، لَا صَحْبَتِي ! وَلَمْ يَزَلْ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى أَنْ صُوِّدَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأُخِذَ مِنْهُ وَمِنْ رَشِيقٍ مَالٌ جَزِيلٌ .

وَذَكَرَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي مُهَاجِرٍ ، مُوسَى بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَخْرِ بْنِ سَعْدٍ ، كَانَ عَلَى الْبَرِيدِ فِي زَمَنِ أَحْمَدَ بْنَ طُغْلُونَ وَقَتْلَهُ خُمارَوْيَّةَ . وَسَبَبَ ذَلِكَ مَا كَانَ فِي نَفْسِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ الْمَازَرَاتِي مِنْهُ ، فَأَعَزَّى خُمارَوْيَّةَ بِهِ ، وَقَالَ : قَدْ بَقِيَ لَأَيِّكَ مَالٌ غَيْرُ الَّذِي ذَكَرْتَهُ فِي وَصِيَّتِهِ ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ غَيْرُ ابْنِ مُهَاجِرٍ ، فَطَالِيهِ .

فَلَمْ يَزَلْ خُمارَوْيَّةَ بَابِنِ مُهَاجِرٍ إِلَى أَنْ وَصَفَ لَهُ مَوْضِعَ الْمَالِ مِنْ دَارِ خُمارَوْيَّةَ ، فَأَخْرَجَ فَكَانَ مِثْلُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَسَلَّمَهُ إِلَى أَحْمَدَ الْمَازَرَاتِي ، فَحَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ . وَأَقْبَلَتْ تَوَقِيعَاتُ خُمارَوْيَّةَ تَرِدُ إِلَيْهِ بِالصَّلَاتِ وَالنَّفَقَاتِ ، فَيُخْرِجُهَا مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِ الضَّيَاعِ وَالْمَرَافِقِ ، وَحَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الْأَمْوَالُ ، وَلَمْ يَضَعْ يَدَهُ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ .

وَصُوِّدَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي أَيَّامِ الْإِخْشِيدِ وَقُبِضَتْ ضِيَاعُهُ ، فَعَادَ إِلَى تِلْكَ الْأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ مَعَ مَا سِوَاهَا مِنْ دَخَائِرِهِ وَأَغْرَاضِهِ وَعَقْدِهِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ دَخِيرَتُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ ! سِوَى مَا ذُكِرَ .

وَذُكِرَ^(b) عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَازَرَاتِي أَنَّهُ قَالَ : بَقِيَ إِلَيَّ أَبُو الْجَيْشِ خُمارَوْيَّةَ أَنْ أَشْتَرِيَ لَهُ أَرْدَبَةً وَأَقْبِيعَةً لِلْجَوَارِي ، وَعَمِلَ دَعْوَةً خَلَا فِيهَا بِنَفْسِهِ وَبِهِمْ ، وَعَدَوْتُ مُتَعَرِّفًا لِحَبْرَةِ ، فَقِيلَ لِي إِنَّهُ طَرِبَ لَمَّا هُوَ فِيهِ ، فَتَنَزَّ دَنَانِيرَ عَلَى الْجَوَارِي وَالْعِلْمَانِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنَّ مَا سَقَطَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْبِرْكَةِ فَهُوَ لِمُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ كَاتِبِي . فَلَمَّا حَضَرْتُ وَبَلَّغْنِي ذَلِكَ ، أَمَرْتُ الْعِلْمَانَ فَتَزَلُّوا فِي الْبِرْكَةِ ، فَأَضْعَدُوا إِلَيَّ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا لِي نِثْرٌ عَلَى أَنْاسٍ قَطَطًا يَرِثُ مِنْهُ إِلَى بِرْكَةِ مَاءٍ هَذَا الْمَبْلَغُ ؟ !

(a) بولاق : غير القاضي ، الظاهرية : عن القاضي . (b) ساقطة من بولاق .

¹ المقصود القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي في كتابه «الحيط» .

وقال ابنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ»: وَفِي الْفُسْطَاطِ دَارٌ تُعْرَفُ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ، يُصَبُّ فِيهَا لِمَن يَبْهَى فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعٌ مِائَةً رَاوِيَةٌ مَاءً. وَحَسْبُكَ مِنْ دَارٍ وَاحِدَةٍ يَخْتَانِجُ أَهْلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى هَذَا الْقَبْرِ مِنَ الْمَاءِ ١

وقال ابنُ الْمُتَوَجِّعِ فِي كِتَابِ «إِقَاطِ الْمُتَغَفَّلِ وَأَتَاعِ الْمُتَأَمِّلِ» عَنْ سَاحِلِ مِصْرَ: وَرَأَيْتُ مَنْ نَقَلَ عَنْ مَنْ نَقَلَ عَنْ مَنْ رَأَى الْأَسْطَالَ الَّتِي كَانَتْ بِالطُّبَاقَاتِ الْمُطَلَّةِ عَلَى الثَّيْلِ، وَكَانَ عَدَدُهَا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ سَطْلٍ مُؤَبَّدَةٍ يَبْكُرُ وَأَطْنَابُ بِهَا تُرْخَى وَتَمْلَأُ، أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مِنْ أَثْنِ بِتَقْلِهِ ٢.

قَالَ: وَكَانَ بِالْفُسْطَاطِ فِي جِهَتِهِ الشَّرْقِيَّةِ حِمَّامٌ مِنْ بِنَاءِ الزُّوْمِ عَامِرَةٌ زَمَنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، قَالَ الرَّاوي: دَخَلْتُهَا فِي زَمَنِ خُمَارِزْمِيهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، وَطَلَبْتُ بِهَا صَانِقًا يَخْدُمَنِي، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا صَانِقًا مُتَقَرِّغًا لِحِدْمَتِي، وَقِيلَ لِي إِنَّ كُلَّ صَانِيعٍ مَعَهُ اثْنَانِ يَخْدُمُهُمْ وَثَلَاثَةٌ. فَسَأَلْتُ: كَمْ فِيهَا مِنْ صَانِيعٍ؟ فَأُخْبِرْتُ أَنَّ بِهَا سَبْعِينَ صَانِقًا قَلَّ مِنْ مَعَهُ دُونَ ثَلَاثَةٍ، سِوَى مَنْ قَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ وَلَمْ أَذْخُلْهَا لَعَدَمِ مَنْ يَخْدُمَنِي بِهَا، ثُمَّ طَلَعْتُ غَيْرَهَا، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَنْ أَجِدُهُ فَارِغًا إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِ حِمَّامَاتٍ، وَكَانَ الَّذِي خَدَمَنِي فِيهَا نَائِبًا ٣.

فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبَرُ، مَعَ مَا ذَكَرَهُ الْقَضَاعِي مِنْ عَدَدِ الْحِمَّامَاتِ وَأَنَّهَا أَلْفٌ وَمِائَةٌ وَسَبْعُونَ حِمَّامًا ٤، تُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ مَا كَانَ بِمِصْرَ مِنَ النَّاسِ، هَذَا وَالشَّعْرُ رَاخٍ فَالْقَمَحُ ٥ كُلُّ خَمْسَةِ أَرَادِبٍ بَدِينَارٍ، وَأُيُوعٌ ٦ عَشْرَةُ أَرَادِبٍ بَدِينَارٍ فِي أَيَّامٍ ٧ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ. قَالَ ابنُ الْمُتَوَجِّعِ: خَطَّ ٨ مَسْجِدَ عَبْدِ اللَّهِ ٩ أَذْرَحْتُ بِهِ ١٠ أَثَارَ دَارٍ عَظِيمَةٍ قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ دَارَ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ. وَيُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْخِطَّةَ تُعْرَفُ بِشَوْقِ الْقَشْكَرِ، وَكَانَ بِهِ مَسْجِدُ الْوَكْرَةِ ١١، وَقِيلَ

(a) بولاق: والقمح. (b) بولاق: بيعت. (c) بولاق: زمن. (d) بولاق: خطة. (e) بولاق: بها. (f) بولاق: الزكاة.

والي مصر الأموي بين سنتي ٨٦-٩٠ هـ. كان يقع في المنطقة الواقعة بين درب المعاصر وباب الصفا شمالي الفسطاط. ويحمل مؤلفو الخطوط المتقدمون مسجد عبد الله هو الحد الفاصل بين جانبي الفسطاط الشرقي والغربي - أي عمل فوق وغتلت أشقل - وقد تحوّل هذا المسجد قبل عصر ابن دقماق والمقريري. ويمكن تحديد موضعه إلى الجنوب قليلا من الجامع الحالي المعروف بجامع أبي السمود الجارحي الذي =

١ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ٣، وفيما يلي ١٣٢، ١٥١.

٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٧-٧٨، وفيما يلي ١٦٠.

٣ نفسه ٤: ١٠٦-١٠٧.

٤ فيما يلي ٢: ٨٠.

٥ مسجد عبد الله بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان

إنه كان منه قَصَبَة شوق مُتَّصِلَة إلى جامع أحمد بن طولون . وأخبرني بعضُ المشايخ العُدُول عن والده - وكان من أكابر الصُلَحَاء - أنه قال : عَدَدْتُ من مَسْجِد عبد الله إلى جامع ابن طولون ثلاث مائة وتسعين قَدْرَ حِصْنٍ مَصْلُوقٍ بِقَصَبَة هذا الشوق بالأرض ، مَبْوَى المقَاعِدِ والحَوَائِثِ التي بها الحِصْنُ ^١ .

٥ فَنَأْمُلُ - أَعَزُّكَ اللهُ - ما في هذا الخبر مما يدلُّ على عَظَمَةِ مصر ، فإنَّ هذا الشوق كان خارجَ مَدِينَةِ القُسْطَاطِ ، ومَوْضِعُهُ اليومَ القُصَّاءُ الذي بين كُورِ الجارحِ وبين جامع ابن طولون .

ومن المعروف أنَّ الأَشْوَاقَ التي تكون بداخلِ المَدِينَةِ أَعْظَمُ من الأَشْوَاقِ التي هي خارجها ، ومع ذلك ففي هذا الشوق من صِنْفٍ واجِدٍ من المأكِلِ هذا القَدْرُ ، فكَمَ تُرَى تكون جملة ما فيه من سائر أصناف المأكِلِ ، وقد كان إذ ذاك بمصر عَشْرَتَا ^٢ أَشْوَاقٍ كُلُّهَا أو أَكْثَرُهَا أَجَلٌ من هذا الشوق ^٣ ؟

قال : وَدَرْبُ السَّفَايِرِينَ ^٤ فيه زُقَاقُ بني الرصاص ، كان به بجماعتهم ^٥ إذا عَقِدَ عندهم عَقْدٌ لا يحتاجون إلى غَرِيبٍ ، وكانوا هم وأولادهم نَحْوًا من أربعين نَفْسًا ^٦ .

١٥ وقال ابنُ زُولَاقٍ في كِتَابِ «سِيَرَةِ المَآذِرَائِيينَ» : ولَمَّا قَدِمَ الأَسَاطُ مُؤَنِّسُ الخَازِمِ من بَغْدَادِ إلى مصر ، اسْتَدْعَى أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنَ أَحْمَدَ المَآذِرَائِيَّ المعروف بِأَبِي زُنْثُورٍ ، الدَّقَاقَ - وهو الذي تُسَمِّيهِ اليومَ الطَّبَّحَانُ - وقال : إِنَّ الأَسَاطَ مُؤَنِّسًا قَدْ وَافَى ، ولي بِمَشْئُولٍ قَنَرِ ستين ألفَ أَرْدَبٍ قَمَحًا ، فإذا وَافَى فَقُمْ له بِالوُظِيْفَةِ . فكان يقومُ له بما يَخْتِاجُ إليه من دَقِيقٍ حَوَازِيٍّ مُدَّةَ شهر . فلَمَّا كَمَلَ الشَّهْرَ ، قال [له غُلَوَان] ^٧ كَاتِبُ مُؤَنِّسٍ لِلدَّقَاقِ : كَمْ لك حَتَّى نَذْفَقَهُ إِلَيْكَ ؟ فَأَعْلَمَهُ الخَيْرَ ، فقال : ما أَحْسَبُ الأَسَاطَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ في ضِيَاقَةِ أَبِي عَلِيٍّ . وَأَعْلَمَ مُؤَنِّسًا بِذلك ، فقال : أَنَا أَكُلُ خُبْزَ حُسَيْنٍ ! لا يَزِجُ الرَّجُلُ حَتَّى يَقْبِضَ مَالَهُ .

(a) بولاق : عشرة . (b) بولاق : السفائير بني . (c) بولاق : جماعة . (d) إضافة من المقتضى .

= أقامه الأمير عبد الرحمن كتبنا على ضريح الشيخ ٢٧٠ : ٢٨٢ .

المصري سنة ١٢٣٣هـ / ١٨٢٦م . (الكندي : ولاية مصر ٤٢ : ٥٩١ ، ٤٢ : ٥٩١ .

٨٠ : ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩١ ، ٥ : ١٤٢ وفيما يلي ٢ نفسه ٤ : ١٩ .

فَمَضَى الدَّقَاقُ وَأَعْلَمَ أَبَا زُنْبُورَ، فَقَامَ مِنْ قُورِهِ إِلَى مُؤْنَسَ فَأَكْبَ عَلَى رِجْلَيْهِ [يَقْبِلُهُمَا] ^(a)،
فَاخْتَسَمَ مِنْهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَجِيكَ إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ الَّذِي مَضَى، وَلَا تُعَاوِدَ. ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ
لِلدَّقَاقِ: قُمْ لِي بِالْوِظِيْفَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَاعْتَلِ مَا يُرِيدُهُ. قَالَ: فَبَجِثْتُهُ وَقَدْ قَرَعَ الْقَمْعُ، وَمَعِيَ
الْحِسَابُ وَأَرْبَعُ مِائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: إِيْشَ هَذَا؟ فَقُلْتُ: بَقِيَّةُ ذَلِكَ الْقَمْعِ. / فَقَالَ: أَغْنِيَنِي مِنْهُ،
وَوَزَّكَهَ ^١.

فَتَأَمَّلَ مَا اسْتَعْتَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْحَبْرُ مِنْ سَعَةِ حَالِ كَاتِبٍ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ، كَيْفَ كَانَ لَهُ فِي قُوَّةِ
وَاجِدَةٍ هَذَا الْقَدْرَ مِنْ صِنْفِ الْقَمْعِ، وَكَيْفَ صَارَ مِمَّا يُفْضِلُ عَنْهُ حَتَّى يَجْعَلَهُ ضِيَاْفَةً، وَكَيْفَ لَمْ
يَغْبَأْ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ حَتَّى وَهَبَهَا لِدَّقَاقٍ قَفَحَ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ كَثْرَةِ الْغِنَى ^(b)، وَقَسَ عَلَيْهِ بَاقِي
الْأَحْوَالِ.

١٠ وَقَالَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَازَرَانِيِّ: إِنَّهُ حَجَّ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ حُجَّةً مُتَوَالِيَةً، أَنْفَقَ فِي
كُلِّ حُجَّةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ مَعَهُ بِتِسْعِينَ نَاقَةً لِقَيْبِهِ ^(c) الَّتِي
يُرْكَبُهَا، وَأَرْبَعُ مِائَةِ لُجْهَازِهِ وَمِيْرَتِهِ، وَمَعَهُ الْمُحَامِلُ فِيهَا أَخْوَاضُ الْبَقْلِ وَأَخْوَاضُ الرِّيَاحِينِ وَكِلَابُ
الصَّنِيدِ، وَيُنْفِقُ عَلَى الْأَشْرَافِ وَأَوْلَادِ الصُّحَابَةِ وَلَهُمْ عِنْدَهُ دِيْوَانٌ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَنَّهُ أَنْفَقَ فِي
خَمْسٍ ^(d) حُجَّاتٍ آخَرَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ ^٢.

١٥ وَكَانَتْ جَارِيَتُهُ تُوَصِّلُ مَعَهُ الْحَبَّ، وَمَعَهَا لِنَفْسِهَا ثَلَاثُونَ نَاقَةً لِقَيْبِهَا ^(e)، وَمِائَةُ وَخَمْسُونَ عَرَبِيَّةً
لُجْهَازِهَا.

وَأَخْصِي مَا يُغَطِّيهِ كُلُّ شَهْرٍ لِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلَ الشَّرِّ وَذَوِي الْأَقْدَارِ، جِرَافَةً مِنَ الدَّقِيقِ الْخَوَازِي،
فَكَانَ بَعْضُهَا وَثْمَانِينَ أَلْفَ رطل.

وَكَانَ سَنَةُ الْقُرْمَطِيِّ ^٣ بِمَكَّةَ، فَمِنْ جَمَلَةٍ مَا ذَهَبَ لَهُ بِهِ مِائَتَانِ قَمِيصَ ذَبِيقِي، شَلَفَ ^(f) كُلَّ ثَوْبٍ
مِنْهَا خَمْسُونَ دِينَارًا ^٤.

(a) [إِضَافَةٌ مِنَ الْمَقْنَى . (b) بُولَاقُ : الْمَعَاشِ . (c) بُولَاقُ : لَقَبْتُهُ . (d) الْمَقْنَى : عِشْرَ . (e) بُولَاقُ : لَقَبْتُهُ . (f) بُولَاقُ : لَمَسَ .

^١ القُرْمَاطِيُّ : الْمَقْنَى الْكَبِيرُ ٣: ٤٧٨ - ٤٧٩ .

أَبُو سَعِيدٍ الْخَنَازِيُّ .

^٢ نَفْسُهُ ٦: ٢٣٥ .

^٤ الْقُرْمَاطِيُّ : لِلْمَقْنَى الْكَبِيرِ ٦: ٢٤٤ .

^٣ أَيُّ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ وَالْقُرْمَاطِيُّ الْمَقْصُودُ هُوَ

وقال مروة وهو في عطلته : أَخَذَ مِنِّي محمد بن طُغْج الإغشيد عَيْثًا وَعَرَضًا ^(a) يَلْغُ نَيْقًا ^(b) وثمانين وئبة دنانير ؛ فاشتغظم من خَصَرَ ذلك ، فقال ابنه : الذي أَخَذَ أَكْثَرَ ، وأنا أَوْقَفُهُ عليه ؛ ثم قال لأبيه : يا مَوْلَايَ ، أَلَيْسَ نَكَبْتُ ثَلَاثَ مَوَاتٍ ؟ قال : بَلَى ؛ قال : أَلَيْسَ أُجِدْتُ ضِيَاعَكَ بِالشَّامِ ؟ قال : نَعَمْ ؛ قال : فَكَمْ تَمْتَنُهَا ؟ قال : أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ ؛ قال : وَضِيَاعُكَ بِمِصْرَ ؟ قال : قَرِيبٌ مِنْهَا ؛ قال : وَعَرَضُ وَعَيْنٌ ؟ قال : كَذَلِكَ . فَأَمَرَ بَعْضَ الْحُشَابِ بِضَبْطِ ذَلِكَ ، فَجَاءَ مَا يُنِيفُ عَنْ ثَلَاثِينَ أَرْدَبًا مِنْ ذَهَبٍ ^١ .

فَانْظُرْ مَا تَضَعْتَهُ أَخْبَارَ الْمَادَرَاثِي ، وَقَسْ عَلَيْهَا بِقِيَةِ أَخْوَالِ مِصْرَ ، فَمَا كَانَ سِوَى كَاتِبِ الْخَرَاجِ وَهَذِهِ أُمُورُهُ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ .

وقال الشَّرِيفُ الْجَوَانِي : إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ مُيْسَرَ ^(c) قَاضِي مِصْرَ سَمِعَ أَنَّ الْمَادَرَاثِيَّ عُجِلَ فِي أَيَّامِهِ الْكَفَلَكَ الْمُحْشَوَ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُرْصَ الصَّغَارَ الْمُسَمَّى «أَفْطِنَ لَهُ» ، فَأَمَرَهُمْ بِعَمَلِ الْفُسْتَقِ الْمُبَسَّسِ بِالشُّكْرِ الْأَبْيَضِ الْفَانِيدِ الْمَطْيَبِ بِالْمِشْكِ ، وَعَمِلَ مِنْهُ فِي أَوَّلِ الْحَالِ أَشْيَاءَ عَوَضَ لَبَهُ لُبَ ذَهَبٍ فِي صَخْنٍ وَاجِدٍ ، فَتَصَيَّ عَلَيْهِ جُمْلَةً ، وَخُطِطَ قُدَّامَهُ ، تَخَاطَفَهُ الْحَاضِرُونَ ، وَلَمْ يَتَدَّ لَعْمَلَهُ بَلِ الْفُسْتَقِ الْمُبَسَّسِ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ فِي سِيرَةِ الْمَادَرَاثِيِّ أَنَّ عُجِلَ لَهُ هَذَا «الْأَفْطِنَ لَهُ» وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَوَقَفَ أَسْتَاذٌ عَلَى السَّمَاطِ فَقَالَ لِأَخِي الْجَمَّاسِ : «أَفْطِنَ لَهُ» ؛ وَكَانَ عُجِلَ عَلَى السَّمَاطِ عِدَّةُ صُحُونٍ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ ، لَكِنْ ^(d) مَا كَانَ فِيهَا إِلَّا ^(e) صَخْنٌ وَاجِدٌ ، فَلَمَّا رَمَزَ الْأَسْتَاذُ لَذَلِكَ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ «أَفْطِنَ لَهُ» وَأَشَارَ إِلَى الصَّخْنِ ، تَنَاوَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْهُ ، فَأَصَابَ الذَّهَبَ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ فَحَصَلَ لَهُ مَجْمَلَةٌ ، وَرَأَاهُ النَّاسُ وَهُوَ إِذَا أَكَلَ يُخْرِجُ مِنْ فَمِهِ وَيَجْتَمِعُ بِيَدِهِ وَيَحْطُ فِي جَنْبِهِ ، فَتَبَجَّهُوا لَهُ وَتَرَاخَمُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَذَلِكَ مِنْ يَوْمَئِذٍ «أَفْطِنَ لَهُ» ^٢ .

وقال أَبُو سَعِيدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ فِي «تَارِيخِ مِصْرَ» : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا بِتَفْسِيرِ رُؤْيَا رَأَاهَا غُلَامٌ ابْنُ عَقِيلِ الْحُشَابِ عَجِيبَةً ، فَكَانَتْ حَقًّا كَمَا فَسَّرَتْ ، فَسَأَلْتُ غُلَامَ ابْنِ عَقِيلِ عَنْهَا ؛ فَقَالَ لِي : أَنَا أَشْهِدُكَ ، كَانَ أَبِي فِي سُوقِ الْحُشَابِيِّينَ ، فَأَتَّفَقَ بِضَاعَتِهِ وَرَثَتْ حَالَهُ

(a) ما ساقطة من بولاق . (b) بولاق : ألفا . (c) بولاق : مفسر . (d-d) ساقط من بولاق .

^١ المقرئ : الملقى الكبير ٦ : ٢٤٤ . الإمبر ٤٢٧-٤٢٨ (ومصدره أيضًا الشرف الجواني) ؛
^٢ ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٧ : المقرئ : اتعاظ الحنفيا السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٥٢ . وانظر فيما يلي
١٦٣ : ٣ ، الملقى الكبير ٧ : ٤٠٠-٤٠١ ؛ ابن حجر : رفع ٢ : ٤٥٣ .

- ومات ، فَأَسْلَمْتَنِي أُمِّي إِلَى ابْنِ عَقِيل - وَكَانَ صَدِيقًا لِأُمِّي - فَكُنْتُ أَخْذُهُ ، وَأَفْتَحُ حَائِثَهُ وَأَكْنُسُهَا ، ثُمَّ أَفْرِشُ لَهُ مَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، فَكَانَ يُجْعِلُ عَلَيَّ رِزْقًا أَتَقَوُّتُ بِهِ ؛ فَأَنَا^(a) يَوْمًا فِي الْحَانُوتِ وَقَدْ جَلَسَ أَسْتَاذِي ابْنُ عَقِيل ، فَجَاءَ ابْنُ الْعَشَّالِ^١ مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيْفِ يَطْلُبُ عُودَ خَشَبٍ لَطَاحُونَهُ ، فَاشْتَرَى مِنْ ابْنِ عَقِيلَ عُودَ طَاحُونَةٍ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرٍ . فَسَجِفْتُ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الشُّوقِ يَقُولُونَ : هَذَا ابْنُ الْعَشَّالِ الْمُفْسِّرُ لِلرُّؤْيَا عِنْدَ ابْنِ عَقِيل ، فَجَاءَ مِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَصُّوا عَلَيْهِ مَنَامَاتٍ رَأَوْهَا ، فَفَسَّرَهَا لَهُمْ ؛ فَذَكَرْتُ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي لَيْلَتِي ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي نَوْمِي كَذَا وَكَذَا ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا ؛ فَقَالَ لِي : أَيُّ وَقْتٍ رَأَيْتَهَا مِنَ اللَّيْلِ ؟ فَقُلْتُ : انْتَبَهْتُ بَعْدَ رُؤْيَايَ فِي وَقْتٍ كَذَا ؛ فَقَالَ لِي : هَذِهِ رُؤْيَا لَسْتُ أَفْسِّرُهَا إِلَّا بِدَنَانِيرٍ كَثِيرَةٍ . فَأَلَحَّحْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَسْتَاذِي ابْنُ عَقِيل : فَرَّجْ عَنْهُ ، هَذَا عَلَامٌ صَغِيرٌ فَقِيرٌ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ؛ فَقَالَ : لَسْتُ أَخْذُ إِلَّا عَشْرِينَ دِينَارًا ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيل : إِنْ قَوَّيْتُ عَلَيْكَ وَزَنْتُ أَنَا لَكَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ يُنْزِلُهُ حَتَّى قَالَ : لَسْتُ^(b) وَاللَّهِ أَخْذُ أَقَلِّ مِنْ ثَمَنِ الْعُمُودِ^(c) الْخَشَبِ : خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيل : إِنْ صَحَّتِ الرُّؤْيَا دَفَعْتُ إِلَيْكَ الْعُمُودَ^(d) بِلَا ثَمَنِ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَأْخُذُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ قَالَ أَسْتَاذِي : فَإِذَا لَمْ يَصِحَّ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَكُونُ الْعُمُودُ^(e) عِنْدَكَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنْ^(f) أَخْذَ مَا قُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْأَيَّامِ^(g) فَلَيْسَ لِي عِنْدَكَ شَيْءٌ ، وَلَا أَفْتَرُ رُؤْيَا أَبَدًا ؛ فَقَالَ لَهُ أَسْتَاذِي : قَدْ أَنْصَفْتُ .
- وَمَضَتْ الْجُمُعَةُ ، فَلَمَّا كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَدَوْتُ كَمَا^(h) كُنْتُ أَغْدُو إِلَى دُكَّانِ أَسْتَاذِي ، فَفَتَحْتَهَا وَرَشَشْتُهَا ، وَاسْتَلَقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي أَفْكَرَ فِيمَا قَالَ لِي ، وَمِنْ أَيْنَ يُمَكِّنُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيَّ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقُلْتُ : لَعَلَّ سَقْفَ الْمَكَانِ يَنْفَرِجُ فَيَسْقُطُ مِنْهُ هَذَا الْمَالُ ، وَجَعَلْتُ أَجِيلَ فِكْرِي ؛ فَلَمَّئِي كَذَلِكَ إِلَى صُحَى ، إِذْ وَقَفَ عَلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَغْوَانِ الْحَرَاجِ مَعَهُمْ فَارِسٌ⁽ⁱ⁾ ، فَقَالُوا : هَذِهِ دُكَّانُ ابْنِ عَقِيل ، ثُمَّ قَالُوا لِي : قُمْ ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ : لَسْتُ / ابْنُ عَقِيل ، أَنَا عَلَامُهُ ؛ فَقَالُوا لِي^(j) : هَلْ أَنْتَ ابْنُهُ ، وَجَدَّ بُونِي فَأَخْرَجُونِي مِنَ الدُّكَّانِ ؛ فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالُوا : إِلَى دِيْوَانِ الْأَسْتَاذِ أَبِي عَلِيِّ الْحُسَيْنِيِّ ابْنِ أَحْمَدَ (يَعْنُونَ أَبَا زُنْبُور) ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَضَعُ بِي ؟ فَقَالُوا : إِذَا جِئْتَ

(a) بولاق : فأنى . (b) ساقطة من بولاق والعبارة فيه : والله لا آخذ . (c) بولاق : العود . (d) بولاق : فإن كان لم يصح . (e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : مثل ما . (g) بولاق : ناس .

^١ حاشية بخط المؤلف : «الحسن بن محمد بن أحمد بن العشال كَتَبَ الْحَدِيثَ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، كَانَ فِي تَفْسِيرِ الرُّؤْيَا عَجَبِيًّا لَمْ يُرْ مِثْلُهُ» .

سَمِعْتَ كَلَامَهُ وَمَا يُرِيدُهُ مِنْكَ . وَكَنتَ بِمَقِيبِ عِلَّةٍ ضَعِيفِ الْبَدَنِ ، فَقُلْتَ : مَا أَقْدِرُ أَمْشِي ، فَقَالُوا : اكْتَرِ حِمَارًا تَرْكَبَهُ .

وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ مَا أَكْثَرِي بِهِ حِمَارًا ، فَتَزَعْتُ يَكَّةً سَرَاوِيلِي مِنْ وَسْطِي وَدَفَعْتُهَا عَلَى دَرَاهِمِينَ لِمَنْ أَكْرَانِي الْحِمَارَ ، وَمَتَّصَيْتُ مَعَهُمْ فَجَاءُوا بِي إِلَى دَارِ أَبِي زُبَيْرٍ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ قَالَ لِي : أَنْتَ ابْنُ عَقِيلٍ ؟ فَقُلْتُ : لَا يَا سَيِّدِي ، أَنَا عَلَامٌ فِي حَائِوَتِهِ ؛ قَالَ : أَفَلَيْسَ تُبَصِّرُ قِيَمَةَ الْخَشَبِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ؛ قَالَ : فَادْفَقْ مَعَ هَؤُلَاءِ فَقَوْمٌ لَنَا هَذَا الْخَشَبُ ، فَانْظُرْ بِحَيْثُ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ .

فَمَتَّصَيْتُ مَعَهُمْ ، فَجَاءُوا بِي إِلَى شَطِّ الْحَمْرَاءِ^(١) إِلَى خَشَبٍ كَثِيرٍ مِنْ أَثْلٍ وَسَنْطٍ جَافٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَصْلُحُ لِبِنَاءِ الْمَرَاكِبِ ، فَقَوَّضْتُهُ تَقْوِيمَ جَزَعٍ حَتَّى بَلَغْتَ قِيَمَتَهُ أَلْفِي دِينَارٍ ؛ فَقَالُوا لِي : انْظُرْ هَذَا الْمَوْضِعَ الْآخَرَ فِيهِ مِنَ الْخَشَبِ أَيْضًا ؛ فَتَنْظَرُتُ فَإِذَا هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا قَوَّضْتَ بِنَحْوِ مِائَتَيْنِ ، فَأَعَجَبُونِي وَلَمْ أَضْبِطْ قِيَمَةَ الْخَشَبِ .

فَرَدُّونِي إِلَى أَبِي زُبَيْرٍ ، فَقَالَ لِي : قَوَّضْتَ الْخَشَبَ كَمَا أَمَرْتُكَ ؟ فَتَزَعْتُ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : هَاتِ كَمْ قَوَّضْتَهُ ؟ فَقُلْتُ : أَلْفًا دِينَارٍ ؛ فَقَالَ : انْظُرْ لَا تَغْلَطْ ؛ فَقُلْتُ : هُوَ قِيَمَتُهُ عِنْدِي ؛ فَقَالَ لِي : فَخُذْهُ أَنْتَ بِالْأَفْنِي دِينَارٍ ؛ فَقُلْتُ : أَنَا فَقِيرٌ لَا أَتَمْلِكُ دِينَارًا وَاحِدًا ، فَكَيْفَ لِي بِقِيَمَتِهِ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ تَحْسِنُ تَذْيِيرَهُ وَتَبْيَعَهُ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَذَبِّرْهُ وَبِعْهُ ، وَنَحْنُ نَضْبِرُ عَلَيْكَ بِالْثَمَنِ إِلَى أَنْ تَبِيعَ شَيْقًا شَيْقًا وَتُوْذِي ثَمَنَهُ ؛ فَقُلْتُ : أَفْعَلُ .

فَأَمَرْتُ بِكِتَابٍ يُكْتَبُ عَلَيَّ فِي الدِّيَّانِ بِالْمَالِ ، فَكُتِبَ عَلَيَّ ، وَرَجَعْتُ إِلَى الشُّطِّ أَغْرِيفَ عَدَدِ الْخَشَبِ ، وَأَوْصِي بِهِ الْحُرَّاسَ .

فَوَافَيْتُ جَمَاعَةَ أَهْلِ شَوْقِنَا وَشُيُوعَهُمْ قَدْ أَتَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْخَشَبِ ، فَقَالُوا لِي : إِيْشَ صَنَعْتَ ، قَوَّضْتَ الْخَشَبَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ قَالُوا : بِكَمْ قَوَّضْتَهُ ؟ فَقُلْتُ : بِالْأَفْنِي دِينَارٍ ؛ فَقَالُوا لِي : وَأَنْتَ تَحْسِنُ ثَقْوَمَ لَا يُسَاوِي هَذَا هَذِهِ الْقِيَمَةَ . فَقُلْتُ لَهُمْ : قَدْ كَتَبْتُ عَلَيَّ كُتَّابًا فِي الدِّيَّانِ وَهُوَ عِنْدِي يُسَاوِي أَضْعَافَ هَذَا ؛ فَقَالُوا لِي : أَنْسُكْتَ لَا يَسْمَعُكَ أَحَدٌ ؛ وَكَانُوا قَدْ قَوَّموهُ قَبْلِي لِأَبِي زُبَيْرٍ

(١) بولاق : البحر .

^١ حاشية بخط المؤلف : «شط الحمرأ هو اليوم ما في جنب الخليج حيث الموضع الذي يعرف بالمرس» . و ٥٣٧ هـ (٢) . موضعه بستان الخشاب (فيما يلي ١٥٧ ، ١٦٤ والمرس موضع غرب الخليج بجوار منشأة المهراي كان

بألف دينار، فقال بعضهم لبعض: أعطوا هذا ربحه وتسلموه أتم، فقال قائل: أعطوه ربحه خمس مائة دينار؛ فقلت: لا، والله لا آخذ؛ فقالوا: قد رأى رؤيا فزيده؛ فقلت: لا، والله لا آخذ أقل من ألف دينار؛ قالوا: فلنك ألف دينار، فحوّل اسمك من الديوان نطقت إذا بفنا ألف دينار؛ فقلت: لا والله لا أقل حتى آخذ الألف دينار في وقتي هذا.

- فمَضَوْا إِلَى خَوَانِيَتِهِمْ وَإِلَى مَنَازِلِهِمْ حَتَّى جَاءُونِي بِأَلْفِ دِينَارٍ، فقلت: لا آخذها إِلَّا بِنَقْدِ الصَّيْرِفِيِّ وَمِيزَانِهِ؛ فَمَضَيْتُ مَعَهُمْ إِلَى صَيْرِفِي بِالنَّاجِيَةِ حَتَّى وَزَّوْا عِنْدَهُ الْأَلْفَ دِينَارًا، وَنَقَدْتُهَا وَأَخَذْتُهَا فَشَدَدْتُهَا فِي طَرَفِ رِدَائِي، وَمَضَيْتُ مَعَهُمْ إِلَى الدِّيوانِ، وَحَوَّلْتُ أَسْمَاءَهُمْ مَكَانَ اسْمِي، وَوَقَّوْا حَقَّ الدِّيوانِ مِنْ عِنْدِهِمْ.

- وَرَجَعْتُ وَقْتُ الظُّهْرِ إِلَى أَشْتَازِي فَقَالَ لِي: قَبَضْتَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْهُمْ؟ فقلت: نَعَمْ، يَرْكَيكَ وَتَرَكْتُ الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: يَا أَشْتَازُ خُذْ ثَمَنَ الْعُمُودِ^(٥) الْحَشَبِ؛ فَقَالَ: لا والله لا آخذ منك شيئًا، أَنْتَ عِنْدِي مَقَامُ ابْنِي. وَجَاءَ فِي الْوَقْتِ ابْنُ الْعَشَالِ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَشْتَازِي الْعُمُودَ^(٥) الْحَشَبِ، فَمَضَى. فَهَذَا خَبَرُ رُؤْيَايَ وَتَفْسِيرُهَا.

- فَتَأَمَّلْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبَرُ^(٥) مِنْ عِظَمِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِصْرُ، فَأَوَّلًا^(٦) سَعَةِ حَالِ الدِّيوانِ، وَكَيْفَ فَضَّلَ فِيهِ خَشَبٌ يُسَاوِي آلَافًا مِنَ الذَّهَبِ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي زَمَنٍ إِذَا اخْتِيجَ فِيهِ إِلَى عِمَارَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَمَاكِينِ السُّلْطَانِيَّةِ بِخَشَبٍ أَوْ غَيْرِهِ، أُخِذَ مِنَ النَّاسِ إِمَّا بَغِيرِ ثَمَنٍ أَوْ بِأَبْخَسِ^(٧) الْقِيَمِ، مَعَ مَا يُصِيبُ مَالِكَهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْخَسَارَةِ لِلْأَعْوَانِ.

- وَكَيْفَ لَمَّا قُوِّمَ هَذَا الْحَشَبُ، لَمْ يُكَلَّفِ الْمُشْتَرِي دَفْعَ الْمَالِ فِي الْحَالِ؛ وَفِي زَمَانِنَا إِذَا طُرِحَتْ الْبِضَاعَةُ السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى الْبَايَعَةِ يُكَلَّفُونَ حَمْلَ ثَمَنِهَا بِالْمَرْوَةِ، حَتَّى إِنْ فِيهِمْ مَنْ يَبِيعُهَا بِأَقْلٍ مِنْ نِصْفِ مَا اشْتَرَاهَا بِهِ، وَيُكْمِلُ الثَّمَنَ إِمَّا مِنْ مَالِهِ أَوْ يَقْتَرِضَهُ بِرِبْحٍ.

- وَكَيْفَ لَمَّا عَلِمَ أَهْلُ الْعَوَقِ أَنَّ الْحَشَبَ يَبِيعُ بِدُونِ الْقِيَمَةِ، لَمْ يَمْنُصُوا إِلَى الدِّيوانِ، وَيَذْفَعُونَ فِيهِ زِيَادَةً: إِمَّا لِقِلَّةِ شِرَاءِ^(٨) النَّاسِ إِذَا ذَاكَ أَوْ تَرْكِبِهِمُ الْأَخْلَاقَ الرُّذِيلَةَ مِنَ الْحَسَدِ وَنَحْوِهِ، أَوْ لِعِلْمِهِمْ بِعَدْلِ السُّلْطَانِ وَأَنَّهُ لَا يَنْكُثُ مَا عَقَدَهُ. وَفِي زَمَانِنَا لَوْ ادَّعَى عَدُوٌّ عَلَى عَدُوِّهِ أَنَّ الْبِضَاعَةَ الَّتِي كَانَ اشْتَرَاهَا مِنَ الدِّيوانِ قِيمَتُهَا أَكْثَرُ مِمَّا أَخَذَهَا بِهِ، لَقَبِلَ قَوْلَهُ وَغَرِمَ زِيَادَةً عَلَى مَا ادَّعَاهُ عَدُوُّهُ مِنْ قِلَّةِ الْقِيَمَةِ لِمَحْمِلَةِ أُخْرَى؛ لَا بِجَوْمِ أَنَّهُ تَظَاهَرَ شَفَهَاءُ النَّاسِ بِكُلِّ

رَذِيْلَةٌ وَدَمِيْمَةٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ سَوْفَ^(٤) يُجِيبُنِي إِلَيْهِ مَا أَتَّفَقَ^(٥) بِهِ .

وكيف لما عَلِمَ ابْنُ عَقِيلٍ أَنَّ غُلَامَتَهُ اسْتَفَادَ عَلَى اسْمِهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، لَمْ يَشْرِهِ إِلَى أَخْذِهَا ، بَلْ دَفَعَ عَنْهُ الْخَمْسَةَ الدَّنَانِيرَ^(٦) . وما ذلك إِلَّا مِنْ انْتِشَارِ الْخَيْرِ فِي النَّاسِ ، وَكَثْرَةِ أَثْوَالِهِمْ ، وَسَعَةِ حَالِ كُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِهِ ، وَطَيْبِ نَفْسِ الْكَافَّةِ ، وَلَعَنَرِي لَوْ سَمِعَ فِي زَمَانِنَا أَحَدٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ - فَضْلًا عَنْ الْبَاغَةِ - أَنَّ غُلَامًا مِنْ غُلَمَائِهِ أَخَذَ عَلَى اسْمِهِ عَشْرَ هَذَا الْمَلَخِ ، لَقَامَتْ قِيَامَتُهُ .

وكيف اتَّشَعَّتْ أَحْوَالُ الْخَشَّائِينَ حَتَّى وَزَنُوا أَلْفَ دِينَارٍ فِي سَاعَةٍ ، وَأَنَّهُ لَيُعْشَرُ الْيَوْمَ عَلَى الْخَشَّائِينَ أَنْ يَزِنُوا فِي يَوْمٍ مِائَةَ دِينَارٍ . وهذا كُلُّهُ مِنْ وَفُورِ غِنَى النَّاسِ بِمِصْرَ ، وَعِظَمِ أَقْرَبِهِمْ ، وَكَثْرَةِ سَعَادَاتِهِمْ .

(٤) وَكَانَ / الْقُسْطَاطُ نَحْوُ ثَلَاثِ بَعْدَادٍ - وَمُقَدَّرُهُ نَحْوُ^(٥) فَرَسَخٍ - عَلَى غَايَةِ الْعِمَارَةِ وَالْخِصْبِ وَالطَّيْبَةِ وَاللَّذَّةِ ، وَكَانَتْ مَسَاكِينُ أَهْلِهَا خَمْسَ طَبَقَاتٍ وَسِتًّا وَسَبْعًا ، وَرُبَّمَا سَكَنَ فِي الدَّارِ الْوَاحِدَةِ الْمِائَتَانِ مِنَ النَّاسِ . وَكَانَ فِيهِ دَارُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ يُصَبِّ فِيهَا لِمَنْ فِيهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ مِائَةِ زَاوِيَةِ مَاءٍ ، وَكَانَ فِيهَا خَمْسَةُ مَسَاجِدَ وَخَمَامَانِ وَعِدَّةُ أَقْرَانٍ يُخْتَبَرُ بِهَا عَجَبُ أَهْلِهَا^(٦) .

وقد قال أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ «الْشَّيْءِ» : شَبَّوْتُ ثَقَاةً بِمِصْرَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَيْئًا ، وَرَأَيْتُ أَثَرُجَّةً عَلَى بَعِيرٍ قِطْعَتَيْنِ : قِطْعَتٌ وَصُيِّرَتْ عَلَى مِثْلِ عَذْلَيْنِ ، ذَكَرَهُ فِي بَابِ صَدَقَةِ الزَّرْعِ مِنْ كِتَابِ الزَّكَاةِ^(٧) .

قُلْتُ : وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي جَنَانَ بَنِي سَيْنَانَ الْبَصْرِيِّ خَارِجَ مَدِينَةِ الْقُسْطَاطِ ، وَكَانَتْ بِحَيْثُ لَمْ يُرْ أَبْدَعْ مِنْهَا . فَلَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ مِصْرَ سَنَةَ سَبْعٍ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، رَأَى جَنَانَ بَنِي سَيْنَانَ هَذِهِ ، فَأَعْجَبَ بِهَا وَسَأَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَيْنَانَ : كَمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَزَاجِ لِحَنَائِهِ ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ يَحْمِلُ إِلَى الدُّيُونِ فِي كُلِّ سَنَةِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقَالَ الْمَأْمُونُ : وَكَمْ تَرُدُّ عَلَيْكَ هَذِهِ الْحِنَانُ ؟ قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ خَضْرَاهُ ، إِلَّا أَنَّ مَا زَادَ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ وَلَوْ يَرْهَقَانِ . هَذَا وَلَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيْنَانَ يُوصَفُ بِعِلْمٍ وَزُهْدٍ^(٨) .

(a) بولاق : سوق . (b) بولاق : نفق . (c) بولاق : خمسة الدنانير . (d-d) غير موجودة في ط . (e) ساقطة من بولاق .

١١٠١ وعن وصف منازل القسطنطين انظر Fu'ad Sayyid

A., op. cit., pp. 605-10 ، وفيما يلي ١٥١ .

٢ انظر فيما تقدم ٧٥ : ١ .

١ مصدر هذا الخير ابن حوقل : صورة الأرض ١١٤٦ وقارن المقدسي : أحسن التقاسيم ١٩٨ : الإدريسي : نزهة المشتاق ٣٢٣ : ابن سعيد : المغرب ٣ : القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٦ ، وانظر كذلك ناصر خسرو : سفرنامه

ذِكْرُ الْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي خُرَابٍ مِصْرَ

رَوَى قَاسِمٌ بْنُ أَصْبَغٍ^١، عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ، قَالَ: الْجَزِيرَةُ أَمِينَةٌ مِنَ الْخُرَابِ حَتَّى تُخْرَبَ أَرْمِينِيَّةٌ، وَمِصْرُ أَمِينَةٌ مِنَ الْخُرَابِ حَتَّى تُخْرَبَ الْجَزِيرَةُ، وَالْكُوفَةُ أَمِينَةٌ مِنَ الْخُرَابِ حَتَّى تَكُونَ الْمَلْحَمَةُ، وَلَا يَخْرُجُ الدُّجَالُ حَتَّى تُفْتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ.

- وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُثَنَّبٍ أَنَّهُ قَالَ: الْجَزِيرَةُ أَمِينَةٌ مِنَ الْخُرَابِ حَتَّى تُخْرَبَ أَرْمِينِيَّةٌ، وَأَرْمِينِيَّةٌ أَمِينَةٌ مِنَ الْخُرَابِ حَتَّى تُخْرَبَ مِصْرُ، وَمِصْرُ أَمِينَةٌ مِنَ الْخُرَابِ حَتَّى تُخْرَبَ الْكُوفَةُ، وَلَا تَكُونَ الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى حَتَّى تُخْرَبَ الْكُوفَةُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى فُتِحَتِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ^٢.
- وَخُرَابُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قِبَلِ الرُّفْجِ، وَخُرَابُ إِفْرِيْقِيَّةٍ مِنْ قِبَلِ الْأَنْدَلُسِ، وَخُرَابُ مِصْرٍ مِنْ انْقِطَاعِ الثَّيْلِ وَاخْتِلَافِ الْجِيُوشِ فِيهَا، وَخُرَابُ الْعِرَاقِ مِنْ قِبَلِ الْجُوعِ وَالسَّيْفِ، وَخُرَابُ الْكُوفَةِ مِنْ قِبَلِ عَدُوٍّ مِنْ وَرَائِهِمْ يَخْفَرُهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنَ الْفُرَاتِ قَطْرَةً، وَخُرَابُ الْبَصْرَةِ مِنْ قِبَلِ الْفَرْقِ، وَخُرَابُ الْأَبْلَةِ مِنْ قِبَلِ عَدُوٍّ يَخْفَرُهُمْ مَرَّةً بَرًّا وَمَرَّةً بَحْرًا، وَخُرَابُ الرُّومِ مِنْ قِبَلِ الدَّيْلَمِ، وَخُرَابُ خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ الثُّبَيْتِ، وَخُرَابُ الثُّبَيْتِ مِنْ قِبَلِ الصِّينِ، وَخُرَابُ الصِّينِ مِنْ قِبَلِ الْهِنْدِ، وَخُرَابُ الْيَمَنِ مِنْ قِبَلِ الْحِجَازِ وَالسُّلْطَانِ، وَخُرَابُ مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ الْحِشَّةِ، وَخُرَابُ الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الْجُوعِ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَخُرَابُ أَرْمِينِيَّةٍ مِنْ قِبَلِ الرُّجْفِ وَالصَّوَاعِقِ، وَخُرَابُ الْأَنْدَلُسِ وَخُرَابُ الْجَزِيرَةِ مِنْ مَنَايِكَ الْخَيْلِ وَاخْتِلَافِ الْجِيُوشِ.

- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: إِنَّ أَسْرَعَ الْأَرْضِينَ خُرَابًا لِلْبَصْرَةِ وَمِصْرَ؛ فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يُخْرَبُهُمَا وَفِيهِمَا عَيُونُ الرُّجَالِ وَالْأَمْوَالِ؟ فَقَالَ: يُخْرَبُهُمَا الْقَتْلُ الْأَحْمَرُ وَالْجُوعُ الْأَغْبَرُ كَأَنِّي بِالْبَصْرَةِ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ جَائِمَةٌ، وَأَمَّا مِصْرُ فَإِنَّ نَيْلَهَا يَنْطُصِبُ (أَوْ قَالَ يَنْبَسِ) فَيَكُونُ ذَلِكَ خُرَابَهَا.
- وَعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ: إِذَا دَخَلَ أَصْحَابُ الرِّايَاتِ الصُّفْرَ مِصْرَ، فَلْتَخْفَرُ أَهْلُ الشَّامِ أَسْرَابًا تَحْتَ الْأَرْضِ. وَعَنْ كَعْبٍ: عَلَامَةُ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ أَلْوِيَّةٌ تُقْبِلُ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ

١ جلدو المقتبس ٣١١-٣١٢ ياقوت: معجم الأدياء

٢٣٦: ١٦-٢٣٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٤٧٢-

٤٧٤: الصفدي: الوافي بالوفيات ١١٤: ١١٥).

٢ انظر فيما تقدم ٨١ عن كعب الأخبار.

١ قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف الأندلسي القرطبي مولى الوليد بن عبد الملك الأموي البجلي (نسبة إلى بَيَّانَةَ محلة في قرطبة)، كان مسند عصره بالأندلس وحافظه ومحدثه، وإمامًا من ثلثة العلماء، توفي بقرطبة سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م (ابن الغرضي: تاريخ علماء الأندلس ١: ٣٦٤-٣٦٧، الحميدي:

أُغْرَجَ ، فإذا ظَهَرَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَلَى مِصْرَ ، فَبَطُنَ الْأَرْضَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ لِأَهْلِ الشَّامِ . وَعَنْ شُعْبَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ : يَخْرُجُ عُثْقُ بْنُ الْبَزْزَرِ ، فَوَيْلٌ لِأَهْلِ مِصْرَ .

وَقَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ أَبِي الْأَشْودِ ، عَنْ مَوْلى لُشْرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ - أَوْ لُغَمَرُو بْنِ الْعَاصِ - قَالَ : سَمِعْتُهُ يَوْمًا وَاسْتَقْبَلَنَا فَقَالَ : أَيُّهَا لَكَ مِصْرَ إِذَا زَمَيْتَ بِالْقَيْسِيِّ الْأَزْبَعِ : قَوْسُ الْأَنْدَلُسِ ، وَقَوْسُ الْحَبَشَةِ ، وَقَوْسُ الثُّرُكِ ، وَقَوْسُ الرُّومِ .

وَعَنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَرْغُوفَ ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : تَهْلِكُ مِصْرَ غَرْقًا أَوْ خَوْقًا .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْلَانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنَتِهِ : إِذَا بَلَغْتَ أَنَّ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ قَدْ قُتِحتَ ، فَإِنَّ كَانَ بِجَمَاوِكَ بِالْمَغْرِبِ فَلَا تَأْخُذْ بِهِ حَتَّى تَلْحَقِي بِالْمَشْرِقِ .

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ : سَيِّحُونَ - وَهُوَ نَهْرُ الْهِنْدِ - وَجَحْيَحُونَ - وَهُوَ نَهْرُ بَلْخَ - وَدِجْلَةُ وَالْفُرَاتِ - وَهُمَا نَهْرَا الْعِرَاقِ - وَالنَّيْلُ وَهُوَ نَهْرُ مِصْرَ ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ ، مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا ، عَلَى جَنَّاخِي جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالِ ، وَأَخْرَجَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ فِي أَصْنَافٍ مَعَايِشِهِمْ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الآية ١٨ سورة المؤمنون] .

فَإِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ بَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ كُلَّهُ وَالْعِلْمَ كُلَّهُ وَالْحَبَرَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ وَمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَتَأَثَّرَ مُوسَى بِمَا فِيهِ ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ ، فَيَرْفَعُ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ / لَقَائِدُونَ ﴾ [الآية ١٨ سورة المؤمنون] ، فَإِذَا رُفِعَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَدَتْ أَهْلُهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَقَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْخَضْرَمِيِّ ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْأَعْيَنِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مِصْرَ خَرَابًا أَنْطَابِلُسَ .

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي سَالِمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : إِنِّي لِأَعْلَمَ السَّنَةِ الَّتِي تَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ مِصْرَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَا يُخْرِجُنَا مِنْهَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَعَدُّو؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ يُخْرِجُكُمْ مِنْهَا نَيْلُكُمْ هَذَا ، يَمُورُ فَلَا تَبْقَى مِنْهُ قَطْرَةٌ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ الْكُثْبَانُ مِنَ الرَّمْلِ ، وَتَأْكُلُ مِيبَاغُ الْأَرْضِ حَبِيتَانَهُ .

ذكر خراب القسطنطين

وكان لخراب مدينة قسطنطين مصر سببان : أحدهما «الشدة العظمى» التي كانت في خلافة
المستنصر بالله الفاطمي، والثاني «حريق مصر» في وزارة شاور بن مجير الشغدي.

فأما «الشدة العظمى»^١ فإن سببها أن الشجر نزع^٢ بمصر في سنة ست وأربعين وأربع مائة
وتبع القلاء وباء، فبغت الخليفة المستنصر بالله أبو تميم محمد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن
علي، إلى ممتلك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال إلى مصر، فأطلق أربع مائة ألف أردب،
وعزم على حمله إلى مصر، فأذركه أجله ومات قبل ذلك.

- فقام في الملك بعده امرأة، وكثبت إلى المستنصر تسأله أن يكون عوناً لها، ويمدّها بعساكر
مصر إذا ناز عليها أحد، فأبى أن يُسعفها في طلبيتها، فخرّدت لذلك، وعانت الغلال عن المسير
إلى مصر. فحنق المستنصر، وجّه العساكر، وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم، وسارت إلى
اللاذقية، فحاصرتها^٣ بسبب نقض الهدنة وإسناك الغلال عن الوصول إلى مصر، وأمدّها
بالعساكر الكثيرة. ونودي في بلاد الشام بالغزو، فنزل ابن ملهم فريتا من فامية، وضائق أهلها،
وجال في أعمال أنطاكية فسبى ونهب، فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر،
فحاصرتها ابن ملهم عدة مرار، وكانت عليه، وأسير هو وجماعة كثيرة في شهر ربيع الأول منها.
فبغت المستنصر، في سنة سبع وأربعين، أبا عبد الله القضاعي برسالة إلى القسطنطينية. فوافى^٤
إليها رسول طغرل بك^٥ السلجوقي من العراق بكتابه يأمر ممتلك الروم بأن يمكن الرسول من

(a) بولاق : ارتفع . (b) بولاق : فحاصرتها . (c) ط : لغريك ، بولاق : طغرل .

— دار التضامن ١٩٨٨، أين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر
Daghfous, R., «Aspects de la ٢٠٤-٢٠٧ situation économique de l'Égypte au milieu du
V^e siècle / milieu du XI^e siècle: Contribution à
l'étude des conditions de l'immigration des tribus
arabes (Hilâl et Sulaym) en Ifriqiya», CT XXV
(1977), pp. 23-50; Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp.
616-25.

^١ راجع عن موضوع الشدة العظمى، إضافة إلى
الإحالات التي سردت في الصفحات التالية، زكي محمد
حسن: كنوز الفاطميين ١٤-١٦ محمد عبد الله عنان :
الشدة العظمى والفتاء الكبيرة فصل في كتاب مصر
الإسلامية وتاريخ الخطوط المصرية، القاهرة ١٩٦٩، ١٥٠-
١٥٧ راشد البرلوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد
الفاطميين، القاهرة ١٩٤٨، ٨٨ - ٩٩ أحمد السيد
الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية - أسباب ونتائج، بيروت

الصَّلَاة في جامع القُسْطَنْطِينِيَّة ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَصَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ ، وَخَطَبَ لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ^١ . فَبَعَثَ الْقَاضِي الْقَضَاعِي إِلَى الْمُشْتَنَصِرِ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَنِيسَةِ قُمَامَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَقَبَضَ عَلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا - وَكَانَ شَيْئًا كَثِيرًا - مِنْ أَمْوَالِ النَّصَارَى ، فَفَسَدَ مِنْ حَيْثُ مَا بَيْنَ الْمَصْرِيِّينَ وَالرُّومِ^٢ حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى بِلَادِ السَّاحِلِ كُلِّهَا ، وَحَاضَرُوا الْقَاهِرَةَ كَمَا يَرَدُّ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَاشْتَدَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْعَلَاءُ ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ وَأَعْمَالِهَا إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، فَحَدَّثَ مَعَ ذَلِكَ الْفَيْتَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي خَرِبَتْ بِسَبَبِهَا إِقْلِيمُ مِصْرَ كُلَّهُ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْتَنَصِرَ لَمَّا خَرَجَ عَلَى عَادَتِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى التَّجَبُّعِ مَعَ النِّسَاءِ وَالْحُسَمَاءِ إِلَى أَرْضِ الْجُبِّ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ ، جَرَدَ بَعْضُ الْأَتْرَاكِ سَيْفًا وَهُوَ مَسْكُورَانٌ عَلَى أَحَدِ عَبِيدِ الشُّرَاءِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَبِيدِ وَقَتَلُوهُ . فَحَنَقَ لِقَتْلِهِ الْأَتْرَاكُ ، وَسَارُوا بِجَمِيعِهِمْ إِلَى الْمُشْتَنَصِرِ وَقَالُوا : إِنْ كَانَ هَذَا عَنْ رِضَاكَ فَالْمَنْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ رِضَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَرْضَى بِذَلِكَ . فَتَبَرَأَ الْمُشْتَنَصِرُ مِمَّا جَرَى وَأَنْكَرَهُ . فَتَجَمَّعَ الْأَتْرَاكُ لِمُحَازَنَةِ الْعَبِيدِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ بِنَاحِيَةِ كُومِ شَرِيكِ ، قُتِلَ فِيهَا عِدَّةٌ مِنَ الْعَبِيدِ ، وَأَنْهَزَمَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أُمِّ الْمُشْتَنَصِرِ ، لِإِنَّهَا كَانَتْ السَّبَبَ فِي كَثْرَةِ الْعَبِيدِ الشُّودِ بِمِصْرَ . وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ جَارِيَةً سُودَاءَ فَأَحْبَبَتْ الْإِسْتِكْنَارَ مِنْ جَنْبِهَا ، وَاشْتَرَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَغَرِقَتْ رَغْبَتُهَا فِي هَذَا الْجِنْسِ ، فَجَلَبَتِ النَّاسَ إِلَى مِصْرَ مِنْهُمْ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ صَارَ فِي مِصْرَ إِذْ ذَاكَ زِيَادَةٌ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ عَبِيدٍ أَسْوَدَ . فَلَمَّا كَانَتْ وَقْفَةً كُومِ شَرِيكِ ، أَمَدَّتْ الْعَبِيدَ بِالْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ سِرًّا .

وَكَانَتْ أُمُّ الْمُشْتَنَصِرِ قَدْ تَحَكَّمَتْ فِي الدَّوْلَةِ ، وَتَحَقَّدَتْ عَلَى الْأَتْرَاكِ قَتْلِهِمْ^٣ مَوْلَاهَا أُمُّ سَعْدِ الشُّشْرِيِّ ، فَقَوَّتْ^٤ الْعَبِيدَ لِذَلِكَ ، حَتَّى صَارَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَحْكُمُ بِمَا يَخْتَارُ ،

(a) بولاق : الروم والمصريين . (b) بولاق : وحشت على قتلهم . (c) بولاق : فقوت .

انظر ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١٤ ، المقرئ : اعطاء الحنفا ٢٣٠ : ٢٣١ ، المقفى الكبير ٧١١ : ٧١٢ - ٧١٣ ؛ ومقال محمد عبد الله عنان : « سفارة مصرية إلى بلاط بيزنطة في عهد المستنصر بالله الفاطمي » في كتاب مصر الإسلامية وتاريخ الخطوط المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١١٤ - ١٢٠ .

^١ عن العلاقة بين الفاطميين والروم البيزنطيين قبل معركة منكرت التي انتصر فيها السلاجقة على البيزنطيين سنة ١٠٧١ هـ / ١٠٧١ م راجع : Hamdani, 'A., « Byzantine - Fatimid Relations before the Battle of Manzikert », *Byzantine Studies* 1/2 (1974), pp. 169-79 ؛ وعن سفارة القاضي القضاعي إلى القسطنطينية

فَكَرِهَتْ الْأَثْرَاكَ ذَلِكَ ، وَكَانَ مَا ذُكِرَ ^١ . فَظَفِرَ بَعْضُ الْأَثْرَاكَ يَوْمًا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وَالسَّلَاحِ قَدْ بَعَثَتْ بِهِ أُمُّ الْمُشْتَنَصِرِ إِلَى الْعَبِيدِ تُبَيِّدُهُمْ بِهِ بَعْدَ انْهِزَامِهِمْ مِنْ كَوْمِ شَرِيكٍ ، فَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمُشْتَنَصِرِ وَأَعْلَظُوا فِي الْقَوْلِ ، فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِمَا ذُكِرَ ، وَصَارَ إِلَى أُمِّهِ فَأَلْكَرَتْ مَا فَعَلَتْ .

٥ وَخَرَجَ الْأَثْرَاكَ فَصَارَ السَّيْفُ قَائِمًا ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ثَانِيًا ، فَاتَّخَذَ الْمُشْتَنَصِرُ أَبَا الْفَرَجِ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ لِیُضْلِحَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، فَاصْطَلَحَا عَلَى غِلٍّ ، وَخَرَجَ الْعَبِيدُ إِلَى شَبْرَا دَمْتُهور ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ اخْتِلَالِ أَحْوَالِ أَهْلِ مِصْرَ ^٢ . وَدَبَّتْ عَقَارِبُ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، فَقَوَّيَتْ شَوْكَةَ الْأَثْرَاكَ ، وَضَرَبُوا عَلَى الْمُشْتَنَصِرِ ، وَزَادَ طَمَعُهُمْ / فِيهِ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ الزِّيَادَةَ فِي وَاجِبَاتِهِمْ وَضَاقَتْ أَحْوَالُ الْعَبِيدِ وَاشْتَدَّتْ ضَرُورَتُهُمْ ، وَكَثُرَتْ حَاجَتُهُمْ ، وَقُلَّ مَالُ السُّلْطَانِ وَاسْتَضْعِيفَ جَانِبِهِ .

فَبَعَثَتْ أُمُّ الْمُشْتَنَصِرِ إِلَى قُوَّادِ الْعَبِيدِ تُغْرِيبُهُمْ بِالْأَثْرَاكَ ، فَاجْتَمَعُوا بِالْحِيزَةِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَثْرَاكَ وَمُقَدَّمُهُمْ نَاصِرُ الدِّينِ حُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ ، فَاقْتَتَلَ عِدَّةً مِرَارٍ ظَهَرَ فِي آخِرِهَا الْأَثْرَاكَ عَلَى الْعَبِيدِ ، وَهَزَمَهُمْ إِلَى بِلَادِ الصُّعَيْدِ . فَعَادَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَقَوِيَ جَأَشُهُ ، وَكَثُرَتْ نَفْسُهُ وَاسْتَحَفَّ بِالْخَلِيفَةِ ، فَجَاءَهُ الْخَبَرُ أَنَّهُ قَدْ تَجَمَّعَ مِنَ الْعَبِيدِ بِلَادِ الصُّعَيْدِ خَمْسَةٌ ^٣ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ ، فَقَلِقَ وَبَعَثَ بِمُقَدَّمِي الْأَثْرَاكَ إِلَى الْمُشْتَنَصِرِ ، فَأَتَاكَرَ مَا كَانَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْعَبِيدِ ، وَجَفُوا فِي ١٥ خِطَابِهِمْ ، وَفَارَقُوهُ عَلَى غَيْرِ رِضَى مِنْهُمْ ، فَبَعَثَتْ أُمُّ الْمُشْتَنَصِرِ إِلَى مَنْ بَحْضَرَتْهَا مِنَ الْعَبِيدِ تَأْمُرُهُمْ بِالْإِيْقَاعِ عَلَى غَفْلَةٍ بِالْأَثْرَاكَ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عِدَّةً .

فَبَادَرَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْخُرُوجِ ظَاهِرَ الْقَاهِرَةِ ، وَتَلَاحَقَ بِهِ الْأَثْرَاكَ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِمُ الْعَبِيدُ الْمُقِيمُونَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَحَارَبُوهُمْ عِدَّةَ أَيَّامٍ . فَحَلَفَ ابْنُ حَمْدَانَ أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ عَنْ فَرَسِهِ حَتَّى يَنْفَصَلَ الْأَمْرُ إِمَّا لَهُ أَوْ عَلَيْهِ . وَجَدَّ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْقِتَالِ ، فَظَهَرَتْ الْأَثْرَاكَ عَلَى الْعَبِيدِ ، وَأَلْحَنُوا فِي قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ ، فَعَادُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَتَبَيَّعَ ابْنُ حَمْدَانَ مَنْ فِي الْبَلَدِ مِنْهُمْ حَتَّى أَقْنَى مُعْظَمَهُمْ .

(٥) بولاق : نحو خمسة .

^١ انظر فيما يلي ٣٩٨-٣٩٩ . ٢٦٥:٢-٢٦٧ ، وإغاثة الأمة بكشف الغمة ٢٤-٢٧

^٢ ابن مسير : أخبار مصر ٢٤-٢٥ : التويري : نهاية الأرب ٢٨:٢٢٤-٢٢٥ : المقرئ : اتعاظ الخنفا لإياس : بدائع الزهور ١/١: ٢١٦-٢١٩ .

وانظر أيضًا أبا الحسن : النجوم الزاهرة ٥: ١٣-٢٠ : ابن

هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم ، وبالإشكندرية أيضًا منهم جمع كثير ، فسار ابن حمدان إلى الإشكندرية وحاصرهم فيها مدة حتى سألوه الأمان ، فأخرجهم وأقام فيها من يتق به . وانقضت هذه السنة كلها في قتال العبيد .^١

ودخلت سنة ستين وأربع مائة وقد خرق الأتراك ناموس المشتنصر ، واشتهنوا به واشتخفوا بقدوره ، وصار مقرورهم في كل شهر أربع مائة ألف دينار بعدما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ، ولم يتق في الخزان مال ، فبعثوا يطالبونه بالمال ، فاعتذر إليهم بتعجزه عن ما طلبوه ، فلم يغيروه وقالوا : بع ذخائرك ، فلم يجد بُدًا من إجابتهم ، وأخرج ما كان في القصر من الذخائر ، فصاروا يقومون ما يخرج إليهم بأحسن القيم وأقل الأثمان ، ويتأخذون ذلك في إجاباتهم .

وتجهز ابن حمدان ، وسار إلى الصعيد يريد قتال العبيد - وكانت شروهم قد كثرت ، وصارهم ونسأدهم قد تزايد - فلقبهم وواقفهم غير مرة ، والأتراك تنكسر منهم وتعود إلى محاربتهم إلى أن حمل العبيد عليهم خلة انهزموا فيها إلى الجزيرة . فأقبحوا عند ذلك في أمر المشتنصر ، ونسبوه إلى مباطنة العبيد وتقويتهم ، فأنكر ذلك وحلف عليه . فأخذوا في إصلاح شأنهم ولم شعثهم ، وساروا لقتال العبيد ، ومازالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة ، وقتل منهم خلق كثير وفو من بقي ، فذهبت شوكتهم ، وزالت ذولتهم . ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء ، وجهز بالشوء للمشتنصر ، واستبذ بسطة البلاد .^٢

ودخلت سنة إحدى وستين وابن حمدان مشتبه بالأمر مجانب للمشتنصر ، فنقل مكانه على الأتراك ، وتفرغوا من العبيد ، والتفتوا إليه وقد استبذ بالأمور دونهم ، واستأثر بالأموال عليهم ، ففسد ما بينهم وبينه ، وشكوا منه إلى الوزير خطير الملك^٣ ، فأغراه به ، ولأمهم على ما كان من تقويته ، وحسن لهم الثورة به . فصاروا إلى المشتنصر وواقفوه على ذلك ، فبعث إلى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ، ويهدده إن امتنع . فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الأتراك عليه

^١ ابن ميسر: أخبار مصر ٣١-٣٢، التوري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٥-٢٢٧، القريري: اتعاظ الخفا ٢٧٣: ٢٧٤.

^٢ نفسه ٣٢-٣٣ نفسه ٢٨: ٢٢٧-٢٢٩ نفسه القريري: اتعاظ الخفا ٢: ٢٧٨، المقفى الكبير ٥: ٥٤٩-٥٥٠ ابن حجر: رفع الإصر ١٣٦).

^٣ الوزير خطير الملك محمد بن الحسن بن علي

وَمِثْلُهُمْ مَعَ الْمُشْتَنَصِرِ، فَخَرَجَ إِلَى الْجِيْزَةِ، وَانْتَهَبَ النَّاسُ دَوْرَهُ وَدَوْرَ حَوَاشِيهِ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، عَادَ مِنَ الْجِيْزَةِ سِرًّا إِلَى دَارِ الْقَائِدِ تَاجِ الْمُلُوكِ شَاذِي، وَتَرَامَى عَلَيْهِ وَقَبِلَ رِجْلَيْهِ، وَسَأَلَهُ النُّصْرَةَ عَلَى الذِّكْرِ وَالْوَزِيرِ الْخَطِيرِ، فَإِنَّهُمَا قَامَا بِهِنِ الْفِتْنَةَ، فَأُجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَوَعَدَهُ بِقَتْلِ الْمَذْكُورِينَ، وَفَارَقَهُ ابْنُ حَمْدَانَ.

٥. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِيدِ رَكِبَ شَاذِي فِي أَصْحَابِهِ، وَأَخَذَ يَسِيرُ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ، وَأَقْبَلَ الْوَزِيرَ الْخَطِيرَ فِي مَوْكِبِهِ، فَبَادَرَهُ شَاذِي عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ وَقَتْلَهُ، فَفَرَّ الذِّكْرُ إِلَى الْقَصْرِ وَالتَّجَأَ بِالْمُشْتَنَصِرِ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ قُدُومِ ابْنِ حَمْدَانَ وَقَدْ اسْتَعَدَّ لِلْحَرْبِ فِيمَنْ مَعَهُ. فَرَكِبَ الْمُشْتَنَصِرُ بِأَمْرَةِ الْحَرْبِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَجْنَادُ وَالْعَائِمَةُ، وَصَارَ فِي عَدَدٍ لَا يَنْحَصِرُ وَبَزَزَتِ الْفُرْسَانُ. فَكَانَتْ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِ حَمْدَانَ مُحْرُوثٌ آلَتْ إِلَى هَرِيجَةِ ابْنِ حَمْدَانَ، وَقَتْلَ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَخَضَى فِي طَائِفَةٍ إِلَى الْبَحْرِ، وَتَرَامَى عَلَى بَنِي سَيْئِسٍ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ^١.

١٠. فَتَعَظَّمَ الْأَمْرُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، مِنْ شِدَّةِ الْغَلَاءِ وَقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ، لَمَّا فَسَدَ مِنَ الْأَعْمَالِ بِكَثْرَةِ النَّهْبِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْجَيْفَ وَالْمِيتَاتِ، وَوَقَفَ أَرْبَابُ الْفَسَادِ فِي الطَّرِيقِ، فَصَارُوا يَقْتُلُونَ مَنْ ظَفَرُوا بِهِ فِي أَرْقَةِ مِصْرَ، فَهَلَكَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ مَا لَا يُمْكِنُ حَضْرُهُ^٢.

١٥. وَامْتَدَّ ذَلِكَ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسِتِينَ، فَجَهَّزَ الْمُشْتَنَصِرُ عَسَاكِرَهُ لِقِتَالِ ابْنِ حَمْدَانَ بِالْبَحْرِ، فَسَارَتْ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوقَفْ فِي مُحَارَبَتِهِ، فَكَشَرَهَا كُلُّهَا وَاخْتَوَى عَلَى مَا كَانَ مَعَهَا مِنْ سِلَاحٍ وَكِرَاعٍ وَمَالٍ، فَتَقَوَّى بِهِ وَقَطَعَ الْمِيْرَةَ عَنِ الْبَلَدِ، وَنَهَبَ أَكْثَرَ الْوُجْهِ الْبَحْرِيِّ، وَقَطَعَ مِنْهُ الْخَطْبَةَ لِلْمُشْتَنَصِرِ، وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَدِثْيَاطٍ وَعَائِمَةِ الْوُجْهِ الْبَحْرِيِّ. فَاشْتَدَّ الْجُوعُ، وَتَزَايَدَ الْمَوْتَانُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ/، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَمُوتُ الْوَاحِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَلَا يَبْقَى يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ مِنْ مَوْتِهِ حَتَّى يَمُوتَ سَائِرُ مَنْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ وَلَا يَجِدُ^٣ مَنْ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ. وَتَدَّتْ الْأَجْنَادُ أَهْدِيَهَا إِلَى النَّهْبِ، فَخَرَجَ الْأَمْرُ عَنِ الْحَدِّ، وَتَجَأَ أَهْلُ الْقُوَّةِ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ

(٥) بولاق: يوجد.

^١ ابن مسير: أخبار مصر ٣٣-٣٤؛ ابن الأثير: الكامل

النجوم الزاهرة ٢١: ٢٢-٢٢.

١٠-١٨٤: النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٨-٢٢٩؛

^٢ نفسه ٣٥: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٩٧-

المقريزي: اتعاط الحنفا ٢: ٢٧٨-٢٧٩ أبو المحاسن؛

٩٨: المقريزي: اتعاط الحنفا ٢: ٢٧٩.

مصر، وساروا إلى الشام والعراق، وخرج من خزائن القصر ما يجلب وصفه^١. وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر^٢. فاضطروا الأجناد - مع^٣ ما هم فيه من شدة الجوع - إلى مصالحة ابن حمدان، بشرط أن يقيم في مكانه ويحمل إليه مال مقرّر، ويثوب عنه شاذي بالقاهرة. فرضي بذلك وسير الغلال إلى القاهرة ومصر، فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلاً. ولم يكن ذلك إلا نحو شهر، ووقع الاختلاف عليه، فقدم من البحيرة إلى مصر وحاصرها وانتهبها، وأحرق دوراً عديدة بالساحل، ورجع إلى البحيرة^٤.

فدخلت سنة أربع وستين والحال على ذلك، وشاذي قد استبدّ بأمر الدولة، وفسد ما بينه وبين ابن حمدان، ومنعه من المال الذي تقرّر له، وشخّ به عليه فلم يؤصّله إلا القليل. (بفكر ذلك من^٥) ابن حمدان، وجمّع الغزبان وسار إلى البحيرة، وخادع شاذي حتى صار إليه ليلاً في علة من الأكابر، فقبض عليه وعليهم، وبعث أصحابه فتهبّوا مصر وأطلقوا فيها النار، فخرج إليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم.

فعاد إلى البحيرة، وبعث رسولاً إلى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد يخبره^٦ بإقامة الخطبة له، وسأله الخلع والتشريف. فاضمحل أمر المستنصر وتلاشى ذكره، وتفاقم الأمر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا.

فسار ابن حمدان إلى البلد وليس في أحد قوة يمنعه بها، فملك القاهرة، وامتنع المستنصر بالقصر، فسير إليه رسولاً يطلب منه المال، فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعده من أبهة الخلافة حتى جلس على حصير، ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم، فبلغه رسالة ابن حمدان، فقال المستنصر للرسول: ما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال؟! فبكى الرسول رقة له، وعاد إلى ابن حمدان، فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر المستنصر وسوء حاله. فكف عنه، وأطلق له في كل شهر مائة دينار، وامتدت يده وتحكم، وبالغ في إهانة المستنصر مبالغة عظيمة، وقبض على أمه وعاقبها أشد العقوبة، واستنصف أموالها فحاز منها شيئاً كثيراً.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: فحرد من ذلك.

^١ ابن مسير: أخبار مصر ١٣٦ النوري: نهاية
^٢ ابن مسير: أخبار مصر ٣٧ النوري: نهاية
 الأرب ٢٨: ٢٣٠-٢٣١، المقريزي: اتعاظ الحنفا

٣٠٥: ٢.

^٢ انظر فيما يلي ٣٥٥-٤٠١.

فتفرق حيثئذ عن المشتصير جميع أقاربه وأولاده من الجوع ، فمنهم من سار إلى المغرب ، ومنهم من سار إلى الشام والعراق ^١.

قال الشريف محمد بن أشعد الجَوَانِي الشَّابَّةُ في كتاب «التَّقْطِ» : خَلَّ بِمِصْرَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ فِي جِلَافَةِ الْمُسْتَشْصِرِ بِاللَّهِ ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَأَقَامَ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَعَمَّ مَعَ الْغَلَاءِ وَبَاءٌ شَدِيدٌ ، فَأَقَامَ ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَالتَّيْلُ يُمَدُّ وَيَنْزِلُ فَلَا يَجِدُ مِنْ تَرْزَعٍ . وَشَمِلَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَسْكَرِيَّةِ وَقَسَادِ الْعَبِيدِ ، فَانْقَطَعَتِ الطَّرِيقَاتُ بَرًّا وَبَحْرًا إِلَّا بِالْخِيفَازَةِ الْكَثِيرَةِ مَعَ رُكُوبِ الْعَزْرِ ، وَتَزَا الْمَارِقُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَاسْتَوْلَى الْجُوعُ لَعَدَمِ الْقُوَّةِ ، وَصَارَ الْحَالُ إِلَى أَنْ يَبِيعَ رَغِيفٌ مِنَ الْخُبْزِ الَّذِي وَزْنُهُ رَطْلٌ بِزُقَاقِ الْقَنَادِيلِ كَيْتِيعِ الطَّرْفِ فِي النَّدَاءِ ، بِأَرْبَعَةِ عَشْرَةَ^(أ) دِرْهَمًا ، وَيَبِيعُ أَرْدَبٌ مِنَ الْقَمْحِ بِثَمَانِينَ دِينَارًا ، ثُمَّ عَدِمَ ذَلِكَ وَأَكَلَتِ الْكِلَابُ وَالْقِطَاطُ ، ثُمَّ تَزَايَدَ الْحَالُ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَكَانَ بِمِصْرَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ قَدْ سَكَنُوا بِيُوتًا قَصِيرَةً الشُّقُوفِ قَرِيبَةً مِمَّنْ يَسْتَقَى فِي الطَّرِيقَاتِ وَيَطُوفُ ، وَقَدْ أَعْدَلُوا سَلْبًا وَخَطَطِيفٍ ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ أَحَدٌ شَالُوهُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ ، ثُمَّ ضَرَبُوهُ بِالْأَخْشَابِ وَشَرَّحُوا لَحْمَهُ وَأَكَلُوهُ^٢!

قَالَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ نِسَائِنَا الصَّالِحَاتِ قَالَتْ : كَانَتْ لَنَا مِنَ الْجَازَاتِ امْرَأَةٌ تُرِينَا أَفْخَاذَهَا فِيهَا كَالْخُمْرِ ، فَكُنَّا نَسْأَلُهَا فَتَقُولُ : أَنَا مِمَّنْ خَطَفَنِي أَكَلَةُ النَّاسِ فِي الشَّدَّةِ فَأَخَذَنِي إِنْسَانٌ - وَكُنْتُ ذَاتَ جِشْمٍ وَبِسْمٍ - فَأَذْخَلَنِي إِلَى بَيْتٍ فِيهِ سَكَكِينَ وَأَثَارُ الدِّمَاءِ وَزَنْزَرَةُ الْقَتْلِ ، فَأَضْجَعَنِي عَلَى وَجْهِهِ وَرَبَطَ فِي يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ سَلْبًا إِلَى أَوْتَادٍ حَدِيدٍ عَرَبَانَةٍ ، ثُمَّ شَرَحَ مِنْ أَفْخَاذِي شَرَائِعَ وَأَنَا أَسْتَعِيثُ وَلَا أَحَدٌ يُجِيبُنِي ، ثُمَّ أَضْرَمَ الْقَمْحَ وَشَوَى مِنْ لَحْمِي وَأَكَلَ أَكْلًا كَثِيرًا ، ثُمَّ سَكِرَ حَتَّى وَقَعَ عَلَى جَنْبِهِ لَا يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ ، فَأَخَذْتُ فِي الْحُرُوكَةِ إِلَى أَنْ تَخَلَّى^(ب) أَحَدُ الْأَوْتَادِ ، وَأَعَانَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَاصِ وَتَخَلَّصْتُ ، وَخَلَلْتُ الرِّبَاطَ ، وَأَخَذْتُ خِرْقًا مِنْ دَارِهِ وَلَفَقْتُ بِهَا أَفْخَاذِي ، وَزَحَقْتُ إِلَى بَابِ الدَّارِ ، وَخَرَجْتُ أَرْحَفَ إِلَى أَنْ وَقَعْتُ إِلَى الْمَأْمَنِ ، وَجِثْتُ إِلَى بَيْتِي وَغَرَضْتُهُمْ بِمَوْضِعِهِ ، فَمَضَوْا إِلَى

(أ) ظ : وعشرين . (ب) بولاق : انحل .

^١ ابن مسر: أخبار مصر ٣٨؛ النويري: نهاية ٥٨:١٠-٥٩؛ النويري: نهاية ٢٨:٢٣٣-٢٣٤؛ ٢٨:٢٣١-٢٣٢، ٢٣٣؛ المقرئزي: اتعاط الحنفا المقرئزي: إغاثة الأمة ٢٥-٢٦؛ أبي المحاسن: النجوم ٣٠٦:٢-٣٠٧.

١٧:٥

^٢ قارن مع ابن مسر: أخبار ٥٧؛ ابن الأثير: الكامل

الوالي، فكَبَسَ عليه وَصَرَبَ عُثْقَهُ، وَأَقَامَ الدَّوَاءَ فِي أَخْخَاضِي سَنَةً إِلَى أَنْ خَتَمَ الْجَرْحَ وَبَقِيَ كَلَا مُحَقَّرًا^١.

وَبَسَبَبَ هَذَا الْغَلَاءَ حَرْبَ الْفُشْطَاطِ، وَخَلَا مُوَضِّعُ الْعَشْكَرِ وَالْقَطَائِعِ وَظَاهِرُ مِصْرَ ثَمَّا بَلِي الْقَرَّاقَةَ حَيْثُ الْكَيْمَانِ الْآنَ إِلَى بَرْكَةِ الْحَبَشِ. فَلَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْجَيْشِ بَذَرَ الْجَمَالِي إِلَى مِصْرَ وَقَامَ بِتَدْيِيرِ أَمْرِهَا، نُقِلَتْ أَنْقَاضُ ظَاهِرِ مِصْرَ ثَمَّا بَلِي الْقَاهِرَةَ حَيْثُ كَانَ الْعَشْكَرُ وَالْقَطَائِعِ، وَصَارَ قَضَاءُ وَكَيْمَانًا فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ، وَفِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَالْقَرَّاقَةَ، وَتَرَاجَعَتْ أَحْوَالُ الْفُشْطَاطِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى قَارَبَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الشَّدَّةِ.

وَأَمَّا «حَرْبُ مِصْرَ»^٢ فَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْفَرَنْجِ لَمَّا تَغَلَّبُوا عَلَى مَمَالِكِ الشَّامِ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى السَّوَاجِلِ حَتَّى صَارَ بِأَيْدِيهِمْ مَا بَيْنَ مَلَطِيَّةَ / إِلَى بَلْبَيسَ، إِلَّا مَدِينَةَ دِمَشْقَ فَقَطْ، وَصَارَ أَمْرُ الْوِزَارَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ لَشَاوَرِ بْنِ مُجِيرِ السَّعْدِيِّ، وَالْخَلِيفَةُ يَوْمَئِذٍ الْعَاضِدُ لَدَيْنِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْشَفَ اسْمٌ لَا مَعْنَى لَهُ، وَقَامَ فِي مَنَاصِبِ الْوِزَارَةِ بِالْقُوَّةِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ وَتَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْجَيْشِ، وَأَخَذَ أَسْوَالَ بَنِي رُزَيْكٍ وَزُرَّاءَ مِصْرَ وَمُلُوكِهَا مِنْ قَبْلِهِ. فَلَمَّا اسْتَبَدَّ بِالْإِمْرَةِ، حَسَدَهُ ضِرْغَامُ صَاحِبِ الْبَابِ، وَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً وَعَلَّبَ شَاوَرَ عَلَى الْوِزَارَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا، فَسَارَ شَاوَرُ إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَقْلَ ضِرْغَامُ بِسُلْطَنَةِ مِصْرَ، فَكَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِمِصْرَ^٣ ثَلَاثَةَ وَزُرَّاءَ هُمْ: الْعَادِلُ بْنُ رُزَيْكٍ بْنُ طَلَّاحِ بْنِ رُزَيْكٍ، وَشَاوَرُ بْنُ مُجِيرٍ، وَضِرْغَامُ. فَأَسَاءَ ضِرْغَامُ السَّيْرَةَ فِي قَتْلِ أَسْرَاءِ الدَّوْلَةِ، وَضَعُفَتْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ دَوْلَةُ الْفَاطِمِيِّينَ بِذَهَابِ رِجَالِهَا الْأَكْبَارِ^٤.

ثُمَّ إِنَّ شَاوَرَ اسْتَنْجَدَ بِالسُّلْطَانِ ثَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَنْكِي صَاحِبِ الشَّامِ، فَأَنْجَحَهُ وَبَقِيَ مَعَهُ عَسْكَرًا كَثِيرًا فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ أَسَدَ الدِّينِ شَيْرُكُوهُ، عَلَى أَنْ يَكُونَ لثَوْرِ الدِّينِ، إِذَا عَادَ شَاوَرُ إِلَى مَنَاصِبِ الْوِزَارَةِ، ثُلُثَ خَرَّاجِ مِصْرَ بَعْدَ إِقْطَاعَاتِ الْعَسَاكِرِ،

(a) بولاق: فكان بمصر في هذه السنة.

Kubiak, W., «The Burninig of Misr al-Fustât in 1168. A Reconsideration of Historical Evidence», *Africana Bulletin* XXV (1976), pp. 51-64; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 625-34.

^٣ المقرئ: اتعاط الحنفا ٢٥٩:٣ - ٢٦١.

^١ أبو المحاسن: الهجوم الزاهرة ٥: ١٧.

^٢ انظر تفاصيل هذا الحريق الذي استمر أربعة وخمسين يومًا في سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م عند، أبي صالح الأرمي: تاريخ ٣٦، ٤٣ - ٤٨؛ أبي شامة: الروضتين ١: ٣٩١، ٤٣٢ (عن ابن أبي طي)، المقرئ: اتعاط الحنفا ٢٩٦:٣ -

وَأَنْ يَكُونَ شِيْزُكُوهُ عِنْدَهُ بِعَسَاكِرِهِ فِي مِصْرَ وَلَا يَتَّصِرُفَ إِلَّا بِأَمْرِ نُورِ الدِّينِ . فَخَرَجَ ضِرْغَامٌ بِالْعَشْكَرِ وَحَارَبَهُ فِي بَلْبَيسَ ، فَأَنْهَزَمَ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَتَزَلَّ شَاوُزُ بْنُ مَعَهُ عِنْدَ النَّاجِ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ ، وَانْتَشَرَ عَسَاكِرُهُ فِي الْبِلَادِ ، وَبَثَّتْ ضِرْغَامُ إِلَى أَهْلِ الْبِلَادِ ، فَأَتَوْهُ خَوْفًا مِنَ التُّوْكَ الْقَادِمِينَ مَعَهُ ، وَأَتَتْهُ الطَّائِفَةُ الْوُحَايِيَّةُ وَالطَّائِفَةُ الْجُبُورِيَّةُ ، فَامْتَنَعُوا بِالْقَاهِرَةِ وَتَطَارَدُوا مَعَ طَلَائِعِ شَاوُزٍ بِأَرْضِ الطُّبَالَةِ^١ .

• فَتَزَلَّ شَاوُزُ فِي الْمَقَسِ ، وَحَارَبَ أَهْلَ الْقَاهِرَةِ فَقَلَّبُوهُ حَتَّى ارْتَفَعَ إِلَى بَرْكَةِ الْحَبَشِ ، فَتَزَلَّ عَلَى الرُّصْدِ فَاسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَةِ مِصْرَ ، وَأَقَامَ أَثَامًا فَمَالَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَانْحَرَفُوا عَنْ ضِرْغَامٍ لِأُمُورٍ . فَتَزَلَّ شَاوُزُ بِاللُّوْقِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ضِرْغَامٍ خُرُوبٌ آلَتْ إِلَى إِخْرَاقِ الدُّورِ مِنْ بَابِ سَعَادَةِ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ ، وَتَحَلَّلَ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَاسْتَخْلَفَ أَمْرُ ضِرْغَامٍ وَانْهَزَمَ .

فَمَلَكَ شَاوُزُ الْقَاهِرَةَ ، وَتَحَلَّلَ ضِرْغَامُ آخِرَ بَعْثِهَا إِلَى الْآخِرَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، فَأَخْلَفَ شِيْزُكُوهُ مَا وَعَدَ بِهِ السُّلْطَانُ نُورَ الدِّينِ ، وَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ عَنْ مِصْرَ بِمَنْ مَعَهُ^٢ ، فَأَتَى عَلَيْهِ وَاقْتَتَلَ . وَكَانَ شِيْزُكُوهُ قَدْ بَثَّتْ بِابْنِ أَخِيهِ صَلاَحِ الدِّينِ يُوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ إِلَى بَلْبَيسَ لِيَجْمَعَ لَهُ الْغِلَالَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأُمُورِ ، فَحَشَدَ شَاوُزُ وَقَاتَلَ الشَّامِيِّينَ ، فَجَزَّتْ وَقَائِعُ . وَاسْتَخْرَقَ وَجْهَ الْخَلِيجِ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ بِأَسْرِهِ وَقِطْعَةٍ مِنْ حَاذَةِ زَوِيلَةَ .

فَبَثَّتْ شَاوُزُ إِلَى الْفَرِجِ وَاسْتَتَجَدَ بِهِمْ ، فَطَعِمُوا فِي الْبِلَادِ ، وَخَرَجَ مَلِكُهُمْ مُرْيَ [Amaury] مِنْ عَشَقْلَانَ بِجُمُوعِهِ ، فَتَلَعَّ ذَلِكَ شِيْزُكُوهُ ، فَزَحَلَ عَنِ الْقَاهِرَةِ بَعْدَ طُولِ مُحَاصَرَتِهَا وَنَزَلَ بِبَلْبَيسَ ، فَاجْتَمَعَ عَلَى قِتَالِهِ بِهَا شَاوُزُ وَمَلِكُ الْفَرِجِ ، وَحَصَرُوهُ بِهَا - وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ خَصِينَةً ذَاتَ أَشْوَارٍ - فَأَقَامَ مَحْضُورًا مَدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . وَتَلَعَّ ذَلِكَ نُورُ الدِّينِ ، فَأَعَارَ عَلَى مَا قَرَّبَ مِنْهُ مِنْ بِلَادِ الْفَرِجِ وَأَخَذَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَخَافُوهُ وَوَقَعَ الصُّلْحُ مَعَ شِيْزُكُوهُ عَلَى عَوْدِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَخَرَجَ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَلَحِقَ بِنُورِ الدِّينِ .

٢٠ فَأَقَامَ وَفِي نَفْسِهِ مِنْ مِصْرَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ ، فَجَهَّزَهُ نُورُ الدِّينِ إِلَى مِصْرَ فِي جَيْشٍ قَوِيٍّ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَسَيَّرَهُ . فَتَلَعَّ ذَلِكَ شَاوُزُ ، فَبَثَّتْ إِلَى مُرْيَ [Amaury] مَلِكُ

(٢) بَيْنَ مَعَهُ : سَاقِطَةٌ مِنْ بَوْلَاقِ .

^١ اعتمد المقرئ في سرد هذه الأحداث المتعلقة ببداية الدين محمد بن عبد الرحمن بن الغرناطي سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م في كتابه «تاريخ الدول والملوك» نقلًا عن «جزء = التدخلات الأجنبية في شؤون مصر على ما أورده المؤرخ ناصر

الفرنج يستنجد^٥ به ، فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس ، فوافاه شاور وأقام حتى قديم شيركوه إلى أطراف مصر ، فلم يطق لقاء القوم ، فسار حتى خرج من إطفيح إلى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم .

فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد ، فسقط في يده ، ونهض للفر من بلبيس ومعه الفرنج . فكان من محروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالأشموقين ، وسار منها بعد الهزيمة إلى الإسكندرية ، فملكها وأقر بها ابن أخيه صلاح الدين ، وخرج إلى الصعيد ، فخرج شاور بالفرنج وحاصر الإسكندرية أشد حصار ، فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل إليه^٦ شاور . وكانت أمور آلت إلى الصلح ، وسار شيركوه بمن معه إلى الشام في سؤال .

فطبع مؤري [Amaury] في البلاد ، وجعل له شحنة بالقاهرة ، وصارت أسوارها بيد فرسان الفرنج ، وتقرب لهم في كل سنة مائة ألف دينار ، ثم رحل إلى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج ، وسار شيركوه إلى الشام . فتحكم الفرنج في القاهرة حكمًا جائرًا ، وركبوا المسلمين بالأذى العظيم ، وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم ، وانكشف لهم غورات الناس ، إلى أن دخلت سنة أربع وستين ، فجمع مؤري [Amaury] جيشًا عظيمًا من أجناس الفرنج ، وأقطعهم بلاد مصر ، وسار يريد أخذ مصر . فبعث إليه شاور ليسأله عن سبب مسيره ، فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر ، وأنه يريد ألفي ألف دينار يرضيهم بها ، وسار فنزل على بلبيس وحاصرها حتى أخذها غنوة في صغر فسبى أهلها ، وقصد القاهرة . فسير العاضد كُتبه إلى نور الدين - وفيها شعور يسائه وبتأته - يسأله إنقاذ المسلمين من الفرنج .

وسار مؤري [Amaury] من بلبيس ، فنزل على يوزكة الحبش - وقد انضم الناس من الأعمال إلى القاهرة - فنادى شاور بمصر ألا يقيم بها أحد ، وأزعج الناس في الثقلة منها ، فتركوا أموالهم

(a) بولاق : مستنجدًا . (b) بولاق : إلى .

انظر Cahen, Cl., «Un récit inédit du vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-46
فيما يلي ٢٠٣-٢٠٦ .

= لطيف مجهول المؤلف سناه مؤلفه أخبار الدولة المصرية وما جرى بين الملوك والحلفاء من الفتن والحروب من أيام الأمر إلى أيام شيركوه . (قارن فيما يلي ١٢:٢-١٣ ، واتعاط الحنفا ٢٦٤:٣-٢٧١) . ونشر كلود كاهن هذا النص سنة ١٩٦٩

وَأَتَقَالَهُمْ ، وَنَجَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ . / وقد مَاجَ النَّاسُ وَاضْطَرُّوا كَأَنَّمَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ : لَا يَعْزِي وَيَدُّ بَوْلَهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ إِلَى أَخِيهِ ، وَتَلَقَّ كِرَاءَ الدَّائِيَةِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بَضْعَةَ عَشَرَ دِينَارًا ، وَبِكِرَاءِ الْجَمَلِ^(a) إِلَى ثَلَاثِينَ دِينَارًا .

وَنَزَلَ النَّاسُ^(b) بِالْقَاهِرَةِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْحُكَّامَاتِ وَالْأَزْقَةِ وَعَلَى الطَّرِيقَاتِ ، فَصَارُوا مَطْرُوحِينَ بِيَعَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَقَدْ سَلُّوا سَائِرَ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَنْتَظِرُونَ هُجُومَ الْعَدُوِّ عَلَى الْقَاهِرَةِ بِالشَّيْفِ كَمَا قَعَلَ بِمَدِينَةِ بَلْبَيسٍ^(c) .

وَبَقِيَ شَاوَرٌ إِلَى مِصْرَ بِعِشْرِينَ أَلْفَ قَارُورَةٍ نَفْطٍ وَعَشْرَةَ أَلْفٍ مِشْعَلٍ نَارٍ فَرَّقَ ذَلِكَ فِيهَا ، فَارْتَفَعَ لَهَبُ النَّارِ وَدُخَانُ الْحَرِيقِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَصَارَ مَنَظَرًا مَهُولًا ، فَاسْتَمَرَّتِ النَّارُ تَأْتِي عَلَى تَمَاكِينِ مِصْرَ مِنَ الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ لَتَمَامِ أَرْبَعَةِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، وَالتَّهْلُوتُ مِنَ الْعَبِيدِ وَرِجَالِ الْأَسْطُولِ وَغَيْرِهِمْ بِهَذِهِ الْمَنَازِلِ فِي طَلَبِ الْحَيَاتِيَا . فَلَمَّا وَقَعَ الْحَرِيقُ بِمِصْرَ ، وَخَلَّ مُرِّي [Amaury] مِنْ يَدِ كِرَاءِ الْحَبَشِ ، وَنَزَلَ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ مِمَّا يَلِي بَابَ الْبَرْزِيَّةِ ، وَقَاتَلَ أَهْلَهَا قِتَالًا كَثِيرًا حَتَّى زُلُّوا زُلًّا شَدِيدًا ، وَضَعَفَتْ نَفْسُهُمْ وَكَادُوا يُؤْخَذُونَ غَنَوَةً ، فَعَادَ شَاوَرٌ إِلَى مُخَاةَلَّةِ^(d) الْفَرِجِ ، وَهَجَرَتْ أُمُورٌ آلَتْ إِلَى الصُّلْحِ عَلَى مَا لِي^(e) .

فَبَيْنَمَا هُمْ فِي جَبَابَتِهِ ، إِذْ تَلَقَّ الْفَرِجُ مَجِيءَ أَسَدِ الدِّينِ شَيْرَكُوهِ بِعَسَاكِرِ الشَّامِ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ ثُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، فَزَحَلُوا فِي سَابِعٍ^(f) رَبِيعِ الْآخِرِ إِلَى بَلْبَيسٍ ، وَسَارُوا مِنْهَا إِلَى فَاقُوسَ ، فَصَارُوا إِلَى بِلَادِهِمْ بِالسَّاحِلِ . وَنَزَلَ شَيْرَكُوهِ بِالْمَقَسِّ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ .

وَكَانَ مِنْ قَتْلِ شَاوَرٍ وَاسْتِيلَاءِ شَيْرَكُوهِ عَلَى مِصْرَ مَا كَانَ^(g) ؛ فَمِنْ حِينَئِذٍ خَرِبَتْ مِصْرُ الْفُسْطَاطِ هَذَا الْخَرَابِ الَّذِي هُوَ الْآنَ كَيْمَانُ مِصْرَ وَتَلَاشَى أَمْرُهَا ، وَافْتَقَرَ أَهْلُهَا وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ وَزَالَتْ نِعْمَتُهُمْ . فَلَمَّا اسْتَبَدَّ شَيْرَكُوهِ بِوَزَارَةِ الْعَاظِدِ ، أَمَرَ بِإِحْضَارِ أَغْيَانِ أَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ تَخَلَّوْا عَنْ دِيَارِهِمْ فِي الْفِتْنَةِ وَصَارُوا بِالْقَاهِرَةِ ، وَتَعَقَّمَ لِمَصَابِهِمْ ، وَسَفَّهَ رَأْيَ شَاوَرٍ فِي إِحْرَاقِ الْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْعَوْدِ إِلَيْهَا . فَشَكُّوا إِلَيْهِ مَا بِهِمْ مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاةِ وَخَرَابِ الْمَنَازِلِ ، وَقَالُوا : إِلَى أَيِّ

(a) بولاق : الحمل . (b) بولاق : ونزلوا . (c) بولاق : مقاتلة . (d) اتعاط الحنفا : ثالث .

^١ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ١/٤ : ٢٤-٢٥ ؛

^٢ المقرئزي : اتعاط الحنفا ٣ : ٢٩٧-٢٩٨ .

^٣ نفسه ٣ : ٢٩٩-٣٠٠ .

المقرئزي : اتعاط الحنفا ٣ : ٢٩٦-٢٩٧ .

مَوْضِع^(أ) نَزَجَ؟ وفي أيِّ مكانٍ نَزَلَ ونَآوِي، وقد صارت كما تَرَى؟ وَبَكَوْا وَأَبْكُوا، فَوَعَدَهُمْ جَمِيلًا، وَتَرَفَّقَ بِهِمْ، وَأَمَرَ فَنُودِي فِي النَّاسِ بِالرُّجُوعِ إِلَى مِصْرَ^١.

فَتَرَاجَعَ إِلَيْهَا النَّاسُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَعَمَّرُوا مَا حَوَّلَ الْجَامِعُ^٢، إِلَى أَنْ كَانَتْ الْحَيْثُ مِنْ الْغَلَاءِ وَالْوَبَاءِ الْعَظِيمِ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ لِسِتَيْ خَمْسٍ وَسِتِّ وَتَسْعِينَ^(ب) وَخَمْسٍ مِائَةٍ، فَخَرِبَ مِنْ مِصْرَ جَانِبٌ كَبِيرٌ^٣.

ثُمَّ نَحَايَا النَّاسُ بِهَا، وَأَكْثَرُوا مِنَ الْعِمَارَةِ بِجَانِبِ مِصْرَ الْغَرْبِيِّ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ لَمَّا عَمَّرَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ قَلْعَةَ الرُّوَضَةِ، وَصَارَ بِمِصْرَ عِدَّةُ أَدْرَجِيَّةٍ وَأَسْوَاقٍ ضَخْمَةٍ.

فَلَمَّا كَانَ غَلَاءٌ مِصْرَ وَالْوَبَاءُ الْكَائِنُ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَتَبْنَا سَنَةَ سِتِّ وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، خَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ مَسَاكِنِ مِصْرَ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعِمَارَةِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَحَدَّثَ الْفَنَاءُ الْكَبِيرُ الَّذِي أَقْفَرَ مِنْهُ مُعْظَمُ دُورِ مِصْرَ وَخَرِبَتْ.

ثُمَّ نَحَايَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِ الْوَبَاءِ، وَصَارَ مَا يُحِيطُ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَمَا عَلَى شَطْطِ النَّيْلِ عَامِرًا إِلَى سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَشَرَقَتْ بِلَادُ مِصْرَ، وَحَدَّثَ الْوَبَاءُ بَعْدَ الْغَلَاءِ، فَخَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ عَابِرِ مِصْرَ.

وَلَمْ تَزَلْ تَخْرُبُ^(ج) شَيْقًا بَعْدَ شَيْءٍ إِلَى سَنَةِ تَسْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَغَطَّ الْحَرَابُ فِي زُقَاقِ الْقَنَادِيلِ^(د) وَخُطَّ التَّحَالِينِ^(هـ)، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي هَدْمِ دُورِ مِصْرَ وَبَيْعِ أَنْقَاضِهَا، حَتَّى صَارَتْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ، ﴿وَيَلِكُ الْقُرَىٰ أَهْلُكُنَا هُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا﴾ [الآيَةُ ٥٩ سُورَةُ الْكَهْفِ].

(أ) بولاق : مكان . (ب) ساقطة من النسخ . (ج) بولاق : ولم يزل يخرب . (د) بولاق : خط زقاق القناديل . (هـ) بولاق : التحالين .

^١ المقرئ : اتعاط الحنفا ٣ : ٣٠٣ .
^٢ يقول ابن جبير الذي زار القسطنطينية بعد سنة ٥٧٩هـ / مستجد والبنان بها متصل . (الرحلة ٢٩) .
^٣ انظر فيما يلي ٢ : ٢٣٥ .
 الإحراق الحوادث بها وقت الفتنة عند انتساح دولة المماليك ،

ذكر ما قيل في مدينة قسطنطين

قال ابن رضوان : والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء : القسطنطين ، والقاهرة ، والجزيرة ، والحيزة^١.

وتعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة ، والجبل المقطم في مشرقها^٢ وبينها وبين بقاير المدينة . وقد قالت الأطباء : إن أزدأ المواضع ما كان الجبل في مشرقه^٣ ، يعوق عنه ريح الصبا .

وأعظم أجزائها هو القسطنطين ، يلي القسطنطين من الغرب النيل ، وعلى شط النيل الغربي أشجار طوال وقصار . وأعظم أجزاء القسطنطين موضع في غور ، فإنه يعلوه من المشرق المقطم ، ومن الجنوب الشرف ، ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق^٤ - أعني الموقف - والعشكر وجامع ابن طولون .

ومتى نظرت إلى القسطنطين من الشرف^٥ ، أو من مكان آخر عال ، رأيت وضعتها في غور . وقد بين أنقراط أن المواضع المستقلة أسخن من المواضع المرتفعة وأزدأ هواء ، لاحتقان البخار فيها ، ولأن ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل^٦ الرياح لها .

وأزقة القسطنطين وشوارعها ضيقة ، وأبنيتها عالية ، وقد قال روفس^٧ : إذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء ، فاهرب منها فإنها^٨ وبيقة ، أراد أن البخار لا ينحل^٩ منها كما ينبغي لضيق الأزقة وارتفاع البناء .

ومن شأن أهل القسطنطين أن يرموا ما يموت في دورهم من السنابير / والكلاب ونحوها من الحيوان الذي يخالط الناس في شوارعهم وأزقيهم ، فتتعفن وتخالط غفونتها الهواء . ومن شأنهم

(a) عند ابن رضوان : القسطنطين والقاهرة والحيزة . (b) بولاق : شرقها . (c) بولاق : شرقه . (d) بولاق : الشرق . (e) ابن رضوان : تخلص . (f) بولاق : لأنها . (g) بولاق : لا يتحلل .

^١ حاشية بخط المؤلف : الشرف يعرف اليوم بالروصد ، جالينوس ، له تصانيف كثيرة في الطب نقلت إلى العربية .
غفل فوق من جامع ابن طولون وأنت مار إلى كوم الجمارح . (الفنطسي : تاريخ الحكماء ١٨٥) .

^٢ روفس Ruvos : طبيب يوناني من مدينة أفسس قبل

أَيْضًا أَنْ يَزْمُوا فِي النَّيْلِ الَّذِي يَشْرَبُونَ مِنْهُ فُضُولَ حَيَوَانَاتِهِمْ وَجَنَفِهَا، وَخَرَارَاتِ كُنُوفِهِمْ تَصُبُّ فِيهِ، وَرُبَّمَا انْقَطَعَ جَرِيُّ الْمَاءِ فَيَشْرَبُونَ هَذِهِ الْغَفُونَةَ بِاخْتِلَاطِهَا بِالْمَاءِ. وَفِي خِلَالِ الْفُسْطَاطِ مُسْتَوَقَدَاتٌ عَظِيمَةٌ يَصْعَدُ مِنْهَا فِي الْهَوَاءِ دُخَانٌ مَفْرُطٌ.

وَهِيَ أَيْضًا كَثِيرَةُ الْغُبَارِ لِسَخَانَةِ أَرْضِهَا، حَتَّى إِنَّكَ تَرَى الْهَوَاءَ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ كَثِيرًا بِأَخْذِ النَّفْسِ، وَيَتَسَيَّخُ الثُّوْبُ النَّظِيفُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، وَإِذَا مَرَّ الْإِنْسَانُ فِي حَاجَةٍ لَمْ يَرْجِعْ إِلَّا وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ غُبَارٌ كَثِيرٌ، وَيَعْلُوهَا فِي الْعَشِيَّاتِ - خَاصَّةً فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ - بُخَارٌ كَثِيرٌ أَسْوَدٌ وَأَغْبَرٌ، سَيِّمًا إِذَا كَانَ الْهَوَاءُ سَلِيمًا مِنَ الرِّيَّاحِ.

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ كَمَا وَصَفْنَا، فَمِنَ النَّيْلِ أَنَّهُ تُصَيَّرُ^٥ الرُّوحُ الْحَيَوَانِي الَّذِي فِيْنَا^٦ حَالَهُ كَهَذِهِ الْحَالِ، فَيَتَوَلَّدُ إِذْنٌ فِي الْبَدَنِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ فُضُولٌ كَثِيرَةٌ وَاسْتِعْدَادَاتٌ نَحْوَ الْعَقَنِ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْفُسْطَاطِ لِهَذِهِ الْحَالِ وَأَتْسَهُمْ بِهَا، يَعْوِقُ عَنْهُمْ أَكْثَرَ شَرِّهَا، وَإِنْ كَانُوا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْرَعَ أَهْلَ مِصْرَ وَقَوْعًا فِي الْأَمْرَاضِ.

وَمَا يَلِي النَّيْلَ مِنَ الْفُسْطَاطِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَوْطَبُ مِمَّا يَلِي الصَّخْرَاءَ، وَأَهْلُ الشَّرَفِ^٧ أَصْلَحُ حَالًا لِنَخْرُقِ الرِّيَّاحَ لِدَوْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ عَمَلُ فَوْقَ وَالْحَمْرَاءَ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الشَّرَفِ [مَأْوَاهُمْ]^٨ الَّذِي يَشْرَبُونَهُ أَجْوَدُ، لِأَنَّهُ يُشْتَقَى قَبْلَ أَنْ تُخَالِطَهُ غَفُونَةُ الْفُسْطَاطِ.

فَأَمَّا الْقَرَّافَةُ فَأَجْوَدُ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ^٩؛ لِأَنَّ الْمُقَطَّمِ يُعْوِقُ بُخَارَ الْفُسْطَاطِ مِنَ الْمُرُورِ بِهَا، وَإِذَا هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ مَرَّتْ بِأَجْزَاءِ كَثِيرَةٍ مِنَ بُخَارِ الْفُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ عَلَى الشَّرَفِ فَغَيَّرَتْ حَالَهُ. وَظَاهِرٌ أَنَّ الْمَوَاضِعَ الْمَكْشُوفَةَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ هِيَ أَصْلَحُ هَوَاءً، وَكَذَلِكَ حَالُ الْمَوَاضِعِ الْمَرْتَفَعَةِ^{١٠} وَأَرْدَأُ مَوَاضِعَ فِي الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَى هُوَ مَا كَانَ مِنَ الْفُسْطَاطِ حَوْلَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ إِلَى مَا يَلِي النَّيْلَ وَالسَّوَاحِلَ.

وَإِذَا كَانَ فِي الشِّتَاءِ وَأَوَّلِ الرِّيَّاعِ، حَمِيلٌ مِنْ بَحْرِ الْمَلْحِ سَمَكٌ كَثِيرٌ، فَيَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ غَفِنَ وَصَارَتْ لَهُ رَائِحَةٌ مُثْنَكَةٌ جِدًّا فَيَبَاعُ فِي الْقَاهِرَةِ، وَيَأْكُلُهُ أَهْلُهَا وَأَهْلُ الْفُسْطَاطِ فَيَجْتَمِعُ فِي أَهْدَانِهِمْ مِنْهُ فُضُولٌ كَثِيرَةٌ غَفِيَّةٌ؛ فَلَوْلَا اعْتِدَالُ أَمْرِجَتِهِمْ، وَصِحَّةُ أَهْدَانِهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ، لَكَانَ ذَلِكَ يُؤَلَّدُ فِي أَهْدَانِهِمْ أَمْرًا كَثِيرًا قَاتِلًا، إِلَّا أَنَّ قُوَّةَ الْاسْتِمْرَارِ تَعْوِقُ عَنْ ذَلِكَ.

(a) بولاق: بمصر. (b) بولاق: فيها. (c) بولاق: الشرق. (d) زيادة من ابن رضوان.

^٢ ابن رضوان: دفع مضار الأبدان ١٥٥-١٦٠.

^١ انظر عن القرافة فيما يلي ٤٤٣: ٢.

وَرُبَّمَا انْقَطَعَ النَّيْلُ فِي آخِرِ الرَّبِيعِ وَأَوَّلِ الصَّيْفِ مِنْ جِهَةِ الْفُسْطَاطِ ، فَيَعْقَنُ بِكَثْرَةِ مَا يُلْقَى فِيهِ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ عَقْفَهُ إِلَى أَنْ تَصِيرَ لَهُ رَائِحَةٌ مُثَكَّرَةٌ مَحْسُوسَةٌ . وَظَاهِرٌ أَنَّ هَذَا الْمَاءَ إِذَا صَارَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ غَيَّرَ مِزَاجَ النَّاسِ تَغْيِيرًا مَحْسُوسًا ^١ .

قَالَ : فَمَنْ الْبَيِّنُ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرِ بِأَرْضِ مِصْرَ أَسْرَعَ وَقَوْعًا فِي الْأَمْرَاضِ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، مَا تَخْلَا أَهْلُ الْفَيْيُومِ فَإِنَّهَا أَيْضًا قَرْيَةٌ ^٢ .

وَأَرَادَ مَا فِي الْمَدِينَةِ [الْكَبِيرِ] ^٣ الْمَوْضِعَ الْغَائِرَ مِنَ الْفُسْطَاطِ . وَلِذَلِكَ غَلَبَ عَلَى أَهْلِهَا الْجُبْنُ وَقِلَّةُ الْكَرَمِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُعَيْثُ وَلَا يُضَيِّفُ الْغَرِيبَ إِلَّا فِي النَّادِرِ ، وَصَارُوا مِنَ السَّعَايَةِ وَالْأَغْتِيَابِ عَلَى أَمْرِ عَظِيمٍ . وَلَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْجُبْنُ إِلَى أَنَّ خَمْسَةَ أَغْوَانٍ تَسُوقُ مِنْهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ وَأَكْثَرَ ، وَيَسُوقُ الْأَغْوَانُ الْمَذْكُورِينَ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ أَهْلِ الْبُلْدَانِ الْأُخَرَ وَمَنْ قَدْ تَدَرَّبَ فِي الْحَرْبِ .

فَقَدْ اسْتَبَانَ إِذْنُ الْعِلَّةِ وَالشَّبَبِ فِي أَنْ صَارَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرِ بِأَرْضِ مِصْرَ أَسْرَعَ وَقَوْعًا فِي الْأَمْرَاضِ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَأَضْعَفَ أَنْفُسًا . وَلَعَلَّ لِهَذَا السَّبَبِ اخْتَارَ الْقَدَمَاءُ اتِّخَاذَ الْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا بِمَنْفَى وَهِيَ مِصْرُ الْقَدِيمَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَبَدَّلَ عَلَى ذَلِكَ آثَارُهُمْ ^٤ .

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ كِتَابِ «الْكَمَائِمِ» ^٥ : وَأَمَّا فُسْطَاطُ مِصْرَ فَإِنَّ مَبَانِيهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مُتَّصِلَةً بِمَبَانِي مَدِينَةِ عَيْنِ شَمْسٍ ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَبِهَا بِنَاءٌ يُعْرَفُ بِالْقَصْرِ حَوْلَهُ مَسَاكِينُ ، وَعَلَيْهِ نَزَلَ عُمَرُ بْنُ الْقَاصِ ، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ ، حَيْثُ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ الْمُنَسُوبُ إِلَيْهِ . ثُمَّ لَمَّا فَتَحَهَا قَسَمَ

(a) ابن رضوان : ويفة ، بولاق : قرية . (b) زيادة من ابن رضوان .

^٣ كتاب الكمايم للبيهقي مصدق مهم من مصادر ابن سعيد المغربي يقول : «وقد جمعت ملفطات من كتاب البيهقي وكتاب القوطي وغيرهما من الكتب وأضفتها إلى ما عاينته وعلمته من أمر مدينة القاهرة لأنني سكنت فيها كثيرا داخلا وخارجا» (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٢) . ولم يحدد ابن سعيد عنوان الكتاب أو اسم مؤلفه بأكثر من ذلك .

^١ ابن رضوان : دفع مضار الأبدان ١٦٥ .
^٢ نفسه ١٦٦-١٦٧ .
هذا الرأي الذي أوردته ابن رضوان ينتقد موضع المدينة الناحية الصحية فقط ، وفي حقيقة الأمر إن موقع الفسطاط الذي تطورت ونمت فيه جهة الشمال عواصم مصر الإسلامية التالية : المعسكر والقطائع ثم القاهرة ، موقعٌ فريدٌ حُتَّتْ طَبِيعَةُ الْأَرْضِ الْمِصْرِيَّةِ ، هُوَ نَقْطَةُ التَّقَاءِ رَأْسُ الدَّلَا بِجَنُوبِ الْوَادِي (البحر الشمالي الجنوبي للبلاد) .

المنازل على القبائل، ونُسبت المدينة إليه، فقبل «فُسطاط عمرو»، وتداولت عليها بعد ذلك ولادة مصر فأتخذوها سربوا للسلطنة، وتضاعفت عمارتها، فأقبل الناس من كل جانب إليها، وقصروا أمانهم عليها، إلى أن رُسخت بها دؤلة بني طولون، فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بـ «القطائع»، وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن إلى جانب القاهرة.

وهي مدينة مستطيلة يمتد النيل مع طولها، ويحط في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع القوائد، ولها متنزعات، وهي في الإقليم الثالث، ولا ينزل فيها قطر إلا في النادر، وتراثها تشبه الأرنجل وهو قبيح اللون تنكدر منه أرجاؤها ويسوء بسببه هواؤها، ولها أشواق ضخمة إلا أنها ضيقة، ومبانيها بالقصب والطوب طبة على طبة. ومثد بُيّت القاهرة ضغفت مدينة الفُسطاط، وفوط في الاعتياط بها بعد الإفراط، وبينهما نحو ميلين. ^(١) وأنشدت فيها للشريف ^(٢) العقيلي ^{١٠}:

[الطويل]

أجرت إلى الفُسطاط شرقًا وإنني لأدعو لها أن لا يحل بها القطر
/ وهل في الحيا من حاجة لجنابها وفي كل قطر من جوائنها نهر
تبدت غرورًا والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدور ^٢

وقال عن كتاب أجار ^(٣): فالفُسطاط هي قصب مصر، والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمرد ^٣.

وقال عن كتاب ابن حوقل: والفُسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها، وهي كبيرة نحو ثلث بغداد، ومقدارها نحو فوسخ، على غاية العمارة [والخشب] ^(٤) والطيبة واللذة، ذات رحاب

(a-a) بولاق: وأنشد فيها الشريف. (b) بولاق: كتاب آخر. (c) زيادة من ابن حوقل.

^١ أبو الحسن علي بن الحسين بن خليفة من ولد عقيل بن أبي طالب: شاعر مصري من شعراء المائة الخامسة (ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ٢٠٥-٢٤٩: العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ٦٢:٢).

^٢ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١-٢.

^٣ عند ابن سعيد: المغرب ٢ أن ذلك نقلًا عن كتاب

أجار (أي روجر) والمقصود كتاب «نزهة المشائ» الذي ألفه الإدرسي للملك النورماندي روجر الثاني Roger II، والنص غير موجود في «النزهة»، انظر كذلك ما سبق أن نقله المقرئ عن كتاب الإدرسي ولا يوجد في النسخة المنشورة منه (فيما تقدم ١: ١٣٩).

فِي مَحَالِّهَا ، وَأَشْوَاقٍ عِظَامٍ فِيهَا ضَيْقٌ وَمَتَاجِرٌ فِخَامٌ ، وَلَهَا ظَاهِرٌ أَيْنِقٌ وَبَسَاتِينُ نَضِيرَةٍ ، وَمَتَرُهَا تٌ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ خَضِرَةٌ .

وَفِي الْفُسْطَاطِ قَبَائِلُ وَخِطَطٌ لِلْعَرَبِ تُنْسَبُ إِلَيْهَا كَالْبُصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، إِلَّا أَنَّهَا أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ سَبِيحَةُ الْأَرْضِ ، غَيْرُ نَقِيَّةِ الثَّرَى ، وَتَكُونُ بِهَا الدَّارُ سَبْعَ طَبَقَاتٍ وَسِتًّا وَخَمْسًا ، وَبِمَا يَسْكُنُ فِي الدَّارِ الْمَائَتَانِ مِنَ النَّاسِ ، [وَبِالْفُسْطَاطِ دَائِرَةٌ تَعْرِفُ بِدَارِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، يُصَبُّ فِيهَا لِمَنْ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعٌ مِائَةً رَاوِيَةً مِنْ مَاءٍ^٨] ، وَمُعْظَمُ بَنِيَانِهِمْ بِالطُّوبِ ، وَأَسْفَلُ دَوْرِهِمْ غَيْرُ مَسْكُونٍ ، وَبِهَا مَسْجِدَانِ لِلْجُمُعَةِ : بَنَى أَحَدُهُمَا عَمْرُو بْنُ الْقَاصِ فِي وَسْطِ الْفُسْطَاطِ^٩ ، وَالْآخَرُ عَلَى الْمَوْقِفِ بِنَاؤُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ .

وَكَانَ خَارِجَ الْفُسْطَاطِ أُنْبِيَّةٌ بَنَاهَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ مِيلًا فِي مِيلٍ ، يَسْكُنُهَا جُنْدُهُ تُعْرَفُ بِـ «الْقَطَائِعِ» ، كَمَا بَنَى بَنُو الْأَعْلَبِ خَارِجَ الْقَيْرَوَانِ رَقَادَةً ؛ وَقَدْ خَرِبَتَا فِي وَقْتِنَا هَذَا ، وَأَخْلَفَ اللَّهُ بَدَلَ الْقَطَائِعِ - بِظَاهِرِ مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ - الْقَاهِرَةَ^١ .

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَلَمَّا اسْتَقَرَزْتُ بِالْقَاهِرَةِ تَشَوَّقْتُ إِلَى مُعَايَنَةِ الْفُسْطَاطِ ، فَسَارَ مَعِيَ أَحَدُ أَصْحَابِ الْعَزْمَةِ ، فَرَأَيْتُ عِنْدَ بَابِ زَوَيْلَةَ مِنَ الْحَجِيرِ الْمَعْدَةِ لِرُكُوبٍ مِنْ يَسِيرُ إِلَى الْفُسْطَاطِ جَمَلَةً عَظِيمَةً لَا عَهْدَ لِي بِمَثَلِهَا فِي بَلَدٍ ، فَرَكِبْتُ مِنْهَا حِمَارًا وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَرْكَبَ حِمَارًا آخَرَ ، فَأَيْقَنْتُ مِنْ ذَلِكَ ، جَرِيًّا عَلَى عَادَةٍ مَا خَلَفْتُهُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَأَعْلَمَنِي أَنَّهُ غَيْرُ مُعِيبٍ عَلَى أَغْيَانِ مِصْرَ ، وَعَايَنْتُ الْفُقَهَاءَ وَأَصْحَابَ الْبَيَّةِ وَالْمَنَادَةَ الظَّاهِرَةَ يَرْكَبُونَهَا ، فَرَكِبْتُ . وَعِنْدَمَا اسْتَوَيْتُ رَاكِبًا ، أَشَارَ الْمَكَارِيُّ عَلَى الْحِمَارِ فَطَارَ بِي ، وَأَثَارَ مِنَ الْغُبَارِ الْأَسْوَدِ مَا أَغْمَى عَيْنِي وَدَثَسَ ثِيَابِي ، وَعَايَنْتُ مَا كَرِهْتُهُ . وَلِقِلَّةِ مَعْرِفَتِي بِرُكُوبِ الْحِمَارِ وَشِدَّةِ عَذْوِهِ عَلَى قَانُونٍ لَمْ أَعْهَدَهُ ، وَقِلَّةِ رِفْقِ الْمَكَارِيِّ ، وَقَفْتُ^٥ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ الْمَثَارَةِ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَاجِ ، فَقُلْتُ :

٢٠ [الْمُخْتَارِبِ]

لَقِيتُ بِمِصْرَ أَشَدَّ الْبَوَارِ رُكُوبَ الْحِمَارِ وَكَخْلَ الْغُبَارِ
وَحَلَفَنِي مَكَارٍ بِفُوقِ الرِّيَا حَ لَا يَعْرِفُ الرِّفْقَ مَهْمَا اسْتَطَارَ

(٨) زِيَادَةُ مِنْ ابْنِ حَوْقَلٍ . (ب) عِنْدَ ابْنِ حَوْقَلٍ مَصْدَرُ ابْنِ سَعِيدٍ : فِي وَسْطِ الْأَسْوَاقِ . (ج) بُولَاقٌ : وَقَفْتُ .

^١ ابْنُ حَوْقَلٍ : كِتَابُ صُورَةِ الْأَرْضِ ١١٤٦ هـ ابْنُ سَعِيدٍ : الْمَغْرِبُ ٢-٣ : الْمَقْرِي : نَفْحُ الطَّيْبِ ٢: ٣٣٧-٣٣٩ ؛ وَفِيهَا تَقْدِمُ

أُنَادِيهِ مَهْلًا فَلَا يَرْوَعُوِي إِلَى أَنْ سَجَدْتَ سَجْدَ الْإِثَارِ
وَقَدْ مَدَّ فَوْقِي رَوَاقَ الثَّرَى وَأَخَذَ فِيهِ ضِيَاءَ الشَّهَارِ

فَدَفَعْتُ إِلَى الْمَكَارِي أُجْرَتَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : إِحْسَانُكَ إِلَيَّ أَنْ تَتْرَكَنِي أُمْشِي عَلَى رَجْلِي ، وَمَشَيْتُ إِلَى أَنْ بَلَغْتُهَا ، وَقَدَّرْتُ فِي ^(a) الطَّرِيقِ بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَالْقُسْطَاطِ ، وَحَقَّقْتَهُ ^(b) بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ الْمِيلِينَ . وَلَمَّا أَقْبَلْتُ عَلَى الْقُسْطَاطِ أَذْهَبَتْ عَنِّي الْمَسْرُوءُ ، وَتَأَمَّلْتُ أَسْوَارًا مُثَلَّمَةً سَوْدَاءَ ، وَأَفَاقًا مُغْبِرَةً ، وَدَخَلْتُ مِنْ بَابِهَا وَهُوَ دُونَ غَلْقٍ ، مُفْضٍ إِلَى خَرَابٍ مَعْمُورٍ بِبَابٍ مُثَشَّتَةٍ ^(c) الْوَضْعُ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ الشُّوَارِعَ ، قَدْ بُيِّنَتْ مِنَ الطُّوبِ الْأَذْكَنِ وَالْقَصَبِ وَالتَّخِيلِ طَبَقَةً فَوْقَ طَبَقَةٍ ، وَخَوْلَ أَبْوَابِهَا مِنَ الثَّرَابِ الْأَسْوَدِ وَالْأَزْبَالِ مَا يُقْرِضُ نَفْسَ التَّظْلِيفِ وَيَغْضُ طَرَفَ الظَّرِيفِ . فَيَسُرُّ وَأَنَا مُعَانٍ لَاسْتَصْحَابِ تِلْكَ الْحَالِ ، إِلَى أَنْ سِرْتُ فِي أَسْوَاقِهَا الضَّيِّقَةِ ، فَقَاسَيْتُ مِنْ اِزْدِحَامِ النَّاسِ فِيهَا بِخَوَائِجِ الشُّوقِ ، وَالرَّوَايَا الَّتِي عَلَى الْجَمَالِ ، مَا لَا يَنفِي بِهِ إِلَّا مُشَاهَدَتَهُ وَمُقَاسَاتَهُ ، إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَعَانَيْتُ مِنْ ضَيْقِ الْأَسْوَاقِ الَّتِي حَوَّلَهُ مَا ذَكَرْتُ بِهِ ضِدَّهُ فِي جَامِعِ إِشْبِيلِيَّةَ وَجَامِعِ مُرَاكَيْشَ .

ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَعَانَيْتُ جَامِعًا كَبِيرًا قَدِيمَ الْبِنَاءِ ، غَيْرَ مُزْخَرَفٍ وَلَا مُخْتَفَلٍ فِي مُحَضَرِهِ الَّتِي تَدُورُ مَعَ بَعْضِ حَيْطَانِهِ وَتُبْسِطُ فِيهِ ، وَأَبْصَرْتُ الْعَامَّةَ رِجَالًا وَنِسَاءً قَدْ جَعَلُوهُ مَعْبَرًا بِأَوْطَانِهِ أَقْدَامِهِمْ ، يَجُوزُونَ فِيهِ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ لِيَقْرُبَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ ، وَالْبَيْاعُونَ يَبِيعُونَ فِيهِ أَصْنَافَ الْمَكْسُورَاتِ وَالْكَفْكَ وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ ، وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ مِنْهُ فِي أَمَكْنَةٍ غَدِيدَةٍ غَيْرِ مُحْتَشِمِينَ لِحَزْمِي الْعَادَةِ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ ، وَعِدَّةٌ صِبْيَانٍ بِأَوَانِي مَاءٍ يَطُوفُونَ عَلَى مَنْ يَأْكُلُ قَدْ جَعَلُوا مَا يَخْصُلُ لَهُمْ مِنْهُمْ رِزْقًا ، وَقَفْصَلَاتٌ مَا كِلِهِمْ مَطْرُوحَةٌ فِي صَخْنِ الْجَامِعِ وَفِي زَوَايَاهُ ، وَالْعَتَكُوتُ قَدْ عَظُمَ نَشِجُهُ فِي الشُّقُوفِ وَالْأَرْكَانِ وَالْحَيْطَانِ ، وَالصُّبْيَانُ يَلْعَبُونَ فِي صَخْنِهِ ، وَحَيْطَانُهُ مَكْتُوبَةٌ بِالْفَحْمِ وَالْحُمْرَةِ بِخُطُوطٍ قَبِيحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ كَتَبِ قُرَّاءِ الْعَامَّةِ ، إِلَّا أَنَّ مَعَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ مِنَ الزُّوْثَنِ وَحُسْنِ الْقَبُولِ وَانْبِسَاطِ النَّفْسِ ، مَا لَا تَجِدُهُ فِي جَامِعِ إِشْبِيلِيَّةَ مَعَ زُخْرَفِيَّتِهِ وَابْتِسَاطِهِ الَّذِي فِي صَخْنِهِ ^١ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : حقت . (c) بولاق : سيفة .

^١ هذا وصف جامع عمرو أو الجامع العتيق في أواسط القرن السابع الهجري ، انظر كذلك وصف ناصر خسرو للجامع في -

ولقد تأملتُ ما وَجَدْتُ فيه من الارتياح والأنس دون مَنْظَرٍ يُوجِبُ ذلك ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ سِرٌّ مُودَعٌ من وُقُوفِ الصُّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم - في سَاحَتِهِ عِنْدَ بَنَائِهِ ، وَاسْتَحْسَنْتُ مَا أَبْصَرْتَهُ فِيهِ مِنْ جَلِّ الْمَصْدَرِينَ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ وَالتَّخَرُّقِ فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ ، وَسَأَلْتُ عَنْ مَوَارِدِ أَرْزَاقِهِمْ فَأُخْبِرْتُ أَنَّهَا مِنْ فُرُوضِ الزُّكَاةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ / ، ثُمَّ أُخْبِرْتُ أَنَّ اقْتِضَاءَهَا يَصْعَبُ إِلَّا بِالْجَاهِ وَالثَّعْبِ .

ثُمَّ انْفَصَلْنَا مِنْ هُنَالِكَ إِلَى سَاحِلِ الثَّلِيلِ ، فَرَأَيْتُ سَاحِلًا كَثِيرَ الثَّرْوَةِ ، غَيْرَ تَقْلِيْفٍ وَلَا مُتَّسِعٍ الشَّاحَةِ وَلَا مُسْتَقِيمِ الاِسْطِطَالَةِ وَلَا عَلَيْهِ سُورٌ أَيْضَ ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرُ الْعِمَارَةِ بِالْمَرَاكِبِ وَأَصْنَافِ الْأَرْزَاقِ الَّتِي تَصِلُ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالثَّلِيلِ ، وَلَكِنْ قُلْتُ لَأَنِّي لَمْ أُبْصِرْ عَلَى نَهْرٍ مَا أَبْصَرْتَهُ عَلَى ذَلِكَ السَّاحِلِ ، فَإِنِّي أَقُولُ حَقًّا .

وَالثَّلِيلُ هُنَالِكَ صَبِيحٌ لَكُونِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بَنَى فِيهَا سُلْطَانُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَةِ الْآنَ^١ قَلْعَتَهُ ، قَدْ تَوَسَّطَتِ الْمَاءُ ، وَمَالَتْ إِلَى جِهَةِ الْفُسْطَاطِ ، وَبَحْثُنْ شُورَهَا الْمَبْيُضَ الشَّامِخَ حَسَنَ مَنْظَرِ الْفُرْجَةِ فِي ذَلِكَ السَّاحِلِ .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَوْقَلٍ الْجِسْرَ الَّذِي يَكُونُ مَمْتَدًّا مِنَ الْفُسْطَاطِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَهُوَ غَيْرُ طَوِيلٍ ، وَمِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ إِلَى الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ - الْمَعْرُوفِ بِبَرِّ الْحِجْزَةِ - جِسْرٌ آخَرٌ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَيْهِ^٢ . وَأَكْثَرُ جَوَازِ النَّاسِ بَأَنْفُسِهِمْ وَقَوَائِبِهِمْ فِي الْمَرَاكِبِ ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ الْجِسْرَيْنِ قَدْ اخْتَرَمَا بِحُصُولِهِمَا فِي حَيَرٍ قَلْعَةٍ السُّلْطَانِ ، وَلَا يَجُوزُ اخْتِدَادُ عَلَى الْجِسْرِ الَّذِي بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْفُسْطَاطِ رَاكِبًا احْتِرَامًا لِمَوْضِعِ السُّلْطَانِ^٣ . وَبَيْنَا فِي لَيْلَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِطَيَّارَةٍ^٤ مَرْتَفَعَةً عَلَى جَانِبِ الثَّلِيلِ ، فَقُلْتُ :

[الطويل]

تَوَلَّيْنَا مِنَ الْفُسْطَاطِ أَحْسَنَ^٥ مَثَرٍ بِحَيْثُ اسْتِدَادَ الثَّلِيلُ قَدْ دَارَ كَالْعِقْدِ
وَقَدْ جُمِعَتْ فِيهِ الْمَرَاكِبُ سَخَرَةً كَسَرَبٍ قَطَا أَضْحَى يَرِفُ عَلَى وَرْدٍ

(a) ابن سعيّد : أرفع .

متنصف القرن الخامس الهجري زمن المستنصر بالله الفاطمي (سفرنامه ١٠٢) .
٢ ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ١٤٦ . وفيما تقدم ١٦٣ : ١ .

٣ أي السُّلْطَانُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وَانْظُرْ عَنْ قَلْعَةِ الرُّوسَةِ فِيمَا يَلِي ١٨٣ : ٢ - ١٨٥ .
٤ طَيَّارَةٌ جَد . طَيَّارَات . ضَرْبٌ مِنَ الشُّفَنِ النَّهْرِيَةِ =

وَأَصْبَحَ بَطْنُهُ^١ الْمَوْجَ فِيهِ وَيَزْمِي وَيَطْفُو خَنَانًا وَهُوَ يَلْعَبُ بِالزُّوْدِ
عَدَا مَأْوَهُ كَالرَّيْقِ مِمَّنْ أَحْبَبَهُ فَمُدَّتْ عَلَيْهِ جِلْيَةً مِنْ حُلَى الْخَدِّ
وَقَدْ كَانَ مِثْلَ الزُّهْرِ مِنْ قَبْلِ مَدَّةٍ فَأَصْبَحَ لَهَا زَادَهُ الْمَدُّ كَالزُّوْدِ

قُلْتُ هَذَا لِأَنِّي لَمْ أَذُقْ فِي الْمِيَاهِ أَحْلَى مِنْ مَائِهِ ، وَأَنَّهُ يَكُونُ قَبْلَ الْمَدِّ الَّذِي يَزِيدُ بِهِ وَيَفِيضُ عَلَى
أَقْطَارِهِ أَيْضًا ، فَإِذَا كَانَ غَبَابُ النَّيْلِ صَارَ أَحْمَرَ .

وَأَتَشَدَّنِي عِلْمُ الدِّينِ قَحْرُ التُّوكِ أَهْدَمُ^٢ ، عَتِيقُ وَزِيرِ الْجَزِيرَةِ ، فِي مَدْحِ الْفُسْطَاطِ وَأَهْلِيهَا^٣ :

{الرملة}

حَبِذَا الْفُسْطَاطُ مِنْ وَالِدَةٍ جَنَّبَتْ أَوْلَادَهَا دُرَّ الْجَفَا
يَرِدُ النَّيْلُ إِلَيْهَا كَدِيرًا فَإِذَا مَارَجَ أَهْلِيهَا صَفَا
لَطَفُوا فَلِلزُّنِ لَا يَأْلِفُهُمْ تَحَجَّلًا لَهَا رَاهِمُ الْأَطْفَا

ولم أر في أهل البلاد أَلَطَفَ مِنْ أَهْلِ الْفُسْطَاطِ حَتَّى أَنَّهُمْ أَلَطَفُ مِنْ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ
مِيلِينَ . وَجُمْلَةُ الْحَالِ أَنَّ أَهْلَ الْفُسْطَاطِ فِي نَهَايَةِ مِنَ اللَّطَافَةِ وَاللِّينِ فِي الْكَلَامِ ، وَتَحْتَ ذَلِكَ مِنَ
الْمَلَقِ وَقِلَّةِ الْمِبَالَاةِ بِرِعَايَةِ قَدَمِ الصُّخْبَةِ وَكَثْرَةِ الْمَمَارَاجَةِ وَالْأَلْفَةِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ^٤ .

وَأَمَّا مَا يَرِدُ عَلَى الْفُسْطَاطِ مِنْ مَتَاجِرِ الْبَحْرِ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ وَالْبَحْرِ الْحِجَازِيِّ فَإِنَّهُ فَوْقَ مَا
يُوصَفُ ، وَبِهَا مَجْمَعُ ذَلِكَ لَا بِالْقَاهِرَةِ ، وَمِنْهَا تُجَهَّزُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَسَائِرِ الْبِلَادِ .

(a) بولاق : بطنى .

= القديمة التي تتميز بخفتها وسرعة جريانها ، كان هذا النوع من المراكب وقتنا على أنهر العراق فقط ، ولكن نَصُّ ابْنِ سَعِيدٍ هُوَ النَّصُّ الْوَحِيدُ الَّذِي يَهْدِنَا بِأَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْمَرَكَبِ كَانَ مُسْتَحْدَقًا فِي نَهْرِ النَّيْلِ فِي مِصْرَ . (درويش النخيلي : السفن الإسلامية ٩٢-٩٣) .

^١ عِلْمُ الدِّينِ قَحْرُ التُّوكِ أَهْدَمُ الْهَيْوَرِيِّ عَتِيقُ مَحْيِي لِلدِّينِ أَبِي الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ نَدَى الْجَزَرِيِّ ، وَهَذَا الْأَخِيرُ هُوَ الَّذِي صَنَّفَ لَهُ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِي كِتَابِيهِ وَالْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَشْرِقِ ، وَالْمَشْرِقُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ (الصَّفْدِيُّ : الْوَفَائِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ١٧٢:١-١٧٥) . وَكَانَ أَهْدَمُ الْهَيْوَرِيِّ مِنْ شِعْرَاءِ الْعَصْرِ الْأَوَّلِيِّ الْمُرِزِينَ مِنْ مَعَاصِرِي بَهَاءِ الدِّينِ زُهَيْرٍ وَجَمَالِ الدِّينِ بْنِ مَطْرُوحٍ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م . (الصَّفْدِيُّ : الْوَفَائِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ٧:١٠-١٥) أَبُو الْخَاسَنِ : الْمَنْهَلُ الصَّافِي ١٧٢:٣-١٧٦) ، وَتَشَرَّتْ دَائِرَةُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ بِمُخْتَارِ دِهْوَانَ عِلْمِ الدِّينِ أَهْدَمُ الْهَيْوَرِيِّ ، وَصَدَرَ عِلْمُ ١٩٣١ .

^٢ وَرَدَتْ الْآيَاتُ كَذَلِكَ عِنْدَ ابْنِ دُقَمَاقٍ : الْاِنْقِصَارُ ١٠٩:٤ ، وَهِيَ غَيْرُ مُوجُودَةٍ فِي الدِّهْوَانِ .

^٣ ابْنُ سَعِيدٍ : الْمَغْرِبُ ٥-٩ ، الْقُرَيْ : نَفْعُ الطَّيْبِ ٣٣٩-٣٤٢ .

وبالفُسطاط مطابخُ الشُّكْرِ والصَّابُونَ ومُعْظَمُ ما يجري هذا المجرى ، لأنَّ القَاهِرَةَ بُنِيَتْ للاختصاصِ بالجُنْدِ ، كما أنَّ جميعَ رِزِّي الجُنْدِ بالقَاهِرَةِ أعْظَمُ منه بالفُسطاط ، وكذلك ما يُنْسَجُ ويُصاغُ وسائرُ ما يُعْمَلُ من الأشياءِ الرِّفِيعَةِ السُّلْطَانِيَةِ . والحَزَابُ في الفُسطاط كثيرٌ ، والقَاهِرَةُ أَجْدُ وَأَعَمَرُ وَأَكْثَرُ رَحْمَةً بسببِ انتقالِ السُّلْطَانِ إليها ، وسُكْنَى الأَجْنَادِ فيها . وقد نَفِخَ رُوحُ الاعتناء والتُّمُّوِّ في مَدِينَةِ الفُسطاط الآن لمجاورتها للجزيرةِ الصَّالِحِيَّةِ ، وكثيرٌ من الجُنْدِ قد انتقلَ إليها للقرْبِ من الخِدْمَةِ ، وبَتَّى على شَوْرِهَا جماعةٌ منهم مَنَاطِرُ تُبَهِجُ الناظرَ ^١ ، يعني ابنُ سَعِيدٍ ما بُنِيَ على شُقَّةِ مِصْرَ من جهةِ الثَّيْلِ .

ذِكْرُ مَا عَلَيْهِ مَدِينَةُ مِصْرَ الْآنَ وَصِفَتُهَا

قد تَقَدَّمَ من الأخبارِ جملةٌ تدُلُّ على عِظَمِ ما كانَ بِمَدِينَةِ فُسطاطِ مِصْرَ من المباني وكَثْرَتِهَا ، ثم الأسبابُ التي أَوْجَبَتْ خَرَابَهَا . وآخر ما رَأَيْتُ من الكُتُبِ التي صُنِّفَتْ في خِطَطِ مِصْرَ كِتَابُ «إِبْقَاظِ الْمُتَعَفِّلِ وَأَتْعَاضِ الْمُتَأَمِّلِ» ، تأليفُ القَاضِي الرِّيسِ تاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ التَّوَجُّجِ الزُّبَيْرِيِّ - رحمه الله - وَقَطَعَ على سنةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ^٢ . فَذَكَرَ من الأَخْطَاطِ المشهورةِ بِذَاتِهَا لَعَهْدَهُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ خُطًّا ، ومن الحَارَاتِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ حَاذَةً ، ومن الأَرِيقَةِ المشهورةِ سِتَّةَ وَثَمَانِينَ رُقَاقًا ، ومن الدُّرُوبِ المشهورةِ ثَلَاثَةَ وَخَمْسِينَ دَرْبًا ، ومن الخُفُوحِ المشهورةِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ خُوحَةً ، ومن الأَشْوَاقِ المشهورةِ تِسْعَةَ عَشَرَ سُوقًا ، ومن الخُطَطِ المشهورةِ بالدُّورِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ خُطًّا ^٣ ، ومن الرُّحَابِ المشهورةِ خَمْسَ عَشْرَةَ رَحْبَةً ، ومن العَقَبَاتِ المشهورةِ إِحْدَى عَشْرَةَ عَقَبَةً ، ومن الْكِيْمَانِ الْمُسَمَّاةِ سِتَّةَ كِيْمَانٍ ، ومن الْأَقْبَاءِ عَشْرَةَ أَقْبَاءَ ، ومن الْبِرَكِ خَمْسَ بَرَكَ ، ومن الشَّقَائِفِ خَمْسًا وَسِتِينَ سَقِيْفَةً ، ومن الْقِيَامِيرِ / سَبْعَ قِيَامِيرٍ ، ومن مَطَابِيخِ الشُّكْرِ الْعَامِرَةِ سِتَّةَ وَسِتِينَ مَطْبَخًا ^٤ ، ومن الشُّوَارِعِ سِتَّةَ شَوَارِعَ ، ومن الْحَارِسِ عَشْرِينَ مَحْرَسًا ، ومن الْحَوَامِعِ

(أ) يولالى : خطة .

الأول ١٨* - ١٩* ، ٥٧* - ٦٦* ، ونقل ابن دقماق قسماً كثيراً من كتاب ابن التَّوَجُّجِ في كتابه «الانتصار» ٤ : ١٤ ، ١٨ ، ٥٣ - ٥٩ ، ٧٥ ، ٩١ - ٩٥ ، ١٠٠ - ١٠٦ ، ١١٦ .
^٣ هنا حاشية بخط المصنف وَجَدَتْ على هامش نسخته ، وأدمجتها بعض النسخ في المتن ، نصها : «أَذْرَكْتُ جِلْدَةً =

^١ ابن سعيد : المغرب ١١١ : المقري : نفع الطيب ٣٤٢ : ٢ (نقلًا عن المقرئ) .

^٢ يتجاهل المقرئ في هذا النص اثنين من مؤلفي : اللذين كتباه بعد ابن التَّوَجُّجِ : إبراهيم بن أَهْدَمَ الْعَلَامِي المعروف بابن دُقْمَاقِ والحسن بن أحمد الأَوْحَدِي (انظر مقدمة الجزء

التي تُقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقراة أربعة عشر جامعاً، ومن المساجد أربع مائة وثمانين مسجداً، ومن المدارس سبع عشرة مَدْرَسَةً، ومن الزوايا ثمانين زوايا، ومن الرُبط التي بمصر والقراة بضعا وأربعين رباطاً، ومن الأقباس والأوقاف كثيراً، ومن الحمامات بضعا وسبعين حماماً، ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دُور وكُنيسة.

وقد بادأ أكثر ما ذكره ودرّج، وسيرد ما قاله من ذلك في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. (هـ) فأما هاهنا فإني ذاكراً إن شاء الله مجعلة ما عليه الحال في مدينة مصر^(٨)، فأقول^(ب) ١: إن مدينة مصر محدودة الآن بخدود أربعة: فحدّها الشرقي اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ إلى باب القراة، فتتم من داخل الشور الفاصل بين القراة ومصر إلى كوم الجارح، وتم من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي إلى الرضد حيث أول يوكة الحبش؛ فهذا طول مصر من جهة الشرق^(ج)، وكان يقال لهذه الجهة «عمل فوق»^٢.

وحدّها الغربي من قناطر السباع خارج القاهرة إلى مؤزدة الحلفاء، وتأخذ على شاطئ النيل إلى دُور الطين، فهذا أيضاً طولها من جهة الغرب.

وحدّها القبلي من شاطئ النيل بدُور الطين حيث ينتهي الحد الغربي، إلى يوكة الحبش تحت الرضد حيث انتهى الحد الشرقي، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسميها أهل مصر الجهة القبليّة.

وحدّها البعري من قناطر السباع، حيث ابتداء الحد الغربي، إلى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقي، فهذا عرض مصر من جهة الشمال التي تُعرف بمصر بالجهة البعريّة^٣.

وما يبين هذه الجهات الأربع فإنه يُطلق عليه الآن «مصر»، فيكون أول عرض مصر في الغرب بحر النيل، وآخر عرضها في الشرق أول القراة، وأول طولها من قناطر السباع، وآخره يوكة

a-a) ساقط من بولاق. (b) في المسودة: ذكر ابن التوج. (c) بولاق: المشرق والمغرب من المسودة.

^١ النص التالي هو بقية كلام ابن التوج حيث نقله المقرئ في المسودة ١٥ منسوطاً إليه، وفي الميضية اعتمد عليه وعُدل فيه بالإضافة والحذف وبدأه بلفظ: فأقول.

^٢ انظر عن عمل فوق فيما تقدم ٣٩ هـ.

^٣ انظر فيما تقدم ١: ٣٧.

كبيراً من هذه المطايخ وهي عابرة إلى سنة ست وثمان مائة التي كانت منها وهلم بجرا الحوادث والفتن، فتقطعت من حيط لفساد رجال الدولة وبقيت قائمة ثم تحربت في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة وأخذت ألقاضها في مباشرة الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله نظر الخاص.

الْحَبَشَ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ ، فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ خُطُّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ ، وَيَجَاوِرُهُ الْخَلِيجُ ، وَعَلَيْهِ مِنْ شَرْقِيَّةِ جَنْكَرِ أَقْبَعَا ، وَمِنْ غَرْبِيَّةِ الْمَرْسِ ^١ وَمُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي ، وَيُحَاذِي الْمُنْشَأَةَ مِنْ شَرْقِيَّةِ الْخَلِيجِ خُطُّ قَنْطَرَةِ الشَّدِّ وَخُطُّ بَيْنِ الرُّقَاقَيْنِ وَخُطُّ مَوْرَدَةِ الْخَلْفَاءِ وَخُطُّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ ، وَمِنْ شَرْقِيَّةِ خُطُّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ خُطُّ الْمَرَاعَةِ ^٢ ، وَيَتَّصِلُ بِهِ خُطُّ الْكِبَارَةِ وَخُطُّ الْمَقَارِجِ ، وَيَجَاوِرُ خُطُّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ مِنْ بَعْرِهِ الدُّورُ الَّتِي تَطْلُ عَلَى النَّيْلِ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ إِلَى جِسْرِ الْأَقْرَمِ الْمُتَّصِلِ بِدَيْرِ الطُّلُونِ وَمَا جَاوَزَهُ إِلَى يَزْكَةِ الْحَبَشَ . وَهَذِهِ الْجِهَةُ هِيَ أَغْمَرُ مَا فِي مِصْرَ الْآنَ .

وَأَمَّا الْجِهَةُ الشَّرْقِيَّةُ فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ عَابِرٌ إِلَّا قَلْعَةُ الْجَبَلِ وَخُطُّ الْمَرَاعَةِ الْمُجَاوِرُ لِبَابِ الْقَرَارَةِ إِلَى مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةٍ ، وَيَجَاوِرُ خُطُّ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةٍ مِنْ قِبَلِهِ الْقَضَاءُ الَّذِي كَانَ مَوْضِعَ الْمَوْقِفِ وَالْعَشْكَرِ إِلَى كُومِ الْجَارِحِ ، ثُمَّ خُطُّ كُومِ الْجَارِحِ ، وَمَا بَيْنَ كُومِ الْجَارِحِ إِلَى آخِرِ حَدِّ طُولِ مِصْرَ عِنْدَ يَزْكَةِ الْحَبَشَ تَحْتَ الرُّضْدِ فَإِنَّهُ كَيْمَانٌ . وَهِيَ الْخِطُّ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقَضَاعِي ، وَخَرِبَتْ فِي الشَّدَّةِ الْعَظْمَى زَمَنَ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَعِنْدَ حَرِيقِ شَاوَرٍ لِمِصْرَ كَمَا تَقَدَّمَ ^٣ .

وَأَمَّا غَرْضُ مِصْرَ الَّذِي مِنْ قَنَاطِرِ السَّبْعِ إِلَى الْقَلْعَةِ فَإِنَّهُ عَابِرٌ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى يَزْكَةِ الْفِيلِ الصَّغْرَى بِجَوَارِ خُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ ، وَيَجَاوِرُ الدُّورَ الَّتِي عَلَى هَذِهِ الْيَزْكَةِ مِنْ شَرْقِيَّةِ خُطِّ الْكَبَشِ ، ثُمَّ خُطُّ جَامِعِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ ، ثُمَّ خُطُّ الْقُبُيَّاتِ ، وَيَتَّهِى إِلَى الْقَضَاءِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ .

وَأَمَّا غَرْضُ مِصْرَ الَّذِي مِنْ شَاطِئِ النَّيْلِ بِخُطِّ دَيْرِ الطُّلُونِ إِلَى تَحْتَ الرُّضْدِ حَيْثُ يَزْكَةُ الْحَبَشَ ، فَلَيْسَ فِيهِ عِمَارَةٌ سِوَى خُطِّ دَيْرِ الطُّلُونِ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَقَدْ خَرِبَ بِخَرَابِ الْخِطُّ ، وَكَانَ فِيهِ خِطُّهُ ^٤ بَنِي وَايِلَ وَخِطُّهُ ^٥ رَاشِدَةً ، فَأَمَّا خُطُّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْحَرَاءِ الدُّنْيَا ، وَسِيرِدَ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَخْطَاطِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ مِنْ ذِكْرِ سَاحِلِ مِصْرَ ^٤ .

(a) بولاق : خط . (b) النسخ : خط .

^١ انظر عن المرس فيما يلي ٥٣٧ . تقول تبسطناه .

^٢ حاشية بخط المؤلف : ومَوْغُهُ فِي التُّرَابِ تَمْرُغُ

ومارغه كلاهما... المراغة ، ومراغة الإبل فصرغها ، والمرغ

الروضة والعرب تقول : قد تَمْرُغْنَا أَيْ تَمْرُغْنَا ، وَتَمْرُغُش

في العبارة ، وانظر عن الأخطاط فيما يلي ٢٣:٢-٣٧ .

^٣ فيما تقدم ١٣٣-١٤٦ .

^٤ المقرئ : مسودة المواعظ ١٥-١٨ مع زيادة ونقص

ذِكْرُ سَاحِلِ النَّيْلِ بِدَيْرَةِ مِصْرَ

قد تقدم أنَّ مَدِينَةَ فُسْطَاطِ مِصْرَ اخْتَطَّهَا الْمُسْلِمُونَ حَوْلَ جَامِعِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَقَصْرِ الشُّمُعِ، وَأَنَّ بَحْرَ النَّيْلِ كَانَ يَنْتَهِي إِلَى بَابِ قَصْرِ الشُّمُعِ الْغَرْبِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَابِ الْجَدِيدِ. وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ قَنْصِ أَرْضِ مِصْرَ بَيْنَ جَامِعِ عَمْرٍو وَبَيْنَ النَّيْلِ حَائِطٌ؛ ثُمَّ انْحَسَرَ مَاءُ النَّيْلِ عَنْ أَرْضِ نِجَاهِ الْجَامِعِ وَقَصْرِ الشُّمُعِ، فَابْتَنَى فِيهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ، وَحَازَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ لَمَّا قَدِمَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ حَازَ مِنْهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي خِلَافَتِهِ وَبَنَى فِيهِ.

فَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، قُبِضَ ذَلِكَ فِي الصُّوْفِيِّ^١، ثُمَّ أَقْطَعَهُ الرَّوْشِدُ السَّرِيِّ بْنُ الْحَكَمِ، فَصَارَ فِي يَدِ وَرَثَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ يَكْتَرُونَهُ وَيَأْخُذُونَ جِكْرَهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ اخْتَطَّ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَصَارَ شَاطِئُ النَّيْلِ - بَعْدَ انْحِسَارِ مَاءِ النَّيْلِ عَنِ الْأَرْضِ الْمَذْكُورَةِ - حَيْثُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقِ الْمَعَارِيجِ.

قَالَ الْقَضَائِيُّ: كَانَ سَاحِلُ أَشْفَلِ الْأَرْضِ بِإِزَاءِ الْمَعَارِيجِ / الْقَدِيمِ، وَكَانَتْ آثَارُ الْمَعَارِيجِ قَائِمَةً سَبْعَ دَرَجٍ حَوْلَ سَاحِلِ الْبَيْمَاءِ إِلَى سَاحِلِ الْبُورِيِّ الْيَوْمَ، فَعُرِفَ سَاحِلُ الْبُورِيِّ بِالْمَعَارِيجِ الْجَدِيدِ^٢ - يَعْنِي بِالْمَعَارِيجِ الْجَدِيدِ مَوْضِعُ سُوقِ الْمَعَارِيجِ الْيَوْمَ.

وَكَانَ مِنْ مَجْمَلَةِ خِطِّ مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ الْحَمَرَاوَاتُ الثَّلَاثُ^٣: فَالْحَمَرَاءُ الْأُولَى مِنْ جَمَلَتِهَا سُوقُ وَزْدَانَ، وَكَانَ يُشْرِفُ بِغَرْبِهِ عَلَى النَّيْلِ، وَيَجَاوِرُهُ الْحَمَرَاءُ الْوُشْطَى، وَمِنْ بَعْضِهَا الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْكِبَارَةِ وَكَانَتْ عَلَى النَّيْلِ أَيْضًا، وَبِجَانِبِ الْكِبَارَةِ الْحَمَرَاءُ الْقُضْوَى، وَهِيَ مِنْ بَغْرِي الْحَمَرَاءِ الْوُشْطَى إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ خُطَّ قَنَايِرُ السَّبَاعِ، وَمِنْ جَمَلَةِ الْحَمَرَاءِ الْقُضْوَى خُطَّ خَلِيجُ مِصْرَ مِنْ حَذِّ قَنَايِرِ السَّبَاعِ إِلَى نِجَاهِ قَنْطَرَةِ الشَّدِّ مِنْ شَرْقِهَا، وَبِآخِرِ الْحَمَرَاءِ الْقُضْوَى الْكَبِشُ وَجَبَلُ يَشْكُرَ.

وَكَانَ الْكَبِشُ يُشْرِفُ عَلَى النَّيْلِ مِنْ غَرْبِهِ، وَكَانَ السَّاحِلُ الْقَدِيمُ فِيمَا بَيْنَ سُوقِ الْمَعَارِيجِ الْيَوْمَ إِلَى دَارِ الثَّقَافِ بِمِصْرَ وَأَنْتَ مَاؤُ إِلَى بَابِ مِصْرَ بِجَوَارِ الْكِبَارَةِ، وَمَوْضِعُ الْكُومِ الْجَاوِرِ لِبَابِ مِصْرَ مِنْ شَرْقِهِ.

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٥.

^١ الصُّوْفِيُّ. هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي صَادَرَهَا الْعَبَّاسِيُّونَ مِنْ

^٣ انظر عن الحمراوات فيما تقدم ٣٨ - ٣٩.

الأمويين.

فَلَمَّا خَرَبَتْ مِصْرُ بِخَرِيقِ شَاوَرِ بْنِ مُجِيرِ إِيَاهَا ، صَارَ هَذَا الْكُومُ مِنْ حَيْثُ عِزِّهِ وَعُرْفِ بَكُومِ الْمَشَائِقِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُسْتَقْبَلُ بِأَعْلَاهُ أَزْبَابُ الْجَرَائِمِ ^١ ، ثُمَّ بَنَى النَّاسُ فَوْقَهُ دَوْرًا فَعُرِفَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِكُومِ الْكِبَارَةِ .. وَكَانَ يُقَالُ لَمَّا بَيْنَ شَوْقِ الْمَعَارِيجِ وَهَذَا الْكُومِ لَمَّا كَانَ سَاحِلُ الثَّيْلِ «الْقَالُوصَ» .
 قَالَ الْقَضَائِيُّ : رَأَيْتُ بِحُطٍّ جَمَاعَةً مِنَ الْخَلَاءِ «الْقَالُوصَ» بِالْفِ ، وَالَّذِي يُكْتَبُ فِي هَذَا الزَّمَانِ «الْقَالُوصَ» بِحَذْفِ الْأَلْفِ . فَأَمَّا الْقَالُوصُ بِحَذْفِ الْأَلْفِ فَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ وَالنَّعَامِ الشَّائِئَةِ ، وَجَمْعُهَا قُلُوصٌ وَقِلَاصٌ وَقِلَاصِرٌ . وَالْقَالُوصُ مِنَ الْخَبَائِرِ الْأَنْثَى الصَّغِيرَةِ ^٢ .

فَلَعَلَّ هَذَا الْمَكَانَ سُمِّيَ بِالْقَالُوصِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ الْجَمَلِ الَّذِي كَانَ عَلَى بَابِ الزُّهْمَانِ ، الَّذِي يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي عَجَائِبِ مِصْرٍ ^٣ . وَأَمَّا «الْقَالُوصُ» بِالْأَلْفِ فَهِيَ كَلِمَةٌ رُومِيَّةٌ ، وَمَعْنَاهَا بِالْعَرَبِيَّةِ «مَوْجِبًا يَلُكُ» ، وَلَعَلَّ الزُّومَ كَانُوا يُصَفِّقُونَ لِرَاكِبِ هَذَا الْجَمَلِ ، وَيَقُولُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى عَادَتِهِمْ ^٤ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُتَوَّجِ : وَالسَّاحِلُ الْقَدِيمُ أَوَّلُهُ مِنْ بَابِ مِصْرَ الْمَذْكُورِ - يَعْنِي الْمَجَاوِرَ لِلْكَبَارَةِ - وَإِلَى الْمَعَارِيجِ جَمِيعِهِ كَانَ بَحْرًا يَجْرِي فِيهِ مَاءُ الثَّيْلِ ، وَقِيلَ : إِنَّ شَوْقَ الْمَعَارِيجِ كَانَ مَوْزِدَةً شَوْقِ الشَّمَكِ ^٥ ، يَعْنِي مَا ذَكَرَهُ الْقَضَائِيُّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُعْرَفُ بِسَاحِلِ الْبُورِيِّ ثُمَّ عُرِفَ بِالْمَعَارِيجِ الْجَدِيدِ .
 قَالَ ابْنُ الْمُتَوَّجِ : وَنَقَلَ أَنَّ بُشْتَانَ الْجَوْفِ الْمُقَابِلَ لِبُشْتَانِ حَوْضِ ابْنِ كَيْسَانَ ^٦ كَانَ مَكَانَهُ بَحْرَ الثَّيْلِ وَأَنَّ الْجَوْفَ رِيبًا فِيهِ وَنَقَلَ أَنَّ بُشْتَانَ ابْنِ كَيْسَانَ ^٧ كَانَ صِنَاعَةً الْعِمَارَةِ . وَأَدْرَكْتُ أَنَا فِيهِ بَاتِيهَا ، وَرَأَيْتُ زُرِّيَّةً مِنْ رُكْنِ الْمَسْجِدِ الْمَجَاوِرِ لِلْحَوْضِ مِنْ غَرْبِهِ تَنْصِلُ إِلَى قُبَاةِ مَسْجِدِ الْعَادِلِ الَّذِي بِمَرَاةِ الدُّوَابِ الْآنَ .

قَالَ كَاتِبُهُ ^٨ : بُشْتَانُ الْجَوْفِ يُعْرَفُ بِذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ، وَهُوَ عَلَى تِمْتَةٍ مِنْ سَبَلِكِ إِلَى مِصْرَ مِنْ طَرِيقِ الْمَرَاةِ ، وَهُوَ جَارٍ فِي وَقْفِ الْخَائِنَاءِ ، الَّتِي تُعْرَفُ بِالْوَاصِلَةِ ، بَيْنَ الزُّقَاقِينِ . وَحَوْضُ ابْنِ كَيْسَانَ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِحَوْضِ الطَّوَّاشِيِّ تَجَاهَ غِيْطِ الْجَوْفِ الْمَذْكُورِ ، يُجَاوِرُهُ بُشْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ الَّذِي صَارَ صِنَاعَةً - وَقَدْ ذُكِرَ غَيْرُهُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عِنْدَ ذِكْرِ مَنَاظِرِ الْخُلَفَاءِ ^٩ - وَيُعْرَفُ بُشْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ ^{١٠} .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : مؤلفه رحمه الله .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٣ .

^٢ انظر الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٨١١ .

^٣ تقدم هذا الخبر عند ذكر عجائب مصر ١ : ٨٥ .

^٤ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٣٥ .

^٥ نفسه ٤ : ٧٧ .

^٦ فيما يلي ٥٧٠ .

اليوم بشتان الطواشي أيضًا، وبين بشتان الجرف وبشتان الطواشي هذا مراغة مصر المسلك فيها^(a) إلى الكبارة وباب مصر.

وقال ابن المتوج: ورأيت من نقل عن نقل عن رأى هذا القلوص يتصل إلى أدز الساجل القديم، وأنه شاهد ما عليه من العمائر المطلّة على بحر النيل من الرباع والدور المطلّة، ما عدا^(b) الأسطال التي كانت بالطافات المطلّة عليه^(c)، فكانت عدّتها ستة عشر ألف سطل مؤبّدة يتكرّ فيها أطناب تُرعى بها وتما^(d).^١ أخبرني بذلك من أثق بنقله، وقال: إنه أخبره من يثق به مُتصلاً بالمُشاهد له الموثوق به.

قال: وباب مصر الآن بين البشتان الذي قبلي الجامع الجديد - يعني بشتان الغالمة - وبين كوم المشايق - يعني كوم الكبارة -، ورأيت السور يتصل به إلى دار النحاس، وجميع ما بظاهرة شون.^{١٠}

ولم يزل هذا السور القديم، الذي هو قبلي بشتان الغالمة^٢، موجوداً أراه وأعرفه، إلى أن اشترى أرضه من باب مصر إلى موقف المكارية بالخشابين القديمة الأمير حسام الدين طونطاوي المتصوري، فأجّر مكانه للعائنة. وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطلب اللبن، وقلّع الأساس الحجر وبنى به، فزال السور المذكور، ثم حدّث الساجل الجديد.

قال كاتبه^(d): وهذا الباب الذي ذكره ابن المتوج، كان يُقال له باب الساجل. وأوّل حفر ساجل مصر في سنة ست وثلاثين وثلاث مائة، وذلك أنه جفّ النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر^(e) الجزيرة الذي هو فيما بين جزيرة مصر - التي تُدعى الآن بالزوّصة - وبين الجزيرة، وصار الناس يمشون هم والدواب إلى الجزيرة، فتحفّر الأستاذ كافر الإخشيدي - وهو يومئذ قائم بتدبير أمر الأمير أبي القاسم أولئوجور^(f) بن الإخشيد - خليجاً حتى اتّصل بخليج بني وإيل، ودخل الماء إلى ساجل مصر؛ وذلك^(g) أنه لما كان قبل سنة ست مائة، تقلّص الماء عن ساجل مصر القديم^(h)، وصار في زمن الاحتراق يقلّ حتى تصير الطريق إلى المقياس ييبس. فلما

(a) بولاق: منها. (b) بولاق: وعد. (c) بولاق: المطلّة على بحر النيل. (d) بولاق: مؤلفه رحمه الله. (e) أباصونيا: نحو. (f) في موضع هذه العبارة في بولاق: مقدم أمراء الدولة لأونوجور. (g) بولاق: ثم. (h) بولاق: القديمة.

^١ ابن دقماق: الاختصار ٤: ٧٧-٧٨؛ وفيما تقدم ١٢٥. ^٢ انظر عن بستان الغالمة فيما يلي ١٦٢.

كان في سنة ثمان وعشرين وست مائة ، خاف السلطان الملك الكامل / محمد بن العادل أي بكر بن أيوب من تباعد البحر عن القمران بمصر ، فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر إلى صناعة الثغر الفاضلية ، وعمل فيه بنفسه ، فوافق على القتل في ذلك الحجم الصغير ، واستوى في المساعدة الشوكة والأمير ، وقسط مكان الحفر على الدور التي^٩ بالقاهرة ومصر والروضة بالقياس^{١٠} . فاستمر القتل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر ، حتى صار الماء يُحيط بالقياس وجزيرة الروضة دائما بعد ما كان عند الزيادة يصير جذولا رقيقا في ذيل الروضة ، فإذا اتصل ببحر بولاق في شهر أيب كان ذلك من الأيام المشهودة بمصر .

فلما كانت أيام الملك الصالح ، وعمر قلعة الروضة ، أراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة ، فأنخذ في الاهتمام بذلك ، وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة في بر الجزيرة - نجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلي جزيرة الروضة - فانعكس الماء ، وعمل البحر من حيث ذ قليلا قليلا ، وتكاثف أولا فأولا وقطع كثيرا من بر مصر^{١١} من دار الملك إلى قريب المقس ، وقطع المنشأة الفاضلية .

قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد : وكان في الدولة الصالحية - يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب - زملة تمزج الناس فيها الدواب في زمن اختراق النيل وجفاف البحر الذي هو أماتها ، فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة ، وصار في كل سنة يحفر هذا البحر بجنده ونفسه ويطلع بعض زملة في هذه البقعة ، شرع خواص السلطان في العمارة على شاطئ هذا البحر^{١٢} . فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعززة ، وذكر ما وراء هذه الدور من بستان عالمة المصل عليه الجامع الجديد وغيره ، ثم قال : وإنما عرف بالعالمة لأنه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه عالمة ، فتمرت بجانبه منظره لها ، وكان الماء يدخل من النيل لباب المنطرة المذكورة ، فلما توفيت بقي البستان مدة في يد ورثتها ثم أخذ منهم^{١٣} .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : والمقياس . (c) العبارة في بولاق : وجعل البحر حيث يمر قليلا قليلا ، وتكاثر أولا فأولا في بر مصر .

وَذَكَرَ أَنَّ بَقْعَةَ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ كَانَتْ قَبْلَ عِمَارَتِهِ شَوْنًا لِلثُّبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ مَا يُجَاوِرُهَا . فَلَمَّا عَمَّرَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْجَامِعَ الْجَدِيدَ ، كَثُرَتْ الْقِمَائِرُ مِنْ حُدِّ مَوْزِدَةِ الْحَلْفَاءِ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ حَتَّى اتَّصَلَتْ بِدَيْرِ الطُّيْنِ ، وَغَمَّرَ أَيْضًا مَا وَرَاءَ الْجَامِعِ مِنْ حُدِّ بَابِ مِصْرَ - الَّذِي كَانَ بَحْرًا كَمَا تَقَدَّمَ - إِلَى حُدِّ قَنْطَرَةِ السُّدِّ^١ .

وَأَذَرْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى غَايَةِ الْعِمَارَةِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ مِنْذُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانٍ مِائَةٍ ، فَخَرِبَ خُطُّ بَيْنَ الرُّفَاقَيْنِ الْمُطَّلِّ مِنْ غَرْبِهِ عَلَى الْخَلِيجِ وَمِنْ شَرْقِيهِ عَلَى بُشْتَانِ الْجُزْفِ ، وَلَمْ يَبْقَ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ الدُّورِ . وَمَوْضِعُهُ - كَمَا تَقَدَّمَ - كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ غَايِرًا بِمَاءِ النَّيْلِ ، ثُمَّ رَئِيَ جُزْأً وَهُوَ بَيْنَ الرُّفَاقَيْنِ الْمَذْكُورِ ، فَعَمَّرَ عِمَارَةً كَبِيرَةً ، ثُمَّ خَرِبَ الْآنَ ، وَخَرِبَ أَيْضًا خُطُّ مَوْزِدَةِ الْحَلْفَاءِ ، وَكَانَ فِي الْقَدِيمِ غَايِرًا بِالمَاءِ .

١٠ فَلَمَّا رَئِيَ النَّيْلُ الْجُزْفَ الْمَذْكُورَ ، وَتَرُبَّتِ الْجَزِيرَةُ قُدَّامَ السَّاحِلِ الْقَدِيمِ - الَّذِي هُوَ الْآنَ الْكِبَارَةُ إِلَى الْمَعَارِيجِ - وَأَنْشَأَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْجَامِعَ الْجَدِيدَ ، عَمَّرَتْ مَوْزِدَةُ الْحَلْفَاءِ هَذِهِ ، وَاتَّصَلَتْ مِنْ بَحْرِهَا بِمُنْشَأَةِ الْمُهْرَانِيِّ ، وَمِنْ قِبَلِهَا بِالْأَمْلَاكِ الَّتِي تَمْتَدُّ مِنْ تَجَاهِ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ إِلَى دَيْرِ الطُّيْنِ ، وَصَارَتْ مَوْزِدَةً^٢ عَظِيمَةً تَقِفُ عِنْدَهَا الْمَرَاكِبُ بِالْغِلَالِ وَغَيْرِهَا ، وَيَتَلَوُّ مِنْهَا النَّاسُ الرُّوَايَا . وَكَانَ الْبَحْرُ لَا يَتَجَرَّحُ طُولَ السَّنَةِ هُنَاكَ ، ثُمَّ صَارَ يَنْشَفُ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ ، وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَخَرِبَ مَا خَلْفَ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ أَيْضًا مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَتْ بَحْرًا تَجَاهِ السَّاحِلِ الْقَدِيمِ ، ثُمَّ لَمَّا انْحَسَرَ الْمَاءُ صَارَتْ مَرَاغَةً لِلدُّوَابِّ ، فَغَرِقَتْ الْيَوْمَ بِـ «الْمَرَاغَةِ» ؛ وَهِيَ مِنْ آخِرِ قَنْطَرَةِ السُّدِّ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْكِبَارَةِ ، وَيَحْصُرُهَا مِنْ غَرْبِهَا بُشْتَانُ الْجُزْفِ - الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ - وَعِدَّةُ دُورٍ كَانَتْ بُشْتَانًا وَشَوْنًا إِلَى بَابِ مِصْرَ ، وَمِنْ شَرْقِهَا بُشْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ الَّذِي صَارَ صِنَاعَةً ، وَغَرِيفَ الْآنَ بِبُشْتَانِ الطُّوَاشِيِّ ، وَلَمْ يَبْقَ الْآنَ بِخُطِّ الْمَرَاغَةِ إِلَّا مَسَاكِينُ يَسِيرَةِ حَقِيرَةٍ^٣ .

(a) بولاق : موزدة الحلفاء .

76-171؛ محمد رمزي : شاطئ النيل تجاه مصر القديمة وما

طرا عليهما من التحولات من الفتح العربي لمصر إلى اليوم ، مجلة العلوم ٤/٣ (١٩٤٢) ، ٤٩٧-٥٢٣ وتعليقه على النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ٣٨٧:٧-٣٨٨ ، ٢٨٤:٨-٢٨٥ .

^١ انظر فيما يلي ٣٠٤:٢ .

^٢ عن الحد الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه الشرقي وطرنج البحر والجسار مجرى النيل راجع ، Haswell, C. J. R., «Cairo Origin and Development . Some Notes on the Influence of the River Nile and its Change», *BSRGE XI* (1923), pp.

ذكر المنشأة

اعلم أن تخليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمُر بطريق الحفراء القُصوى ، وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عِدَّة بُسَاتين من جملتها بُسْتَانٌ حُرِفَ بِبُسْتَانِ الحُشَاب ، ثم خَرِبَ هذا البُسْتَانُ ، وموضعه الآن يُعرف بالمَريس .

فلما كان بعد الخمس مائة من سني الهجرة ، انْحَسَرَ النُّيلُ عن أرضٍ فيما بين مِيدَانِ اللُّوقِ - الآتي ذكره في الأحكار ظاهر القاهرة إن شاء الله ^١ - وبين بُسْتَانِ الحُشَابِ المذكور ، فَعْرِفَتْ هذه الأرضُ بِمُنْشَأَةِ الفاضل ، لأنَّ القاضي الفاضل عبد الرَّحيم بن عليّ البُتْسانِي أنشأ بها بُسْتَانًا عَظِيمًا كان يَجْمَعُ أَهْلَ القاهرة من ثَمَارِهِ وَأَغْنَابِهِ ، وعُمَرُ بِجَانِبِهِ جَامِعًا ، وَبَنَى حَوْلَهُ ، فَقِيلَ لَتلك الحِطَّةُ مُنْشَأَةُ الفاضل . وَكَثُرَتْ بها العِمَارَةُ ، وأنشأ بها مُوَفَّقُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ المَهْدَوِي العُثماني الدِّيَاجِي ^٢ بُسْتَانًا دَفَعَ لَهُ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فِي الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ بِيَرْسٍ ^٣ ، وَكَانَ الصَّرُوفُ قَدْ بَلَغَ / كُلُّ دِينَارٍ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا وَنِصْفًا . فَاسْتَوَلَى الْبَحْرُ عَلَى بُسْتَانِ الْفَاضِلِ وَجَامِعِهِ ، وَعَلَى سَائِرِ مَا كَانَ بِمُنْشَأَةِ الْفَاضِلِ مِنَ الْبُسَاتِينَ وَالدُّورِ ، وَقُطِعَ ذَلِكَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لشيءٍ مِنْهُ أَثَرٌ . وَمَا بَرَخَ بَاغَةُ الْعَيْنَبِ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ تُنَادِي عَلَى الْعَيْنَبِ ، بَعْدَ خَرَابِ بُسْتَانِ الْفَاضِلِ هَذَا بِمُدَّةِ سَنِينَ عَدِيدَةٍ ^٤ : «رَحِمَ اللَّهُ الْفَاضِلَ يَا عَيْنَبُ» ، إِشَارَةً لِكثَرَةِ أَغْنَابِ بُسْتَانِ الْفَاضِلِ وَحُشْنِهَا ^٥ .

وكان أَكْلُ الْبَحْرِ لِمُنْشَأَةِ الْفَاضِلِ هذه بعد سنة ستين وست مائة ، وَكَانَ الْمُوَفَّقُ الدِّيَاجِي المذكور يتولَّى خَطَابَةَ جَامِعِ الْفَاضِلِ الَّذِي كَانَ بِالْمُنْشَأَةِ ، فَلَمَّا تَلَفَ الْجَامِعُ بِاسْتِيلَاءِ النَّيْلِ عَلَيْهِ ، سَأَلَ الصَّاحِبَ بَهَاءُ الدِّينِ بن جُنَّ ، وَأَلْعَ عَلَيْهِ - وَكَانَ مِنْ أَلْزَامِهِ - حَتَّى قَامَ فِي عِمَارَةِ الْجَامِعِ بِمُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي .

(a) بولاق : أيام الظاهر بيبرس . (b) بولاق : مدة ستين .

^١ فيما يلي ١١٧:٢ . وتوفي فجاء : وقع عن دابة بين القاهرة ومصر ففاضت نفسه

عشية الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٨٥هـ .

(المقريزي : المغنى الكبير ٤٤١:٥) .

^٢ فيما يلي ٢٩٨:٢ ومصدر هذا الخبر فيه ابن

المتوج .

^٣ موفق الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى

ابن أبي بكر ، الأموي العثماني الديباجي المعروف بابن

المهدي خطيب جامع منشأة المهراي خارج مدينة مصر .

مولده في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٦١٤هـ ،

و «مُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي» هذه مَوْضِعُهَا فيما بين النِّيلِ والخليج، وفيها من الحُمُرَاءِ الْقُصُورِ قُوَّةُ
الخليج انْحَسَرَ عنها ماءُ النِّيلِ قَدِيمًا، وَغُرِفَ مَوْضِعُهَا بِالْكُومِ الْأَحْمَرِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ يُغْتَمَلُ فِيهَا
أَقِيمَةُ الطُّوبِ . فَلَمَّا سَأَلَ الصَّاحِبُ تَهَاءَ الدِّينِ بْنِ حِثَّاءِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرسَ فِي عِمَارَةِ جَامِعِ بِهَذَا
الْمَكَانِ، لِيَقُومَ مَقَامَ الْجَامِعِ الَّذِي كَانَ بِمُنْشَأَةِ الْفَاضِلِ، أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَنْشَأَ الْجَامِعَ بِحُطِّ الْكُومِ
الْأَحْمَرِ كَمَا ذُكِرَ فِي خَبَرِهِ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَوَامِعِ^١. فَأَنْشَأَ هُنَاكَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الْمَهْرَانِي دَارًا
وَسَكَنَهَا، وَبَنَى مَسْجِدًا، فَغُرِفَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ بِهِ، وَقِيلَ لَهَا مُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي، فَإِنَّ الْمَهْرَانِي الْمَذْكُورَ
أَوَّلَ مَنْ ابْتَنَى فِيهَا بَعْدَ بِنَاءِ الْجَامِعِ.

وَتَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ بِمُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي، وَأَكْثَرُوا مِنَ الصَّمَائِرِ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِهَا فَوْقَ الْأَرْبَعِينَ
مِنْ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ، سَيَّوَى مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَأُمَاةِ الْكُتَّابِ وَأَعْيَانِ الْقَضَاةِ وَوُجُوهِ النَّاسِ،
وَلَمْ تَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى انْحَسَرَ الْمَاءُ عَنِ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ فَخَرِبَتْ، وَبِهَا الْآنَ بَقِيَّةُ سِيرَةِ مِنَ الدُّورِ.
وَيُتَّصَلُ بِحُطِّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ حُطُّ دَارِ الثُّحَاسِ، وَهُوَ مَطْلُ عَلَى النِّيلِ. «وَدَارُ الثُّحَاسِ» هَذِهِ
مِنَ الدُّورِ الْقَدِيمَةِ وَقَدْ دُفِنَتْ، وَصَارَ الْحُطُّ يُغْرَفُ بِهَا. قَالَ الْقَضَائِي: دَارُ الثُّحَاسِ اخْتِطَّتْهَا وَزْدَانُ
مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَكَتَبَ مَسَلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ - وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ - إِلَى مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا
دِيوَانًا، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى وَزْدَانٍ يَسْأَلُهُ فِيهَا، وَعَوَّضَهُ فِيهَا دَارَ وَزْدَانِ الَّتِي بِسُوقِهِ الْآنَ^٢.

وَقَالَ رُبَيْعَةُ: كَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ مِنْ خِطَّةِ الْحَجَرِ مِنَ الْأَزْدِ، فَاشْتَرَاهَا عَمْرِو بْنُ مَرْوَانَ وَبَنَاهَا،
فَكَانَتْ فِي يَدِ وَلَدِهِ، وَقُبِضَتْ عَنْهُمْ وَبِيعَتْ فِي الصَّوْافِي سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى
شُعُولِ الْإِخْشِيدِيِّ، فَبَنَاهَا قَيْسَارِيَّةً وَحَقَّامًا، فَصَارَتْ دَارُ الثُّحَاسِ قَيْسَارِيَّةً شَمُولَ.
وَقَالَ ابْنُ الْمُتَوَجِّعِ: دَارُ الثُّحَاسِ حُطُّ نَيْسَبَ لِدَارِ الثُّحَاسِ، وَهُوَ الْآنَ قُنْدُقُ الْأَشْرَافِ ذُو الْبَايِنِ:
أَخَذَهُمَا مِنْ رَحْبَةِ أَمَامِهِ، وَالثَّانِي شَارِعَ بِالسَّاحِلِ الْقَدِيمِ^٣.

وَبِأَخْرِ هَذِهِ الشُّقَّةِ الَّتِي تُطِلُّ عَلَى النِّيلِ «جِسْرُ الْأَقْرَمِ»، وَهُوَ فِي طَرَفِ مِصْرَ فِيمَا بَيْنَ
الْمَدْرَسَةِ الْمُبَرَّزَةِ وَبَيْنَ رِبَاطِ الْأَنْارِ^٤، كَانَ مُطْلًا عَلَى النِّيلِ^٥، وَالْآنَ يَتَحَيَّرُ الْمَاءُ عَنْهُ عِنْدَ هُبُوطِ

(a) بولاق: النيل دائما.

^١ فيما يلي ٢: ٢٩٨.

^٢ نفسه ٤: ٣٦.

^٣ فيما يلي ٢: ١٦٥.

^٤ ابن دقاق: الانتصار ٤: ٦.

النيل، وعُرف بالأمير عز الدين أهدم الأقرم الصالح التنجمي أمير جندار، وذلك أنه لما استأجر
بركة الشعيبية - كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب^١ - جعل منها قناتين من غريبها أذن
للناس في تحكيرها، فحُكِرَتْ وتبي عليها عدة دور بلغت الغاية في إيقان العمارَة .

وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاوون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا
الجسر، وتناهبوا في التائق^٥ وتفتنوا في بديع الزخرفة، وبالفوا في تحسين الزخام، وخرجوا عن
الحد في كثرة إنفاق الأموال العظيمة على ذلك، بحيث صار حط الجسر لخلاصة العاير من إقليم
مصر، وشكائه أزفة^٥ الناس عيشًا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة، ثم خرب هذا الجسر
بأسره وذهبت دورُه .

وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل، وقد أفردت^٥ لها خبزًا مستقلًا يحتوي على
فوائد كثيرة تضمنته هذا الكتاب، فانظره^٢. ويحصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة، وهو من
أطراف القطائع والعشكر، وبلي خط باب القرافة الفضاء الذي كان يُعرف بالعشكر، وقد تقدم
ذكره، وكان بأطراف العشكر مما يلي كوم الجراح .

الموقف

قال ابن وصيف شاه في أخبار الرئان بن الوليد، وهو فيزعون نبي الله يوسف - صلوات الله
عليه - : ودخل إلى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه إخوته وباعوه - وكانت قوافل
الشام تفرس بناحية الموقف اليوم - فأوقف الغلام وتودى عليه، وهو يوسف بن يعقوب بن
إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن - صلوات الله عليهم - فاشتراه أطفين العزيز^٣.

ويقال إن الذي أخرج يوسف من الحب مالك بن دغر بن حنجر بن مجزلة بن لحم بن عدي بن
الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب^٤ بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب^٤
ابن يثرب بن قحطان .

(٥) بولاق : وبنوا وتائقوا . (b) بولاق : أرق . (c) بولاق : أفردنا . (d-d) ساقط من بولاق .

^٣ فيما تقدم ١ : ٦٥٨ .

^١ فيما يلي ٢ : ١٩٨ .

^٢ فيما يلي ٢ : ٢٠٢ - ٢١٥ .

وقال القضاعي: الموقف كان قَصَاءً لأم عبد الله بنت^(a) مَسْلَمَةَ بن مَخْلَد، فتصدّقت به على المسلمين، فكان مَوْقِفًا تُبَاغ فيه الدواب، ثم مُلِكَ بعد^١. وقد ذكرته في الظاهر - يعني في يخطط أهل الظاهر - فإنَّ الموقف من جملة خطّه^(b) أهل الظاهر.

وقال ابن المتّوج: ثِقَّة خُطَّ الصِّفَا، هذا الخطّ دَثَرُ جميعه ولم يبق له أثر، وهو قِطْلِي القُشَطَاط أوله بجوار المَصْنَع. وخطّ الطُّحَانين / أَذْرَكْتُهُ كان صَفِيّ طواحين مُتلاصقة مُتصلة من دَرَب الصِّفَاء إلى كُوم الجَارِح، وَأَذْرَكْتُ به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عُذُول، وكان المارُّ بين هذين الصِّفَيْن لا يَسْمَع حديث رَفِيقه إذا حَدَّثَهُ لِقُوَّة دَوْرَان الطَّوَاحِين، وكان من جعلتها طاحونًا واحدًا فيه سبعة أُحْجَار؛ دَثَرُ جميع ذلك ولم يَبْقَ له أثر.

قال: وثِقَّة دَرَب الصِّفَا هو الدَّرَب الذي كان باب مصر، وقيل: لأنه كان بظاهره شوقُ يُوسُف - عليه السلام - وكان بابًا^(c) كبيرًا يَبْرُجَتَيْن^(d) يعلوهما عَقْدٌ كبير، وهو بِعَبْتَة كبيرة سُفْلَى من صَوَّان، وكان بجوار المَصْنَع الخَرَاب الموجود الآن، وكان حَوْل المَصْنَع عُمْدٌ رُخَام بدائره حَامِلَةٌ لَسَاباط^(e) يعلوه مَشْجِدٌ مُعَلَّقٌ؛ هُدِمَ ذلك جميعه في ولاية سَيِّف الدين المعروف بابن أسبَا^(f) سَلَار^٢، والي مصر في الدولة الظَّاهِرِيَّة^(g) يَبْرُز. وهذا الدَّرَب يُشَلِّكُ منه إلى دَرَب الصِّفَاء والطُّحَانين^٣.

قال كاتبه^(h): كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر، وبابها الآخر من ناحية السَّاحِل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكِبَارَة. وأنا أدركت آثارَ دَرَب⁽ⁱ⁾ الصِّفَا المذكور والمَصْنَع الخَرَاب، وكان يُصَبُّ فيه الماء للَسِيل، وهو قَرِيب من كُوم الجَارِح. وسيأتي ذِكْر كُوم الجَارِح في ذِكْر الكِيْمَان من هذا الكتاب إن شاء الله^٤.

(a) بولاق: بن. (b) بولاق: خطط. (c-c) بولاق: بابا بمصرعين. (d) بولاق: الساباط. (e) ساقطة من بولاق. (f) بولاق: دولة الظاهر. (g) بولاق: مؤلفه رحمه الله. (h) بولاق: باب.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٤. الفخري: .

^٢ حاشية بخط المؤلف: «الأمير سيف الدين أبو بكر

ابن أسباسلار متولى مصر مات يوم الأحد صابع عشرين ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومئة، فولّى الملك المنصور قلاوون ولاية مصر بعده الأمير علاء الدين أيك

^٣ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٢٨.

^٤ أحال القريري في مواضع كثيرة إلى فضلي خاص عن الكيمان، ولكنه لا يوجد فيما وصل إلينا من الكتاب.

وأما الذي يلي كوم الجارح إلى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فإنها الحيط القديمة . وأدركتها عاصمة لا سيما حط النحالين وحط زقاق القناديل وحط المصاصة ، وقد خرب جميع ذلك ، وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبع مائة .

وأما الجهة القبليّة من مصر ، فإن حط دّير الطين حَدَّتْ العِمَارَة فيه بعد سنة ست مائة ، لما أنشأ الصّاحِبُ فَخْرُ الدّين محمد بن الصّاحِبِ بهاء الدّين عليّ بن حنّا الجامع هناك ، وعَمَّرَ النَّاسُ في جِسر الأفرم ، وكان قبل ذلك آخر عِمَارَة مَدِينَة مصر دَارُ الْمَلِكِ الذي^٩ موضعها الآن بجوار المَدْرَسَة الْمُعَرِّفَة .

وأما مَوْضِعُ الْجَسْرِ فَإِنَّه كَانَ بِرُكَّة مَاء تَقْصِلُ بِحْطَة^{١٠} رَاشِدَة حيث جَامِع رَاشِدَة ، ومن قَبْلِي هَذِهِ الْبِرْكَة الْبُشْتَانِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِبُشْتَانِ الْأَمِيرِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعَزِّ ، وَيُعْرَفُ الْآنَ^{١١} بِالْمَقْشُوقِ ، وَهُوَ وَقَفَ عَلَى رِبَاطِ الْآثَارِ : وَيُجَاوِرُ الْمَقْشُوقُ بِرْكَة الْحَبَشِ ، وَمَا بَيْنَ حُطِّ دَيْرِ الطِّينِ وَآخِرِ عَرْضِ مِصْرَ مِنْ الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ طَرَفُ حِطَّة^{١٢} رَاشِدَة .

وأما الْجِهَة الْبَحْرِيَّة مِنْ مِصْرَ ، فَإِنَّهُ يَتَّصِلُ بِحُطِّ الشَّيْبِ سِقَايَاتِ الدُّورِ الْمُطْلَّة عَلَى الْبِرْكَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بِرْكَة قَازُون ، وَهِيَ الَّتِي تُجَاوِرُ الْآنَ حَدْرَة ابْنِ قَمِيحَة ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْحَمْرَاءِ الْقُصُوءِ ، وَيَقْبَلِي الْبِرْكَة الْمَذْكُورَة الْكُومُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَشْرَى ، وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْقَشْكَرِ ، وَسِيرِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْكَيْمَانِ^{١٣} . وَيُجَاوِرُ الْبِرْكَة الْمَذْكُورَة حُطُّ الْكَبْشِ - وَقَدْ ذُكِرَ فِي الْجِبَالِ ، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ خَبْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَخْطَاطِ^{١٤} - وَهِيَ حُطُّ الْكَبْشِ حُطُّ الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ ، وَهِيَ حُطُّ الْجَامِعِ الْقُبَيْبِيَّاتِ وَحُطُّ الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ ؛ وَجَمِيعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ مِنْ جَمَلَةِ الْقَطَائِعِ .

(a) بولاق : التي . (b) بولاق : بخط . (c) بولاق : اليوم . (d) بولاق : خط .

ذِكْرُ أَبْوَابِ مَدِينَةِ مِصْرَ

وكان لِقُشَطَاطِ مِصْرَ أَبْوَابٌ فِي الْقَدِيمِ خَرِبَتْ وَتَجَدَّدَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَبْوَابٌ أُخَرُ :

بَابُ الصُّفَا

هذا البابُ كان هو في الحقيقة بابَ مَدِينَةِ مِصْرَ وهو في شماليها^١، ومنه تخرج القساكِرُ وتُغْبَرُ القوافِلُ ، وموضعه الآن بالقُرْبِ من كُومِ الجارِيحِ ، وهُدِيمٌ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبُوسَ^٢ .

بَابُ السَّاحِلِ

كان يُفَضِّي بِسَالِكِهِ إِلَى سَاحِلِ النَّيْلِ الْقَدِيمِ ، وموضِعُهُ قَرِيبٌ مِنَ الْكِبَارَةِ^٣ .

بَابُ مِصْرَ

هذا البابُ هو الذي بناه قَرَأْقُوشُ ، ومنه يَمُشُّكَ الْآنَ مَنْ دَخَلَ إِلَى مَدِينَةِ مِصْرَ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي تُغْرَفُ بِالْمَرَاغَةِ ، وهو مُجَاوِزٌ لِلْكُومِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ كُومُ الْمَشَانِيْقِ وَيُغْرَفُ الْيَوْمَ بِالْكَبَارَةِ . وكان موضِعُ هذا البابِ غَايِرًا بِمَاءِ النَّيْلِ ؛ فَلَمَّا انْحَسَرَ الْمَاءُ عَنْ سَاحِلِ مِصْرَ ، صَارَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ

(e) بولاق : وهي في كمالها .

^١ يرى كازانوفاً أَنَّ مَكَانَ بَابِ الصُّفَا مَوْضِعَ الْبَابِ الْوَاقِعِ قَبْلَ تَقْلَعِ اتِّصَالِ سُورِ صِلَاحِ الدِّينِ بِمَجْرَى الصَّيْوْنِ ، وَعَلَيْهِ كِتَابَةُ تَارِيخِيَّةٍ تَرْجِعُ إِلَى عَهْدِ السُّلْطَانِ الْأَشْرَفِ قَائِبِيَّيْ نَصَبًا : وَأَمْرُ بِنَائِهِ هَذَا الْبَابِ الْمُبَارَكُ مَوْلَانَا وَمَالِكُ رِقَابِنَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ أَبُو النُّصْرِ قَائِبِيَّيْ عَزَّ نَصْرُهُ ، فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ... وَثَمَانِينَ وَثَمَان مِائَةً . حَيْثُ أَمَرَ الْأَشْرَفُ قَائِبِيَّيْ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْبَابِ فِي مَوْضِعِهِ الْقَدِيمِ بَعْدَ بِنَاءِ مَجْرَى الصَّيْوْنِ ، وَكَانَ يَوْجَدُ بِجَوَارِ هَذَا الْبَابِ سَبِيلٌ أَقَامَهُ أَيْضًا

^٢ كانت الكِبَارَةُ أَوْ كُومُ الْمَشَانِيْقِ تَقَعُ عِنْدَ بَدَايَةِ طَرِيقِ الْمَرَاغَةِ الَّتِي تَكُونُ بَعْدَ انْحِسَارِ مِائَةِ النَّيْلِ خَلْفَ قُصْرِ الشَّمْعِ الْحَالِي .

السُّلْطَانِ قَائِبِيَّيْ وَلَكِنَّهُ أَزِيلُ عِنْدَ إِعَادَةِ تَخْطِيطِ هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ . وَكَانَ يَنْتَهِي عِنْدَ بَابِ الصُّفَا ، دَرَبُ الصُّفَا الَّذِي كَانَ امْتِدَادًا لِلشَّارِعِ الْأَعْظَمِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ بَابِ زُوَيْلَةِ . (Casanova, P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, pp. 545-47 .)

بالمراغة والموضيع المعروف بغيط الجوف إلى مؤزدة الحلفاء، فضاء لا يصل إليه ماء النيل ألبته^١.

فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يُدِيرَ سُورًا يَجْمَعُ فِيهِ الْقَاهِرَةُ وَمِصْرُ وَقَلْعَةُ الْجَبَلِ، فزاد في سور القاهرة، على يد قراقوش، من باب القنطرة إلى باب الشرية وإلى باب البحر؛ يُريد أن يمتد السور من باب البحر إلى الكوم الأحمر - الذي هو اليوم حافة خليج مصر تجاه حطّ بين الزقازيق - ليصله أيضًا من الكوم الأحمر إلى باب مصر هذا، فلم يتهبأ له ذلك^(أ)، وانقطع السور عند جامع المقس. وزاد في سور القاهرة أيضًا من باب النصر إلى قلعة (ب) الجبل فلم يكمل له، ومدّ السور من قلعة الجبل إلى باب القنطرة خارج^(ب) مصر، فصار هذا الباب غير متصل بالسور^٢.

باب القنطرة

هذا الباب في قبلي مدينة مصر، عُرف بقنطرة بني وإيل التي كانت هناك، وهو أيضًا من بناء قراقوش^٣.

(أ) بولاق : هذا . (b-b) ساقط من آياصوفيا .

اليوم، يرى كازانوفًا أنها ليست سوى الكتابة التاريخية الخاصة
بباب مصر (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 547-49).

^٢ فيما يلي ٢٦٤ - ٢٦٥.

^٣ كان باب القنطرة يقع عند نقطة التقاء السور الغربي
بالسور الجنوبي (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 549-51).

^١ كان باب مصر على مقربة من قصر الشمع، وقد
استفاد قراقوش من برج قصر الشمع ليقم بينهما بآثار
فالجدار الذي يصل بين هذين البرجين استخدم في بنائه
الأحجار الضخمة، وهي طريقة مخالفة تمامًا لطريقة بناء
البرجين وتذكرنا بالطريقة التي بنى بها قراقوش أسوار القاهرة .
وكانت توجد وسط هذا الجدار مكان كتابة تاريخية فُقدت

/ ذِكْرُ قَاهِرَةِ الْمُعِزِّ (a)

اعْلَمْ أَنَّ «القَاهِرَةَ الْمُعِزِّيَّةَ» رَابِعُ مَوْضِعٍ انْتَقَلَ سَرِيْرُ السُّلْطَنَةِ إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فِي الدَّوْلَةِ
الإِسْلَامِيَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِمَارَةَ كَانَتْ بِمَدِيْنَةِ الْقُسْطَاطِ ، ثُمَّ صَارَ مَحَلُّهَا الْعَشْكَرُ خَارِجَ الْقُسْطَاطِ ،
فَلَمَّا عُمِّرَتِ الْقُطَايِغُ صَارَتْ دَارَ الْإِمَارَةِ إِلَى أَنْ خَرِبَتْ ؛ فَسَكَنَ الْأَمْرَاءُ بِالْعَشْكَرِ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَائِدُ
جَوْهَرُ بَسَاكِرِ مَوْلَاهُ الْإِمَامِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَبَنَى الْقَاهِرَةَ حِصْنًا وَمَغْفِلًا بَيْنَ يَدَيِ الْمَدِيْنَةِ ،
وَصَارَتْ الْقَاهِرَةُ دَارَ خِلَافَةِ يَنْزِلِهَا الْخَلِيفَةُ بِحَرَمِهِ وَخَوَاصِّهِ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ؛
فَسَكَنَهَا مِنْ بَعْدِهِمُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْشَعَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَابْنُهُ الْمَلِكُ الْقَزِيْرُ عُثْمَانُ ، وَابْنُهُ
الْمَلِكُ الْمُتَّصِرُ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، وَابْنُهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدٌ وَانْتَقَلَ
مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى قَلْعَةِ الْجُبَيْلِ ، فَسَكَنَهَا بِحَرَمِهِ وَخَوَاصِّهِ ، وَسَكَنَهَا الْمُلُوكُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا .

فَصَارَتْ الْقَاهِرَةُ مَدِيْنَةً سُكْنَى ، بَعْدَ مَا كَانَتْ حِصْنًا يُعْتَقَلُ بِهِ وَدَارَ خِلَافَةٍ يُلْتَجَأُ إِلَيْهَا ، فَهَانَتْ
بَعْدَ الْعِزِّ ، وَابْتَدَلَتْ بَعْدَ الْإِحْتِرَامِ . وَهَذَا شَأْنُ الْمُلُوكِ ، مَا زَالُوا يَطْمَسُونَ آثَارَ مَنْ قَبْلَهُمْ وَيُمِيتُونَ
ذِكْرَ أَعْدَائِهِمْ ، فَقَدْ هَدَمُوا بِذَلِكَ الْعَتَبَ أَكْثَرَ الْمُدُنِ وَالْحُصُونِ ، وَكَذَلِكَ كَانُوا أَيَّامَ الْعَجَمِ وَفِي
جَاهِلِيَةِ الْعَرَبِ ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ هَدَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ صَوْمَعَةَ عُثْمَانَ وَهَدَمَ
الْأُطْلَامَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمَدِيْنَةِ ، وَقَدْ هَدَمَ زَيْدُ كُلِّ قَصْرِ وَمَصْنَعٍ كَانَ لِابْنِ عَامِرٍ ، وَقَدْ هَدَمَ بَنُو الْعَبَّاسِ
مُدُنَ الشَّامِ لِبَنِي مُرْوَانَ .

[الكمال]

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِقَاعَ وَجَدْتَهَا تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَشْعَدُ

وَسَيَاتِي مِنْ أَخْبَارِ الْقَاهِرَةِ وَالْكَلَامِ عَلَى خِطَطِهَا وَأَثَارِهَا ، مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ قُدْرَتِي وَيَصِلُ إِلَى
مَعْرِفَتِهِ عِلْمِي ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بساة القاهرة^١

اعلم أن القوم كانوا يتتبعون^(a) إلى الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام^(b). والثالث فريقان في أمرهم: فريق يثبت صحة ذلك، وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله ﷺ، ويؤمن أنهم أذعياء من ولد ذيصان الثنوي^(c) الذي ينسب إليه الثنوية^(d)، وأن ذيصان كان له ابن اسمه ميمون القذاح كان له مذهب في الغلو، فولد ميمون عبد الله، وكان^(e) عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وأنه رتب سبع دعووات يندرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها، ويصير مقلداً لإباحيا لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ويرى أنه وأهل بيته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة؛ وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعاً، وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأنه كان من الأهواز، فاشتهر بالعلم والتشيع، وصار له

(a) بولاق: ينسبون. (b) بولاق: رضي الله عنهما. (c) بولاق: البوني. (d) بولاق: البيوت. (e) بولاق: وكان عبد الله.

١٠٨، وانظر المقرئ: انماط الخلفاء ١: ٢٢-٣٤.

وحدد المقرئ في «الانماط» المصدر الذي استمد منه هذه المعلومات، فذكر أنه وجدها أولاً في مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الفاطميين تأليف الشريف أبي الحسين محمد بن علي بن الحسين المعروف بأخي مغيث، وأضاف أنه كتاب مفيد. ثم وجد بعد ذلك في كتاب «الفهرست» لابن النديم هنا الكلام بتنه منسوباً إلى أبي عبد الله بن رزام وأنه ذكره في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية، وأورده في «الانماط» اعتماداً على ابن النديم (انماط ١: ٢٢-٢٣) وهو في الفهرست بين صفحتي ٢٣٨-٢٤٠؛ وقد أعاد المقرئ ذكر ذلك فيما يلي ٣١٧-٣١٨ تحت عنوان: ابتداء هذه الدعوة، وانظر كذلك النوري: نهاية الأرب ١: ١٨٩-٢٢٣، ٢٣٥-٢٤١، ٢٤٦-٣١١؛ وابن أبيك: كنز الدرر ٦: ٦٠-٢١ اللذين أوردا رواية أخي مغيثين.

^١ راجع حول مناقشة نسب الفاطميين وما قيل فيه

والاختلاف حوله Ivanow, W., *Ismaili Tradition concerning the Rise of the Fatimids*, London 1942; id., *El² art. Isma'iliya* Suppl. pp. 105-109; id., *The Alleged Founder of Isma'ilism*, Bombay 1947; Lewis, B., *The Origins of Isma'ilism: A Study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate*, Cambridge 1940 العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب، القاهرة ١٩٤٧؛ Madlung, W., *El² art. Isma'iliyya* IV, ١٩٤٧ pp. 206-15; Daftary, F., *The Isma'ili their History and Doctrines*, Cambridge 1990, 95 محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية - تاريخها، نظمها، عقائدها، القاهرة ١٩٥٩؛ المهدي عبد الله: في نسب الخلفاء الفاطميين، تقديم حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة - الجامعة الأمريكية ١٩٥٨؛ أمين فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد، ١٩٠٠-

دُعَاةً ، وَقَصِدَ بِالْمَكْرُوه ، فَفَرَّ إِلَى الْبَصْرَةِ فَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى سَلَمِيَّةٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ^١ ،
فُوِلِدَ لَهُ بِهَا ابْنٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَمَاتَ ^٢ .

فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَحْمَدُ ، وَبَقِيَ بِالْحُسَيْنِ الْأَفْوَازِيِّ دَاعِيَةً إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَقِيَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَشْعَثِ -
الْمَعْرُوفَ بِقَوْمَطَ - فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَدَعَاهُ إِلَى مَذَهَبِهِ فَأَجَابَهُ ، وَقَامَ هُنَاكَ بِالْأَمْرِ . وَإِلَى قَوْمَطَ هَذَا
تُنَسَّبُ الْقَرَامِطَةُ ^٣ .

وَوُلِدَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ الْحُسَيْنِيِّ وَمُحَمَّدَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي الشَّلْفَلَعِ . فَلَمَّا مَاتَ
أَحْمَدُ تَخَلَّفَهُ ابْنُهُ الْحُسَيْنُ فِي الدَّعْوَةِ حَتَّى مَاتَ ، فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ أَبُو الشَّلْفَلَعِ . وَكَانَ لِأَحْمَدَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَدٌ اسْمُهُ سَعِيدٌ فَصَارَ تَحْتَ جَنْجَرِ عَمِّهِ ، وَبَقِيَ أَبُو الشَّلْفَلَعِ بِدَاعِيَيْنِ إِلَى بِلَادِ ^٤
الْمَغْرِبِ ، وَهُمَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَتَزَلَّا فِي الْبَزِيرِ وَدَعَوْهَا ^٥ .

- ١٠ واشتهر سَعِيدٌ بِسَلَمِيَّةٍ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ ، وَكَثُرَ مَالُهُ فَطَلَبَهُ ^٦ الشُّلْطَانُ ، فَفَرَّ مِنْ سَلَمِيَّةٍ إِلَى مِصْرَ
يُرِيدُ الْمَغْرِبَ ؛ وَكَانَ عَلَى مِصْرَ عِيْسَى التَّوَشَّرِيُّ ، فَوَزَّذَ عَلَيْهِ كِتَابَ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَادَ ^٧ بِالْقَبْضِ
عَلَيْهِ فَقَاتَهُ ، وَصَارَ يَسْجُلُمَاسَةً فِي زِيِّ التَّجَارِ . فَبَعَثَ الْمُعْتَصِدُ مِنْ بَغْدَادَ فِي طَلَبِهِ ، فَأَجِدَّ وَحَبَسَ
حَتَّى أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشُّعَيْبِيُّ مِنْ مَحْبِسِهِ . فَتَسَمَّى جَنْجِيذَ بَغْيِيذِ اللَّهِ ^٨ ، وَتَكَنَّى بِأَبِي
مُحَمَّدَ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُهْدِيِّ ، وَصَارَ إِمَامًا عَلَوِيًّا مِنْ وَلَدِ مُحَمَّدَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، وَإِنَّمَا هُوَ
سَعِيدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ بْنِ دِيصَانَ الشُّوَيْ ^٩

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : فطالبه . (c) بولاق : ببغداد . (d) بولاق : البوني .

Midieval Ismaili History and Thought,
Cambridge 1996, pp. 21-73; id., *El* ² art.
Karmati III, pp. 687-92; Daftary, F., «A Major
Schism in the Early Isma'ili Movements», *SI* 77
(1993), pp. 123-39.

^٤ ابن النديم : الفهرست ٢٣٨ ، المقرئ : اتعاظ الحنفا

٢٥:١ - ٢٦ .

^٥ تذكر المصادر الشيعية اسم مؤسس الدولة الفاطمية
بشمال إفريقيا بصيغة التصغير (غنيذ الله) كنوع من التقليل
من شأنه ، بينما تذكره المصادر الإسماعيلية باسم «عبد الله» ،
وهكذا ورد اسمه على النقود المضروبة في عهده .

^١ عن مدينة سَلَمِيَّةٍ وأهميتها في تاريخ الحركة
الإسماعيلية راجع ، Halm, H., «Les Fatimides à
Salamya», *REI* LIV (1986), pp. 133-44; Daftary,
F., *El* ² art. *Salamiyya* VIII, pp. 952-55.

^٢ ابن النديم : الفهرست ٢٣٨ ، المقرئ : اتعاظ الحنفا
٢٥:١ - ٢٦ .

^٣ راجع عن القرامطة ، Stern, S. M., «Isma'ilis,
and Qarmatians», *L'élaboration de l'Islam*,
Presses Universitaires de France 1961, pp. 99-
108; Madelung, W., «The Fatimids and the
Qarmatis of Bahrain» in Daftary, F., (ed.),

الأهوازي، وأصله من المجوس؛ فهذا قول من ينكر نسبهم^١.

وبعض منكري نسبهم في العلوية يقول: إنَّ عبيد الله من اليهود، وإنَّ الحسين بن أحمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية، كان لها ابن من يهودي خداد مات وتركه لها، فزواجه الحسين وأدبه وعلمه، ثم مات عن غير ولد فعهد إلى ابن امرأته هذا، فكان هو عبيد الله المهدي^٢ وهذه أقوال إن أنصفت تبين لك أنها موضوعة، فإنَّ بني علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإغراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن / يهودي، فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف.

وأما جاء ذلك من قبل صفة خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين، فإنهم كانوا قد انصلت دولتهم نحوًا من مائتين وسبعين سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة. وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حيثئذ بتنفيذ الكافة عنهم بإساعة الطعن في نسبهم، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم، وأعجب به أولياؤهم وأتراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم مثرة العجز عن مقاومتهم، ودفعهم عما غلبوا عليه من بلاد^٣ مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد. وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين، وشهد بذلك من أغلام الناس جماعة، منهم الشريفان الرضوي والمروزي وأبو حايد الإسفراييني والقُدوري في عِدَّة وافر، عندما مجيئوا لذلك، في سنة اثنتين وأربع مائة، أيام القادر^٤.

وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع، لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد، وأهلها إنما هم شيعة بني العباس الطاعينون في هذا النسب، والمتطرون من بني علي بن أبي طالب، الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة. فنقل الإخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه،

(٤) بولاق: ديار.

المقريزي: اتماظ الحنفا ١: ٣١-٣٤، ٤٧-٤٩، أها

^١ المقريزي: اتماظ الحنفا ١: ٢٨.

^٢ عن هذا المختصر راجع، ابن الجوزي: المنتظم

الحامس: النجوم الزاهرة ٤: ٢٢٩.

٢٥٥: ٢-٢٥٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩: ٢٣٦.

وَرَوَوْهُ حَسْبَ مَا يُلْقَنُوهُ^(a) مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ . وَالْحَقُّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا ، وَكَفَّاكَ بِكِتَابِ الْمُعْتَصِدِ مِنْ خَلَائِفِ
بَنِي الْعَبَّاسِ حُجَّةً ، فَإِنَّهُ كَتَبَ فِي شَأْنِ عبيد الله إِلَى ابْنِ الْأَغْلَبِ بِالْقَيْرَوَانِ وَابْنِ مِثْرَارٍ بِسِجِلْمَاسَةَ
بِالْقَبْضِ عَلَى عُبيدِ اللَّهِ .

فَنَقُطَنَّ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَصِيحَةِ هَذَا الشَّاهِدِ ، فَإِنَّ الْمُعْتَصِدَ لَوْ لَا صِيحَةُ نَسَبِ عُبيدِ اللَّهِ عِنْدَهُ مَا
كَتَبَ لِمَنْ ذَكَرْنَا بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ . إِذِ الْقَوْمُ حِينَئِذٍ لَا يَدْعُونَ لِدَعْوِي الْأَيْثَةِ ، وَلَا يُذْعِنُونَ لَهُ بِوَجْهِهِ ، وَأَمَّا
يَتَقَادُونَ لِمَنْ كَانَ غَلَوِيًّا . فَخَافَ مِمَّا وَقَعَ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَدْعَاءِ لَمَا مَرَّ لَهُ بِفِكْرٍ ، وَلَا خَافَهُ
عَلَى ضَيْعَةِ مَنْ ضَيَاعَ الْأَرْضِ .

وَأَمَّا كَانَ الْقَوْمُ - أَعْنِي بَنِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - تَحْتَ تَرْقُبِ الْخَوْفِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَطَلْبِهِمْ لَهُمْ فِي كُلِّ
وَقْتٍ ، وَقَصْدِهِمْ لِيَاهِمَ دَائِمًا بِأَنْوَاعِ مِنَ الْعِقَابِ ، فَصَارُوا مَا بَيْنَ طَرِيدٍ شَرِيدٍ وَبَيْنَ خَائِفٍ يَتَرَقَّبُ . وَمَعَ ذَلِكَ
فَإِنَّ لَشِيعَتِهِمُ الْكَثِيرَةَ الْمُنْتَشِرَةَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فِيهِمْ مِنَ الْحَقِيقَةِ لَهُمُ الْإِقْبَالُ عَلَيْهِمْ ، مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ .
وَتَكَوَّنَ قِيَامُ الرِّجَالِ مِنْهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَالطَّلَبُ عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَلَاذُوا بِالْاخْتِفَاءِ وَلَمْ
يَكَادُوا يُغْرَفُونَ ، حَتَّى سُمِّيَ^(b) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامَ ، بَحْدَ عُبيدِ اللَّهِ الْمُهَدِّيِّ ، بِالْمَكْنُومِ ؛
سَمَّاهُ بِذَلِكَ الشَّيْئَةِ عِنْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى إِخْفَائِهِ حَذَرًا مِنَ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِمْ .

وَكَانَتِ الشَّيْئَةُ قَدْ صَارُوا^(c) فِرْقًا : فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ هُوَ
إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ، وَهَؤُلَاءِ يُغْرَفُونَ مِنْ بَيْنِ فِرْقِ الشَّيْئَةِ بِـ «الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ» مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِمَامَ مِنْ
بَعْدِ جَعْفَرِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ هُوَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمَكْنُومُ ، وَبَعْدَ
مُحَمَّدِ الْمَكْنُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الْمُصَدِّقِ^(d) وَمِنْ بَعْدِ جَعْفَرِ الْمُصَدِّقِ^(d) ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَبِيبِ . وَكَانُوا أَهْلَ غُلُوٍّ
فِي دَعَاوِهِمْ فِي هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ هَذَا يُؤَمِّلُ ظُهُورَهُ ، وَأَنَّهُ يَصِيرُ لَهُ دَوْلَةٌ .

وَكَانَ بِالْيَمَنِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ كَثِيرٌ بَعْدَ بَعْدَنَ وَبِإِفْرِيقِيَّةٍ وَفِي كُتَامَةٍ وَنَفَرَةٍ ، تَلَقُّوا ذَلِكَ مِنْ
عَهْدِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ . فَقَدِمَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَالِدِ عبيدِ اللَّهِ - رَجُلٌ مِنْ شِيعَتِهِ
بِالْيَمَنِ ، فَبَتَّتْ مَعَهُ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ حَوْشَبٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَمِائَتِينَ ، فَأَظْهَرَا أَمْرَهُمَا بِالْيَمَنِ ،
وَأَشْهَرَا الدَّعْوَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ ، وَصَارَ لِابْنِ حَوْشَبٍ دَوْلَةٌ بِصَنْعَاءَ⁽¹⁾ ، وَبَتَّتِ الدَّعَاةَ بِأَقْطَارِ

(a) بولاق : تلقوه . (b) بولاق : تسمى . (c) قد صاروا : ساقطة من بولاق . (d) بولاق : الصادق .

¹ عَنْ ابْنِ حَوْشَبٍ وَالدَّعْوَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِي الْيَمَنِ رَاجِعٌ ، الْقَاضِي النِّعْمَانُ : افْتِتَاحُ الدَّعْوَةِ ٣٢ - ٦٣ ، ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١

الأرض، وكان من جملة دُعائه أبو عبد الله الشيعي، فسَيَّرَه إلى المغرب فلقي كُتامة ودعاهم^١.
فلَمَّا ماتَ محمد بنُ جعفرَ عَهِدَ لابنه عبيد الله، فطَلَبَه المُكْتَفِي العَبَّاسِي، وكان يَسْكُنُ عَشْكَرَ
مُكْرَم، فسَارَ إلى الشَّام، ثم سَارَ إلى المغرب، فكان من أمره ما كان.
وكانت رِجَالُ هذه الدولة الذين قَامُوا ببلاد المغرب وديار مصر (a) عشر رجلاً. هذه
خُلَاصَةُ أخبارهم في أنسابهم، فَنُفِطْنُ وَلَا تَغْتَرُ بِزُخُوفِ القَوْلِ الذي لَفَّقُوهُ من الطُّغْنِ فيهم، والله
يَهْدِي من يَشَاءُ.

ذِكْرُ الخُلَفَاءِ الفاطميين

وكان ابتداءُ الدَّوْلَةِ الفاطمية^٢ أَنَّ أبا عبد الله الحُسَيْن بن أحمد بن محمد بن زَكْرِيَاءَ الشَّيعِي،
سَارَ إلى أبي القاسم الحُسَيْن بن فَرْج بن حَوْشَب الكوفي القَائِم ببلاد اليمن، وصَارَ من كبار
أصحابه وله عِلْمٌ وعنده دَهَاءٌ ومَكْتَرٌ^٣. فَوَرَدَ على ابن حَوْشَب من المغرب خَبَرٌ مَوْتِ الحَلَوَانِي
دَاعِيَةِ المغرب^(b) ورَفِيقه، فقال لأبي عبد الله الشَّيعِي: قد حَزَنَتْ الحَلَوَانِي وأبو سُفْيَان^(c) بلاد
المغرب وقد ماتا، وليس للبلاد إلَّا أنت فَإِنَّهَا مُوطَأَةٌ مُمَهَّدَةٌ.

فخَرَجَ أبو عَبيدِ اللَّهِ إلى مَكَّةَ، وَقَصَّدَ حُجَّاجَ كُتَامَةَ فَنَجَسَ قَرِيْبًا منهم، وسمعهم يتحدَّثون
بِقَضَائِلِ البَيْتِ فحدَّثهم في معناه، فمالوا إليه وسألوه أن يأذَنَ لهم في زيارته، فلَمَّا زاروه سألوه
عن مَقْصِدِهِ، فلم يُخْبِرهم وَأَوْهَمَهُمْ أَنَّهُ يُريدُ مصرَ، فسَرُّوا بِصُحْبَتِهِ وَرَحَلُوا وهو رَفِيقُهُمْ /

(a) بياض بالأصل. (b) بولاق: داعيه في المغرب. (c) بولاق: أبو يوسف.

^١ انظر فيما يلي ١٠٢-١٢.

^٢ في إطار مؤلفات المقرئ التي عرَّضَ فيها لتسلسل
أحداث تاريخ مصر الإسلامية، خصَّ المقرئ الفترة التي
أصبحت فيها مصر خلافةً مستقلةً تناوئ الخلافة العباسية،
وهي فترة الخلافة الفاطمية في مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-
١١٧١م)، بكتابه «تعاظ الحنَّاء بأخبار الأئمة الفاطميين
الخُلَفَاء».

= عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ٥٩-
١٧٨ حسين الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في
اليمن، القاهرة ١٩٥٥، ٢٩-١٤٨ أمين فؤاد سيد: تاريخ
المذاهب الدينية في بلاد اليمن، القاهرة ١٩٨٨، ٩١-١٩٦
Halm, H., «Die Sirat Ibn Hawshab: Ismailitische
Da'wa in Jemen und die Fatimiden», *Die Welt
des Orients* XII (1981), pp. 108-35; Madelung,
W., *El' art. Mansûr al-Yaman* VI, pp. 424-25

فشاهدوا من عبادته وزُهد ما زادهم رغبة فيه . هذا وهو يسألهم عن أحوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف جميع أمورهم .

فلما وصلوا مصر ، هم بمفارقتهم ، فقالوا : أي شيء تطلب من مصر ؟ فقال : أطلب التعليم بها ؛ فقالوا : إذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك ؛ وما زالوا به حتى سار معهم .

- فلما وصلوا بلادهم اقتصروا فيمن يضيئهم منهم ومن بقية أصحابهم ، وصلوا به أرض كنانة للنصف من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكادوا يحترقون عليه أيهم ينزل عنده ؛ فأتى أن ينزل عندهم ، وقال : أين يكون فجأ الأخياري ؟ ففجأوا لذلك إذ لم يكونوا ذكروه له قط ، فدلوه عليه . فسار إليه وقال : هذا فجأ الأخياري ، وما سمي إلا بكم . ولقد جاء في الآثار « للمهدي هجرة تنبؤ^١ » عن الأوطان تنصّره فيها الأخياري من أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم مشتق من الكتمان . وبخروجكم في هذا الفجأ سمي فجأ الأخياري^٢ .

فتسامعت به القبائل وأتوه ، فعظم أمره وهو لا يذكر اسم المهدي ألبتة .

فبلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقية ، فبعث يسأل عن خبره ، وكانت له معه قصص آلت إلى قيام أبي عبد الله ومحاربتة لمن خالفه ، فظفر بهم وصارت إليه أموالهم ، وغلب على مدائن ، وهزم جيوش ابن الأغلب ، وقتل كثيرا من أصحابه^٣ .

(a) ساقطة من بولاق .

Leiden-Brill 1995; Brett, M., *The Rise of the Fatimids. The World of The Mediterranean and the Middle East in the Tenth Century CE*, Leiden-Brill 2001.

^٢ راجع عن الدولة الأغلبية التي أسقطها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م دراسة محمد الطالبي الهامة Talbi, M., *L'Émirat Aghlabide 184-296/ 800-909. Histoire politique*, Paris 1966 (نقله إلى العربية المنجي الصيادي بعنوان : الدولة الأغلبية ١٨٤-٢٩٦ / ٨٠٠-٩٠٩ ، التاريخ السياسي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥ محمود إسماعيل : الأغلبية ، القاهرة ١٩٧٢ .

^١ المصدر الأصلي لهذا النص هو «رسالة افتتاح الدعوة» للقاظمي النعمان ٧٣ ، كما ورد عند ابن الأثير : الكامل ٣٣ : ٨ ابن خلدون : العرب ٤ : ٣٢ المقرري : اتعاظ الخلفاء ١ : ٥٥-٥٧ ، وفيما يلي ٢ : ١١ وانظر عن الفاطميين في شمال إفريقيا Talbi, M., *L'Émirat Aghlabide 184-296/ 800-909. Histoire politique*, Paris 1966, pp. 623-99; Dachraoui, F., *Le Califat fatimide au Maghreb 296-362/909-973; Histoire politique et institutions*, Tunis STD 1981; Halm, H., *The Empire of the Mahdi- The Rise of the Fatimids*, translated from the German by Michael Bonner,

فمات إبراهيم بن الأغلب، وولي زيادة الله بن الأغلب، وكان كثير اللهو، فقوي أمر أبي عبد الله، وانتشرت جنوده في البلاد، وصار يقول: «المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلي وأطاعني»، ويغري الناس بزيادة الله بن الأغلب ويعيه، وكانت أكثر خواص زيادة الله شيعه، فلم يكن يسوؤهم ظفر أبي عبد الله. وأكثر من ذكر كرامات المهدي والإرسال إلى أصحاب زيادة الله، إلى أن تمكن فبتت رجاله من كفاة إلى سلمية من أرض الشام، فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه - وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفي - فخرج من سلمية فارًا، ومعه ابنه أبو القاسم محمد^(a)، ومعهما أموالهما^(b) ومواليهما فأقاما بمصر مستترين.

فوردت على عيسى التوشري، أمير مصر، الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وجليته، وأنه يأخذ عليه الطرق^(c) ويقضه. فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والأغوان في طلبه. ويقال إن التوشري ظفر به، فناشده الله في أمره، فخلى عنه ووصله. فسار إلى طرابلس وقد سبق خبره إلى زيادة الله، فسار إلى قسنطينة^(d)، فقدم كتاب زيادة الله بن الأغلب إلى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يتركوه.

فرحل إلى سجنماسه وأقام بها، وقد أقيمت له المراصد بالطرقات، فتلطف باليتبع بين مزار صاحب سجنماسه وأهدى إليه، فكف عنه. ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله، فلم يجد بُدًا من أن قبض عليه وحبسه^(e).

واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة أبي عبد الله وتجهيزهم إليه، فعلبهم أبو عبد الله وغيم سائر ما معهم، وقتل أكثرهم، وبلغه ما كان من سجن عبيد الله، فكتب إليه يشره، فوصل إليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به إليه وهو يبيع اللحم. وما زال أبو عبد الله يضايق زيادة الله إلى أن فر إلى مصر، وقام من بعده إبراهيم بن الأغلب، فلم يتم له أمر.

وملك أبو عبد الله القيروان، ونزل برقاة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين، فأمر ونهى، وبث الغمال في الأعمال، وقتل من يخاف شوه، وأمر فنقش على السكة في أحد الوجهين «بَلَّغْتُ حُجَّةَ اللَّهِ»، وفي الآخر «تَفَرَّقُوا أَعْدَاءُ اللَّهِ»، ونقش على السلاج «عُدَّةٌ فِي سَبِيلِ

(a) في جميع النسخ: أبو القاسم نزار، وهو خلط بين ابن المهدي وبين أبي القاسم نزار بن المستنصر بالله. (b) بولاى: أملهما. (c) بولاى: الطريق. (d) بولاى: قسطنطينة. (e) بولاى: سجنه.

الله، ووسَّعَ الْخَيْلَ عَلَى أَخْضَادِهَا «الْمُلْكُ لِلَّهِ»، وَأَقَامَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ لَيْسَ الْخَيْشِ الدُّونَ وَتَنَاوُلِ الْقَلِيلِ الْغَلِيظِ مِنَ الطَّعَامِ^١.

فَلَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ سَارَ مِنْ رَقَادَةَ فِي مَجْبُوشٍ عَظِيمَةٍ اهْتَزَّ لَهَا الْمَغْرِبُ بِأَسْرِهِ، يُرِيدُ سِجْلَمَاسَةَ، فَحَازَ بِهِ الْيَتَمَ يَوْمًا كَامِلًا إِلَى اللَّيْلِ، ثُمَّ فَرَّ فِي خَاصَّتِهِ. فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْبَلَدِ، وَأَخْرَجَ عُيَيْدُ اللَّهِ وَابْنَهُ، وَمَشَى فِي رِكَابِهِمَا بِجَمِيعِ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَهُوَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: «هَذَا مُؤَلَّاهُكُمْ»، وَهُوَ يَكْبِي مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، حَتَّى وَصَلَ بِهِمَا إِلَى قُسْطَاطِ حَضْرَتِهِ فِي الْعَشِكْرِ فَأَنْزَلَهُمَا فِيهِ، وَبَعَثَ الْخَيْلَ فِي طَلَبِ الْيَتَمِ، فَأَدْرَكَتْهُ وَجَاءَتْ بِهِ فَقَتَلَتْهُ^٢.

وَأَقَامَ عُيَيْدُ اللَّهِ بِسِجْلَمَاسَةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ سَارَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ، وَنَزَلَ بِرَقَادَةَ، وَأَمَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْ يُذَكَّرَ فِي الْخُطْبَةِ، وَتَلَقَّبَ بِـ «الْمَهْدِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»^٣. فَدُعِيَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ بِذَلِكَ، وَجَلَسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ الدُّعَاءِ، وَدَعَا النَّاسَ كَافَّةً إِلَى مَذْهَبِهِمْ، فَمِنْ أَجَابَ قُبُلَ مِنْهُ، وَمِنْ أَبِي قُتَيْلٍ. وَعَرَضَ جَوَارِي زِيَادَةَ اللَّهِ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَفَرَّقَ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ كُفَاتَةٍ، وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَ إِفْرِيقِيَّةٍ، وَدَوْنَ الدَّوَاوِينِ، وَبِحَسْبِ الْأَمْوَالِ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ^٤. فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَنَافَسَ الْمَهْدِي، وَحَسَدَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَفَّ يَدَهُ وَبَدَأَ أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَعَظَّمَ عَلَيْهِ الْقِطَامَ عَنِ الْأَمْرِ وَالتَّهْنِي وَالْأَخْذِ وَالْعِطَاءِ. وَأَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ يُزْرِي عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي مَجْلِسِ أَخِيهِ، وَيُؤْتَبُ أَخَاهُ عَلَى مَا فَعَلَ حَتَّى أَثَّرَ فِي نَفْسِهِ، فَسَأَلَ الْمَهْدِي أَنْ يَجْلِسَ فِي الْقَصْرِ وَيُفَوِّضَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ^٥. وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الْمَهْدِي مَا يَجْهَرُ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ / مِنَ الشَّوْءِ فِي حَقِّهِ، فَرَدُّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَدًّا لَطِيفًا، وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ.

(٥) يولات: أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ وَيَجْلِسَ فِي الْقَصْرِ.

الكبير ٥٢٣:٤ - ٥٧٠، اتعاظ الحنفا ١: ٦٠-٦٣ حسن

إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدي مؤسس

الدولة الفاطمية في المغرب، القاهرة ١٩٤٨، Dachraoui, F., *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis 1981; id., *El' art. al-Mahdi ' Ubayd Allâh* V, pp. 1233-

34.

^٤ المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ٦٥-٦٦.

^١ المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ٦٠-٦٤.

^٢ فيما يلي ١١:٢.

^٣ المهدي عبيد الله (عبد الله) أول الأئمة الفاطميين الظاهرين ومؤسس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا، راجع أخباره عند، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة ٢٣١-

١٢٧٦ ابن طاهر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة ٦-١٣، التويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٠٠-١١٥ المقرئزي: المقفى

وأكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدمين بالمهدي، وقال: ما هذا بالذي كنا نعتقد طاعته وتذعروا إليه؛ لأن المهدي يأتي بالآيات الباهرة. فقال إليه جماعة، وواجه بعضهم المهدي بذلك، وقال له: إن كنت المهدي فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك. فبعث ما بين المهدي وبين أبي عبد الله، وأوجس كل منهما في نفسه خيفة من الآخر، وأخذ أبو العباس يُدبّر في قتل المهدي، والمهدي يجلّ ما كان يُبْرِئُه، ثم ^(٨) إن المهدي لما ثقل عليه أمر أبي عبد الله وأخيه أبي العباس ^(٩) رتب رجالاً لقتلهم ^(١٠).

فلما ركب أبو عبد الله وأخوه إلى قصر المهدي ناز بهما الرجال، فقال أبو عبد الله: لا تفعلوا. فقالوا له: إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك. فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة. فثار فتنة بسبب قتلها، فركب المهدي حتى سكت، وتبع جماعة منهم فقتلهم ^(١١).

فلما استقام له الأمر، عهد إلى ابنه أبي القاسم، وتبع بني الأغلب فقتل منهم جماعة. وجهز في سنة إحدى وثلاث مائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر، فأخذ بركة والإشكندرية والفيوم، وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم عدة حروب، وعاد إلى المغرب ^(١٢).

فجهز المهدي في سنة اثنين وثلاث مائة مائة مائة بجيوش إلى مصر، فغلب على الإشكندرية، وكان من أمره ما تقدم ذكره ^(١٣).

وكان للمهدي ببلاد المغرب عدة حروب. وكان يوجد في الكتب خروج أبي يزيد التكري على دولته. فبني «المهديّة»، وأدار عليها سوراً جعل فيه أبواباً زينة كل مضراع منها مائة قنطار من حديد، وكان ابتداء بنائها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاث مائة، وبني المصلى بظاهرها وقال: إلى هنا يصل صاحب الحمار - يعني أبا يزيد - فكان كذلك. وأنشأ صناعاً فيها تسع مائة شيني ^(١٤)، وقال: «إنما

a-a) ساقطة من بولاق. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الغرب. (d) بولاق: شونة.

^١ المقرئ: اتعاط الحنفا ١: ٦٧-٦٨. ^٢ H., *The Empire of the Mahdi*, pp. 186-196; Halm, 969.

^٣ عن محاولات الفاطميين المتكررة لفتح مصر راجع، Lev, Y., «The Fadimid and Egypt 301-358/ 914-
^٤ المقرئ: اتعاط الحنفا ١: ٦٨-٦٩ وفيما تقدم ١١٦.

بَنِيَتْ هذه لتَقْتَصِمَ القَوَائِمُ بها سَاعَةً من نهار^١، فكان كذلك^١.

ثم إنه جَهَّزَ ابنه أبا القاسم في سنة ست وثلاث مائة على جيش إلى مصر، فَأَخَذَ الإسكَنْدَرِيَّةَ، وملك جزيرة الأَشْمُونِيْنَ وكَثِيرًا من صَعِيدِ مصر، وكانت له^٢ هناك حروبٌ مع عَسَاكِرِ مصر والعِراقِ، ثم عادَ إلى المغرب.

٥. وَخَرَجَ أَبُو القاسم في سنة خمس عشرة بالجُيُوشِ إلى المغرب، فحَارَبَ قَوْمًا وعاد. فماتَ عبيدُ الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة، بالمَهْدِيَّةِ من القَيْرَوَانِ عن ثلاث وستين سنة. فكانت خلافتُه أَرْبَعًا وعشرين سنةً وشهرًا وعشرين يومًا، ولمَّا ماتَ أَخْفَى ابنُه مَوْتَهُ^٢.

- وَقَامَ من بعد عبيد الله المَهْدِي وَلِيُّ عَهْدِهِ «القَائِمُ بِأَمْرِ الله أَبُو القاسم محمد» - ويُقال كان اسمه بالمَشْرِيقِ عبد الرحمن، فَتَسَوَّى في بلاد المغرب بِمُحَمَّد - وَوُلِدَ^٣ بِسَلْيَمِيَّةٍ في المحَرَّمِ سنة ثمانين ومائتين^٣. فَلَمَّا قَرَعَ من جميع ما يُرِيدُهُ وَتَمَكَّنَ، أظهر موتَ أبيه.

وَاسْتَقْبَلَ بالأمر وله سبعٌ وأربعون سنة، وَتَبَعَ سيرة أبيه، وَنَازَ عليه جماعةٌ فظفر بهم، وَبَثَّ جيوشَه في البَرِّ والبحر فسَبَّوْا وَغَنِمُوا من بلد جَنُودَ، وَبَعَثَ جيشًا إلى مصر، فمَلَكُوا الإسكَنْدَرِيَّةَ، والإخشيديد يومئذٍ أمير مصر.

١٥. فَلَمَّا كان في سنة ثلاثٍ وثلاثين وثلاث مائة، خَرَجَ عليه أَبُو يَزِيدَ مُحَمَّدُ بن كَيْتَادِ النُّكَّارِي الحَارِجِي بِإفريقيَّةٍ، واشتدَّتْ شوكتُه، وَكَثُرَتْ أتبَاعُه، وَهَزَمَ جيوشُ القَائِمِ غيرَ مَرَّةٍ، وَكان مذهبه تَكْفِيرُ أَهْلِ المِلَّةِ وإِراقة دِمَائِهِم دِهَانًا، فمَلَكَ باجعةً وحرقَهَا، وَقَتَلَ الأَطْفَالَ وَسَبَّى النِّسْوانَ، ثم

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق : وذلك.

^١ المقرئ: اتعاط الحنفا ٧٠:١-٧١، وعن المهديّة

انظر، Creswell, K. A. C., *MAE* I, pp. 1-10; Lézine, A., *Mahdiya-Recherches d'archéologie islamique*, Paris 1965; id., «Mahdiya: Quelques précisions sur la ville» des *premières Fatimides*, *REI* XXXV (1967), pp. 82-101; Golvin, L., «Mahdiya à la période fatimide» *ROMM* XXVII (1979), pp. 75-98; Talbi, M., *El*² art. *Mahdiyya* V, pp. 1236-38; Fu'ad Sayyid, A., *La*

^٢ نفسه ٧٢:١.

^٣ القائم بأمر الله الإمام الفاطمي الثاني راجع ترجمته عند، ابن طاهر: أخبار الدول المنقطعة ١٤-١٧ النويري: نهاية الأرب ٢٨:١١٥-١١٧ المقرئ: اتعاط الحنفا ٨٧-٧٤:١ *El*^٢ art. *al-Dachraoui*, F., *op.cit.*, id., *El*^٢ art. *al-Kā'im bi-amr Allāh* IV, pp. 478-80.

ملك القَيْرَوَان . فاضطرب القَائِم ، وخاف النَّاس ، وهَمُّوا بِالثَّقَلَة من زَوِيلَة ^١.

وقوي أمر أبي يزيد ، ونازل المَهْدِيَة وحَصَرَ القَائِم بها ، وكاد أن يَغْلِب عليها . فلَمَّا بَلَغَ المُصَلَّى حيث أشار المَهْدِي أَنَّهُ يَصِل ، هَزَمَهُ أَصْحَابُ القَائِم ، وقتلوا كَثِيرًا من أَصْحَابِهِ . وكانت له قِصَصٌ وأنباء ، إلى أن مات القَائِم لثلاث عشرة خَلَّت من شَوَّال سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ، ولم يرق مِئْتًا ، ولا رَكِبَ دَابَّةً لَصِيدَ مُدَّةً خِلَافَتِهِ حَتَّى مات ، وصَلَّى مَرَّةً على جَنَازَتِهِ ، وصَلَّى بِالنَّاسِ العِيدَ مَرَّةً واحدةً ^٢.

وكانت مُدَّةُ خِلَافَتِهِ اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وأيامًا ، وتَرَكَ أَبَا الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلَ وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَفْفَرًا وَحَفْزَةً وَغَدَنَانٍ وَجِدَّةً أُخَرَ .

وقام من بعده ، ابْنُهُ «الْمَنْصُورُ بَنَصْرَ اللَّهِ أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ» ^٣ ، وَكَتَمَ مَوْتَ أَبِيهِ خَوْفًا أَنْ يَغْلَمَ أَبُو يَزِيدُ فَإِنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَأَبْقَى الْأُمُورَ عَلَى حَالِهَا ، وَلَمْ يَتَسَمَّ بِالْخَلِيفَةِ ، وَلَا غَيَّرَ السُّكَّةَ وَلَا الْخَطْبَةَ وَلَا الْبَنُودَ ، وَجَدَّ فِي حَرْبِ أَبِي يَزِيدَ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ ، وَحُجِّلَ إِلَيْهِ ، فَمَاتَ مِنْ جِرَاحَاتٍ كانت به سَلَخَ الْحَرْمِ سنة سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ .

ولم يَزَلِ الْمَنْصُورُ إلى أن مات سَلَخَ شَوَّال سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة ، عن إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر . وكانت مُدَّةُ خِلَافَتِهِ ثَمَانِ سِنِينَ ، وَقِيلَ سَبْعَ سِنِينَ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ . وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ وَلَادَتِهِ : فَقِيلَ وُلِدَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة ثَلَاثٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بِالْمَهْدِيَّةِ ، وَقِيلَ

art. *Abū Yazīd al-Nukkārī* I, pp. 167-69; Dachraoui, F., *op.cit.*, pp. 165-82, 188-205; Halm, H., *op.cit.*, pp. 298-325; id., «Der Mann auf den Esel. Der Aufstand des Abu Yazid gegen die Fatimiden nach einem Augenzeugenbericht», *Die Welt des Orients* XV (1984), pp. 144-204.

^٢ المقرئ: اتمام الحنفا ١: ٨٦.

^٣ المنصور بنصر الله الإمام الفاطمي الثالث، راجع أخباره عند، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ١٨-٢٠ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١١٧-١١٩ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ١٣٣-١٤٠ عماد الدين إدريس: حيون الأخبار ٥: ٣٠٦-٣٤٧ تاريخ الفاطميين بالمغرب ٣٤٧-٤١٧ Le Tourneau, G., «La révolte d'Abu Yazid au X^e siècle», *CT* (1953), pp. 103-25; Stern, S.M., *El*²

^١ أبو يزيد متخذ بن كجداد الككاري المعروف بصاحب الحمار قاد ثورة ضد الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا واكتسب تأييد أهل السنة، والملكية على وجه الخصوص، وقضى على ثورته المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٨م (راجع عنه، القاضي النعمان: المجالس والمسارير، مواضع متفرقة: ابن الأثير: الكامل ٨: ٤٢٢-٤٤١ ابن علكان: وفيات الأعيان ١: ٢٣٥ ابن عساري: البهان المغرب ١: ٢١٦-٢٢٠، ٢٢٠، ٢٢٨ الصفدي: الوافي ٩: ٢٠٣ المقرئ: اتمام الحنفا ١: ٧٥-٨٦، المقفى الكبير ٢: ١٣٣-١٤٠ عماد الدين إدريس: حيون الأخبار ٥: ٣٠٦-٣٤٧ تاريخ الفاطميين بالمغرب ٣٤٧-٤١٧ Le Tourneau, G., «La révolte d'Abu Yazid au X^e siècle», *CT* (1953), pp. 103-25; Stern, S.M., *El*²

بل وُلِدَ في سنة اثنتين ، وقيل سنة إحدى وثلاث مائة . وكان حَظِيْبًا بَلِيغًا يَوْجِلُ الْخَطْبَةَ لَوْقَتِهِ ، مُجَاعًا عَاقِلًا^١ .

وَقَامَ من بعده ابْنُهُ «المُعِزُّ» لدين الله أَبُو تَحِيْمٍ مَعْدَهُ وعمره نحو أربع وعشرين سنة ، فَإِنَّهُ وُلِدَ للنصف من رَمَضَانَ سنة سبع / عشرة وثلاث مائة ، فانقاد إليه البزْزُ وأحسن إليهم ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ^٢ .

- واختص من مواليه بجَوْهَرٍ وَكَنَاهُ بِأَبِي الْحُسَيْنِ ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ ، وَصَيَّرَهُ في رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ ، وَعَقَدَ له على جَيْشٍ كَثِيفٍ فِيهِمُ الْأَمِيرُ زَيْرِي بن مُنَادِ الصُّنْهَاجِي ؛ فَدَوَّخَ الْمَغْرِبَ وَافْتَحَ مَدُنًا وَقَهَرَ عِدَّةَ أَكَابِرَ وَأَسْرَمَهُمْ ، حَتَّى أَتَى الْبَحْرَ الْحَمِيطَ فَأَمَرَ بِاصْطِيَادِ سَمَكَةٍ مِنْهُ ، وَسَيَّرَهَا فِي قُلَّةٍ مِنْ مَاءٍ إِلَى الْمُعِزِّ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مَلِكٌ حَتَّى سُكِّنَ الْبَحْرُ الْحَمِيطُ الَّذِي لَا عِمَارَةَ بَعْدَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ غَائِمًا مُظْلَفَرًا ، فَعَظُمَ قَدْرُهُ عِنْدَ الْمُعِزِّ^٣ .

- ١٠ ولَمَّا كَانَ في بعض الأيام ، اسْتَدْعَى الْمُعِزُّ في يَوْمٍ شَابَ عِدَّةٌ مِنْ شُيُوخِ كُنَانَةِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ في مَجْلِسٍ قَدْ قُرِشَ بِاللُّبُودِ ، وَحَوْلَهُ كِسَاءٌ وَعَلِيهِ حُجَّةٌ ، وَحَوْلَهُ أَبْوَابٌ مَفْتُحَةٌ تُفْضِي إِلَى خَزَائِنِ كُتُبٍ ، وَبِيْن يَدَيْهِ ذِوَاةٌ وَكُتُبٌ ، فَقَالَ :

«يَا إِخْوَانَنَا أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ في مثل هذا الشَّتَاءِ وَالْبَرْدِ ، فَقُلْتُ لَأُمُ الْأَمْرَاءِ - وَأَنَّهَا الْآنَ بَعِثْتُ تَسْمَعَ كَلَامِي - أَتَرَى إِخْوَانَنَا يَطْلُتُونَ أَنَا في مثل هذا الْيَوْمِ نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ ، وَنَتَقَلَّبُ في الْمَثْقَلِ وَالذِّبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَالْفَنَكِ وَالسَّمُورِ وَالْمِشْكِ وَالْخَفَرِ وَالْقَبَاءِ^٤ كَمَا يَفْعَلُ أَرْبَابُ الدُّنْيَا .

- ١٥ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ أَتْفَذَ إِلَيْكُمْ فَأَخْضَرْتُكُمْ لِنَشَاهِدُوا حَالِي إِذَا خَلَوْتُ دُونَكُمْ وَاخْتَجَبْتُ عَنْكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَفْضَلُكُمْ في أَحْوَالِكُمْ إِلَّا بِمَا لَا يَهْدُ لِي مِنْهُ مِنْ

(٤) في المغرب لابن سعيد واتعاظ الحنفا : الفناء .

١١٢ حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله مؤسس الدولة

الفاطمية في مصر ، القاهرة ١٩٦٤ *Et* ١٩٦٤ *Dachraoui, F., art. al-Mu'izz li Din Allah VII, 485-89.*

٣ انظر ترجمة جواهر الصُّفْلَبِي فيما يلي ٢٥٦-٢٦٠ .

١ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٨٨:١-٩٢ .

٢ المعز لدين الله الإمام الفاطمي الرابع والذي انتقلت في عهد الخلافة الفاطمية من شمال إفريقيا إلى مصر راجع أخباره عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٢١-٣٠ ، التومري : نهاية الأرب ١١٨:٢٨-١٥٣ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٩٣:١-٢٣٥ أبي الحسن : النجوم الزاهرة ٦٩:٤-

دُنياكم ، وبما خصّني الله به من إمامتكم ، وإني مشغول بكُتُب ترد علي من المشرق والمغرب أُجيب عنها بخطي ، وإني لا أشتغل بشيء من مِلَاد الدنيا إِلَّا بما يَصُونُ أرواحكم ، ويُعْمَرُ بلادكم ، ويُذِلُّ أعداءكم ، ويقمع أصدادكم^١ ؛ فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما فعله ، ولا تظهروا التكبر والتجبر ، فينزح الله الثَّغمة عنكم ، وينقلها إلى غيركم ، وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل إليّ كتحتني عليكم ، ليُتَّصِلَ في الناس الجميل ، ويكثر الخير ، ويتشر الغدْلُ ، وأقبلوا بعدها على نِسائكم ، والزمو الواحدة التي تكون لكم ، ولا تشرهوا إلى التكثر منهن والرغبة فيهن ، فيتنقص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتلهكوا أهدانكم ، وتذهب قُوَّتكم وتضعف نحائزكم^٢ ، فحسب الرجل الواحد الواحدة ، ونحن مُختاجون إلى نُصرتكم بأبدانكم وعقولكم ؛ واعلموا أنكم إذا لَرِمْتُم ما أمُرُكم به ، رَجَوْتُ أن يُقَرَّبَ الله علينا أَمْرُ المَشْرِقِ كما قَرَّبَ أَمْرُ المَغْرِبِ بكم ، انهضوا رَجَمَكُم الله وَنَصْرُكُمْ . فَخَرَجُوا عَنْهُ^٣ .

واستدعى يوماً أبا جعفر حسين بن مُهَذَّب صاحب بيت المال - وهو في وَسَطِ القصر قد جَلَسَ على صَنْدُوق ، وبين يَدَيْهِ أُلُوفُ صناديق مبددة - فقال له : هذه صناديق مالي ، وقد شُدُّ عَنِّي ترتيبها فانظرها ورَبِّتها ؛ قال : فَأَخَذْتُ أَجْمَعَهَا إلى أن صارت مرتبة ، وبين يديه جماعة من خُدَّام بيت المال والقراءتين ، فأنفذت إليه أَعْلَمَهُ ، فَأَمَرَ برفعها في الخَزَائِنِ على ترتيبها ، وأن يُغْلَقَ عليها وتُخْتَمَ بِخَاتَمِهِ ، وقال : قد خَرَجْتَ عن خَاتَمِنَا وصَارَتْ إِلَيْكَ . فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وذلك في سنة سبع وخمسين وثلاث مائة ، فَأَنْفَقَهَا أَجْمَعٌ على العساكر التي سَيَّرَهَا إلى مصر من سنة ثمان وخمسين إلى سنة اثنتين وستين وثلاث مائة^٤ .

(١) الصيغة عند ابن سعيد وفي اتعاظ الخنفا بالماضي : صان ، عمر ، ذل ، قمع .

^١ النحائر : جمع لحيزة وهي الطليعة .
^٢ ابن سعيد : الهجوم الزاهرة ٣٩-٤٠ (ومصدره كتاب «سيرة الأئمة» لأبي العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب ، وهو مؤلف قيرواني الأصل كانت أسرته
^٣ نفسه ٤١ ؛ نفسه ٩٦-٩٧ .
^٤ نفسه ٩٦-٩٧ .

وَلَمَّا أَخَذَ فِي تَجْهِيزِ جَوْهَرٍ بِالْعَسَاكِرِ إِلَى اخْتِذِ دِيَارِ مِصْرَ، حَتَّى تَهَيَّأَ أَمْرُهُ وَيَرْزَلَ لِلْمَسِيرِ، بَعَثَ الْمُعِزُّ خَفِيضًا الصُّغْلِيَّ^١ إِلَى شُبُوحِ كُتَامَةَ يَقُولُ: «يَا إِخْوَانُنَا قَدْ رَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ رِجَالًا إِلَى بُلْدَانِ كُتَامَةَ يُقِيمُونَ بَيْنَهُمْ، وَيَأْخُذُونَ صَدَقَاتِهِمْ وَمَرَاعِيهِمْ، وَيَحْفَظُونَهَا عَلَيْنَا^٢ فِي بِلَادِهِمْ، فَإِذَا اخْتَجْنَا إِلَيْهَا أَنْقَذْنَا خَلْفَهَا فَاسْتَعْنَا بِهَا عَلَى مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ». فَقَالَ بَعْضُ شَبُوحِهِمْ^٣ لَخَفِيضٍ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ: «قُلْ لِمَوْلَانَا: وَاللَّهِ لَا فَعَلْنَا هَذَا أَبَدًا، كَيْفَ تُؤَدِّي كُتَامَةُ الْحِزْبَةِ، وَيَصِيرُ عَلَيْهَا فِي الدِّيَّانِ صَرِيئَةً، وَقَدْ أَعَزَّهَا اللَّهُ قَدِيمًا بِالْإِسْلَامِ، وَخَدِينًا مَعَكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَسَيُوفُّنَا بِطَاعَتِكُمْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ۚ»

فَعَادَ خَفِيضٌ إِلَى الْمُعِزِّ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ بِإِخْضَارِ جَمَاعَةِ كُتَامَةَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ رَاكِبٌ قَرَسَهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْجَوَابُ الَّذِي صَدَرَ عَنْكُمْ؟ فَقَالُوا: هَذَا جَوَابُ جَمَاعَتِنَا، مَا كُنَّا يَا مَوْلَانَا بِالَّذِي تُؤَدِّي حِزْبَتُهُ بَقِيَ عَلَيْنَا. فَقَامَ الْمُعِزُّ فِي رِكَابِهِ وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَكَيْهَذَا أُريدُ أَنْ تَكُونُوا، وَأَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَحْتَبِرْكُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدِي^٤.

فَسَارَ جَوْهَرٌ، وَأَخَذَ مِصْرَ كَمَا قَدْ ذُكِرَ فِي تَرْجُمَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ سُورِ الْقَاهِرَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٥. فَلَمَّا ثَبَّتَ قَدَمَ جَوْهَرٍ بِمِصْرَ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعِزُّ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ:

«وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ يَا جَوْهَرُ مِنْ أَنَّ جَمَاعَةَ بَنِي حَمْدَانَ وَصَلَتْ إِلَيْكَ كُتُبُهُمْ يَتَذَلُّونَ الطَّاعَةَ، وَيَعْدُونَ بِالمُسَاوَعَةِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْكَ، فَاسْمَعْ لِمَا أُذَكِّرُكَ لَكَ: اخْذَرْ أَنْ تَبْتَدِئَ أَحَدًا مِنْ آلِ حَمْدَانَ بِمَكَاتِبَةٍ تَوْهِيئًا لَهُ وَلَا تَوْغِيئًا، وَمَنْ كَتَبَ إِلَيْكَ كِتَابًا مِنْهُمْ فَأَجِبْهُ بِالْحَسَنِ الْجَمِيلِ وَلَا تَسْتَدْعِهِ إِلَيْكَ، وَمَنْ وَرَدَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَأَخْسِنْ إِلَيْهِ، وَلَا تَتِمَّكَّنْ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنْ قِيَادَةِ جَيْشٍ وَلَا مِثْلِكَ طَرَفٍ، فَبِنُو حَمْدَانَ يَتَظَاهَرُونَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ عَلَيْهَا مَدَارُ الْعَالَمِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا نَصِيبٌ: يَتَظَاهَرُونَ بِالْأَدِينِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِ نَصِيبٌ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْكَرَمِ وَلَيْسَ

(a) يولاق: عليهم.

^١ خفيض الشَّاسِ الصُّغْلِيَّ صاحب السِّتْرِ. ^٢ ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٤١-٤٢؛ المتري:

^٣ هو محمد بن علي بن سلمان شيخ كُتَامَةَ فِي وَقْتِهِ، انعاظ الحنفا ١: ٩٨.

^٤ فيما يلي ٢٥٦-٢٥٨. ^٥ كما عند ابن سعيد.

لواحد منهم كَرَّمَ في الله ، ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهُم للدنيا لا
للاخرة ؛ فاحلَّزَّ كلُّ الحلَّز من الاستئمامة^(٥) إلى أحد منهم^(١) .

ولما عَزَمَ المِعْرُ على المسير إلى مصر ، أجالَ فِكْرَه فيمن يَحْلُفه في بلاد المغرب ، فَوَقَّعَ اختيازه
على أبي أحمد^(٢) جعفر بن علي الأمير ، فاشتدَّعاه وأَسْرَ إليه أَنَّهُ يُريد استيخلافَه بالمغرب / فقال :
«تَتَرَكُ معيَ أَحَدَ أولادك أو إخوتك يجلس في القصر وأنا أَذِيرُ ، ولا تَسْأَلْنِي عن شيء من الأموال
لأنَّ ما أَجْبِيه يكون بإزاء ما أَتَّفِقه من الأموال ، وإذا أَرَدْتَ امرأَةً فَقُلْتَه من غير أن أنتظر ورود أمرِك
فيه لبغد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تَقْلِيدُ الْقَضَاءِ والخِراج وغيره إليَّ» . فغَضِبَ المِعْرُ وقال : «يا
جعفر عَزَلْتَنِي عن مُلْكِي ، وأردت أن تَجْعَلَ لي فيه شريكًا في أفري ، واستبَدَذت بالأعمال
والأموال دوني . قُمْ فقد أَخْطَأْتَ حَظُّكَ ، وما أَصَبْتَ رُشْدَكَ» ، فَخَرَجَ عنه .

ثم إِنَّهُ استدعى يُوسُفَ بن زيري الصُّنْهاجي وقال له : «تَأْتِبُ لِحِلَافَةِ المغرب» . فَأَكْبَرَ ذلك
وقال : «يا مَوْلانا أَنْتَ وآباؤُكَ الأئمَّة من وَلَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صَنَّا لَكُمْ
المغرب ، فكيف يَصْفُو لي وأنا صِنْهاجي بَزَبْرِي ؟ قَتَلْتَنِي يا مولانا بغير سَيْفٍ ولا رُمَحٍ» . فما زال
به المِعْرُ حتى أَجابَ بِشَرِيطَةٍ أَنَّ المِعْرُ يُؤَلِّي الْقَضَاءَ والخِراجَ لمن يراه ويختاره ، ويجعل الخَبَرَ لمن يَتَّقِ
به ، ويجعله قائمًا بين أَيْدِي هَؤُلاءِ ، فمن استَغْضَى عليهم يَأْمُرُه هَؤُلاءِ به حتى يَفْعَلَ به ما يجب ،
ويكون الأَمْرُ لهم ، وَيَصِيرُ كَالْخَادِمِ بين أولئك ؛ فَأَحَبَّ المِعْرُ ما قال وشَكَرَه .

فلَمَّا انصَرَفَ قال أبو طَالِبِ بن القَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ لِلْمِعْرُ : «يا مَوْلانا ، وَتَبَّقَ بهذا القَوْل من يُوسُفَ ،
وَأَنَّهُ يقوم بِوَفَاءٍ ما ذَكَرَ ؟» فقال المِعْرُ : «يا عَمَّنَا ، كم بين قَوْلِ يوسُفَ وقَوْلِ جعفر ، فاعْلَمْ يا عَمُّ أَنَّ
الأَمْرَ الذي طَلَبَه جعفر ابتداءً هو آخر ما يَصِيرُ إليه أَمْرُ يوسُفَ ، وإذا تَطَاوَلَتِ المُلْكَةُ سِينفرد بالأَمْرَ ،
ولكن هذا أَوْلَا أَحْسَنَ وأَجْوَدَ عند ذَوِي الْعَقْلِ ، وهو نِهَايَةُ ما يَفْعَلُه [من يترك دياره]^(٣)» .

وكانت أُمُّ الأَمْرَاءِ قد وَجَّهَتْ من المغرب صَبِيَّةً ثَباع بمصر ، فَعَرَّضَهَا وَكَيْلُهَا في مصر لِلْبَيْعِ ،
وطلَّبَ فيها ألف دينار . فحَضَرَ إِلَيْه في بعض الأيام امرأَةٌ شَابَّةٌ على جِمَارٍ لَتَقَلِّبَ الصَّبِيَّةَ ، فسَاوَمَتْه

(٥) بولاق : الاستناد . (ب) أبي أحمد ساقطة من بولاق . (ج) زيادة من ابن سعيد واتعاط الحنفا .

^١ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٤٣ (ومصدره أيضًا ابن مذهب الذي بدأ الخیر بقوله : «وجدت في خزنة الخاشعة كتابًا من المِعْرُ إلى عهده جوهر ، وهو بمصر والشَّام ، كان في
فصل منه» : المغربي : اتعاط الحنفا ١ : ٩٨ .
^٢ نفسه ٤٤-٤٥ (عن ابن مذهب) : نفسه ٩٩ : ٩٩-
^٣ ١٠٠ .

فيها وإتباعها منه بست مائة دينار، فإذا هي ابنة الإخشيد محمد بن طُفَّج، وقد بَلَغَهَا خَبَرُ هذه الصَّيِّة، فلما رَأَتْهَا شَغَفَتْهَا حُبًّا فاشترتها لَتَشْتَبِعَ بها^١. فعادَ الوكيلُ إلى المغرب وحدثَ المُعِزَّ بذلك فأخضَرَ الشُّيوخَ، وأمرَ الوكيلَ فَقَصَّ عليهم خَبَرَ ابنة الإخشيد مع الصَّيِّة إلى آخره، فقال المُعِزُّ: «يا إخواننا انْهَضُوا إلى مصر، فلنَ يَحُولَ بينكم وبينها شَيْءٌ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قد بَلَغَ بهم التَّزَرُّفَ إلى أن صَارَت امرأة من بنات الملوك فيهم تَخْرُجُ بنفسِها وتَشْتَرِي جاريةً لَتَمْتَعَ بها، وما هذا إِلَّا من ضَعْفِ نُفُوسِ رجالِهم وذَهَابِ عَظِيمَتِهِمْ، فأنْهَضُوا لمسيرنا إليهم». فقالوا: «الشَّمْعُ وَالطَّاعَةُ». فقال: «خُذُوا في حَوَالِجِكُمْ، فنحن نَقْدُمُ الاختيار لمسيرنا إن شاء الله»^٢.

وكان قَيْصَرُ وَمُظَفَّرُ الصَّقْلِيَّانِ قد بَلَغا رُتْبَةً عَظِيمَةً عند المنصور والد المُعِزِّ، وكان المظفَّرُ يَدُلُّ على المُعِزِّ من أجل أَنَّهُ عَلَّمَهُ الحَطَّ في صغره، فخرَّجَ عليه مَرَّةً وولَّى، فسمعه المُعِزُّ يَتَكَلَّمُ بكلمة صَقْلِيَّةٍ استراب منها، وَلَقِّنَهَا منه وَأَنْقَتَ نفسه من السؤال عن معناها. فَأَخَذَ يَحْفَظُ اللُّغَاتِ: ١٠ فابتدأ بتعلُّمِ اللغة البَرْزِيَّةِ حتى أَحْكَمَهَا: ثم تعلَّمِ الرُّومِيَّةَ والسُّودَانِيَّةَ حتى اتَّقَنَتَهُمَا، ثم أَخَذَ يَتَعَلَّمُ الصَّقْلِيَّةَ، فمَرَّتْ به تلك الكلمة، فإذا هي سَبَّ قَبِيحٌ، فَأَمَرَ بِمُظَفَّرٍ فَقَتِلَ من أجل تلك الكلمة^٣.

وبَلَغَهُ [- وهو بالمغرب -] أمرُ الحَرْبِ التي كانت بين بني حَسَنَ وبني جَعْفَرَ بالحِجَازِ، حتى قُتِلَ من بني حَسَنَ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ من بني جَعْفَرَ، فَأَنْقَذَ مَالًا وَرِجَالًا في السَّرِّ ما زالوا بالطَّائِفَتَيْنِ ١٥ حتى اضْطَلَحَتَا، و تَحْمَلُ الرِّجَالُ عن كُلِّ منهما الحِمَالَاتِ، فجاءَ الفاضِلُ في القَتْلِ لبني حَسَنَ عند بني جَعْفَرَ نحو سبعين قَتِيلًا، فَأَذُوا عنهم، وَعَقَدُوا بينهم الصُّلْحَ في الحَرَمِ نِجَاهَ الكَفْبَةِ، وَتَحْمَلُوا عنهم الدِّيَّاتِ من مال المُعِزِّ، وكان ذلك في سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مائة.

فصارت هذه القِتْلَةُ يَدًا عند بني حَسَنَ للمُعِزِّ، فلما مَلَكَ جَوْهَرُ مصرَ، بَادَرَ حَسَنَ بن جَعْفَرَ الحَسَنِيَّ بالدُّعَاءِ للمُعِزِّ في مَكَّةَ، وَبَعَثَ إلى جَوْهَرَ بالخَبَرِ، فسيرَ إلى المُعِزِّ يُعَرِّفُهُ بإقامة الدُّعْوَةِ له بِمَكَّةَ، فَأَنْقَذَ إِلَيْهِ بِتَقْلِيدِهِ الحَرَمَ وأعماله^٤.

(a) إضافة من اتماظ الحنفا.

^١ المقرري: اتماظ الحنفا ١: ١٠٠.^٣ نفسه ١: ١٠١.^٢ نفسه ١: ١٠٠.^٤ نفسه ١: ١٠١.

وسارَ المُعِزُّ بعساكره من المغرب حتى نَزَلَ بالجزيرة ، فَعَقَدَ له جَوْهَرُ جِسْرًا جَدِيدًا عندَ الْمُخْتَارِ
 بِالْجَزِيرَةِ^(أ) ، فَتَسَارَ عليه ، وَقَدْ رُئِيتْ له مَدِينَةُ الْقُسْطَاطِ فَلَمْ يَشْقُهَا ، وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بِجَمِيعِ
 أَوْلَادِهِ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرِ أَوْلَادِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمُهْدِيِّ وَتَوَابِتِ آبَائِهِ^١ ، وَذَلِكَ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ
 اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ^٢ . فَعِنْدَمَا دَخَلَ الْقَصْرَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، فَأَقْتَدَى بِهِ مِنْ حَضَرٍ ، وَبَاتَ بِهِ ،
 ثُمَّ أَصْبَحَ فَجَلَسَ لِلْهَنَاءِ ، وَأَمَرَ فَكُتِبَ فِي سَائِرِ مَدِينَةِ مِصْرَ وَخَوِصُّ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^٣ ، وَأُثِّبَ اسْمُ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ وَاسْمُ ابْنِهِ^(ب) عَبْدُ اللَّهِ
 الْأَمِيرُ^٤ ، وَجَلَسَ فِي الْقَصْرِ عَلَى الشَّرِيرِ الذَّهَبِ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ عِيدِ الْفِطْرِ فِي الْمُصَلَّى ،
 فَسَبَّحَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَفِي كُلِّ سَجْدَةٍ ثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً ، ثُمَّ خَطَبَ بَعْدَ الصَّلَاةِ . وَرَكِبَ لِفَتْحِ خَلِيجِ
 مِصْرَ يَوْمَ الْوَفَاءِ ، وَعَمَلَ عِيدَ غَدِيرِ خُثَمٍ ، وَمَاتَ بَعْضُ بَنِي عَمِّهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَكَثَّرَ سَبْقًا ، وَكَثَّرَ
 عَلَى مَيِّتٍ آخَرَ خَفْمًا . وَقَدِمَتِ الْقَرَايِمَةُ إِلَى مِصْرَ ، فَسِيرَ إِلَيْهِمُ الْجِيُوشُ وَهَزَمُوهُمْ^٥ .

وما زالَ إلى أنْ تُوفِيَ من عِلَّةٍ اغْتَلَّهَا بَعْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ بِسِتِّينَ وَسَبْعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ ،
 وَعُمُرُهُ خَمْسَ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ تَقْرِيبًا ؛ فَإِنَّ مَوْلَدَهُ بِالْمُهْدِيَّةِ فِي حَادِي عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ
 سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَوَفَاتَهُ بِالْقَاهِرَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعٍ / الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسِ

(أ) في الامتاع: عقد جواهر جسر الجزيرة، وعقد جسراً آخر عند المختار بالجزيرة . (ب) بولاق: أبيه .

^١ الأمير عبد الله هو الابن الأوسط للمعز الذي عينه المعز

^٢ فيما يلي ٣٥١.

وهو مازال بأفريقية لولاية عهده ، متخلفاً بذلك ابنه الأكبر
 تميم - صاحب الحق الشرعي تبعاً للعقيدة الإسماعيلية - لأنه
 كان يحيا حياة عابئة بعيدة عما يجب أن يتحلّى به من توشّح
 لإمامة المؤمنين ، ولكنه توفي فجأة في حياة أبيه سنة ٣٦٣هـ /
 ٩٧٣ م . وبدلاً من أن يعمّن المعز لولاية عهده حفيده ابن عبد
 الله تبعاً للعقيدة الإسماعيلية التي تنص على أن الإمامة لا
 تنتقل من أخ إلى أخيه وإنما تكون في الأعقاب ، عمّن المعز ابنه
 الثالث زرار لولاية عهده وهو الذي خلفه باسم «العزيز بالله»
 (راجع مناقشة ذلك عند ، أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر
 ١٠٦-١٥٧) .

^٣ عن تاريخ الدولة الفاطمية في مصر راجع ، حسن
 إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر
 وسورية وبلاد العرب ، القاهرة ١٩٥٨ ؛ عبد المنعم ماجد :
 ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، الإسكندرية
 ١٩٦٨ ، القاهرة ١٩٩٢ ؛ محمد جمال الدين سرور :
 الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة
 في عهدها ، القاهرة ١٩٧٠ ، ١٩٩٥ ؛ Lewis, B., «An
 Interpretation of Fatimid History», *CIHC*, pp.
 437-50; *Fatimides II*, pp. 871-82 وأحدث الدراسات
 ما كتبه كاتب هذه السطور أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في
 مصر - تفسير جديد ، القاهرة ٢٠٠٠ . وكذلك Canard,

^٤ ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٩-١٦٢ .

M., *El*^٢ art. *Fatimides II*, pp. 870-82.

وستين وثلاث مائة ، وكانت مُدَّةُ خِلَافَتِهِ بالمغرب وديار مصر ثلاثًا وعشرين سنة وعشرة أيام . وهو أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْقَاهِرَةُ الْمُعَرِّيَّةُ ؛ لِأَنَّ عَجْدَهُ جَوَهَرًا الْقَائِدَ بِتَاهَا حَسَبَ مَا رَسَمَ لَهُ كَمَا ذُكِرَ فِي خَبَرِ بَنَائِهَا ^١ .

وكان المُعَرِّيُّ عالمًا فاضلاً جوادًا حَسَنَ السَّيَرَةِ ، مُتَصِفًا لِلرَّعِيَةِ ، مُغْرَمًا بِالنُّجُومِ ، أَقْبَمَتْ لَهُ الدُّعْوَةُ بِالْمَغْرِبِ كُلَّهُ وديار مصر والشَّامَ وَالْحَزَمِينَ وبعض أعمال العراق .

وقام من بعده ابنُهُ «الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَبُو مَنْصُورِ نِزَارٍ» ، فَأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَمَاتَ وَعُمُرُهُ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ وَحُجِّلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ . وقام من بعده ابنُهُ «الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ» ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ إِلَى أَنْ فُقِدَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا ، وَقُفِدَ وَعُمُرُهُ سِتٌّ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ . وَقَدْ بَسَطَتْ خَبَرَ الْعَزِيزِ وَالْحَاكِمِ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَوَامِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ^٢ .

وقام من بعده ابنُهُ «الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ» بْنُ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ . وَلِدَ بِالْقَاهِرَةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِعَشْرِ خُلُودٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَيُؤَيَّعُ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ عِيدِ النُّحْرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَعُمُرُهُ سِتٌّ عَشْرَةَ سَنَةً ^٣ . فَخَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الْعِيدِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِظْلَةُ وَحَوْلَهُ الْعَسَاكِرُ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي الْمُصَلَّى ، وَعَادَ فَكَتَبَ بِخِلَافَتِهِ إِلَى الْأَعْمَالِ ^٤ . وَشَرِبَ الْخَمْرَ وَوَحَّصَ فِيهِ لِلنَّاسِ ، وَفِي سَمَاعِ الْغِنَاءِ وَشُرْبِ الْفُقَاعِ ، وَأَكَلَ الْمُلُوخِيَا وَبَجَمِيعِ الْأَشْمَاكِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى اللَّهْوِ ^٥ .

٦٣-٦٦ ؛ ابن خلكان : وفیات الأعيان ٤٠٧:٣-٤٠٨-٤٠٨

^١ فيما يلي ٢١٢-٢٢٢ .

التوري : نهاية الأرب ١٩٦:٢٨-٢٠٩ : الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٣٧:٢٢-٢٣٩ : المقرئ : اتعاظ الخنفا ١٢٤:٢-١٨٣ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٤٧:٤-٢٨٣ .

^٢ انظر ترجمة العزيز بالله والحاكم بأمر الله مفصلة فيما يلي ٢٨٤:٢-٢٨٩ .

^٣ الظاهر لإعزاز دين الله الإمام الفاطمي الرابع في مصر ، وأهم مصادر ترجمته كتاب أخبار مصر للمصنعي الذي عاصره وكان يحضر مجالسه ، والجزء الأربعون من كتابه الذي وصل إلينا مليء بالأخبار عن الظاهر في سنتي ٤١٤ و٤١٥ هـ وانظر كذلك ، ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة

^٤ المقرئ : اتعاظ الخنفا ١٢٤:٢ .

^٥ نفسه ١٢٩:٢ ، وذلك في سنة ثمان عشرة وأربع مائة .

وَوَزَّرَ لَهُ الْخَطِيئُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو الْحَسَنِ عُمَارُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ يَلِي دِيوانَ الْإِنشَاءِ وَغَيْرِهِ، وَاسْتَوَزَّرَهُ الْحَاكِمُ إِلَى أَنْ قُبِدَ، فَتَوَلَّى الْبَيْعَةَ لِلظَّاهِرِ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ فِي رَيْبِجِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. فَاسْتَوَزَّرَ بَعْدَهُ بَذْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَتْوحِ مُوسَى بْنُ الْحُسَيْنِ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الشُّرُطَةَ، ثُمَّ وَلَّى دِيوانَ الْإِنشَاءِ بَعْدَ ابْنِ خَيْرَانَ، وَصُرِفَ عَنِ الْوِزَارَةِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ فِي سَرَّالٍ وَقُتِلَ، فَوُجِدَ لَهُ مِنَ التَّمَنِ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ^١. وَوَلَّى بَعْدَهُ الْوِزَارَةَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الْمُلُوكِ الْمَكِينُ مَشْعُودُ بْنُ طَاهِرٍ^٢.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ قُلِدَ مُنْتَخَبَ الدَّوْلَةِ الدُّذِيرِيُّ مَتَوَلَّى قَيْسَارِيَّةَ وَلايَةِ فَلَسْطِينَ^٣، فَكَانَتْ لَهُ مَعَ حُشَاةِ بْنِ مُقَرَّجٍ بْنِ جِرَّاحِ الطَّائِي حُرُوبٌ. وَفِيهَا نَزَعَ الشَّعْرُ بِمِصْرَ، وَتَعَذَّرَ وَجُودُ الْخَبِيرِ.

وَفِي الْحَرَمِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ لَقِبَ الْحَادِمُ الْأَسْوَدُ مِغْضَادُ، بِالْقَائِدِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَسَنَائِهَا أَبِي الْفَوَارِسِ مِغْضَادِ الظَّاهِرِيِّ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ^٤.

وَنَازَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ بِلَادَ الصَّعِيدِ فَقُبِضَ عَلَيْهِ، وَأَقْرَأَ أَنَّهُ قَتَلَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَوُجِدَ مَعَهُ قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِ رَأْسِهِ وَقِطْعَةٌ مِنَ الْفُوطَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ، فَسُيِّلَ عَنْ سَبَبِ قَتْلِهِ إِثْنًا، فَقَالَ: غَزَوْتُ لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ. ثُمَّ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسِكِّينٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَقَطَّعَتْ رَأْسَهُ وَسُيِّرَتْ إِلَى الْقَاهِرَةِ^٥. وَفِيهَا اشْتَدَّ الْفَلَاءُ بِمِصْرَ، وَكَثُرَ نَقْصُ الثَّيْلِ^٦.

عشرة وخمسة مائة وقرئ على الناس في صحن الإيوان بالقصر القاطمي يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٤١٥ هـ. (المسبحي: أخبار مصر ٢٤-٢٧ وقارن المقرئ: أعلام الحنفيا ١٣٩:٢).

المسبحي: أخبار مصر ٢٧-٢٨؛ المقرئ: أعلام الحنفيا ١٤٠:٢ وفيما يلي ٢٨٩:٢.

نفسه ٣٢؛ نفسه ٢: ١٤٢، وانظر عن أزمة الحنفية في عهد الخليفة الظاهر بأمر الله دراسة تباري بيانكي المعتمدة على ما أورده المسبحي Bianquis, Th., «Une crise frumentaire dans l'Égypte fatimide», *JESHO* XXIII (1980), pp. 67-101.

^١ المقرئ: أعلام الحنفيا ٢: ١٢٨-١٢٩.

^٢ نفسه ٢: ١٣٢.

^٣ أمير الجيوش متخبط الدولة أنوشكين الدُّذِيرِيُّ مَتَوَلَّى حماية فلسطين وحرب الزُّفْلَةِ التُّوَلَّى سَنَةَ ٤٣٣ هـ/ ١٠٤٢ م (راجع عنه، مقال جاستون فييت Wiet, G., «Un Proconsul fatimide de Syrie: Anushtakin Dizbiri (m. en 433/ 1042)», *MUSJ* 46 (1970), pp. 383-407).

^٤ أَوَزَّةُ الْمُسَبَّحِيِّ نَصْرٌ مِجْلٌ تَلْقِيبُ الْقَائِدِ أَبِي الْفَوَارِسِ مِغْضَادِ الْحَادِمِ الْأَسْوَدِ بِالْقَائِدِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَسَنَائِهَا أَبِي الْفَوَارِسِ مِغْضَادِ الظَّاهِرِيِّ، وَهُوَ مُؤَرَّخٌ فِي صَفَرِ سَنَةِ خَمْسِ

وفيها قَرَّرَ الشَّريفُ الكبيرُ القَجمي والشَّيخُ نَجيبُ الدَّوْلَةِ الحَزْجَرائِي والشَّيخُ القَמידُ مُحسِنُ بنِ بَدُوسٍ معَ القَائِدِ مِغْضادَ، أَلَّا يَدْخُلَ على الظَّاهِرِ أَحَدٌ غَيرَهُم، وكانوا يَدْخُلونَ كُلُّ يَومٍ حُلُوةً، ويَخْرُجونَ فيتَصبَّوْنَ في سائِرِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ والظَّاهِرِ مشغولٌ بِلَدائِهِ. وصارَ شَتَّى المُلُوكِ مُظَلِّفَ صَاحِبِ المِظْلَةِ، وابنُ خَيرانَ صَاحِبَ الإنشاءِ، وداعي الدُّعَاةِ، ونَقِيبُ نَقَباءِ الطَّالِبِينَ، وقاضي القُضاةِ، رُبَّمَا دَخَلُوا على الظَّاهِرِ في كُلِّ عَشرَينَ يَومًا مَرَّةً، ومن عَداَهُم لا يَصِلُ إلى الظَّاهِرِ^١ أَلَبَّةً. والثَّلاثَةُ الأَوَّلُ هُمُ الَّذينَ يَفْضُلُونَ الأَشغالَ، ويَمْنُضُونَ الأُمُورَ بَعدَ الاجْتِماعِ عِندَ القَائِدِ مِغْضادَ^٢.

ومُنِعَ النَّاسُ مِن دَنَحِ الأَبْهَارِ لِقَلَّتْها، وَعَزَّتِ الأَقْواتُ بِمِصرَ، وَقَلَّتِ البَهايمُ كُلَّها حَتى بَيعَ الرَأْسُ البَقَرَ بِخَمَسينَ دِينَارًا^٣.

وكَثُرَ الخَوْفُ في ظُواهرِ البَلَدِ، وَكَثُرَ اضْطِرَابُ النَّاسِ، وَتَحَدَّثَ زُعماءُ الدَّوْلَةِ بِمُصادَرَةِ التُّجَّارِ، فاختَلَفَ بَعْضُهُم على بَعْضٍ، وَكَثُرَ ضَجيجُ طَوائِفِ العَسكرِ مِنَ الفَقْرِ والحَاجةِ فلم يُجابُوا، وتَحاسَدَ زُعماءُ الدَّوْلَةِ، فَفُيْضَ على القَמידِ مُحسِنُ وَضُرِبَ عُنُقُهُ^٤.

واشتَدَّ العَلَاءُ، وَفَشَتِ الأَمراضُ، وَكَثُرَ المَوْتُ في النَّاسِ، وَفَقِدَ الحَيوانُ فلم يُقَدَّرَ على دَجاجَةٍ ولا فَرُوجٍ، وَعَزَّ الماءُ لِقَلَّةِ الظَّهِيرِ. فَعَمَّ البَلَاءُ مِن كُلِّ جِهَةٍ، وَعَرَضَ النَّاسُ أَمْتِعَتَهُمَ لِلبَيعِ فلم يُوجَدَ مِن يَشْرِيبُها^٥.

وخرَجَ الحاجُّ، فَقُطِعَ عَلَيهِمُ الطَّرِيقُ بَعدَ رَحيلِهِم مِن يَزَكَةِ الحُبِّ، وَأُخِذَتِ أُمُوالُهُم، وَقِيلَ مَنَّهُم كَثيرٌ، وَعادَ مِن بَقِيٍّ، فلم يَحِجَّ أَحَدٌ مِن أَهلِ مِصرَ^٦.

وتَفاقَمَ الأَمْرُ في شِدَّةِ العَلَاءِ فَصاحَ النَّاسُ بِالظَّاهِرِ: الجُوعُ، الجُوعُ يا أَميرَ المُؤمِنينَ، لَم يَصْنَعْ بَنا هَذا أبُوكَ ولا جَدُّكَ، فابِلَهُ اللهُ في أَمْرنا^٧.

وطلَّقتْ عَساكِرُ ابنِ جِراحِ القَرمَما، ففرَّ أَهلُها إلى القَاهرةِ^٨.

(a) بولاق : القاهرة.

^١ نفسه ٦٦٩ نفسه ٢: ١٦٢.

^٥ نفسه ٦٦٩ نفسه ٢: ١٦٢.

^٦ نفسه ٧٣ نفسه ٢: ١٦٤.

^٧ نفسه ٦٧٦ نفسه ٢: ١٦٦.

^١ المسبحي : أخبار مصر ٤٥ - ٤٦ : المقرئ : اتمام

الحفا ٢: ١٤٨.

^٢ نفسه ٤٤٦ نفسه ٢: ١٤٩ - ١٥٠.

^٣ نفسه ٥٥٩ نفسه ٢: ١٥٧ - ١٥٨.

وَأَصْبَحَ النَّاسُ بِمِصْرَ عَلَى أَتْبَحَ حَالٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَوْتَانِ وَشِدَّةِ الْغَلَاءِ وَعَدَمِ الْأَقْوَاتِ ، وَكَثُرَ الْخَوْفُ مِنَ الدُّعَارِ الَّتِي تَكْبِسُ الْبُيُوتَ^٨، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا عُجِلَ بِسِمَاطٍ عِيدِ النَّعْرِ بِالْقَصْرِ ، كَتَبَ الْعَبِيدُ عَلَى السِّمَاطِ وَهُمْ يَصْبِحُونَ : الْجُوعُ ، وَنَهَبُوا سَائِرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ^١.

/ وَنَهَبَتِ الْأَرْيَافُ ، وَكَثُرَ طَلَمَعُ الْعَبِيدِ وَنَهَبِهِمْ ، وَجَزَتْ أُمُورُ مِنَ الْعَامَّةِ قَبِيحَةٌ .

وَاحْتِاجَ الظَّاهِرِ إِلَى الْقَرْضِ ، فَحَمَلَ بَعْضُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ مَالًا ، وَامْتَنَعَ آخَرُونَ .

وَاجْتَمَعَ نَحْوُ الْأَلْفِ عَبْدٍ لِيَنْهَبُوا^٩ الْبَلَدَ مِنَ الْجُوعِ ، فَتَوَدَّى بِأَنْ مِنْ تَعَرُّضٍ لَهُ أَخَذَ مِنَ الْعَبِيدِ فَلْيَقْتُلَهُ ، وَنَذِبَ جَمَاعَةً لِحِفْظِ الْبَلَدِ ، وَاسْتَعْدَّ النَّاسُ ، فَكَانَتْ نَهَبَاتٍ بِالسَّاحِلِ ، وَوَقَائِعُ مَعَ الْعَبِيدِ احْتِاجَ النَّاسِ فِيهَا إِلَى أَنْ تَحْتَفِدُوا عَلَيْهِمْ خَنَاقٍ ، وَعَمِلُوا الدُّرُوبَ عَلَى الْأَرْزَقِ وَالشُّوَارِعِ . وَخَرَجَ يَغْضَاذٍ فِي عَشْكَرٍ فَطَرَدَهُمْ ، وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ، وَأَخَذَ الْعَبِيدَ فِي طَلَبِ الْجَزْجَرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ وَجْهِ الدَّوْلَةِ ، فَخَرَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَامْتَنَعُوا فِي دُورِهِمْ . وَانْقَضَتِ الشَّئَةُ وَالنَّاسُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْبَلَاءِ^٢.

وَفِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ ، أَمَرَ الظَّاهِرُ فَأُخْرِجَ مَنْ بِمِصْرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَمَرَ الدُّعَاةَ أَنْ يُحْفَظُوا النَّاسُ كِتَابَ «دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ» وَ«مُخْتَصَرِ» الْوَزِيرِ ، وَجَعَلَ لِمَنْ حَفِظَ ذَلِكَ مَالًا^٣. وَفِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ ، ثَارَ بِمِصْرَ زُعَافٌ عَظِيمٌ بِالنَّاسِ ، وَكَثُرَتْ زِيَادَةُ الثَّيْلِ عَنِ الْعَادَةِ ، وَتَصَدَّقَ الظَّاهِرُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَقَطَ عَنْ قَرْبِهِ وَسَلِيمٌ^٤.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ ، وَقَعَتِ الْهَزْدَنَةُ مَعَ صَاحِبِ الرُّومِ ، وَخُطِبَ لِلظَّاهِرِ فِي بِلَادِهِ ، وَأَعَادَ الْجَامِعَ بِقُسْطَنْطِينِيَّةٍ وَعَمِلَ فِيهِ مُؤَدَّنًا ، فَأَعَادَ الظَّاهِرُ كَنِيسَةَ قُسَامَةِ بِالْقُدْسِ ، وَأَذِنَ لِمَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ أَنْ يَمُودَ إِلَى النُّصْرَانِيَّةِ ، فَوَجَعَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ^٥.

وَصَرَفَ الظَّاهِرُ وَزِيرَهُ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ وَنَاصِحَهَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنِ صَالِحِ الرُّوَدَّهَارِيِّ ، وَأَقَامَ بَدَلَهُ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الْجَزْجَرِيِّ^٦.

(٨) ساقطة من بولاق . (ب) بولاق : لنهب .

^١ السبكي : أخبار ١٧٤ : ٨١ - ١٨٢ المقرئ : اتعاط
^٢ نفسه ١٨٧ نفسه ١٦٩ : ٢ .
^٣ المقرئ : اتعاط الحنفا ١٧٥ : ٢ ، ونشر آصف علي
^٤ نفسه ١٧٥ : ٢ .
^٥ نفسه ١٧٦ : ٢ .
^٦ نفسه ١٧٦ : ٢ .

وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والأثراك قتل فيها كثير^١.

وفي سنة إحدى وعشرين، توبع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية أشهر، وأنفق على ذلك في خلج لأهل الدولة وطعام ونثار للعامة ما يجلب وصفه^٢.

وفي سنة اثنتين وعشرين، تحرك الشعر لنقص ماء النيل، ثم زاد بعد أوائله بأربعة أشهر^٣.

وفي سنة ثلاث وعشرين، قتل الظاهر أحد الدعاة، فاضطربت الرعية والجنود، وتحدثت الدعاة^٤ بخليعه، ثم سكنت الفتنة بعد إنفاق مالٍ جزيل^٥.

وفي سنة أربع وعشرين، ركب ولي العهد من القاهرة إلى مصر وقد رُيبت الطرقات، فكان إذا مرّ بقرى قتلوا له الأرض، وتُبرّز يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار. فكان يوماً عظيماً^٦.

وفي سنة خمس وعشرين، بثّ الظاهر دُعائه بعتداد عند الخيلاف الأثراك بها، فكثر دُعائه هناك، واشتجاب لهم خلق كثير^٧.

فلما كان في سنة ست وعشرين، كثّر الوباء بمصر^٨.

ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربع مائة عن اثنتين وثلاثين سنة إلا أياماً، فكانت مدة خلافته خمس عشر سنة وثمانية أشهر وأياماً. وكان مشغولاً باللّهو مُجيباً

للغناء، فأتى الناس في أيامه بمصر، واتخذوا المغنيات والرقاصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عجيباً^٩. واتخذ حُجّراً لماليكه، وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحروب، واتخذ خزانة البود

وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع، وراسل الملوك، واستكثر من شراء الجواهر، وكانت تملكته بإفريقية ومصر والشام والحجاز.

وعَلَب صالح بن ميزداس على خلّب في أيامه واستولى على ما يليها، وتغلب حشاش بن جراح على أكثر بلاد الشام، فتَضَعُضَت الدولة.

(a) بولاق : الناس . (b) بولاق : عظيماً .

^١ المقرئ : انماط الحنفا ٢ : ١٧٧ .

^٢ نفسه ٢ : ١٧٩ .

^٣ نفسه ٢ : ١٨٠ .

^٤ نفسه ٢ : ١٨٠ .

^٥ نفسه ٢ : ١٨١ .

^٦ نفسه ٢ : ١٨١ .

^٧ نفسه ٢ : ١٨٢ .

وقام من بعده ابنه ولي العهد ويبيع له ، وهو «المُستنصر بالله أبو تميم معدّ» ، ومولده في
السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربع مائة ، ويبيع للخلافة للنصف من شعبان سنة
سبع وعشرين ، وعمره يومئذ سبع سنين ، فأقام سنين سنة وأشهرًا في الخلافة ، كانت فيها أُنبياء
وقصص شنيعة بديار مصر^١.

منها أنَّهُ كانت أمة سؤداء لتاجر يهودي يقال له أبو سعد سهل بن هارون التثري ،
فابتاعها منه الظاهر ، واستولدها المستنصر . فلما أقضت الخلافة إليه استندت أُمّه أبا سعد ورثته
درجة عليّة . وكان الوزير يومئذ أبا القايم الجرجاني ، فلم يتمكن أبو سعد من إظهار ما في نفسه
حتى مات الجرجاني^٢.

وتولّى أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي الوزارة ، فانبسط يد أبي سعد ، وصار الفلاحي
يأتمر بأمره ، فقبّل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة البثود ، فحققت أُم المستنصر على الفلاحي
وصرفته عن الوزارة ، واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن أحمد الجرجاني في
الوزارة^٣.

وفي سنة أربعين صار ناصر الدولة الحسين بن خندان ، متولّي دمشق ، بالعساكر إلى حلب ،
وحارب متولّيها ثمال بن صالح بن مرداس ، ثم رجّع بغير طائل . فقلّد مطلقًا الصقليّ دمشق ،
وقبض على ابن خندان وصادره ، واعتقله بصور ثم بالرملة^٤.

١٩٦١: ١٨٧-٢٢٠: أمين غواد : الدولة الفاطمية في مصر
Gibb, H. A. R. & Kraus, P., *El art. al-Mustansir*
billāh VII, pp. 730-33.

٢ ابن ميسر : أخبار مصر ١٣ المقرري : اتعاظ الحنفا
Fischel, W. I., *Jewis in the Economic*
and Political Life of Mediaeval Islam, pp. 78-89
وفيما يلي ٤٢٤:١.

٣ نفسه ٤-٥ : نفسه ١٩٥:٢-١٩٦:١ المقرري : نهاية
الأرب ٢٨: ١٢١٦ وانظر فيما يلي ٣٩٨-٣٩٩.

٤ نفسه ٦-٧ : نفسه ٢: ٢٠١.

١ المستنصر بالله أبو تميم معدّ بن الظاهر لإعزاز دين الله ،
خامس الخلفاء الفاطميين في مصر وثامنهم من المهدي (راجع
عنه) ابن ميسر : أخبار مصر ٣-٥٩ : ابن خلكان : وفيات
الأعيان ٢٢٩:٥-٢٣١ : النويري : نهاية الأرب
٢٨:٢٠٩-٢٤٣ : ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦٧-
١٨١ : ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر ٦: ٣٤٢-٤٤٠
الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٨٦:١٥-١٩٦ : المقرري :
اتعاظ الحنفا ٢: ١٨٤-٣٣٤ : أبا المحاسن : النجوم الزاهرة
١٠: ٢٣، ٢٤-١١٤١ : عماد الدين [دريس : عيون الأخبار
١٠: ١٨٦ : ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٢١٥-٢٢٠
عبد النعم ماجد : الإمام المستنصر بالله الفاطمي ، القاهرة

وخرَجَ أميرُ الأُمراء رِفْقُ الحادِمِ^١ على عَشْكَرٍ تَبْلُغُ عِدَّتُهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ أَلْفًا ، بَلَغَتْ النَّفَقَةُ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، يُرِيدُ الشَّامَ وَمُحَارَبَةَ بَنِي مُرْدَاسٍ^٢.

وَفِي الْحَرَمِ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، صُرِفَ قَاضِي الْقَضَاةِ قَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الثُّغَمَانِ عَنِ الْقَضَاءِ بَعْدَ مَا بَاشَرَهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةً وَشَهْرًا وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، وَتَقَلَّدَ وَظِيفَةَ الْقَضَاءِ بَعْدَهُ الْقَاضِي الْأَجَلُ خَطِيرُ الْمَلِكِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَازُورِيُّ^٣.

وَفِيهَا / حَارَبَ رِفْقُ بْنُ مُرْدَاسٍ ، فَظَفِرُوا بِهِ وَأَسْرَوْهُ فَمَاتَ بِقَلْعَةِ خَلْبٍ ، فَأُفْرِجَ عَنْ ابْنِ حَمْدَانَ وَبَقِيَ بِالْحَضْرَةِ^٤ . وَقُبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْجَوَاجِرَائِيِّ وَنُفِيَ إِلَى الشَّامِ . وَغَمِلَ أَبُو الْفَضْلِ صَاحِدُ بْنُ مَسْعُودٍ وَاسِطَةً لَا وَزِيرًا^٥ . ثُمَّ قُلِّدَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَازُورِيُّ الْوَزَارَةَ مَعَ وَظِيفَةِ الْقَضَاءِ ، وَلُقِّبَ بِـ «سَيِّدِ الْوُزَرَاءِ»^٦.

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، كَانَتْ حُرُوبُ الْبَحْرِ، وإِخْرَاجُ بَنِي قُرَّةَ مِنْهَا ، وَإِنْزَالُ بَنِي سِنْبِسَ بَعْدَهُمْ بِهِمْ^٧ . وَفِيهَا دَعَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِي بِالْيَمَنِ لِّلْمُسْتَشِيرِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَالِ النَّجْوَى وَالْهَدَنَةِ^٨.

(a) بولاق : النجوة والهدن .

^١ أمير الأُمراء المُتَقَرَّبُ فُخْرُ الْمَلِكِ غُدَّةُ الدَّوْلَةِ وَعِمَادُهَا رِفْقُ الْحَادِمِ الْأَشُودُ ، اَلتَّوَلَّى سَنَةَ ٤٤١هـ / ١٠٤٩م ، زَمَامُ الْأَثَرَاكِ وَمَتَوَلَّى الْقَصْرِ فِي عَهْدِ الظَّاهِرِ وَعَهْدِ الْمُسْتَعَصِرِ . (رَاجِعْ ، ابْنُ الصَّرِفِيِّ : الْإِشَارَةُ إِلَى مَنْ نَالِ الْوَزَارَةَ ٧٤ ، ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ : ذِكْرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٨٥ ، سَابُورِسُ بْنُ الْمَقْفَعِ : تَارِيخُ بَطَارِكَةِ الْكَنِيسَةِ ٣/٢ : ١٧٠ ، الصَّفْدِيُّ : الْوَفَائِي بِالْوَفَائَاتِ ١٤ : ١٣٨ ، الْقُرَيْزِيُّ : اِتِّعَاطُ الْحَقِيقَا ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٩) .

^٢ ابْنُ مَيْسَرٍ : أَخْبَارُ مِصْرَ ٧-٨ ، الْقُرَيْزِيُّ : اِتِّعَاطُ الْحَقِيقَا ٢ : ٢٠٢ .

^٣ نَفْسُهُ ٩٩ نَفْسُهُ ٢ : ٢٠٨ .

^٤ نَفْسُهُ ١١٠ نَفْسُهُ ٢ : ٢٠٩ .

^٥ عَنْ أَخْبَارِ الدَّاهِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ وَبِدَايَةِ الدَّعْوَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِي الْيَمَنِ ، رَاجِعْ عِمَادُ الدِّينِ إِدْرِيسُ : عَيُونُ الْأَخْبَارِ الْمَجْلَدُ السَّابِعُ ، حَسِينُ بْنُ نَيْضِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ : الصُّلَيْحِيُّونَ وَالْحَرَكَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي الْيَمَنِ ، الْقَاهِرَةُ ١٩٥٥ ، أَيْمَنُ فَوَّازٍ : تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الدِّينِيَّةِ فِي بِلَادِ الْيَمَنِ ، الْقَاهِرَةُ ١٩٨٧ ، *Smith, G.R., El² art. Sulayhidcs X, pp. 850-52.*

^٥ نَفْسُهُ ١١٠ نَفْسُهُ ٢ : ٢٠٩ ، وَاسْمُهُ عَمِيدُ الْمَلِكِ زَيْنُ الْكُفَّاهِ أَبُو الْقُضَلِ صَاحِدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، رَاجِعْ عَنْهُ ، ابْنُ

وفي سنة أربع وأربعين، كُتِبَ ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء المصريين، ونُفِهم من الاتيساب إلى علي بن أبي طالب، وشيئت إلى الآفاق^١. وقَصُرَ مَدُّ الثَّيْلِ، فحُرِّك السَّعْرُ بمصر. ثم قَصُرَ أيضًا مَدُّ الثَّيْلِ في سنة ست وأربعين، فقَوِيَ القَلَاءُ، وكَثُرَ المَوْتُ في النَّاسِ^٢. وفي سنة ثمان وأربعين، خَرَجَ أبو الحارث البساسيري من بغداد مِتْمَتًا لِلْمُسْتَنْصِرِ، فشيئت إليه الأموال والخيل^٣.

وفي سنة ثمان وأربعين عَادَت حَلَبُ إِلَى تَمَلُّكَ الْمُسْتَنْصِرِ^٤.

وفي سنة خمسين قُبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ النَّاصِرِ لِلدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَازُورِيِّ^٥، وَتَقَلَّدَ بَعْدَهُ الْوِزَارَةَ (أَبُو الْفَرَجِ الْبَابِلِيُّ) ثُمَّ صُرِفَ بَعْدَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ يَوْمًا وَتَوَلَّى (أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَغْرِبِيِّ)، ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَوَلِيَ الْقَضَاءِ بَعْدَ الْيَازُورِيِّ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، ثُمَّ صُرِفَ بَعْدَ الْحَاكِمِ الْمَلِيجِيِّ^٦.

وفِيهَا أَخَذَ الْبَسَاسِيرِيُّ بَغْدَادَ، وَأَقَامَ فِيهَا الْخُطْبَةَ لِلْمُسْتَنْصِرِ، وَقَوَّى الْخَلِيفَةَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعِيسَى إِلَى قُرَيْشِ بْنِ بَذْرَانَ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى عَائَةِ، وَشَيَّتْ ثِيَابَ الْقَائِمِ وَعِصَامَتَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ إِلَى مِصْرَ^٧.

وفِيهَا سَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى دِمَشْقَ أَمِيرًا عَلَيْهَا^٨.

(a-a) ساقطة من بولاق.

البصرة (١٩٧١)، ٤٢-٤٧، *El² art.* ١٧٨، Canard, M., *al-Basāsiri*, pp. 1005-7، أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٩٤-١٩٥.

^٤ نفسه ١١٥ نفسه ٢٣٥:٢ وفيه أن ذلك كان سنة ٤٤٩هـ.

^٥ انظر مقال مايكل برت Brett, M., «The Execution of al-Yāzūrī in Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyūbid and Mamlūk Eras, pp. 15-22.

^٦ ابن مسير: أخبار مصر ١٦-١٧، المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ١٩٧.

^٧ نفسه ١٨-١٩، وفيه أنه قُوِيَ إِلَى شَهَارِشِ الثَّقَلِيِّ الْيَدُودِيِّ اسْتِجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ.

^٨ نفسه ٢٠، المقرئ: اتعاظ ٢: ٢٥٥.

^١ ابن مسير: أخبار مصر ١٣، المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٢٣، وقارن ابن الجوزي: المنتظم ٨: ١٥٤-١٥٥، ابن الأثير: الكامل ٩: ٩٥١، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٥٣.

^٢ نفسه ١٣.

^٣ نفسه ١٤، المقرئ: اتعاظ ٢: ٢٣٢، وانظر عن حركة البساسيري، المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة ١٧٨-١٨٠، ابن الجوزي: المنتظم ٨: ١٩١-١٩٧، ٢٠١-٢١٢، ابن مسير: أخبار مصر ٢٠-٢١، فاضل الخالدي: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، بغداد ١٩٦٩، ١٠٢-١٣٩، عبد الجبار ناجي: ثورة البساسيري في بغداد، مجلة كلية الآداب - جامعة

وفي سنة إحدى وخمسين، أُقيمت دَعْوَةُ المُشْتَنَصِرِ بالبصرة وواسط وجميع تلك الأعمال، فقدم طغزلبك إلى بغداد، وأعاد الخليفة القائم بعد ما حُطِبَ للمُشْتَنَصِرِ ببغداد أربعون خطبة، وقبِلَ البساسيري^١.

وفيها قُطِعَت خطبة المُشْتَنَصِرِ أيضًا من حلب، فسار إليها ابنُ حقدان وحارب أهلها، فأكثَرَ كُشْرَةً شديدةً شنيعةً، وعادَ إلى دمشق^٢.

وفيها صُرفَ أبو الفرج بن المغربي عن الوزارة، وعبد الحايك عن القضاء، وأعيد إلى الوزارة أبو الفرج الباهلي، واستقر في وظيفة القضاء أحمد بن أبي زكري^٣.

وفي سنة ثلاث وخمسين، كَثُرَ صُروفُ الوزراء والقضاة وولايتهم، لكثرة مخالطة الرعايا للخليفة وتقدم الأراذل، بحيث كان يصل إليه في كل يوم ثمان مائة رُقعة فيها المرافعات والسعايا^٤.

فاشتبهت عليه الأمور، وتناقضت الأحوال، ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لِقَصْرِ مَدَّةِ كُلِّ مِنْهُمْ، وخربت الأعمال وقُلَّ ارتفاعها، وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة التفقات والاشيخفاف بالأمر وطغيان الأكابر^٥؛ إلى أن آل الأمر إلى حدوث الشدة العظمى كما قد ذُكِرَ في موضعه من هذا الكتاب^٦، وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ست وستين وأربع مائة وقيامه بسلطنة مصر، ما ذُكِرَ في ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة^٧.

فلم يزل المُشْتَنَصِرُ مُدَّةَ أمير الجيوش، مُلْجِئًا عن التصرف إلى أن مات في سنة سبع وثمانين، فأقام العسكر من بعده في الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه، فباشَرُ الأمور يسيرًا.

ومات المُشْتَنَصِرُ ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة أشهر؛ منها في الخلافة ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، مَرَّتْ فيها أهوالٌ عظيمة، وشديدٌ آلت به إلى أن جلس على نَحْجٍ، وفقد القوت فلم يُقَدِّرْ عليه، حتى كانت امرأة من

المقريزي: إغالة الأمة ٢٢-٢٣، المقفى الكبير ٤٤٥:٣-
٤٤٤ ابن حجر: رفع الإصر ١٣٥-١٣٧؛ ومقال
إيسنستين Eisenstein, H., «Die Wezine Ägyptens
unter al-Mustansir A.H. 452-466», WZKM 77
(1987), pp. 37-50.

^١ ابن ميسر: أخبار مصر ٢٠-٢١ المقريزي: انحاط
الحق ٢٠٧:٢.

^٢ نفسه ٢١-٢٢ نفسه ٢٠٩:٢-٢٦٠، ٣١٠ وفيه
أن ذلك سنة ٤٥٢ هـ.

^٣ نفسه ٢٢، نفسه ٢٦١:٢ سنة ٤٥٢ هـ.

^٤ نفسه ٢٢-٢٣ نفسه ٢٦٢:٢ سنة ٤٥٢ هـ.

^٥ نفسه ٢٣-٢٤ نفسه ٢٦٤:٢ وانظر كذلك

^٦ فيما تقدم ١٣٥-١٤٢.

^٧ فيما يلي ٢٧٦-٢٧٨.

الأشراف تصدق عليه في كل يوم بقعب فيه فُتيت ، فلا يأكل سواه مرة في كل يوم . وقد مر في غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره .

فلما مات المُشْتَصِرُ أقام الأفضَلُ بن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه «المُشْتَقْلِي بالله أبا القاسم أحمد»^١ ، وكان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربع مائة ، فخالف عليه أخوه نزار وقرى إلى الإسكندرية ، وكان القائم بالأمور كلها الأفضَلُ ، فحازته حتى ظفر به وقتله ، كما تقدّم في خبر أفتكين عند ذكره^٢ خزائن القصر^٣ .

وفي سنة تسعين وقّع بمصر غلاءً ووباءً ، وقُطِعَت الخطبة من دمشق للمُشْتَقْلِي ، وخُطِبَ بها للقباسي ، وخرج الفرنج من قسطنطينية لأخذ سواجل الشام وغيرها من أيدي المسلمين ، فملكوا أنطاكية^٤ .

وفي سنة إحدى وتسعين خرج الأفضَلُ بمشكر عظيم من القاهرة ، فأخذ بيت المقدس من الأرمن^٥ ، وعاد إلى القاهرة^٦ .

وفي سنة اثنتين وتسعين ، ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس ، فخرج الأفضَلُ بالقساكر وسار إلى عسقلان ، فسار إليه الفرنج وقتلوه وقتلوا كثيرا من أصحابه ، وغنموا منه شيئا كثيرا وحصروه ، فتجأ بنفسه في البحر وصار إلى القاهرة^٧ .

وفي سنة ثلاث وتسعين ، عمّ الوباء أكثر البلاد ، فهلك بمصر عالم عظيم^٨ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الأرمن .

Mustafá VII, p. 726.

^٢ لم تقدّم وإنما سأتى فيما يلي ٣٩٣-٣٩٥ .

^٣ ابن ميسر : أخبار مصر ١٦٤ القريري : اتعاظ الحفا ١٩:٣-٢٠ .

^٤ نفسه ٦٥-٦٦ نفسه ٣:٢٢ .

^٥ نفسه ٦٦-٦٧ نفسه ٣:٢٢ ، ٢٤ ، ابن الطوير : نزعة المقلتين ٣-٤ النوري : نهاية الأرب ٢٨:٢٥٦-٢٥٧ .

^٦ نفسه ٦٨ نفسه ٣:٢٥ .

^١ المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله سادس خلفاء الفاطميين في مصر وتاسعهم من المهدي ، راجع أخباره عند ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٨٢-٨٦ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٨:١-١٨٠ ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩-٧٠ ابن أهلك : كنز الدرر وجامع الغرر ٤٤٢:٦-٤٦٠ القريري : المقلبي الكبير ١:٦٦٥-٦٦٧ ، اتعاظ الحفا ٣:٩-٢٨ أي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:١٤٢-١٦٩ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧:١٨٧-١٢١٧ *al-art. 2 Gibb, H.A.R., El*

وفي سنة أربع وتسعين، خَرَجَ عَشَكُرُ مِصْرَ لِقِتَالِ الْفَرِجِ، وكانت بينهما حروب كثيرة^١.
وفي سنة خمس وتسعين وأربع مائة، ماتَ الْمُشْتَقْلِي بالله ثلاث عشرة بقية من صَقَر،
وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوماً، ومُدَّةُ خِلَافَتِهِ سِتْعَ سِنِينَ وشهران^٢. وفي أَيَّامِهِ
اِخْتَلَّتِ الدَّوْلَةُ / وَانْقَطَعَتِ الدَّعْوَةُ من أَكْثَرِ مُدُنِ الشَّامِ، فَإِنَّهَا صَارَتْ بَيْنَ الْأَنْتَرَاكِ وَالْفَرِجِ،
وصَارَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةُ زِيَارِيَّةٍ تَطْلُقُ فِي إِمَامَةِ الْمُشْتَقْلِي، وفرقة ترى صِحَّةَ خِلَافَتِهِ^٣.
ولم يَكُنْ لِلْمُشْتَقْلِي مع الْأَفْضَلِ أَمْرٌ ولا نَهْيٌ ولا نَفوذٌ كَلِمَةً، وقيل إِنَّهُ سُمِّمَ، وقيل بَل قُتِلَ سِرًّا.
فَلَمَّا مَاتَ، أَقَامَ الْأَفْضَلُ من بعده فِي الْخِلَافَةِ ابْنَهُ «الْأَمِيرَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَبَا عَلِيٍّ مَنْصُورًا»،
وعمره خمس سنين وشهر وأيام، فَقُتِلَ الْأَفْضَلُ فِي أَيَّامِهِ، وَأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً
وثمانية أَشْهُرٍ وَنِصْفًا. وقد ذَكَرْتُ تَرْجُمَتَهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ فِي ذِكْرِ الْجَوَامِعِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ^٤.

ولَمَّا قُتِلَ الْأَمْرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ، أَقِيمَ من بعده «الْحَافِظُ لِدِينِ اللَّهِ أَبُو الْمَيْمُونِ عَبْدُ الْمُجِيدِ» ابْنُ
الْأَمِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُشْتَقِصِرِ بِاللَّهِ^٥، وَكَانَ قَدْ وُلِدَ بِعَشَقَلَانَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَقِيلَ فِي

عليه أخاه الأصغر أبا القاسم أحمد وهو في نفس الوقت زوج
سيّد الملك أخت الوزير الأفضل. وأدّى إبعاد نزار إلى نتائج
بعيدة المدى، فما قام به الوزير الأفضل هو انقلاب سياسي
coup d'état واضح المعالم محافظة على السلطان القوي
الذي كان يتمتع به منفردًا منذ أواخر عهد المستنصر بالله
(راجع، أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٠-٢٢٥).

^٤ فيما يلي ٢٩٠:٢-٢٩١.

^٥ راجع ترجمته عند ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة
٩٤-١٠١، ابن ميسر: أخبار مصر ١١٣-١٤١، ابن
سلطان: وفيات الأعيان ٢٣٥:٣-٢٣٧، التويري: نهاية
الأرب ٢٩٦:٢٨-٣١٠، ابن أبيك: كنز الدرر ٥٠٦:٦-
٥٥٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩٩:١٥-٢٠٢،
الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢٦:١٩-١٢٧، المقرئ:
اتعاظ الحنفا ١٣٥:٣-١٩٢، أبي المحاسن: النجوم الزاهرة
٢٣٧:٥-٢٤٥، Magued, A.M., *El² art. al-Hāfiz*
III, pp. 56-57.

^١ ابن ميسر: أخبار مصر ٦٨، المقرئ: اتعاظ الحنفا
٢٦:٣ وانظر مقال برت Brett, M., «The Battles of
Ramla (1099-1105)», in *Egypt and Syria in the
Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, Leuven
1995, pp. 45-59.

^٢ نفسه ٦٩، نفسه ٣:٢٧، التويري: نهاية الأرب ٢٨:٨١.
وفي حيون الأخبار لمعاد الدين إدريس ١٩١:٧ أن ميلاده في الحرم
سنة ٤٦٧هـ، بينما يذكر السجل رقم ٦ في مجموعة السجلات
المستنصرية أنه ولد يوم الأحد ١٤ صفر سنة ٤٥٢هـ.

^٣ يُشِيرُ المقرئ هنا إلى الانقسام الأول للدعوة
الإسماعيلية والذي حَدَثَ فِي أعقاب وفاة الإمام المستنصر
بالله. فالعقيدة الإسماعيلية تعتمد انتقال الإمامة في الأعقاب
من الأب إلى الابن الأكبر، وتبعا لهذه القاعدة كان نزار -
الابن الأكبر للمستنصر - هو صاحب الحق الشرعي في
خلافة أبيه. ومع ذلك فلم يُعَمَّرَ الوزير القوي الأفضل شاهنشاه
هنا التقليد أي اعتبار وأتخذ نزار - الذي كان له من العمر
آنذاك خمسون عامًا (ولد سنة ٤٣٧هـ) - عن العرش وأجلس

سنة ثمان وتسعين وأربع مائة، لما أخرج المشتبص ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة، فلذلك كان يقال له، في أيام الأمير بأحكام الله: الأمير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا. ولما قتل النزارية الخليفة الأمير، أقام بزغش وهزار الملوك الأمير عبد المجيد في دشت الخلافة، ونعته^٥ بـ «الحافظ لدين الله»، وأنه يكون كفيلاً لمنتظر في بطن أمه من أولاد الأمير، واستقر هزار الملوك وزيراً. فثار العسكر وأقاموا أبا علي بن الأفضل وزيراً، وقيل هزار الملوك، ونهب شارب القاهرة، وذلك كله في يوم واحد^١.

فاستبد أبو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة مائة^١، وقبض على الحافظ وسجنه مقيداً، فاستمر إلى أن قتل أبو علي في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين، فأخرج من معتقله، وأخذ له العهد على أنه «ولي عهد كفيلاً لمن يذكر اسمه»، فاحتل الحافظ هذا اليوم عيداً سماه «عيد النصر»، وصار يفعل كل سنة^٣.

ونهب القاهرة يومئذ، وقام يانس صاحب الباب بالوزارة، إلى أن هلك في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر، فلم يستوزر الحافظ بعده أحداً، وتولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمان وعشرين، فأقام ابنه سليمان ولي عهد مقام وزير، فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات، فجعل مكانه ابنه^٥ خيذرة، فحنق ابنه حسن وثار بالفئنة، وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب^٤.

(a) بولاق: ولقاه. (b) بولاق: ابن.

ويكون التاريخ المحدد لصدور هذا السجل هو اليوم الذي اشترك فيه عبد المجيد وأبو علي في إدارة الدولة. (Stern, «A Fatimid Decree of the Year 524/1130», BSOAS 23 (1960), pp. 439-55; id., *Fatimid Decrees*, London 1964, pp. 35-45; أمين غزاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢-٢٤٩).

^٣ ابن الطوير: نزعة المقتلين ٣٣-٣٥ ابن مسر: أخبار مصر ١١٥-١١٧، المقرئ: اتعاظ الخنفا ٣: ١٤٣-١٤٦، المقي الكبير ١: ٣٩٧-٣٩٨، أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٤٧-٢٤٨، وفيما يلي ٥٩٣.

^٤ فيما يلي ١٧: ١٨.

^١ ابن الطوير: نزعة المقتلين ٢٦-٢٨ ابن مسر: أخبار مصر ١١٣ المقرئ: اتعاظ الخنفا ٣: ١٣٧-١٣٨، ١٣٩، المقي الكبير ١: ٣٩٤، ٨٠: ٣، وفيما يلي ٣٤٩.

^٢ يوجد في مجموعة الوثائق المحفوظة في دير سانت كاترين سجل صادر في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ، وهو سجل بالغ الأهمية من حيث تاريخ صدره والأشخاص المذكورين فيه، فهو صادر في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ/ أكتوبر ١١٣٠ م عن «ولي عهد المسلمين...، وكافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي علي أحمد بن السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش»، وقد ضاع اسم ولي العهد مع فاتحة السجل وهو دون شك الأمير أبو الميمون عبد المجيد،

فلما قُتِلَ حَسَن، قام بهرام الأرمني وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين، وكان نصرانياً، فاشتدَّ حَزْرُ المسلمين من النَّصارَى، وَكَثُرَتْ أذْيُهُمْ^١. فسارَ رِضْوَانُ بن وَلَحْشِي - وهو يومئذٍ مُتَوَلِّي الغربة - وَجَمَعَ النَّاسَ لحرب بهرام، وسارَ إلى القاهرة، فانهزم بهرام، ودَخَلَ رِضْوَانُ القاهرة، واستولى على الوزارة في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين، فَأَوْقَعَ بالنَّصارَى وَأَذْلَهُم، فَشَكَرَهُ النَّاسُ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَفِيفًا عَجُولًا، فَأَخَذَ فِي إِهَانَةِ حَوَاشِي الخليفة وَهَمَّ بِخَلْعِهِ، وقال: ما هو بإمام، وإنما هو كَفِيلٌ لغيره وذلك الغيْرُ لم يَبْصَحْ^٢.

فتوحش الحافظُ منه، وما زالَ يَدَبِّرُ عليه حتى ثَارَتْ فِتْنَةٌ انهزم فيها رِضْوَانُ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَجَمَعَ وَعَادَ فِي سنة أربع وثلاثين، فجهَّزَ له الحافظُ العساكرَ لِحَارِبِهِ، فَقَاتَلَهُمْ وَانْهَزَمَ مِنْهُمْ إِلَى الصَّعِيدِ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَ، فلم يَسْتَوِزِرِ الحافظُ أَخْذًا بَعْدَهُ إِلَى أَن كَانَتْ سنة سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، فَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِمِصْرَ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ، وَامْتَدَّ إِلَى سنة سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ فَقَطَّمَ الْوَبَاءُ^٣.

وفي سنة اثنتين وأربعين، خَلَصَ رِضْوَانُ مِنْ مُعْتَقَلِهِ بِالْقَصْرِ، وَخَرَجَ مِنْ تَقَبٍ وَثَارَ بِجَمَاعَةٍ، وَكَانَتْ فِتْنَةٌ آتَتْ إِلَى قَتْلِهِ^٤.

وفي سنة أربع وأربعين، ثَارَتْ فِتْنَةٌ بِالقاهرة بين طوائف المُشَكَّرِ، فَمَاتَ الحافظُ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة، منها مدَّةٌ خِلَافَتِهِ ثَمَانِ عَشْرَةَ سنةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَصَابَتْهُ فِيهَا شِدَائِدُ كَثِيرَةٍ. وَكَانَ حَازِمًا مَيُوسًا كَثِيرَ الْمُدَارَاةِ، عَارِفًا جَمَاعًا لِلْمَالِ، مُعْرِىً بِعِلْمِ التَّحْجُومِ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحِلْمُ^٥.

فلما ماتَ وَالفِتْنَةُ قَائِمَةٌ، أَقِيمَ ابْنُهُ «الطَّافِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو مَنْصُورٍ إِسْمَاعِيلُ»، وَمَوْلَاهُ لِلنَّصِيفِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة سبع وعشرين وخمس مائة، فَأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ أَرْبَعَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ

^١ ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٢-١٢٣ المقيري: اعطاء الخلفاء ١٦٦:٣-١٦٧.
^٢ ابن ميسر: أخبار مصر ١٣٠-١٣٤ المقيري: اعطاء الخلفاء ١٧٢:٣-١٧٦.
^٣ نفسه ١٣٧-١٣٨.
^٤ نفسه ١٤٠ المقيري: اعطاء الخلفاء ١٨٩:٣.
^٥ ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٢-١٢٣ المقيري: القفى الكبير ٥١٢:٢-٥١٧ Canard, M., «Un vizir chrétien à l'époque fatimide: l'arménien Bahram», *AJEO* XII (1954), pp. 143-47, id., *El art. Bahrām* I, p. 968.
^٦ ابن الطوير: نزعة المقلتين ٥١-٥٢ ابن ميسر: أخبار

أشهر إلا خمسة أيام، وكان محكومًا عليه من الوزارة^(٥).
وفي أيامه أُجِدَّت عَشَقْلَانٌ، فَظَهَرَ الْخَلَلُ فِي الدَّوْلَةِ^٢. وقد ذَكَرْتُ أَخْبَارَهُ فِي خُطِّ الْحُثْبِيَّةِ
عند ذِكْرِ الْحِطْطِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣.

فَلَمَّا قُتِلَ، أَقِيمَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ «الْفَائِزُ بَنْصُرُ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَيْسَى»، أَقَامَهُ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَ
مَقْتَلِ أَبِيهِ الْوَزِيرِ عُبَّاسٍ، وَعُمُرُهُ خَمْسَ سِنِينَ^٤. فَقَدِمَ طَلَايُغُ بْنُ رُزَيْكٍ وَالْيَ الْأَشْمُونِيُّ بِجُمُوعِهِ
إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَفَرَّ عُبَّاسٌ، وَاسْتَوْلَى طَلَايُغُ عَلَى الْوِزَارَةِ، وَتَلَقَّبَ بِـ «الصَّالِحِ»^٥، وَقَامَ بِأَثَرِ الدَّوْلَةِ
إِلَى أَنْ مَاتَ الْفَائِزُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ بَقِيَّتْ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ عَنْ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ
وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ، مِنْهَا فِي الْخِلَافَةِ سِتُّ سِنِينَ وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٍ لَمْ تَرَ فِيهَا خَيْرًا، فَإِنَّهُ لَمَّا أُخْرِجَ
لِيُقَامَ خَلِيفَةً رَأَى أَعْمَامَهُ قَتْلَى وَسَمِعَ الصَّرَاحَ، فَاخْتَلَّ عَقْلُهُ وَصَارَ يَصْرُخُ حَتَّى مَاتَ.

فَأَقَامَ الصَّالِحُ بْنُ رُزَيْكٍ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَهُ «الْعَاضِدُ لِدِينِ اللَّهِ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ» بْنُ الْأَمِيرِ
يُوسُفَ بْنِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ. وَمَوْلَدُهُ لِعَشْرِ بَقِيَّتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ / وَخَمْسَ مِائَةٍ،
وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ تُوِيَغَ نَحْوَ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ^٦. وَقَامَ الصَّالِحُ بِتَذْيِيرِ الْأُمُورِ إِلَى أَنْ قُتِلَ فِي رَمَضَانَ

(٥) بولاق: الوزارة.

^١ راجع أخبار الظاهر بأمر الله (بأعلاء الله) عند، ابن
ميسر: أخبار مصر ١٤١-١٤٩؛ ابن ظافر: أخبار الدول
المنقطعة ١٠٢-١٠٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان
٢٣٧:٢٣٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٣١٠-
٣١٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩:١٥١-١٥٣؛
المقريزي: اتعاظ الخلفاء ٣:١٩٣-٢١٠، المقنى الكبير
٢:١٢١-١٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:٢٨٨-
٢٩٧؛ وانظر نص سجل بيعة الظاهر عند القلقشندي: صحيح
الأحشى ٩:٢٨٦-٢٩١ (نشره أيضًا جمال الدين الشيال:
مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦٩-٢٧٤، وانظر الدراسة
التحليلية ١٠٨-١١٣).

اتعاظ ٣:٢٠٩.
^٢ فيما يلي ٢:٣٠.
^٣ راجع أخبار الفائق بنصر الله عند، ابن ظافر: أخبار
الدول المنقطعة ١٠٨-١١٠؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٩-
١٥٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣:١٥٩-١٦١؛
النويري: نهاية الأرب ٢٨:٣١٨-٣٢٢؛ المقريزي: اتعاظ
الخلفاء ٣:٢١١-٢٣٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة
٥:٣٠٦-٣٣٣.

^٤ انظر أخبار الصالح طلائع فيما يلي ٢:٢٩٣-٢٩٤.
^٥ راجع أخبار العاضد لدين الله عند، ابن ظافر: أخبار
الدول المنقطعة ١١١-١١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان
٣:١١٠-١١٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٣٢٢-
٣٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧:٦٨٥-٦٩٤؛
المقريزي: اتعاظ الخلفاء ٣:٢٤١-٢٣٤؛ أبي المحاسن: -

^٦ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٦؛ ابن القلاسي: ذيل
تاريخ دمشق ٣٢٠-٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل ١١:١٨٨-
١٨٩؛ أبو شامة: الروضتين ١:٢٢٣-٢٢٥؛ المقريزي:

سنة ست وخمسين، كما ذُكِرَ في خَبَرِهِ عند ذِكْرِ الجَوَامِعِ^١.

فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ رُزَيْكُ بْنُ طَلَّاحٍ وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ، فَعَزَلَ شَاوُرُ بْنُ مُجِيرِ الشُّغْدِيِّ عَنْ وِلَايَةِ قُوصٍ، فَلَمْ يَقْبَلِ الْعَزَلَ، وَحَسَدَ وَسَارَ عَلَى طَرِيقِ الْوَاهَاتِ فِي الْبَرَّةِ إِلَى تَرْوِجَةِ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَلَمْ يَثْبُتْ رُزَيْكُ وَقَوَّ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ بِإِطْفِيحِ^٢.

- واستقرَّ شَاوُرُ فِي الْوِزَارَةِ أَيَّامَ خَلَّتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ، فَأَقَامَ إِلَى أَنْ ثَارَ ضِرْغَامٌ صَاحِبُ الْبَابِ، فَقَوَّ مِنْهُ إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَبَدَّ ضِرْغَامٌ بِالْوِزَارَةِ فَقَتَلَ أُمَرَاءَ الدَّوْلَةِ، وَأَضْعَفَهَا بِسَبَبِ ذَهَابِ أَكْبَارِهَا. فَقَدِمَ الْفَرِجِيُّ وَنَازَلُوا مَدِينَةَ بَلْبَيسَ مُدَّةً، وَدَافَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عِدَّةً مِرَارٍ حَتَّى عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ بِالشَّاجِلِ، وَرَجَعَ الْعَسْكَرُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ.

- فَوَصَلَ شَاوُرُ بِعَسَاكِرِ الشَّامِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، فَحَارَبَهُ ضِرْغَامٌ عَلَى بَلْبَيسَ بِعَسَاكِرِ مِصْرَ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَعَارِكٌ أَنْهَرُمَا فِي آخِرِهَا، وَغَنِمَ شَاوُرُ وَمِنْ مَعِهِ سَائِرُ مَا خَرَجُوا بِهِ - وَكَانَ شَيْفًا جَلِيلًا - فَشَرُّوا بِذَلِكَ، وَسَارُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَكَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حُرُوبٌ آلَتْ إِلَى هَزِيمَةِ ضِرْغَامٍ وَقَتْلِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا.

- فَاسْتَوْلَى شَاوُرُ عَلَى الْوِزَارَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَاخْتَلَفَ مَعَ الْعُزَّ الْقَادِمِينَ مَعَهُ مِنَ الشَّامِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُمْ حُرُوبٌ آلَتْ إِلَى أَنْ شَاوُرُ كَتَبَ إِلَى مُرْيِ [Amaury] مَلِكِ الْفَرِجِيِّ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ، لِيُعِينَهُ عَلَى مُحَارَبَةِ شِيرْكُوهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعُزَّ. فَحَضَرَ وَقَدْ صَارَ شِيرْكُوهِ فِي مَدِينَةِ بَلْبَيسَ. فَخَرَجَ شَاوُرُ مِنَ الْقَاهِرَةِ، وَنَزَلَ هُوَ وَمُرْيِ [Amaury] عَلَى بَلْبَيسَ، وَحَضَرَا شِيرْكُوهِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ، فَسَارَ شِيرْكُوهِ بِالْعُزَّ إِلَى الشَّامِ، وَرَحَلَ الْفَرِجِيُّ، وَعَادَ شَاوُرُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ قَدِمَ شِيرْكُوهِ مِنَ الشَّامِ بِالْعَسَاكِرِ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي رَبِيعِ الْآخِرِ. فَخَرَجَ شَاوُرُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى لِقَائِهِ، وَاسْتَدْعَى مُرْيِ [Amaury] مَلِكَ الْفَرِجِيِّ، فَسَارَ شِيرْكُوهِ عَلَى الشُّرُوقِ وَخَرَجَ مِنْ إِطْفِيحَ، فَسَارَ إِلَيْهِ شَاوُرُ بِالْفَرِجِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُ الْوَقْفَةُ الْمَشْهُورَةُ، فَسَارَ شِيرْكُوهِ بَعْدَ الْوَقْفَةِ مِنَ الْأَشْمُونِيِّينَ وَأَخَذَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ، وَعَادَ شَاوُرُ إِلَى الْقَاهِرَةِ^٣.

^١ هذه الفترة التي بدأت بعد وفاة رُزَيْكِ بْنِ طَلَّاحٍ والتي شهدت الصراع بين الوزيرين شَاوُرَ وَضِرْغَامَ والاستعانة بالقوى الأجنبية ممثلة في الدولة النورية من جانب ومملكة بيت المقدس المسيحية من جانب آخر، والتي أدت إلى طمع هذه القوى في مصر بعد أطْلَاعِهَا عَلَى ضَعْفِ الدَّوْلَةِ

= النجوم الزاهرة ٣٣٤:٥ - ٣٨٩؛ Wiet, G., *El* art. *al-Adid* I, pp. 202-3.

^٢ فيما يلي ٢٩٣:٢ - ٢٩٤.

^٣ المقرئ: اتعاط الحفا ٢٥٣:٣ - ٢٥٤؛ Bianquis, Th., *El* art. *Ruzzik b. Talā'i* VIII, pp. 672-73.

وخرَجَ شيركوه من الإسكندرية بعد أن استخلفَ عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يزل يسيّر من الإسكندرية إلى قُوص وهو يجبي البلاد. فخرَجَ شاورُ من القاهرة بالفرنج، ونازل الإسكندرية، فبلغَ شيركوه ذلك، فعادَ من قُوص إلى القاهرة وحصرها، ثم كانت أُمُورُ آخرها تسيّر شيركوه وأصحابه من أرض مصر إلى الشام في سؤال.

وقد طمِعَ الفرنجُ في البلاد، وتسلموا أسوارَ القاهرة، وأقاموا فيها شيخنةً معه عدّة من الفرنج لمقامسة المسلمين ما يتحصّل من مال البلد، وفحش أُمُورُ شاورُ وساءت سيرته، وكثُرَ تجرّيه على الدماء وإتلافه للأموال.

فلما كان في سنة أربع وستين، قوي تمكّن الفرنج في القاهرة، وجاروا في حكمهم بها، وركبوا المسلمين بأنواع الأهبة^(أ)، فسارَ مُرَي [Amaury] يُريد أخذَ القاهرة، ونزَلَ على مدينة بلبيس وأخذها عنوة. فكتبَ العاضدُ إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه، ويحثّه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الفرنج. فجهّزَ أسد الدين شيركوه في عَشْكَرٍ كثير، وجهّزهم وسَيَّرهم إلى مصر، وقد أخزَقَ شاورُ مدينة مصر كما تقدّم^١.

ونزَلَ مُرَي [Amaury] ملكَ الفرنج على القاهرة، وألحَ في قتال أهلها حتى كادَ أن يأخذها عنوةً، فسيّر إليه شاورُ وخادعَه حتى رضي بمالٍ يجمعه له، فشرعَ في جبايته وإذا بالخبرَ ورَدَ بقُدوم شيركوه^(ب) فدخلَ الفرنجُ عن القاهرة في سابعَ ربيع الآخر^(ب). ونزَلَ شيركوه على القاهرة بالغزّ ثالثَ مئة فحلَّعَ عليه العاضدُ وأكْرَمَه، فأخذَ شاورُ يفتك بالغزّ على عادته، فكان من قتله ما ذُكِرَ في موضعه، وذلك في سابعَ عشرَ ربيع الآخر المذكور. وتقلّدَ شيركوه وزارة

(أ) بولاق : الإهانة. (b-b) ساقطة من أياصوفيا.

siècle, Paris 1906; Elisséeff, N., *Nûr al-Dîn, un grand prince musulman de Syrie au temps des Croisades*, Damas 1967; Caben, Cl., «Un récit inédit du vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-61; Canard, M., *El*² art. *Dirghâm* II, pp. 327-28; Richards, D. S., *El*³ art. *Shirkûh* IX, pp. 384-85 *id.*, *El*³ art. *Shâwar* IX, pp. 504-505; أيمن

فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٨٧-٣٠٩.

^١ انظر فيما تقدم ١٤٢-١٤٦.

= الفاطمية والتي انتهت بوصول أسد الدين شيركوه ثم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى كرسي الوزارة في مصر ثم انقلاب صلاح الدين على الدولة الفاطمية وعودة مصر مرة أخرى إلى دائرة البلاد الشيعية التي تدعو للخليفة العباسي. نجد أخبار هذه الفترة عند عمارة الجيني وأبن ظافر وابن الأثير وأبي شامة وابن واصل والتويري وابن الفرات والمقريزي في الانعاظ وفي السلوك، وانظر كذلك: Schlumberger, G., *Compagnes du Roi: Amaury I^{er} de Jérusalem en Égypte au XII^{ème}*

العايض وقام بأمره^٥ الدَّوْلَةُ شهرين وخمسة أيام، ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة .

- فقَوَّضَ العاضِدُ الوِزَارَةَ لِصَلاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، فسامَ الأُمُورَ وَدَبَّرَ لِنَفْسِهِ ، فَبَدَّلَ الأُمُوالَ وَأَضَعَفَ العاضِدَ بِاستِنْفادِ ما عِنْدَهُ مِنَ المَالِ . فلم يَزَلْ أمرُهُ في ازديادٍ وَأَمْرُ العاضِدِ في نُقصانٍ ، وصارَ يَخْطُبُ من بَعْدِ العاضِدِ لِلسُّلْطانِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ^٦ ، وَأَقْطَعَ أَصْحابَهُ الِيلادَ ، وَأَبْعَدَ أَهْلَ مِصرَ وَأَضَعَقَهُمْ ، واستبدَّ بالأُمُورِ وَمَنَعَ العاضِدَ مِنَ التَّصَرُّفِ ، حَتَّى تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ ما يُريدُهُ مِنَ إِزالةِ الدَّوْلَةِ ، إلى أنْ كانَ مِنَ وإِقْعَةِ القَبيدِ ما ذُكِرَ ، فَأَبادَهُمْ وَأَفْناهُمْ^١ . ومن حينئذٍ تَلاشَى العاضِدُ وَانْحَلَّ أمرُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ سِوى إِقامَةِ ذِكرِهِ في الحُطْبَةِ فَقَطْ ؛ هَذا وَصَلاحُ الدِّينِ يُوالِي الطَّلَبَ مِنْهُ في كُلِّ يَوْمٍ لِيُضِيعَهُ ، فَأَتَى عَلى المَالِ وَالخَيْلِ والرَّقِيقِ وَغيرِ ذَلِكَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ عِنْدَ العاضِدِ غَيرَ قَرْسٍ واحِدٍ فَطَلَبَتْهُ مِنْهُ وَأَلْجَأَهُ إلى إِرسالِهِ ، وَأَبْطَلَ رُكُوبَهُ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ ، وصارَ لا يَخْرُجُ مِنَ القِصرِ أَبَنتَهُ . وَتَبَيَّنَ صَلاحُ الدِّينِ جُنْدَ العاضِدِ ، وَأَخَذَ دُورَ الأَمْرَاءِ وإِقطاعاتِهِمْ فَوَهَبَهَا لأَصْحابِهِ ، وَبَعَثَ إلى أَبِيهِ وإِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ فَقَدِمُوا مِنَ الشَّامِ عَلَيْهِ .

- فلَمَّا كانَ في سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ أَبْطَلَ المَكُوسَ مِنْ دِيارِ مِصرَ ، وَهَدَمَ دارَ المَغُونَةِ بِمِصرَ وَعَمَّرَها / مَدْرَسَةً لِلشَّافِعِيَّةِ ، وَأَنشَأَ مَدْرَسَةً أُخْرى لِلمالِكِيَّةِ^٢ ، وَغَزَلَ قُضاةَ مِصرَ الشَّيعَةَ وَقَلَّدَ القُضاةَ صَدْرَ الدِّينِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ دِرْباسِ الشَّافِعِيِّ وَجَعَلَ إِلَيْهِ الحُكْمَ في إِقليمِ مِصرَ كُلِّهِ ؛ فَغَزَلَ سائِرَ القُضاةِ وَاشْتابَ قُضاةَ شَافِعِيَّةٍ ، فَتَظاهَرَ النَّاسُ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ بِمَذْهَبِ مالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وَاسْتَحْفَى مَذْهَبُ الشَّيعَةِ إلى أنْ نُسِيَ مِنْ مِصرَ^٣ .

- وَأَخَذَ في غَزْوِ الإِفْرَنْجِ^٤ ، فَخَرَجَ إلى الرُّمْلَةِ وَعَادَ في رَبيعِ الأوَّلِ ، ثُمَّ سارَ إلى أَقْلَةَ ، وَنازَلَ قَلْعَتِها حَتَّى أَتَها مِنَ الْفِرَنْجِ في رَبيعِ الآخِرِ ، ثُمَّ سارَ إلى الإِسْكَندَرِيَّةِ وَلَمْ شَعَتْ سُورُها وَعَادَ ، وَسَيَّرَ ثُورانَ شاهٍ فَأَوَّعَ بِأَهْلِ الصَّعيدِ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ ما لا يَمْكَنُ وَضَفَهُ كَثْرَةً وَعَادَ .

(٥) ساقطة من بولاق ، وفيه وقام بالدولة . (٦) بولاق . محمد نور الدين . (٧) بولاق : الفرغ .

^١ سيما يلي ٢: ٣٠٦-٣٠٧

^٢ فيما يلي ٢: ٣٠٦-٣٠٧

^٣ فيما يلي ٢: ٣٦٣-٣٦٤

فَكَثُرَ الْقَوْلُ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ وَأَصْحَابِهِ فِي ذَمِّ الْعَاضِدِ ، وَتَحَدَّثُوا بِخَلْعِهِ وَإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى سَائِرِ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَمْراءِ الدَّوْلَةِ وَأَنْزَلَ أَصْحَابَهُ فِي دُورِهِمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَصْبَحَ فِي الْبَلَدِ مِنَ الْعَوِيلِ وَالْبُكَاءِ مَا يُذْهِلُ ، وَتَحَكَّمَ أَصْحَابُهُ فِي الْبَلَدِ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَخْرَجَ سَائِرَ لِقَطَاعَاتِ الْمَصْرِيِّينَ لِأَصْحَابِهِ ، وَقَبِضَ عَلَى بِلَادِ الْعَاضِدِ وَمَنَعَ عَنْهُ سَائِرَ مَوَادِّهِ ، وَقَبِضَ عَلَى الْقُصُورِ وَسَلَّطَهَا إِلَى الطُّوَاشِي بِهَاءِ الدِّينِ قَرَأُوشِ الْأَسَدِيِّ ، وَجَعَلَهُ زِمَامَتَهَا ^١ . فَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِ الْقَصْرِ ، وَصَارَ الْعَاضِدُ مُغْتَقَلًا تَحْتَ يَدِهِ ^٢ .

وَأُتْبِلَ مِنَ الْأَذَانِ «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» ، وَأُزَالُ شِعَارُ الدَّوْلَةِ ، وَصَرَّحَ ^٣ بِالْعَزْمِ عَلَى قَطْعِ خُطْبَةِ الْعَاضِدِ ، فَتَرَضَّ وَمَاتَ وَعُمِرَ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً إِلَّا عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، مِنْهَا فِي الْخِلَافَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ ^٤ ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ، بَعْدَ قَطْعِ اسْمِهِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالذِّعَاءِ لِلْمُسْتَنْجِدِ الْعَبَّاسِيِّ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ^٥ . وَكَانَ كَرِيمًا لَيِّنَ الْجَانِبِ ، مَرَّتَ بِهِ مَخَافَةٌ وَشِدَائِدٌ ، وَهُوَ آخِرُ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ . فَكَانَتْ ^٦ مُدَّتُهُمْ بِالْمَغْرِبِ وَمِصْرَ ، مِنْذُ قَامَ عُيَيْدُ اللَّهِ الْمُهْدِي إِلَى أَنْ مَاتَ الْعَاضِدُ ، مِائَتِي سَنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَيَّامًا ، مِنْهَا بِالْقَاهِرَةِ ^٧ مِائَتَانِ وَثَمَانِي سَنِينَ ، فَسُبْحَانَ الْبَاقِي .

(a) بولاق : وخرج . (b) في اتعاظ الحنفا : إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما . (c) بولاق : وكانت . (d) بولاق : بالقاهرة منها .

A.S., «Saladin's coup d'état in Egypt», in Sami A. Hanna (ed.), *Medieval and Middle Eastern Studies in Honour of Aziz Suryal Atiya*, Leiden 1972, pp. 144-57 ; أين فواد : الدولة الفاطمية في مصر Lev, Y., *Saladin in Egypt*, Leiden ١٣٠٩ - ٣٠٠ . 1999.

^٣ المقرئري : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٢٨ .

^١ المقرئري : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٢٢ .
^٢ هذه التحولات في السنوات الأخيرة لحكم الدولة الفاطمية في مصر يُطْلَقُ عَلَيْهَا «الْإِثْلَابُ صِلَاحِ الدِّينِ» ، وَهُوَ الْإِثْلَابُ الَّذِي وَصَّغَ نِهَاجَةً لِلْحُكْمِ الْفَاطِمِيِّ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي مِصْرَ وَأَعَادَ مِصْرَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَجْمُوعِ الدُّوَلِ السَّنِيَّةِ الَّتِي تَخْطُبُ لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ فِي بَغْدَادَ (رَاجِعْ ، Ehrenkrutz

ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْقَاهِرَةِ قَبْلَ وَضْعِهَا

اعْلَمُ أَنَّ مَدِينَةَ الْإِفْلِيمِ مِنْذُ كَانَ قَتَحَ مِصْرَ عَلَى يَدِ عَشْرُو بْنِ الْقَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ مَدِينَةَ الْقُسْطَاطِ - الْمَعْرُوفَةِ فِي زَمَانِنَا بِمَدِينَةِ مِصْرَ - قِبْلَتِي الْقَاهِرَةِ . وَبِهَا كَانَ مُحَلُّ الْأَمْرَاءِ وَمَثَوِلُ مُلْكِهِمْ ، وَإِلَيْهَا تُجْتَنَبُ ثَغَرَاتُ الْأَقَالِيمِ ، وَتَأْوِي الْكَافَّةُ . وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ مِنْ وَفُورِ الْعِمَارَةِ ، وَكَثَرَةِ النَّاسِ ، وَسَعَةِ الْأَزْزَاقِ ، وَالثَّقَنِ فِي أَنْوَاعِ الْحَضَارَةِ ، وَالتَّائِقِ فِي النِّعَمِ ، مَا أَرْبَتْ بِهِ عَلَى كُلِّ مَدِينَةٍ فِي الْمَعْمُورِ حَاشًا بِتَدَادِ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ شَرْقَ الْعَالَمِ ، وَقَدْ زَاخَمَتْهَا مِصْرُ وَكَادَتْ أَنْ تُسَامِيَهَا إِلَّا قَلِيلًا^١ .

ثُمَّ لَمَّا انْقَضَتِ الدَّوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةُ مِنْ مِصْرَ ، وَاخْتَلَّ حَالُ الْإِفْلِيمِ بِتَوَالِي الْقَلَوَاتِ وَتَوَاتُرِ الْأَزْهَاءِ وَالْفَنَوَاتِ ، حَدَّثَتْ مَدِينَةُ الْقَاهِرَةِ عِنْدَ قُدُومِ جُيُوشِ الْمُعِزِّ لَدَيْنِ اللَّهِ أُمِّي تَمِيمٍ مَقْدَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى يَدِ عُبْدِهِ وَكَاتِبِهِ الْقَائِدِ جَوْهَرَ ، فَتَنَزَّلَ حَيْثُ الْقَاهِرَةُ الْآنَ ، وَأُنَاحَ هُنَاكَ . وَكَانَتْ حَيْثُ رَمْلَةٌ - فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَعَيْنِ شَمْسٍ - يَمُرُّ بِهَا النَّاسُ عِنْدَ مَسِيرِهِمْ مِنَ الْقُسْطَاطِ إِلَى عَيْنِ شَمْسٍ ، وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ الْخَلِيجِ الْمَعْرُوفِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ بِخَلِيجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ خَلِيجُ الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِالْخَلِيجِ الْكَبِيرِ وَبِالْخَلِيجِ الْحَاكِمِيِّ . وَبَيْنَ الْخَلِيجِ وَالْجَبَلِ^٢ الْمَعْرُوفِ بِالْيَحَامِيمِ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْأَخْضَرُ^٣ . وَكَانَ الْخَلِيجُ الْمَذْكُورُ فَاصِلًا بَيْنَ الرَّمْلَةِ الْمَذْكُورَةِ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا أُمُّ دُنَيْنٍ ثُمَّ عُرِفَتْ الْآنَ بِالْمَقْسِ . وَكَانَ مِنْ يُسَافِرُ مِنَ الْقُسْطَاطِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ يَنْزِلُ بِطَرَفِ هَذِهِ الرَّمْلَةِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِمَنْتِيَةِ الْأَصْبَغِ ، ثُمَّ عُرِفَ إِلَى يَوْمِنَا بِالْحَفْدَقِ .

وَقَرُّوْا الْمَسَاكِرَ وَالثَّجَارَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ مِثْيَةِ الْأَصْبَغِ^٤ إِلَى مَنَى^٥ جَعْفَرٍ عَلَى غِيْفَا وَسَلَّمْتُنْتَ إِلَى بَلْبَيسَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ الْقُسْطَاطِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا ، وَمِنْ بَلْبَيسَ إِلَى الْعَلَايِمَةِ إِلَى الْقَرَمَا .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : بني .

^١ راجع رأي المقدسي فيما تقدم ٤ هـ .

^٢ فيما يلي ١٣٩:٢ - ١٤٤ .

^٣ حاشية بخط المؤلف : والأصْبَغُ بن عبد العزيز ابن

مروان بن الحكم توفي ليلة الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين قبل أبيه .

ولم يكن الدُّرُب الذي يُشَلِّك في وقتنا من القاهرة إلى العريش في الرَّمْل يُعرَف في القديم، وإنما عُرِفَ بعد خراب تَبْسِ والفرما، وإزاحة الفِرْنَج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مُدَّة من السنين. وكان من يُسافر في البر من المُشْطاط إلى الحجاز ينزل بِجَبِّ عُمَيْرَة، المعروف اليوم بِرَكَّة الجَبِّ وبِرَكَّة الحاج^١.

٥ ولم يكن عند نُزول جُزهر بهذه الرَّمْلَة فيها بُنيَان سوى أَمَاكِن هي بُنْتَانُ الإخشيد محمد بن طُغْج - المعروف اليوم بالكافوري - من القاهرة، وَدَيْرُ لِلْنَصَارَى يُعرَف بِدَيْرِ الْعِظَام، تَزْعَمُ النَّصَارَى أَنَّ فِيهِ بَعْضٌ مِنْ أَدْرَكِ الْمَسِيح - عَلَيْهِ السَّلَام - وَبَقِيَ الْآنَ بَعْدَ هَذَا الدَّيْر، وَيُعرَفُ بِبِرِ الْعِظَام - وَالْعَامَّةُ تَقُولُ بِرِ الْعَظْمَة - وَهِيَ بِجَوَارِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ مِنَ الْقَاهِرَة، وَمِنْهَا يُثْقَلُ الْمَاءُ إِلَيْهِ. وَكَانَ بِهَذِهِ الرَّمْلَة أَيْضًا مَكَانٌ ثَالِثٌ يُعرَفُ بِقُصَيْرِ الشُّوك - بِصِيغَةِ التَّصْغِير - تَنْزِلُهُ بَنُو عُذْرَة فِي الْجَاهِلِيَّة، وَصَارَ مَوْضِعُهُ عِنْدَ بِنَاءِ الْقَاهِرَة يُعرَفُ بِقُصَيْرِ الشُّوكِ مِنْ جَمَلَةِ الْقُصُورِ الزَّاهِرَة. هَذَا الَّذِي أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ فِي مَوْضِعِ الْقَاهِرَة قَبْلَ بِنَائِهَا بَعْدَ الْفَخْصِ وَالتَّفْتِيشِ.

وكان الثَّيْلُ حَيْثُ لِدِ بِشَاطِئِ الْمَقْصِ يَكُونُ مِنْ مَوْضِعِ السَّاحِلِ الْقَدِيمِ بِمِصْر - الَّذِي هُوَ الْآنَ / سُوقِ الْمَعَارِيج، وَحَقَامُ ظَنْ^(أ)، وَالْمَرَاغَة، وَبُستَانِ الْجُوف، وَمُوزِدَة الْحُلَفَاء، وَمُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي - عَلَى سَاحِلِ الْحَمْرَاء، وَهِيَ مَوْضِعُ قَنَايِرِ السَّبَاع، فَيَمُرُّ الثَّيْلُ بِسَاحِلِ الْحَمْرَاءِ إِلَى الْمَقْصِ، مَوْضِعُ جَامِعِ الْمَقْصِ الْآنَ، وَفِيهَا بَيْنَ الْخَلِيجِ وَبَيْنَ سَاحِلِ الثَّيْلِ بَسَاتِينُ الْمُشْطَاطِ^٢.

فَإِذَا صَارَ الثَّيْلُ إِلَى الْمَقْصِ، حَيْثُ الْجَامِعِ الْآنَ، مَرَّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى طَرَفِ الْأَرْضِ الَّتِي تُعرَفُ الْيَوْمَ بِأَرْضِ الطُّبَالَة، مِنَ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالْجُوفِ، وَصَارَ إِلَى الْبَهْل، وَمَرَّ عَلَى طَرَفِ مِثْبَةِ الْأَصْبَغِ مِنْ غَرْبِ الْخَلِيجِ إِلَى الْمِثْبَةِ.

وكان فيما بين الْخَلِيجِ وَالْجَبَلِ، مِمَّا يَلِي بَحْرِي مَوْضِعِ الْقَاهِرَة، مَسْجِدُ بُنِي عَلَى رَأْسِ إِبْرَاهِيمِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ الْحَسَنِ^(ب) بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ جَدُّهُ^(ج) يَبْرُؤُ الْإِخْشِيدِي، فَعُرِفَ بِمَسْجِدِ يَبْرُؤَ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ مَسْجِدَ الثَّبْنِ^٣.

(أ) بولاق: حمام طن. (ب) بولاق: الحسين. (ج) بولاق: ثم مسجد.

^١ فيما يلي ١٦٣:٢.

^٢ فيما تقدم ٣٩، ١٥٨.

ولم يكن الممر من المُشْطاط إلى عَيْنِ شَمْسٍ وإلى الحَوْفِ الشرقي وإلى البلاد الشَّامية، إلَّا بحافَّةِ الخَلِيجِ، ولا يكاد يَمُرُّ بِالرَّوْمَةِ التي في موضعها الآن مَدِينَةُ الْقَاهِرَةِ كَبِيرُ أَحَد^٥، ولذلك كان بها دَرَجٌ لِلنَّصَارَى، إلَّا أَنَّهُ لَمَّا عَمَرَ الْإِحْسِيدُ الْبُيُوتَانِ المعروف بالكافوري، أَنشَأَ بِجَانِبِهِ مَجْدَانًا وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُقِيمُ بِهِ، وَكَانَ كَافُورٌ أَيْضًا يُقِيمُ بِهِ.

- وكان فيما بين مَوْضِعِ الْقَاهِرَةِ وَمَدِينَةِ الْمُشْطَاطِ، مِمَّا يَلِي الْخَلِيجَ الْمَذْكُورَ، أَرْضٌ تُعْرَفُ فِي الْقَدِيمِ مِنْذُ فَتَحَ مِصْرَ بِالْحَمْرَاءِ الْقُصُوفِ، وَهِيَ مَوْضِعُ قَنَايِرِ السُّبَاعِ وَجَبَلِ يَشْكُرَ، حَيْثُ الْجَامِعُ الطُّولُونِيُّ وَمَا دَارَ بِهِ. وَفِي هَذِهِ الْحَمْرَاءِ عِدَّةُ كَنَائِسَ وَدِيَارَاتٍ لِلنَّصَارَى خَرِبَتْ شَيْقًا بَعْدَ شَيْءٍ، إِلَى أَنْ خَرِبَتْ آخِرُهَا فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ.
- وَجَمِيعُ مَا بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ الْآنَ مِنَ الْعِمَارِ فِي زَمَانِنَا^٦، فَإِنَّهُ حَادِثٌ بَعْدَ بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَبْلَ بِنَائِهَا شَيْءٌ أَلْبَثَ سِوَى كَنَائِسِ الْحَمْرَاءِ. وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ذِكْرُ حُدُودِ الْقَاهِرَةِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي كِتَابِ «الرَّوْضَةِ الْبَهِيَّةِ الزَّاهِرَةِ فِي نَحْطِ الْمَعْرِزَةِ الْقَاهِرَةِ»: الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ أَنَّ حُدُودَ الْقَاهِرَةِ مِنْ مِصْرَ مِنَ الشَّيْبَعِ سَبْعَايَاتٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْجَنُوتِ إِلَى مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ رُقَيْيَةَ عَرَضًا. انْتَهَى.

١٥

وَالْآنَ تُطْلَقُ الْقَاهِرَةُ عَلَى مَا حَازَهُ الشُّورُ الْحَجَرُ الَّذِي طُولُهُ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ الْكَبِيرِ إِلَى بَابِ الْفُتُوحِ وَبَابِ النَّصْرِ، وَعَرْضُهُ مِنْ بَابِ سَعَادَةِ وَبَابِ الْخَوْخَةِ إِلَى بَابِ الْبَرْقِيقَةِ وَبَابِ الْحَرُوقِ. ثُمَّ لَمَّا تَوَسَّعَ النَّاسُ فِي الْعِمَارَةِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ، وَبَنَوْا خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ حَتَّى اتَّصَلَتْ الْعِمَارَةُ بِمَدِينَةِ مُشْطَاطِ مِصْرَ، وَبَنَوْا خَارِجَ بَابِ الْفُتُوحِ وَبَابِ النَّصْرِ إِلَى أَنْ انْتَهَتْ الْعِمَارَةُ إِلَى الْوُجْدَانِيَّةِ، وَبَنَوْا خَارِجَ بَابِ الْقَنْطَرَةِ إِلَى حَيْثُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُولَاقٌ مِنْ شَاطِئِ بَحْرِ الْكَلْبِ^٧، وَامْتَدَّوا بِالْعِمَارَةِ مِنْ بُولَاقٍ عَلَى الشَّاطِئِ إِلَى أَنْ اتَّصَلَتْ بِمَنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ، وَبَنَوْا خَارِجَ بَابِ الْبَرْقِيقَةِ وَبَابِ

٢٠

(٥) بولاق : كثير جدا . (ب) ساقطة من بولاق . (ج) بولاق : حيث شاطئ النيل .

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٦.

المخرووق إلى سَفْح الجَبَل بطول السور؛ فصَارَ حيثُ العَامِرُ بالشكْنَى على قسمين: أَخَذَهُمَا يُقَالُ لَهُ «الْقَاهِرَةُ»، وَالْآخِرُ يُقَالُ لَهُ: «مِصْر».

فَأَمَّا «مِصْر» فَإِنَّ حَذَّهَا - عَلَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الِاضْطِلَاح فِي زَمَنِنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ - مِنْ حَذِّ أَوَّلِ قَنَاطِرِ الشَّبَاعِ إِلَى طَرَفِ بِرَكَّةِ الْحَبَشِ الْقِبْلِيِّ مِمَّا يَلِي بَسَاتِينَ الْوَزِيرِ، وَهَذَا هُوَ طَوْلُ حَذِّ مِصْر. وَحَذَّهَا فِي الْعَرْضِ مِنْ شَاطِئِ النَّيْلِ، الَّذِي يُعْرَفُ قَدِيمًا بِالسَّاحِلِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ قَمَّ الْحَلِيجُ الْكَبِيرُ وَقَنْطَرَةُ الشَّدِّ إِلَى أَوَّلِ الْقَرَاةِ الْكُبْرَى.

وَأَمَّا حَذُّ «الْقَاهِرَةِ» فَإِنَّ طَوْلَهَا مِنْ قَنَاطِرِ الشَّبَاعِ إِلَى الرَّيْدَانِيَّةِ، وَعَرْضُهَا مِنْ شَاطِئِ النَّيْلِ بِبُؤْلَاقٍ إِلَى الْجَبَلِ الْأَخْصَرِ؛ وَيُطْلَقُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ «مِصْرُ الْقَاهِرَةِ».

وَفِي الْحَقِيقَةِ «قَاهِرَةُ الْمِصْرِ» الَّتِي أَنْشَأَهَا الْقَائِدُ بَجُوهَرٌ عِنْدَ قُدُومِهِ مِنْ خَضْرَةِ مَوْلَاهُ الْمُيَزُّ لَدَيْنِ اللَّهِ أَمِي تَمِيمٍ مَعَدَّ إِلَى مِصْرَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، إِنَّمَا هِيَ مَا دَارَ عَلَيْهِ السُّورُ فَقَطْ. غَيْرَ أَنَّ السُّورَ الْمَذْكُورَ الَّذِي أَدَارَهُ الْقَائِدُ بَجُوهَرٌ، تَغْيِيرٌ وَغُيْلٌ - مِنْذُ بُنِيَتْ إِلَى زَمَنِنَا هَذَا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ حُدَّتِ الْعِمَائِرُ فِيمَا وَرَاءَ السُّورِ مِنَ الْقَاهِرَةِ، فَصَارَ يُقَالُ لِدَاخِلِ السُّورِ «الْقَاهِرَةُ»، وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السُّورِ «ظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ»^١.

وِظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ أَرْبَعُ جِهَاتٍ:

«الْجِهَةُ الْقِبْلِيَّةُ» وَفِيهَا الْآنَ مَعْظَمُ الْعِمَارَةِ، وَحَذُّ هَذِهِ الْجِهَةِ طَوْلًا مِنْ عَتَبَةِ بَابِ زَوِيلَةَ إِلَى الْجَامِعِ الطُّوْلُونِيِّ، وَمَا بَعْدَ الْجَامِعِ الطُّوْلُونِيِّ فَإِنَّهُ مِنْ حَذِّ مِصْر. وَحَذُّهَا عَرْضًا مِنَ الْجَامِعِ الطُّيُوسِيِّ بِشَاطِئِ النَّيْلِ غَرْبِيٍّ الْمَرِيسِ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَفِي الِاضْطِلَاحِ الْآنَ أَنَّ الْقَلْعَةَ مِنْ مُحْكَمِ مِصْر. «الْجِهَةُ الْبَحْرِيَّةُ» وَكَانَتْ، قَبْلَ السَّبْعِ مِائَةٍ مِنْ سَنِي الْهَجْرَةِ وَبَعْدَهَا إِلَى قَبِيلِ الزُّبَاءِ الْكَبِيرِ، فِيهَا أَكْثَرُ الْعِمَائِرِ وَالْمَسَاكِينِ ثُمَّ تَلَاثَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ. وَطَوَّلَ هَذِهِ الْجِهَةَ مِنْ بَابِ الْفُتُوحِ وَبَابِ النَّصْرِ إِلَى الرَّيْدَانِيَّةِ. وَعَرْضُهَا مِنْ مِثْنَةِ الْأُمَرَاءِ - الْمَعْرُوفَةِ فِي زَمَنِنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ بِمِثْنَةِ السَّيْرَجِ - إِلَى الْجَبَلِ الْأَخْصَرِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْحَدِّ مَسْجِدُ تَيْرٍ وَالرَّيْدَانِيَّةِ.

«الْجِهَةُ الشَّرْقِيَّةُ» فَإِنَّهَا حَيْثُ تُرْبُ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ، وَلَمْ تَحْدُثْ بِهَا الْعِمَائِرُ مِنَ الثَّرْبِ^٢ إِلَّا بَعْدَ

(a) بؤلاق: التربة.

^١ انظر فيما يلي ٢٥٤ - ٢٦٨.

٣٦ سنة اثنتي عشرة وسبع مائة . وخذ هذه الجهة طولاً / من باب القلعة المعروف بباب السلسلة^١ إلى ما يحاذي مسجد يثر في سفح الجبل . وخذها عرضاً فيما بين سور القاهرة والجبل .

«والجهة الغربية» فأكثر العماير بها لم تحدث أيضاً إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مائة ، وإنما كانت بساتين وبحراً . وخذ هذه الجهة طولاً من مئبة السرج إلى منشأة المهراي بحافة بحر النيل . وخذها عرضاً من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة إلى ساحل النيل .

وهذه الأربع جهات من خارج السور يُطلق عليها «ظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ» .

وتحوي مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والربط ، والدور العظيمة والمسالك الجليلة ، والمناظر البهجة والقصور الشامية ، والبساتين الفخمة^٢ ، والحدائق العائمة^٣ ، والقياس المعمورة بأصناف الأنواع ، والأسواق المملوءة مما تشتهي الأنفس ، والحدائق المشحونة بالواردين ، والفنادق الكاظمة بالشكّان ، والترب التي تحكي القصور ، ما لا يمكن حصره ، ولا يغرف ما هو قدره . إلا أن قدر ذلك - بالتقريب الذي يصدقه الاختبار - طولاً يزيد أو ما يزيد^٤ عليه ، وهو من مسجد يثر إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش ، وعرضاً يكون نصف يزيد فما فوقه ، وهو من ساحل النيل إلى الجبل .

وتدخل في هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها ، وسطح الجوف المسمى بالرضد ، ومدينة الفسطاط التي يقال لها مدينة مصر ، والقراة الكبرى والقراة^٥ الصغرى ، وجزيرة الحصن المعروفة اليوم بالروضة ، ومنشأة المهراي ، وقطائع ابن طولون التي تُعرف الآن بخدرة ابن قميحة ، وخط جامع ابن طولون ، والمنيّة تحت القلعة ، والقببات وقلعة الجبل ، والميدان الأسود - الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة - خارج باب البرقية إلى قبة النصر ، والقاهرة الميزة وهو ما دار عليه السور الحنجري ، والحسنية والوندانية ، والحدائق وكوم الریش وجزيرة الفيل ، وبولاق ، والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة أروى ، وزينة قوضون ، وجكر ابن الأنير ، ومنشأة الكتاب^٦ ، والأشكار التي فيما بين القاهرة وساحل النيل ، وأراضي اللوق ، والخليج الكبير الذي تُسميه العامة

(a) بولاق : النضرة . (b) بولاق : القاهرة . (c) بولاق : بردها ومايزيد . (d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : الكاتب .

^١ انظر عن باب السلسلة فيما يلي ٢٠٤:٢ وشودة المواظ ٣٤ هـ .

بالخليج الحاكمي، والجباينة والصليبية والتبانة، ومشهد الشيعة نفيسة، وباب القرافة، وأرض العظيمة، والخليج الناصري، والمفس والدكة، وغير ذلك مما يأتي ذكره إن شاء الله.

وقد أذكر كنا هذه المواضع وهي عامرة، والمشخة نقول هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاغون سنة تسع وأربعين وسبع مائة، الذي يسميه أهل مصر «الفناء الكبير»^١، وقد تلاشت هذه الأماكن، وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمان مائة؛ والله عاقبة الأمور.

ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية

وذلك أن القائد جوهر الكاتب، لما قدم الحيرة بمساكن مؤلاه الإمام المعز لدين الله أبي تميم محمد، أقبل في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة، وسارت عساكره بعد زوال الشمس، وعبرت الجسر أفواجا، وجوهر في فرسانه، إلى المناخ الذي رسم له المعز موضع القاهرة الآن، فاستقر هنالك^٢ واختط القصر. وبات المصريون، فلما أضحوا حضروا للقاء، فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل، وكانت فيه إزوارات غير معتدلة، فلما شاهدوها جوهر لم تعجبه، ثم قال: «قد خيف في ليلة مباركة وساعة بعيدة»، فتركه على حاله وأدخل فيه دبر العظام^٣.

ويقال إن القاهرة اختطها جوهر في يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين، واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها: فزويلة بنت الحازة المعروفة بها، واختطت جماعة من أهل بركة الحازة البرقية، واختطت الروم حارتين: حازة الروم الآن، وحازة الروم الجوانية بقرب باب النصر^٤.

وقصد جوهر باخطاط القاهرة حيث هي اليوم أن يصير حصنًا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها، فأدار السور اللبن على مناخه الذي نزل فيه بمساكنه، وأنشأ من داخل

(a) بولاق: هناك.

^١ انظر فيما يلي ٢٢٤.

Founding of Cairo», *CIHC*, pp. 125-30; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, pp. 141-207.

^٢ انظر فيما يلي ٢٨٥. وحول تأسيس مدينة القاهرة

راجع الدراسات الآتية، Creswell, K. A.C., «The Foundation of Cairo», *Bull. of the Fac. of Arts, Univ. of Egypt* I (1933), pp. 258-81, id., «The

^٣ انظر خبر هذه الحارات في أول المجلد الثالث فيما يلي.

الشور جامعًا وقَصْرًا، وأَعَدُّهَا مَعْقَلًا يُتَخَصَّنُ بِهِ وَتَنْزِلُهُ عَسَاكِرُهُ، وَاحْتَفَرَ الْخَنْدَقَ مِنَ الْجِهَةِ الشَّامِيَّةِ لِيَنْتَعِ اقْتِحَامَ عَسَاكِرِ الْقَرَامِطَةِ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ مِقْدَارُ الْقَاهِرَةِ حَيْثُ أَقْلُ مِنْ مِقْدَارِهَا الْيَوْمَ، فَإِنَّ أَبْوَابَهَا كَانَتْ مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعَةِ: فِي الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ - الَّتِي تُقْضَى بِالسَّائِلِكِ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ مِصْرَ - بَابَانِ مُتَجَاوِرَانِ يُقَالُ لِهَمَا

- «بَابَا زَوَيْلَةَ»، وَمَوْضِعُهُمَا الْآنَ بِجِدَاءِ الْمَسْجِدِ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ سِوَى عَقْدِهِ، وَيُعْرَفُ بِبَابِ الْقَوْسِ. وَمَا بَيْنَ بَابِ الْقَوْسِ وَبَابِ زَوَيْلَةَ الْكَبِيرِ لَيْسَ مِنْ الْمَدِينَةِ الَّتِي أَشْسَهَا الْقَائِدُ جَوْهَرٌ، وَأَمَّا هِيَ زِيَادَةٌ حَدَثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَكَانَ فِي جِهَةِ الْقَاهِرَةِ الْبَحْرِيَّةِ - وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّكَ مِنْهَا إِلَى عَيْنِ شَمْسٍ - بَابَانِ: أَحَدُهُمَا «بَابُ النَّصْرِ» وَمَوْضِعُهُ بِأَوَّلِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي قُدَّامَ الْجَامِعِ / الْحَاكِمِيِّ الْآنَ، وَأَذْرَكْتُ قِطْعَةً مِنْهُ

- ٣٦ كَانَتْ قُدَّامَ الرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ. وَمَا بَيْنَ هَذَا الْمَكَانِ وَبَابِ النَّصْرِ الْآنَ ثَمَّا زَيْدٌ فِي مِقْدَارِ الْقَاهِرَةِ بَعْدَ جَوْهَرٍ.

وَالْبَابُ الْآخَرُ مِنَ الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ «بَابُ الْفَتْوحِ»، وَعَقْدُهُ بَاقٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مَعَ عِضَادَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ وَعَلَيْهِ أَسَاطِيرُ مَكْتُوبَةٌ بِالْقَلَمِ الْكُوفِيِّ. وَمَوْضِعُ هَذَا الْبَابِ الْآنَ بِآخِرِ شَوَقِ الْمُزَحِّلِينَ وَأَوَّلِ رَأْسِ حَازَةِ بَهَاءِ الدِّينِ ثَمَّا يَلِي بَابَ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ. وَمَا^(١) بَيْنَ هَذَا الْعَقْدِ وَبَابِ الْفَتْوحِ، مِنَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي زِيدَتْ فِي الْقَاهِرَةِ مِنْ بَعْدِ جَوْهَرٍ.

- ١٥ وَكَانَ فِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ - وَهِيَ الْجِهَةُ الَّتِي يُسَمِّكَ مِنْهَا إِلَى الْجَبَلِ - بَابَانِ أَيْضًا^(٢): أَحَدُهُمَا يُعْرَفُ الْآنَ بِـ «الْبَابِ الْمَخْرُوقِ»، وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ «بَابُ الْبَرْقِيَّةِ»، وَمَوْضِعُهُمَا دُونَ مَكَانِهِمَا الْآنَ. وَيُقَالُ لِهَذِهِ الزِّيَادَةِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ «بَيْنَ السُّورَيْنِ». وَأَحُدُ الْبَاقِيَيْنِ الْقَدِيمَيْنِ مَوْجُودٌ إِلَى الْآنَ أَشْكُفْتُهُ^٣.

(a) بولاق: وفيها. (b) ساقطة من بولاق.

^١ عِضَادَةٌ (Jambage) بِذِمَاكَ التَّاسِيْسِ، وَهِيَ هُنَا

كَتَفُ الْبَابِ أَوْ رَكِيزَتُهُ أَيْ جَانِبَا إِطَارِ الْبَابِ (عَبْدُ الرَّحِيمِ غَالِبٌ: مَوْسُوعَةُ الْعِمَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٢٧٥؛ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَمِينٌ وَلِئَالِي عَلِيٍّ إِبْرَاهِيمٌ: الْمَصْطَلَحَاتُ الْمَعْمَارِيَّةُ فِي الْوُثَائِقِ الْمَمْلُوكِيَّةِ ٨١).

^٢ أَشْكُفْتُهُ. الْعِنْيَةُ الْغَلِيَا لِلْبَابِ، وَهِيَ حَجَرٌ مُسْتَطِيلٌ الشَّكْلَ يُسَاعِدُ مَعَ الْعِضَادَتَيْنِ عَلَى حَمْلِ جِدَارٍ وَاجِهَةٍ أَيْ مَبْنًى.

وكان في الجهة الغربية من القاهرة - وهي المطلة على الخليج الكبير - بابان : أحدهما «باب سعادة» ، والآخر «باب القنطرة»^٥، وباب ثالث يعرف بـ «باب الخوخة» أطلقه حدث بعد جؤهر .

وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع ، يقال لأحد القصرين «القصر الكبير الشرقي» ، وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حريمه ، وموضع مجلسه لدخول القساكر وأهل الدولة ، وفيه الدواوين وثبت المال وخزائن السلاح وغير ذلك . وهو الذي أسسه القائد جؤهر ، وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء . والآخر تجاه هذا القصر ، ويُعرف بـ «القصر الغربي» ، وكان يُشرف على البستان الكافوري ويتحول إليه الخليفة في أيام الثيل للترفة على الخليج ، وعلى ما كان إذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي كان^٦ يقال لها بطن البقرة ، ومن البستان المعروف بالبغدادية ، وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهري . وكان يُقال لمجموع القصرين «القصور الزاهرة» ، ويُقال للجامع «جامع القاهرة» و «الجامع الأزهر» .

فأما «القصر الكبير الشرقي» ، فإنه كان من باب الذهب - الذي موضعه الآن مخرباً المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك^٧ الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري - وكان يعلو عقد باب الذهب منظره يُشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معروفة ، وكان باب الذهب هذا هو أعظم أبواب القصر^٨ .

ويُشلك من باب الذهب المذكور إلى باب البحر - وهو الباب الذي يُعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية - ويُشلك^٩ من باب البحر إلى الركن المخلق^{١٠}، ومنه إلى باب الرّيح ؛ وقد أذكرنا منه عِصِدَاتِيهِ وأشكفته وعليها أَسْطُرٌ بالقلم الكوفي ، وجميع ذلك مبني بالحجر ، إلى أن هدمه الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الأستاذار . وفي موضعه الآن قيسارية أنشأها المذكور بجوار مدرسته من رَحْبَةٍ باب العيد^{١١} .

(a) في النسخ : باب الفرج وجاء على هامش أبياصوفيا : لعله باب القنطرة ، وهو الصواب . (b) ساقطة من بولاق . (c) أبياصوفيا : الخروق وانظر فيما يلي ٤٣٥ .

^١ سيفضل المقرئ فيما يلي ٢٨٤-٣٠٨ ، ٤٢١-
^٢ لم يُفرد المقرئ هذه القيسارية بمدخل مستقل عند ذكره للقياسر مثل سائر المنشآت المعاصرة له التي ذكر بعضها وأهمها بعضها الآخر .



القاهرة وسور القايد بجوهر في النصف الأول من تاريخ الدولة الفاطمية



القاهرة وأشوارها قُرب نهاية العصر الفاطمي
(تَصَوُّرٌ بواسطة الحاسب الآلي ، عن إزار الصَّيَّاد)

وَيُسَمَّلَك من باب الرِّيح المذكور إلى باب الزُّمُود - وهو موضع المَدْرَسَة الحِجَازِيَّة الآن - ومن باب الزُّمُود إلى باب العيد، وعَقْدُهُ^١ باقي وفوقه قُبَّة إلى الآن في دَرْب السَّلَامِي بِحُط رَحْبَة باب العيد.

وكان قُبالة باب العيد هذا رَحْبَة عَظِيمَة في غاية الاتساع، يَقِفُ فيها العساكِرُ الكثيرة من الفارس والراجل في يومي العيدين، تُعرَفُ بـ «رَحْبَة العيد»، وهي من باب الرِّيح إلى خِزَانَة البُثُود.

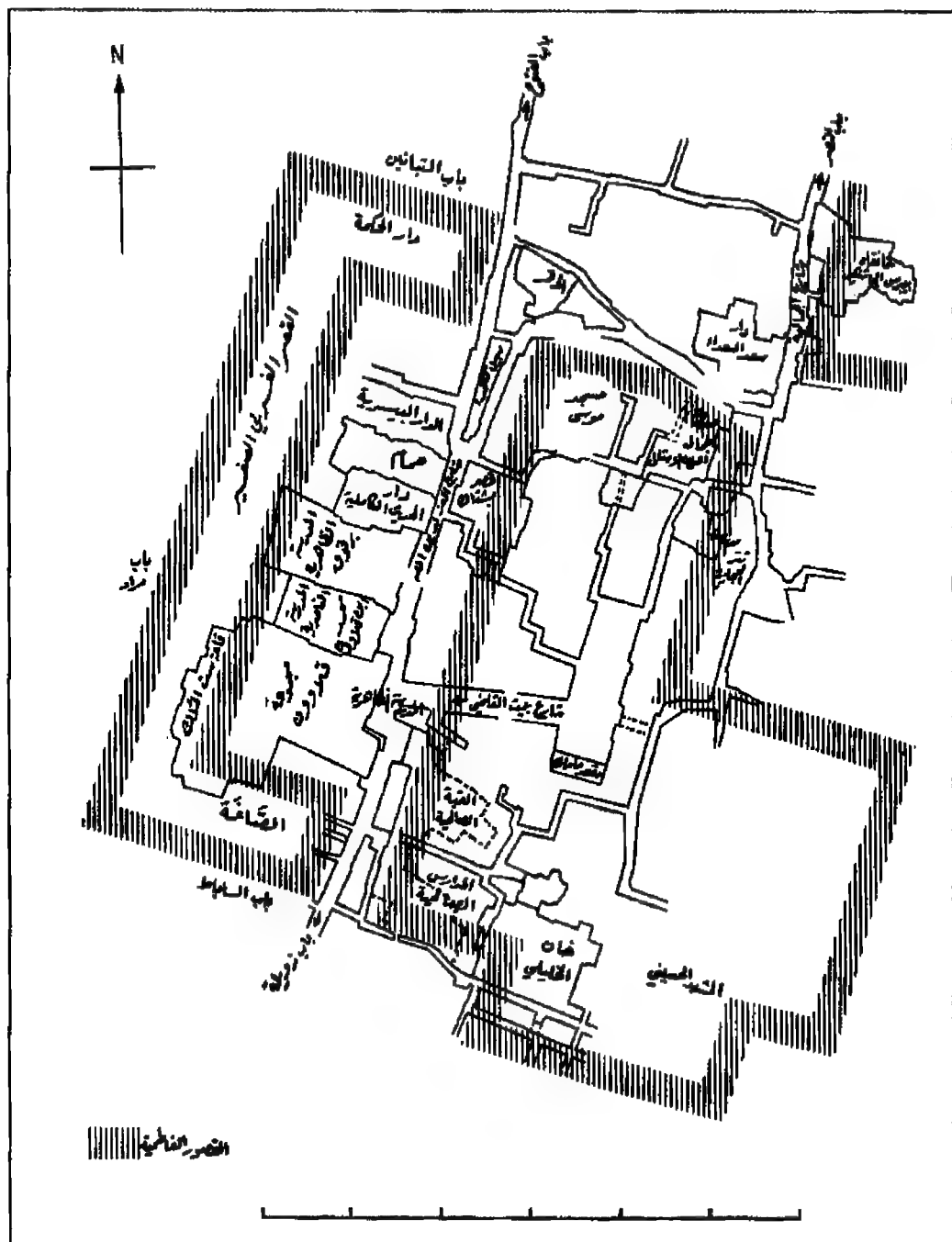
وكان يلي باب العيد «السَّفِينَة»^٢، وبجوار السَّفِينَة^٣ «خِزَانَة البُثُود»، ويُسَمَّلَك من خِزَانَة البُثُود إلى باب قَصر الشُّوك؛ وأَذْرَكْتُ منه قِطْعَة من أَحَد جانبيه كانت تَجَاه الحِمَام التي غُرِقَتْ بِحِمَام الأَيْدُمَرِي، ثم قيل لها في زَمَننا حِمَام يُوس^٤، بجوار المكان المعروف بِخِزَانَة البُثُود. وقد عَمِلَ مَوْضِع هذا الباب رُقَاقٌ يُسَمَّلَك منه إلى المَارِشَتَان العتيق وقَصر الشُّوك ودَرْب السَّلَامِي وغيره، ويُسَمَّلَك من باب قَصر الشُّوك إلى باب الدَّيْلَم، وموضعه الآن المَشْهَدُ الحُسَيْنِي.

وكان فيما بين قَصر الشُّوك وباب الدَّيْلَم رَحْبَة عَظِيمَة، تُعرَفُ بـ «رَحْبَة قَصر الشُّوك»، أولها من رَحْبَة خِزَانَة البُثُود، وآخرها حيث المَشْهَدُ الحُسَيْنِي الآن. وكان قَصر الشُّوك يُشْرِف على إِسْطَبِل الطَّارِمَة.

ويُسَمَّلَك من باب الدَّيْلَم إلى باب ثُوبَة الرُّعْفَرَان - وهي مَقْبَرَة أهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم - وموضع باب ثُوبَة الرُّعْفَرَان فُنْدُق الخَلِيلِي في هذا الوقت ويُعرَفُ بِحُط الزُّرَاكِشَة العتيق^٥. وكان فيما بين باب^٦ الدَّيْلَم وباب ثُوبَة الرُّعْفَرَان، «الحُفُوحُ الشَّيْخ» التي يَتَوَصَّلُ منها الخَلِيفَة إلى الجامع الأزهر في ليالي الوُقُودات^٧، فيجلس بِمَنْظَرَة الجامع الأزهر ومعه حَزْمَة لمشاهدة الوُقُود والجمع. وبجوار الحُفُوحُ الشَّيْخ «إِسْطَبِل الطَّارِمَة»، وهو بِرَسْم الخَيْل الخاصَّ المَعْدَة لِرِكَاب الخَلِيفَة.

(a) في النسخ المنقولة عن خط المؤلف: السفينة، وتكررت بهذا الاسم بعد ذلك، وقرأها كثير من الدارسين: السفينة (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: القودات.

^١ القفد ج. أغقاد وعُقُود. عنصر معماري مَقُوس يعتمد
^٢ لم يرد المقيري هذه الحمام بمدخل مستقل عند ذكر
 على تقطبي ارتكاز، يشكّل عادة فتحات البناء أو يحيط بها الحمامات.
 (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة ٢٧٥-٢٨٨).
^٣ فيما يلي ٣٥١.



وكان مُقابل باب الدَّيْلَم، ومن وراء إسْطَبْل الطَّارِمة، الجامع المعدّ لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع، وهو الذي يُعرف في وقتنا هذا بـ «الجامع الأزهر»، ويسمى في كُتُب التاريخ بـ «جامع القاهرة»، وقُدّام هذا الجامع رَحبةٌ مُتبعة من حدّ إسْطَبْل الطَّارِمة إلى الموضع الذي يُعرف اليوم بالأُكفانيين.

وَيُسَمِّلُكَ من باب تُرْبَةُ الرُّغْفَران إلى باب الرُّهُومَة - وموضعه الآن باب سِرِّ قاعة مُدَرِّس^٩ الحنابلة من المدارس الصالحية - وفيما بين باب^{١٠} تُرْبَةُ الرُّغْفَران وباب الرُّهُومَة «دارُ العِلْم» و«جِزائَةُ الدَّرَق».

وَيُسَمِّلُكَ / من باب الرُّهُومَة إلى باب الذَّهَب المذكور أوْلاً؛ وهذا هو دُور «القصر الشرقي الكبير»^١.

وكان بجِذاء رَحبة باب العيد «دارُ الضَّيافة» - وهي الدَّار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هي اليوم خانقاه للصوفية^٢ - ويُقابلها «دارُ الوِزارة»، وهي حيث الرُّفاق المُقابل لِياب سعيد السعداء، والمُدْرَسَةُ القراشقرية، وخانقاه بَيْبُوس وما يُجاورها إلى باب الجُوانية، وما وراء هذه الأماكِن.

وبجوار دار الوِزارة، «الحُجْبَسَر»، وهي من جِذاء دار الوِزارة بجوار باب الجُوانية إلى باب القُصر القديم. ومن وراء دار الوِزارة «المنّاخ السعيد»، ويُجاوره حارةُ العُطوفية، وحارةُ الرُّوم الجُوانية. وكان جامع الحُطْبَةِ - الذي يُعرف اليوم بجامع الحايكَم - خارجاً عن القاهرة، وفي غريبه الزيادة التي هي باقية إلى اليوم، وكانت أَمْراءُ لِحْزَن الغِلال التي تُدْخِر بالقاهرة كما هي عادةُ الحُصُون.

(٩) بولاق : مدرسة . (١٠) ساطعة من بولاق .

الصالحية من حيث ابتدأت؛ فما كان على يسارك في جميع دَوَرَتِكَ فهو موضع القصر (صبح الأعشى ٣: ٣٤٥-٣٤٦).
٢ هنا وهم من المقرئ في دار الضيافة كانت أوْلاً في دار المُظفّر بن بدر الجمالي داخل حارة بَرْجوان (فيما يلي ٥٠٩)، وعندما ذكر خانقاه سعيد السعداء (فيما يلي ٤١٥:٢) لم يذكر أنها استخدمت داراً للضيافة.

^١ قَدِمَ القَلْبُشَنْدِي، معاصر المقرئ، وصُفّاً لحدود القصر الفاطمي يُكْمَل ويُوضَّح وصف المقرئ؛ يقول: «ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رَحبة الأُمْدُثْرِي طَوْلاً، ومن الشَّيْخ شُحُوح إلى رَحبة العيد عَرْضاً، والحدّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضي إلى الشَّيْخ شُحُوح ثم إلى المشهد الحُسَيْنِي ثم إلى رَحبة الأُمْدُثْرِي ثم إلى الرُّوْحَن الخَلْق ثم إلى بَيْن القصرين، حتى تأتي إلى باب المدرسة

وكان في غربي الجامع الأزهر حارةُ الدَّيْلَم، وحارةُ الروم البيوانية، وحارةُ الأتراك - وهي التي تُعرف اليوم بدَرْب الأتراك - وحارةُ الباطليَّة.

وفيما بين باب الزُّهومة والجامع الأزهر وهذه الحارات، «خَزَائِنُ الْقَصْرِ» وهي: خزانةُ الكُتُب، وخزانةُ الأُشربة، وخزانةُ السُّروج، وخزانةُ الحليم، وخزائِنُ القُرَش، وخزائِنُ الكسوات، وخزائِنُ دار أَفْكِين، ودارُ الفِطْرَة، ودارُ التَّعَبَة، وغير ذلك من الخَزَائِن. هذا ما كان في الجهة السُّرْبِيَّة من القاهرة.

وأما «الْقَصْرُ الصَّغِيرُ الْغَرْبِي» فإنه مَوْضِعُ المَارِشْتَان الكبير المنصوري إلى جوار حارة بَرْجوان. وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشَّرْقِي فضاءٌ تُتَسَّعُ يقف فيه عشرةُ آلاف من العساكر، ما بين فارسٍ وراجلٍ، يُقالُ له «بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ».

وبجوار القصر الغَرْبِي «الْمَيْدَانُ» - وهو المَوْضِع الذي يُعرف بالحُرْنُشَف - و«إِسْطَبْلُ الْجَيْمِيزَةِ»^(٥). وبجِذَاء المَيْدَان «البُشْتَان الكافوري» المُطْلَم من غربه على الخَلِيج الكبير. ويُجاوِر المَيْدَان دارُ بَرْجوان الغَرْبِي، وبحذائها رَحْبَةُ الأَقْيَال، ودارُ الصِّيَافَةِ الْقَدِيمَةِ، ويُقالُ لهذه المواضع الثلاثة حارةُ بَرْجوان.

ويُقابلُ دارُ بَرْجوان «الْمُنْحَصَرُ» وموضعه الآن يُعرف بالدَرْب الْأَصْفَر، ويُدْخَلُ إليه من قُبَالَةِ خَائِقَةِ بَيْتِزَس. وفيما بين ظَهْرِ الْمُنْحَر وباب حارة بَرْجوان سُوقُ أميرِ الجِيُوش، وهو من باب حارة بَرْجوان الآن إلى باب الجامع الحَاكِمِي.

ويُجاوِر حارة بَرْجوان من بَحرِهَا «إِسْطَبْلُ الْحُجْرِيَّة»، وهو مُتَّصِلٌ بِبَابِ الْفَتْوح الْأَوَّل، ومَوْضِعُ بَابِ إِسْطَبْلِ الْحُجْرِيَّة يُعرف اليوم بِخَانَ الْوِرَاقَةِ وَالْقَيْسَارِيَةِ تَجَاهَ الْجَمَلُونَ الصَّغِيرِ وَسُوقِ الْمُرْحَلِينَ. وتَجَاهُ إِسْطَبْلِ الْحُجْرِيَّة الزَّيَادَةِ، وفيما بين الزَّيَادَةِ وَالْمُنْحَرِ دَرْبُ الْفَرْنَجِيَّة.

وبِجْوَارِ البُشْتَان الكافوري حارةُ زَوَيْلَة، وهي تُتَّصِلُ بِالْخَلِيجِ الكبير من غَربِهَا. وتَجَاهُ حارة زَوَيْلَة «إِسْطَبْلُ الْجَيْمِيزَةِ»، وفيه خِيُولُ الْخَلِيفَةِ أَيْضًا. وفي هذا الإِسْطَبْلُ بَيْتُ زَوَيْلَة، ومَوْضِعُهَا الآن قَيْسَارِيَّةٌ مَعْقُودَةٌ عَلَى الْبَحْرِ الْمَذْكُورَةِ، يعلوها رَبْعٌ يُعرف بِقَيْسَارِيَةِ ثُوْنَسٍ مِنْ حُطَّ الْبُشْدَقَانِيَيْنِ، فَكَانَ إِسْطَبْلُ الْجَيْمِيزَةِ الْمَذْكُورِ فِيما بين الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَحرِهَا وَبَيْنَ حارة زَوَيْلَة، ومَوْضِعُهُ الآن قُبَالَةَ بَابِ سِيَرِ الْمَارِشْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ إِلَى الْبُشْدَقَانِيَيْنِ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) في جميع النسخ: الطارمة وهو التباس من المقرري.

وبجاء القصر الغربي من قبله «مطبخ القصر» تجاه باب الزهومة المذكور ، والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية . ويجوار المطبخ الحارة العدوية ، وهي من الموضع الذي يُعرف بحمام خشبية إلى حيث الفتق الذي يُقال له فُتق الرمام . ويجوار العدوية حارة الأمراء ، ويُقال لها اليوم ^(a) قَرْب شمس الدولة ، ويجوار حارة الأمراء «الصاغة القديمة» وموضعها اليوم ^(b) سوق الزجاجين وسوق الحريرين الشرابين .

ويجوار الصاغة القديمة «حبس المعونة» ، وهو موضع قيسارية العنبر ، وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين ، وهو يُعرف اليوم بالخراطين ؛ ويجوار حبس المعونة دكة الحشبة ودار العيار ، ويُعرف موضع دكة الحشبة الآن بالأنبارين ؛ وفيما بين دكة الحشبة وحارتي الزوم والدليم سوق السراجين ، ويُقال له الآن الشوائين ؛ وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البهاء الذي تُسميه العائمة سام بن نوح ؛ ويجوار هذا المسجد باب زويلة .

وكان من جدار حارة زويلة ، من ناحية باب الخوخة ، «دار الوزير يعقوب بن كلّس» ، وصارت بعده «دار الديباج» و«دار الاستعمال» ، وموضعها الآن المدرسة الصالحية ^(c) وما وراءها . وتتصل دار الديباج بالحارة الوزيرية ، وإلى جانب الوزيرية الميدان الآخذ ^(d) إلى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة أمراء أيضا ومشطاح ^(e) .

هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية ، وحدثت هذه الأماكن شيئا بعد شيء . ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل مُلك ومُعقل قتال ، لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخوادمه الذين يُشرّفهم بقربه فقط .

وأما «ظاهر القاهرة» من جهاتها الأربع فإنه كان في الدولة الفاطمية على ما أذكر :
أما «الجهة القبليّة» - وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولا ، وفيما بين الخليج الكبير والجل غرضا - فإنها كانت قسمين : ما جازة ^(a) يمينك إذا خرجت من باب زويلة تريد مصر ، وما جازة ^(b) شمالك إذا خرجت منه نحو الجبل .

فأما ما جازة ^(c) يمينك - وهي المواضع التي تُعرف اليوم بدار التفاح ، وتحت الزنبر ، والقشاشين ، وقنطرة باب الخرق ، وما على حافتي الخليج من جانبيه / طولا إلى الحراء التي يُقال

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الصالحية . (c) بولاق : الآخر . (d) بولاق : وسطاح . (e) بولاق :

لها اليوم سُحْطَ قَنَايِرُ السَّبَاعِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ سُورَةُ غُصْفُورٍ ، وَحَارَةُ الْحَمَزَيْنِ ، وَحَارَةُ بَنِي شُوسٍ إِلَى الشَّارِعِ ، وَبُزْكَةُ الْفِيلِ وَالْهَيْلَانِيَّةُ وَالْمَحْمُودِيَّةُ إِلَى الصُّلَيْبِيَّةِ وَمَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ - فَإِنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِينَ كُلَّهَا كَانَتْ بَسَاتِينَ تُعْرَفُ بِجَنَانِ الزُّهْرِيِّ ، وَبُنْتَانِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدَّوْلَةِ هُنَاكَ حَارَاتٌ لِلشُّودَانِ ، وَعُمَرُ الْبَابِ الْجَدِيدِ - وَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَابِ الْقَوْسِ - مِنْ شَوْقِ الطُّيُورِ فِي الشَّارِعِ عِنْدَ رَأْسِ ^(a) ، وَحَدَّثَتْ الْحَارَةُ الْهَيْلَانِيَّةُ ، وَالْحَارَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ .

وَأَمَّا مَا جَاوَزَهُ ^(b) شِمَالُكَ - حَيْثُ الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ الصَّالِحِ وَالذُّرْبِ الْأَخْمَرِ إِلَى قَطَايِعِ ابْنِ طُولُونِ الَّتِي هِيَ الْآنَ الرِّمِيَّةُ وَالْمَيْدَانُ تَحْتَ الْقَلْعَةِ - فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مَقَابِرَ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ .

وَأَمَّا «جِهَةُ الْقَاهِرَةِ الْغَرْبِيَّةِ» - وَهِيَ الَّتِي فِيهَا الْخَلِيجُ الْكَبِيرُ ، وَهِيَ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ إِلَى الْمَقْسِ وَمَا جَاوَزَ ذَلِكَ - فَإِنَّهَا كَانَتْ بَسَاتِينَ مِنْ غَرْبِهَا الثَّلِثُ ، وَكَانَ سَاحِلُ الثَّلِثِ بِالْمَقْسِ حَيْثُ الْجَامِعُ الْآنَ ، فَيَمُرُّ مِنَ الْمَقْسِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ ^(c) الْجُرُوفُ ، وَيَمْضِي عَلَى شِمَالِي أَرْضِ الطَّبَائِلَةِ إِلَى الْبَغْلِ ، وَمَوْضِعُ كُومِ الرَّيْشِ إِلَى الْمُنْبِيَةِ .

وَمَوَاضِعُ هَذِهِ الْبَسَاتِينَ الْيَوْمَ أَرْضِي اللَّوْقِ وَالزُّهْرِيِّ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْحُكُورَةِ الَّتِي فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ إِلَى بُزْكَةِ قَزْمُوطٍ وَالْخُورِ وَثُولَاقٍ . وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ بَابِ سَعَادَةِ وَبَابِ الْخَوْجَةِ وَبَابِ الْفَرْجِ وَبَيْنَ الْخَلِيجِ فُضَاءً لَا بُنْيَانَ فِيهِ ، وَالْمَنَاظِرُ تُشْرِفُ عَلَى مَا فِي غَرْبِ الْخَلِيجِ مِنَ الْبَسَاتِينَ الَّتِي وَرَاءَهَا بَحْرُ الثَّلِثِ .

وَيَخْرُجُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ الْمَنَاظِرِ وَالْخَلِيجِ لِلتَّزَهُةِ ، فَيَجْتَمِعُ هُنَاكَ مِنْ أَرْبَابِ الْبَطَالَةِ وَاللَّهُوِ مَا لَا يُخَصِّي عَدَدُهُمْ ، وَتَمُرُّ لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالْمَسْرُوتِ مَا لَا تَسَعُ الْأَوَارِقُ حِكَايَتَهُ ، تُخْصِصُ فِي أَيَّامِ الثَّلِثِ عِنْدَمَا يَتَحَوَّلُ الْخَلِيفَةُ إِلَى اللَّوْلُؤَةِ وَيَتَحَوَّلُ خَاصَّتُهُ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ وَمَا جَاوَزَهَا ، فَإِنَّهُ تَكَثَّرَ حَيْثُذِ الْمَلَاذِ بِسَعَةِ الْأَرْزَاقِ وَإِذْارِ التَّعَمُّ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^١ .

وَأَمَّا «جِهَةُ الْقَاهِرَةِ الْبَحْرِيَّةِ» فَإِنَّهَا كَانَتْ قَسَمَيْنِ : خَارِجَ بَابِ الْقُتُوحِ ، وَخَارِجَ بَابِ النَّصْرِ . أَمَّا خَارِجُ بَابِ الْقُتُوحِ فَإِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مَنَظَرَةٌ مِنَ مَنَاظِرِ الْخِلَافَةِ ^(d) ، وَقُدَّامُهَا الْبُنْتَانَانِ الْكَبِيرَانِ : وَأَوَّلُهُمَا مِنْ رُفَاقِ الْكَخْلِ ^٢ ، وَآخِرُهُمَا مِثْنِيَّةٌ مَطَرُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْمَطَرِيَّةِ . وَمِنْ غَرْبِ هَذِهِ

(a) يَاضُ فِي جَمِيعِ النُّسخِ لَعَلَّهُ : الْمَنْجِيَّةُ . (b) يُولَاقُ : حَاذِي . (c) سَاقِطَةٌ مِنْ يُولَاقٍ . (d) يُولَاقُ : الْخِلْفَاءُ .

^١ انظر فيما يلي ٥٢٨ - ٥٣٧ . ^٢ رُفَاقُ الْكَخْلِ . لم يُفَرِّدِ الْقُرَيْشِيُّ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ مِنْ -

المنظرة - في جانب الخليج الغربي - منظره البقل ، فيما بين أرض الطبالاة والخندق ، والقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساتين الأنيقة المنصوبة لتزده الحليفة .

وأما خارج باب النضر فكان به «مصلّى العيد» التي عُيِّلَ من بعضها مُصَلَّى الأموات لا غير^١ ، والقضاء من المصلّى إلى الزبدانية وكان بُتْنَانًا عَظِيمًا ، ثم حَدَثَ في ما خَرَجَ من باب النضر «تربة أمير الجيوش بذر الجمالي» ، وعَمَرَ النَّاسُ التُّرْبَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا^٢ ، وَحَدَّثَ فِيهَا خَرَجَ عَنْ بَابِ الْفَتْوحِ عَمَائِرُ مِنْهَا «الْحُسَيْنِيَّة» وغيرها^٣ .

وأما «جِهَةُ الْقَاهِرَةِ الشَّرْقِيَّة» - وهي ما بين الشور والجبل - فإنه كَانَ قَضَاءً ، ثُمَّ أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ تُلْقَى أَتْرَبَةُ الْقَاهِرَةِ مِنْ وَرَاءِ الشُّورِ لَتَقْنَعَ الشُّيُولُ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَصَارَ مِنْهَا الْكَيْمَانُ الَّتِي تُعْرَفُ بِـ «كَيْمَانِ الْبَرْقِيَّة» . وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْجِهَةُ خَالِيَةً مِنَ الْعِمَارَةِ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ . (فَشَبَّحَانِ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ^٤) .

ذَكَرَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْقَاهِرَةُ بَعْدَ اسْتِخْلَاءِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ عَلَيْهَا

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْقَاهِرَةَ إِذَا وَضِعَتْ مَنْزِلَ سُكْنَى لِلْخَلِيفَةِ وَحَرَمِهِ وَمُجَنِّدِهِ وَخَوَاصِهِ ، وَمَغْفَلٌ يُقَاتَلُ يُتَخَصَّنُ بِهَا وَيُلْتَجَأُ إِلَيْهَا ؛ وَأَنَّهَا مَا بَرَحَتْ هَكَذَا حَتَّى كَانَتْ الشَّدَّةُ^(b) الْعَظِيمَةُ فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَعْمِرِ . ثُمَّ قَدِمَ أَمِيرُ الْجِيُوشِ بَذْرُ الْجَمَالِيِّ وَسَكَنَ الْقَاهِرَةَ ، وَهِيَ يَابَتْ دَائِرَةً خَاوِيَةً عَلَى غُرُوشِهَا غَيْرِ عَامِرَةٍ . فَأَبَاحَ لِلنَّاسِ مِنَ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمِلْحِيَّةِ وَالْأَزْمَنِ ، وَكُلِّ مَنْ وَصَلَتْ قُدْرَتُهُ إِلَى عِمَارَةٍ ، بِأَنْ يُعَمَّرَ مَا شَاءَ فِي الْقَاهِرَةِ ثُمَّ خَلَا مِنْ قُشَطَاطِ مِصْرَ وَمَاتَ أَهْلُهُ ، فَأَخَذَ النَّاسُ مَا كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَنْقَاضِ الدُّورِ وَغَيْرِهَا ، وَعَمَرُوا بِهِ الْمَنَازِلَ فِي الْقَاهِرَةِ وَسَكَنُوهَا^٤ . فَمِنْ حَيْثُفِي سَكَنَتِهَا

(a-a) موضع هذه العبارة في أبياصونيا : والله أعلم . (b) بولاق : السنة .

^١ انظر فيما يلي ٤٧٨ .

^٢ عن تربة أمير الجيوش بذر الجمالي وما حولها من التُّرْبِ

انظر فيما يلي ٢٢:٢ ، ١٣٨-١٣٩ ، ٤٤٣-٤٦٣ .

^٣ الحسينية انظرها فيما يلي ٢٠٢-٢٢ .

^٤ فيما تقدم ٩:١-١٠ .

= كتابه مدخلًا لتحديد موقع زقاق الكحل ، وذكر (فيما يلي ٤٣٠:٢) في معرض حديثه عن زاوية الشيخ خضر شيخ السلطان الظاهر بيبرس ، أنها خارج باب الفتح من القاهرة بخط زقاق الكحل تُشرف على الخليج . وحَّد محمد بك رمزي موقع زقاق الكحل بالطريق المسمى بِسُكَّةِ الظَّاهِرِ أَوْ شَارِعِ الْمُنَسِّي فِي مُوَاجِهَةِ الْمَدْخَلِ الْجَنُوبِيِّ لِلْجَامِعِ الظَّاهِرِيِّ بِبِيرس (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٦٦:٧ هـ^١) .

أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا زَالَتْ^a الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ بِاسْتِيلَاءِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ، فَتَقَلَّهَا عُمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّيَانَةِ وَجَعَلَهَا مُبْتَدَلَةً^b (وَصَيَّرَهَا مَدِينَةً^b) لِسَكْنِ الْعَامَّةِ وَالْجُمْهُورِ ، وَحُطِّطَ مِنْ مِقْدَارِ قُصُورِ الْخِلَافَةِ وَأُسْكِنَ فِي بَعْضِهَا ، وَتَهْدِمُ الْبَعْضُ وَأُزِيلَتْ مَعَالِمُهُ وَتَغَيَّرَتْ مَعَاهِدُهُ فَصَارَتْ خِطَطًا وَحَارَاتٍ وَشَوَارِعَ وَمَسَالِكَ وَأَرْقَةً .

وَنَزَلَ السُّلْطَانُ مِنْهَا فِي دَارِ الْوِزَارَةِ الْكُبْرَى حَتَّى بُنِيَتْ قَلْعَةُ الْجَبَلِ ، فَكَانَ السُّلْطَانُ صَلَاحِ الدِّينِ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا وَيُقِيمُ بِهَا ، وَكَذَلِكَ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْغَزِيْرُ عُثْمَانُ وَأَخُوهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ . فَلَمَّا كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ ، تَحَوَّلَ مِنْ دَارِ الْوِزَارَةِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَسَكَنَهَا ، وَنَقَلَ شَوْقَ الْخَيْلِ وَالْجِيَالِ وَالْحَمِيرِ إِلَى الرَّمِيْلَةِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ^١ .

- ١٠ فَلَمَّا خَرِبَ الْمَشْرِقُ وَالْعِرَاقُ ، بِهُجُومِ عَسَاكِرِ التُّتْرَاقِ^c مِنْذُ كَانَ بَحْثِكِرْخَانُ فِي أَغْوَامٍ بَضَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ الْخَلِيفَةُ الْمُشْتَقِصِمُ بِبَغْدَادَ فِي صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، كَثُرَ قُدُومُ الْمَشَارِقَةِ / إِلَى مِصْرَ ، وَعُمِّرَتْ حَافَتِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ وَمَا دَارَ عَلَى بَرْكَةِ الْفِيلِ ، وَعَظُمَتْ عِمَارَةُ الْحُسَيْنِيَّةِ^٢ .

- ١٥ فَلَمَّا كَانَتْ سُلْطَنَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الثَّالِثَةِ بَعْدَ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ ، وَاسْتَجْدُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَبَانِي الْكَثِيرَةَ مِنَ الْقُصُورِ وَغَيْرِهَا ، حَدَّثَتْ فِيمَا بَيْنَ الْقَلْعَةِ وَقُبَّةِ النَّصْرِ عِدَّةٌ ثُرْبٍ ، بَعْدَ مَا كَانَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَضَاءً يُعْرَفُ بِالْمَيْدَانِ الْأَسْوَدِ وَمَيْدَانِ الْقَبْقِ^٣ . وَتَزَايَدَتِ الْقِمَائِرُ بِالْحُسَيْنِيَّةِ حَتَّى صَارَتْ مِنَ الرُّهْدَانِيَّةِ إِلَى بَابِ الْقُتُوحِ .

- ٢٠ وَعُمِّرَ جَمِيعُ مَا حَوْلَ بَرْكَةِ الْفِيلِ وَالصُّلَيْبَةِ إِلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ ، وَمَا جَاوَزَهُ إِلَى الْمَشْهَدِ النَّفِيسِ ، وَحَكَرَ النَّاسُ أَرْضَ الزُّهْرِيِّ وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا ، وَهُوَ مِنْ قَنَاطِرِ السُّبَاغِ إِلَى مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ ، وَمِنْ قَنَاطِرِ السُّبَاغِ إِلَى الْبَرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ إِلَى اللَّوْقِ إِلَى الْمَقْسِ . فَلَمَّا خَفَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ

(a) فِي النِّسْخِ : إِلَى أَنْ اقْتَرَضَتْ وَجَاءَ عَلَى هَامِشٍ أَبَاصُوفِيَا : يَحْرَرُ مَحَلُّهُ : فَلَمَّا زَالَتْ الدَّوْلَةُ . (b-b) سَاقِطَةٌ مِنْ بَوْلَاقِ .

(c) أَبَاصُوفِيَا : الطُّغْرُ .

^٣ فِيمَا يَلِي ١١١:٢ .

^١ فِيمَا يَلِي ٤٣٩ : ٢٠٣ .

^٢ فِيمَا يَلِي ٢٢:٢ .

الخليج الناصري، انتسعت الخطّة فيما بين المَقَسِّ والدُّكَّة إلى ساحل النّيل، وأنشأ النَّاسُ فيها البساتينَ العظيمةَ والمسالكَ الكثيرةَ والأشواقَ والجواميعَ والمساجدَ والحماماتَ والشُّونَ، وهي من المواضع التي من باب البخر خارج المَقَسِّ إلى ساحل النّيل المسمّى ببولاق، ومن بولاق إلى مُنْبَةِ السّيرج، ومنه في القِبْلة إلى مُنْشَأَ المَهْراني.

وعُمر ما خَرَجَ عن باب زَوَيْلَة بِمَنَّةٍ وَيَسْرَةَ من قَنْطَرَةِ الحَزَقِ إلى الخليج، ومن باب زَوَيْلَة إلى المَشْهَدِ الثَّقَيْسِي. وعُمِّرَتِ القَرَّافَةُ من باب القَرَّافَة إلى بِرْكَةِ الحَبِشِ طَوْلًا، ومن القَرَّافَة الكُبْرَى إلى الجَبَلِ عَرَضًا، حتّى لَئِه استجَدَّ في أيام النَّاصِر بن قلاوون بضع وستون جُحْرًا، ولم يبق مَكَانٌ يُحْكِر.

وَاتَّصَلَتِ عَمَائِزُ مِصْرَ والقاهرة، فصارا بلدًا واحدًا يشتمل على البساتينَ والمناظرَ والقُصُورَ والدُّورَ والرِّبَاعَ والقَيَاسِيرَ والأشواقَ والفنادقَ والخاناتَ والحماماتَ والشُّوَارِعَ والأزقةَ والدُّرُوبَ والخططَ والحاراتَ والأحْكَارَ والمساجدَ والجواميعَ والزُّوَاياَ والرِّبَطَ والمَشَاهِدَ والمدارسَ والتُّرُبَ والحوانيتَ والمطابخَ والشُّونَ والبِرْكَ والخِلْجَانِ والجَزَائِرَ والبساتينَ^١ والرِّياضَ والمتنزهاتَ، متصلاً جميع ذلك بعضه ببعض، من مَسْجِدِ تَبَرٍ إلى بساتين الوَزَرِ قِبْلِي بِرْكَةِ الحَبِشِ، ومن شاطئ النّيل بالحِيزَةِ إلى الجَبَلِ الْمُقَطَّمِ.

وما زالت هذه الأماكن في كثرةِ العِمَارَةِ وزيادةِ العَدَدِ، تَضِيقُ بِأَهْلِهَا لكَثْرَتِهِمْ وَتُخَالُ عَجَبًا بِهِمْ لَمَّا بِالغَرَا فِي تَحْسِينِهَا وَتَأَنَّقَرُوا فِي جَوْدَتِهَا وَتَلَمِيقِهَا، إلى أن حَدَثَ الفَنَاءُ الكَبِيرُ في سنة تَسْعِ وأربعين وسبع مائة^١، فَخَلَا كَثِيرٌ من هذه المواضع، وبقي كثيرٌ أَدْرَكَناه. فَلَمَّا كَانَتِ الحَوَادِثُ من

(١) ساقطة من بولاق.

grande peste noire en Syrie et en Égypte» dans *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, pp. 367-84 (وهو

ترجمة لما جاء بخصوص هذا الوباء من نصوص عند ابن كثير والمقريزي وأبي الحسن وابن إياس)؛ Dols, M., *The Black Death in the Middle East*, Princeton 1976; Shoshan, B., «Notes sur les épidémies de peste en Égypte», *Annales de démographie historique* (1981), pp. 387-404.

^١ الفناء الكبير. وباء اجتاح شعوب حوض البحر المتوسط واستمر نحو خمسة عشر عامًا، أُطْلِقَ عليه أيضًا «الفناء العظيم» والوباء الأسود. (راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ١١٠-١١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٤: ٢٢٥-٢٣٠؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨٧؛ أبا الحسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٩٥-٢١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٢٧-٥٣٣؛ وانظر كذلك Wiet, G.,

- سنة ستّ وثمان مائة وقصُرَ جزِي الثَّيْل فِي مَلْه، وَخَرِبَتِ الْبِلَادُ الشَّامِيَّةُ بِدُخُولِ الطَّاعِيَةِ
تَيَمُوزَ لَتْلِكَ وَتَحْرِيقِهَا وَقَتْلُ أَهْلِهَا، وَازْدِفَاعُ أَشْعَارِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ، وَكَثْرَةُ الْغَلَاءِ فِيهَا وَطُولُ مُدَّتِهِ،
وَقِلَافُ التَّعَوُّدِ الْمُتَعَاتِلِ بِهَا وَقَسَادُهَا، وَكَثْرَةُ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ، وَخَرَابُ بِلَادِهَا^١
الصَّمِيدِ وَبَجْلَاءُ أَهْلِهِ عَنْهُ، وَتَدَاعِي أَشْغَلِ أَرْضِ مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ إِلَى الْخَرَابِ،
وَأَقْضَاعِ أُمُورِ مُلُوكِ مِصْرَ، وَسُوءُ حَالِ الرِّعِيَّةِ، وَاسْتِيْلَاءُ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ^٢ وَالْحَاجَةِ وَالْمَشْكَنَةِ عَلَى
النَّاسِ وَكَثْرَةُ تَنَوُّعِ الْمَظَالِمِ الْحَادِثَةِ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ بِمُصَادَرَةِ الْجُمْهُورِ، وَتَبْخِيعِ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ
وَاجْتِيَازِ^٣ مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْمَالِ بِالْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَطَرَحِ الْبُضَائِعِ مِمَّا يَتَجَرُّ فِيهِ السُّلْطَانُ
وَأَصْحَابُهُ عَلَى التَّجَارِ وَالْبَاعَةِ بِأَعْلَى الْأَثْمَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَتَسَعُّ لِأَحَدٍ ضَبْطُهُ، وَلَا تَسَعُّ
الْأَوْرَاقُ حِكَايَتَهُ، كَثُرَ الْخَرَابُ بِالْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا وَعَمَّ سَائِرُهَا، وَصَارَتْ كَيْمَانًا وَخَرَابًا
مُوجِسَةً مَقْفُوزَةً بِأَوْبِهَا الْيَوْمَ وَالرَّحْمَ، أَوْ مُسْتَهْذَمَةً وَاقِعَةً أَوْ آيَلَةً إِلَى السَّقُوطِ وَالذُّثُورِ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي
قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا^٤.

ذِكْرُ طَرَفٍ مِمَّا قَبِلَ فِي الْقَاهِرَةِ وَمُنْتَهَاهَا

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ رِضْوَانَ الطَّبِيبِ: وَيَلِي الْقُسْطَاطُ - فِي الْعِظَمِ وَكَثْرَةِ النَّاسِ - الْقَاهِرَةُ،
وَهِيَ فِي شِمَالِ الْقُسْطَاطِ، وَفِي شَرْقِهَا أَيْضًا الْجَبَلُ الْمُقَطَّمُ يَتَفَوَّقُ عَنْهَا رِيحُ الصَّبَا، وَالثَّيْلُ مِنْهَا
أَبْعَدُ قَلِيلًا، وَجَمِيعُهَا مَكْشُوفٌ لِلْهَوَاءِ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُ فَوْقَ^١ رُبَّمَا عَاقَ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ.
وَلَيْسَ ارْتِفَاعُ الْأَنْبِيَةِ بِهَا كَارْتِفَاعِ أَثْنِيَّةِ^٢ الْقُسْطَاطِ لَكِنْ دُونَهَا كَثِيرًا، وَأَزَقَّتْهَا وَشَوَارِعُهَا -
بِالْقِيَاسِ إِلَى أَرْقَةِ الْقُسْطَاطِ وَشَوَارِعُهَا - أَنْظَفُ وَأَقْلُ وَسَخَا وَأَبْعَدُ مِنَ الْعَقَنِ، وَأَكْثَرُ شُرْبِ أَهْلِهَا
مِنْ مِيَاهِ الْآبَارِ،^٣ وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ تَحْرِقُهَا^٤ وَإِذَا هَبَّتِ رِيحُ الْجَنُوبِ أَحْدَرَتْ^٥ مِنْ بُخَارِ الْقُسْطَاطِ
عَلَى الْقَاهِرَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقُرْبُ مِيَاهِ آبَارِ الْقَاهِرَةِ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ - مَعَ سَخَاظَتِهَا - مُوجِبٌ
ضَرُورَةٍ أَنْ تَكُونَ يَصِلُ إِلَيْهَا بِالرُّشْحِ مِنْ عُقُودَةِ الْكُثْفِ شَيْءٌ مَا.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: واحتجاب. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: أخذت.

^١ تمثل هذه الفقرة نظرية نقدية ثابتة لأحوال مصر في زمن السلوك ٤: ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.

^٢ انظر عن عمل فوق فيما تقدم ٣٩. المقيزي، والتي أرجع المقيزي سببها في مواضع أخرى من كعبه إلى سوء تدبير السلطان الناصر فرج بن برقوق (انظر

وبين القاهرة والقشطاط بطائخ تتلى من رشح الأرض في أيام فيض النيل ، ويصب فيها بعض سخرات القاهرة ، ومياه البطائخ هذه رديئة ويسخة أرضها ، وما يصب فيها من الغفونة يقتضي أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والقشطاط زائدا في رداءة الهواء بهما . ويُطرح في جنوب القاهرة قنر كثير نحو حارة الباطلية ، وكذلك يُطرح في وسط حارة / القبيد^(٨).

• إلا أنه إذا تأملنا حال القاهرة كانت - بالإضافة إلى القشطاط - أعذل وأجود هواء وأصلح حالا ، لأن أكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة ، والبخار ينحل منها أكثر . وكثير أيضا من أهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في أيام دُخوله الخليج ، وهذا الماء يُشقى بعد مروره بالقشطاط واختلاطه بعفوناتها^١.

قال : وقد اقتصر أمر القشطاط والجزيرة والجزيرة : فظاهرا أن أصح أجزاء المدينة الكبرى القرافة ، ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الخمر والجزيرة ، وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار القشطاط وقربه من الشمال ، وأردأ^(ب) موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من القشطاط حول الجامع القتيق إلى مايلي النيل والسواحل . وإلى جانب القاهرة من الشمال الخندق ، وهو في غور ، فهو^(ج) يتغير أبدا لهذا السبب . فأما المقس فمجاورته للنيل تجعله أوطب^٢.

١٥ وقال ابن سعيد في كتاب «المغرب في حلى المغرب»^(د) ومن خطه نقلت ما نصه من كتاب الكمائم للبيهقي^(د) : وأما مدينة القاهرة فهي الحالية الباهرة التي تفتن فيها الفاطميون وأبدعوا في بنائها ، واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لأرجائها ، فنبى القشطاط ، وزهد فيه بعد الاعتباط^٣. قال : وسُميت القاهرة لأنها تَقهر من شدتها عنها ورام مخالفة أمرها^(هـ) ، وقدروا أن منها يملكون الأرض ويستولون على قهر الأمم ، وكانوا يُظهرون ذلك ويتخذون به^٤.

(٨) كذا في النسخ وعند ابن رضوان . وربما كان المقصود : ربة العيد . (ب) بولاق : وأرقى . (ج) ابن رضوان : هوائه . (د-د) في بولاق والنسخ : عن البيهقي والجب من مسودة الموايط . (هـ) بولاق : أمرها والتصويب من المسودة .

^١ ابن رضوان : دفع مضار الأبدان بأرض مصر ^٣ ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ١٦٦-١٦٢ .
٢١ ، المقرئ : مسودة الموايط ١٩ .
^٢ ابن رضوان : رفع مضار الأبدان ١٦٤-١٦٥ .
^٤ نفسه ٢٢ ؛ نفسه ٢٠ .

قال ابنُ سعيد : هذه المَدِينَةُ اسمُهَا أَعْظَمُ مِنْهَا ، وَكَانَ يُتَبَنَّى أَنْ تَكُونَ فِي تَرْتِيبِهَا وَمَبَانِيهَا عَلَى خِلَافِ مَا عَايَنَتْ ؛ لِأَنَّهَا مَدِينَةٌ بَنَاهَا الْمُعِزُّ أَعْظَمُ خُلَفَاءِ الْعَبِيدِينَ ، وَكَانَ سُلْطَانُهُ قَدْ عَمَّ جَمِيعَ طُولِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَوَّلِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى الْبَحْرِ الْحَمِيْطِ ، وَخُطِبَتْ لَهُ فِي الْبَحْرَيْنِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ^(a) عِنْدَ الْقَرَامِطَةِ ، وَفِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَبِلَادِ الْيَمَنِ وَمَا جَاوَزَهَا ، وَقَدْ غَلَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ، وَهَبَّتْ هُبُوبُ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَا سِوَمَا وَقَدْ عَاتَنَ مَبَانِي أَبِيهِ الْمُتَّصِرِ فِي مَدِينَةِ الْمُتَّصِرِيَّةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ الْقَيْرَوَانِ ، وَعَاتَنَ الْمُهْدِيَّةَ مَدِينَةَ جَدِّهِ عَبِيدِ اللَّهِ الْمُهْدِي ، لَكِنْ الْهِمَّةُ السُّلْطَانِيَّةُ ظَاهِرَةٌ عَلَى قُصُورِ الْخُلَفَاءِ بِالْقَاهِرَةِ ، وَهِيَ نَاطِقَةٌ إِلَى الْآنَ بِاللُّسْنِ الْآثَارِ وَلِلَّهِ ذَرُّ الْقَائِلِ : [الكَامِلُ]

هَمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا مِنْ بَغْدِهِمْ فَبِالْأَسْنِ الْبُشَايْنِ
إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاطَمَ شَأْنُهُ أَضْحَى يُدَلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

وَتَهْتَمُّ^(b) مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ الْمِصْرِيِّينَ بِالزِّيَادَةِ فِي تِلْكَ الْقُصُورِ ، وَقَدْ عَايَنْتُ فِيهَا إِيوَانًا يَقُولُونَ إِنَّهُ بُنِيَ عَلَى قَدْرِ إِيوَانِ كِشْرَى الَّذِي بِالْمَدَائِنِ [مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ]^(c) ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِيهِ خُلَفَاؤُهُمْ^١ . وَلَهُمْ عَلَى الْخَلِيجِ الَّذِي بَيْنَ الْقُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ مَبَانٍ عَظِيمَةٌ بِجَلِيلَةِ الْآثَارِ . وَأَبْصُرْتُ فِي قُصُورِهِمْ حِيطَانًا عَلَيْهَا طَبَقَاتُ^(d) عَدِيدَةٍ مِنَ الْكَلْسِ وَالْجَنَيسِ ، ذُكِرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُجَدِّدُونَ تَبْيِيضَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَالْمَكَانُ الْمَعْرُوفُ فِي الْقَاهِرَةِ بِـ «بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ» هُوَ مِنَ التَّرْتِيبِ السُّلْطَانِيِّ ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ سَاحَةً مُتَّسِعَةً لِلْعَشْكَرِ وَالْمُتَفَرِّجِينَ مَا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ .

وَلَوْ كَانَتْ الْقَاهِرَةُ^(e) كُلُّهَا كَذَلِكَ كَانَتْ^(f) عَظِيمَةً الْقَدْرَ كَامِلَةً الْهِمَّةَ السُّلْطَانِيَّةَ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ أَمَدٌ قَلِيلٌ ، ثُمَّ تَسِيرُ مِنْهُ إِلَى أَمْدٍ ضَعِيفٍ ، وَتَمُوتُ فِي مَمَرٍ كَبِيرٍ خَرِجَ بَيْنَ الدَّكَاكِينِ ، إِذَا ارْتَدَحَتْ فِيهِ الْخَلِيلُ مَعَ الرِّجَالَةِ كَانَ ذَلِكَ مَا تَضِيقُ مِنْهُ الصُّدُورُ ، وَتَشْكُنُ مِنْهُ الْعَيُونَ^٢ .

وَلَقَدْ عَايَنْتُ يَوْمًا وَزِيرَ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ فِي مَوْكِفٍ جَلِيلٍ ، وَقَدْ لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ عَجَلَةً تَهْرُجُ تَحْمِلُ حِجَارَةً ، وَقَدْ سَدَّتْ جَمِيعَ الطَّرِيقِ بَيْنَ يَدَيْ الدَّكَاكِينِ ، وَوَقَّفَ الْوَزِيرُ ،

(a) يَبَاضُ بِالنَّسْخِ وَالْمَثَبِ مِنْ ابْنِ سَعِيدٍ . (b) بُولَاقُ : وَاهْتَمُّ وَالتَّصَوُّبُ مِنْ ابْنِ سَعِيدٍ وَالْمَسُودَةُ . (c) زِيَادَةٌ مِنْ ابْنِ سَعِيدٍ . (d) فِي الْمَسُودَةِ وَأَيَّاصُوفِيَا وَابْنِ سَعِيدٍ وَبُولَاقُ : طَاقَاتُ ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثَبْتُ . (e-e) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقٍ .

وعظم الازدحام ، وكان في موضع طبّاحين والدُّخَان في وَجْه الوَزيز وعلى ثِيَابِهِ ، وقد كاذ يهلك المشاة ، وكذتْ أَهْلِكَ في جملتهم .

وأكثرُ دُروب القاهرة حَبِيقَةٌ مُظْلِمَةٌ كثيرةُ الثَّراب والأزبال ، والمباني عليها من قَصَبٍ وطِين مرتفعة قد ضَبِقَتْ مَسَلَكَ الهَوَاءِ والضَّوءِ بينهما ، ولم أر في جميع بلاد المغرب أشوأ حالاً منها في ذلك ، ولقد كنت إذا مَشَيْتُ فيها يَضِيقُ صَدْرِي ، ويُذركني وَخْشَةً عَظِيمَةً حتى أخرج إلى بَيْنَ القَصْرَيْنِ^١ .

ومن عُيوب القاهرة أَنَّها في أرض الثَّيْلِ الأعْظَم ، ويموتُ الإنسانُ فيها عَطَشًا لبُعْدِها عن مَجْرى الثَّيْلِ لِفَلَا يُصَادِرْها ويأكل دِيارها . وإذا احتاج الإنسانُ إلى فُرْجَةٍ في نيلها مَشَى في مَسَافَةٍ بعيدة بظَاهِرِها بين المباني التي تخارج الشور إلى موضع يُعرف بالمَقْس^٢ ، ويحْوِها لا يبرح كثيراً بما تشبه الأرجل من الثَّراب الأسود .

وقد قُلْتُ فيها حين أكثر عليّ رُفْقَاتِي^٣ من الحَصَص على القَوْد إليها^٤ :

[المقارب]

يقولون : سافر إلى القاهرة وما لي بها راحةً ظاهرة
زحائم وضيق وكروب وما تشير بها أرجلُ السائرة

وعندما يُقِيلُ المُسافر عليها تَرى سُوراً أسودَ كَثيراً^٥ وجوًّا مُغْبِراً ، فتنبض نفسه ، ويفرُّ أَنفُسُهُ^٦ . وأَحْسَنُ مَوْضِعٍ في ظواهرها لِلْفُرْجَةِ «أَرْضُ الطَّبَّالَةِ»^٧ ، لاسيما أَيَّامَ^٨ القُرْطِ والكَثَّانِ ، فَقُلْتُ^٩ :

[الطويل]

سَقَى الله أَرْضاً كُلُّما زُرَتْ أَرْضَها
كَمَّسَها وخَلَّها بِزَيْتِها القُرْطُ
تَجَلَّتْ عَرُوساً والمياهُ عُقُودُها
وفي كُلِّ قُطْرٍ من جَوَانِبِها قَطْرُ

(a) بولاق : رفاقي . (b) بولاق : فيها . (c) المسودة : أسواراً سوداء كدراء . (d) بولاق : أرض . (e) النص عند ابن سميذ . وبلغني أن الفاضل زين الدين الدمشقي الحنفي المشهور بابن الشَّراج صنع في هذه الأرض بيتين جانس فيهما ين القُرْط - وهو النبات الذي ترعاه الدواب - وبين قرط الأذن ، ولم أقف عليهما . قلت والفضل للمتقدم .

^١ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٤٢٤ المقرئ : مسودة ^٢ ابن سعيد : النجوم ٤٢٥ المقرئ : مسودة
المواظظ ٢٢-٢٣ .
المواظظ ٢٣ .

^٢ فيما يلي ١٢١:٢-١٢٤ . ^٣ فيما يلي ١٢٥:٢-١٢٦ .

وفيهما خَلِيجٌ لا يزال يضعف بين خُضْرَتِها حتى يصير كما قال الرُّصَافِي :

[الكامل]

مازالَت الأَمَحَالُ تأخذه حتى عدا كَذُوبَةُ الشَّجَمِ
وقُلْتُ في نُورِ الكَثَّانِ على جانبي هذا الخَلِيجِ :

• [البسيط]

انْظُرْ إلى الثَّهَرِ، والكَثَّانِ يرمُقُهُ من جانِبَيْهِ بأَجْفَانٍ لها حَدَقُ
رَأَتْهُ سَعِيقًا عليه لِلصَّبَا شَطَبُ فَنَابَلَتْهُ بِأَحْدَاقٍ بها أَرْقُ
وَأَصْبَحَتْ في يدِ الأزْوَاجِ تَلْسِجُها حتى غَدَتِ حَلَقًا من فَوْقِها حِلَقُ
فَقَمَ وَرْذُها وَوَجْهَهُ الْأَفْقُ مُتَطَبِّعُ أو عند صُفْرِته إن كنت تَفْتِيقُ^١

- ١٠ وَأَعَجِبْتَنِي فِي ظَاهِرِهَا «بِرُكَّةُ الْفِيلِ»، لَأَنَّهَا دَائِرَةُ كَالْبَدْرِ، وَالْمَنَاظِرُ فَوْقَهَا كَالْحُجُومِ. وَعَادَةُ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْكَبَ فِيهَا بِاللَّيْلِ، وَتُشْرِجُ أَصْحَابُ الْمَنَاظِرِ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ لَهَا مَنَظَرٌ عَجِيبٌ وَفِيهَا أَقُولُ :

[البسيط]

- ١٥ انْظُرْ إلى بِرُكَّةِ الْفِيلِ الَّتِي اكْتَنَفَتْ بِهَا الْمَنَاظِرُ كَالْأَهْدَابِ لِلْبَصْرِ
كَأَنَّمَا هِيَ وَالْأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا كَوَاكِبُ قَدْ أَدَارَوْهَا عَلَى الْقَمَرِ
وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَقَدْ قَابَلَتْهَا الشَّمْسُ بِالْعُدُوِّ، فَقُلْتُ :

[البسيط]

- ٢٠ انْظُرْ إلى بِرُكَّةِ الْفِيلِ الَّتِي نُجِرَتْ لَهَا الْغَزَالَةُ تَحْرَا مِنْ مَطَالِمِهَا
وَحُلَّ طَرَفُكَ مَجْنُونًا بِنَهْجِجِهَا تَهِيمٌ وَجَدًا وَحُبًّا فِي بَدَائِعِهَا^٢
وَالْمُسْتَطَاطُ أَكْثَرُ أَوْزَاقًا وَأَرْخَصُ أَسْعَارًا مِنَ الْقَاهِرَةِ، لِقُرْبِ الثَّلِثِ مِنَ الْمُسْتَطَاطِ، فَالْمَرَاكِبُ الَّتِي تُصَلُّ بِالْخَيَْرَاتِ تَحُطُّ هُنَاكَ، وَيُمَاعُ مَا يَصِلُ فِيهَا بِالْقُرْبِ مِنْهَا، وَلَيْسَ يَتَّقِ ذَلِكَ فِي سَاحِلِ الْقَاهِرَةِ لِأَنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الْمَدِينَةِ^٣.

وَالْقَاهِرَةُ هِيَ أَكْثَرُ عِمَارَةٍ وَاحْتِرَاقًا وَجِسْمَةً مِنَ الْمُسْتَطَاطِ، لِأَنَّهَا أَجَلُّ مَدَارِسَ، وَأَصَحِّمُ خَانَاتَ، وَأَعْظَمُ دِهَارًا لِسُكْنَى الْأَمْزَاءِ فِيهَا، لِأَنَّهَا الْخُصُوصَةُ بِالسُّلْطَنَةِ لِقُرْبِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ مِنْهَا،

^١ ابن سعيد: النجوم ٢٥-٢٦ القريزي: مسودة ٤٥:٥ القريزي: مسودة المواقف ٢٤-٢٥.

^٢ نفسه ٢٧؛ نفسه ٤:١٠٨-١٠٩؛ نفسه ٢٥. المواقف ٢٣-٢٤.

^٣ ابن سعيد: النجوم ٢٦-٢٧ ابن دقماق: الانصرار

فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر، وبها الطراز وسائر الأشياء التي تكثر بها الرجال والنساء؛
إلا أن في هذا الوقت، لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام القسطنطينية وصيورها سريع
السلطنة^١، عظمتم عمارة القسطنطينية، وانتقل إليها كثير من الأمراء، وضخمت أسواقها، وتبني
فيها للسلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة، تنقل إليها من القاهرة سوق الأجناد التي
يبيع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك^٢.

و(معاملته [أهل])^٣ القاهرة والقسطنطينية بالدرهم المعروفة بالشهداء، كل درهم منها ثلث من
الدّهرم الناصري، وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء، ومخاصمة مع الفريقين.
وكان بها في القديم الفلوس، ففقطعها الملك الكامل، فبقيت إلى الآن مقطوعة منها.

وهي في الإقليم الثالث، وهواؤها رديء لا يبيها إذا هبّ المريسي من جهة القبلة، وأيضاً رتد
العين فيها كثير، والمعاش فيها متعلّرة نزره لا سيما أصفاء الفضلاء، وجوامك المدارس قليلة
كبيرة. وأكثر ما يعمش بها اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب. والنصارى بها يمتازون
بالزّنار في أوساطهم، واليهود بعلامه صفراء في عمامتهم، ويركبون البغال، ويلبسون الملابس
الجليلة^٤.

وما كل أهل القاهرة الدّليّيس^٥ والصّير والصّخنة والبطارخ، ولا تصنع النّيدة - وهي خلوة
القَمَح - إلا بها وبغيرها من الديار المصرية، وفيها جوار طباخات، أصل تعليمهن من قصور
الخلفاء الفاطميين، لهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة.

ومطابخ السكر، والمطابخ التي يُصنع فيها الورق المنصوري، مخصوصة بالقسطنطينية دون القاهرة.
ويُصنع فيها من الأنطاع المستحسنة ما يُسفر إلى الشام وغيرها، ولها من الشروب الدمياطية
أنواعها ما اختصت به، وفيها صنائع للقيسيّ كثير من متقدمون، ولكن قيسيّ دمتشق بها يُضرب
المثُل وإليها النهاية.

(a) زيادة من ابن سعيد. (b) بولاق: الدميس.

^١ انظر فيما يلي ٢: ١٨٣.

^٢ ابن سعيد: النجوم ٢٧٧؛ المقرئ: مسودة المواظ: الرسالة المصرية ٣٤.

وَيُسَمَّى مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الشَّامِ مَا يَكُونُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَمَرَانَاتِ^١، وَغَرَائِطِ الْجِلْدِ وَالشَّيُورِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ .

وَهِيَ الْآنَ عَظِيمَةٌ أَهْلَةٌ يَجِيءُ إِلَيْهَا مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، مَا لَا يُحِيطُ بِجَمَلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ إِلَّا خَالِقُ الْكُلِّ جَلُّ وَعَلَا^٢.

• وَهِيَ مُسْتَحْسَنَةٌ لِلْفَقِيرِ الَّذِي لَا يَخَافُ عَلَى طَلَبِ زَكَاةٍ وَلَا تَرْسِيمًا وَعَذَابًا، وَلَا يُطَلَّبُ بِرَفِيقٍ لَهُ إِذَا مَاتَ، فَيَقَالُ لَهُ: تَرَكْنَاكَ عِنْدَكَ مَالًا. فَرُبَّمَا سُجِّنَ فِي شَأْنِهِ، أَوْ ضُرِبَ وَغُصِرَ.

وَالْفَقِيرُ الْمَجْرُودُ فِيهَا مَسْتَرِيحٌ مِنْ جِهَةٍ رُخْصَ الْخَبَرِ وَكَثْرَتِهِ، وَوُجُودِ السَّمَاعَاتِ وَالْفَرْجِ فِي طَوَائِرِهَا وَدَوَائِلِهَا، وَقِلَّةِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِيمَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ/ بِحُكْمِ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ مِنْ رَقْصٍ فِي وَسْطِ^(ب) الشُّرُقِ، أَوْ تَجْرِيدٍ، أَوْ سُكْرِ مِنْ حَشِيشَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، أَوْ صُحْبَةِ الْمُزْدَانِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ^٣.

وَسَائِرُ^(ج) الْفُقَرَاءِ لَا يُعْتَرِضُونَ بِالْقَبْضِ لِلْأَسْطُولِ، إِلَّا الْمَغَارِبَةُ فَذَلِكَ وَقَفَتْ عَلَيْهِمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَعَانَةِ الْبَحْرِ، فَقَدْ عَمَّ ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ مَعَانَةَ الْبَحْرِ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ، وَهُمْ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهَا بَيْنَ حَالَيْنِ: إِنْ كَانَ الْمَغْرِبِيُّ غَنِيًّا طُولِبَ بِالزَّكَاةِ وَضُبِّقَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُهُ حَتَّى يَفْرَ مِنْهَا؛ وَإِنْ كَانَ مُجْرَدًا فَقِيرًا حِيلَ إِلَى الشُّجْنِ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الْأَسْطُولِ.

١٥ . وَفِي الْقَاهِرَةِ أَزَاهِيرُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُنْقَطِعَةِ الْإِتِّصَالِ، وَهَذَا الشَّانُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ تَفَضَّلَ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ. وَفِي اجْتِمَاعِ التَّرْجِسِ وَالْوَزْدِ فِيهَا أَقُولُ:

[السريع]

مَنْ قَضَلَ التَّرْجِسَ وَهُوَ الَّذِي يَرْضَى بِحُكْمِ الْوَزْدِ إِذْ يَرَأْسُ
أَمَّا تَرَى الْوَزْدَ عَدَا قَاعِدًا وَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ التَّرْجِسُ

٢٠ وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْفَوَاكِهِ الرُّمَّانُ وَالْمُوزُ وَالتَّفَّاحُ، وَأَمَّا الْإِنْجَاصُ فَقَلِيلٌ غَالٍ، وَكَذَلِكَ الْخَوْخُ، وَفِيهَا الْوَزْدُ وَالتَّرْجِسُ وَالتَّنْبَرِينَ وَاللَّيْنُوفُ وَالتَّبْقِيسِجُ وَالْيَاسْمِينُ وَاللَّيْمُونُ الْأَخْضَرُ وَالْأَصْفَرُ. وَأَمَّا الْعِنَبُ وَالتَّيْنُ فَقَلِيلٌ غَالٍ، وَلَكثَرَةٌ مَا يَعَصِرُونَ الْعِنَبَ فِي أَرْيَافِ الثَّيْلِ لَا يَصِلُ مِنْهُ

(أ) آياصوفيا: سيجانه. (ب) ساقطة من بولاق. (ج) مسودة المواعظ: ومعظم.

^١ الكممرانات. نوع من الأحزمة. المواعظ ٢٧.

^٢ ابن سبيد: النجوم الزاهرة ٢٢٩؛ المغربي: مسودة نفسه ٢٩-٣٠؛ نفسه ٢٧-٢٨.

إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَمَعَ هَذَا فَشَرَّابُهُ عِنْدَهُمْ فِي نَهَايَةِ الْقَلَاءِ . وَعَامَّتُهَا يَشْرَبُونَ الْمِزْرَ الْأَبْيَضَ الْمُتَّخَذَ مِنَ الْقَمْحِ ، حَتَّى إِنَّ الْقَمْحَ يَطْلَعُ عِنْدَهُمْ سِغْرُهُ بِسَبَبِهِ فَيُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ قِبَلِ الْوَالِي بِقَطْعِهِ وَكَثَرِ أَوَانِيهِ^١ .

وَلَا يُتَكَرَّرُ فِيهَا إِظْهَارُ أَوَانِي الْحُمْرِ ، وَلَا آلَاتُ الطَّرْبِ ذَوَاتِ الْأَوْتَارِ ، وَلَا تَبَيُّجُ النِّسَاءِ الْعَوَاهِرِ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُتَكَرَّرُ فِي غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ . وَقَدْ دَخَلْتُ فِي الْخَلِيجِ الَّذِي بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَمُعْظَمُ عِمَارَتِهِ فِيمَا بَلِي الْقَاهِرَةِ ، فَرَأَيْتُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَائِبِ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ فِيهِ قَتْلٌ بِسَبَبِ الشُّكْرِ فَيُعْتَمَدُ فِيهِ الشُّرْبُ ، وَذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . وَهُوَ ضَيِّقٌ عَلَيْهِ فِي الْجِهَتَيْنِ مَنَاطِيزُ كَثِيرَةٌ الْعِمَارَةُ بِعَالَمِ الطَّرْبِ وَالتَّهَكُّمِ وَالْمُخَالَعَةِ ، حَتَّى إِنَّ الْمُحْتَشِمِينَ وَالرُّؤْسَاءَ لَا يُجِيزُونَ الْعُبُورَ بِهِ فِي مَرْكَبٍ . وَلِلْمَرْجُوحِ فِي جَانِبِيهِ بِاللَّيْلِ مَنْظَرٌ قَتَانٌ ، وَكَثِيرًا مَا يَتَفَرَّجُ فِيهِ أَهْلُ السُّتْرِ بِاللَّيْلِ . وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

[مطلع البسط]

لَا تَزَكَيْنِ فِي خَلِيجِ مِصْرِ	إِلَّا إِذَا أَسْدَلَ الظُّلَامُ
فَقَدْ عَلِمْتُ الَّذِي عَلَيْهِ	مِنْ عَالَمٍ كُلُّهُمْ طَعَامُ
صَفَانٍ لِلْحَرْبِ قَدْ أَطْلَأَ	سِلَاحُ مَا بَيْنَهُمْ كَلَامُ
يَا سَيِّدِي لَا تَسِرْ إِلَيْهِ	إِلَّا إِذَا هَوَّمَ النِّيَامُ
وَاللَّيْلُ شَرٌّ عَلَى التُّصَابِي	عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ لِنَامُ
وَالْمَرْجُوحُ قَدْ بَدَّدَتْ عَلَيْهِ	مِنْهَا دَنَانِيرَ لَا تُرَامُ
وَهُوَ قَدْ امْتَدَّ ، وَالْمِيبَانِي	عَلَيْهِ فِي خِذْمَةِ قِيَامُ
لَهُ كَمْ دَوْحَةٍ جَنَيْنَا	هَذَاكَ أَتَمَّارَهَا الْأَنَامُ

انتهى^٢ . وفيه تحاملٌ كثيرٌ .

وَقَالَ زَكِيُّ الدِّينِ الْحُسَيْنُ مِنْ رِسَالَةِ كَتَبَهَا مِنْ مِصْرَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِ مِائَةٍ إِلَى أَخِيهِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا ، وَيَذْكُرُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ وَالْمُنْتَزِعَاتِ ، وَيَذَمُّ مِنْ مِصْرَ بِقَوْلِهِ :

«فَكَيْفَ يَبْقَى لِمَنْ حُلٌّ فِي جَنَّةِ النُّعِيمِ وَرِيَاضِهَا ، وَيَتَزَعَّ فِي مِيَادِينِ

^٢ نفسه ٢٢-٢٣٢ نفسه ٢٩ .

^١ ابن سميذ : النجوم الزاهرة ٣٠-٣١ المقرئ :

الْمَرْوَةَ^(a) وَغِيَاضِهَا، تَلَقَّتْ إِلَى مِنْ سَلَّمَتْهُ يَدُ الْأَقْدَارِ إِلَى أَرْضٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ
 قَرَارٍ، وَتَبَلَّلُوا بِحُجَّتِهِمْ ذَاتَ الْبَانِ الْمُتَقَاوِحِ^(b)، وَالْوُزُقِ الْمُتَصَادِحِ، وَالتَّشْرِ
 الْمُتَقَابِجِ، وَالْمَاءِ الْمُطْلَقِ الْمُسْلَسِلِ، وَالتَّسِيمِ الصَّحِيحِ الْعَلِيلِ حُجَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكُلِ
 خَمْطٍ وَأَثَلِ وَشَيْءٍ مِنْ سِنْدٍ قَلِيلٍ، وَتَقَصَّدَتْهُمْ يَدُ الْقَضَاءِ فَأَخَذَتْهُمْ بِالْأَسَاءِ
 وَالضَّرَاءِ، وَأَوْقَعَتْهُمْ بِمَصْرِ وَشُمُومِهَا^(c)، وَخَمِيمِهَا وَغُمُومِهَا، وَخَزُومِهَا
 وَغُرُومِهَا^(d)، وَخَرُومِهَا وَزَفِيرِهَا، وَسَعِيرِهَا وَكِيمَانِهَا، وَنِيرَانِهَا وَشُودَانِهَا،
 وَقَلَاحِهَا وَمَلَاحِهَا، وَمَسَارِبِهَا وَمَشَارِبِهَا، وَمَسَالِكِهَا وَمَهَالِكِهَا،
 وَصَخْنَاتِهَا وَغَضْفُورِهَا وَثُورِهَا وَمَقُورِهَا^(e)، وَمَخَاوِفِ تَوُوزِهَا وَخِرَازِ
 تَمُوزِهَا، وَدَارِسِ طُلُولِهَا، وَرَائِسِ أَشْطُولِهَا، وَتَعَكَّرِ مَائِهَا، وَتَكَكَّرِ هَوَائِهَا،
 فَلَوْ تَرَاهُمْ فِي أَرْجَائِهَا الْقُضُوءِ كَالْأَبَاعِرِ الْهَهِلِ، وَهُمْ يَضْطَرِّخُونَ فِيهَا
 ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية ٣٧ سورة فاطر].

فَأَجَابَهُ مِنْ دِمَشْقٍ بِكِتَابٍ مِنْ مَجْلَدَتِهِ عَلَى لِسَانِ دِمَشْقٍ كَانَتْهَا تُخَاطِبُهُ :

«وَيَا أَيُّهَا الْوَلَدُ الْقَزِيزُ، كَيْفَ سَمَحْتَ فِطْرَتَكَ الشَّلِيمَةَ، وَشُرُوءَتَكَ
 الْكَرِيمَةَ، وَسِيرَتَكَ الْمُسْتَقِيمَةَ، وَصَبْرَكَ الْخَافِظَ، وَدِينَكَ الْمُرَاقِبَ الْمَلَاظِمَ،
 بِذَمٍّ مِنْ حُجَّتَيْ نِعَمَتَا، وَسَكَنَتْ حَزَمَهَا، وَقُلْتَ مِصْرَ وَشُمُومَهَا^(c)، وَسَقَتْ
 عَلَيْهَا الْقَوْلَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاسْتَعَزَّتْ لَهَا التَّكْدِيرُ حَتَّى فِي الْمَشَارِبِ
 وَالْمَسَارِبِ.

وَهَلَّا ذَكَرْتَهَا وَقَدْ بَاكَرَهَا نَيْلُ نَيْلِ النِّعَمِ بِمَغْنَمَتِهِ^(f)، بَلَيْلِ / التَّسِيمِ بِكَاسِ
 تَسْنِيمِهِ^(g)، وَطَلَعَا الْبَحْرَ عَلَيْهَا زَاجِرًا فَأَغْنَاهَا عَنْ بُكَاءِ الشَّحَابِ وَتَجْهِيمِهِ، وَغَمِّ
 مَعْظَمِ أَرْضِهَا، وَعَبَّ غُبَاهُ فِي طُولِهَا وَغَرَضِهَا، حَتَّى كَادَ يَغْلُو رَفِيعَ قُصُورِهَا،
 وَتَتَشَوَّرُ سَوْرَتُهُ^(h) شَامِخَ سُورِهَا. وَمَعَ ذَا لَا تَرَاهُ جَسُورًا عَلَى ضِعَافِ مَجْسُورِهَا،
 قَدْ طَبَّقَ التَّهَائِمَ وَالْأَنْجَادَ، وَغَرَّقَ الْآكَامَ وَالْوَهَادَ، وَعَلَا أَعْلَى الصُّعِيدِ وَالصُّعَادَ،

(a) بولات : المرات . (b) بولات : المتفاح . (c) بولات : وشُمُومِهَا . (d) بولات : حزونها ووعورها .

(e) بولات : عقورها . (f) بولات : بمغنيته . (g) بولات : من تسنيمه . (h) بولات : وجسور بسورته .

وأعاد البر سلطانته بَحْرًا بالازدهاد^١.

فإذا ارتوى أَوَامَ أَكْبَادِ الْبِلَادِ، وَرَوَى الشَّهْلَ وَالزَّوْعَ وَالْهَضَابَ وَالْوَهَادَ،
وَذَهَبَ إِثْلَاقَ الْأَرْضِ بِكُلِّ مَلَقَةٍ وَخَلِيجٍ، وَانْجَابَ عَنْهَا فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ،
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ، بَدَتْ رَوْضَةٌ نَضِرَةٌ بِأُمْلَاقٍ مُقَطَّعَةٍ، كَرُمُودَةٍ
خَضِرَاءَ بِلَاقِي مُرْصَعَةٍ: فكم من غَدِيرٍ مُسْتَدِيرٍ كَبْدَرٍ مُنِيرٍ، وَذَقِيقٍ مُسْتَطِيلٍ
كَسَيْفٍ صَقِيلٍ، وَكم من قَلِيبٍ قَلَابٍ بِمَاءٍ كَجَلَابٍ، وَكم من عَظِيمٍ بِرُكَّةٍ
فِيرَكْبِهَا^(أ) التَّسِيمُ بِلُطْفِهِ، وَطِينِهَا^(ب) عَمِيرٌ غَنَبَرُهَا فَضْشُخْهَا بِكَفِّهِ، وَزَهَتْ بِزَهْرِ
يَلُوقَرُهَا فَمَرَّقَتْ بِعُرْقِهِ^(ج)، وَكم تَزَى مِنْ مَلَقَةٍ لَبِقَةٍ، عَلَيْهَا عُيُونُ تَرْجِسٍ
مُعْدِقَةٍ، كَصَخْنٍ خَدُّ عَرُوسٍ مُتَمَقَّةٍ.

والتَّوَارُزُ قَدْ دَارَتْ بِمَدَامِ التَّدَى كُؤُوسُهُ، وَجَالَتْ فِي مَرَاجِ الْأَفْرَاحِ نُفُوسُهُ،
وَنَجَّمَ نَجْمُهُ وَابْتَسَمَ عِبُوسُهُ^(د)، وَسَامَرَهُ الرَّدَادُ الْمُثَلَّ، وَبَاكَرَهُ الطَّلُّ فَكَالَهُ بِلَوْلُؤِهِ
وَقَلْدَهُ، وَزَارَهُ التَّسِيمُ الْمُغْتَلُ فَأَقَامَهُ وَأَقْعَدَهُ، وَتَمَقَّ أَرْضَهُ وَرَوْضَهُ فَذَهَبَهُ وَقَضَضَهُ.
قَدْ بَاهَتْ^(هـ) بِرِيَاضِهَا الْعَنَاءَ، وَزَهَتْ بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا الْحَشَاءَ، وَابْتَدَأَ بِسَاطِهَا
الرُّمُودِي، وَابْتَسَطَ مَدَاهَا^(و) الزُّيْرَجْدِي، فَلَا يُنْزِكُ أَقْصَاهُ نَاطِلٌ مُسَافِرٌ، وَلَا
يُحِيطُ بِمَنْتَهَاهُ خَيَالٌ وَلَا خَاطِرٌ^٢.

فَلَلَهُ ذُرَاهُ مِنْ رَوْضَةٍ مُزَيْنٍ، وَكَفَيْتُهُ حُسْنٍ، وَمَقَطَّعَاتٍ بِمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَحَزَمٍ
بَحْرِ لَحْجَاجٍ طَلِيزِهِ آسِنٍ. أُنَاهَا حَجِيجُ الطَّيْرِ مِنْ كُلِّ قَبَجٍ عَمِيقٍ، مُلَبِّيًا دَاعِي
مَحْشِيهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ سَحِيقٍ، قَدْ امْتَطَلَى رَكْبُهَا مَتُونُ الرِّيَّاحِ، وَعَلَا بِجُفْمَانِهَا
عَلَى^(ز) عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَوَصَلَنَ الْإِذْلَاجَ بِالصَّبَاحِ، وَقَطَعَنَ جَنَاحُ^(ح) اللَّيْلِ بِخَفَاقِ
الْجَنَاحِ كَأَنَّهُنَّ الدُّرَارِي السُّوَارِي، أَوْ الْمُشَنَّاتُ الْجَوَارِي، أَوْ الْمَطْلَبَا الْمَهَارِي.

[الطويل]

تَوَاصَلَ مِنْ جَوْ حَوَائِضٍ مِثْلِهِ^(١) صُعُودٌ عَلَى حَكْمِ الطَّرِيقِ نُزُولٌ

(a) بولاق: حركها. (b) بولاق: وطئها. (c) بولاق: معرفها بعرفه. (d) بولاق: عروسه. (e) بولاق:

تاهت. (f) بولاق: مدادها. (g) ساطعة من بولاق. (h) بولاق: أجناح. (i) بولاق: حوائض نله.

^١ أمام هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا: ذكر النيل. ^٢ أمام هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا: صفة ربيع مصر.

رِفَاقٌ تَعَاهَدْنَ عَلَى الْوَفَاءِ ، وَتَحَالَفْنَ عَلَى النُّعْمَاءِ وَالْبَلَاءِ ، خَرَجْنَ مُهَاجِرَاتٍ مِنَ الْأَوْطَانِ أُلُوفًا ، وَقَدِمْنَ صَافِينَ^(a) كَالْمَصْلِينَ صُفُوفًا ، يَتَقَدَّمُهُنَّ ذَلِيلٌ كَأَنَّهُ إِمَامٌ ، قَدْ قَتَلَ طُرُقَ الْآفَاقِ خَبِيرًا ، وَاسْتَوَى لَدَيْهِ الْإِضْوَاءُ وَالْإِظْلَامُ ، أَبْصَرَ مِنْ زُرْقَاءِ السَّمَاءِ ، وَأَطْيَرُ مِنَ الْوُرْقَاءِ وَالْقِمَامَةِ^(b) ، وَأَهْدَى مِنَ النُّجْمِ ، وَأَشَدَّ مِنَ الشُّهُمِ يَتَنَاجِيْنَ بُلْغَابِ أَعْجَمِيَّاتٍ ، مُسَبِّحَاتٍ بِالْحَنِّ مُطِيرِبَاتٍ ، وَطُفْنٍ فِي خَرَمِهَا الْآيَمِ ، وَاعْتَمَرْنَ بِتِلْكَ الْحَاسِنِ . فَرَاها عِنْدَ إِقْبَالِ نَوَّهَا وَخَوْمِهَا فِي جَوْهَا ، مَا يَسْتَقِيمُ خَطًّا مُسْتَقِيمًا ، وَإِنْ كَانَتْ تَضَطَّفَتْ صَفًّا عَظِيمًا : وَمِنْهَا مَا يَسْتَهْلُ هِلَالًا ، وَمِنْهَا مَا يَخْكِي بَنَاتِ نَعَشٍ حَالًا ، وَمِنْهَا مَا يَنْتَشِي بِإِذْلَالِهِ دَالًا ، وَمِنْهَا مَا يَخُطُّ نُونًا نُونًا فَيَحْكِي حَاجِبًا مَقْرُونًا ، وَمِنْهَا مَا يَكْتُبُ زَيْنًا فَيُعِيدُهَا عَيْنًا ، وَمِنْهَا مَا يُصَوِّرُ مِيمَ الْهِجَاءِ فَيُشَاهِدُ مَبْسَمَ السَّمَاءِ ،^(c) وَمِنْهَا مَا يَنْعِطِفُ عَلَى خَدِّهَا صَدْعًا مُسَلَّسًا ، وَمِنْهَا مَا يُشْبِهُ عِذَارًا مُنْعَمًا^(d) ، وَمِنْهَا مَا يَأْتِي زَرَفَاتٍ وَيُخْدَانًا ، فَيُبْدِعُ فِي إِعْجَابِهِ حُسْنًا وَإِحْسَانًا .

فَكَمِ مِنْ حَبْلِ إِوَزٍّ مُعَلَّقٍ بِالسَّمَاءِ مُخَلَّقٍ^(d) إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، وَأَوَانِسِ غَرَايسِ^(e) أَنْبَسَاتِ كَيْسَاتٍ ، وَصُورٍ صُورٍ كَأَمْثَالِ حُورٍ ، وَطَيْرٍ لَفْلَغٍ مُكْتَسِبٍ بِدِيَابِجِ مُصْبَغٍ ، وَجَلِيلِ خَبَرِجٍ كَعِلْجٍ مُتَوَجِّجٍ ، وَكُزْكِي غَرِيضٍ طَوِيلٍ كَجَبْرِجٍ كَبِيرٍ جَمِيلٍ ، وَغَرِيرٍ غَيْرٍ مُغِيرٍ مُتَغَرِّزٍ^(f) مُتَغَيِّرٍ ، وَسَبِيطٍ شَدِيدٍ شَوَاطِرٍ ، وَكَمِ صُخْمِ الدُّسَيْعَةِ جَوَالِ كِكُوهِ بِالْقُوَّةِ الْمُنِيعَةِ صَوَالٍ ، وَزُخَامِ مُزْرَمٍ كَذِي إِفْرَةٍ مُخْتَشِمٍ ، وَجَلَالَةِ نَشْرِ فِي الشَّائِعِ الدَّائِعِ وَالْحَاضِرِ الْوَاقِعِ ، أَنْهَى مِنَ النُّشْرِ الطَّائِرِ وَالْوَاقِعِ ، وَعَظِيمِ عُقَابٍ تَمَّ الْحُسْنُ بِحُسْنِهِ وَكَلَّ الصَّبْدُ فِي ضَمْنِهِ ، وَكَمِ مِنْ خَضَارَى وَجْهَارٍ^(g) ، وَتَلَشُّونَ وَشَهْرَمَانَ ، صِنَوَانَ وَغَيْرِ صِنَوَانَ ، وَكَمِ مِنْ بَطٍّ عَلَى شَطٍّ وَخَلَطٍ ، وَقَطْلَقٍ مُنْقَطٍ ، وَغَرٍ وَغَرُونُوقٍ ، وَكَزُوشُوعٍ^(h) تَمْشُوقٍ ، وَنُوزَسٍ مُشْتَأَسٍ قَدْ⁽ⁱ⁾ امْتَلَأَتْ بِهِنَ الْآفَاقُ ، وَتَكَلَّلَتْ بِنَجُومِهِنَّ الْأَمْثَلُاقُ ، وَشَرِبْنَ مِنْ جَبْرِيَانِهَا فَأَسْكَرَهُنَّ الْأَضْطَبَاحُ وَالْأَغْبِيَاقُ : فَكَمِ مِنْ مُشَوِّدٍ كَحَالِ نَجْدٍ^(j) ، وَأَزْزُقٍ كَلَازُوزٍ ، وَأَشْقَرٍ كَزَهْرٍ وَزْدٍ أَحْمَرٍ نَاصِعٍ ، وَأَضْفَرٍ فَاقِعٍ ، وَأَبْيَضٍ ذِي خِضَابِ

(a) بولاق : صافات . (b) بولاق : والهامة . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : يخلق . (e) بولاق : عريسات .

(f) بولاق : معز . (g) بولاق : حرمان . (h) بولاق : كزوشوع . (i) بولاق : وقد . (j) بولاق : كخال نجد .

عندمي بلطيف متقار بُقْمِي ، ومُبْرَقَش ومُقَمَّع ، ومُعْتَم ومُقَنَّع ، وأشقرِي
مُنْقَش ، وأَرْقَش مُرَشَّش ، وعُودِي وهِنْدِي ، وصِنِي مَسْنِي ، وعَيْنِي كِبَاقُوتَيْن
قد رُصِّعَتَا فِي الْحُجَيْنِ ، وكم من طَائِرٍ أَهَى من قَمَرٍ سَائِرٍ ، يَفْرِقُ مِثْلَ الصَّبْحِ
سَائِرٍ .

• فتراهنَّ فِي الْمَاءِ صُمُوتًا وَقُوفًا ، صُفُوفًا عُكُوفًا ، كَصُورِ أَضْنَامٍ ، أَوْ حِجَارَةِ
مَبْدُوءَةٍ فِي آكَامٍ ، وكم من أَطْيَارٍ ظُرَافٍ يَلَاحِ لُطَافٍ ، ذَوَاتِ الْحَنِّ وَنُضْرَةٍ
وَأَلْوَانٍ ، وَخُلُقٍ وَأَخْلَاقٍ ، وَنُطْقٍ وَأَطْوَاقٍ ، وَإِنْسَانٍ مَعَ شَمَاسٍ ، قَدْ اِزْدَانَتْ
الْأَرْضُ بِأَصْوَاتِهِمْ وَاخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ وَعَجَائِبِ صِفَاتِهِمْ^(a) ، فَبَرَزَتْ بِأَنْوَاعِ
الْأَعَاجِيبِ ، وَتَجَلَّتْ بِأَجْمَلِ الْجَلَالِيبِ ، وَأَيَّدَعَتْ فِي صُورِ الْإِحْسَانِ ،
وَتَصَوَّرَتْ فِي بَدَائِعِ الْأَلْوَانِ .

• فإذا بَدَتْ زَرْقَاءُ فِي زَهَرِ كَتَائِبِهَا ، مَذْهَبَةٌ بِأَزْهَارِ لُبْسَانِهَا / مُقَضَّصَةٌ بِشُجُومِ
أَقْحَوَانِهَا ، خَلَعَتْ السَّمَاءُ عَلَيْهَا خِلْعَةً جَمِيلَ اِزْدَانِهَا . وَإِذَا فَاحَ نَشْرُ نُورٍ
قُرُوطِهَا ، شَمَعَتْ الْمِشْكُ الذَّكِيَّ مِنْ مُزِطِهَا ، وَرَأَيْتَ لَأَكْبَى سِمَطِهَا مَبْسُوطَةً عَلَى
خُضْرِ بُسْطِهَا ، وَمُغَالَاتِهَا بِغَالِيَةِ نُورِ قَوْلِهَا ، وَهَبَاتِهَا إِذَا رَفَلَ التَّسِيمُ فِي ذِيولِهَا ،
قَدْ رَصَّعَتْ أَغْصَانَهُ بِفُصُوصِ الْحُجَيْنِ ، وَتَقَطَّعَتْهُ مِنْ حُشْنِهَا بِسَوَادِ عَيْتِهَا : فَعِيُونُهُ
كَحْيُونِ غِزْلَانِهَا فِي فَتْكِهَا ، وَأَخْدَاقُهُ كَأَحْدَاقِ وَلْدَانِهَا مِنْ تَرْكِهَا .

• وكم لَهَا مِنْ طُرُقٍ مُعْتَبِرَةٍ ، وَجِبْهَةٍ مُنَوَّرَةٍ ، وَوَجْنَةٍ مُرْغَفَرَةٍ ، وَمُلَاءَةٍ مَنشُورَةٍ
مُعْضَفَرَةٍ ، وَخَدٌّ مُؤَوَّدٍ ، وَطُوفٌ مُهَنَّدٌ ، وَلَمَائِهَا صَنِيعٌ مِنْ عَقِيقِ الشَّقِيقِ ،
وَشُكْرُهَا مِنْ ذَلِكَ الرِّيقِ عَلَى التَّحْقِيقِ .

• وَأَيْنَ بُرُوعُ بَشِينِهَا ، وَامْتِدَادُ يَقْطِينِهَا ، وَأَيْنَ خِلَاوَةُ غَرَائِيسِ تَخْلَاتِهَا ،
وَطَلَاوَةُ أَوَانِسِ قَامَاتِهَا بِمُشَابَهَتِهَا فِي صِفَاتِهَا ، وَغَرَائِيسُ فَسِيلَاتِهَا ، وَأَيْنَ نَضِيدُ
طَلْعِهَا ، وَحَمِيدُ قَرْعِهَا وَمَدِيدُ جَذْعِهَا ، وَفَخْرُ جَمَارِهَا عَلَى غَيْرِ جَمَارِهَا^(b)
وَإِخْضِرَارُ أَكْخَامِهَا ، وَإِخْضِرَارُ لُثَامِهَا ، وَهَبَانُ بُشْرِهَا الْمُطْرُوفِ ، وَهَبَانُ نَشْرِهَا
الْمُشْرِوفِ ، وَانْتِظَامُ سُورِهَا بِإِتِّسَامِ مَشُورِهَا .

(a) بولاق : أصواتها ... لغاتها ... صفاتها . (b) بولاق : وفر جمارها عن غرة جمارها .

وَوَزْدَ وادِيهَا وَمُنْحَنَاهَا، وَنَدَى نَدَاهَا وَتَمَرِ حِنَاهَا، وَأَسَ آسِيهَا، وَطَلِبِ طَلِبِ
 أَنْفَاسِيهَا، وَتَبَرُّجِهَا بِأَتْرَجِهَا وَتَبَهَّرْجِهَا بِنَارِجِهَا، وَتَحْتَمِهَا بِمُحْتَمِهَا، وَتَسْمِهَا
 عَنْ بَلْسَمِهَا، وَتَشَقِّقْ أَهْرَاقَهَا عَنْ نُهْدِ أَكْبَادِهَا، وَتَضَاعِفْ أَرْجِهَا بِضَعْفِ
 بَنْفَسِجِهَا، وَجَلَالَةَ مِقْدَارِهَا إِذَا فَتَحْتَ أَرْزَاقَهَا عَنْ جَلَالِ (a) نَارِهَا، وَطَلِبِ
 شَيْمِهَا مِنْ أَشْمُونِهَا، وَتَسْمِهَا وَوَسْمِهَا بِأَوْسَمِهَا، وَجَنَانِ قَلْبِوَيْهَا، وَجَزْيَانِ
 قَلْبِهَا، وَأُخْوَانِهَا بِبَهْتِييْهَا وَرِيَاضِهَا، وَطُرَّتِهَا بِمَطَرِييْهَا، وَنَفِيسِ أُنْسِهَا
 بِمَقْسِيهَا، وَغَرِيبِ غَزِييْهَا بِبَلْقَسِيهَا، وَعَظِيمِ آسِيهَا بِمُخَلِّقِ مِقْيَاسِهَا. وَكَرِمِ تَحْيِييْهَا
 مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ هُبُوبِ أَنْفَاسِهَا، وَاجْتِمَاعِ أَشْعَدِهَا، وَازْتِفَاحِ رَضْدِهَا، وَسَوَاقِهَا
 الْحَكَاةَ فِي سَجْمِهَا الْفَتَاةَ (b) بِسَكْبِهَا مِنْ دَمْعِهَا، وَجَنَّةَ لُوقِهَا، وَلُجَّةَ بُولَاقِهَا،
 وَبِرْكَةَ فَيْلِهَا مِنْ بَرَكَةِ نَيْلِهَا، وَجَزِيرَةَ ذَهَبِهَا، وَقَلْعَةَ الْحَزِيرَةِ بِذَهَبِهَا مِنْ عَجَبِهَا.
 حَكَتْ قُلُوكَهَا فِي بَحْرِهَا، وَأَحْكَمَتْ مَمْلَكَتَهَا بِبَيْرِهَا، وَعَظُمَ جَلَلُهَا بِقَلْعَةِ
 جَبَلِهَا، وَاعْتَلَاءِ أَغْلَامِهَا بَيْنَاءِ أَهْرَامِهَا.

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى شُعُودِ صُعُودِهَا إِلَى سَعِيدِ صَعِيدِهَا، وَاعْتِيَاطِهَا بِأَنْحِطَاطِهَا
 إِلَى صَوْبِ سَكَنَدَرِيَّتِهَا وَدِمْيَاطِهَا، أَلْهَثَكَ عَنْ حُسْنِ الثَّرَيَا وَمَنَاطِهَا.

وَلَا تَنْسَ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ، الَّتِي تَسْبِقُ عِنْدَ طِيَابِ
 الرِّيحِ مَفُوقَاتِ السَّهَامِ، وَاعْجَابِهَا بِغُزْبَانِهَا الْبَحْرِيَّةِ، وَحَوَاقَاتِهَا الْحَزِيرِيَّةِ،
 وَشَوَانِيهَا وَهَوْلِ مَبَانِيهَا، وَجَلَالِ شَكْلِهَا وَجَمَالِ مَعَانِيهَا: تَبْدُو مُوَشَّاةً بِالْخَضَارِ
 الْأَحْمَرِ، مُنْقَشَةً بِاللُّونِ الْأَفْخَرِ، فَهِيَ كَالْأَرْقَمِ الْمُنْتَمِرِ، أَوْ كَمُتَلَوْنِ الثَّمَرِ، أَوْ
 الطَّاوُوسِ الذَّكَرِ، أَوْ النَّوَّاسِ الْبَيْتِيِّ الْأَصْفَرِ، مُعَمَّرَةً بِتَأْسِ الْحَدِيدِ وَالْأَخْجَارِ،
 مَخْمُولَةً عَلَى سَبْحِ الْمَاءِ الثَّيَّارِ، مَشْحُونَةً بِالرَّجَالِ، مَنْصُورَةً عِنْدَ الْقِتَالِ، مَضُونَةً
 بِالْجُنِّ وَالنِّبَالِ، تَبْزُزُ مَذْكُورَةً بِالْآيَةِ التَّوْحِيَّةِ، وَتَضْمَنُ إِخْرَازَ الْهَيْئَةِ الْغَلِيَّةِ الْفَتَحِيَّةِ.
 مُحْصُونَةً أَمْتَعُ مِنْ أَعَزِّ قِلَاعٍ، تَطِيرُ إِذَا فُتِحَ لَهَا جَنَاحُ الْقِلَاعِ، فَتَسْبِقُ وَقَدْ
 الرِّيحَ عِنْدَ الْإِسْرَاعِ، وَتَقُوقُ سُرْعَةَ السَّحَابِ عِنْدَ الْإِتْسَاعِ، فَهِيَ مَعَ الْغُثْبَانِ فِي
 الثَّيْقِ حَوْمٍ، وَهِيَ مَعَ الْبُنْيَانِ فِي الْبَحْرِ غَوْمٍ، لَوْ أَقْسَمَ مِنْ رَأْيِهَا، وَلَوْ قَالَ مُشَاهِدٌ

معناها: إِنَّ اللَّهَ نَفَخَ فِيهَا الرُّوحَ فَأَحْيَاهَا، لَبَّرَ فِي يَمِينِهِ الَّتِي أَقْسَمَ وَتَلَاهَا. وكم من مَزَكِبٍ لِحُسْنِهِ مُعْجِبٍ، وكم من سَفِينٍ قَوِيٍّ أَمِينٍ، وَخُضَارِي جَلِيلٍ، وَغُشَارِي طَوِيلٍ، وَسَمَارِي^(a) طَوِيلٍ جَمِيلٍ، وَنَشْتَرَاوِي عَكَاوِي، وَلُكَّةٌ وَدَرْمُوتَةٌ وَمَعْدِيَّةٌ مَكْنِيَّةٌ، وَسُلُورٌ دَقِيقٌ، وَشُخْتُورٌ رَشِيقٌ، وَقَرْقُورٌ رَقِيقٌ، وَزَوْزَقٌ ذِي رِوَاءٍ وَزَوْزُقٌ^(b)، وَطَرِيدَةٌ بِخَيْلِ الطَّرَازِ^(c) مَعْمُورَةٌ، دَهْمَاءٌ بِحُمَلِ الْحِيَادِ وَالْأَجْنَادِ مَشْهُورَةٌ، وَمَخْلُوفٌ بِالْمَعْرُوفِ فِي الْآفَاقِ مَعْرُوفٌ.

وَمَا أَلْخَى بَنَانُ رُطْبِهَا الْمُخْضَبُ، وَدَقِيقٌ^(d) قَامَةٌ قَصَبِهَا الْمُقْضَبُ، وَنَهْجَةٌ فَوْزُهَا بَطْلَحٌ مَوْزُهَا، وَخُضْرٌ أَغْلَامٌ أَوْرَاقُهَا، وَصُفْرٌ كِرَامٌ أَغْلَاقُهَا، لَا الْبَلَاغَةُ تَبْلُغُ مِنْ إِخْصَاءِ قَصْبِهَا مَرَامًا، وَلَا الْفَصَاحَةُ تَصُوغُ لَوْصَفِ تَشْبِيهِهَا كَلَامًا. فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكْنِفَهَا بِرُكْنِهِ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَيَحْرُسَهَا بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، بِمَنْتِهِ وَكَزَمِهِ.

وقال إبراهيم بن القاسم الكاتب - الملقب بالزريق^١ - يتشوق إلى مصر، وقد خرج عنها في سنة ثمانين^(e) وثمانين وثلاث مائة، من قصيدة^٢:

[الطويل]

هل الريح إن سارت مُشْرِقَةً تَشْرِي تُوْدِي تَحِيَّاتِي إِلَى سَاكِنِي مِصْرَ؟
فَمَا خَطَرَتْ إِلَّا بِكَيْثٍ صَبَابَةٍ وَحُمَلَتْهَا مَا ضَاقَ عَنْ حِفْلِهِ صَدْرِي
/لَأَنِّي إِذَا هِيتَ قَبُولًا بِنَشْرِهِمْ سَمَعْتُ نَسِيمَ الْمَيْلِكَ مِنْ ذَلِكَ النُّشْرِ
فَكَمْ لِي بِالْأَهْرَامِ أَوْ ذُبُرِ نَهْجَةٍ مَصَائِدُ غِرْلَانِ الْمَطَايِدِ وَالْقَفْرِ
إِلَى جِيْزَةِ الدُّنْيَا وَمَا قَدْ تَضَعَّتْ جَزِيرَتُهَا ذَاتَ الْمَوَاقِيرِ وَالْجِشْرِ
وَبِالْمَقْسِ وَالْبُشْتَانِ لِلْعَيْنِ مَنَظَرٌ أَنَيْقُ إِلَى شَاطِئِ الْحَايِجِ إِلَى الْقَصْرِ
وَفِي بَقَرِ دُوسٍ مُشْتَرَاةٍ وَمَلْعَبٍ إِلَى دِيرِ مَرْحَتَا^٣ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ

(a) بولاق : سماري . (b) بولاق : ذي زواريق . (c) بولاق : الطراز . (d) بولاق : ورشيق . (e) بولاق : ست .

^١ انظر عن إبراهيم بن القاسم المعروف بالزريق فيما يلي الأدهاء ٢٢٢:١ - ٢٢٤.

^٢ ١٥٤:٢ حاشية بخط المؤلف: دير مرحتا يعرف اليوم بدير

^٣ أورد القصيدة بتسامها ياقوت الحموي في معجم الطين بالقرب من بركة الحيش، وانظر فيما يلي ٢: ٤٦٠.

فكم بين بُمْتان الأمير^١ وقصره إلى البركة التضرّاء من زهر نضر
تراها كبراة بدت في زنارف من الشئس الموشى تنشر للجر
وكم ليلة لي بالقرافة يحلثها ليا يلك من لذاتها ليلة القدر^٢

وقال أحمد بن رستم بن إسفهلار الديلمي^٣، يخاطب الوزير نجم الدين يوسف^٤ بن الحسين
المجاور^٥، وتوفي في رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وست مائة [بدمشق، ومولده في
سنة ثمان وأربعين وخمس مائة وكان شيخاً مشوراً معدلاً]^٦.

[الكامل]

عجى الديار بشاطئ يقياها فالقسم الفياح بين دهاياها
فالروصتين وقد تصرّع عرفها أريج البنفسج في غصارة آياها
فمنازل القين المنيقة أصبحت يغني سناها عن سنا يتراسها
فخلجها لذاته مطلوبة تشمو محايته غلا بأناسها
خافاته محفوفة بمنازل نزل بها الآرام دون كئاسها^٧

وقال العلامة جمال^٨ الدين محمد الشيرازي المعروف بإمام منكلي بقا : [السريع]

حبا الحيا مضى وشكاتها وباكر الوسمي كئيباتها
وجاد صوب المزن من أوضها معاهد الأنس وأوطانها
معاهد بالأنس مغمورة لم أتس متهما عشت إحصائها
كم أنقظتني في ذرى دوحها عجماء لا تفقه ألحائها
وكم نعيم قد تحلثه فيها وكم غازلت غزلاتها
وعاينت عتي بها أعيدا شئس المقلّة وشنائها
شجر بالتفتير الحاظه كأن من بايل شيطانها^٩

(a) بولاق : أبا يوسف . (b) زيادة من مسودة المواظ . (c) بولاق : جلال .

^١ حاشية بخط المؤلف : هبتان الأمير يعرف اليوم كهلان شاه الديلمي .
بالقشوق بجوار الآثار النبوية على ركة الحيش .
^٢ المقرئ : مسودة المواظ ٢٩ - ٣٠ .

^٣ ترجمته عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٦ : ٣٨١ ، سعيد : الفصول البانعة ١٩ - ٢٥ ، وفيما يلي ٢ : ٤١ .

واسمه فيه : جمال الدين أبو العباس أحمد بن رستم بن
^٥ المقرئ : مسودة المواظ ٣٠ - ٣١ .

وكم شجعت قلبي بها عادة
 إذا دعت صبا إلى حُبها
 وكم ليالي لي بها قد مضت
 وآهف نفسي كيف شطت بها
 فارتقتها لا عن قلبي صدني
 واغتصت عن غزلانها والمها
 يا سائلي عن حالتي بقدها
 ما حال من فازق أصحابه
 ثقل قلب فوق الجمر أحنأوه
 والعين لا تنفك من عبيرة
 يا سائق الثوق بيت الثرى
 خي ربا مصر وجنائها
 ودورها الزهر وساحياتها
 وأرضها الخصب أرجاؤها
 والروضة الفيحاء تلك التي
 ومثية السمرج لا تنسها
 /والثاج والخفس وجوه التي
 وحي بأبرق وجد بالحيا
 وبائها الفطن وتشرينها
 وظلها الضافي وأزهارها
 والمعهد المأنوس من رنمها
 لم أنس لا أنسى اضطباحي بها
 ولا أوتقات الثصامي ولا
 أيام لا أنفك من ضبوة
 أخطرت يها في رياض الصبا
 وخبيل لهوي في ميادينها
 ودوخني ناضرة غضة
 حاشاي أن أنقض عهدا لها

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

قد كحللت بالعنج أجفانها
 لا يستطيع الصب عصيانها
 تشعب بالإعجاب أزدانها
 حوادث قروض بُنيانها
 عنها فراق الروح مجسماتها
 يعاج خبرون وثيراتها
 هأنذا أذكر عثوانها
 وفارق الدنيا وجيرانها
 تؤجج الأشواق ييرانها
 تزيل فوق الحد طوفانها
 كمثل بك الشعب تهتانها
 وحوزها العين وولدانها
 وبين قصرتها وميدانها
 ونيكها الزاهي وتلجاناتها
 تجلو عن الأنفس أحزانها
 وقربها الأحوى وكثانها
 أضحت من الأغين إنسانها
 بجزيرة الفيل وغيطانها
 ووذها البكر وزحانها
 وماءها الضافي وعذرائها
 وحي أهلها وشكائها
 ولا اغيباقتي وإبانها
 تلك الخلاعات وأزمائها
 أهوى اللذات وإغلائها
 مرنج الأعطاف كملانها
 تجرجر الضبوة أرسائها
 تغطف ربح اللهو أغصانها
 حاشاي أن أصبح خوانها

حاشاي أَنْ أَهْجَرَهَا قَالِيَا حاشاي أَنْ أُحْدِثَ سُلُوكَهَا
حاشاي أَنْ أَرْضَى بِدِيلًا بِهَا زَوَابِي السَّامِ وَقِيَمَاتِهَا
وَمَاءَهَا السُّجَّ وَخَضْبَاتِهَا وَصُخْرَهَا الصُّلْدَ وَصَوَائِهَا
قَدْ تَأَقَّتِ الثُّغْلُ إِلَى إلفِهَا وَخُتَّتِ الْأَشْوَاقَ أَطْعَامَاتِهَا
وَأُكْرِثُ فِي الْبُعْدِ أَخْبَائِهَا فَهَيَّجَ التَّجْرِيعَ أَشْجَانَهَا
وَمَا لَهَا غَيْرُكَ مِنْ مُلْتَجَا بَا أَوْخَدَ الدُّنْيَا وَإِنْسَانَهَا

وقال الرئيس شهاب الدين أحمد بن ماضي الدين يحيى بن فضل الله القمزي كاتب السر:
[مجزوء الرجز]

لمصرَ فَضْلٌ باهرٌ بغيثها الرُّغْدُ النُّضِيرُ
في كلِّ سَفْحٍ يلقي ماءَ الحياةِ والحَظِيرِ^(a)

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مُدَّةِ بَقَاءِ الْقَاهِرَةِ وَوَقْتُ خَرَابِهَا

قال العارف ماضي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحمة المنسوبة إليه^٢: قاهرة
تفتر في سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة، وتخرّب سنة ثمانين وسبع مائة.

ووقفت لها على شروح لم أعرف تصنيف من هو، فإنه لم يسّم في النسخة التي وقفت عليها،
وهو شروح لطيف قليل الفائدة، فإنه ترك كلام المصنّف فيما مضى على ما هو معروف في كُتُب
التاريخ، ولم يبيّن مراده فيما استقبل، وكانت الحاجة ماسة إلى معرفة ما يستقبل، أكثر من
المعرفة بحال ما مضى، لكن أخبرني غير واحد من الثقات أنه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير
في مجلدين.

قال هذا الشارح: كانت بداية عمارة القاهرة والثيران في شرفيهما: الشمس في بروج الحمل،
والقمر في بروج الثور وهو بروج ثابت، قال: ففتر القاهرة ومُدَّتْهَا أَرْبَع مِائَةٍ وَاحِدَى وَسِتُونَ
سنة.

(a) بعد ذلك على هامش أباصولها: بياض ورقة.

^١ انظر ابن فضل الله العمري: مسائل الأَبصار (ممالك

مصر والشام) ١٩٦، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٥٢،
^٢ وقف ابن خلدون على هذه الملحمة المنسوبة إلى =

قَالَ فِي الْأَصْل: وَإِذَا نَزَلَ زُحْلُ بُرْجِ الْجُوزَاءِ، عَزَّتِ الْأَقْوَاتُ بِمِصْرَ، وَقَلَّ أَغْنِيَاؤُهُمْ، وَكَثُرَ قُرَاؤُهُمْ، وَيَكُونُ الْمَوْتُ فِيهِمْ، وَيُخْرِجُ أَهْلَ بَرْقَةِ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، لَاسِيَا إِذَا قَارَنَ زُحْلُ الْجُوزَاءِ، فَإِنَّ الْحَالَ يَكُونُ أَشَدَّ وَأَقْوَى.

قَالَ الشَّارِحُ: كَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسَ، فَإِنَّهُ نَزَلَ زُحْلُ بُرْجِ الْجُوزَاءِ، فَوَقَعَ الْغَلَاءُ. وَفِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَثُفًا، حُلَّ زُحْلُ فِي بُرْجِ الْجُوزَاءِ، وَكَانَ مَعَهُ الْجُوزَاءُ، فَكَانَتْ أَشَدَّ وَأَقْوَى، وَكَثُرَ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ.

قَالَ: سُئِلَ الْمُؤَيَّدُ عَنِ التُّوَكِّ: مَا هُمْ؟ فَقَالَ: قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، بِأَثَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَهَوَّنُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَقِيمُونَ الْحُدُودَ وَالْوَاجِبَاتِ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَعْدَاءَ اللَّهِ؛ فَقِيلَ لَهُ: أَتَطُولُ مُدَّتُّهُمْ؟ قَالَ: لَا تَطُولُ مُدَّتُّهُمْ؛ قِيلَ: فَكَيْفَ يَكُونُ زَوَالُهُمْ؟ قَالَ: يَكُونُ هَكَذَا، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ طَبَقُ كَيْزَانٍ، فَحَرَّكَهُ حَرَكَةً شَدِيدَةً فَتَكَشَّرَتِ الْكَيْزَانُ، فَقَالَ: هَكَذَا يَكُونُ زَوَالُهُمْ، يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ:

[الكامل]

اِحْتَدَرَ بُنْيَى مِنَ الْقِرَانِ الْعَاشِرِ وَازْجَلَّ بِأَهْلِكَ قَبْلَ نَقْرِ النَّاقِرِ

قَالَ الشَّارِحُ: أَوَّلُ الْقِرَانِ الْعَاشِرِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَفِيهِ تَكُونُ حَالَاتُ رَدْبَةٍ بِأَرْضِ مِصْرَ، وَهَذَا يُوَافِقُ مَا فِي الْقَوْلِ عَنِ الْقَاهِرَةِ، وَتَخْرُوبُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ - يَعْنِي بِدَايَةِ انْجِطَاطِهَا مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ الَّتِي فِيهَا الْقِرَانُ الْعَاشِرُ، وَيَثْبُتُ فِي عِشْرِينَ سَنَةً الَّتِي هِيَ أَيَّامُ الْقِرَانِ. وَقَدْ ذَكَرَ فِي الرَّوْعِ/ الْآخِرِ أَرْبَعِ مِائَةٍ وَاحِدَى وَسِتِّينَ سَنَةً، وَقَدْ تَحَيَّلَتْ أَنَّهَا مُدَّةُ عُثْمَانَ الْقَاهِرَةِ، فَإِذَا زِدْتَهَا عَلَى تَارِيخِ عِمَارَتِهَا، بَلَغَ ذَلِكَ ثَمَانِ مِائَةٍ وَتِسْعِ عَشْرَةٍ

واحدة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢١١٩ (٣٥٢-٣٦٠) كتبت سنة ١٠٨٨هـ، وأخرى في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٦٧٥ (٥٣-٥٧)، كما لها شرح مجهول المؤلف عنوانه «الملحة الشمسية في كشف العلوم الخفية»، منه نسخة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢١١٩ (٤٥٢-٥٢٣). (Yahya, O., *Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabî*, Damas (1964, p. 355).

- محيي الدين بن عربي (بين ملاحم أخرى في حثان الدول أو حثان الله)، وذكر أنها في كلام طويل شبه الغار لا يقلم تأويله إلا الله لخلله أوقاف عديدة ورموز ملفوزة وأشكال حيوانات تامة، ووروس مقطعة، وثمانيل من حيوانات غريبة، وفي آخرها قصيدة على زوي اللام، لأنها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولا غيرها. (المقدمة ٨٣٨).

وذكر عثمان يحيى في كتابه: «تاريخ وتصنيف مؤلفات ابن عربي» كتاب «الملحة» وأن منه نسختين:

سنة، وفي ذلك الوقت يكون زوالها، وهو ما بين سنة ثمانين وسبع مائة إلى سنة تسع عشرة وثمان مائة، ويكون بسبب ذلك^(a) قحط عظيم، وقلة خير، وكثرة شر حتى تمخرّب^(b) ويضشف أهلها.

قال: قرآن زحل والمريخ في بزج الجدي يكون في سنة سبعين وسبع مائة، فتعد لكل مائة سنة من سني الهجرة ثلاث سنين، فيكون ثلاثاً وعشرين سنة، تزيد على سبع مائة وسبعين سنة،^(c) تبلغ سبع مائة وثلاثاً وتسعين سنة، ففي مثلها من سني الهجرة يكون أول أوقات خراب القاهرة. انتهى.

وتهدب هذا القول أن زحل كلما حل بزج الجوزاء، انصبت أخوال مصر، وقلت أموالهم، وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الأوضاع الفلكية. وزحل يحل في بزج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية، فيقيم فيه نحواً من ثلاثين شهراً. وأنت إذا اغتبرت أمور العالم، وجدت الحال كما ذكر^(d)، فإنه كلما حل زحل بزج الجوزاء، وقع الغلاء بمصر.

وذكر أن القرآن العاشر تنصع فيه أخوال القاهرة، ورأينا الأمر كما ذكر^(e)، فإن القرآن العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبع مائة، ومدة بينه عشرون سنة شمسية، آجرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمان مائة. وفي هذه المدة انصع حال القاهرة وأهلها انصاعاً قبيحاً.

ومن الأوقات المحذرة لها أيضاً اقتران زحل والمريخ في بزج السرطان، ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية، ويقتربان في سنة ثمان عشرة وثمان مائة، وفي مدته تنقضي الأربع مائة والإحدى الستون سنة التي ذكر أنها عثر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمان مائة.

وشاهد الأحوال^(f) اليوم تصدق ذلك؛ لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال، وخراب الصياع والقرى، وتداعي الدور للسقوط، وشمول الخراب أكثر معمر القاهرة، واختلاف أهل الدولة، وقرب انقضاء مدتهم، وغلاء سائر الأشعار.

ولقد سمعت عن يرجع إليه في مثل ذلك، أن العمارة تنتقل من القاهرة إلى يركة الحبش، فيصير هنالك مدينة.

ذِكْرُ مَسَاكِينِ الْقَاهِرَةِ وَشَوَارِعِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ^١

وقبل أن نذكر حِطَطَ القاهرة فلنبتدئ بذكر شَوَارِعِهَا وَمَسَالِكِهَا المسلوك منها إلى الأَرْقَةَ والحَارَات، لتُعَرَفَ بها الحارات والحِطَطُ والأَرْقَةُ والدُّرُوبُ^(a)، وغير ذلك مما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

(b) الشَّارِعُ الْأَوَّلُ والطَّرِيقُ الْعُظْمَى قَصَبَةُ الْقَاهِرَةِ^(b)

فـ «الشَّارِعُ الْأَعْظَمُ» - قَصَبَةُ الْقَاهِرَةِ - من باب زَوِيلَةٍ إلى بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، عند^(c) باب الخُرُونِشْ أو الخُرُونِشْ، ومن باب الخُرُونِشْ يَنْفَرِقُ من هنالك طريقان: ذات اليمين، ويُشَلِّكُ منها إلى الرُّكْنِ الْمُخَلَّقِ وَرَحْبَةِ باب العيد إلى باب النَّصْر^(d)، وذات اليسار، ويُشَلِّكُ منها إلى الجامع الأقمر، وإلى حَاذَةِ بَرْجَوَانٍ إلى باب الْفُتُوح.

فإذا ابتدأ السَّالِكُ بالدُّخُولِ من باب زَوِيلَةٍ، فإنه يجد يَمَنَةً الرُّقَاقِ الصَّبِيِّ الذي يُعرف اليوم بسوق الخُلَيْعِينَ، وكان قَدِيمًا يُعرف بالخَشَّائِينَ، ويُشَلِّكُ من هذا الرُّقَاقِ إلى حَاذَةِ الْبَاطِلِيَّةِ وَخُوخَةِ حَاذَةِ الرُّومِ الْبُرْهَانِيَّةِ.

ثم يُشَلِّكُ الدَّاخِلُ أَمَامَهُ فيجد^(b) على ما في يمينه قَيْسَارِيَّةَ الْفَاضِلِ^(b) على يَسْرَتِهِ سِجْنٍ مَتَوَلِّي الْقَاهِرَةِ - المعروف بِخَزَانَةِ شِمَالٍ - وَقَيْسَارِيَّةِ سُنْفَرِ الْأَشْفَرِ وَحَزْبِ الصُّفِّيَّةِ^٢.

ثم يُشَلِّكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمَنَتِهِ حَتَّامَ الْفَاضِلِ الْمُعَدَّةَ لِدُخُولِ الرِّجَالِ، وعلى يَسْرَتِهِ - تجاه هذه الْحَتَّامِ^(c) - قَيْسَارِيَّةَ الْأَمِيرِ بَهَاءِ الدِّينِ رَشَلَانَ الدُّوَادَارِ النَّاصِرِيِّ، إلى أن ينتهي بين الحَوَانِيتِ وَالرُّبَاعِ فَوْقَهَا إلى بابِي زَوِيلَةِ الْأَوَّلِ، ولم يَبْقَ مِنْهُمَا سِوَى عَقْدٍ أَحَدَهُمَا، ويُعرف الْآنَ بِبَابِ الْقَوْسِ.

(a) المسودة: ليعرف بها حاراتها وخطوطها ودروبها وأزقتها. (b-b) إضافة من مسودة المواضع. (c) بولاق: عليه.

(d) مسودة المواضع: الركن المخلوق إلى الخوانق إلى أن تنتهي إلى باب النصر. (e) المسودة: مقابل لها.

^١ هذا الفصل نقله إلى الفرنسية بول كازاتوفا في ترجمته

^٢ كتب المقرئ في هذا الوصف قبل سنة ٨١٨ هـ وهي تاريخ هدم خزانة شمال، فقد أضاف في مرحلة لاحقة على هامش المسودة في هذا الموضع «صار سوق الخلعين وخزان شمال جامعاً بناه الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمدي».

للخبط Makrizi, *Description historique et topographique de l'Égypte*, tr. par Paul Casan-ova, IFAO 1920, pp. 72-81 وكذلك أندره ريمون وجاستون في كتابهما عن أسواق القاهرة Raymond, A. & Wiet, G., *Les marchés du Cairo*, IFAO

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَسْرَتِهِ الرُّقَاقَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْحَدَّادِينَ وَالْحَجَّارِينَ - الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِسُوقِ الْأَتَمَّاطِيِّينَ وَسَكَنَ أَصْحَابُ^(a) الْمَلَاهِي - وَالْإِلَى الْمُحْمُودِيَّةِ ، وَإِلَى سُوقِ الْأَخْفَافِيِّينَ ، وَحَازَةِ الْجَوْدَرِيَّةِ وَالصُّوَالِيْنَ وَالْقَصَّارِينَ وَالْفَحَّامِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَيجد تَجَاهَ هَذَا الرُّقَاقِ عَنْ يَمِينِهِ الْمَسْجِدَ الْمَعْرُوفَ قَدِيمًا بِابْنِ الْبَتَاءِ - وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ الْآنَ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ - وَهُوَ فِي وَسْطِ سُوقِ الْغَرَابِلِيِّينَ وَالْمَنَاحِلِيِّينَ وَمِنْ مَعَهُمُ مِنَ الْعُصْبِيِّينَ .

(ب) ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ الرُّقَاقَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى حَازَةِ الْوُومِ^(b) ، ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد سُوقَ الشَّرَاجِينَ - وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالشُّوَاتِينَ - وَفِي هَذَا السُّوقِ عَلَى يَمِينِهِ الْجَمَاعَةُ الطَّافِرِي الْمَعْرُوفِ بِجَمَاعَةِ الْفَكَاهِينَ ، وَبِجَانِبِهِ الرُّقَاقَ الْمَسْلُوكَ مِنْهُ إِلَى حَازَةِ الذُّهْلِمْ وَسُوقِ الْقَقَّاصِينَ وَسُوقِ الطُّيُورِيِّينَ وَالْأَكْفَانِيِّينَ الْقَدِيمَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِشَكْنَى دَقَّاقِي الثِّيَابِ . وَيجد على يَسْرَتِهِ الرُّقَاقَ الْمُتَوَصِّلَ^(c) مِنْهُ إِلَى حَازَةِ الْجَوْدَرِيَّةِ وَدَرْبِ كَرْكَامَةِ وَدِكَّةِ الْحِشْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ قَدِيمًا بِسُوقِ الْحَدَّادِينَ ، وَسُوقِ الْوَزَاقِينَ الْقَدِيمَةِ ، وَإِلَى سُوقِ^(d) الْغَامِيِيِّينَ ، الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالْأَبَازِرَةِ^(e) ، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ إِلَى سُوقِ^(d) الْحَلَاوِيِّينَ الْآنَ فيجد عَنْ يَمِينِهِ الرُّقَاقَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْكَعْكِيِّينَ الْمَعْرُوفِ قَدِيمًا بِالْقَطَّانِينَ وَشَكْنَى الْأَسَاكِفَةِ ، وَإِلَى بَاتِي قَيْسَارِيَّةِ بِجِهَازِ كَسْ ،^(f) الْغَرَبِيِّينَ وَإِلَى دَرْبِ الْأَشْوَانِي وَالْحَازَةِ الْبَاطِلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الْحَوَائِصِيِّينَ^(g) فيجد على يَمِينِهِ قَيْسَارِيَّةَ بِجِهَازِ كَسْ^(h) وَعَنْ يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَّةَ الشُّرُوبِ .

ثم يَسْلُكُ/ أَمَامَهُ إِلَى سُوقِ الشَّرَابِشِيِّينَ ، الْمَعْرُوفِ قَدِيمًا بِشَكْنَى التَّخَانِقِيِّينَ^(h) ، وَعَنْ يَمِينِهِ دَرْبِ قَيْطُلُون . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الشَّرَابِشِيِّينَ ، فيجد عَنْ يَمِينِهِ قَيْسَارِيَّةَ أَمِيرِ عَلِي ، وَيجد عَنْ يَسْرَتِهِ سُوقَ الْجَمَلُونِ الْكَبِيرِ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى قَيْسَارِيَّةِ ابْنِ قُرَيْشٍ وَإِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ وَالْوَزَاقِينَ ، وَإِلَى سُوقِ الْكَفْتِيِّينَ وَالصَّبَارِفِ وَإِلَى^(a) الْأَخْفَافِيِّينَ ، وَإِلَى يَفْرِ زَوِيلَةَ وَالْبُنْدُقَانِيِّينَ ، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عَنْ يَمِينِهِ الرُّقَاقَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْفَرَائِينَ الْآنَ - وَكَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِالْخُرُوقِيِّينَ وَإِلَى خُطِّ الْأَكْفَانِيِّينَ الْآنَ ، وَكَانَ يُعْرَفُ^(f) أَوَّلًا بِدَرْبِ الْبَيْضَاءِ - وَإِلَى دَرْبِ الْأَشْوَانِي وَإِلَى الْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَيجد عَنْ يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَّةَ بَنِي أُسَامَةَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : المسلك . (d-d) ساقطة من آباصوقيا

اختلاف نظر . (e) مسودة المواعظ : الأبرارين . (f-f) ساقطة من بولاق : اختلاف نظر . (g) بولاق :

إلخولانيين . (h) بولاق : إلخالقيين .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًا فِي سُوقِ الْجَوَاحِيَيْنِ وَاللَّجْمِيَيْنِ ، فيجد عن يمينه قَيْسَارِيَةَ الشُّرُج ، وعن يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَةَ ^(a) .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ إِلَى سُوقِ السَّقَطِيَيْنِ وَالْمَهَامِيزِيَيْنِ ، فيجد عن يَمِينِهِ دَرْبَ الشَّمْسِيِّ ، وَيُقَابِلُهُ بَابَ قَيْسَارِيَةِ الْأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ الْحَيَّاطِ ، ويُعرف اليوم بقَيْسَارِيَةِ الْعُصْفُرِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًا فِي السُّوقِ الْمَذْكُورِ ، فيجد عن يَمِينِهِ الرُّقَاقِ الْمَسْلُوكِ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْقَشَاشِينَ ^(b) وَعَقَبَةِ الصَّبَاغِينَ ^(b) الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالْحَرْطَاطِينَ ، وَإِلَى سُوقِ الْحَيَّيْمِيَيْنِ ، وَإِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَيَجِدُ قُبَالَةَ هَذَا الرُّقَاقِ عَنْ يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَةَ الْعَنْثَرِ ، الْمَعْرُوفَةَ قَدِيمًا بِحَبْسِ الْمُعَوَّنَةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَسْرَتِهِ الرُّقَاقِ الْمَسْلُوكِ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْوُزَاقِينَ وَسُوقِ الْحَرِيرِيِّينَ الشَّرَارِيِّينَ الْمَعْرُوفِ قَدِيمًا بِسُوقِ الصَّنَاعَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَإِلَى دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ ، وَإِلَى سُوقِ الْجَرَارِيِّينَ ^(c) ، وَإِلَى بَيْتِ زَوَيْلَةَ وَابْنِ الدُّنْقَانِيَيْنِ ، وَإِلَى سُوَيْقَةِ الصَّاحِبِ وَالْحَارَةِ الْوَزِيرِيَّةِ ، وَإِلَى بَابِ سَعَادَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًا فِي بَعْضِ سُوقِ الْحَرِيرِيِّينَ وَسُوقِ الْمُتَعَشِّشِينَ - وَكَانَ قَدِيمًا سُكْنَى الدُّجَاجِينَ وَالْكَفْكَكِيِّينَ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ أَوَّلًا سُكْنَى الشَّيُوفِيِّينَ - فيجد عن يَمِينِهِ قَيْسَارِيَةَ الصَّنَادِقِيِّينَ وَكَانَتْ قَدِيمًا تُعْرَفُ بِقُنْطُقِ الدَّهَابِلِيِّينَ . وَيَجِدُ عَنْ يَسْرَتِهِ مُقَابِلَهَا دَارَ الْمَأْمُونِ الْبَطَايِحِيِّ الْمَعْرُوفَةَ بِمَدْرَسَةِ الْحَنْفِيَّةِ ، ثُمَّ عُرِفَتْ الْيَوْمَ بِالْمَدْرَسَةِ الشَّيُوفِيَّةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي سُوقِ الشَّيُوفِيِّينَ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فِي سُوقِ الشَّيُوفِيِّينَ الْقَدِيمَةِ ^(d) ، الَّذِي هُوَ الْآنَ سُوقُ الْمُتَعَشِّشِينَ ، فيجد عن يَمِينِهِ خَانَ مَسْرُورٍ وَحُجْرَتِي الرُّقِيقِ وَدِكَّةَ الْمَالِيكِ بَيْنَهُمَا - وَلَمْ تَزَلْ مَوْضِعًا لَجُلُوسِ مَنْ يُغْرِضُ مِنَ الْمَالِيكِ الثَّرَكِ وَالزُّومِ وَنَحْوِهِمْ لِلْيَتِيمِ إِلَى أَوَائِلِ أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَزْقُوقِ ، ثُمَّ بَطَلَ ذَلِكَ - وَيَجِدُ عَنْ يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَةَ الرُّمَّاحِينَ وَخَانَ الْحَجَرِ ، وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ هَذَا الْخَطُّ بِسُوقِ بَابِ الزُّهْرَةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عن يَسْرَتِهِ الرُّقَاقِ وَالْمَسَابِطِ الْمَسْلُوكِ فِيهِ إِلَى حُكَّامِ خُشَيْبِيَّةٍ وَدَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ ، وَإِلَى حَارَةِ الْعَدَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الْيَوْمَ بِقُنْطُقِ الرُّمَّامِ ، وَإِلَى حَارَةِ زَوَيْلَةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَيَجِدُ بَعْدَ هَذَا الرُّقَاقِ ، قَرِيبًا مِنْهُ فِي صَفِّهِ ، دَرْبَ السَّلِيلَةِ .

(a) يابض في المسودة وسائر النسخ . (b-b) ساقطة من مسودة المواظظ . (c) مسودة المواظظ : الزجاجين ، بولاق : الحريرين . (d) إضافة من مسودة المواظظ .

ومن هنا ابتداء «حُطُّ يَتْنِ الْقَصْرَيْنِ» وكان قَدِيمًا ، في أيام الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، مَرَاخًا وَاسِعًا ليس فيه عمارة أَلْبَتَّةَ يَتَوَفَّ فيه عشرة آلاف فارس . والقَصْران هما موضع سُكْنَى الْخَلِيفَةِ : أَحَدُهُمَا شَرْقِيٌّ وهو «القَصْر الْكَبِير» ، وكان على يَمْنَةِ السَّالِكِ من مَوْضِعِ خَانَ مَشْرُور طَالِيًا بِابِ الْقَصْرِ وَبَابِ الْفَتْوح ، ومَوْضِعُهُ الْآنَ الْمَدَارِسُ الصَّالِحِيَّةُ النَّجْمِيَّةُ وَالْمَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ الرَّكْنِيَّةُ وما في صَفْهِهَا مِنَ الْحَوَانِيتِ وَالرُّبَاعِ إِلَى رَحْبَةِ الْعِيدِ ، وما وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى الْبَرْقِيَّةِ . وَيُقَابِلُ هَذَا الْقَصْرَ الشَّرْقِيَّ الْقَصْرُ الْغَرْبِيُّ ، وهو «القَصْر الصَّغِير» ، ومكانه الْآنَ الْمَارِشَتَانِ الْمُتَصُورِيَّ وَمَا فِي صَفْهِهِ مِنَ الْمَدَارِسِ وَالْحَوَانِيتِ إِلَى تَجَاهِ بَابِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ^٨ .

فَإِذَا ابْتَدَأَ السَّالِكُ بِدُخُولِ يَتْنِ الْقَصْرَيْنِ مِنْ جِهَةِ خَانَ مَشْرُور ، فَإِنَّهُ يَجِدُ عَلَى يَمْنَتِهِ دَرْبَ السَّلْسَلَةِ . ثُمَّ يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَلَى يَمِينِهِ الرُّفَاقَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْأَمْشَاطِيِّينَ الْمُقَابِلِ لِلْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ الَّتِي لِلْحَنْبَلِيَّةِ وَالْخَنَابِلَةِ ، وَإِلَى الرُّفَاقِ الْمَلَاصِقِ لِسُورِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ الْمَسْلُوكِ فِيهِ إِلَى حُطِّ الزُّرَاكِيَّةِ الْعَتِيقِ حَيْثُ خَانَ الْخَلِيلِي وَخَانَ مَتْنَجَك^١ ، وَإِلَى الْخَوْخِ الشَّبْعِ حَيْثُ الْآنَ سُوقُ الْأَتَّارِينَ ، وَإِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَإِلَى الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

ثُمَّ يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الشُّيُوفِيِّينَ الْآنَ ، فَيَجِدُ عَلَى يَسَارِهِ ذَكَائِنَ الشُّيُوفِيِّينَ ، وَعَلَى يَمِينِهِ ذَكَائِنَ الثَّقَلَيْنِ ظَاهِرِ سُوقِ الْكُتُبِيِّينَ الْآنَ ، وَعَلَى يَسَارِهِ سُوقَ الصَّيَارِفِ بِرَأْسِ بَابِ الصَّاعَةِ ، وَكَانَ قَدِيمًا مَطْبَخُ الْقَصْرِ قُبَالَةَ بَابِ الزُّهْمَةِ .

ثُمَّ يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَلَى يَمِينِهِ بَابَ الْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ تَجَاهِ بَابِ الصَّاعَةِ . ثُمَّ يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَنْ يَمِينِهِ الْقُبَّةَ الصَّالِحِيَّةَ وَبِجَوَارِهَا الْمَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ الرَّكْنِيَّةُ ، وَيَجِدُ عَلَى يَسَارِهِ بَابَ الْمَارِشَتَانِ الْمُتَصُورِيَّ ، وَفِي دَاخِلِهِ الْقُبَّةُ الْمَتَصُورِيَّةُ الَّتِي فِيهَا قُبُورُ الْمُلُوكِ ، وَتَحْتَ شَبَائِكِهَا ذِكَاكُ الْقَفْصِيَّاتِ الَّتِي فِيهَا الْحَوَاتِيمُ وَنَحْوُهَا ، فِيمَا بَيْنَ الْقُبَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَالْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَفِي دَاخِلِهِ أَيْضًا الْمَدْرَسَةُ الْمُتَصُورِيَّةُ ، وَتَحْتَ شَبَائِكِهَا أَيْضًا ذِكَاكُ الْقَفْصِيَّاتِ فِيمَا بَيْنَ شَبَائِكِهَا وَشَبَائِكِ الْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ الَّتِي لِلشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ ، وَتَحْتَهَا خَبِيْمَةُ الْعُلَمَاءِ بِجَوَارِقَةِ الصَّالِحِ ، وَفِي دَاخِلِهِ أَيْضًا الْمَارِشَتَانِ الْكَبِيرِ الْمُتَصُورِيَّ الْمُتَوَسِّلُ مِنْ بَابِ مِيرْهُ إِلَى حَارَةِ زَوَيْلَةَ ، وَإِلَى الْخَرْنَشَفِ وَإِلَى الْكَافُورِيِّ وَإِلَى الْبُنْدُقَانِيِّينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

(٨) فِي مَسْودَةِ الْمَرَاظِ بَعْدَ ذَلِكَ : ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى ذِكْرِ الْخَطِّ فَتَقُولُ .

^١ عَنْ خَانَ الْخَلِيلِيِّ انْظُرْ فِيمَا بَلَى ٢ : ٩٤ ، وَلَمْ يُقَرَّدِ الْمُتَرَفِيَّ خَانَ مَنَجَكِ بِمَدْخَلِ مُسْتَقِلٍ .

ثم يَسْلُكُ من باب المارِستان ، فيجد على يَمَنِّته سُوق السِّلَاح والنُّشَاقين^(a) / الآن تحت الرَّوْع المعروف بِوَقْف أمير سَعِيد ، ويجد على يَمَنِّته المَدْرَسَةُ النَّاصِرِيَّةُ المَلَّاصِقَةُ لِحِدَّةِ القُبَّةِ المنصورية .
ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمَنِّته خَافِئ يَشْتَاكُ وفوقه الرَّوْع - وعُرفَ الآنَ هذا الخَافِئُ بالمستخرج -
ويجد على يَمَنِّته المَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ الجَدِيدَةُ بجوار المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ ، وكانت قبل إنشائها مَدْرَسَةُ
فُتُوحًا يُعْرَفُ بِخَانِ الرُّكَاةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمَنِّته بَابَ قَصْرِ يَشْتَاكُ ، ويجد على يَمَنِّته المَدْرَسَةُ الكَامِلِيَّةُ المعروفة
بِدَارِ الحَدِيثِ وهي مُلَاصِقَةُ لِلْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ السَّيْفِيَّةِ^(b) الجَدِيدَةِ^(c) .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمَنِّته الرُّقَاقُ المَسْلُوكُ فيه إلى بيت أمير سِلَاح ، المعروف بِقَصْرِ أمير
سِلَاح ، وهو الأمير فَخْرُ الدِّينِ بَكْتِاشُ الفَخْرِي الصَّالِحِي النُّجُمِي ، وإلى دَارِ الأمير سَلَارِ نَائِبِ
السُّلْطَنَةِ ، وإلى دَارِ الطُّوَّاشِي سَابِقِ الدِّينِ وَمَدْرَسَتِهِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا المَدْرَسَةُ السَّابِقِيَّةُ . وكان هذا
الرُّقَاقُ فِي دَاخِلِهِ^(d) مَكَانًا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ تَحْتِ قَبْرِ المَدْرَسَةِ السَّابِقِيَّةِ ، يُعْرَفُ بِالسُّودُوسِ ، فِيهِ عِدَّةُ
مَسَاكِينٍ صَارَتْ كُلُّهَا الْيَوْمَ دَارًا وَاجِدَةً لِإِنْشَاءِ الأمير جَمَالِ الدِّينِ الْأَسْنَاذَارِ . وكان تَجَاهَ بَابِ
المَدْرَسَةِ^(e) السَّابِقِيَّةِ رُبْعٌ تَحْتَهُ قُؤُنٌ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عِدَّةُ مَسَاكِينٍ يُعْرَفُ مَكَانُهَا بِالْحَدْرَةِ ، فَهَذِهِ الْأَمِيرُ
جَمَالُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ الرَّوْعُ وَمَا وَرَاءَهُ وَخَفَرُ فِيهِ صِبْغٌ رَجَا ، وَأَنْشَأَ بِهِ عِدَّةُ أَدْرَهِ الْآنَ جَارِيَةٌ فِي
أَوْقَافِهِ .

وكان يَسْلُكُ من باب السَّابِقِيَّةِ على باب الرَّوْعِ وَالْقُؤُنِ الْمَذْكُورِينَ ، إِلَى دِهْلِيزٍ طَوِيلٍ مَظْلَمٍ
يَنْتَهِي إِلَى بَابِ الْقَصْرِ تَجَاهَ سُورِ سَعِيدِ السُّقْدَاءِ ، وَمِنْهُ يَخْرُجُ السَّالِكُ إِلَى رَحْبَةٍ بِبَابِ الْعِيدِ وَإِلَى
الرُّوْحَنِ الْمُخَلَّقِ ، فَهَذِهِ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ وَبِحَقْلٍ مَكَانَهُ قَيْسَارِيَّةٌ ، وَرَكَّبَ عَلَى رَأْسِ هَذَا الرُّقَاقِ -
تَجَاهَ حَقَامِ الْبَيْسَرِيِّ - دَرْبًا فِي دَاخِلِهِ دُرُوبٌ لِيَصُونَ أَمْوَالَهُ ، وَانْقَطَعَ التَّطَوُّقُ مِنْ هَذَا الرُّقَاقِ ، وَصَارَ
دَرْبًا غَيْرَ نَافِذٍ . وَيَجِدُ السَّالِكُ عَنْ يَمَنِّته قُبَاةَ هَذَا الرُّقَاقِ - الَّتِي^(f) صَارَ دَرْبًا مُدْرِيًا - بِبَابِ قَصْرِ
الْبَيْسَرِيَّةِ^(g) ، وَقَدْ بُنِيَ فِي وَجْهِهِ حَوَانِيتٌ بِجَانِبِهَا حَقَامُ الْبَيْسَرِيِّ .

(a) الأصول : النشاشين . (b) زيادة من الأصول . (c) مسودة المواظظ : للمدرسة الظاهرية المستجدة . (d) بولاق :
وكان في داخل هذا الرقاق . (e) ساقطة من آهاصونها . (f) بولاق : و .

^١ جاء على هامش المسودة هنا بغير خط المقرئ : العلامي الأجرود (انظر ترجمته عند أبي المحاسن : المنهل
وصارت الآن حكامين وحوانيت عمرها الأشرف إينال الصافي ٢٠٩:٣) . وهي إضافة لشخص طالع المسودة -

ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور إلى طريقتين: أحدهما ذات اليمين، والأخرى ذات اليسار^١.

[الشارع المسلوك فيه إلى باب الفتوح]

- فأما ذات اليسار فإنها تنمّ القصبّة المذكورة. فإذا مرّ السالك من باب حشم الأمير يتسري، فإنه يجد على يمينه باب الخرنشف المسلوك فيه إلى باب مير البهيريّة، وإلى باب حارة بزجوان الذي يقال له أبو تراب، وإلى الخرنشف واسطبل القطية، وإلى الكافوري، وإلى حارة زويلة، وإلى البندقانيين وغير ذلك.
- ثم يتسلّك أمامه فيجد سوقاً - يُعرف أحياناً بالوزاين والدجاجين - يُباع فيه الإوز والدجاج والغصافير وغير ذلك من الطيور، وأدركناه عابراً سوقاً كبيراً، من جملة ذلك لا يُباع فيها غير الغصافير فيشتريها الصغار للعب بها. وفي هذا السوق، على يمين السالك، قيسارية يعلوها رنّج كانت مدة سوقاً يُباع فيه الكتب، ثم صارت لعمّل الجلود، وكانت من جملة أوقاف المارستان المنصوري، فهدمها بعض من كان يتحدّث في نظره عن الأمير أتمش في سنة إحدى وثمان مائة، وعمرها على ما هي عليه الآن. وعلى يمين السالك في هذا السوق رنّج يجري في وقف المدرسة الكاميلية، وكان هذا السوق يُعرف قديماً بالبنّان والقماحين.
- ثم يمرّ سالكاً أمامه فيجد سوق الشعاعين متصلاً بسوق الدجاجين، وكان سوقاً كبيراً فيه صقّان عن اليمين والشمال من حوانيت باعة الشمع أدركته عابراً، وقد بقي منه الآن يسير. وفي آخر هذا السوق، على يمين السالك، الجامع الأقمر، وكان موضعه قديماً سوق القماحين، وقبالة درب الخضريري. وبجانب الجامع الأقمر من شرقيه الزقاق الذي يُعرف بالخبازين، ويتسلّك فيه إلى الزنك المخلّق وغيره، وقبالة هذا الزقاق برّ الدلاء.
- ثم يتسلّك المارّ أمامه فيجد على يمينه زقاقاً ضيقاً ينتهي إلى دور ومدرسة تُعرف بالشرابية يتوصّل من باب سيرها إلى الدرب الأصغر تجاه خانقاه بيبرس.

= فالأشرف إبنال تولى السلطنة سنة ٨٥٩هـ.

شارع المعز لدين الله قسمين: امتداد الشارع على اليسار المؤدي إلى باب الفتوح، وشارع التبعكشية المؤدي إلى شارع الجمالية وباب النصر على اليمين.

^١ يحدّد انقسام الشارعين الآن السبيل الذي أنشأه عبد الرحمن كتحداً سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، والمسجل بالآثار تحت رقم ٢١، والواقع تجاه قصر بشتاك والذي ينقسم عنده

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فِي سَوَاقِ الْمُتَعَشِّينَ ، فيجد على يَمَـشْرِتهِ بَابَ حَازَةِ بَرْجَوَانٍ . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سَوَاقِ الْمُتَعَشِّينَ - وقد أدركته شوقاً عظيماً لا يكاد يُقدِّمُ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَغَيْرِهَا . بحيث إذا طَلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ وَجَدَ ، وَقد خَرِبَ الْآنَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْبَسِيرُ . وَكانَ هَذَا السُّوقُ قَدِيمًا يُعْرَفُ بِسُوقِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَبِآخِرِهِ خَانَ الرُّؤَاسِينَ ، وَهُوَ رُقَاقٌ عَلَى يَمْنَةِ السَّالِكِ غَيْرِ نَافِذٍ . وَتَقَابِلُ هَذَا الرُّقَاقِ - عَلَى يَمْشَرَةِ السَّالِكِ إِلَى بَابِ الْفُتُوحِ - شَارِعٌ يُسْلُكُ فِيهِ إِلَى سُوقٍ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَكانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يُعْرَفُ بِسُوقِ الْخُرُوقِيِّينَ ، وَيُسْلُكُ مِنْ هَذَا السُّوقِ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ فِي شَارِعٍ مَعْمُورٍ بِالْحَوَانِيتِ مِنْ جَانِبِيهِ ، وَيَعْلُوها الرِّبَاعُ ، وَفِيما بَيْنَ الْحَوَانِيتِ دُرُوبٌ ذَاتُ مَسَاكِينٍ كَثِيرَةٍ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ مِنْ رَأْسِ سُوقَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، فيجد على يَمِينِهِ الْجَمَلُونَ الصَّغِيرَ الْمَعْرُوفَ بِجَمَلُونَ ابْنِ صَيْرَمَ ، وَكانَ مَسْكَنًا لِلبَرَّازِينَ فِيهِ عِدَّةٌ حَوَانِيتٍ عَامِرَةٌ بِأَصْنَافِ الثِّيابِ أَذْرَكَهَا عَامِرَةٌ ، وَفِيهِ مَدْرَسَةٌ ابْنِ صَيْرَمَ الْمَعْرُوفَةُ بِالْمَدْرَسَةِ الصَّيْرَمِيَّةِ ، وَفِي آخِرِهِ بَابُ زِيَادَةِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ، وَكانَ عَلَى بَابِهَا عِدَّةٌ حَوَانِيتٍ تُعْمَلُ فِيهَا الطَّبْعُ النَّصَبُ / بِرَسْمِ الْأَبْوَابِ .

وَيُخْرَجُ مِنْ هَذَا الْجَمَلُونَ إِلَى طَرِيقَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُسْلُكُ فِيهَا إِلَى دَرْبِ الْفَرَنْجِيَّةِ وَإِلَى دَارِ الْوَكَاةِ وَشَارِعِ بَابِ النُّصَرِ ، وَالْأُخْرَى إِلَى دَرْبِ الرُّشَيْدِيِّ النَّافِذِ إِلَى رَأْسِ ^(a) الْجَوَانِيَةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمْنَتِهِ شَبَّكَ الْمَدْرَسَةِ الصَّيْرَمِيَّةِ ، وَتَقَابِلُهُ بَابُ قَيْسَارِيَّةِ خُوند أَرْدَكِينَ الْأَشْرَفِيَّةِ . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سَوَاقِ الْمُرَحِّلِينَ ، وَكانَ صَفِينٌ مِنْ حَوَانِيتِ عَامِرَةٍ فِيهَا جَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي تَرْحِيلِ الْجِمَالِ ، وَقد خَرِبَ وَبَقِيَ مِنْهُ قَلِيلٌ . وَفِي هَذَا السُّوقِ عَلَى يَمْشَرَةِ السَّالِكِ رُقَاقٌ يُعْرَفُ بِخَانِ ^(b) الْوَرَاةِ وَفِيهِ أَخَذَ أَبْوَابَ قَيْسَارِيَّةِ خُوند الْمَذْكُورَةِ وَعِدَّةٌ مَسَاكِينِ ، وَكانَ مَكَانَهُ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِاسْطَبْلِ الْحُجْرِيَّةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمْنَتِهِ أَخَذَ أَبْوَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ وَمِصْطَافَتَهُ ، وَيجد بَابَ الْفُتُوحِ الْقَدِيمِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى عَقْدِهِ وَشَيْءٍ مِنْ عِضَادَتِهِ ، وَبِحَوَارِهِ شَارِعٌ عَلَى يَمْشَرَةِ السَّالِكِ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى حَازَةِ بَهَاءِ الدِّينِ وَبَابِ الْقَنْطَرَةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سَوَاقِ الْمُتَعَشِّينَ ، فيجد على يَمِينِهِ بَابًا آخَرَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عَنْ يَمْشَرَتِهِ رُقَاقًا بِشَابَاطٍ يَنْفِذُ إِلَى حَازَةِ بَهَاءِ الدِّينِ ، فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير ، ويجد عن يساره فُتْدُقُ العادِل ،
ويشُقُّ في سَوْبِ عَظِيمٍ إلى باب الفُتُوح ، وهو آخِرُ قَصَبَةِ القَاهِرَةِ .

[الشارع المسلوك فيه إلى باب القصر]

وأما ذات اليمين من شارع بين القَصْرَيْنِ ، فَإِنَّ المارَّ إِذَا سَلَكَ مِنَ الدَّرْبِ الَّذِي يُقَابِلُ حِمَامَ
البَيْسَرِيِّ طَالِبًا الرُّكْنَ المُخَلَّقَ ، فَإِنَّهُ يَشُقُّ فِي سَوْبِ القَقَاصِينِ^(a) وسوق الحُضْرَيْنِ إلى الرُّكْنَ
المُخَلَّقِ ، وَيُنَاجِ فِيهَ الآنَ الثَّمَالُ ، وَهوَ حَوْضٌ فِي ظَهْرِ الجَامِعِ الْأَقْمَرِ لَشَرْبِ الدُّوَابِ تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ
حَوْضَ النَّبِيِّ ، وَيُقَابِلُهُ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَرَاجِعِ مُوسَى^١ .

ويتهي هذا السَّوْقُ إلى طَرِيقَيْنِ : أَحَدُهُمَا إِلَى بَرِّ العِظَامِ الَّتِي تُسَمِّيهِا الْعَامَّةُ بِرِّ العَظْمَةِ ، وَمِنْهَا
يُنْقَلُ المَاءُ إِلَى الجَامِعِ الْأَقْمَرِ والحَوْضِ المذكورِ بِالرُّكْنِ المُخَلَّقِ ، وَيُسْلِكُ مِنْهُ إِلَى المَحَايِرَيْنِ . وَالطَّرِيقُ
الْأُخْرَى تَنْتَهِي إِلَى الفُتْدُقِ المعروف بِقَيْسَارِيَةِ الجُلُودِ ، وَيَعْلُوها رَنْجُ أَنْشَأَتْ ذَلِكَ حُؤُنْدٌ بَرَكَةُ أُمِّ
الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانِ بْنِ حُسَيْنٍ . وَبِجَوَارِ هَذِهِ الْقَيْسَارِيَةِ بَوَاقِي عَظِيمَةٍ قَدْ سُوِّرَتْ بِخَوَانِيَتٍ
يَتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى سَاحَةِ عَظِيمَةٍ هِيَ مِنْ حُقُوقِ المُنْتَحَرِ ، كَانَتْ حُؤُنْدُ الْمَذْكُورَةِ قَدْ شَرَعَتْ فِي
عِمَارَتِهَا قَصْرًا لَهَا فَعَامَّتْ دُونَ إِكْمَالِهِ .

١٥ ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد الرِّبَاعَ الَّتِي تَعْلُو الحَوَانِيَتِ ، وَالْقَيْسَارِيَةَ الْمُسْتَجِدَّةَ فِي مَكَانِ بَابِ القَصْرِ
الَّذِي كَانَ يَنْتَهِي إِلَى مَدْرَسَةِ سَابِقِ الدِّينِ وَيَسَرُّ القَصْرَيْنِ ، وَكَانَ أَحَدُ أَبْوَابِ القَصْرِ ، وَيُعْرَفُ
بِبَابِ الرِّيحِ . وَهَذِهِ الرِّبَاعُ وَالْقَيْسَارِيَةُ مِنْ جَمَلَةِ إِنْشَاءِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَشْتَاذِ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ
حَوَانِيَتٌ وَرِبَاعًا ، فَهَدَمَهَا وَأَنْشَأَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عَلَى يَمِينِهِ^(b) مَدْرَسَةَ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ مَوْضِعُهَا خَائِنًا
وظَاهِرُهُ حَوَانِيَتٌ ، فَتَبَيَّنَ مَكَانُهَا مَدْرَسَةً وَحَوْضًا لِلسَّبِيلِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَيُقَالُ لِهَذِهِ الْأَمَاكِنِ
«الرَّحْبَةُ بِابِ الْعِيدِ» ، وَيُسْلِكُ مِنْهَا إِلَى طَرِيقَيْنِ : أَحَدُهُمَا ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَالْأُخْرَى ذَاتَ
الْيَسَارِ .

(a) بولاق : القصاصين . (b) بولاق : عن يمينه .

^١ ويعرف أيضًا بمسجد موسى (فيما يلي ٣٤٥) .

فأما ذات اليمين فإنها تنتهي إلى المدرسة الحجازية^(a) وقصر الحجازية^(b) وإلى دُرب قراضيا وإلى
 حُبس الرُحبة ، وإلى دُرب السُّلامي ، المسلوك منه إلى باب العيد الذي تسميه العائمة بالقاهرة ، وإلى
 المارِستان العتيق ، وإلى قُصر الشُّوك ودار الصُّوب ، وإلى باب سِرِّ المدارس الصَّالحية ، وإلى جِزاة البُود .
 ويُشَلِّك من رأس دُرب السُّلامي هذا ، في رُحبة باب العيد ، إلى السُّفينة^(b) وخطَّ جِزاة البُود
 ورُحبة الأيْدْمُري والمُشهد الحُسَيني ودُرب مُلُوخيا والجامع الأزهر والحارة الصَّالحية والحازة
 البرُقيّة ، إلى باب البرُقيّة والباب الجديد والباب المحروق .

وأما ذات اليسار من رُحبة باب العيد ، فإنَّ المارِ يُشَلِّك من باب مَدْرسة الأمير جمال الدِّين إلى
 باب زاوية الحُدَّام ، إلى باب الخائِفاء المعروفة بدار سَعيد السُّقَّاء ، فيجد عن يمينه رُقاقا بجوار سُور
 دار الوِزارة يُشَلِّك فيه إلى خُرَّاب تَر ، وإلى خُطَّ الفُهادين ، وإلى دُرب مُلُوخيا وغير ذلك .
 ثم يُشَلِّك أمامه فيجد عن يمينه المَدْرسة القَراسُتُريّة والخائِفاء الرُكُنِيّة بِيَرَس ، وهما من جملة
 دار الوِزارة وما جاور الخائِفاء إلى باب الجُوانِيّة ؛ وتجاه خائِفاء بِيَرَس الدُّرب الأصْفَر ، وهو المُحَر
 الذي كانت الخُلُفاء تُنَحَّر فيه الأُصاحي .

ثم يُشَلِّك أمامه فيجد على يَمِينِهِ دَارَ الأمير ابن^(c) قُزَّمان بجوار خائِفاء بِيَرَس ، وبجوارهما دار
 الأمير شُعَس الدِّين شُتُقَر الأعْمَر الوَزيز ، وقد عُرِفَت الآن بدار حُوثِد طُولُوباي زوجة السُّلْطان
 الملك النَّاصِر حُصَن بن مُحَمَّد بن قَلاوون ، وبجوارهما حُصَّام الأمير الأعْمَر المذكور ، وجميع
 هذا من دار الوِزارة . ويجد على يَسْرَتِهِ دُرب الرُّشيدِي تجاه حُصَّام الأعْمَر المسلوك فيه إلى دُرب
 القَرَنجِيّة ويَحْمَلون ابن صَيَرَم .

ثم يُشَلِّك أمامه فيجد على يمينه الشَّارِع المسلوك فيه إلى الجُوانِيّة ، وإلى خُطَّ الفُهادين ، وإلى
 دُرب مُلُوخيا وإلى العُطُوفِيّة ، وقد خَرِبَت هذه الأماكن . ويجد على يَسْرَتِهِ الوَكالة المُستجْدَة من
 إنْشاء الملك الظَّاهِر بَرْقُوق .

ثم يُشَلِّك أمامه فيجد على يَسْرَتِهِ رُقاقا ، يُشَلِّك فيه إلى يَحْمَلون ابن صَيَرَم وإلى دُرب
 القَرَنجِيّة . ثم يُشَلِّك / أمامه فيجد على يَمِينِهِ دار الأمير شِهَاب الدِّين أَحْمَد ابن خالَةِ الملك النَّاصِر
 مُحَمَّد بن قَلاوون ، ودار الأمير عَلم الدِّين سِنْجَر الجاُولِي - وهما من حَقُوق الحُجَر التي كانت
 بها تَمَالِيك الخُلُفاء وأَجنادهم - ويجد على يَسْرَتِهِ وَكالة الأمير قَوْصُون .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : السفينة ، وفي مسودة المواعظ والنسخ للنقولة عن خط المؤلف السفينة ، وانظر
 فيما يلي ٣٤٥ . (c) ساقطة من بولاق .

ثم يَسْأَلُكَ من باب الْوَكَاةِ ، فيجد مُقَابِلَ باب قَاعَةِ الْجَاوِلِيِّ خان الْجَاوِلِيِّ وبعدها باب النَّصْرِ الْقَدِيمِ ، وَأَذْرَكْتُ مِنْهُ^(٨) قَطْعَةً كانت تجاه رُكْنِ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ الْغَرِبِيِّ وقد زال .

- وَيَسْأَلُكَ مِنْهُ إِلَى رَحْبَةِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ، فيجد على يَمَنَّتِهِ الْمَدْرَسَةُ الْقَاصِدِيَّةُ ، وعلى يَسْرَتِهِ بابِي الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ، وتجاه أَحَدِهِمَا الشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ فِيهِ إِلَى حَازَةِ الْعِيدَانِيَّةِ وَحَازَةِ الْعُطُوفِيَّةِ وغير ذلك . ومن باب الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ينتهي إلى باب النَّصْرِ فيما بين حَوَانِيتِ وَرِبَاعِ وَدُورٍ^١ .

- فهذه صِفَةُ الْقَاهِرَةِ الْآنَ ، وَاسْتَقِفْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كَيْفِيَّةِ ابْتِدَاءِ وَضْعِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَذِكْرُ التَّعْرِيفِ بِمَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ أَوْ عُرِفَتْ بِهِ ، عَلَى مَا التَّقَطُّطُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَمَجَامِعِ الْفَضْلَاءِ ، وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ بِخُطُوطِ الثَّقَاتِ ، وَأَخْبِرْنِي بِذَلِكَ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنَ الْمَشَيْخَةِ ، وَمَا شَاهَدْتَهُ مِنْ ذَلِكَ ، سَالِكًا فِيهِ سَبِيلَ التَّوَسُّطِ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ الْإِكْثَارِ وَالْإِخْتِصَارِ .
وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

(٨) بولاق : فيه .

^١ المتريزي : مسودة كتاب المواظ والاعتبار ٣٣٥-٣٤٨ ، وإلى هنا انتهى ما ترجمه فيت وريمون والذي بدأ فيما تقدم

ذكر سور القاهرة

اعلم أن القاهرة منذ أُنست عجل شؤها ثلاث مَرَات: الأولى وَصَّه القائد جَوْهَر، والمرَّة الثانية وَصَّه أمير الجيوش بَنُو الجمالي في أَيَّام الخليفة المُستنصر، والمرَّة الثالثة بناه الأمير الحَصِيّ بهاء الدِّين قَرَقُوش الأَسدي في سُلْطَنَةِ الملك النَّاصر صلاح الدِّين يَوْسف بن أَيُّوب أَوَّل مُلُوك القاهرة.

السُّورُ الْأَوَّل

كان من لَبِن وَصَّه جَوْهَرُ القائد على مُناخه الذي نَزَلَ به هو وَعساكره حيث القاهرة الآن، فأداره على القصر والجامع^١. وذلك أَنَّهُ لما سَارَ من الجيْرة، بعد زَوَالِ الشَّمْسِ من يوم الثلاثاء لَسَبْعِ عشرة خَلَّتْ من شَعْبَانِ سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة بِعساكره، وَقَصَدَ إلى مُناخه الذي رَسَمَهُ له مولاة الإمام الميْزُ لدين الله أَبُو تَيمٍ مَقَدَّ، واستقرت به الدارُ، اختطَّ القصر، وأصبح المصريون يهتفون فَوْجَدُوهُ قد حَفَرَ الأساسَ في اللَّيْلِ، فأدارَ السُّورَ اللَّيْن، وسَمَّاهَا «الْمُصَوِّرِيَّة»^٢، إلى أن قَدِمَ الميْزُ لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ونَزَلَ بها فَسَمَّاهَا «القاهرة».

وَيُقَالُ في سَبَبِ تسميتها: إِنَّ القائدَ جَوْهَرًا لما أَرَادَ بِناءَهَا أَحضرَ الْمُتَجَمِّينَ وعَرَّفَهُم أَنَّهُ يُريدُ عِمَارَةَ بِلَدٍ ظاهِرَ مصرَ لَتَقِيمَ بها الجُنْدُ، وَأَمَرَهُم بِاخْتِيارِ طالِبٍ سَعِيدٍ لَوْضَعِ الأساسَ بحيث لا يَخْرُجَ البِلَدُ عن نَسْلِهِمْ أَبَدًا. فَاخْتارُوا طالِبًا لَوْضَعِ الأساسَ وطالِبًا لِحَقَرِ السُّورِ، وَجَعَلُوا بِدَائِرِ السُّورِ قَوَائِمَ خَشَبٍ بَيْنَ كُلِّ قَائِمَتَيْنِ حَبْلٌ فِيهِ أَجْرَاسٌ، وَقَالُوا لِلْعُمَمَالِ: «إِذَا تَحَوَّكَتِ الْأَجْرَاسُ فَارْزَمُوا ما بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الطِّينِ والحِجَارَةِ». فَوَقَّفُوا يَنْتَظِرُونَ الوَقْتَ الصَّالِحَ لذلك، فَاتَّفَقَ أَنَّ غُرَابًا وَقَعَ على حَبْلِ مِنْ تِلْكَ الحَبَالِ التي فِيهَا الْأَجْرَاسُ فَتَحَوَّكَتْ كُلُّهَا، فَظَنُّوا الْعُمَمَالُ أَنَّ الْمُتَجَمِّينَ قد حَرَّكُوها، فَأَلْقَوْا ما بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الطِّينِ والحِجَارَةِ وَبَنَوْا، فَصَاحَ الْمُتَجَمِّمُونَ: «القاهرُ فِي الطَّالِبِ»، فَمَضَى ذَلِكَ وَقَاتَهُمْ ما قَصَدُوهُ. وَيُقَالُ إِنَّ المُرَيَّخَ كانَ فِي الطَّالِبِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ وَضْعِ الأساسِ -

^١ عن سور القاهرة الأول الذي بناه جَوْهَرُ انظر Fu'ad Sayyid, A., op. cit. pp. 147-62.
بالله والد الميْزُ لدين الله بالقرب من مدينة القيروان. (راجع
^٢ أطلق جوهر على المدينة اسم «الْمُصَوِّرِيَّة» تيمُّنًا باسم
Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp. 103-106.

وهو قاهر الفلك - فسقوها «القاهرة»، واقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر^١.

وأدخل في دائر هذا الشور بحر العظام، وجعل القاهرة حارات للواصلين صحتته وصحة مؤلاه الميز، وعمر القصر بترتيب ألقاه إليه الميز.

ويقال: إن الميز لما رأى القاهرة لم يغيجه مكانها، وقال لجوهر: «لما فالتك عمارة القاهرة بالشاحل، كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل»، يعني سطح الجرف الذي يُعرف اليوم بالروصد المشرف على جامع رashedة^٢.

ورُتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم الأعين في الثقلة من مكان إلى مكان، وجعل في ساحاته البحر والميدان واليهستان، وتقدم بعمارته المصلى بظاهر القاهرة.

وقد أذكرت من هذا الشور اللبن قطعاً، وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرج بطوط، هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمان مائة، فشاهدت من كبير لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى إن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع. وعرض جدار الشور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان، وكان بعيداً عن الشور الحجر الموجود الآن، وبينهما نحو الخمسين ذراعاً. وما أحسب أنه بقي الآن من هذا الشور اللبن شيء ألبنة.

وجوهر هذا تملوك رومي^٣ زناه الميز لدين الله أبو تميم معد وكناه بأبي الحسن، وعظم محلّه

(a) في تعاط الحنفا: تحت حكم الأتراك.

^٣ جوهري الصقلي الكاتب أكبر قائد عسكري عرفه الفاطميون، وهو الذي استطاع أن يحقق أعلى أمان في الفاطميين: فتح مصر. وجاء نسب جوهري في أغلب المصادر «الصقلي» ورسم هذه الكلمة بتماثل مع كلمة «صقلي» بزيادة نقطة الباء؛ وبما أننا لا نملك معلومات كافية عن انتشار العنصر الصقلي في بلاد الفاطميين، ولما نعلم أن عبيد الفاطميين في الدور الإفريقي كانوا من الصقالية فإن نسبة جوهري يجب أن تكون الصقلي وليس الصقلي وكما كتبها المقرئ في خطه في نسخة المقي (نسخة ليدن رقم Or. 14533)، وقد أوضح Ivan Herbek ذلك بتحجج قوية في مقاله «Die Slaven im Dienst des Fatimiden», Archiv Orientali XXI

^١ حول تسمية القاهرة الظر، ابن دقماق: الانتصار ٤٣٥:٥ المقرئ: تعاط ١: ١١٢؛ أبا الحسن: النجوم ٤١: ٤٢؛ السوطي: حسن ١: ٢٥١-٢٦٦ Kunitzsch, P. «Zur Namengebung Kairos (al-Qāhira-Mars?)», Der Islam (1975), pp. 205-25; Fu'ād Sayyid, A., op. cit., pp. 163-64 وانظر رواية المسعودي حول بناء الإسكندرية فيما تقدم ٤٠٤: ٤٠٥.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة ٢٠: ابن دقماق: الانتصار ١٣٦: ٥ القلقشندي: صحيح ٣: ٣٥١، ١٣٦٧ المقرئ: تعاط ١: ١١٢-١١٣ ابن إياس: بدائع ١/١: ١١٨٨ وفيما تقدم ١: ١٢٨.

عنده في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة، وصار في رُتبة الوزارة، فصَيَّرَه قائِدَ جيوشه. وَبَعَثَهُ فِي صَفَرٍ مِنْهَا وَمَعَهُ عَسَاكِرُ كَثِيرَةٌ فِيهِمُ الْأَمِيرُ زَيْدِي بْنُ مُنَادٍ الصَّنَهَاجِي وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَكَابِرِ، فَسَارَ إِلَى تَاهَوْتِ وَأَوْقَعَ بَعْدَهُ أَقْوَامَ وَافْتَتَحَ مُدُنًا، وَسَارَ إِلَى فَاسَ فَنَازِلَهَا مُدَّةً وَلَمْ يَنْلِ مِنْهَا شَيْقًا، فَوَحَلَ عَنْهَا إِلَى سِجِلْمَاسَةَ وَحَارَبَ ثَائِرًا فَأَسْرَهُ بِهَا.

• وانتهى في مَسِيرِهِ إِلَى / الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، وَاضْطَادَ مِنْهُ حَوْتًا^٩، وَبَعَثَهُ فِي قُلَّةٍ مَاءٍ إِلَى مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى مَا مَرَّ بِهِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْأَنْثَمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى فَاسَ فَأَلْعَ عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا عَثْوَةً، وَأَسَرَّ صَاحِبَهَا^{١٠} وَحَمَلَهُ هُوَ وَالثَّائِرُ بِسِجِلْمَاسَةَ فِي قَفْصَيْنِ مَعَ هَدِيَّةٍ إِلَى الْمُعِزِّ، وَعَادَ فِي أَخْرِيَاتِ الشَّنَةِ وَقَدْ عَظُمَ شَأْنُهُ وَبَعُدَ صَبِيئُهُ.

ثم لما قَوِيَ عَزْمُ الْمُعِزِّ عَلَى تَسْمِيرِ الْجِيُوشِ لِأَخْذِ مِصْرَ وَتَهْيِئِ أَمْرِهَا، فَقَدَّمَ عَلَيْهَا الْقَائِدَ جَوْهَرَ، وَبَرَزَ إِلَى رَقَادَةَ^{١١} وَمَعَهُ مَا يَنِيفُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ فَارَسٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ صَنْدُوقٍ مِنَ الْمَالِ، وَكَانَ الْمُعِزُّ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَخْلُو بِهِ، وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي بَيُوتِ أَمْوَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهَا مَا يُرِيدُ زِيَادَةً عَلَى مَا حَمَلَهُ مَعَهُ.

وَخَرَجَ إِلَيْهِ يَوْمًا فَقَامَ جَوْهَرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْجَيْشُ، فَالْتَفَتَ الْمُعِزُّ إِلَى الْمَشَايِخِ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ مَعَ جَوْهَرَ وَقَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ خَرَجَ جَوْهَرٌ هَذَا وَخَذَهُ لَفَتَحَ مِصْرَ، وَلَتَدَخَلَ إِلَى مِصْرَ بِالْأَرْدِيَةِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ، وَلَتَبَيَّرَكَ^{١٢}» فِي خَرَابَاتِ ابْنِ طُولُونَ، وَتُبْنَى مَدِينَةُ تُسَمَّى الْقَاهِرَةَ تَقْهَرُ الدُّنْيَا^{١٣}.

(a) بولاق: سَمَكًا. (b) بولاق: رَمَادَةٌ. (c) بولاق: وَلْتَنْزِلَنَّ.

^٩ ابن أبيك: كثر الدور ٦: ١٣٩؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٤٥؛ المقرئ: اتماط ١: ١١٤؛ والملقى الكبير ٣: ٨٧، وانظر عن حملة جوهر واستيلاء الفاطميين على السلطة في مصر مقال تيارى ميانكي الهام: Bianquis, Th., «La prise de pouvoir par les Fatimides en Egypte» *An. Isl.* XI (1972), pp. 49-108؛ ومقال يعقوب ليف: Lev, Y., «The Fatimid Conquest of Egypt. Military, Political and Social Aspects», *Isr. Or.* St. IX (1979), pp. 315-28؛ أمين فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ١٣٧-١٥٢.

(1953), pp. 543-81; Quichard, P. & Mohamed = Meouak, *El' art. al-Sakāliba* VIII 909 وترجم لجوهر ابن خلكان: وفیات الأعيان ١: ٣٧٥-٣٨٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١١: ٢٢٤-٢٢٦؛ ولكن أهم وأشمل ترجمة له هي ترجمة للمقرئ في الملحق الكبير ٣: ٨٣-١١١؛ وانظر مقال حسين مؤنس: Monés, H., *El' art. Djawhar al-Sikilī* II, pp. 507-508.

^{١٠} هو محمد بن الفتح بن واسول الثائر، انظر حول أمره Dachraoui, F., «La captivité d'Ibn Wāsil, le rebelle de Sidjilmase, d'après le Cadi al-Nu'mān», *CT4* (1956), pp. 295-99.

وَأَمَرَ الْمُعِزُّ بِإِفْرَاقِ الذَّهَبِ فِي هَيْعَةِ الْأُوجِيَّةِ ، وَحَمَلَهَا مَعَ جَوْهَرٍ عَلَى الْجَمَالِ ظَاهِرَةً ، وَأَمَرَ أَوْلَادَهُ
وِلَاخَوْتَهُ الْأُمَرَاءَ وَوَلِيَّ الْعَهْدِ وَسَائِرَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَمِشُوا فِي خِدْمَتِهِ وَهُوَ رَاكِبٌ ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ
عُمَّالِهِ بِأَمْرِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ جَوْهَرٌ أَنْ يَتَرَجَّلُوا مُشَاءً فِي خِدْمَتِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ بَرْقَةُ افْتَدَى صَاحِبُهَا مِنْ
تَرْجَلِهِ وَمَتَّيْهِ فِي رِكَابِهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا ، فَأَتَى جَوْهَرَ إِلَّا أَنْ يَمِشِيَ فِي رِكَابِهِ وَرَدَّ الْمَالَ ،
فَمِشَى .

وَلَمَّا رَحَلَ مِنَ الْقَهْرَوَانَ إِلَى مِصْرَ ، فِي يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعِ عَشَرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ
وِثَلَاثَ مِائَةٍ ، أَتَشَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي ذَلِكَ ^١ :

[الطويل]

- | | | |
|----|---|---|
| ١٠ | وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمَ مِنَ الْحَشْرِ أَرْوَعُ
فَعَادَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطَلَّعُ
وَلَمْ أَذِرْ إِذْ سَبَّغْتَ كَيْفَ أَشْبَعُ
غِرَارَ الْكَرَى جَفَنُ وَلَا بَاتَ يَهْجَعُ
وَأَنْ سَارَ عَنْ أَرْضِ عَدَتِ وَهِيَ تَلْقَعُ
وَجَمَّ الْعَطَايَا وَالرَّوَاقِ الْمَرْفَعُ
وَضَلَّ السَّلَاحُ الْمُتَنَضِّىَ يَتَقَفَّقِعُ
وَزَفَّ كَمَا زَفَّ ^(أ) الصَّبَاغِ الْمَلْمَعُ
بِأَنْجِينِ فَالِي بِالَّذِي أَنْتَ مُجْبِعُ
فَقَدْ جَاءَهُمْ يَلِيلُ سَوَى النَّيْلِ يُهْرَعُ
فَتَسَلَّبَتْهُمْ لَكُنْ يَرِيدُ فَيُوسِعُ | رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَشْتَعُ
عَدَاةً كَأَنَّ الْأَنْقَى شُدَّ بِمِثْلِهِ
فَلَمْ أَذِرْ إِذْ وَدَعْتُ كَيْفَ أَوْدَعُ
أَلَا إِنَّ هَذَا حَشْدٌ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَهُ
إِذَا حُلَّ فِي أَرْضِ بَنَاتِهَا عَدَايَتَنَا
تَحِلُّ بُيُوتُ الْمَالِ حَيْثُ مَحَلُّهُ
وَكَبِّرَتْ الْفُرْسَانُ لَهُ إِذْ بَدَا
وَعَبَّ غُبَابُ الْمَوْكَبِ الْقَحْمُ حَوْلَهُ
رَحَلْتُ إِلَى الْفُشْطَاطِ أَوَّلُ ^(ب) رِحْلَةٍ
فَإِنْ يَكُ فِي مِصْرَ ظِلْمَاءُ لَمُورِدِ
وَيَمْتَحِمُ مَنْ لَا يَغَارُ بِنَعْمَةٍ |
| ٢٠ | وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى مِصْرَ وَاخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ ، وَكَتَبَ بِالْبَشَارَةِ إِلَى الْمُعِزِّ ، قَالَ ابْنُ هَانِيٍّ ^٢ : | |

[الطويل]

- | | |
|--|--|
| يَقُولُ ^(ج) بَنُو الْعَبَّاسِ هَلْ ^(د) فُتِحَتْ مِصْرُ | فَقُلْ لِبَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ |
| وَقَدْ جَاوَزَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ جَوْهَرَ | تُصَاحِبُهُ الْبِشْرَى وَيَقْدُمُهُ النَّصْرُ |

(أ) بولاق : زَفَّ . (ب) الديوان : أَيْنَ . (ج) بولاق : تَقُولُ . (د) بولاق : قَدْ .

^٢ من قصيدة لابن هاني ، انظر الديوان ١٣٦-١٤٣ .

^١ من قصيدة لابن هاني الأندلسي ، انظر : ديوان محمد
ابن هاني الأندلسي ٢٠٢-٢٠٩ .

ولم يَزَلْ مُعْظَمًا مُطَاعًا، وله حُكْمٌ عَلَى مَا فَتَحَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ حَتَّى وَرَدَ الْمُعِزُّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْقَاهِرَةِ.

وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أَجَلًا مِنْ جَوْهَرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ سَيَّرَهُ جَوْهَرًا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فِي الْعَسَاكِرِ، فَأَخَذَ الرِّهْلَةَ وَعَلَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طُلُجٍ، وَسَارَ فَمَلَكَ طَبَرِيَّةَ وَدِمَشْقَ^١. فَلَمَّا صَارَتْ الشَّامُ لَهُ، سَمَحَتْ نَفْسُهُ عَنْ مُكَاتَبَةِ جَوْهَرٍ، فَأَنْفَذَ كُتْبَهُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْمُعِزِّ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ سِرًّا مِنْ جَوْهَرٍ، يَذْكُرُ فِيهَا طَاعَتَهُ وَيَقَعُ فِي جَوْهَرٍ، وَيَصِفُ مَا فَتَحَ اللَّهُ لِلْمُعِزِّ عَلَى يَدِهِ، فَغَضِبَ الْمُعِزُّ لَذَلِكَ، وَرَدَّ كُتْبَهُ كَمَا هِيَ مَخْتومةٌ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

«قَدْ أَخْطَأْتُ الرَّأْيَ لِتَقْصِيكَ، نَحْنُ قَدْ أَنْفَذْنَاكَ مَعَ قَائِدِنَا جَوْهَرَ فَأَكْتَبَ

إِلَيْهِ، فَمَا وَصَلَ مِنْكَ إِلَيْنَا عَلَى يَدِهِ قَرَأْنَاهُ، وَلَا تَتَجَاوَزْهُ بَعْدَ، فَلَسْنَا نَفْعَلُ

لَكَ ذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُرِدْتَهُ وَإِنْ كُنْتَ أَهْلُهُ عِنْدَنَا، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَقْسِدُ

جَوْهَرًا مَعَ طَاعَتِهِ لَنَا».

فَرَادَ غَضَبُ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ، وَانْكَشَفَ ذَلِكَ لِمَجْوَهَرَ، فَلَمْ يَبْعَثْ ابْنُ فَلَاحٍ لِمَجْوَهَرَ بِسَالِهِ نَجْدَةً خَوْفًا أَلَّا يَنْجِدَهُ بِعَسَاكِرِهِ، وَأَقَامَ مَكَانَهُ لَا يُكَاتِبُ جَوْهَرًا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ^٢.

وَلَمَّا مَاتَ الْمُعِزُّ وَاسْتَحْلَفَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنَهُ الْقَزِيزُ، وَوَرَدَ إِلَى دِمَشْقَ أَفْتَكِينُ^٣ الشُّرَابِيُّ مِنْ بَغْدَادَ، نَذَبَ الْقَزِيزُ بِإِلَهِهِ جَوْهَرًا الْقَائِدَ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا بِخَزَائِنِ السِّلَاحِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ الْعَظِيمَةِ، فَتَزَلَّ عَلَى دِمَشْقَ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا وَهُوَ يُحَارِبُ أَهْلَهَا، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيِّ مِنَ الْأَحْصَاءِ إِلَى الشَّامِ، فَرَحَلَ جَوْهَرَ

(a) فِي آهَاصُوفِيَا وَبُولَاقَ: هَفْتَكِينُ، وَقَدْ قُطِّلَتْ إِثْبَاتُ الْأَسْمِ الْمُتَعَارِفِ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الْمَصَادِرِ وَهُوَ أَفْتَكِينُ.

«Fatimid Policy towards Damascus (358/1968-386/996) Military, Political and Social Aspects», dans *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* III (1981-82), pp. 165-83; Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, Damas 1986 I, pp. 44-64.

^٢ انظر فيما يلي ٩:٢-١٠.

^١ عن جعفر بن فلاح الكتامي وضع الشَّامَ راجع، ابن الأثير: الكامل ٥٩١:٨-٥٩٢ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٦١؛ النويري: نهاية الأرب ١٣٥:٢٨-١٣٩؛ المقرئ: انعاظ الحنفية ١٢٠: ١٢٢-١٢٩، المقفئ ٥٠: ٣-٥٨؛ درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشَّام في مرحلته الأولى، الإسكندرية ١٩٧٩؛ Lev, Y.,

في ثالث جمادى الأولى سنة ست وستين، فنزل على الرُّمْلَةِ والقَرَمَطِي في أثره فهلك، وقام من بعده جَعْفَرُ القَرَمَطِي فحاربَ جَوْهَرًا، واشتدَّ الأمرُ على جَوْهَرٍ وسارَ إلى عَشْقَلانَ، وحصره أَتْكِين بها حتى بَلَغَ من الجُهدِ مبلغًا عَظِيمًا، فصالح أَتْكِين وخرج من عَشْقَلانَ إلى مصر، بعد أن أَقامَ بها وبظاهر الرُّمْلَةِ نحوًا من سبعة عشر شهرًا، فَقَدِمَ على العزيز وهو يُريد الخروج إلى الشام.

فلما ظَفِرَ العزيزُ بِأَتْكِينِ واضطَنته في سنة ثمانين وثلاث مائة، واضطَنتَ مَنجوتَكِين التركي أيضًا، أَخْرَجَهُ رَاكِبًا من القصرِ وحده في سنة إحدى وثمانين، والقائد جَوْهَرُ وابن عَمَّارٍ ومن دونهما من أهل الدولة مشاةً في ركابه، وكانت يدُ جَوْهَرٍ في يد ابن عَمَّارٍ، فَرَفَزَ ابْنُ عَمَّارٍ زَفْرَةً كَادَ أَنْ يَنْشَقَّ لَهَا وقال: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَتَزَعَ جَوْهَرُ يَدَهُ مِنْهُ، وقال: قد كنت عندي يا أبا محمد أَثْبَتَ من هذا، فَظَهَرَ مِنْكَ إنْكَارٌ في هذا المقام. لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا عَسَى أَنْ يُسَلِّيكَ ١٠ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، والله ما وَقَفَ على هذا الحديث أَحَدٌ غَيْرِي:

لَمَّا خَرَجْتُ إلى مصر، وَأَتَفَذْتُ إلى مولانا المِيزَ مِنْ أَسْرَتِهِ، ثُمَّ حَصَلَ في يدي آخرون اغْتَقَلَتْهُمْ، وهم نِيفٌ على ثلاث مائة أسير من مَذْكُورِيهِمُ والمَعْرُوفِينَ فِيهِمُ، فلَمَّا وَرَدَ مولانا المِيزُ إلى مصر أَغْلَمَتْهُ بِهِمُ، فقال: أَعْرِضْهُمْ عَلَيَّ، وأذْكَرُ في كُلِّ وَاحِدٍ حاله؛ فَفَعَلْتُ - وكان في يده كِتَابٌ مُجَلَّدٌ يَقْرَأُ فِيهِ - فَجَعَلْتُ أَخُذُ الرَّجُلَ مِنْ يَدِ الصُّقَالِيَةِ وَأَقْدِمُهُ إِلَيْهِ وَأَقُولُ: ١٥ هَذَا فُلَانٌ. وَمِنْ حاله وحالِهِ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: يَجُوزُ. ويعود إلى قِرَاءَةِ ما في الكِتَابِ، حتى أَخْضَرْتُ لَهُ الجَمَاعَةَ، وكان آخِرُهُمْ غُلَامًا تَرْكِيًّا، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ وَتَأَمَّلَهُ، وَلَمَّا وَلَّى أَتْبَعَهُ بَصَرَهُ.

فلَمَّا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ قَبْلَكَ الْأَرْضِ وَقُلْتُ: «يا مولانا، رَأَيْتُكَ فَعَلْتُ لَمَّا رَأَيْتَ هَذَا التركي ما لَمْ تَفْعَلْهُ مَعَ مَنْ تَقْدُمُهُ»؛ فقال: يا جَوْهَرُ، يَكُونُ عِنْدَكَ مَكْتُومًا حَتَّى تَرَى أَنَّهُ يَكُونُ لِبَعْضِ وَلَدِنَا غُلَامٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ تَنَفَّقَ لَهُ فُتُوحَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ، وَيُوزَقُّهُ اللهُ عَلَى يَدِهِ ما لَمْ يُوزَقَّهُ أَحَدٌ مِنَّا مَعَ غَيْرِهِ. وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ ذَاكَ الَّذِي قَالَ لِي مَوْلَانَا المِيزُ، وَلَا عَلَيْنَا إِذَا فَتَحَ اللهُ لِمَوَالِينَا عَلَى أَيْدِينَا أَوْ عَلَى يَدٍ مِنْ كَانَ.

«يا أبا محمد لكلِّ زَمَانٍ دَوْلَةٌ وَرِجَالٌ، أَتُرِيدُ نَحْنُ أَنْ نَأْخُذَ دَوْلَتَنَا وَدَوْلَةَ ٢٥ غَيْرِنَا؟ لَقَدْ أَرَجَلُ لِي مَوْلَانَا المِيزُ، لَمَّا سَيَّرْتُ إِلَى مِصْرَ، أَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَسَائِرَ أَهْلِ دَوْلَتِهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَهَا أَنَا الْيَوْمَ أَمْشِي رَاجِلًا

بين يدي متجوتكين . أعزونا وأعزوا بنا غيرنا ، وبعد هذا فأقول : اللهم قَرِّبْ
أَجَلِي ومُدَّتِي ، فقد أَنْفَت على الثمانين أو أنا فيها .

فمات في تلك السنة ، وذلك أنه احتلَّ ، فَرَكَبَ إليه العزيز بالله عائِدًا ، وحتلَّ إليه قبل
رُكوبه خمسة آلاف دينار ومزبنة مثقل ، وبثَّ إليه الأمير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف
دينار .

وثوَّفِي يوم الاثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة ، فبثَّ إليه العزيزُ
بالحنوط والكفن ، وأرسل إليه الأمير منصور بن العزيز أيضًا الكفن ، وأرسلت إليه السيِّدة العزيزة
الكفن ، فكفَّن في سبعين ثوبًا ما بين مثقل ووَشِي مُذهَّب ، وصَلَّى عليه العزيز بالله ، وخلَع على
ابنه الحسين وحملَه وجعله في مَرَبَّة أبيه ، ولَقَّبه بـ«القائد ابن القائد» ، ومكَّنه من جميع ما خلفه
أبوه .

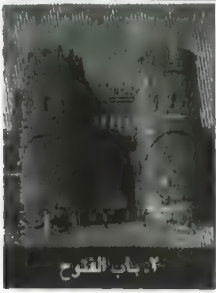
وكان جَوْهَر عاقِلًا ، مُحْسِنًا إلى النَّاس ، كاتِبًا بليغًا ؛ فمن مُسْتَحْسَن تَوْقيعاته على قِصَّة رُفِعت
إليه بمصر :

«سوء الاجترام أَوْقَعَ بكم حلولَ الانتقام ، وكُفِّر الإِنعام أَخْرَجَكُم من
حِفْظ الدِّمَام . فالواجِب فيكم تَرْك الإِيجاب ، واللَّازِم لَكُم مُلَازِمَة
الاختِساب ، لأنَّكُم بَدَأْتُم فَأَسَأْتُم ، وعُذَّتُم فَعَدَّتُم . فائِداؤُكُم مَلُوم ،
وعوْذُكُم مَذْمُوم ، وليس بينهما فُرْجَة إِلَّا تَقْتَضِي الذَّم لَكُم والإِغْرَاض
عنكُم ، ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رَأْيَهُ فيكُم .^١
ولمَّا ماتَ رَثَاءُ كَثِيرٍ من الشُّعْرَاء .

السُّورُ السَّابِعِي

بناه أمير الجيوش بَذَرُ الجَمَالِي في سنة ثمانين وأربع مائة ، وزاد فيه الزُّيادات التي فيما بين
بابي زَوِيلَة وباب زَوِيلَة الكبير ، وفيما بين باب القُتُوح الذي عند حَاوَة بهاء الدِّين وباب القُتُوح
الآن ، وزاد عند باب النُّصْر أيضًا جميع الرُّخْبَة التي تجاه جامع الحَاكِم الآن إلى باب النُّصْر ،

^١ أبو حيان التوحيدي : البصائر والدخائر ، تحقيق وداد
القاضي ، بيروت - دار صادر ١٩٨٨ ، ١ : ١٨٤ للمقريري :
مسودة المواظ ٤٦ وضلَّ الحير بقوله : «وقال أبو حيان
التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء» [وهو عنوان موجود
على بعض مخطوطات الكتاب] : كتب جواهر عبد الفاطمي
بمصر موقفاً في قِصَّة رفعها أهلها إليه ؛ واتماظ الحنفا ٢٧٢ : ١
وبدأه بقوله : ومن بديع توقيعات القائد جواهر ما حكاها أبو حيان
التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء» ؛ وفيما يلي ٢ : ٢٠٧ .



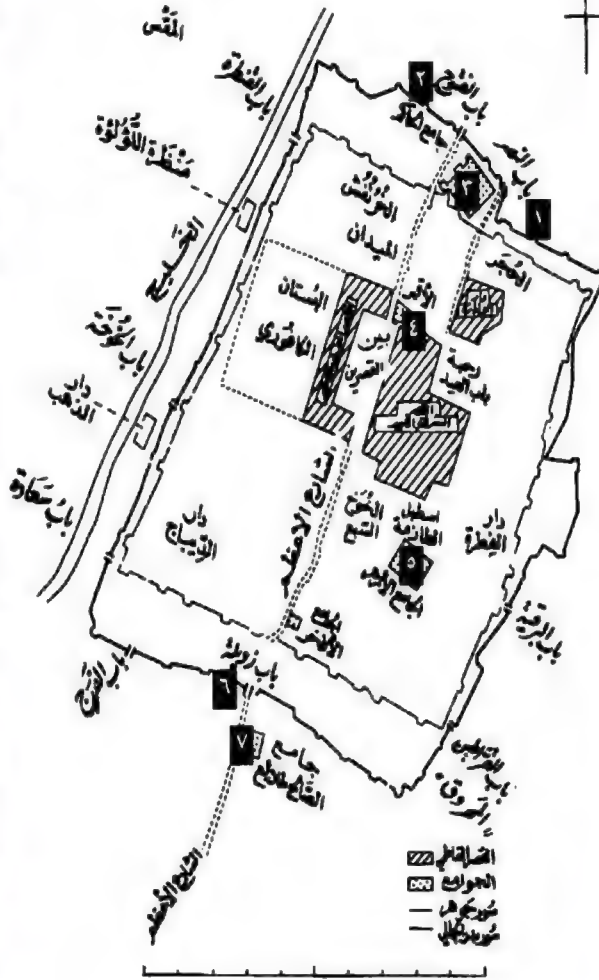
٤. باب الفتوح



٥. الجامع الأزهر



٦. باب زويلة



١. باب النصر



٢. جامع الحاكم



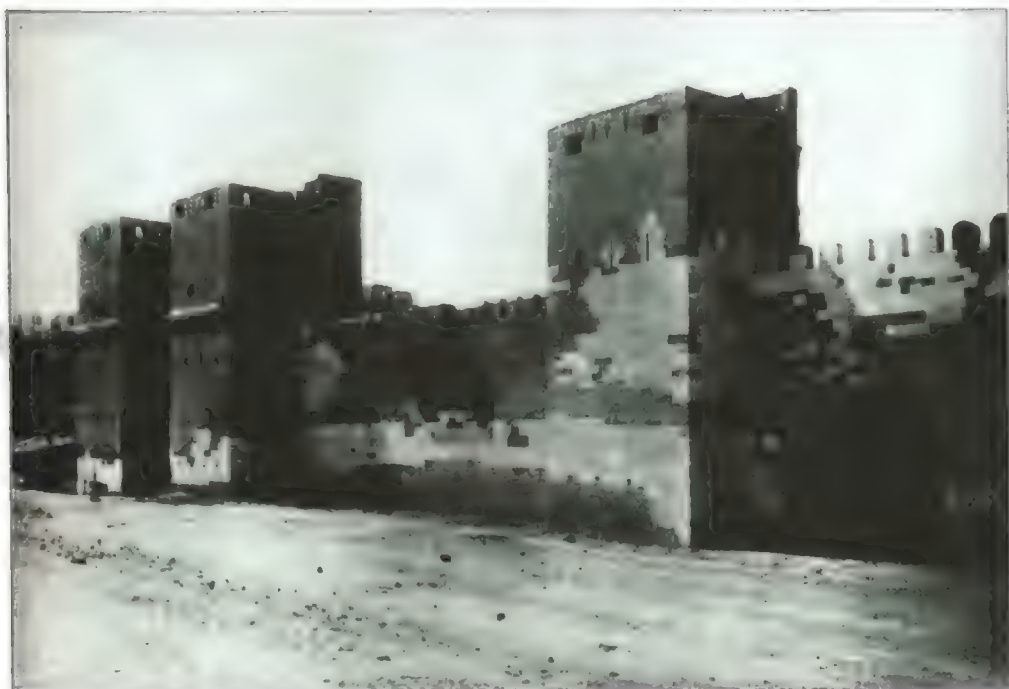
٥. جامع الأزهر



٧. جامع الصالح طلائع



جانب من سور القاهرة الشمالي الذي شَيِّدَهُ بَذْرُ الجمالي من جهة باب النصر



جانب من سور القاهرة الشمالي الذي شَيِّدَهُ بَذْرُ الجمالي من جهة باب النصر



جانب من سور القاهرة الشمالي الذي شَيَّده بُدْرُ الجمالي من جهة باب الفتوح



جانب من سور القاهرة الشمالي الذي شَيَّده بُدْرُ الجمالي من جهة باب الفتوح

وجعل الشور من لبن، وأقام الأبواب من حجارة^١.

وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمان مائة، ابتدئ بهدم الشور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب القرج، عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور لبني جامع، فوجد عرض الشور في أماكن^٢ نحو العشرة أذرع^٣.

الشور الثالث

ابتدأ في عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ست وستين وخمس مائة، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله^٤. فلما كانت سنة سبع وستين وقد استولى على المملكة، انتدب لقتل الشور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي، فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن. وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلة شورا واحدا، فزاد في سور القاهرة القطعة التي من باب القنطرة إلى باب الشريعة، ومن باب الشريعة إلى باب البخور.

وبنى قلعة المقس وهي تزج كبير، وجعله على الثيل بجانب جامع المقس، وانقطع الشور من هناك، وكان في أمليه تد الشور من المقس إلى أن يصل/ بسور مصر. وزاد في سور القاهرة قطعة

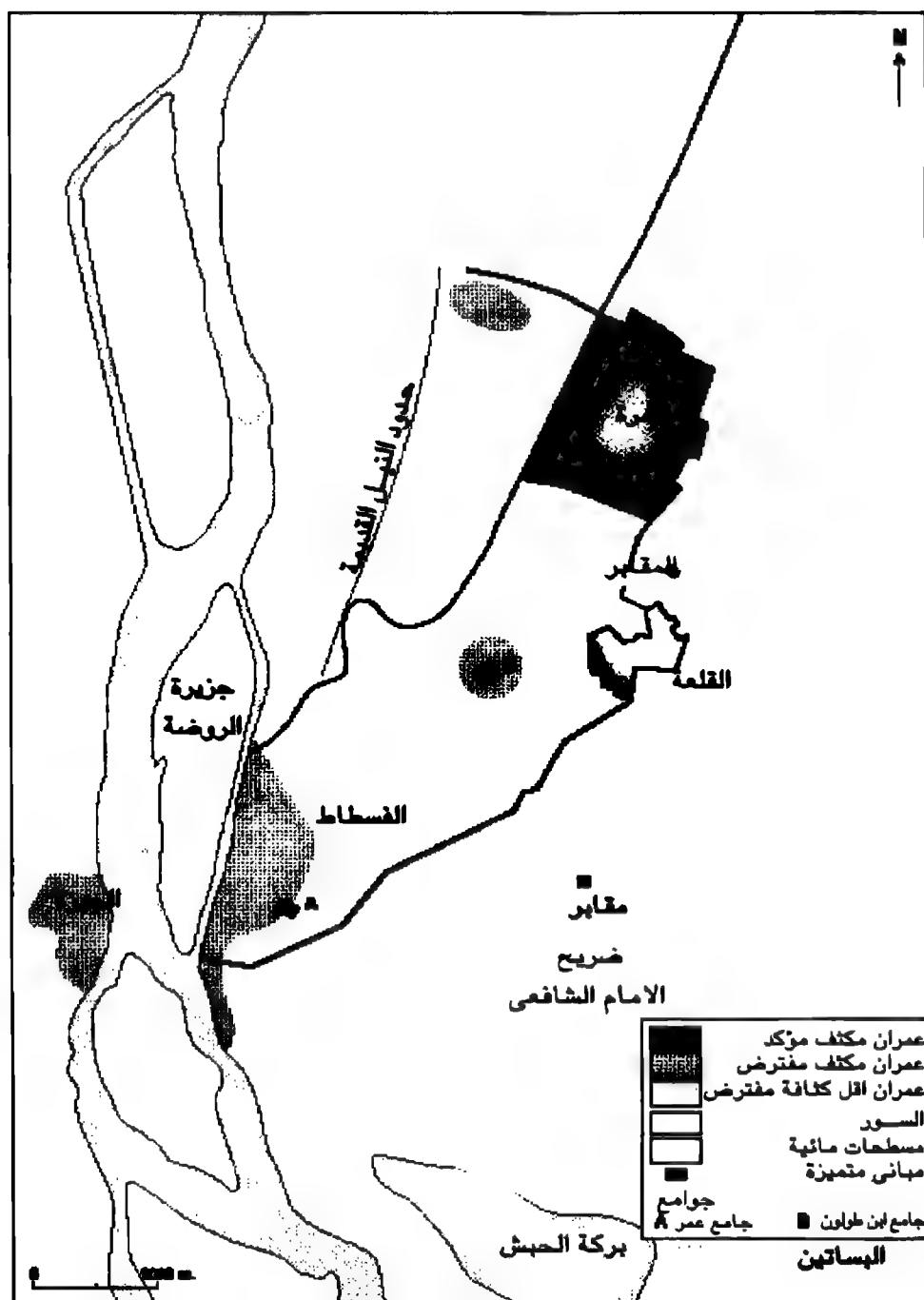
(a) بولاق: الأماكن.

٣: ٣٢١، وعن سور صلاح الدين الذي بدأ في بنائه بهاء الدين قراقوش في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م انظر، أبا شامة: الروضتين ١: ٦٨٧-٦٨٨ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ٥٢-٥٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٩-٢٠ المقريزي: المسودة ٤١-٤٢ أبا الحسن: النجوم الزاهرة ١٧٦: ١٧٧-١٧٧ Casanova P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, pp. 535-51; Creswell, K. A. C., *MAE* II, pp. 41-63 - ; Fu'ad Sayyid, A., Warner, ومؤخرًا مقال نيقولا ورثر، *op.cit.*, pp. 634-43 N., «The Fatimid and Ayyubid Eastern Walls of Cairo: Missing Fragments», *An. Isl.* 33 (1999), spp. 283-305 وأسامة طلعت عبد النعيم: أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٢.

^١ عن الشور الذي بناه بدر الجمالي فيما بين مستي ١٠٨٧هـ/١٠٨٧ و٤٨٥هـ/١٠٩٣، والذي لم يبق منه سوى قسم من السور الشمالي بين بابي النصر والقرج، وقسم من السور الجنوبي على يسار الخارج من باب زويلة في موازاة شارع الغرب الأحمر وحتى مدخل حارة الروم، راجع: Creswell, K. A. C., «Fortification in Islam before A.D. 1250», in *Proceedings of the British Academy* 1952 London 1952, p. 113; id., *MAE* I pp. 176-81; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 386-99.

^٢ اكفى المقريزي في السلوك بالإشارة إلى أنه بدئ في حفر أساس الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة في الرابع من جمادى الآخرة (السلوك ٤: ٣٢٠).

^٣ أبو شامة: الروضتين ١: ٤٨٨، المقريزي: اتماظ



شور صلاح الدين الذي يربط القاهرة بالقاهرة بالفسطاط

مما يلي باب النضر ممتدة إلى باب البرقية وإلى دَرْب بَطُوط وإلى خارج باب الوزير^١، ليتصل بشور قلعة الجبل، فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوّة^٢ تحت القلعة لموته. وإلى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور إلى جهة القلعة. وكذلك لم يتهيأ له أن يصل شور قلعة الجبل بشور مصر.

وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاث مائة ذراع وذراعين ٥
بذراع القمل، وهو الدّراع الهاشمي: من ذلك ما بين قلعة المَقْس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساجل مصر عشرة آلاف ذراع وخمس مائة ذراع، ومن قلعة المَقْس إلى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاث مائة واثنان وتسعون ذراعاً، ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأخضر سبعة آلاف ومائتا ذراع، ومن وراء القلعة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أذرع. وذلك طول قوسه في أبراجه من النيل إلى النيل.

وقلعة المَقْس المذكورة كانت بُرْجاً مُطَلاً على النيل في شرقي جامع المَقْس، ولم تنزل إلى أن هدمها الوزير الصّاحب شمس الدين عبد الله المَقسي، عندما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبع مائة، وجعل في مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد في البرج مالا، وأنه إنما جدد الجامع منه، والقائمة تقول اليوم جامع المَقسي بالإضافة^٣. ١٥

وكان يحيط بشور القاهرة حندق شرع في حفره من باب الفتوح إلى المَقْس في الحرم سنة ثمان وثمانين وخمس مائة، وكان أيضاً من الجهة الشرقية خارج باب النضر إلى باب البرقية وما

ذلك الوقت باسم باب الوزير. ولا يزال موقع هذا الباب قائماً إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أتمش النجاسي. والباب الحالي جلدّه الأمير طراباي الشريف صاحب القبة المجاورة لهذا الباب سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م. (أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١٨٠هـ^٢ تعليقات محمد رمزي بك).

الصوّة اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة الجبل فيما بين القلعة وجامع الرقاعي الحالي، ويتوسطها الطريق المعروف بسكة المخبر ودرب المارستان (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٤٣هـ^٢ وفيما يلي ٢: ٢١٣).

^٣ فيما يلي ٢: ٢٨٣.

^١ كُشِفَتْ حفائر أجرتها مؤسسة الأغاخان في سنة ١٩٩٩ عن جزء من هذا السور يقع بين شارع الأزهر شمالاً وبرج الخروق جنوباً ويشتمل على باب أطلق أنه الباب المحروق. وباب الوزير. أحد أبواب القاهرة الخارجة في سورها الشرقي الذي أنشأه صلاح الدين في المسافة الواقعة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل. فتحه في السور الشرقي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، وقت أن كان وزيراً للسلطان الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون، لمرور الناس ما بين المدينة وبين الجبنة الواقعة خارج السور (المعروفة بقرافة باب الوزير) وعلى الأنحص بعد مد الباب المحروق، ولهذا تحرف من

بعده . وشاهدت آثار الخندق باقية ، ومن ورائه سورٌ بأبراج له عَرْضٌ كبيرٌ مبني من حجارة^a ، إلا أن الخندق انطمأ ، وتهدمت الأسوار التي كانت من ورائه .

وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فقال : « والله يُخَيِّى الْمَوْلَى حَتَّى يَشْتَدِيرَ بِالْبَلَدَيْنِ نِطَاقَهُ ، وَيَمْتَدَّ عَلَيْهِمَا رِوَاثُهُ ، فَهَمَّا^b عَقِيلَةٌ مَا كَانَ يَغْصُمُهَا لِيُفْرِكَ بَغِيرِ سِوَارٍ ، وَلَا خَضْرُهَا لِيَتَحَلَّى بَغِيرِ مِئْطَقَةٍ نُضَار . وَالْآنَ قَدْ اسْتَقَرَّتْ خَوَاطِرُ النَّاسِ ، وَأَمِنُوا بِهِ مِنْ يَدِ تَخَطُّفٍ ، وَمِنْ طَمَعٍ^c مَجْرِمٍ يُقْدِمُ وَلَا يَتَوَقَّفُ » .

ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ

وكان للقاهرة من جهتيها القبليّة بابان متلاصقان يُقَالُ لهما : بابا زويلة ؛ ومن جهتيها البحرية بابان متباعدان : أحدهما بابُ الفتوح ، والآخر بابُ النصر ؛ ومن جهتيها الشرقيّة ثلاثة أبواب متفرقة : أحدها يُعرف الآن بباب البرقيّة ، والآخر بالباب الجديد ، والآخر بالباب المحروق ؛ ومن جهتيها الغربيّة ثلاثة أبواب : بابُ القنطرة ، وبابُ الفرَج ، وبابُ سعادة ، وبابُ آخر يُعرف بباب الخوخة . ولم تكن هذه الأبواب على ما هي عليه الآن ، ولا في مكانها عندما وَضَعَهَا جَوْهَرُ^١ .

بَابُ زَوِيلَةَ

[أثر رقم ١٩٩]

- ١٥ كان باباً^d زويلة ، عندما وَضَعَ الْقَائِدُ جَوْهَرُ الْقَاهِرَةِ ، بَاتَيْنِ متلاصقيْن بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح ، فلما قَدِمَ الْمُعِزُّ إِلَى الْقَاهِرَةِ دَخَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا - وهو الملاصق للمسجد الذي بقي منه إلى اليوم عَقْدٌ ، ويُعرف بباب القوس - فبَاتِنِ النَّاسُ بِهِ ، وصاروا يُكْثِرُونَ الدَّخُولَ والخُرُوجَ مِنْهُ ، وَهَجَرُوا الْبَابَ الْمُجَاوِرَ لَهُ ، حَتَّى جَرَى عَلَى الْأَلْسِنَةِ أَنَّ مِنْ مَرَّ بِهِ لَا تُقْضَى لَهُ حَاجَةٌ .

(a) بولاق : بالحجارة . (b) بولاق : فما . (c) بولاق : يد . (d) بولاق : باب .

62؛ ومقال هنري كاسل كاي Kay, H.C., «Al-Kahira and its Gates», JRAS XIV (1882), pp. 229-45.

^١ انظر عن أبواب القاهرة الأولى التي بناها القائد جوهر Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 152. عند تأسيس المدينة -

وقد زال هذا الباب ولم يبق له اليوم أثر^١، إلا أنه يُقضي إلى الموضع الذي يُعرف اليوم بالحجارين، حيث تُباع آلات الطرب من الطناير والعيدان ونحوها، وإلى الآن مشهور بين الناس أن من سَلَكَ^٢ من هنالك^٣ لا تُقضى حاجته^٤، ويقول بعضهم: من أجل أن هناك^٥ آلات المنكر، وأهل البطالة من المعتن والمُعْتَيَات. وليس الأمر كما زعم، فإن هذا القول جارٍ على أليته أهل القاهرة من حين دَخَلَ الميز إليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقاً للمعارف ومؤمناً للجلوس أصحاب الملاهي^٦ ١.

فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربع مائة، بنى أمير الجيوش بدر الجمالي، وزير الخليفة المستنصر بالله، باب زويلة الكبير الذي هو باقٍ إلى الآن وعلى أبراجه^٧، ولم يعمل له باشورة^٨ - كما هي عادة أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عطفة^٩ حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار، ويتعذر سَوَقُ الخيل ودُخُولها جملة - لكنه عَمِلَ في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة، بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان. فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فاتفق مروؤه من هناك^{١٠}، فاحتل قَرُشَه ورَلَقَ به/ وأحسبه سَقَطَ عنه، فأمر بنقضها فتَقَصَّت، وبقي منها شيء يسير ظاهر^{١١}.

(a) بولاق: أثر اليوم. (b) بولاق: يسلك. (c) بولاق: هناك. (d) بولاق: له حاجة. (e) بولاق: هنالك. (f) بولاق: أهل المعاصي. (g) بولاق: عطف. (h) بولاق: هنالك.

ويساراً مرة أو عدة مرات، بفرض عرقلة هجوم من يحاول اقتحام الحصن أو القلعة وتجعل المدخل هدفاً سهلاً للمدافعين. Creswell, K. A. C., *EMA* II, p. 11, id., *Et*² art.) *Bāb* I, p. 854؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ١: ٢٧٢، ١٤٣٣، *Fu'ād Sayyid*, A. *op.cit.*, (p. 397).

^٤ هذا النص نقله المقرئ عن ابن خلدون: أخبار مصر ٥١، وانظر كذلك النويري: نهاية ٢٨: ٢٣٨؛ المقرئ: اتعاط ٢: ٣٢٧.

^١ قارن ذلك مع المقرئ: مسودة المواضع ٣٥١. ^٢ عن باب زويلة الذي بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وفرغ منه في سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٣م، انظر، ابن ميسر: أخبار ٥١ النويري: نهاية ٢٨: ٢٣٨؛ المقرئ: اتعاط ٢: ٣٢٧؛ Creswell, K. A. C., *MAE* I, pp. 197-205; *Fu'ād Sayyid*, A., *op.cit.*, pp. 424-30.

وعن ضبط زويلة - لا زويلة - (انظر فيما يلي ٤: ٢). ^٣ الباشورة، أحد أساليب الدفاع عن الحصون تعرف بالمداخل أو الأبواب المنكسرة، التي ينعطف فيها الداخل يمينا



باب زويلة الذي أنشأه تندر الجمالي سنة ٤٨٥ هـ

فلما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الأشتادار المسجد المقابل لباب زويلة ، وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برفوق^١ ، ظهر عند حفره الصهرج الذي به بعض هذه الزلافة ، وأخرج منها ججاجة من صوان لا تعمل فيها الغدة الماضية ، وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جبرها إلا أربعة أروس بقر ، فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئاً . وإلى الآن حجز منها ملقى تجاه قبو الخزنشف من القاهرة .

ويذكر أن ثلاثة إخوة قديموا من الروها^٢ ، بتائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ، كل واحد بنى باباً ، وأن باب زويلة هذا بُني في سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، وأن

Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo, Glügkshdt 1972؛ ونشر هارمان Haarmann وصف الجامع من حجة وقف الناصر فرج بن برفوق في الكتاب نفسه بين صفحتي ٤٤ - ٥١ .

^٢ ذكر أبو صالح الأرمني : تاريخ ٥١ ظ أن الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير =

^١ لم يخصص المقريري - فيما وصل إلينا - أي مدخل للحديث عن مسجد الناصر فرج بن برفوق المقابل لباب زويلة ؛ وما زال هذا المسجد والشيل الملحق به قائماً ومسجلاً بالآثار برقم ٢٠٣ ، وقد تم فكّه وإعادة بنائه إلى الخلف من موضعه في عام ١٩٢٢ ، لتوسيع شارع تحت الرّويع ، القادم من ميدان باب الخلق (انظر، Saleh Lamei Mostafa

باب الفُتُوحِ ثِنْيِي^١ في سنة ثمانين وأربع مائة .

وقد ذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِرِ في كتاب «حِطَّطُ القاهرة» أَنَّ بابَ زَوِيلَةَ هذا بناءُ العَزِيزِ باللهِ يَزَارُ بنَ المِيزِ وتَمَّمَهُ أميرُ الجيُوشِ ، وأنشَدَ لعلِّي بنَ مُحَمَّدِ الثَّيْلِيِّ :

[الكامل]

يا صاح لو أَبْصُرْتَ بابَ زَوِيلَةَ لَعَلِمْتَ قَدْرَ مَحَلِّهِ بُشَيَانَا
بابَ تَأَوَّرَ بِالْحِجْرَةِ وارْتَدَى الـ شَعْرَتِي وَلَا تِ برَأْسِهِ كَيَوانَا
لو أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَاهُ لَمْ يُرِدْ صَرْحًا وَلَا أَوْصَى بِهِ هَامَانَا^٢

انتهى (b).

وسَمِعْتُ غيرَ واحدٍ يَذْكُرُ أَنَّ فَرْدَوَيْهَ يَدُورَانِ في شُكْرُوحَيْنِ^٣ من رُجَاجٍ .

وَذَكَرَ جَامِعُ «السِّيَرَةِ النَّاصِرِيَةِ»^٤ مُحَمَّدُ بنَ قَلَاوُونَ ، أَنَّ في سنة خَمْسِ وثَلَاثِينَ وَسِيعِ مائة رَتَّبَ أُيُودَكِينَ - واليَ القاهرةِ في أَيامِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ - عَلَيَّ بابَ زَوِيلَةَ خَلِيلِيَّةَ تَضَرَّبَتْ كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ العَصْرِ^٥ .

وقد أَخْبَرَنِي من طَافَ البلادَ ورَأَى مُدُنَ المَشْرِقِ ، أَنَّهُ لَمْ يُشَاهِدْ في مَدِينَةٍ من المَدَائِنِ عِظَمَ بابِ زَوِيلَةَ ، وَلَا رَأَى^٦ مِثْلَ بَدَنَتَيْهِ اللَّتَيْنِ عَن جَانِبَيْهِ . ومن تَأَثَّلَ الأَسْطُورَ التي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيَّ أَعْلَاهُ من خَارِجِهِ ، فَإِنَّهُ يَجِدُ فِيهَا اسْمَ أميرِ الجيُوشِ والخَلِيفَةِ المُسْتَنْصِرِ وتَارِيخَ بِنَائِهِ^٧ .

(a) بولاق : بناء . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : سيرة الناصر . (d) بولاق : يرى .

= الجيوش بدر شخص يدعى يوحنا الراهب ، وراجع مناقشة هذا الموضوع والطراز المعماري للسور والأبواب عند Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 396, 430-31.

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٧-١٨ (وهو زعم) ؛ القلقشندي : صبح ٣: ٣٤٩ ؛ المقرئ : مسودة المواظظ ٣٤٩ ، وقارن كذلك : الإدريسي : أنوار علوي الأجرام ٥٢ .
^٢ شُكْرُوحَةٌ وأشُكْرُوحَةٌ ، فارسي معرب . ترجمتها مُقَرَّبَ الحِلْز ، وهي هنا بمعنى رعاء زجاجي يُسهِّلُ انزلاق عضادتي الباب (الجواليقي : للمرب ٢٧ ، ١٩٧) .
^٣ هو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي ، المتوفى سنة ١٣٥٩/٧٥٩م وعنوان تاريخه «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر» ، ونقل عنه المقرئ في أكثر من موضع (انظر مسودة المواظظ والاعتبار ١٤٥-١٤٦ ، وفيما تقدم ١: ٤٩ ، وورد الخبر في الكتاب في صفحة ٢٣٢ .
^٤ قُوِّدَتِ اليوم الكتابة الخاصة بالثمن الإنشائي لباب زويلة والتي شاهدها المقرئ في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وما زال مكانها يرى خاليًا الآن ، ولو وصلت إلينا هذه الكتابة لَدَلَّتْنا على الاسم الجديد الذي حمله باب زويلة مثل بقية أبواب القاهرة الأخرى التي أنشأها بدر الجمالي (فيما يلي صفحة ٢٧١) .

وقد كانت البَدَتَانِ أَزِيدًا^١، مَّا هُمَا الْآنَ بِكَثِيرٍ، هَدَمَ أَعْلَاهُمَا الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخٌ لَمَّا أَنْشَأَ الْجَامِعَ دَاخِلَ بَابِ زَوَيْلَةَ، وَعَمَّرَ عَلَى الْبَدَتَيْنِ مَنَارَتَيْنِ. وَلِذَلِكَ خَبِرَ تَجْدَهُ فِي ذِكْرِ الْجَوَامِعِ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِي (ب) مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فَانْظُرْهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَوَامِعِ تَجْدَهُ^٢ ١.

بَابُ النَّصْرِ

[أثر رقم ٧]

كَانَ بَابُ النَّصْرِ أَوَّلًا دُونَ مَوْضِعِهِ الْيَوْمَ، وَأَذْرَكْتُ قِطْعَةً مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ كَانَتْ تَجَاهُ رُكْنِ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ بِحَيْثُ تَكُونُ الرُّوحَةُ الَّتِي فِيهَا بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ وَبَيْنَ بَابِي جَامِعِ الْحَاكِمِ الْقِبْلِيِّينَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ. وَكَذَلِكَ^٣ تَجْدُ فِي أَخْبَارِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ أَنَّهُ وُضِعَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ^٤.

١. فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُشْتَصِيرِ وَقَدِيمٍ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْجَيْشِ بَذَرَ الْجَمَالِي مِنْ عَكَا وَتَقَلَّدَ وَزَارَتْهُ وَعَمَّرَ سُورَ الْقَاهِرَةِ، تَقَلَّ بَابُ النَّصْرِ مِنْ حَيْثُ وَضَعَهُ الْقَائِدُ بَجَوْهَرٍ إِلَى حَيْثُ هُوَ الْآنَ، فَصَارَ قَرِيبًا مِنْ مُصَلَّى الْعِيدِ، وَجَعَلَ لَهُ بِاشُورَةَ أَذْرَكْتُ بَعْضَهَا إِلَى أَنْ اخْتَفَرَتْ أَخْتُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ الصُّهْرِيحِ السَّبِيلَ تَجَاهَ بَابِ النَّصْرِ، فَهَدِمَتْ^٥ وَأَقَامَتْ السَّبِيلَ مَكَانَهُ^٦.
- . وَعَلَى بَابِ النَّصْرِ مَكْتُوبٌ^٧ بِالْكَوْفِيِّ فِي أَعْلَاهُ :

- ١٥ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا»^٨.

(a) بولاق : أكبر . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : ولذلك . (d) بولاق : فهدمته . (e) ساقطة من النسخ .

^١ فيما يلي صفحة ٢: ٣٢٩.

^٢ فيما يلي صفحة ٢: ٢٧٧.

^٣ مازال باب النصر الذي أقامه أمير الجيوش بدر الجمالي موجودًا وعليه كتابة تاريخية تفيد البناء في بنائه في المحرم سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م، ولكن هذه الكتابة لا تذكر الباب باسمه المعروف لنا - مثل الكتابة الموجودة أيضًا على بابي الفتح وأسماؤها القديمة . (انظر، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, (pp. 399-405).

^٤ مازال هذا النص موجودًا أسفل الكتابة التاريخية =

باب الفتح «باب الإقبال» وعلى باب البرقية «باب التوفيق» .
ورغم أن المقرئ قد أطلع على هذه الكتابات التاريخية، بما أنه أورد نص الاعتقاد الشيعي الوارد على باب النصر ومحمد رسول الله، علي ولي الله، فإنه يستمر في ذكر الأبواب بأسماؤها القديمة . (انظر، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, (pp. 399-405).

^٥ مازال هذا النص موجودًا أسفل الكتابة التاريخية =

والبرقية - وإنما نجدنا نطليق على باب النصر (باب البرقية) وعلى



[النص التأسيسي لباب التضرع (العز)]

«(١-٢) بِسْمَلَةِ ... [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] بِمِرِّ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ (٣) يُحَاطُ الْإِسْلَامُ وَتُنْفَسُ الْمَاقِلُ وَالْأَشْوَارُ. أُنْشَأَ هَذَا؛ بَابَ الْعِزِّ وَالشُّورِ الْمُحِيطِ بِالْمُعِزَّةِ الْقَاهِرَةِ الْمُخْرُوسَةِ حَتَاهَا اللَّهُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامَ الْمُشْتَقِصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَيْمَةِ الطَّاهِرِينَ وَأَتْبَائِهِ الْأَكْزَمِينَ، الشَّيْذَ الْأَجَلَّ (٤) أَمِيرَ الْجَيْشِ سَيْفَ الْإِسْلَامِ نَاصِرَ الْإِمَامِ كَافِلَ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الثَّجَمِ بَذَرِ الْمُشْتَقِصِرِيِّ (٥) غَضَدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ وَأَمْتَقَ بَطُولَ بَقَائِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كِبَلَتَهُ، الَّذِي حَصَّنَ اللَّهُ بِحُسْنِ تَذْيِيرِهِ الدَّوْلَةَ وَالْأَنْتَامَ، وَشَمِلَ صَلَاحُهُ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، ائْتِغَاءُ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَطَلَبُ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَصِيَانَةُ كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ وَازْدِلَاقًا إِلَى اللَّهِ بِجِيَاظَةِ الْكَافَّةِ. وَبَدَى بِعَقْلِهِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ».

بَابُ الْفُتُوحِ

[أثر رقم ٦]

وَصَعَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ذُونُ مَوْضِعِهِ الْآنَ، وَبَقِيَ مِنْهُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَقْدُهُ وَعَضَادَتُهُ الْيُسْرَى، وَعَلَيْهِ أَشْطَرُ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْكُوفِيِّ، وَهُوَ بِرَأْسِ حَاوِزَةِ بَهَاءِ الدِّينِ مِنْ قِبَلِهَا دُونَ جِدَارِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ.

ذريتُهما أجمعين) Kay, H.C., «Al-Kahirah and its Gates», JRAS XIV (1882), p. 38; van Berchem, (M., CIA I, n°34)، وانظر الصورة .

= بتأسيس الباب داخل إطار مستطيل مكون من أربعة أسطر بالخط الكوفي البارز والسطر الرابع خارج الإطار ونصها «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله علي ولي الله صلى الله عليهما وعلى الأئمة من

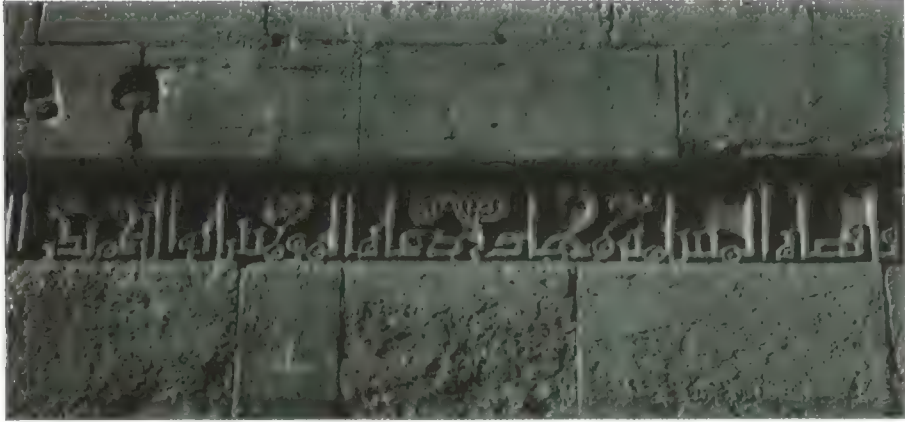


باب النضر الذي شيّده بئر الجمالي سنة ٤٨٠هـ



باب النضر ، ظهر الباب

وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح، فإنه من وضع أمير الجيوش، وبين يديه بأشورة قد ركبها الآن الناس بالبنان لما عُمرَ ما خَرَجَ عن باب الفتوح^١.



جزء من النص الإنشائي لباب الفتوح

[النص التأسيسي لباب الفتوح (الإقبال)]

«بسملة . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، صلى الله عليهما وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِمَا أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] - بعز الله العزيز الجبار يُحاطُ الإسلام وتُنشأ المعازل والأسوار . رأى إنشاء هذا باب الإقبال والسور المحيط بالمعزية القاهرة الحروسة حماها الله فتى مولانا وسيدنا معذ أبي تميم الإمام المُستنصر بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آيائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين أبو التَّجَمُّم بذر المُستنصري عُصْدَ الله به الدين وأقنَعَ بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قُدْرَتَهُ وأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، الذي حَصَّنَ الله بحُسن تَديُّرِهِ الدَّولة والأنام ، وسَجَّلَ صَلَاحَهُ بإذن الله تعالى الخاص والعام ، وابتغاء ثواب الله وِرْضوانه وَطَلَبَ فَضْلَهُ وإِحْسَانِهِ وصِيَانَةَ كُرْسِيِّ الخِلافة . وأزْدَاقاً إلى الله بِحِياطة الكفاة . وبدئ بِعَمَلِهِ فِي مُحَرَّم سنة ثمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفة ، وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وعلى آلِهِ الأئمة الطاهرين وَسَلَّم تَسْلِيماً إلى يوم الدِّين ، وَحَشَبْنَا الله ونَعَم الوَكِيل» [٤] .

^١ على ٥٨,٩٢ متراً طولياً تبدأ مباشرة من على الحائط الملاصق لشرق الباب وتنتهي على الواجهة الشمالية للتوء الذي يدعم الباب .

ما زال باب الفتوح الذي أقامه بدر الجمالي سنة ١٠٨٧ هـ / ١٠٨٧ م موجوداً ، وأطلقت عليه الكتابة التاريخية الخاصة بالنص التأسيسي اسم «باب الإقبال» ، وهي كتابة بالقلم الكوفي البارز على الرخام ارتفاعها ٣٤ سم ، وممتدة

أنواب القاهرة - باب الفتوح



باب الفتوح الذي شيّده بذر الجمالي سنة ٤٨٠ هـ



تفاصيل من زخرفة باب الفتوح

أمير الجيوش أبو التغم بذر الجمالي : كان قتلوكا أرمينيا لجمال الدولة بن عمار ، فلذلك عرف بالجمالي ، ومازال يأخذ بالحد من زمن شيبته^(a) فيما يباشره ، ويوطن نفسه على قوة الغزم ، ويتنقل في الحدم حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وأربع مائة^١.

ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلّت من رجب سنة ست وخمسين ، ثم ولّيتها ثانيا يوم الأحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين ، فبلغه قتل ولده في^(b) شعبان بعسقلان ، فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربع مائة ، فثار العسكر وأحرقوا^(c) قصره ، وتقلد نيابة عكا .

فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن ، والأحوال بالحضرة قد قصدت ، والأمور قد تغيرت ، وطوائف العسكر قد شعبت ، والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي ، والرجاء قد أيس منه ، والصلاخ لا مطمع فيه ، ولوثة قد ملكت الريف ، والصعيد بأيدي العبيد ، والطرق قد انقطعت برا وبحرا إلا بالحفازة الثقيلة .

فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان ، كتب المستنصر إليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته ، فاشتراط أن يحضر معه من يختاره من العساكر ، وأن^(d) لا يبقى أحدا من عسكر مصر ، فأجابته المستنصر إلى ذلك .

فاستخدم معه عسكرا ، وركب البحر من عكا في أول كانون ، وسار بمائة مركب ، بعد أن قيل له إن العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجانه وخوف الثلج ، فأبى عليهم وأقلع ، فتمادى الصحو والشكوى مع الريح الطيبة مدة أربعين يوما ، حتى كثر التعجب من ذلك ، وعُد من سعادته .

فوصل إلى بئس ودمياط ، واقترض المال من تجارها ومباشرها^(e) ، وقام بأمر ضيافته وما يحتاج إليه من الغلال سليمان اللواتي كبير أهل البحيرة . وسار إلى قلثوب فنزل بها وأرسل إلى المستنصر

(a) بولاق : سبه . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : أخرجوا . (d) بولاق : ماسرها .

^١ ابن القلانسي : ذيل ٩١ - ٩٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٣٠ ؛ ابن ميسر : أخبار ٢٨ ، النوري : نهاية ٢٨ : ٢٣٢ ؛ المقرئ : اتعاظ ٢ : ٢٦٨ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٩١ .

يقول : لا أَذْخُلُ مِصرَ^(a) حَتَّى تَقْبُضَ عَلَى بِلْدَ كُوشِ - وَكَانَ أَحَدُ الْأَمْرَاءِ ، وَقَدْ اسْتَبَدَّ^(b) عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ حَمْدَانَ - فَبَادَرَ الْمُسْتَنْصِرُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَهُ بِخِزَانَةِ الْبُيُودِ .

فَقَدِمَ بَدْرُ عَشِيَةِ الْأَرْبَعَاءِ ، لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فَهَبَّ لَهُ أَنْ قَبِضَ عَلَى جَمِيعِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْأَمْرَاءِ عِلْمٌ مِنْ اسْتِئْذَانِهِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَضَافَهُ وَقَدِمَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ نُؤْيُوبُهُمْ فِي ضِيَاقِهِ ، اسْتَدْعَاهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي دَعْوَةٍ صَنَعَهَا لَهُمْ ، وَبَيَّعَ مَعَ أَصْحَابِهِ أَنَّ الْقَوْمَ إِذَا جِئْتَهُمْ^(c) اللَّيْلُ فَإِنَّهُمْ لَا يَدُ بِحَتَاجُونَ إِلَى الْخَلَاءِ ، فَمِنْ قَامَ مِنْهُمْ إِلَى الْخَلَاءِ يُقَاتِلُ هُنَاكَ ، وَوَكَّلَ بِكُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَنْقَمَ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَتْرَكَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ مِنْ دَارٍ وَمَالٍ وَقَطَاعٍ وَغَيْرِهِ . فَصَارَ الْأَمْرَاءُ إِلَيْهِ ، وَظَلُّوا نَهَارَهُمْ عِنْدَهُ وَبَاتُوا مَطْمَئِنِينَ ، فَمَا طَلَعَ صَبُوءُ الشَّهَارِ حَتَّى اسْتَوَلَى أَصْحَابُهُ عَلَى جَمِيعِ دُورِ الْأَمْرَاءِ ، وَصَارَتْ رُؤُوسُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَوَّيْتُ شَوْكَتَهُ ، وَعَظَّمْتُ أَمْرَهُ ، وَخَلَعْتُ عَلَيْهِ الْمُسْتَنْصِرَ بِالطَّلِيلَسَانِ الْمُقَوَّرِ ، وَقَلَّدَهُ وَزَارَةَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، فَصَارَتْ الْقَضَاءُ وَالِدَعَاةُ وَسَائِرُ الْمُسْتَعْدِمِينَ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ ، وَزِيدَ فِي أَلْقَابِهِ «أَمِيرُ الْجَيْشِ» ، كَافِلُ قَضَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ^(d) ، وَتَتَبَعَ الْمُسْئِدِينَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا حَتَّى قَتَلَهُ ، وَقَتَلَ مِنْ أَمَاثِلِ الْمَصْرِيِّينَ وَقَضَاتِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ جَمَاعَةً .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْوُجْهِ الْبَحْرِيِّ ، فَاسْتَرْفَى فِي قَتْلِ مَنْ هُنَاكَ مِنْ لُؤَاثِهِ ، وَاسْتَصَفَى أَمْوَالَهُمْ ، وَأَزَاخَ الْمُسْئِدِينَ وَأَفْنَاهُمْ بِأَنْوَاعِ الْقَتْلِ ، وَصَارَ إِلَى الْبَيْتِ الشَّرْقِيِّ فَقَتَلَ مِنْهُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْئِدِينَ .

وَنَزَلَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَقَدْ نَارَ بِهَا جَمَاعَةٌ مَعَ ابْنِهِ الْأَوْحَدِ ، فَحَاصَرَهَا أَيَّامًا مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا عَتَوَةٌ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِمَّنْ كَانَ بِهَا ، وَعَمَّرَ بِهَا^(e) جَامِعَ الْعِطَارِينَ مِنْ مَالِ الْمَصَادِرَاتِ ، وَفَرَّغَ مِنْ بِنَائِهِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ^(f) .

(a) بولاق : إلى مصر . (b) بولاق : اشتد . (c) بولاق : أجنهم . (d) ساقطة من بولاق .

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ» وَإِنَّمَا يَتَغَرَّ بِمَسَاجِدِ اللَّهِ تَرَى
أَقْرَبَ بَالِهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ
إِلَّا اللَّهَ ﴿[الآيَةُ ١٨ سورة التوبة]﴾ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِنشَاءِ السِّدِّ
الْأَجَلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ كَافِلِ قَضَاةِ
الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو النَجْمِ بَدْرُ الْمُسْتَنْصِرِ =

^١ ابن ميسر : أخبار مصر ٤٤٦ : النويري : نهاية الأرب
٢٨ : ٢٣٨ : المقريزي : تماثيل الخلفاء ٢ : ٣٢١ : أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ٥ : ١١٩ ، ١٢٠ . ولم يبين بَدْرُ الْجَمَالِي هَذَا الْجَامِعَ
وَإِنَّمَا جَعَلَهُ وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فِي لَوْحَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مَشْبُةِ الْآنَ فِي قَاعَةِ
الْمَنَارَةِ عَلَى يَسَارِ الدَّخْلِ مِنَ الْبَابِ الْبَحْرِيِّ الشَّرْقِيِّ وَنَصَحَا :

ثم سار إلى الصعيد، فحارب جُهينة والثعالبة، وأفنى أكثرهم بالقتل، وغنم من الأموال ما لا يُعرف قدره كثرةً فانصَلَح^٩ به حال الإقليم بعد فسادِه.

ثم جهَّز العساكر لمحاربة البلاد الشَّامية، فسارت إليها غير مَرَّة وحاربت أهلها، ولم يظفر منها بطائل، واستناب وَلَدَه شاهنشاه وجعله وَلِيَّ عَهْدِه.

فلمَّا كان في سنة سبع وثمانين وأربع مائة، مات في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الأولى منها. وقد تَحَكَّم في مصر تَحَكُّم الملوك، ولم يبقَ للمستنصر معه أمرٌ، واستبدَّ بالأمور فَضَبَطَهَا أحسن ضَبَط. وكان شديدَ الهَيْبَةِ، وإفْرَ الحُرْمَةِ، مَخُوفَ الشُّطُورَةِ. قَتَلَ من مصر خَلَائِقَ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا خَائِلُهَا، منها أَنَّهُ قَتَلَ في يومٍ^{١٠} من أهل البحيرة نحو العشرين ألف إنسان، إلى غير ذلك من أهل دِيَّيَاط والإسكَنْدَرِيَّة والفَرْيَةِ والشَّرْقِيَّة وبلاد الصعيد وأشوان وأهل القاهرة ومصر - إِلَّا أَنَّهُ عَمَّرَ البلادَ، وأصلَحَها بعد فسادِها وخرابِها بإتلاف المُفْسِدِينَ من أهلها. وكان له يومَ مات نحو الثمانين سنة.

وكانت له مَحَاسِنُ منها أَنَّهُ أَبَاحَ الأرضَ للمُزارعين ثلاث سنين حتى تَرْفُقَتْ^{١١} أحوالُ الفُلاحين واشتَغَتُوا في أَجَامِهِ، ومنها حُضُورُ التُّجَّارِ إلى مصر لكثرة غَدْلِهِ بعد انْتِزَاجِهِمْ منها في أيامِ الشَّدَّةِ، ومنها كَثْرَةُ كَرَمِهِ.

وكانت مُدَّةُ أَيَّامِهِ بمصر إحدى وعشرين سنة، وهو أَوَّلُ وَرَرَاءِ الشُّيُوفِ الذين حَجَرُوا على الخُلَفَاءِ بِمِصْرَ.

ومن آثاره الباقية بالقاهرة: بابُ زَوَيْلَةَ، وبابُ الفُتُوح، وبابُ النُّصْرِ^١.

(a) بولاق : فصلح . (b) في يوم : ساقطة من بولاق . (c) بولاق : ترفعت .

^٩ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، المجلة التاريخية المصرية ٢ (أكتوبر ١٩٤٩)، ٢١٦-٢١٧.

^{١٠} لم يذكر المقرئ باب البرقية (باب التوفيق) من بين منشآت بدر الجمالي رغم وجود لوحة تذكارية تفيد بناء بدر الجمالي له في المحرم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م. (فيما يلي Fu'ād، ٢٨٣)، وعن بقية منشآت بدر الجمالي انظر، Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 431-53.

عند حلول ركابه بفر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراباً، فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفاً إلى الله تعالى، وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة. (van Berchem, M., CIA I, n°518; Wiet, G., «Nouvelles inscriptions fatimides», BIE XXIV (1941-42), pp. 147-48; id., RCEA, VIII, n° 2745) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٦٧، جمال الدين الشبال: «الإسكندرية، طوبوغرافية المدينة وتطورها من

وقام من بعده بالأمر ابنه شاهنشاه الملقب بالأفضل ابن أمير الجيوش ، وبه وبائه الأفضل عادت^(a) أئمة الخلافة^(b) الفاطمية بعد تلاشي أمرها ، وعمرت الديار المصرية بعد خرابها واضمحلال أحوال أهلها^١.

وأئمة هو الذي أختبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه ، فإنه لم يتفق ذلك لأحد من رجال دولتهم غيره^٢ ، «والله يعلم وأنتم لا تعلمون» [الآيات ٢١٦ ، ٢٣٢ سورة البقرة] .

باب القنطرة

عرف بذلك لأن جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ، ليمشي عليها إلى المقس عند مسير/ القرايطة إلى مصر في شوال سنة ستين وثلاث مائة^٣.

باب الشريعة

يُعرف بطائفة من التبرير يقال لهم بنو الشريعة ، هم ومزانة وزيارة وهوارة من أخلاف لواتة^{١٠} الذين نزلوا بالثوينة .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الخلفاء .

Dadayan, S. B., *The Fatimid Armanians* pp. 106-27؛ أمين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٠٩-٢١٩ ، ٣٢١-٣٢٢ ؛ وفيما يلي ٤٤٣ - ٤٤٤ .

^٢ فيما تقدم ٢٥٩ .

^٣ لم يُحدّد المقرئ موضع هذه الأبواب ولا شكل عمارتها أو ما عليها من كتابات ، وفعل المقرئ الشيء نفسه عند ذكره لكثير من المساجد والمدارس والخوانق حيث يكتفي بذكر تاريخ إنشائها واسم منشئها وظروف بنائها ، دون التعرض لوصفها المعماري ؛ ولولا أن أبواب الثغر والثغور وزينة مازالت باقية إلى الآن ما كان يمكننا تحديد موضعها بدقة ، اعتماداً على أوصاف المقرئ .

^١ راجع أخبار بئر الجمالي وسيرته وألقابه وما جده من إنشادات وما أدخله من إصلاحات أطالت عمر الدولة الفاطمية نحو مائة عام أخرى عند ، ابن الصيرفي : الإشارة ٩٤-٩٧ ابن مسير : أخبار ٣٩-١٥٤ ابن خلكان : وفات ٤٤٨:٢-٤٥٠ النويري : نهاية ٢٨:٢٣٤-٢٣٦ المقرئ : المقفى الكبير ٢:٣٩٤-٤٠٢ ابن حجر : رفع الإصر ٩١ - ٩٦ ، وانظر السجلات للمستنصرية سجل رقم ٢٠ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ١٥٧ وراجع أئمة ، الناي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي Wiet, G., *CIA Égypte II*, pp. 132- ٢٧١-٢٧٠ 158; Becker, C.H., *El' art. Badr al-Djamālī I*, p. 894; Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 365-453;

بَابُ سَعَادَةِ

عُرِفَ بِسَعَادَةِ بَنِ حَيَّانَ غُلَامِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ بِنَاءِ الْفَائِدِ جَوْهَرِ الْقَاهِرَةِ نَزَلَ بِالْجِيزَةِ ، وَخَرَجَ جَوْهَرٌ إِلَى لِقَائِهِ ، فَلَمَّا عَايَنَ سَعَادَةَ جَوْهَرًا تَرَجَّلَ وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْبَابِ فَغُرِفَ بِهِ وَقِيلَ لَهُ : بَابُ سَعَادَةِ .

وَوَافَى سَعَادَةُ هَذَا إِلَى^(أ) الْقَاهِرَةِ بِجَيْشٍ كَبِيرٍ مَعَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي سُؤَالِ سَيَرِهِ جَوْهَرٌ فِي عَسْكَرٍ مُجْرُودٍ^(ب) عِنْدَ وُرُودِ الْخَبَرِ مِنْ دِمَشْقَ بِمَجِيءِ الْحَسَنِ^(ج) بْنِ أَحْمَدَ الْقَرْمَاطِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْأَعْصَمِ ، إِلَى الشَّامِ ، وَقَتْلَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ . فَسَارَ سَعَادَةُ يُرِيدُ الرُّمْلَةَ فَوَجَدَ الْقَرْمَاطِيَّ قَدْ قَصَدَهَا ، فَأَنْحَازَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى يَافَا وَرَجَعَ إِلَى مِصْرَ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرُّمْلَةِ ، فَعَلَّكَهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْقَرْمَاطِيُّ ، فَقَرَّ مِنْهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَبِهَا مَاتَ لِحَسَنِ بَقِيْنَ مِنَ الْمَحْرُومِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَخَصَرَ جَوْهَرٌ جَنَازَتَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ مُشْلِمٌ ، وَكَانَ فِيهِ يَزُّ وَاحْسَانٌ^١ .

بَابُ الْفَرَجِ^٢

(أ) ساقطة من بولاق ، وتوجد فقط في أباصوفيا . (ب) بولاق : ماجر . (ج) بولاق : الحسين .

^٢ لم يُخَصَّصَ الْمُقْرِزِيُّ أَيَّ وَصْفٍ لِبَابِ الْفَرَجِ وَتَرَكَ بَعْدَهُ يَأْضًا مِثْلَمَا قَعَلَ مَعَ بَابِ الْهَرِيقَةِ ، وَالْأَسْمَ سَاقِطَةً مِنْ عَائِلَةِ التَّشْتِغِ الْتِي أَصَحَّدَتْ عَلَيْهَا طَبْعَةُ بُولَاقٍ . وَمَا ذَكَرَهُ الْمُقْرِزِيُّ فِي أَمَّاكُنْ مَتَّفِقَةً مِنْ كِتَابِهِ عَنْ هَذَا الْبَابِ لَا يُمْكِنُ مِنْ تَحْدِيدِ مَوْضِعِهِ بِطَرِيقَةِ قَاطِعَةٍ ، يَقُولُ : وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ بَابِ سَعَادَةِ وَبَابِ الْخَوْفَةِ وَبَابِ الْفَرَجِ وَبَيْنَ الْخَلِيجِ قَضَاءً ، (فِيمَا تَقْدُمُ ٢٢١ ، ٢٦٧) ، وَعِنْدَ ذِكْرِهِ لِحُطِّ تَحْتِ الرِّبْعِ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ قَالَ : إِنَّهُ فِيمَا بَيْنَ بَابِ زَوِيلَةَ وَبَابِ الْفَرَجِ (فِيمَا يَلِي ٣٧٩ : ٢) ، وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ ثَالِثٍ : «فِي نِصْفِ جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ابْتَدَى بِهَلْمِ السُّورِ الْحَجَرِيِّ فِيمَا بَيْنَ بَابِ زَوِيلَةَ الْكَبِيرِ وَبَابِ الْفَرَجِ» (فِيمَا تَقْدُمُ ٢٦٤) . فَعَلَى ذَلِكَ فَإِنْ هَذَا الْبَابُ كَانَ يَقَعُ فِي الرِّكْنِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِلْسُّورِ .

^١ انظر خبر سعادة بن حيَّان والباب المنسوب إليه عند المقرئزي : انعاظ الحنفيا ١ : ١٣٠ ، Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 60-61; Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, p. 160. تَهْدُمُ بَابُ سَعَادَةِ وَالْخَوْفُ سَنَةِ ١١٣٥ هـ/١٧٢٣ م وَأَعَادَ بِنَاؤُهُ أَحْمَدُ حُزْرَجِيَّ بْنَ يَوْسُفَ أَغَا مِنْ مَالِهِ ، وَفَرَّغَ مِنْ بِنَائِهِ ثَلَاثَ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ١١٣٥ هـ (أَحْمَدُ شَلْهِ عَبْدُ الْغَنِيِّ : أَوْضَحَ الْإِشَارَاتِ فِيمَنْ تَوَلَّى مِصْرَ الْقَاهِرَةَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْبَاشَاتِ ، تَحْقِيقَ عَبْدِ الرَّحِيمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٧٨ ، ٣٧٦) . وَزَالَ كُلُّ أَثَرٍ لِهَذَا الْبَابِ سَنَةِ ١٩٦٠ عِنْدَمَا بَنِيَتْ فِي مَوْضِعِهِ وَمَا خَلْفَهُ مَدِيرَةُ أَمْنِ الْقَاهِرَةِ الْحَالِيَةِ فِي مِيدَانِ أَحْمَدَ مَاهِرَ (بَابُ الْخَلْقِ) .

الْبَابُ الْمَحْرُوقُ

كان يُعْرَفُ أَوْلَا^(a) بباب القَرَّاطين ، فلَمَّا زَالَتْ ذَوْلَةُ بني أُتُوب ، واستقلَّ بِالْمَلِكِ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ عِزُّ الدِّينِ أَيْمَنُ التُّرْكُمَانِي - أَوَّلُ مِنْ مَلِكٍ مِنَ الْمَمَالِيكِ بِسُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(b) فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ - كَانَ حِينَئِذٍ أَكْبَرُ الْأَمْرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ - مَمَالِيكِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أُتُوب - الْفَارِسِ أَقْطَايَ الْجَمْدَارِ ، وَقَدْ اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ ، وَكَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ ، وَنَافَسَ الْمُعِزُّ أَيْمَنَ ، وَتَزَوَّجَ بِابْنَةِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ صَاحِبِ حِمَاةٍ ، وَتَعَثَّ إِلَى الْمُعِزِّ بِأَنْ يَنْزِلَ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَيُخْلِجَهَا لَهُ حَتَّى يَسْكُنَهَا بِأَمْرَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ .

فَقَلِقَ الْمُعِزُّ مِنْهُ ، وَأَهْمَهُ شَأْنُهُ ، وَأَخَذَ يُدَبِّرُ عَلَيْهِ ، فَقَرَّرَ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ تَمَالِيكِهِ أَنْ يَقْفُوا بِمَوْضِعٍ مِنَ الْقَلْعَةِ عَيْنَهُ لَهُمْ ، وَإِذَا جَاءَ الْفَارِسُ أَقْطَايَ فَتَكُونُوا بِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَقْتُ الْقَائِلَةِ يَسْتَدْعِيهِ لِيُشَاوِرَهُ فِي أَمْرِ مَهْمٍ . فَرَكِبَ فِي قَائِلَةِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ حَادِي عَشْرِينَ^(c) شَعْبَانَ سَنَةِ اِثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فِي نَفَرٍ مِنْ تَمَالِيكِهِ ، وَهُوَ آمِنٌ مَطْمَئِنٌّ بِمَا صَارَ لَهُ فِي الْأَنْفُسِ مِنَ الْخَوْفَةِ وَالْمَهَابَةِ ، وَبِمَا يَتَّقَى بِهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ وَانْتَهَى إِلَى بَابِ^(d) قَاعَةِ الْعَوَامِيدِ⁽¹⁾ ، غَوَّقَ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْمَمَالِيكِ عَنِ الدُّخُولِ مَعَهُ ، وَوَتَّبَعَ بِهِ الْمَمَالِيكُ الَّذِينَ أَعَدَّهُمُ الْمُعِزُّ ، وَتَنَاولُوهُ بِالسُّيُوفِ فَهَلَكَ لَوْقَتِهِ ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ الْقَلْعَةِ وَانْتَشَرَ الصَّوْتُ بِقَتْلِهِ فِي الْبَلَدِ .

فَرَكِبَ أَصْحَابُهُ وَخُشْدَاشِيَّتُهُ⁽²⁾ - وَهُمْ نَحْوُ السَّبْعِ مِائَةِ فَارِسٍ - إِلَى تَحْتِ الْقَلْعَةِ ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ الْفَارِسَ أَقْطَايَ لَمْ يُقْتَلْ ، وَإِنَّمَا قَبِضَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ ، وَأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَهُ حَتَّى يُطْلِقَهُ لَهُمْ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا بِرَأْسِ الْفَارِسِ أَقْطَايَ وَقَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَلْعَةِ ، فَانْفَضُّوا لَوْقَتِهِمْ ، وَتَوَاعَدُوا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ

(a) بولاق : قديمًا . (b) بولاق : بِمَمْلَكَةِ مِصْرَ . (c) بولاق : حَادِي عَشَرَ . (d) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقِ .

Citadel of Cairo : Stage for Mamluk Ceremonial» *An. Isl.* XXIV (1988), pp. 52-54 .

² خُشْدَاش - خُشْدَاشِيَّةٌ وَبِكْتَبُ أَحْيَانًا خَوْشْدَاش : مَعْرَبُ اللَّفْظِ الْفَارِسِيِّ خَوْجَاتَاش أَيْ الزَّمِيلُ فِي الْخِدْمَةِ . وَفِي مِصْطَلَحِ الْعَصْرِ الْمَمَالِكِيِّ فِي مِصْرَ يَعْنِي الْأَمْرَاءَ الَّذِينَ نَشَأُوا بِمَمَالِيكٍ عِنْدَ سَيِّدٍ وَاحِدٍ فَنَبِيتَ بَيْنَهُمْ رَابِطَةُ الزَّمَالَةِ الْقَدِيمَةِ (الْمَقْرِيزِيُّ : السُّلُوكُ ١ : ٣٨٨-٣٨٩ هـ^٢) .

¹ قَاعَةُ الْعَوَامِيدِ (الْأَعْمَدَةُ) - إِحْدَى قَاعَاتِ الْقَلْعَةِ الْمُخَصَّصَةِ لِحَاجَاتِ السُّلْطَانِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَهِيَ الْقَاعَةُ الْكِبْرَى ، وَكَانَتْ يَرْسُمُ خُؤُنْدُ الْكِبْرَى . وَيَرْجِعُ أَقْدَمُ ذِكْرٍ لَهَا إِلَى زَمَنِ السُّلْطَانَةِ شَجَرِ الدُّرِّ ، وَقَدْ أَعَادَ بَنَاءَهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قِلَاقُونَ (ابْنُ إِبَاسٍ : بِدَائِعِ الزُّهُورِ ١/١ : ٢٨٦ ؛ أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ ١٢ : ١٤٥) ابْنُ شَاهِينَ الظَّاهِرِيِّ : زَيْدَةُ كَشْفِ الْمَمَالِكِ ٢٦-٢٧) «The Behrens-Abouseif D.,

مصر إلى الشام. وأكابرهم يومئذ ببيزس البندقداري، وقلأزون الألفي، وسنقر الأشقر، ويتسري، وسكر^٥، وبرايق. فخرجوا في الليل من يوتهم بالقاهرة إلى جهة باب القروطين - ومن العادة أن تُغلق أبواب القاهرة بالليل - فالتقوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه، فقبل له من ذلك الوقت «الباب المحروق»، وعرف به^١. وأما القوم فإنهم ساروا إلى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام، فقبلهم وأنعم عليهم، وأقطعهم إقطاعات، واستكثر بهم^٢.

وأصبح المعز وقد علم بخروجهم إلى الشام، فأوقع الخوطة على جميع أموالهم ونسائهم وأولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم، وتبعهم ونادى عليهم في الأشواق بطلب البخرية، وتحذير العامة من إختفائهم، فصار إليه من أموالهم ما ملأ عينه^٣.

واستمرت البخرية في الشام إلى أن قتل المعز أيتك، وخليع ابنه المنصور، وتسلطن الأمير قطز، فراجعوا في أيامه إلى مصر، وآلت أحوالهم إلى أن تسلطن منهم بييزس وقلأزون، ولله عاقبة الأمور^٤.

باب البرقية

..... (c) ٤.

(a) بولاق : سكر . (b) بولاق : عينه . (c) على هامش أباصونيا : ياض بقدر سبعة أسطر .

- ^١ ظن محمد رمزي بك أن مكان باب المحروق بسور القاهرة الشرقي على رأس درب المحروق داخل شارع فاطمة النبوية بالدرب الأحمر (أبو المحاسن : النجوم ٩: ١٨٧هـ)، ولكنه بعد مناقشة هذا الموضوع مع الأستاذ كريدويل مال إلى أن الباب الذي اشتهر باسم الباب المحروق لا يتجاوز عرضه متراً وأنه ليس من أبواب المدينة، بل إنه فتحة من فتحات برج كبير مثل برج الظفر، وأن هذه الفتحة لم تستعمل للمرور بل للدفاع، وعلى ذلك فإن الباب المحروق لم يكن على رأس درب المحروق عند البرج رقم ١٧، بل مكانه بين البرجين رقم ١٣ و ١٤ من أبراج سور القاهرة الشرقي وأن هذا الباب هدم وسد مكانه من قديم ببناء يختلف شكلاً ونوعاً عن البناء القديم، فتكون الطريق التي كانت تؤصل من هذا الباب إلى داخل المدينة تنجّه من الباب المذكور إلى الرجة الواقعة الآن أمام جامع أضلم البهائي،
- على رأس درب شغلان بقسم الدرب الأحمر (نفسه ١١: ٥٨هـ)، وانظر فيما تقدم ٢٦٦هـ^١.
- ^٢ انظر فيما تقدم ٥٨٠: ١.
- ^٣ انظر ابن أبي الفضائل : النهج السديد (PO XII, p. 592, (1919))، القريزي : السلوك ١: ٣٩٠-٣٩١، ابن ياس : بدائع الزهور ١/١: ٢٩١-٢٩٢، وانظر فيما تقدم ٥٨٠: ١، وفيما يلي ٢٣٦: ٢-٢٣٧.
- ^٤ من الغريب أن لا يخصص القريزي أي وصف لباب البرقية (باب التوفيق)، فالحق المخصص له ظل شاغراً في جميع نسخ الخطط التي رجعت إليها. وقد كُثِفَ عن هذا الباب في عام ١٩٥٧ أثناء شق طريق صلاح سالم وشارع المنصورة ويحمل نصاً إنشائياً يُرجع بناءه إلى أمير الجيوش بدر الجمالي في الحرم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، ويطلق على -



باب البرقية (التوفيق)

[النص التأسيسي لباب البرقية (التوفيق) .

«(١-٢) بِسْمِ اللَّهِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَجْمَعِينَ [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] (٣) بِعِزِّ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ مُحَاطٌ الْإِسْلَامُ وَتُنْشَأُ الْمَعَاوِلُ وَالْأَسْوَارُ . رَأَى إِنْشَاءَ هَذَا ؛ بَابِ التَّوْفِيقِ وَالسُّورِ الْمُحِيطِ بِالْمِعْزِيَّةِ الْقَاهِرَةِ الْمَخْرُوسَةِ خَفَاها اللَّهُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا مَعَدَّ أَيْ تَمِيمِ الْإِمَامِ الْمُشْتَقِصِرِ (٤) بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ وَأَنْبِيَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، الشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَمِيرِ الْجَيْشِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي النَّجْمِ بَذَرِ الْمُشْتَقِصِرِ ، عَضُدِ اللَّهِ بِهِ الدِّينُ ، وَمَنْعُ يُطَوِّلُ بَقَايِهِ (٥) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ ، الَّذِي خَصَّنَ اللَّهُ بِخُشْنِ تَذْبِيرِهِ الدَّوْلَةَ وَالْأَنَامَ وَشَمِلَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، اتِّغَاءِ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَطَلَبِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَصِيَانَةِ كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ وَازْدِلَافًا إِلَى اللَّهِ بِجِبَاظَةِ الْكَافَّةِ . وَيُبْدَى بِعَمَلِهِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةِ لِلْهَجْرَةِ الْخَنَفِيَّةِ»[.

يتيق من البابين الشرقيين سوى أشكفة أحد هذين البابين . أما الباب الذي كشف عنه الآن فهو ترميمٌ عُيِّلَ في زمن الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . (راجع Wiet, G., «Une nouvelle inscription fatimide au Caire», JA CCXLIX (1961), pp. 13-20; Fu'ad Sayyid, A., (La Capitale de l'Égypte, pp. 418-24 .

= الباب اسم «باب التوفيق» . ولكن هذا الباب عبارة عن مدخل مقوَّس بسيط لا توجد به أي بدانات أو أبراج ؛ ويبدو أن هذا كان طبيعة الأبواب التي كانت تفتح في أسوار القاهرة الشرقية والغربية . ويرجع ذلك إلى أن السور الشرقي قد فقد قبل عصر المقرئزي ، حتى إنه ذكر فيما سبق (٢١٣) أنه لم

ذِكْرُ قُصُورِ الْخُلَفَاءِ وَمَنَاظِرِهِمْ

وَالْإِمْلَاعُ بِطَرَفٍ مِنْ مَسَائِرِهِمْ، وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ أَسْوَاحُهَا مِنْ بَعْدِهِمْ

اعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَظُؤَاهِرِهَا قُصُورٌ وَمَنَاظِرٌ مِنْهَا: «الْقَصْرُ الْكَبِيرُ الشَّرْقِيُّ» الَّذِي وَصَّعَهُ الْقَائِدُ/ جَوْهَرٌ عِنْدَمَا أُنَاجَ فِي مَوْضِعِ الْقَاهِرَةِ، وَمِنْهَا: «الْقَصْرُ الصَّغِيرُ الْغَرْبِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ الثَّانِعِي»، وَ«قَصْرُ الذَّهَبِ»، وَ«قَصْرُ الْإِقْبَالِ»^(a)، وَ«قَصْرُ الطُّقْرِ»، وَ«قَصْرُ الشَّجَرَةِ»، وَ«قَصْرُ الشُّوْكَ»، وَ«قَصْرُ الزُّمُرَدِ»، وَ«قَصْرُ التَّسِيمِ»، وَ«قَصْرُ الْحَرِيمِ»، وَ«قَصْرُ الْبَيْخَرِ». وَهَذِهِ كُلُّهَا قَاعَاتٌ وَمَنَاظِرٌ مِنْ دَاخِلِ سُورِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ، وَيُقَالُ لَهَا: «الْقُصُورُ الزَّاهِرَةُ»، وَيُسَمَّى مَجْمُوعُهَا «الْقُصُورُ». وَكَانَ بِجِوَارِ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ «الْمِيدَانُ»، وَ«الْبَيْتَانُ الْكَافُورِيُّ».

وَكَانَ لَهُمْ عِدَّةُ مَنَاظِرٍ وَأَدْرَ سُلْطَانِيَّةٍ غَيْرِ هَذِهِ الْقُصُورِ مِنْهَا: «دَارُ الضِّيَافَةِ»، وَ«دَارُ الْوِزَارَةِ الْكَبِيرِ»^(b)، وَ«دَارُ الْوِزَارَةِ الْقَدِيمَةِ»، وَ«دَارُ الصُّرْبِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِجِوَارِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ»، وَ«مَنْظَرَةُ اللَّوْلُؤَةِ عَلَى الْخَلِيجِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ»، وَ«مَنْظَرَةُ الْغَزَالَةِ»، وَ«دَارُ الذَّهَبِ»، وَ«مَنْظَرَةُ الْمَقْسِ»، وَ«مَنْظَرَةُ الدُّكَّةِ»، وَ«الْبَغْلُ»، وَ«الْخَمْسُ وَجُوهَ»، وَ«التَّاسِخُ»، وَ«قُبَّةُ الْهَوَاءِ»، وَ«الْبَيْتَانِ الْجَيُوشِيَّةِ»، وَ«الْبَيْتَانُ الْكَبِيرِ»، وَ«مَنْظَرَةُ الشُّكْرَةِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ ظَاهِرُ بَابِ الْفَتْوحِ»، وَ«دَارُ الْمُلْكِ» بِمَدِينَةِ مِصْرَ، وَ«مَنَاظِرُ الْعِزَّةِ بِهَا»، وَ«مَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةِ» بِالسَّاحِلِ، وَ«مَنْظَرَةُ بِجِوَارِ جَامِعِ الْقَرَافَةِ الْكَبِيرِ» - الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِجَامِعِ الْأَوْلِيَاءِ - وَ«الْأَنْدُلُسُ» بِالْقَرَافَةِ، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِبُرْجَةِ الْحَيْشِ».

وَسَأَذْكَرُ مِنْ اخْتِيَارِ هَذِهِ الْأَمَاكِينِ فِي مَثَدَةِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا بِحَسَبِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الْقَصْرُ الْكَبِيرُ

هَذَا الْقَصْرُ كَانَ فِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ، فَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: «الْقَصْرُ الْكَبِيرُ الشَّرْقِيُّ»، وَيُسَمَّى «الْقَصْرُ الْمُعْزِيُّ»؛ لِأَنَّ الْمُعْزَ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبَا تَمِيمٍ مَعْدًا هُوَ الَّذِي أَمَرَ عَبْدَهُ وَكَاتِبَهُ جَوْهَرَ

بينائه حين سَيَّرَهُ من رِفَادَةِ - أخذ بلاد إفريقية - بالعساكر إلى مصر وألقى إليه تَرْتِيه ، فَوَضَعَهُ على الترتيب الذي رَسَمَهُ له ^١.

وَيُقَالُ : إِنَّ جَوْهَرًا لَمَّا أَسَسَهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَنَاخَ قَبْلَهَا فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَضْبَحَ رَأَى فِيهِ زُورَاتٍ ^٢ غير معتدلة لم تعجبه ، فقيل له في تغييرها ، فقال : «قد حُفِرَ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ وَسَاعَةٍ سَعِيدَةٍ» . فتركه على حاله ^٣.

وكان ابتداء وَضْعِهِ ، مع وَضْعِ أساس سُورِ الْقَاهِرَةِ ، فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَرُكِّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ ^٤ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَدَارَ عَلَيْهِ سُورًا مُحِيطًا بِهِ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . وَهَذَا الْقَصْرُ كَانَ دَارَ الْخِلَافَةِ ، وَبِهِ سَكَنَ الْخُلَفَاءُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ^٥ . فَلَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، أَخْرَجَ أَهْلَ الْقَصْرِ مِنْهُ ، وَأَسْكَنَ فِيهِ الْأَمْراءَ ، ثُمَّ خَرِبَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ^٦ .

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي كِتَابِ «خِطَطِ الْقَاهِرَةِ» ، عَنْ مُرْهَفِ بَوَّابِ بَابِ الرُّهْمَةِ ، أَنَّهُ قَالَ : «أَعْلَمُ هَذَا الْبَابَ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ دَخَلَ إِلَيْهِ حَطَبٌ ، وَلَا زُمِيَ مِنْهُ ثَرَابٌ» . قَالَ : وَهَذَا أَخَذُ أَشْبَابَ خَرَابِهِ لَوْ قُودَ أَخْشَابِهِ وَتَكْوِيمِ ثَرَابِهِ .

قَالَ : وَلَمَّا أَخَذَهُ صَلَاحُ الدِّينِ وَأَخْرَجَ مِنْ كَانَ بِهِ ، كَانَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ نَسْمَةٍ ، لَيْسَ فِيهِمْ فَعْلٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ ، فَأَسْكَنَهُمْ دَارَ الْمُظْفَرِ بِحَارَةِ بَرْجَوَانَ ، وَكَانَتْ تُقْرَفُ بِدَارِ الصُّبْيَانَةِ ^٧ .

(a) بولاق : لزوارات . (b) بولاق : بابان . (c) بولاق : أيامهم .

Ravaiss, P. *Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire*, MMIFAO I, III (1887, 1890); Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 210-99; id., «Le grand palais fatimide au Caire», dans *L'Égypte fatimide son art et son histoire*, Paris 1999, pp. 117-25; Hampikian, N. & Cyran, M., «Recent Discoveries concerning the Fatimid Palaces uncovered during the Conservation Works on Parts of al-Salihiyya (Complex)», *L'Égypte Fatimide*, pp. 649-57.

^٢ فيما تقدم ٢١٢ .

^١ كان القصر الفاطمي الشرقي الكبير يشغل مساحة تبلغ سبعة عشر فدانًا تمثل نحو ثلث مساحة القاهرة ، يُحدّد مكانها اليوم المنطقة الواقعة بين خان الخليلي والمشهد الحسيني جنوبًا والجامع الأحمر وخانقاه بيرس الجاشنكير شمالًا (فيما تقدم ٢١٤-٢١٨) . وللأسف الشديد فُتح نجهل كل شيء عن عمارته ، حيث زال كل أثر لهذا القصر وخلّت محله الآن المدارس التي أنشئت في العصرين الأيوبي والمملوكي وحيّ خان الخليلي في الجنوب وحيّ الجمالية في الشمال . (ولتفاصيل أكثر حول حدود هذا القصر وطبوغرافيته الداخلية راجع ،

قال: وَوَجَدَ إِلَى جَانِبِ الْقَصْرِ بَيْتًا تُعْرَفُ بِبَيْتِ الصَّنَمِ، كَانَ الْخُلَفَاءُ يَرْمُونَ فِيهَا الْقَتْلَى، فَقِيلَ: إِنَّ فِيهَا مَطْلَبًا وَقَصْدَ تَغْوِيرِهَا، فَوَجَدَهَا^(هـ) مَعْمُورَةً بِالْجَانِ، وَقَتَلَ عَمَارَهَا^(ب) جَمَاعَةً مِنْ أَشْيَاعِهِ، فَرُوِدِمَتْ وَتُرِكَتْ^(١). انتهى.

وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أَعْطَى هَذَا^(ج) الْقَصْرَ الْكَبِيرَ لِأَمْزَاءِ دَوْلِهِ، وَأَنْزَلَهُمْ فِيهِ فَسَكَنُوهُ، وَأَعْطَى الْقَصْرَ الصَّغِيرَ الْعَرَبِيَّ لِأَخِيهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَيْفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ فَسَكَنَتْهُ، وَفِيهِ وَلِدَ لَهُ ابْنُهُ الْكَامِلُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ. وَكَانَ قَدْ أَنْزَلَ وَالِدَهُ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي فِي مَنْظَرَةِ الْوُلُوءَةِ.

وَلَمَّا قَبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ دَاوُدَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ - وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ، وَتُبِعَتْ بِهِ «الْحَامِدُ لِلَّهِ» - اعْتَقَلَهُ وَجَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَهُمْ: أَبُو الْأَمَانَةِ جَبْرِيلُ، وَأَبُو الْفَتْوحِ وَابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ابْنِ الْعَاضِدِ،^(د) وَعَبْدُ الظَّاهِرِ بْنِ خَيْدَرِ بْنِ الْعَاضِدِ^(د)، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَاضِدِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَاضِدِ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي الظَّاهِرِ بْنِ جَبْرِيلَ، وَعَبْدُ الظَّاهِرِ بْنِ أَبِي الْفَتْوحِ بْنِ جَبْرِيلَ ابْنِ الْحَافِظِ وَجَمَاعَةٌ. فَلَمْ يَزَالُوا فِي الْأَعْتِقَالِ بِدَارِ الْمُنْظَرِ وَغَيْرِهَا، إِلَى أَنْ انْتَقَلَ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ مِنْ دَارِ الْوِزَارَةِ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، فَتَقَلَّ مَعَهُ وَلَدُ الْعَاضِدِ وَإِخْوَتُهُ وَأَوْلَادُ عَمِّهِ، وَاعْتَقَلَهُمْ بِهَا. وَفِيهَا مَاتَ دَاوُدُ بْنُ الْعَاضِدِ^(٢).

وَلَمْ يَزَلْ بِقِيَتِهِمْ مَعْتَقَلِينَ بِالْقَلْعَةِ إِلَى أَنْ اسْتَبَدَّ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَاسَ الْبُنْدُوقْدَارِي، فَأَمَرَ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^(هـ) بِالْإِشْهَادِ عَلَى كَمَالِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَاضِدِ، وَعِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْأَمِيرِ أَبِي الْفَتْوحِ بْنِ الْعَاضِدِ، وَبَذَرَ الدِّينَ عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَاضِدِ: أَنَّ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَتَلِي الْمَدَارِسَ الصَّالِحِيَّةَ مِنَ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ، وَالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْثُرْبَةِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِحُطِّ الْحَوْخِ الشَّيْخِ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ الثَّانِي عِيَّ بِالْحُطِّ الْمَذْكُورِ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْجُبَّاسَةِ بِالْحُطِّ الْمَذْكُورِ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِخَزَائِنِ السِّلَاحِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَا هُوَ بِحُطِّهِ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِسَكَنِ أَوْلَادِ شَيْخِ/ الشُّيُوخِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَصْرِ

(a) بولاق: فقيل إنها. (b) ابن عبد الظاهر: وقتلى عمادها. (c) ساقطة من بولاق. (d-d) ساقطة من بولاق.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٤-١١٥: ٦٨-٦٩، وفيما يلي ص ٦٠٩. القلقشندي: صبح ٣: ٤٨٨؛ القرظي: مسودة المواظ ^٢ فيما يلي ص ٦٠٩.

الشَّارِعَ بَائِهِ قُبَالَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الثَّبَوِيِّ الْكَامِلِيَّةِ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الْفِطْرَةِ بِحُطِّ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الضِّيَافَةِ بِحَارَةِ بَرْجَوَانٍ ، ^(٨) وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الذَّهَبِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ ^(٩) ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِاللُّؤْلُؤَةِ ، وَجَمِيعِ قَصْرِ الرُّمُودِ ، وَجَمِيعِ الْبَيْتَانِ الْكَافُورِيِّ ، مِلْكٌ لِبَيْتِ الْمَالِ بِالنَّظَرِ الْمُؤَلَّوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلَكِيِّ الظَّاهِرِيِّ ، مِنْ رَجْهِ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لَا رَجْعَةَ لَهُمْ فِيهِ ، وَلَا لَوَاجِدٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَلَا مَثْنَوِيَّةٍ ^(١٠) ، بِسَبَبِ يَدٍ وَلَا مِلْكٍ وَلَا رَجْهِ مِنْ الْوَجْهِ كُلِّهَا ، خَلَا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ مَذْقَنِ لَأَبَائِهِمْ .

فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ، وَوُزِّعَ ^(١١) الْإِشْهَادُ بِالثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَأُثْبِتَ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ بَنْتِ الْأَعَزِّ الشَّافِعِيِّ . وَتَقَرَّرَ مَعَ الْمَذْكُورِينَ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ قَبْضُهُ مِنْ أَمَانٍ بَعْضِ الْأَمَاكِينِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي عَاقَدَ عَلَيْهَا وَكَلَاؤُهُمْ وَاتَّصَلُوا إِلَيْهِ ، يُحَاسِبُونَهَا مِنْ جُمْلَةٍ مَا تَحَرَّرَ ثَمَنُهُ عِنْدَ وَكِيلِ بَيْتِ الْمَالِ .

وَقَبِضَتْ أَيْدِي الْمَذْكُورِينَ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمَاكِينِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى آبَائِهِمْ ، وَرُسِمَ بِتَبَعِ ذَلِكَ ، فَبَاعَهُ وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ كِمَالُ الدِّينِ ظَافِرٌ شَيْخًا بَعْدَ شَيْءٍ ^١ . وَتَقَبَّضَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي ، وَابْتَنِيَتْ فِي مَوَاضِعِهَا عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَغَيْرِهَا كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ هَذَا «الْقَصْرُ» يَشْتَغِلُ عَلَى مَوَاضِعِ مِنْهَا :

قَاعَةُ الذَّهَبِ

وَكَانَ يُقَالُ لِقَاعَةِ الذَّهَبِ «قَصْرُ الذَّهَبِ» ^٢ ، وَهُوَ أَخَذَ قَاعَاتِ الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ قَصْرُ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ مُعَدَّةً . ^(٣) وَبَنَى قَصْرَ الذَّهَبِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ ^(٤) ، وَكَانَ يُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الذَّهَبِ

(a-a) ساقط من أبياصوفيا . (b) بولاق : منه ولاء ولا شبهة . (c) بولاق : ورخوا . (d-d) ساقطة من مسودة المواقف .

^١ هذه الفقرة من الممكن أن يكون مصدرها هو كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لأبن عبد الظاهر ، ولكنها غير موجودة في النص الذي وصل إلينا ، وهو نص ناقص غير تام . وانظر كذلك القرطبي : مسودة المواقف ٦٦-٦٨ ، وفيما يلي ٦١٠ .

^٢ يُطْلَقُ الْمُسْتَبَحِيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤٢٠ هـ عَلَى هَذِهِ الْقَاعَةِ لَفْظَ «قَصْر» وَسَمَاهَا «قَصْرُ الذَّهَبِ» (أخبار مصر ٢٨ ، ٣٦) ، وَلَكِنْ اعْتِبَارًا مِنْ مَطْلَعِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ نَجَدَ لَفْظَ «قَاعَةُ» هُوَ الْمُسْتَحْدَمُ فِي التَّدْلِيلِ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدَ

الذي كان مُقَابِلًا للدار القُطَيْبِيَّة - التي هي اليوم المَارِسْتَان المَنْصُورِي - ويُذْخَلُ إليه أيضًا من باب البَحْر الذي هو الآن تجاه المَدْرَسَةِ الكَامِلِيَّة ^١. وَجَدَ هذا القَصْر من بعد الغَزِيْر الحَلِيقَةُ المُسْتَصْبِرُ في سنة ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَع مِائَةٍ.

وبهذه القَاعَةُ كَانَتِ الحُلَفَاءُ تَجْلِسُ فِي المَوْكِبِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ. وبها كَانَ يُعْمَلُ سِمَاطٌ شَهْرَ رَمَضَانَ لِلْأَمْرَاءِ وَسِمَاطُ الْعِيدَيْنِ، وبها كَانَ سَرِيرُ المُلْكَ ^٢.

هَيْئَةُ جُلُوسِ الخَلِيفَةِ بِمَجْلِسِ المُلْكَ ^٣ - قَالَ الفَقِيْهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زُولاَاقٍ فِي كِتَابِ «سِيَرَةِ المِيزَةِ»: وَكَانَ وُضُوءُ المِيزَةِ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى قَصْرِهِ بِمِصْرَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثِ، لَسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَصْرِهِ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَصَلَّى بِصَلَاتِهِ كُلُّ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ. وَاسْتَقَرَّ فِي قَصْرِهِ بِأَوْلَادِهِ وَحَشَمِهِ وَخَوَاصِّ عِبِيدِهِ. وَالقَصْرُ يَوْمَئِذٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَيْنٍ وَوَرِقٍ وَجَوْهَرٍ وَخَلِيٍّ وَفَرْشٍ وَأَوَانٍ وَثِيَابٍ وَسِلَاحٍ وَأَسْفَاطٍ وَأَعْدَالٍ وَسُرُوجٍ وَلُحْمٍ، وَبَيْتَ المَالِ بِحَالِهِ بِمَا فِيهِ، وَفِيهِ جَمِيعُ مَا يَكُونُ لِلْمُلُوكِ ^٤.

وَاللَّصُفُفُ مِنْ رَمَضَانَ جَلَسَ المِيزَةُ فِي قَصْرِهِ عَلَى الشَّرِيرِ الذَّهَبِ الَّذِي عَمَلَهُ عَبْدُهُ القَائِدُ جَوْهَرُ فِي الإِيوَانِ الجَدِيدِ، وَأَوَّزَ بِدُخُولِ الأَشْرَافِ أَوَّلًا، ثُمَّ أَدْنَى بَعْدَهُمُ لِلأَوَّلِيَاءِ وَلِسَائِرِ وَجُوهِ النَّاسِ. وَكَانَ القَائِدُ جَوْهَرُ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ يُقَدِّمُ النَّاسَ قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ.

ثُمَّ مَضَى القَائِدُ جَوْهَرُ، وَأَقْبَلَ بِهَدِيَّتِهِ الَّتِي عَاجَلَهَا ظَاهِرَةٌ بِرَأَاها النَّاسُ، وَهِيَ: مِنْ الخَيْلِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ فَرَسًا مُشْرِجَةً مُلْجَمَةً: مِنْهَا مِئْذَنُوبٌ وَمِنْهَا مُرْصَعٌ وَمِنْهَا مُعْتَبِرٌ، وَوَاجِدٌ ^٥ وَثَلَاثُونَ قُبَّةً عَلَى ثَوَقٍ بَخَاتِي بِالذِّيَابِ وَالْمَنَاطِقِ وَالْفَرْشِ مِنْهَا تِسْعَةٌ بِدِيَابِجٍ مُثْقَلٍ، وَتِسْعُ ثَوَقٍ مَجْنُوبَةٌ مُزَيَّنَةٌ بِمُثْقَلٍ، وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ بَغْلًا مِنْهَا سَبْعَةٌ مُشْرِجَةٌ مُلْجَمَةٌ، وَمِائَةٌ وَثَلَاثُونَ بَغْلًا لِلنَّقْلِ، وَتِسْعُونَ نَجِييًا، وَأَرْبَعَةٌ صِنَادِيقُ مُشَبَّكَةٌ يُرَى مَا فِيهَا وَفِيهَا أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِائَةٌ سَيْفٍ مَحْلًى بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَدَرَجَانِ مِنْ فِضَّةٍ مُخَرَّقَةٍ فِيهَا جَوْهَرٌ وَشَاشِيَةٌ مُرْصَعَةٌ فِي غِلَافٍ، وَتِسْعُ

(a) مسودة المواظع: ذكر جلوس الخليفة بمجلس الملك بالقاعة المذكورة. (b) بولاق: وإحدى.

^١ انظر المقرئري: مسودة المواظع ١١٥.

^٢ نفسه ٧٠.

^٣ المقرئري: اعتاظ ١: ١٣٥.

= ابن المأمون وابن الطُّوَيَّر (راجع تخطيط هذه القاعة والنموذج الذين شُكِّتَا عَلَى أَسَاسِهِ عِنْدَ أَمِينِ فُؤَادِ سِيدٍ: مُقَدِّمَةُ نَزْهَةِ الْمُتَلَتِّلِينَ لِابْنِ الطُّوَيَّرِ ٨٧* - ٩٦* Fu'âd: Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 242-46.

مائة ما بين سَفَط وتَحْت، فيها سائر ما أَعَدَّه^(١) له من ذَخَائِر مصر^١.

وفي يوم عَرَفَةَ نَصَبَ المِعْزُ «الشَّمْسَةُ» التي عَمِلَهَا لِلكَفَّةِ على إِيوان قَصْرِهِ، وَسِعَتْهَا اثنا عشر شَبْرًا في اثني عشر شَبْرًا، وأَرْضُهَا دِيْبَاجٌ أَحْمَرٌ، ودَوْرُهَا اثنا عشر هِلَالَ دَهَبٍ، في كُلِّ هِلَالٍ أَتْرُجَّةٌ دَهَبٌ مُشَبَّكٌ^(٢)، جَوْفٌ كُلُّ أَتْرُجَّةٍ خَمْسُونَ ذُرَّةً كِبَارَ كَيْبُضِ الحَمَامِ، وفيها اليَاقُوتُ الأحمر والأَصْفَرُ والأَزْرَقُ، وفيها كِتَابٌ دَوْرُهَا^(٣) آهَاتُ الحَجِّ بِزُمُرَدٍ أَحْضَرٍ قد فُسر، وَخَشَوُ الْكِتَابِ ذُرٌّ كَبِيرٌ لَمْ يُزِمْ مِثْلَهُ، وَخَشَوُ الشَّمْسَةِ المِشْكُ المَسْحُوقُ، يراها النَّاسُ في القصرِ ومن خَارِجِ القصرِ لَعَلُّوْ مُوَضِّعِيهَا، وَلَمَّا نَصَبَهَا عِدَّةُ فَرَّاشِينَ، وَجَرَّوْهَا لِثِقَلِ وَزْنِهَا^٢.

وَقَالَ في كِتَابِ «الذَّخَائِرِ وَالتَّحْفِ» وما كَانَ بِالْقَصْرِ من ذَلِكَ: إِنَّ وَزْنَ مَا اسْتَعْمَلَ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيقِ الخَالِصِ في سَرِيرِ المُلْكِ الكَبِيرِ مِائَةُ أَلْفٍ مِثْقَالٍ وَعِشْرَةُ أَلْفٍ مِثْقَالٍ، وَوَزْنُ مَا حُلِّيَ بِهِ الشَّرُّ الَّذِي أَنشَأَهُ سَيِّدُ الوُزَرَاءِ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيَازُورِيُّ مِنَ الذَّهَبِ أَيْضًا ثَلَاثُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ، وَأَنَّهُ رُصِّعَ بِأَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةِ وَسْتِينَ قِطْعَةً بِجَوْهَرٍ مِنْ سَائِرِ أَلْوَانِهِ^٣.

وَذَكَرَ أَنَّ فِي الشَّمْسَةِ الكَبِيرَةِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ دَهَبًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَحْرَقَةٍ، وَثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ قِطْعَةٍ بِجَوْهَرٍ مِنْ سَائِرِ أَلْوَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ، وَأَنَّ فِي الشَّمْسَةِ الَّتِي لَمْ تَتَمَّ مِنَ الذَّهَبِ/ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ^٤.

وَقَالَ المُوْتَضَّى أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ السَّلَامِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ الحَسَنِ بنِ عَبْدِ السَّلَامِ بنِ الطُّوَيْنَرِ الفِهْرِيِّ القَيْسِرَانِي الكَاتِبِ المِصْرِيِّ فِي كِتَابِ «نَزْهَةِ الْمُقَلَّتَيْنِ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَتَيْنِ الفَاطِمِيَّةِ وَالصَّلَاحِيَّةِ»،

(a) بولاق: أهد. (b) بولاق: مسبك. (c) بولاق: وفي دورها كتابة، وفي اتعاط: دورها مكتوب.

^١ المقرئ: اتعاط الحنفا ١: ١٣٦.

^٢ نفسه ١: ١٤٠-١٤١، والشَّمْسَةُ جِلْيَةٌ ضخمة كانت ترسل إلى الكعبة في موسم الحج في صحة قائد خاص، لتعلق في وجه الكعبة، وسميت بذلك لأنها تشبه الشمس؛ ولها اثنا عشر ذراعًا تشبه أشعة الشمس، ورجح الدكتور جمال الدين الشيال - الذي وقف طويلاً أمام هذا النص كما ورد في اتعاط الحنفا - أن عدد الأشعة لم يجعل اثنا عشر عقراً بل فصلاً ليمثل عدد شهور السنة، فموسم الحج يحل بعد مضي اثني عشر شهراً أي سنة كاملة، والأهلة الموجودة في نهاية الأشعة تمثل الشهور القمرية الهجرية (اتعاط الحنفا ١: ١٤٠-١٤١ هـ^١).

^٣ الذخائر والتحف ٢٦٢.

^٤ كُلُّ النص المنقول عن «سيرة المعزة لابن زولاق» وكتاب «الذخائر والتحف» غير موجود في مسودة المواعظ.

الفصل العاشر في ذكر هَيْتِهِمْ في الجُلُوس العام بِمَجْلِس المُلْك^١: (٥) ولا يتعدى ذلك يومي الاثنين والخميس، ومن كان أقرب الناس إليهم، ولهم خِدم لا تخرج عنهم^٢، ويُتَنظَر للجُلُوس الخليفة أحد اليَوْمَيْن المذكورَيْن - (ب) يعني الاثنين والخميس^٣ -، وليس على التَّوَالِي بل على التَّعَارُف.

٥ فإذا تهيأ ذلك في يَوْم من هذه الأيام، استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة^٤ على الرُّسْم المعتاد في سرعة الحركة، فيركب في أَهْبِيته^٥ وجماعته على الترتيب المقدم ذكره - يعني في ذكر الركوب أول العام، وسيأتي إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب - فيصير من مكان ترجله عن دابته بـ «دهليز العمود» بالقصر^٦ إلى «مقطع الوزارة»^٧، وبين يديه أجلاء أهل الإمارة، كل ذلك بقاعة الذهب التي كان يسكنها السلطان بالقصر.

١٠ وكان الجُلُوس قَبْل ذلك بالإيوان الكبير - الذي هو خَزَائِن الصَّلاح^٨ - وفي صدره على سرير المُلْك، وهو باقي في مكانه إلى الآن من هذا المكان إلى آخر أيام المُستعْلِي. ثم إنَّ الأَمْر نُقِلَ الجُلُوس إلى هذا المكان، واسمه مكتوب بأعلى باب^٩ (d) بأذهنته^{١٠} إلى اليوم؛ فيكون المَجْلِس

(a-a) ساقطة من مسودة المواعظ. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: أبهته. (d) ساقطة من بولاق.

- ١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٠٥-٢٠٦.
- ٢ صاحب الرسالة. من الأستاذين المحتكين، ووظيفته واحدة من تسع وظائف أصحابها هم خواص الخليفة (ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٥٣، ١٧٩، ٢٠٧، ٢١٠ القلقشندي: صبح الأعشى ٤٨١: ٣).
- ٣ دهليز العمود. رواق بأعمدة كان يسبق قاعة الذهب ثمَّا يعطي انطباعاً بأن القاعة كانت في غاية الاتساع، وأنه كان من الضروري وجود دعائم لرفعها، مكونة من عدد من الأعمدة (ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٦١، ٢٠٦ ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة ١/٣: ٥٦)، وهو ما يتفق مع وصف غليوم أسقف صور كما نقله إلى الفرنسية جستانف شُلْمُزْجِيه بقول: «Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques portiques à
- collonades» أي «فناء واسع مكشوف يحيط به أروقة ذات أعمدة» (Schlumberger, G., Compagnes du Roi Amaury I^{er} de Jérusalem en Égypte au XII^e siècle, Paris, 1906, p. 119).
- ٤ مقطع الوزارة. هو ما يُنْقَلُ عليه قُودكم المجلس أو «فردكم مجلس اللعبة»، كان هو الموضع المعد للجُلُوس الوزير في القاعة (ابن المأمون: أخبار مصر ٢٠، ٤٨، ١٨٨ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٦٨، ١٦١، ٢٠٦، ٢٠٨ ابن مسير: أخبار مصر ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١٢٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٦، ١٧١٧، ١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٢١، ١٧٢٢، ١٧٢٣، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٢٦، ١٧٢٧، ١٧٢٨، ١٧٢٩، ١٧٣٠، ١٧٣١، ١٧٣٢، ١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨، ١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٧٤١، ١٧٤٢، ١٧٤٣، ١٧٤٤، ١٧٤٥، ١٧٤٦، ١٧٤٧، ١٧٤٨، ١٧٤٩، ١٧٥٠، ١٧٥١، ١٧٥٢، ١٧٥٣، ١٧٥٤، ١٧٥٥، ١٧٥٦، ١٧٥٧، ١٧٥٨، ١٧٥٩، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٢، ١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥، ١٧٦٦، ١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١، ١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٤، ١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٧، ١٧٧٨، ١٧٧٩، ١٧٨٠، ١٧٨١، ١٧٨٢، ١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥، ١٧٨٦، ١٧٨٧، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٩٠، ١٧٩١، ١٧٩٢، ١٧٩٣، ١٧٩٤، ١٧٩٥، ١٧٩٦، ١٧٩٧، ١٧٩٨، ١٧٩٩، ١٨٠٠، ١٨٠١، ١٨٠٢، ١٨٠٣، ١٨٠٤، ١٨٠٥، ١٨٠٦، ١٨٠٧، ١٨٠٨، ١٨٠٩، ١٨١٠، ١٨١١، ١٨١٢، ١٨١٣، ١٨١٤، ١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨، ١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١، ١٨٢٢، ١٨٢٣، ١٨٢٤، ١٨٢٥، ١٨٢٦، ١٨٢٧، ١٨٢٨، ١٨٢٩، ١٨٣٠، ١٨٣١، ١٨٣٢، ١٨٣٣، ١٨٣٤، ١٨٣٥، ١٨٣٦، ١٨٣٧، ١٨٣٨، ١٨٣٩، ١٨٤٠، ١٨٤١، ١٨٤٢، ١٨٤٣، ١٨٤٤، ١٨٤٥، ١٨٤٦، ١٨٤٧، ١٨٤٨، ١٨٤٩، ١٨٥٠، ١٨٥١، ١٨٥٢، ١٨٥٣، ١٨٥٤، ١٨٥٥، ١٨٥٦، ١٨٥٧، ١٨٥٨، ١٨٥٩، ١٨٦٠، ١٨٦١، ١٨٦٢، ١٨٦٣، ١٨٦٤، ١٨٦٥، ١٨٦٦، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٦٩، ١٨٧٠، ١٨٧١، ١٨٧٢، ١٨٧٣، ١٨٧٤، ١٨٧٥، ١٨٧٦، ١٨٧٧، ١٨٧٨، ١٨٧٩، ١٨٨٠، ١٨٨١، ١٨٨٢، ١٨٨٣، ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٨٦، ١٨٨٧، ١٨٨٨، ١٨٨٩، ١٨٩٠، ١٨٩١، ١٨٩٢، ١٨٩٣، ١٨٩٤، ١٨٩٥، ١٨٩٦، ١٨٩٧، ١٨٩٨، ١٨٩٩، ١٩٠٠، ١٩٠١، ١٩٠٢، ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٦، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١٠، ١٩١١، ١٩١٢، ١٩١٣، ١٩١٤، ١٩١٥، ١٩١٦، ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩١٩، ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٣٩، ١٩٤٠، ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٧، ١٩٦٨، ١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٩، ١٩٨٠، ١٩٨١، ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٨، ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩١، ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، ٢٠١٤، ٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧، ٢٠١٨، ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣، ٢٠٢٤، ٢٠٢٥، ٢٠٢٦، ٢٠٢٧، ٢٠٢٨، ٢٠٢٩، ٢٠٣٠، ٢٠٣١، ٢٠٣٢، ٢٠٣٣، ٢٠٣٤، ٢٠٣٥، ٢٠٣٦، ٢٠٣٧، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٢٠٤٠، ٢٠٤١، ٢٠٤٢، ٢٠٤٣، ٢٠٤٤، ٢٠٤٥، ٢٠٤٦، ٢٠٤٧، ٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ٢٠٥٠، ٢٠٥١، ٢٠٥٢، ٢٠٥٣، ٢٠٥٤، ٢٠٥٥، ٢٠٥٦، ٢٠٥٧، ٢٠٥٨، ٢٠٥٩، ٢٠٦٠، ٢٠٦١، ٢٠٦٢، ٢٠٦٣، ٢٠٦٤، ٢٠٦٥، ٢٠٦٦، ٢٠٦٧، ٢٠٦٨، ٢٠٦٩، ٢٠٧٠، ٢٠٧١، ٢٠٧٢، ٢٠٧٣، ٢٠٧٤، ٢٠٧٥، ٢٠٧٦، ٢٠٧٧، ٢٠٧٨، ٢٠٧٩، ٢٠٨٠، ٢٠٨١، ٢٠٨٢، ٢٠٨٣، ٢٠٨٤، ٢٠٨٥، ٢٠٨٦، ٢٠٨٧، ٢٠٨٨، ٢٠٨٩، ٢٠٩٠، ٢٠٩١، ٢٠٩٢، ٢٠٩٣، ٢٠٩٤، ٢٠٩٥، ٢٠٩٦، ٢٠٩٧، ٢٠٩٨، ٢٠٩٩، ٢١٠٠، ٢١٠١، ٢١٠٢، ٢١٠٣، ٢١٠٤، ٢١٠٥، ٢١٠٦، ٢١٠٧، ٢١٠٨، ٢١٠٩، ٢١١٠، ٢١١١، ٢١١٢، ٢١١٣، ٢١١٤، ٢١١٥، ٢١١٦، ٢١١٧، ٢١١٨، ٢١١٩، ٢١٢٠، ٢١٢١، ٢١٢٢، ٢١٢٣، ٢١٢٤، ٢١٢٥، ٢١٢٦، ٢١٢٧، ٢١٢٨، ٢١٢٩، ٢١٣٠، ٢١٣١، ٢١٣٢، ٢١٣٣، ٢١٣٤، ٢١٣٥، ٢١٣٦، ٢١٣٧، ٢١٣٨، ٢١٣٩، ٢١٤٠، ٢١٤١، ٢١٤٢، ٢١٤٣، ٢١٤٤، ٢١٤٥، ٢١٤٦، ٢١٤٧، ٢١٤٨، ٢١٤٩، ٢١٥٠، ٢١٥١، ٢١٥٢، ٢١٥٣، ٢١٥٤، ٢١٥٥، ٢١٥٦، ٢١٥٧، ٢١٥٨، ٢١٥٩، ٢١٦٠، ٢١٦١، ٢١٦٢، ٢١٦٣، ٢١٦٤، ٢١٦٥، ٢١٦٦، ٢١٦٧، ٢١٦٨، ٢١٦٩، ٢١٧٠، ٢١٧١، ٢١٧٢، ٢١٧٣، ٢١٧٤، ٢١٧٥، ٢١٧٦، ٢١٧٧، ٢١٧٨، ٢١٧٩، ٢١٨٠، ٢١٨١، ٢١٨٢، ٢١٨٣، ٢١٨٤، ٢١٨٥، ٢١٨٦، ٢١٨٧، ٢١٨٨، ٢١٨٩، ٢١٩٠، ٢١٩١، ٢١٩٢، ٢١٩٣، ٢١٩٤، ٢١٩٥، ٢١٩٦، ٢١٩٧، ٢١٩٨، ٢١٩٩، ٢٢٠٠، ٢٢٠١، ٢٢٠٢، ٢٢٠٣، ٢٢٠٤، ٢٢٠٥، ٢٢٠٦، ٢٢٠٧، ٢٢٠٨، ٢٢٠٩، ٢٢١٠، ٢٢١١، ٢٢١٢، ٢٢١٣، ٢٢١٤، ٢٢١٥، ٢٢١٦، ٢٢١٧، ٢٢١٨، ٢٢١٩، ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، ٢٢٢٦، ٢٢٢٧، ٢٢٢٨، ٢٢٢٩، ٢٢٣٠، ٢٢٣١، ٢٢٣٢، ٢٢٣٣، ٢٢٣٤، ٢٢٣٥، ٢٢٣٦، ٢٢٣٧، ٢٢٣٨، ٢٢٣٩، ٢٢٤٠، ٢٢٤١، ٢٢٤٢، ٢٢٤٣، ٢٢٤٤، ٢٢٤٥، ٢٢٤٦، ٢٢٤٧، ٢٢٤٨، ٢٢٤٩، ٢٢٥٠، ٢٢٥١، ٢٢٥٢، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٢٢٥٥، ٢٢٥٦، ٢٢٥٧، ٢٢٥٨، ٢٢٥٩، ٢٢٦٠، ٢٢٦١، ٢٢٦٢، ٢٢٦٣، ٢٢٦٤، ٢٢٦٥، ٢٢٦٦، ٢٢٦٧، ٢٢٦٨، ٢٢٦٩، ٢٢٧٠، ٢٢٧١، ٢٢٧٢، ٢٢٧٣، ٢٢٧٤، ٢٢٧٥، ٢٢٧٦، ٢٢٧٧، ٢٢٧٨، ٢٢٧٩، ٢٢٨٠، ٢٢٨١، ٢٢٨٢، ٢٢٨٣، ٢٢٨٤، ٢٢٨٥، ٢٢٨٦، ٢٢٨٧، ٢٢٨٨، ٢٢٨٩، ٢٢٩٠، ٢٢٩١، ٢٢٩٢، ٢٢٩٣، ٢٢٩٤، ٢٢٩٥، ٢٢٩٦، ٢٢٩٧، ٢٢٩٨، ٢٢٩٩، ٢٣٠٠، ٢٣٠١، ٢٣٠٢، ٢٣٠٣، ٢٣٠٤، ٢٣٠٥، ٢٣٠٦، ٢٣٠٧، ٢٣٠٨، ٢٣٠٩، ٢٣١٠، ٢٣١١، ٢٣١٢، ٢٣١٣، ٢٣١٤، ٢٣١٥، ٢٣١٦، ٢٣١٧، ٢٣١٨، ٢٣١٩، ٢٣٢٠، ٢٣٢١، ٢٣٢٢، ٢٣٢٣، ٢٣٢٤، ٢٣٢٥، ٢٣٢٦، ٢٣٢٧، ٢٣٢٨، ٢٣٢٩، ٢٣٣٠، ٢٣٣١، ٢٣٣٢، ٢٣٣٣، ٢٣٣٤، ٢٣٣٥، ٢٣٣٦، ٢٣٣٧، ٢٣٣٨، ٢٣٣٩، ٢٣٤٠، ٢٣٤١، ٢٣٤٢، ٢٣٤٣، ٢٣٤٤، ٢٣٤٥، ٢٣٤٦، ٢٣٤٧، ٢٣٤٨، ٢٣٤٩، ٢٣٥٠، ٢٣٥١، ٢٣٥٢، ٢٣٥٣، ٢٣٥٤، ٢٣٥٥، ٢٣٥٦، ٢٣٥٧، ٢٣٥٨، ٢٣٥٩، ٢٣٦٠، ٢٣٦١، ٢٣٦٢، ٢٣٦٣، ٢٣٦٤، ٢٣٦٥، ٢٣٦٦، ٢٣٦٧، ٢٣٦٨، ٢٣٦٩، ٢٣٧٠، ٢٣٧١، ٢٣٧٢، ٢٣٧٣، ٢٣٧٤، ٢٣٧٥، ٢٣٧٦، ٢٣٧٧، ٢٣٧٨، ٢٣٧٩، ٢٣٨٠، ٢٣٨١، ٢٣٨٢، ٢٣٨٣، ٢٣٨٤، ٢٣٨٥، ٢٣٨٦، ٢٣٨٧، ٢٣٨٨، ٢٣٨٩، ٢٣٩٠، ٢٣٩١، ٢٣٩٢، ٢٣٩٣، ٢٣٩٤، ٢٣٩٥، ٢٣٩٦، ٢٣٩٧، ٢٣٩٨، ٢٣٩٩، ٢٤٠٠، ٢٤٠١، ٢٤٠٢، ٢٤٠٣، ٢٤٠

المذكور معلّقًا بالسُّتور^(٥) الذّيّاج شتاءً والذّيقي^١ صيفًا ، وفَرْشُ الشّتاء البُسُط الحرير - عَوْضًا عن الصّوف - مُطابِقًا للسُّتور الذّيّاج ، وفَرْشُ الصّيف مُطابِقًا للسُّتور الذّيقي ما بين طَبَرَيّ وطَبَرِ شتاني مُذْغَب معدوم المثل ، وفي صُدْره المَرْتَبَةُ المؤهّلة لجلوسه في هيئة هائلة^(٦) على سُرير المُلك المُغشّي بالقَرْقُويي^٢ ، فيكون وَجْهُ الخليفة عليه قُبالة وجوه الوقوف بين يديه . فإذا تهيأ الجلوس استُدعي الوزير من المُقَطَّع إلى باب المجلس المذكور - وهو معلّق وعليه سترا جنابه^(٧) - فيقف بحذاءه ، وعن يمينه زِمَامُ القصر ، وعن يساره زِمَامُ بَيْت المال .

فإذا انتصب الخليفة على المَرْتَبَةِ ، وَضَعَ أَمِيرُ المُلك مُفْلِح - أحدُ الأُستاذين المُحْكَمِينَ الخواص - الدّوَاةَ مكانها من المَرْتَبَةِ ، وَخَرَجَ من المُقَطَّع الذي يُقال له «فُود الكُف» ، فإذا الوزيرُ واقفٌ أَمَامَ باب المجلس ، وحواليه الأُمَرَاءُ المُطَوَّقُونَ أرباب الخِدَم الجَلِيلَة وغيرهم ، وفي حلالهم قُرَاءُ الحَضَرَة ؛ فيُشير صاحبُ المجلس إلى الأُستاذين ، فيزْفَعُ كُلُّ منهم جانبَ الشّتر ، فيظهر الخليفة جالِسًا بمنصبه المذكور ، فيستفتح القُرَاءُ بقراءة القرآن الكريم ، ويُسلِّمُ الوزيرُ بعد دُخُوله إليه ، فيقبِّلُ يديه ورجليه ، ويتأخّر مقدار ثلاثة أَذْرُع وهو قائمٌ قَدْر ساعة زمانية ، ثم يُؤمَرُ بأن يجلس على الجانب الأيمن ، وتُطْرَحُ له مَحْدَةٌ تشريفًا .

ويَقِفُ الأُمَرَاءُ في أَمَاكِنهم المقررة : فصاحبُ الباب وإشفهسلار العساكر من جانبي الباب يميّنا ويسارًا ، ويلهم من خارجه لاصِغًا بَعَثَتِه زِمَامُ الآميرية والحافظية كذلك ، ثم يَبْقِيَتُهُم على مُقَادِيرهم ، فَكُلُّ واحدٍ لا يتعدى مكانه^(٨) هكذا إلى آخر الرّواق ، وهو الإفريز العالي عن أرض القاعة ، ويعلوه الشّباباط على عُقُود القناطر التي على القَهْد هناك^(٩) .

ثم أربابُ القُضْب والعَمَارِيات يَمْتَنُّ وَيَشْرَعُ كذلك ، ثم الأُمَاثِلُ والأَغْيَانُ من الأجناد المترشّحين للتَّغْدِيَةِ ، ويقف مُشْتَدًّا بالصُّدْر الذي يُقابل باب المجلس بَوَاب^(١٠) الباب والحُجَاب . ولصاحبِ الباب في ذلك المحلّ الخُرُوج والدُّخُول ، وهو المُؤَصِّل عن كُلِّ قَائِلٍ ما يقول .

(٥) بولاق : فيه السُّتور . (b) بولاق : جَلِيلَة . (c) ساقطة من بولاق . (d-d) ساقطة من مسودة المواعظ . (e) بولاق : نواب .

^١ الذّيقي . نوع من الأقمشة المزركشة الموشاة بخيوط الذهب والحرير كانت له شهرة خاصة في العصر الفاطمي وينسب إلى مدينة ديق (لهما تقدم ١: ٦١٢-٦١٣) .
من أحوال خوزستان اشتهرت بقماش مطرز يعرف بالسونجرد ينسب إليها (Serjeant, R.B., *Islamic* Textiles, p. 45) .

^٢ القَرْقُويي . نسج ينسب إلى قرقوب بالقرب من تُشتر

فإذا انتظم ذلك النظام، واستقر بهم المقام، فأول مايل للخدمة بالسلام: قاضي القضاة، والشهود المعروفون بالاستخدام، فيجوز صاحب الباب القاضي دون من معه، فيسلم متأدباً، ويقف قريباً. ومتقناً الأدب في السلام أنه يرفع يده اليمنى، ويشير بالمشبحة ويقول بصوت مسموع: «السلام على أمير المؤمنين ورَحْمَةُ اللهِ وبركاته». فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام.

ثم يُسلم بالأشراف الأقارب زمائهم، وهو من الأستاذين المحككين، وبالأشراف الطالبيين نقيهم، وهو من الشهود المعدلين، ونارة يكون من الأشراف المؤثرين. فيمضي عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاث.

ويُخص بالسلام في ذلك الوقت من تخليع عليه لقوص أو الشريعة أو القروية أو الإسكندرية، فيشرفون بتقبيل العتبة^٥.

فإن دعت حاجة الوزير إلى مخاطبة الخليفة في أمر، قام من مكانه وقرب منه مُثحثاً على سيفه، فيخاطبه مرة أو مرتين.

ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون، حتى يكون آخِر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله، ويخرج فيركب على عادته إلى داره وهو مخدوم بأولئك.

ثم يُزعى الشُران^٦ ويُتلى باب المجلس إلى يوم مثله، فيكون الحال كما ذكر، ويدخل الخليفة إلى مكانه المستقر فيه ومعه خواص أستاذيه.

وكان أقرب الناس إلى الخلفاء «الأستاذون المحككون»، وهم أصحاب الأئس لهم، ولهم من الخدم ما لا يتطرق إليه سواهم، ومنهم: زمام القصر، وشاذ الثاج الشريف، وصاحب بيت المال، وصاحب الدفتر، وصاحب الرسالة، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس، وهم المطَّلعون على أشرار الخليفة. وكانت لهم طريقة محمودة في بعضهم بعضاً، منها أنه متى ترشح أستاذ للتحك^٧ وحكك، حمل إليه كل واحد من المحككين بذلة من ثياب، ومندبلاً وسيفاً وفرشاً^٨، فيصبح لاحقاً بهم وفي يده مثل ما في أيديهم.

وكان لا يُركب أحد في القصر إلا الخليفة، ولا يتصرف ليلاً ونهاراً إلا كذلك، وله في الليل شذادات من النساء يخدمن البغلات والحُمير الإناث، للجواز في الشراذيب

القَصِيرَةُ الْأَقْبَاءُ، وَالطَّلُوعُ عَلَى الزَّلَاقَاتِ إِلَى أَعَالِي الْمُنَاطِرِ وَالْأَمَاكِينِ.

وَفِي كُلِّ مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَلَّاتِ الْقَصْرِ فَتَقِيَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْمَاءِ خَيِّفَةٌ مِنْ مُحْدُوثِ حَرِّهِ فِي اللَّيْلِ^١.

كَيْفِيَّةُ بِسَاطِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِهَذِهِ الْقَاعَةِ - قَالَ ابْنُ الطَّوَيْمِ: فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، رُتِبَ عَمَلُ السَّطَاطِ كُلُّ لَيْلَةٍ بِالْقَاعَةِ بِالْقَصْرِ إِلَى آخِرِهِ^(أ) السَّادِسَ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ، وَيُسْتَدْعَى لَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ فِي لَيَالِي الْجُمُعِ تَوْفِيرًا لَهُ، فَأَمَّا الْأَمْثَرَاءُ فَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهُمْ قَوْمٌ بِالنُّوْبَةِ، وَلَا يَحْرُمُونَهُمُ الْإِنْفَاطَارَ مَعَ أَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ^(ب) طُولَ الشَّهْرِ^(ج)، وَيَكُونُ مُحْضُورُهُمْ بِمَشْطُورٍ يَخْرُجُ إِلَى صَاحِبِ الْبَابِ وَإِسْفَهْسَلَارِهِ^(د)، فَيَعْرِفُ صَاحِبُ كُلِّ نُوْبَةٍ لَيْلَتَهُ فَلَا يَتَأَخَّرُ. وَيَحْضُرُ الْوَزِيرُ فَيَجْلِسُ صَنْدَرَهُ، فَإِنْ تَأَخَّرَ كَانَ وَلَدُهُ أَوْ أَخُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَخْضُرْ أَخَذَ مِنْ قَبِيلِهِ كَانَ صَاحِبُ الْبَابِ.

وَيُهَيَّئُ فِيهِ اهْتِمَامًا عَظِيمًا تَائِمًا، بِحَيْثُ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ الْفَائِقَةِ وَالْأَعْدِيَةِ الرَّائِقَةِ، وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي طُولِ الْقَاعَةِ، مَادٌّ مِنَ الزَّوْاقِ إِلَى طُولِ^(د) ثُلثِي الْقَاعَةِ الْمَذْكُورَةِ. ١٠
وَالْفَرَّاشُونَ قِيَامٌ لَخِدْمَةِ الْحَاضِرِينَ، وَجُوقٌ^(هـ) الْأَسْتَاذِينَ يُحْضِرُونَ الْمَاءَ الْمُخْتَرَّ فِي الْكِيزَانِ^(ف) الْحَرْفِ بِرُسْمِ الْحَاضِرِينَ. وَيَكُونُ انْفِصَالُهُمُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَيَعْتَمُهُمْ ذَلِكَ وَيَصِلُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى أَكْثَرِ^(د) أَهْلِ الْقَاهِرَةِ مِنْ بَغْضِ النَّاسِ لِبَغْضِ، وَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مَا يَكْفِي جَمَاعَةً.

فَإِذَا خَضَرَ الْوَزِيرُ، أُخْرِجَ إِلَيْهِ مِمَّا هُوَ بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ، وَكَانَتْ يَدُهُ فِيهِ،^(ب) فَيُخْصَصُ بِهِ^(هـ) تَشْرِيفًا لَهُ وَتَطْيِيبًا لِنَفْسِهِ، وَرُبَّمَا حَمَلَ لَشَحُورَهُ مِنْ خَاصٍّ مَا يَعْجَلُ^(ك) لَشَحُورِ الْخَلِيفَةِ نَصِيبٌ وَافٍ. ثُمَّ يَتَفَرَّقُ النَّاسُ إِلَى أَمَاكِينِهِمْ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ.

قَالَ: وَمَبْلُغُ مَا يُنْفَقُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِسِمَاطِهِ، مُدَّةُ سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا، ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِينَارٍ^٢.
عَمَلُ بِسَاطِ عِيدِ الْفِطْرِ بِهَذِهِ الْقَاعَةِ - قَالَ الْأَمِيرُ الْمُخْتَارُ عِزُّ الْمُلْكِ مُحَمَّدٌ^(د) بِنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَسْتَحْيِي فِي «تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ»: وَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْهُ - يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ -

(أ) زيادة من مسودة المراعظ. (ب-ب) زيادة من مسودة المراعظ. (ج) مسودة المراعظ: والاسفهلار. (د) ساقطة من بولاق. (هـ) بولاق: حواشي. (ز) بولاق: كيزان. (g) بولاق: عين.

^١ ابن الطبري: نزهة المقلتين ٢٠٥-٢١٠؛ المقرئ: ابن الطبري: نزهة المقلتين ٢١١-٢١٢؛ القلقشندي: المسودة ٧٠-٧٥، ٣٢٩؛ وقران القلقشندي: صبح ٥٢٣: ٣؛ المقرئ: مسودة المراعظ ٧٦-٧٧.

سنة ثمانين وثلاث مائة ، حَمَلَ يَانِسُ الصَّقْلِي ، صاحب الشُّرْطَةِ الشُّقْلِي ، السَّمَاطَ وَقُصُورَ
السُّكَّرِ وَالتَّمَاثِيلَ وَأَطْبَاقًا فِيهَا تَمَائِيلُ خَلَوَى ، وَحَمَلَ أَيْضًا عَلِي بن سَعْدِ الْمُحْتَسِبِ الْقُصُورَ
وَالْتَمَائِيلَ^(١) السُّكَّرَ .

(b) وقال في آخره : وفي آخر سَلَخِ رَمْتِضَانَ حَمَلَ السَّمَاطَ السُّكَّرَ التَّمَائِيلَ وَخَمْسَ قُصُورَ الَّذِي
يَرْسُمُ مَتَوَلِي الشُّرْطَةِ ، وَحَمَلَ عَلِي بن سَعْدِ السَّمَاطَ الَّذِي رَسَمَهُ أَنْ يَعْمَلَهُ^(b) .^٥

وَقَالَ ابْنُ الطَّوِيلِ : فَأَمَّا الْأَسْمِطَةُ الْبَاطِنَةُ الَّتِي يَحْضُرُهَا الْخَلِيقَةُ بِنَفْسِهِ ، فَفِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ
اِثْنَانِ ، وَيَوْمَ عِيدِ النَّخْرِ وَاجِدٌ .

فَأَمَّا الْأَوَّلُ مِنْ عِيدِ الْفِطْرِ ، فَإِنَّهُ يُعْبَأُ^(c) فِي اللَّيْلِ بِالْإِيوَانِ قُدَّامَ الشُّبَّاكِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْخَلِيقَةُ ،
فَيَمْتَدُّ مَا يَقْدَارُهُ ثَلَاثُ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ ، مِنْ الْخَشْكَنْكَانِ وَالْفَانِيذِ وَالْبَسَنْدُودِ ، الْمَقْدُمُ
ذَكَرَ عَمَلَهُ بِدَارِ الْفِطْرَةِ . فَإِذَا صَلَّى الْقَجَرُ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ ، حَضَرَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي
الشُّبَّاكِ ، وَمُكِّنَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْدُودِ ، فَأُخِذَ وَحْمِلَ وَنُهِبَ ؛ فَيَأْخُذُهُ مِنْ يَأْكُلُهُ فِي يَوْمِهِ ، وَمِنْ
يُدْخِرُهُ لَعَدِهِ ، وَمِنْ لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ فَيَبِيعُهُ ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ أَيْضًا خَوَاشِي الْقُصْرِ الْمُقِيمُونَ هُنَاكَ .

فَإِذَا فُرِغَ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ بَزَعَتِ الشَّمْسُ ، رَكِبَ مِنْ بَابِ الْمَلِكِ بِالْإِيوَانِ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ
إِلَى الْمُصَلَّى وَالْوَزِيرُ مَعَهُ - كَمَا وَصَفْنَا فِي هَيْئَةِ رُكُوبِ هَذَا الْعِيدِ فِي قُصْلِهِ - مَخْلِيًا لِقَاعَةَ الذَّهَبِ
لِسِمَاطِ الطَّعَامِ^٢ . فَيُنْقَضُ لَهُ سَرِيرُ الْمَلِكِ قُدَّامَ بَابِ الْمَجْلِسِ فِي الزَّوَاكِ ، وَيُنْقَضُ فِيهِ مَائِدَةٌ مِنْ
فِضَّةٍ يُقَالُ لَهَا «الْمُدْوَرَّة»^٣ ، وَعَلَيْهَا مِنَ الْأَوَانِي^(d) الْفِضِّيَّاتِ وَالذَّهَبِيَّاتِ وَالصِّينِي الْحَاوِيَةِ لِلْأَطْعِمَةِ
الْخَاصَّةِ ، الْفَائِضَةِ الطَّيِّبَةِ الشَّهِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ خَضِرَاوَاتٍ ، مَيُوزِ الدَّجَاجِ الْفَائِقِ الْمُسَنَّ مِنَ الْمَعْمُولِ
بِالْمُخْرَجَةِ الطَّيِّبَةِ الْنَافِثَةِ . ثُمَّ يُنْقَضُ السَّمَاطُ أَمَامَ السَّرِيرِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ قُبَالَتِهِ - وَيُعْرَفُ
بِالْمُخْرُولِ^٤ - طُولُ الْقَاعَةِ - وَهُوَ الْبَابُ الْيَوْمَ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَيْهَا مِنْ بَابِ الْبَحْرِ ، الَّذِي هُوَ
بَابُ الْقُصْرِ الْيَوْمَ .^{١٠}

(a) بولاق : تمائيل . (b-b) زيادة من مسودة الموايط . (c) بولاق : بعين . (d) بولاق : وعليها أواني .

^١ للمسيحي : نصوص ضالعة ١١٣ القرطبي : اتعاطى في النسر - وقد تكون من الخشب كما ذكر ابن المأمون :
٢٦٧ : ١ . أخبار مصر ١٥ ، ٨٩ ، ١ ، ٩٣ س .^٢

^٢ انظر فيما يلي ٤٧٨ - ٤٩٤ .
^٣ المدورة . مائدة مستديرة قد تكون من الفضة - كما

^٤ عن المخول انظر فيما يلي ٣٠٥ - ٣٠٨ .

- وَالسِّمَاطُ خَشَبٌ مَذْهُونٌ شَبَّهَ الدَّكَكَ اللَّاطِيَةَ ، فَيَصِيرُ مِنْ جَمْعِهِ لِلأَوَانِي سِمَاطًا عَالِيًا فِي ذَلِكَ الطُّولِ وَبِعَرَضٍ عَشْرَةَ أَذْرَعٍ ، فَيُقَرَّشُ فَوْقَ ذَلِكَ الْأَزْهَارِ الْمَشْمُومَاتِ^(١) ، وَيُرَصَّ الْخُبْرُ عَلَى حَافَتَيْهِ شَوَايِرٍ^(٢) ، كُلٌّ وَاجِدٌ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ مِنْ نَقِيِّ الدَّقَبِ ، وَيُذَهَّنُ وَجْهَهَا عِنْدَ خَبِيرِهَا بِالمَاءِ ، فَيَحْصِلُ لَهَا تَرِيقٌ وَيَحْسَنُ مَنَظَرُهَا . وَيُقَرَّرُ دَاخِلُ ذَلِكَ السِّمَاطِ عَلَى طَوْلِهِ بِأَحَدٍ وَعَشْرِينَ طَبَقًا .
- فِي كُلِّ طَبَقٍ أَحَدٌ وَعَشْرُونَ غُرُوفًا^(٣) نَبِيًّا سَمِيحًا مَشْوِيًّا ، وَفِي كُلِّ مِنَ الدَّجَاجِ وَالْفَرَارِيحِ وَفَرَاخِ الْحَمَامِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَخَمْسُونَ طَائِرًا ، فَيَقِي طَائِلًا مُشْتَبِلًا ، فَيَكُونُ كَقَامَةِ الرَّجُلِ الطَّوِيلِ ، وَيُسَوَّرُ بِشَرَايِحِ الْحَلْوَاءِ الْيَاسَةِ ، وَيُزَيَّنُ بِأَلْوَانِهَا الْمَصْبُغَةِ . ثُمَّ يُسَدُّ خَلْلُ تِلْكَ الْأَطْيَاقِ بِالصُّحُونِ الْخَزَفِيَّةِ الَّتِي فِي كُلِّ وَاجِدٍ مِنْهَا سَبْعُ دَجَاجَاتٍ ، وَهِيَ مَرْتَعَةٌ بِالأَلْوَانِ الْفَائِقَةِ مِنَ الْحَلْوَاءِ/ الْمَائِعَةِ وَالطُّبَاهِيَجَةِ الْمَفْشَقَةِ^(٤) ،^(٥) وَالطَّيِّبِ غَالِبٍ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تُنَازِلَ عِدَّةُ الصُّحُونِ الْمَذْكُورَةِ خَمْسَ مِائَةٍ صَحْنٍ ، وَيُزَيَّنُ ذَلِكَ أَحْسَنَ تَزْيِينٍ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ بِالقَاعَةِ إِلَى حِينَ عَوْدِ الْخَلِيفَةِ مِنَ الْمُصَلَّى وَالْوَزِيرِ مَعَهُ .

فَإِذَا دَخَلَ^(٦) الْقَاعَةَ ، وَقَفَ الْوَزِيرُ عَلَى بَابِ دُخُولِ الْخَلِيفَةِ لِيَنْزِعَ عَنْهُ الثِّيَابَ الْعَبْدِيَّةَ الَّتِي فِي عِمَامَتِهَا الْبَيْتِيَّةُ^(٧) وَلَيْسَ سِوَاهَا مِنْ خَزَائِنِ الْكُشُوتِ الْخَاصَّةِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : سواميد . (c) بولاق : المشققة . (d) بولاق : دخل . (e) بولاق : السمة .

الْقَدْرُ وَيُغْلَى حَتَّى يَرِشَحَ وَيَزُولَ شَحْمُهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُ الْمَهْزُولَ عَلَيْهِ وَيُلْقَى عَلَيْهِ قُطْعُ بَقْلٍ وَطَلَّاتٍ نَمْعٍ وَكَزْلَسٍ وَيُخْرُكُ حَتَّى يَنْشَفَ مَائُهُ ، ثُمَّ يُلْقَى عَلَيْهِ كُزْبَرُهُ يَابَسَةً وَتَكُونُ وَكَرَاوِيهَا وَدَارِصَنِي وَزَنْجَبِيلٌ ، الْجَمِيعُ مَذْقُوقًا نَاعِمًا ، وَيَفْرُدُ نِصْفَ الْأَبَازِيرِ لِيُطْرَحَ بَعْدَ النُّضْجِ . ثُمَّ يُؤْخَذُ حُلٌّ خَمْرٍ وَمَاءٍ حَصْرَمٍ وَمَاءٍ لَيْمُونٍ فَيُقَرَّرَجُ وَيُلْقَى عَلَيْهِ مِنْ جَمَلَةِ الْأَبَازِيرِ شَيْءٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَضِيفَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ الشِّتَاقِ فَعَلْ ، ثُمَّ يَسْقَى تِلْكَ الْمِيَاهُ حَالًا فَحَالًا حَتَّى يَتَكَامَلَ النُّضْجُ وَيَخْرُجَ مِنْهَا الْبَقُولُ وَيُضَافُ إِلَيْهَا بَاقِي الْأَبَازِيرِ وَشَيْءٌ بِسَيِّئٍ مِنْ فُلْفُلٍ .

(البغدادي : كتاب الطبخ ١٦-١٧ : ابن رزيق التميمي : فضالة الخوان في طبيايات الطعام والألوان ، تحقيق محمد شقرون ، بيروت ١٩٨٤ ، ١١٩) .

^١ شابورة جـ . شواير . ضرب من تخديف شعر الجبهة كان معروفًا في عهد العباسيين ، يتخلده الرجال والنساء ، وأغلب متخذها من الذكور المختنين . قال أبو الفدا : «ولأصحاب جغرافيا اصطلاح في تعريف البحور فيقولون : مَعْدٌ كَالْفَوَارَةِ كَالشَّابُورَةِ كَالطَّلَاسَانِ وَنَحْوَ ذَلِكَ . (تقويم البلدان ١٩ ص ٩) ، وانتقلت هذه المصطلحات للتعبير عن أشكال الموائد والأسطحة ، وتيقًا لذلك فالشابورة تعني شكل الثلث (البغدادي : كتاب الطبخ ، الموصل ١٩٣٤ ، ٧٤-٧٥) .

^٢ الطُّبَاهِيَجَةُ . نوع من لحم الضأن المكسور ، صنعته أن يؤخذ لحم مُشْوَحٍ يَقْلَعُ صَفْغًا . يَزُولُ فِيهِ السَّمِينُ بِنَاحِيَةِ الْمَهْزُولِ بِنَاحِيَةِ أُخْرَى ، ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّمِينُ وَيَجْعَلُ فِي قَفَرٍ

وقد عُجِّلَ بدار الفِطْرَةِ قَصْرانِ حَلَوَى^(a)، في كُلِّ وَاحِدٍ سبعة عشر قِنطَارًا، وحِجَلًا: فمنهما وَاحِدٌ يُخَصَّى به من طَرِيقِ قَصْرِ الشُّوكِ إلى بابِ الذَّهَبِ^١، والآخَرُ يُشَقُّ به بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ يحملهما الْعَتَالُونَ، فَيُنْصَبَانِ أَوَّلَ السَّمَاطِ وَآخِرِهِ، وهما شَكْلٌ مَلِيحٌ، مَذْهُونَانِ بِأَوْرَاقِ الذَّهَبِ، وفيهما سُحُوطٌ نَاتئةٌ لَأَنَّهُما مَشْبُوكَةٌ في قَوَالِبِ لَوْحَا لَوْحًا. فإذا عَبَّرَ الْخَلِيفَةُ رَاكِبًا، وَنَزَلَ عَلَى الشَّرِيرِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدْوَرَةُ الْفِضَّةُ وَجَلَسَ، قَامَ عَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ مِنْ كِبَارِ الْأُسْتَاذِينَ الْمُحَنِّكِينَ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْ خَوَاصِّ الْفَوَاشِينَ. ثم يَسْتَدْعِي الْوَزِيرَ فَيَطْلُعُ إِلَيْهِ وَيَجْلِسُ عَنْ يَمِينِهِ، وَيَسْتَدْعِي الْأُمَرَاءَ الْمُطَوَّقِينَ وَمَنْ يَتْلِيهِمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ دُونَهُمْ، فَيَجْلِسُونَ عَلَى السَّمَاطِ كَقِيَامِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَأْكُلُ مَنْ أَرَادَ مِنْ غَيْرِ الْإِزَامِ، فَإِنَّ فِي الْحَاضِرِينَ مَنْ لَا يَتَّقِدُ الْفِطْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. فَيَسْتَوْلِي عَلَى ذَلِكَ الْمَعْمُولِ^(b) الْأَكْلَ، وَيَقْلُ الرُّسُومَ^(c)، وَيُبَاحُ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا السَّمَاطُ فَقَطْ، فَيَعْمُ أَهْلُ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرُ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ وَافِزٌ.

فإذا انْقَضَى ذَلِكَ عِنْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، انْفَضَّ النَّاسُ، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ إِلَى دَارِهِ مَخْدُومًا بِالْجَمَاعَةِ الْحَاضِرِينَ، وَقَدْ عُجِّلَ سِمَاطًا لِأَهْلِهِ وَخَوَاشِيهِ وَمَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ^(c)،^(d) لَا يَلْحَقُ بِأَيُّسَرٍ يَسِيرُ مِنْ سِمَاطِ الْخَلِيفَةِ^(d).

وعلى هذا الْقَمَلِ يَكُونُ سِمَاطُ عِيدِ التَّخْرِ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْهُ، وَرُكُوبُهُ إِلَى الْمُصَلَّى كَمَا ذَكَرْنَا، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْمِثْوَالِ، وَلَا يَنْقُصُ عَنْ هَذَا الْمِثَالِ، وَيَكُونُ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُفْطَرِينَ، وَلَا يَفُوتُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْءٌ كَمَا ذَكَرْنَا فِي عِيدِ الْفِطْرِ.

قَالَ: وَمَتَلَعُ مَا يُنْتَقَى فِي سِمَاطِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ^٢.

وكان يجلس على أَسْطِطَةِ الْأَعْيَادِ فِي كُلِّ سَنَةِ رَجُلَانِ مِنَ الْأَجْنَادِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: ابْنُ فَايَزٍ، وَلِلْآخَرِ الدُّبْلَمِي، يَأْكُلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَرْوفًا مَشْوِيًّا وَعَشْرَ دَجَاجَاتٍ مُخَلَّاةٍ وَجَامٍ

(a) بولاق: من حلوى. (b-b) بولاق: الأكلون، وينقل إلى دار أرباب الرسوم، أما صوفيا: الأكل وينقل إلى أرباب الرسوم، والمثبت من مسودة المواظ. (c) ساقطة من بولاق. (d-d) ساقطة من مسودة المواظ.

^١ طريق قصر الشوك إلى باب الذهب. أي من قصر الشوك في الواجهة الشرقية للقصر الكبير إلى رجة باب العيد ثم إلى الركن المثلث ثم إلى باب الذهب في الواجهة الغربية للقصر، مرورًا بباب البحر.

^٢ ابن الطوير: نزعة المقلتين ٢١٢-٢١٦ المرقري: المسودة ٧٧-٨١؛ القلقشندي: صبح ٥٢٣:٣-٥٢٤، وقارن أبا المحاسن: النجوم ٩٧:٤-٩٨؛ ناصر خسرو: سفرنامه ١٠٦-١٠٧.

خلوى عشرة أرتال ، ولهما رُشوم تُحْمَل إليهما بعد ذلك من الأسمطة لبيوتهما ، ودنانير وافرة على محكم الهيئة . وكان أحدهما أمير بعشقلان في تجريدة مجرد إليها ، وأقام مدة في الأشر . فاتفق أنه كان عندهم عجل سمير في عدة قناطير لحم ، فقال له الذي أسره وهو يلاعبه : إن أكلت هذا العجل أغتثك . ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه ، فوفى له وأغثقه ، فقديم على أهله بالقاهرة ، ورثب يأكل على السماط ^١ .

الإيوان الكبير

قال القاضي الرئيس محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الرُّوحى الكاتب في كتاب «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة» : الإيوان الكبير بناء العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد في سنة تسع وستين وثلاث مائة ^٢ ، انتهى .

وكان الخلفاء أولاً يجلسون به في يومي الاثنين والخميس ، إلى أن نقل الخليفة الأمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين إلى قاعة الذهب كما تقدم . وبصدر هذا الإيوان كان الشباك الذي يجلس فيه الخليفة ، وكان يعلو هذا الشباك قبة .

وفي هذا الإيوان كان يُمَدَّ سِماطُ الفِطْرَةِ بُكرة يوم عيد الفطر كما تقدم ^٣ ، وبه أيضاً كان يُعْمَل الاجتماع والخطبة في يوم عيد الغدير . وكان بجانب هذا الإيوان الدواوين . وكان بهذا الإيوان ضلعاً سحكة إذا أقيما وأزيا الفارس بقرسه ، ولم يزلوا حتى يبعثهما السلطان صلاح الدين يوسف إلى بغداد في هدية .

عيد الغدير - أعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ، ولا عمله أحد من سالف الأئمة المقتدى بهم . وأول ما عُرف في الإسلام بالعراق أيام مِعْرَ الدولة علي بن بُوَيه ، فإنه أخلدته في سنة اثنين وخمسين وثلاث مائة ، فأنخذته الشيعة من حينئذ عيداً ^٤ .

وأصلهم فيه ما خروجه الإمام أحمد في «مُسْنَدَه الكبير» ، من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : كُنَّا مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ لَنَا ، فزَلْنَا بِغَدِيرِ حُجْمٍ ، ونودي «الصلاة جامعة» ،

٥

١٠

١٥

٢٠

^١ انظر فيما يلي ص ٤٥٤-٤٥٥ . راجع مقدمة ابن الطوير : نزهة المقلتين ٩٨* - ١٠٠* .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٦٠ . نفسه ٨٣ ، وانظر عن غدير حُجْمٍ ، Veccia Vaglieri

^٣ المقرئزي : مسودة المواظع ٦٩ ، ٨٢ . وعن الإيوان L., El² art. Ghadir Khumm II, pp. 1015-17.

وَكَبِّحْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَأَخَذَ يَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟»، قَالُوا: بَلَى؛ قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟»، قَالُوا: بَلَى؛ فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ». قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: هَنِيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصَبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ^١.

وَعَدِيدُ خُحْمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمِّيالٍ مِنَ الْجُحْفَةِ يَشْرَةُ الطَّرِيقِ، وَتَصُفُّ فِيهِ عَيْشٌ، وَحَوْلُهُ شَجَرٌ كَثِيرٌ^٢.
وَمِنْ سُنَنِهِمْ فِي هَذَا الْعِيدِ - وَهُوَ أَبَدًا يَوْمَ الثَّامِنِ عَشَرَ / مِنْ ذِي الْحِجَّةِ - أَنْ يُخَيُّوا لَيْلَتَهُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلُّوا فِي صَبِيحَتِهِ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الزَّوَالِ، وَيَلْبَسُوا فِيهِ الْجَدِيدَ، وَيُقَيِّمُوا الزُّقَابَ، وَيُكْثِرُوا مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَمِنَ الذَّبَائِحِ.

- ١٠ وَلَمَّا عَمِلَ الشُّبَّةُ هَذَا الْعِيدَ بِالْعِرَاقِ، أَرَادَتْ عَوَامُ الشُّبَّةِ مُضَاهَاةَ فِعْلِهِمْ وَنَكَاتِهِمْ، فَاتَّخَذُوا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ - بَعْدَ عِيدِ الْقَدِيرِ بِشُمَانِيَةِ أَيَّامٍ - عِيدًا أَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الشُّرُورِ وَاللَّهُوِ، وَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْغَارِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَبَالَغُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي إِظْهَارِ الزُّبَّةِ وَتَضُّبِ الْقِيَابِ وَإِقَادِ النِّيرَانِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَعْمَالٌ مَذْكُورَةٌ فِي أَخْبَارِ بَغْدَادٍ.

سُؤِلَ: وَغَدِيرُ خُحْمٍ هَذَا بِمَهَيَّةٍ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْجُحْفَةِ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَمَى الْمَدِينَةَ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - . قَالَ الْأَضْعَمِيُّ: لَمْ يُولَدْ بِغَدِيرِ خُحْمٍ أَحَدٌ فَعَاشَ إِلَى أَنْ يَحْتَلِمَ إِلَّا أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْهَا... رَجَا بِهَا الطَّائِفُ فَيَسْقُطَ رِيْشُهُ بِعَنَى مِنَ الْحِمَا. وَقَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَوْسُفُ بْنُ قَزَّوْغَلِي فِي كِتَابِ «تَذَكُّرَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ الْأُمَّةِ بِذِكْرِ خِصَالِصِ الْأُمَّةِ»: اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الشَّيْخِ عَلَى أَنَّ قِصَّةَ الْقَدِيرِ كَانَتْ بَعْدَ رَجُوعِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَكَانَ مَعَهُ الصَّحَابَةُ وَالْأَعْرَابُ وَفِيهِمْ مَنْ يَسْكُنُ حَوْلَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مِائَةً وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَهُمْ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَهُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَسَمِعُوا مِنْهُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ٢: ١١١، ٣٨٩ - ٣٩٠.

^١ أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، حديث رقم ٩٥٠ - ٩٥٢، ٩٦١، ٩٦٤.

وَوَزَدَ فِي أَوَّلِ التَّنْخِصِ الْمَنْقُولَةِ مِنْ خَطِّ الْقُرَيْزِيِّ نَصَّ حَدِيثِ غَدِيرِ خُحْمٍ، بِرَوَايَاتِهِ الْمُخْتَلَفَةِ عَنِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ جِبَّانٍ وَالْحَاكِمِ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبِي بَقْلَى وَالطَّبْرَانِيِّ، كَمَا نَقَلَ عَنْ كِتَابِ «أَخْبَارِ الْبَصْرَةِ» لِأَبِي زَيْدٍ عَمْرٍو بْنِ شَيْبَةَ وَكِتَابِ «جَمْعَةِ التَّنْبِيْهِ» لِأَبِي الْمَثَرِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ.

وَجَاءَ عَلَى الْهَامِشِ أَمَامَ هَذَا الْخَبَرِ، نَقْلًا عَنْ خَطِّ الْقُرَيْزِيِّ: «غَدِيرُ خُحْمٍ، بِضَمِّ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَمَوْضِعُ الْغَدِيرِ غَدِيرُ خُحْمٍ يَقَالُ لَهُ: الْحَزَارُ. وَقَالَ أَبُو غُبَيْدٍ: خُحْمٌ يَبُو أَحْقَرَهَا عِبْدٌ تَلَسَّسَ بِالْجُلُحَاءِ بَغِيَةِ الْفَجُورِ، وَفِي حِفَاوَةِ زَمِ خُحْمٍ عِنْدَ رَدَمِ بَنِي جُمَحٍ، وَزَمٌ عِنْدَ دَارِ خَدِيجَةَ بِنْتِ

(٨) وخرج الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من طريق ابن شاذب عن مطر الزواق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: «من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا»، وهو يوم غدیر خم. الحديث ذكره في ترجمة علي - رضي الله عنه من «تاريخ دمشق» (٩) ١.

٥ وقال ابن زولاق (ب) في كتاب «سيرة الميز» ومن خطه كتبت (ب): وفي يوم ثمانية عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاث مائة، وهو يوم الغدير، تجمع خلق من أهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لأنه يوم عيد، لأن رسول الله ﷺ عهد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه واستخلفه، فأعجب الميز ذلك من فعلهم، وكان هذا أول ما عمل بمصر ٢.

١٠ قال المسبحي: وفي يوم الغدير، وهو ثامن عشر ذي الحجة، اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمثيدين، فكان جفعا عظيما أقاموا إلى الظهر، ثم خرجوا إلى القصر فخرجت إليهم المجازة؛ وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير ٣.

١٥ قال ابن الطوقر: إذا كان التشريق الأوسط من ذي الحجة، اهتم الأمراء والأجناد برُكوب عيد الغدير، وهو في الثامن عشر منه، وفيه شطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا يتيمية، ولا خروج عن القاهرة، ولا يخرج لأحد شيء. فإذا كان أول (٥) ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة، فيدخل القصر، وفي دخوله يروى الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته، فيخيم ويخرج ويتركب من مكانه من الدهليز، ويخرج فيقف قبالة باب القصر، ويكون ظهره إلى دار فخر الدين جهازكس اليوم ٤. ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب - ويقال له القوس - وحواليه الأشتادون المحتشكون رجالة، ومن الأمراء المطوقين من يأمره الوزير بإيثار (د) خدمة الخليفة على خدمته، ثم يجوز زي كل من له زي على مقدار هئته؛ فأول ما يجوز زي الخليفة، وهو الظاهر في ركوبه، فتجر الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها أولا؛ ثم زي الأمراء المطوقين لأنهم

(a-a) ساقطة من بولاق. (b-b) زيادة من مسودة المواظع. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: إشارة.

١ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٣٣. المواظع ٨٤.

٢ المقرئ: اتعاض ١: ١٤٢؛ مسودة المواظع ٨٤. حاشية بخط المؤلف: «دار فخر الدين جهازكس هي

٣ المسبحي: نصوص ضائعة ٣٨؛ المقرئ: مسودة اليوم المارستان المنصوري».

علمانه ، وإجدًا فواجِدًا بَعْدَدهم وأسلحتهم وجنائِيهم إلى آخر أزياب القَصَب والعَمَارِيات ؛ ثم طَوَائِفَ العَسْكَرِ أَرَمَتْهَا أمامها وأولادهم مكانهم لأنَّهم وَقُوفٌ في خِدْمَةِ الخَلِيفَةِ^(a) بالبَاب طَائِفَةٌ طَائِفَةٌ ، فيكونون أَكْثَرُ عددًا من خمسة آلاف فارس ؛ ثم المَتَرَجِّلَةُ الرِّمَاءُ بالقَيْسِي بِالْأَيْدِي والأرجل ، وتكون عِدَّتُهم قَرِيبًا من ألف . ثم الراجِل من الطَوَائِفِ الذين قَدَّمنا ذَكَرهم في الرُكُوب^(b) - يعني الجِيُوشِيَّةَ والرِّيحَانِيَّةَ^(b) - فتكون عِدَّتُهم قَرِيبًا من سبعة آلاف ، كُلٌّ منهم بِزِمَامٍ وَيُؤَدُّ وراياتَ وغيرها ، بِترتيبٍ مَلِيحٍ مُستَحْسَنٍ .

ثم يَأْتِي زِيَّ الوَزِيرِ مع وَلَدِهِ أو أَحَدِ أَقاربِهِ ، وفيهِ جَمَاعَتُهُ وحاشِيَتُهُ في جَمْعٍ عَظِيمٍ وَهِيئةٍ هائلةٍ . ثم زِيَّ صَاحِبِ البَابِ وهم أَصْحَابُهُ وأَجْنَادُهُ ونُؤَابُ البَابِ وسَائِرُ الحُجَّابِ . ثم يَأْتِي زِيَّ إِسْفَهْسَلَارِ العَسَاكِرِ بِأَصْحَابِهِ وأَجْنَادِهِ في عِدَّةٍ وَافِرَةٍ . ثم يَأْتِي زِيَّ وَالِي القَاهِرَةِ ، وَزِيَّ وَالِي مِصْرٍ .

فَإِذَا قَرَعَا خَرَجَ الخَلِيفَةُ من البَابِ ، والوقوف بين يديه مُشَاةً في رِكَابِهِ ، خَارِجًا عن صِيَّانِ رِكَابِهِ الخَاصِّ . فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ الرُّهُومَةِ بالقَصْرِ ، انعطَفَ على يَمَانِهِ دَاخِلًا من الدَّرَبِ هُنَاكَ ، جَائِزًا على الخُرُوجِ .

فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ الدِّيَّانَةِ الذي دَاخِلُهُ المَشْهَدُ الحُسَيْنِي ، فيجد في دِهْلِيزِ ذَلِكَ البَابِ قَاضِي القَضَاةِ والشُّهُودِ ، فَإِذَا وَازَاهُمْ خَرَجُوا لِلخِدْمَةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَيَسْلُمُ القَاضِي كَمَا ذَكَرْنَا من تَقْبِيلِ رِجْلِهِ الواجِدَةِ التي تَلِيهِ ، والشُّهُودُ أَمَامَ رَأْسِ الدَّائِيَةِ بِمَقْدَارِ قَصْبَةٍ . ثم يَعُودُونَ وَيَدْخُلُونَ من ذَلِكَ الدَّهْلِيزِ إِلَى الإِيوَانِ الكَبِيرِ ، وَقَدْ عُلِّقَ عَلَيْهِ الشُّتُورُ القُرْقُوبِيَّةُ جَمِيعُهُ على سَعَتِهِ وَغيرِ القُرْقُوبِيَّةِ سِتْرًا فَسْتْرًا ، ثم يعلِّقُ بِدَائِرِهِ على سَعَتِهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ : الأَوَّلُ طَوَارِقُ فَارَسِيَّاتٍ مَدَهُونَةٍ ، والأَعْلَى والأَشْفَلُ دَرَقٌ ، وَقَدْ نُصِبَ كُرْسِي الدُّعَاةِ وفيهِ تِسْعُ دَرَجَاتٍ لِحَطَاةِ الخَطِيبِ في هَذَا العِيدِ ، فَيَجْلِسُ القَاضِي والشُّهُودُ تَحْتَهُ ، وَالْعَالَمُ مِنَ الأَمْرَاءِ والأَجْنَادِ والمُتَشَبِّعِينَ وَمَنْ يَرَى هَذَا الرَّأْيَ مِنَ الأكَابِرِ والأَصَاغِرِ .

فَيَدْخُلُ الخَلِيفَةُ من بَابِ العِيدِ إِلَى الإِيوَانِ إِلَى بَابِ المُلْكِ ، فيجلس بالشُّبَّاكِ وهو يَنْظُرُ القَوْمَ ، وَيَخْدُمُهُ الوَزِيرُ عِنْدَمَا يَنْزِلُ ، وَيَأْتِي هو وَمَنْ مَعَهُ فَيَجْلِسُ بِمُقَرَّبِهِ على يَمَانِهِ الخَطِيبُ ، وَيَكُونُ قَدْ شَبَّرَ لِحَطِيَّيِهِ بِذَلَّةٍ حَرِيرِيَّةٍ^(c) يَخْطُبُ فِيهَا ، وَثَلَاثُونَ دِينَارًا ، وَيُدْفَعُ لَهُ كُرَّاسٌ مُحَرَّرٌ من دِيوَانِ

(a) بولاق : لأنهم في خدمة الخليفة وقوف . (b-b) زيادة من مسودة المواظف . (c) بولاق : حرير .

الإِنشَاء يتضمَّن نَصَّ الخِلافة من النَّبِيِّ ﷺ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - بِزَعْمِهِمْ .

فإذا فَرَعَ وَنَزَلَ ، صَلَّى قاضي القضاة بالنَّاس رَكْعَتَيْنِ . فإذا قُضِيَت الصَّلَاة قامَ الوَزيُّ إلى الشُّبَّاك فيخدم الخليفة ويمضي ^٨، ويُتَقَضَّ النَّاسُ بعد التَّهاني من الإسماعيلية بعضهم بعضًا . وهو عندهم أَعْظَمُ من عيد النَّحر ، ويُتَخَرَّ فيه أَكْثَرُهُمْ ^٩ .

قال : وكان الحافظُ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ، لما سَلِمَ من يد أبي عليّ بن الأَفْضَل - الملقَّب كُتَيْبَات - لما وَزَرَ له وَخَرَجَ عليه / ، عمل عيدًا في ذلك اليوم - وهو السادس عشر من المحرم - من غير رُكُوب ولا حَزَكَة ، بل إنَّ الإيوان باقي على فَرْشِه وتعليقه من يوم القَدِير ^{١٠} . فيقرَّش المجلس الخَرَّاب ^{١١} اليوم في الإيوان الذي بابه خَوَزَنَتُ - وكان يُقَابِلُ الإيوان الكبير الذي هو اليوم خَزَائِنُ السَّلاح - بأَحْسَنَ فَرْش ، ويُتَّصَبُ له مَرْتَبَةٌ هائلة قريتا من بَادِقَتِجِه ، فيجتمع أَرْبابُ الدولة سَيِّفًا وَقَلَمًا ، ويحضرون إلى الإيوان إلى باب المُلْك المجاور للشُّبَّاك ^{١٢} .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : المحول .

١04؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٥١-٢٥٢).

^٣ الشُّبَّاك موضع بالقصر الكبير الشرقي كان يتوصل إليه من باب العيد عن طريق الدهاليز الطوال ، وهو أشبه بمقصورة عليها من ظاهرها ستر ، برفعه متى حضر الوزير وجلس على الكرسي الحديد الموجود تحت الشبّاك ، زمام القصر وصاحب بيت المال ، وغور رُغْمِها يُرى الخليفة جالسًا في المرتبة الهائلة به . وكان الشُّبَّاك يقع بين الإيوان والسهدلا بالقصر . ولم يكن الجلوس بالشُّبَّاك من مفردات الدولة الفاطمية بل عرف للعباسيين أيضًا ، فمن بين ما أرسله البساسيري إلى القاهرة سنة ٤٥٠هـ الشبّاك الذهب الذي كان يجلس فيه الخليفة القائم العباسي . فلما سُيِّد الأفضل شاعشاه دار الوزارة الكبرى جعل هذا الشُّبَّاك بها . (أمين فؤاد : مقدمة نزعة المقلتين لابن الطوير ٩٧ - ٩٨* وفيما يلي ٤٤١).

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين ١٨٦-١٨٩ ، المقرئ :

المسودة ٨٤-٨٧ .

^٢ يُعرَف هذا العيد بعيد النَّضَر . انظر فيما يلي

٥٩٣ .

ونظرًا لأنَّ الحافظ عبد المجيد لم يكن أبوه إمامًا فقد قُرئ سجل مؤرخ في ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦هـ / ٢٣ فبراير سنة ١١٣٢م بمباهته إمامًا (بعد أن كان ولي عهد كميل لمن يُذكر اسمه) . ويدور هذا السجل الذي حفظه لنا القلقشندي (صبح الأعشى ٩: ٢٩١-٢٩٧) حول فكرة أن الأمر أوصى بالإمامة إلى ابن عمه عبد المجيد تمامًا مثلما عقد النبي ﷺ الولاية لابن عمه عليّ بن أبي طالب في غدير خُعم (انظر Sanders, P., «Claiming the Past: Ghadir Khumm and the Rise of Hāfizi Historiography in Late Fatimid Egypt», *SI* 75 (1992), pp. 81-

فَيُخْرَجُ الْخَلِيفَةُ رَاكِبًا إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَيَتَرَجَّلُ عَلَى بَابِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْخَوَاصُّ ، فَيَجْلِسُ عَلَى الْمُرْتَبَةِ ، وَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفَّيْنِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ يَجْعَلُ قُدَّامَهُ كُرْسِيَّ الدُّعْوَةِ وَعَلَيْهِ غِشَاءٌ قُرْقُوبِيٌّ ، وَخَوَالِيهِ الْأُمَرَاءُ الْأَعْيَانُ وَأَرْبَابُ الرَّتَبِ . فَيَضَعُ الْقَاضِي الْقَضَاةَ وَيُخْرِجُ مِنْ كُتْمِهِ كُرْسَاةَ مُسَطَّحَةً تَضُمُّنُ قُصُورًا كَالْفَرْجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ بِنَظْمٍ مَلِيحٍ ، يَذْكُرُ فِيهِ كُلُّ مَنْ أَصَابَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُلُوكِ شِدَّةٌ وَقُرُوجٌ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاجِدًا فَوَاجِدًا ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْخَافِظِ ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْكُرْسَاةُ مَحْمُولَةً مِنْ دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ قِرَاءَتُهَا ، نَزَلَ عَنِ الْمُنْبَرِ وَدَخَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الثِّيَابِ أَجْلٌ ثَمًا لِبَسِهِ ، وَيَكُونُ قَدْ حُمِلَ إِلَى الْقَاضِي قَبْلَ خَطَابَتِهِ بِذَلِكَ مُمَيَّزَةً يَلْبِسُهَا لِلخَطَابَةِ ، وَيُؤْصَلُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْخَطَابَةِ خَمْسُونَ دِينَارًا^١ .

وَقَالَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الْمُلْكِ أَبُو عَلِيٍّ مُوسَى بْنُ الْمَأْمُونِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَاتِكٍ بْنُ مُخْتَارِ الْبَطَّائِحِيِّ فِي «تَارِيخِهِ» : وَاسْتَهْلَ عِيدُ الْقَدِيرِ - يَعْنِي مِنْ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ - وَهَاجَرَ إِلَى بَابِ الْأَجَلِّ - يَعْنِي الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ الْبَطَّائِحِيُّ - الضُّعْفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَوَالِي وَالْأُدُونِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ وَتَرْوِيجِ الْأَيَّامِ ، وَصَارَ مَوْسِمًا يَرُصُّهُ كُلُّ أَحَدٍ ، وَيَرْتَقِبُهُ كُلُّ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ فَتَجَزَى فِي مَعْرُوفِهِ عَلَى رَسْمِهِ ، وَبَالَغَ الشُّعْرَاءُ فِي مَدْحِهِ بِذَلِكَ .

وَوَصَلَتْ كُنُوشَةُ الْعِيدِ الْمَذْكُورِ ، فَحُمِلَ مَا يَخْتَصُّ بِالْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ ، وَأَمِيرٌ بِتَفَرُّقٍ مَا يَخْتَصُّ بِأَرْمَةِ الْعَسَاكِرِ فَارِسَهَا وَرَاجِلُهَا ، مِنْ غَيْثٍ وَكُنُوشَةٍ . وَبَلَغَ مَا يَخْتَصُّ بِهِمْ مِنَ الْعَيْنِ سَبْعَ مِائَةٍ وَتِسْعِينَ دِينَارًا ، وَمِنْ الْكُنُشَاتِ مِائَةٌ وَأَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ قِطْعَةً . وَالْهَيْئَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِهَذَا الْعِيدِ بِرَسْمِ كِبَرَاءِ الدُّوَلَةِ وَشُيُوخِهَا وَأَمَرَاتِهَا وَضُيُوفِهَا ، وَالْأَشْتَادِينَ الْمُحْتَكِينَ وَالْمُمَيَّزِينَ مِنْهُمْ ، خَارِجًا عَنْ أَوْلَادِ الْوَزِيرِ وَإِخْوَتِهِ . وَيُفَرَّقُ مِنْ مَالِ الْوَزِيرِ بَعْدَ الْخَلْعِ عَلَيْهِ أَلْفَانِ وَخَمْسَ مِائَةٍ دِينَارٍ وَثَمَانُونَ دِينَارًا ، وَأَمِيرٌ بِتَعْلِيقِ جَمِيعِ أَبْوَابِ الْقُصُورِ ، وَتَفَرُّقِ الْمُؤَدِّينَ بِالْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ عَلَيْهَا ، وَتَقَدُّمُ بَأَنٍ تَكُونُ الْأَشْمِطَةُ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ عَلَى حُكْمِ سِمَاطٍ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ عِيدِ الشُّعْرِ .

^١ بعد الشُّدَّةِ لِلْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الشُّوْخِيِّ الْمُتَرَفِّفِ سَنَةِ ٣٨٤هـ / ٩٩٤م . وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا الْكُتُبُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى يَنِمَا وَصَلَ إِلَيْنَا كِتَابُ الشُّوْخِيِّ وَطُبِعَ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ أَجْمَعًا وَأَضْبَطَهَا نَشْرَةُ عُمُودِ الشَّالِحِي فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ صَدَرَتْ فِي بَيْرُوتَ سَنَةِ ١٩٧٨ .

^٢ ابن الطُّوَيْرِ : نَزْهَةُ الْمُتَلَقِّينَ ٣٤-٣٥ . وَمِنْ أَشْهُرِ هَذِهِ الْكُتُبِ كِتَابُ «الْفَرْجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ وَالضُّيُفَةِ» لِأَمِيٍّ الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ وَكِتَابُ «الْفَرْجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ» لِأَمِيٍّ بَكْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ أَبِي الدُّثْنَاءِ وَآخِرُهَا لِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسُفَ الْأُرْدِيِّ ، ثُمَّ كِتَابُ «الْفَرْجِ

وفي باكر هذا اليوم ، تَوَجَّهَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْمَيْدَانِ ، وَذَبَحَ مَا جَزَتْ بِهِ الْعَادَةُ ، وَذَبَحَ الْجَزَارُونَ بَعْدَهُ
مِثْلَ عَدَدِ الْكِبَاشِ الْمَذْبُوحَةِ فِي عِيدِ التَّخْرِ ، وَأَمَرَ بِتَقْرِيقِ ذَلِكَ لِلْخُصُوصِ دُونَ الْعُمُومِ . وَجَلَسَ
الْخَلِيفَةُ فِي الْمُنْظَرَةِ ، وَخَدِمَتْ الرَّهَجِيَّةُ^١ ، وَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ وَالْأُمَرَاءُ وَسَلَّمُوا ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ
وَالْمُؤَذِّنُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْقَصْرِ يُكَبِّرُونَ تَكْبِيرَ الْعِيدِ ، إِلَى أَنْ دَخَلَ الْوَزِيرُ فَوَجَدَ الْمُنِيرَ قَدْ هُتِيَ^٢ ،
فَتَقَدَّمَ الْقَاضِي أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْشَفُ بْنُ أَيُّوبَ فَصَلَّى بِهِ وَبِالْجَمَاعَةِ صَلَاةَ الْعِيدِ ، وَطَلَعَ الشَّرِيفُ بْنُ
أَنَسِ الدَّوْلَةِ وَخَطَبَ لُحْطَبَةَ الْعِيدِ .

ثُمَّ تَوَجَّهَ الْوَزِيرُ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَوَجَدَ الْخَلِيفَةَ قَدْ جَلَسَ قَاصِدًا لِلِقَائِهِ ، وَقَدْ ضُرِبَتْ الْمَقَرَّمَةُ ،
فَأَتَمَّرَهُ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهَا ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً مَكْمَلَةً مِنْ بَذَلَاتِ التَّخْرِ ، وَثَوْبُهَا أَحْمَرُ بِالشَّدَةِ الدَّائِيَّةِ ،
وَقَلْبُهُ سَيْفًا مَرْصُوعًا بِالْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ ، وَعِنْدَمَا نَهَضَ لِيَقْبَلَ الْأَرْضَ ، وَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ لَهُ الْعَقْدَ
الْجَوْهَرِ ، وَرَبَطَهُ بِيَدِهِ فِي عُنُقِهِ ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ .

وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَلِكِ ، فَتَلَقَّاهُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ
وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَالْأُمَرَاءَ الْمُتَمَيِّزُونَ^٣ تَحْجِيهِ . وَخَدِمَتْ الرَّهَجِيَّةُ وَضُرِبَتْ الْغَرِيَّةُ^٤ ، وَالْمُوكَبُ
جَمِيعُهُ بِرُيَّةٍ وَقَدْ اصْطَطَقَتِ الْعَسَاكِرُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى وَلَدِهِ بِالْجُلُوسِ عَلَى أَسِيطَتِهِ وَتَقْرِيقِهَا^٥ بِرُشُومِهَا .
وَتَوَجَّهَ إِلَى الْقَصْرِ وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّبُونَ ، فَسَلَّمَ الْحَاضِرُونَ ، وَجَرَى الرَّسْمُ فِي السَّمَاطِ الْأَوَّلِ
وَالثَّانِي وَتَفَرَّقَ الرُّسُومُ وَالْمَوَائِدُ ، عَلَى مُحْكَمِ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ عِيدِ التَّخْرِ . وَتَوَجَّهَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى
السَّمَاطِ الثَّالِثِ الْخَاصِّ بِالِدَارِ الْجَدِيدَةِ^٦ لِأَقَارِبِهِ وَمَجْلِسَاتِهِ .

وَلَمَّا انْقَضَى مُحْكَمُ التَّعْيِيدِ ، جَلَسَ الْوَزِيرُ^٧ فِي مَجْلِسِهِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّبُونَ ، وَخَضَعَ الْكُتُبَاءُ
وَبِيَاضُ الْبَلَدِينَ لِلْهَنَاءِ^٨ بِالْعِيدِ وَالْخَلْعِ ، وَخَرَجَ الرَّسْمُ وَتَقَدَّمَ الشُّعْرَاءُ فَأَنشَدُوا وَشَرَحُوا الْحَالَ ،

(a) بولاق : فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ . (b) بولاق : المقربون . (c) بولاق : العربية . (d) بولاق :
تفرقتها . (e) بولاق : الحليلة . (f) مسودة المواظب : الأجل . (g) بولاق : لهنى .

^١ الرَّهَجِيَّةُ . جماعة كانت تخدم أمام الخليفة في
المواكب الاحتفالية ، وأحياناً كانت تخدم أمام الوزير في
بعض الاحتفالات ، كما كانت تقوم بنفس العمل إذا ركب
الخليفة غشباري في النيل ، كما كانوا يبن من يتولون حراسة
القصر الفاطمي ومنظرة اللؤلؤة عندما يتواجد فيها الخليفة .
وكان لهم زمام يعرف دائماً بسنان الدولة بن الكركندي كان
يطلق الخلع في المناسبات عن زم الرهجة والمبيت على أبواب
القصور (أمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٧٢٢) .
^٢ الغرية . بوق لطيف تُفْرَجُ الرَّأْسُ مُتَّخِذٌ مِنَ الذَّهَبِ
صُورُهُ مُخَالَفٌ لَصُورِ الْأَبْوَاقِ (ابن المأمون : أخبار مصر
٤٣٠ ص ١٦ ، ٧٦ ص ١٤ ، ٨٦ ص ٨٨ ؛ الفلقشندي : صبح
الأعشى ٣ : ٥٠٣ ، وفيما يلي ٤٧٣ ، ٤٨٤) .

وحَضَرَ متوَلِّي خَزَائِن الكُشُوَّة الخاصَّ بالثِّيَاب التي كانت على المأمون قبل الخَلْع، وقَبَضُوا الرُّشْم الجاري به العادة وهو مائة دينار، وحَضَرَ متوَلِّي يَمَت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برِشْم فِكَاك العَقْد الجَوَّهر والسَّيف المُرْصَع؛ فَأَمَرَ الوَزِيرُ المأمونُ الشَّيخَ أبا الحَسَن بن أبي أُسامة، كَاتِب الدَّيْنِ الشَّرِيف، بِكُتُب مُطالعةٍ إلى الخَلِيفَةِ بما حَمَلَ إليه من المال برِشْم مِثْدَلِ الكُتُب، وهو ألف دينار، ورِشْم الإخوة والأقارب ألف دينار، وتسَلَّمَ متوَلِّي الدِّيوان^(١) بَقِيَّةَ المال ليفرِّق على الأُمراء المُطَوَّقِينَ والمُتَمَرِّين والضُّيُوف والمُستَخدمِينَ^١.

ذِكْرُ (ب) المَحْوَل

قال ابنُ عبد الظَّاهر: المَحْوَل هو مَجْلِس الدَّاعي، ويُدْخَلُ إليه من باب الرِّيح، وبابه من باب البَحر/، ويُعرَف بقصر البَحر. وكان في أوقات الاجتماع يُصَلِّي الدَّاعي بالنَّاس في رواقه^٢.

وقال المَسْبُوحِي: وفي ربيع الأول - يعني من سنة خمسٍ وثمانين وثلاث مائة - جَلَسَ القاضي محمد بن النُّعمان على كرسي بالقصر لِقراءة عُلوم آل البيت، على الرُّشْم المعتاد المُتقدِّم له ولأخيه بمصر وأبيه^(٣) بالمغرب، فمات في الرُّحْمَةِ أَخذَ عشر رجلاً فَكَفَّنَهُم القَزِيرُ بالله^٣.

وقال ابنُ الطَّوَوِير: وأما داعي الدُّعاة فَإِنَّه يلي قاضي القضاة في الرُّتبة، ويتزَيَّأ بِرِيَّه في اللباس وغيره^٤. وَوَضَعَهُ أَنَّهُ يكون عالِماً بجميع مذاهب أهل البيت يُفَرِّقُ عليه، ويُأْخُذُ العَهْدَ على من يَتَقَلَّ من مَذْهَبِهِ إلى مَذْهَبِهِم، وبين يَدَيْهِ من نُقَبَاءِ المُؤْمِنِينَ^(٤) اثنا عشر نَقِيباً، وله نُوابٌ كُتُّوب الحُكْم في سائر البلاد، ويحضر إليه فُقهاءُ الدولة، ولهم مكانٌ يُقال له «دارُ العِلْم»^٥، ولجماعة منهم على التَّضدير بها أَرْزَاق واسعة.

(a) بولاق: الدولة. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: لأبيه. (f) بولاق: المعلمين.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٤٢-٤٤؛ المقرئ: مسودة المواظ ٨٨-٩١. ^٢ المسبوحى: نصوص ضائعة ١١٤؛ المقرئ: اتعاط ٢٢٦:٢. ^٣ ٢٨٥:١، ومسودة المواظ ٩١، وفيها يلي ٢٢٦:٢.

^٤ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٧؛ المقرئ: القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٨٣. ^٥ عن دار العلم انظر فيما يلي ٥٠٢ - ٥٠٨. ^٦ المسودة ٨١.

وكان الفقهاء منهم يتفقون على دَفْتَرٍ يُقال له «مَجْلِسُ الْحِكْمَةِ»^١، في كل يوم اثنين وخميس، ويحضر مُبَيَّضًا إلى داعي الدُّعَاة فينفذه إليهم، ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخَلِيفَةِ في هذين اليومين المذكورين، فيتلوه عليه إن أمكن، ويأخذ عَلامَتَهُ^٢ بظايره، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كُرْسِي الدُّعْوَةِ بالإيوان الكبير، وللنساء بِمَجْلِس الدَّاعِي وكان من أعظم المباني وأوسعها.

فإذا قَرَعَ من تِلَاوَتِهِ على المؤمنين والمؤمنات حَضَرُوا إليه لِتَقْبِيل يديه، فيُتَمَسَّح على رؤوسهم بِمَكَان العَلامَةِ - أعني خَطَّ الخَلِيفَةِ - وله أَخَذُ «التَّجْوِي»^٣ من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما

(هـ) بولاق : ووصفه .

١٩٧٨ ثم نشر مصطفى غالب ثلاث مائة مجلس منها في بيروت، دار الأندلس ١٩٨٢ - ١٩٨٤، وكذلك «المجالس المستصرية» للداعي الموسوم بعلم الإسلام ثقة الإمام عبد الحكيم بن وهب الملبجي والمنسوبة خطأ إلى بدر الجمالي، وقد نشرها محمد كامل حسين في القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٤٦. وراجع نماذج لهذه المجالس عند محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ٥٤-٦٢. أما كتاب «المجالس والمساربات» للقاضي النعمان بن حُيُون (تونس ١٩٧٨) فهو أشبه بتقرير عن المجالس التي كان يحضرها الخليفة المعز. (راجع *Madilung, W., El²*, art. *Madjlis V*, p. 1029 أين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٥٧٤-٥٨٣).

^٢ عن العلامة. انظر فيما يلي ٣٣٨.

^٣ التَّجْوِي. انكثها الإسماعيليون من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُلَ فَقَدُّوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صِدْقَةً ذَلِكَ نَجْوَى لَكُمْ وَأَطْعَمَكُمْ وَالآيَةُ ١٢ سورة المجادلة [أين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٤٠-٣٤٢].

وهنا حاشية بخط المؤلف نُصِّها: والأصل في النجوى ما خَرَجَ الحاكم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي بن أبي طالب -

^١ مجالس الحكمة أو الحكيم. هي المجالس التي كان يبعثها ويلقيها مرتين في الأسبوع داعي الدعاة باسم الخليفة على المؤمنين سواء في الحَقُول (وهو مجلس الداعي بالقصر) أو على كرسي الدُّعْوَةِ بالإيوان الكبير أو في الجامع الأزهر. وقد جاء في سجل أورده علي بن خلف في «مواد البيان» بالدعوة للدولة والمشايع لها والمواقفة على مذهبها، أثر الخليفة إلى الداعي يقول: «وإلَّه مجالس الحكيم التي تخرج إليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات والمستجيبين والمستجيبات في قصور الخلافة الزاهرة والمسجد الجامع بالمعزة القاهرة...» و«واقبض ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والنجوى والأعتاس والقُرْبَات وما يجري هذا الجري». (مواد البيان ٥٨٧، ٥٨٨، القلقشندي: صبح ١٠: ٤٣٧، ٤٣٨).

وكانت هذه المجالس من مفردات الدولة الفاطمية وأبطلها السلطان صلاح الدين في سنة ٥٦٦ ضمن خطة الإصلاح السنِّي التي بدأها في هذه السنة. (المقريزي: اتعاظ ٣: ٣٢٠).

ومن أشهر هذه المجالس «المجالس المؤيدة» وهي ثمان مائة مجلس ألقاها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدُّعَاة في فترة توليه الدعوة بين سنتي ٤٥٠ و ٤٧٠ هـ، نُشِرت المائة مجلس الأولى منها في لاهور بباكستان سنة

لاسيما الصَّعيد، ومبلغها ثلاثة دراهم وتُلت، فيجتمع من ذلك شيء كثيرٌ يحملُه إلى الخَلِيفَة من يده^(a) بينه وبينه، وأمانته في ذلك مع الله تعالى، فيفرض له الخَلِيفَة منه ما يعينه لنفسه وللنَّقباء. وفي الإسماعيلية المَحْوَلين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارًا وتُلتني دينار على حُكْم التَّجَوُّي، وصُحْبَة ذلك رُقعة مكتوبة باسمه، فيتميز في المَحْوَل، فيخرج له عليها خَطُّ الخَلِيفَة: «بَارَكَ اللهُ فِيكَ وَفِي مَالِكَ وَوَلَدِكَ وَدِينِكَ»، فيُذَخِر ذلك ويُفَاخِر^(b) به.

وكانت هذه الخِدْمَة متعلِّقة بقوم يُقال لهم بَنُو عَبد القَوِي، أبا عن جدٍّ، آخرهم المَجْلِس. وكان الأَفْضَلُ ابن أمير الجيوش نفاهم إلى المغرب، فولد المَجْلِس بالمغرب ورُئي به وكان يميل إلى مَذْهَب أهل السُنَّة، وولِّي القَضَاء مع الدَّعْوَة، وأدركه أَسَدُ الدِّين شيركوه وأكرمه، وجتَلَه واسطةً عند الخَلِيفَة العاضِد، وكان قد حَجَرَ على العاضِد، ولولاه لم يبق في الخَزَائِن شيء لكرمه، وكأنَّه عَلِمَ أَنَّهُ آخِرُ الخُلَفَاء^(c).

قال المُسَبِّحِي: وكان الدَّاعي يُواصلُ المَجْلِس بالقبور لقراءة ما يُقرأ على الأولياء والدَّعَاوِي المُتَّصِلَة، فكان يُفرد للأولياء مَجْلِسًا، وللخاصَّة وشيوخ الدَّوْلَة ومن يختصُّ بالقصور من الخَدَم وغيرهم مَجْلِسًا، ولعوام النَّاس وللطَّارِئِينَ على البلد مَجْلِسًا، وللنِّسَاء في جَامِع القَاهِرَة المعروف بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ مَجْلِسًا، وللحَرَمِ وخَوَاصِّ نِسَاء القُصور مَجْلِسًا.

وكان يَفْعَلُ المَجَالِس في داره، ثم يُنْقِضُهَا إلى من يَخْتَصُّ بِخِدْمَة الدَّوْلَة، ويَتَّخِذُ لهذه المَجَالِس كُتَّابًا^(d) يبيِّضُونَهَا بعد عَرْضِهَا على الخَلِيفَة. وكان يَقْبُضُ في كُلِّ مَجْلِس من هذه المَجَالِس ما يُخْصَلُ من التَّجَوُّي من كُلِّ مَنْ يَدْفَعُ شَيْئًا من ذَلِكَ عَيْتًا وَوَرَقًا من الرِّجَال والنِّسَاء، وَيَكْتُبُ أَشْهَاء من يدفع شَيْئًا على ما يدفعه، وكذلك في عيد الفِطْرِ يَكْتُبُ ما يُدْفَعُ عن الفِطْرَة، وَيَخْصَلُ

(a) بولاق: بيده. (b) بولاق: ويفاخِر. (c) بولاق: كتب.

«رضي الله عنه - إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدى، آية النجوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَبِثْتُمُ الرِّشُولَ فَقَدْمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَاكُمُ سَدَقَةً﴾ الآية. إذا لم يجيئكم الرِّشُولُ فَقَدْمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَاكُمُ سَدَقَةً﴾ الآية. كان عندي دينار أرقعه بعشرة دراهم فاجبت النبي ﷺ، فكنيت كلما ناجيت النبي - عليه السلام - قُدِّمْتُ بين يدي لجواري درهمًا، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ونزلت

¹ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١١٠-١١٢، المقرئ: مسودة المواعظ ٩١-٩٤.

من ذلك مالٌ جليلٌ يُحتمل^(a) إلى بيت المال شيئاً بعد شيء، وكانت تُسمى مجالس الدَّعوة «مجالس الحكمة»^١.

وفي سنة أربع مائة كُتِبَ سِجِلٌّ عن الحاكم بأمر الله فيه رُفِعَ الخُمُسَ والزَّكَاةَ والْفِطْرَةَ والتَّجْوِىَ التي كانت تُحتمل، ويُتَقَرَّبُ بها، وتجرى على أيدي القضاة. وكُتِبَ سِجِلٌّ آخرُ يَقْطَعُ مجالس الحكمة التي تُقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة^٢، انتهى.

ووظيفة داعي الدَّعاة كانت من مُفردات الدولة الفاطمية. وقد لخصت من أمر الدَّعوة طرُقاً أُخْبِتَ إيرادها هنا^٣.

وَصَفُ الدَّعْوَةِ وَرَرْتِيذِيَّتُهَا

وكانت الدَّعوة مُرتبةً على منازل، دَّعوةٌ بعد دَّعوة.

الدَّعوة الأولى - سؤال الدَّاعي لمن يدعوه إلى مَذْهَبه عن المُشكلات، وتأويل الآيات، ومعاني الأمور الشرعية، وشيء من الطلبيات ومن الأمور الغامضة، فإن كان المدعو عارفاً^(b) سلَّم له الدَّاعي، وإلا تركه يُعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة، وقال له: يا هذا إن الدين لمكتوم، وإن الأكثر له مُنكرون وبه جاهلون، ولو عَلِمْتَ هذه الأئمة ما خَصَّ الله به الأئمة من العلم لم تختلف؛ فيُشَوِّق^(c) حينئذ المدعو إلى معرفة ما عند الدَّاعي من العلم، فإذا علم منه الإقبال، أخذ في ذكر معاني القرآن^(d) وشرائع الدين^(e) وتُزِيلُ الآيات^(f)، وتُقرِّرُ أن الآفة التي نَزَلَتْ بالأئمة وشئت الكلمة؛ وأوزنت الأهواء المُضِلَّة، ذهاب الناس عن أئمة تُصِيبُوا لهم، وأقيموا حافِظين لشرائعهم يؤدُّونها على حقيقتها^(g)، ويَحْفَظُونَ معانيها ويُقرِّفُونَ بِوَاطِنِهَا.

(a) بولاق: يدفع. (b) المسودة: فإن اتفق له مجيب عارف جدل. (c) المسودة: فيطلع. (d) بولاق: القراءات. (e-e) زيادة من المسودة. (f) المسودة: حقائقها.

^١ المسيحي: نصوص ضالعة ٣٩.
^٢ نفسه ٣٩؛ المقرئ: اتعاض ٨٢:٢.
^٣ لم يشر المقرئ في هذا الفصل إلى المصدر الذي نقل عنه هذه المعلومات، واكتفى بالإشارة في نهايته إلى أنه اختصره من مؤلفات الإسماعيلية التي لم يحدد عناوينها. ونقل هذا الفصل إلى الفرنسية قبل نحو مائتي عام سلفستر دي ساسي في كتابه عن دين الدروز، ثم أعاد نقله إلى الفرنسية كذلك بول كازانوفاً مع تعليقات غنية ونشره سنة ١٩٢١ في مجلة للمعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة La Casanova, P., «La doctrine secrète des Fatimides d'Égypte», BIFAO XVIII (1921), pp. 121-65. وانظر أيضاً المقرئ: مسودة المواظب ٩٥-١١١.

١ المسيحي: نصوص ضالعة ٣٩.
٢ نفسه ٣٩؛ المقرئ: اتعاض ٨٢:٢.
٣ لم يشر المقرئ في هذا الفصل إلى المصدر الذي نقل عنه هذه المعلومات، واكتفى بالإشارة في نهايته إلى أنه اختصره من مؤلفات الإسماعيلية التي لم يحدد عناوينها. ونقل هذا الفصل إلى الفرنسية قبل نحو مائتي عام سلفستر دي

غير أَنَّ النَّاسَ لَمَّا عَدَلُوا عَنِ الْأُثْمَةِ ، وَنَظَرُوا فِي الْأُمُورِ بِمَقُولِهِمْ ، وَاتَّبَعُوا مَا حَسَنَ فِي رَأْيِهِمْ ، وَقَلَّدُوا سِفْلَتَهُمْ^(a) ، وَأَطَاعُوا سَادَتَهُمْ وَكُثْبَاءَهُمْ أَتْبَاعَ الْمُلُوكِ^(b) ، وَطَلَبْنَا لِلدُّنْيَا الَّتِي هِيَ أَيْدِي مَتَّبِعِي الْإِثْمِ وَأَجْنَادِ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِ الْفَسَقَةِ ، الَّذِينَ يُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ عَلَى الصُّعْفَاءِ/، وَمُكَايَدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أُمِّيهِ ، وَتَغْيِيرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَبْدِيلِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمُخَالَفَةِ دَعْوَتِهِ ، وَأَفْسَادِ شَرِيعَتِهِ ، وَشُلُوكِ غَيْرِ طَرِيقَتِهِ ، وَمُعَانَدَةِ الْخُلَفَاءِ الْأُثْمَةِ مِنْ بَعْدِهِ نَحْوُ مَنْ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَصَارَ النَّاسُ إِلَى أَنْوَاعِ الضَّلَالَاتِ .

فَإِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا جَاءَ بِالتَّحْلِي ، وَلَا بِأَمَانِي الرِّجَالِ ، وَلَا شَهَوَاتِ النَّاسِ ، وَلَا بِمَا خَفَّ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَعَرَفَتْهُ ذَهْمَاءُ الْعَامَةِ . وَلَكِنَّهُ صَعِبٌ مُسْتَضْعَبٌ ، وَأَمْرٌ مُسْتَقْبَلٌ ، وَعِلْمٌ خَفِيَ غَايِضُ سِتْرِهِ اللَّهُ فِي حُجُبِهِ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ عَنْ ابْتِدَالِ أَشْرَارِهِ . فَهُوَ سِرُّ اللَّهِ الْمَكْتُومِ ، وَأَمْرُهُ الْمُسْتَوْرَ الَّذِي لَا يُطِيقُ حَمْلَهُ ، وَلَا يَنْهَضُ بِأَعْيَانِهِ وَيَقْلَهُ إِلَّا مَلَكَ مُقَرَّبٌ ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَنَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلتَّقْوَى^(c) ؟ فَإِذَا ارْتَبَطَ الْمَذْمُوعُ عَلَى الدَّاعِي وَأَيَسَ لَهُ ، نَقَلَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

فَمَنْ مَسَائِلُهُمْ : مَا مَعْنَى رَفِي الْجِيمَارِ وَالْعَدُوِّ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَلِمَ كَانَتْ الْحَائِضُ تَقْضِي الصُّومَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ ، وَمَا بَالُ الْجُنُبِ يَغْتَسِلُ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَسِيرُ وَلَا يَغْتَسِلُ مِنَ الْبُزْلِ التَّجَسُّسِ الْكَثِيرِ الْقَدَرِ ، وَمَا بَالُ اللَّهِ خَلَقَ الدُّنْيَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، أَعَجَزَ عَنْ خَلْقِهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ وَمَا مَعْنَى الصُّرَاطِ الْمَضْرُوبِ فِي الْقُرْآنِ مَثَلًا ، وَالْكَائِبِينَ الْحَافِظِينَ ، وَمَا لَنَا لَا تَرَاهُمَا ، أَخَافَ رَبَّنَا أَنْ تُكَابِرَهُ وَنُجَاجِدَهُ حَتَّى أَذْكَى^(d) الْعَيُونَ ، وَأَقَامَ عَلَيْنَا الشُّهُودَ ، وَفَيْدَ ذَلِكَ فِي الْقِرَاطِاسِ بِالْكِتَابَةِ ؟

وَمَا تَبْدِيلُ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ ، وَمَا عَذَابُ بَجْهَتُمْ ، وَكَيْفَ يَصْبَحُ تَبْدِيلُ جِلْدٍ مُذْنِبٍ بِجِلْدٍ لَمْ يُذْنِبْ حَتَّى يُعَذَّبَ ، وَمَا مَعْنَى ﴿وَنُخْلِلْ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ تَنْصِيحًا﴾ [الْآيَةُ ١٧ سُوْرَةُ الْحَاقَّةِ] ، وَمَا إِبْلِيسُ ، وَمَا الشَّيَاطِينُ ، وَمَا وَصِفُوا بِهِ وَأَيْنَ مُسْتَقَرُّهُمْ ، وَمَا مِقْدَارُ قُدْرَتِهِمْ ؟ وَمَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهَازُوتُ وَمَازُوتُ ، وَأَيْنَ مُسْتَقَرُّهُمْ ؟ وَمَا سَبْعَةُ أَبْوَابِ النَّارِ ؟ وَمَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا شَجَرَةُ الرُّقُومِ النَّابِتَةِ فِي الْجَحِيمِ ؟ وَمَا دَابَّةُ الْأَرْضِ وَرُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ، وَالتِّينَ وَالزَّيْتُونَ ؟

وَمَا الْحُكْسُ الْكُتْسُ ، وَمَا مَعْنَى (الْمَ) وَ(الْتَمَسَ) [الْآيَةُ ١ سُوْرَةُ الْبَقَرَةِ وَسُوْرَةُ الْأَعْرَافِ] ، وَمَا مَعْنَى ﴿كَمُتِّعْتُمْ﴾ [الْآيَةُ ١ سُوْرَةُ مَرْيَمَ] وَ﴿حَمْدٌ * عَسَى﴾ [الْآيَاتُ ١ ، ٢ سُوْرَةُ الشُّورَى] ؟ وَلِمَ جُعِلَتْ

السَّمَلَوَاتُ سَبْعًا ، والأَرْضُونَ سَبْعًا ، والثَّانِي مِنَ الْقُرْآنِ سَبْعَ آيَاتٍ ، وَلَمْ تُجَزَّ الْعُيُونُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا ، وَلَمْ يُجْعَلَتِ الشُّهُورُ اثْنِي عَشْرَ شَهْرًا ، وَمَا يَعْمَلُ مَعَكُمْ عِلْمٌ^(٩) الْكِتَابِ وَالشُّنَّةِ ، وَمَعَانِي الْفَرَائِضِ اللَّازِمَةِ ؟ فَكَّرُوا أَوَّلًا فِي أَنْفُسِهِمْ : أَيْنَ أَزْوَاحُكُمْ ، وَكَيْفَ صُورُهَا ، وَأَيْنَ مَسْقَرُهَا ، وَمَا أَوَّلُ أَمْرُهَا ، وَالْإِنْسَانُ مَا هُوَ ، وَمَا حَقِيقَتُهُ ، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ حَيَاتِهِ وَحَيَاةِ الْبَهَائِمِ ، وَقَبْلُ مَا بَيْنَ حَيَاةِ الْبَهَائِمِ وَحَيَاةِ الْحَشَرَاتِ ، وَمَا الَّذِي بَانَتْ بِهِ حَيَاةُ الْحَشَرَاتِ مِنْ حَيَاةِ الثَّيَّاتِ ؟ وَمَا مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «لَخُلِقَتْ خَوَاءٌ مِنْ ضَلْعِ آدَمَ» ؟ وَمَا مَعْنَى قَوْلِ الْفَلَايِصَةِ : الْإِنْسَانُ عَالَمٌ صَغِيرٌ ، وَالْعَالَمُ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ ؟ وَلَمْ كَانَتْ قَامَةُ الْإِنْسَانِ مُنْتَصِبَةً دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَلَمْ كَانَتْ فِي يَدَيْهِ مِنَ الْأَصَابِعِ عَشْرٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ عَشْرٌ أَصَابِعَ ، وَفِي كُلِّ إصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ثَلَاثَةُ شُقُوقَ ، إِلَّا الْإِبْهَامَ فَإِنَّ فِيهِ شَقْنَيْنِ فَقَطْ ؟ وَلَمْ كَانَتْ فِي وَجْهِهِ سَبْعُ ثُقُوبَ وَفِي سَائِرِ بَدَنِهِ ثُقُبَانِ ، وَلَمْ كَانَتْ فِي ظَهْرِهِ اثْنَا عَشْرَةَ عُقْدَةً وَفِي عُنُقِهِ سَبْعُ عُقَدَ ، وَلَمْ يُجْعَلْ رَأْسُهُ^(١٠) صُورَةَ مِمْ ، وَيَدَاهُ حَاءَ ، وَبَطْنُهُ مِيمًا ، وَرِجْلَاهُ دَالًا ، حَتَّى سَارَ ذَلِكَ كِتَابًا مَرْسُومًا يَتَرَجِمُ عَنْ مُحَمَّدٍ ؟ وَلَمْ يُجْعَلَتْ قَامَتُهُ إِذَا انْتَصَبَ صُورَةَ أَلْفَ ، وَإِذَا رَكَعَ صَارَتْ صُورَةَ لَامَ ، وَإِذَا سَجَدَ صَارَتْ صُورَةَ هَاءَ ، فَكَانَ كِتَابًا يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ ؟ وَلَمْ يُجْعَلَتْ أَعْدَادُ عِظَامِ الْإِنْسَانِ كَذَا ، وَأَعْدَادُ أَسْنَانِهِ كَذَا ، وَالْأَعْضَاءُ الرَّئِيسَةُ كَذَا ؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّشْرِيحِ وَالْقَوْلِ فِي الثُّرُوقِ وَالْأَعْضَاءِ وَوُجُوهِ مَنَافِعِ الْحَيَوَانِ .

ثُمَّ يَقُولُ الدَّاعِي : أَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِي حَالِكُمْ وَتَعْتَبِرُونَ ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ حَكِيمٌ غَيْرُ مُجَازِفٍ ، وَأَنَّهُ قَتَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ الْحِكْمَةِ ، وَلَهُ فِيهَا أَشْرَارٌ خَفِيَّةٌ حَتَّى يَجْمَعَ مَا جَمَعَ وَفَرْقَ مَا فَرَّقَ ؟ فَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُ الْإِعْرَاضَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ ٢٠ ، ٢١ سُورَةُ الذَّارِيَاتِ] ، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الْآيَةُ ٢٥ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ] ، ﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبْيَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [الْآيَةُ ٥٣ سُورَةُ فَصَلَتْ] .

فَأَيُّ شَيْءٍ رَأَى الْكَفَّارُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْأَفَاقِ حَتَّى عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ؟ وَأَيُّ حَقٍّ عَرَفَهُ مِنْ جَعْدِ الدُّيَانَةِ ؟ أَلَا يَدُلُّكُمْ هَذَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ أَرَادَ أَنْ يُزَيِّدَكُمْ إِلَى بَوَاطِنِ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ ، وَأَشْرَارِ فِيهَا مَكْتُومَةٍ لَوْ تَبَيَّنَتْ لَهَا وَغَرِقَتْ مَوَاهِجُهَا لَزَالَتْ عَنْكُمْ كُلُّ حَقِيرَةٍ ، وَدَخَضَتْ كُلُّ شُبَّةٍ^(١١) ، وَظَهَرَتْ لَكُمْ الْمَعَارِفُ السَّيِّئَةُ ؟

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ جَهِلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الَّتِي مِنْ جَهِلْهَا كَانَ حَرِّيًا أَلَا يَعْلَمُ غَيْرَهَا ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية ٧٣ سورة الإسراء] ؛ ونحو ذلك من تأويل القرآن ، وتفسير الشَّيْنِ والأحكام ، وإيراد أبواب من التَّجْوِيز والتَّغْلِيل .

فَإِذَا عَلِمَ الدَّاعِي أَنَّ نَفْسَ الْمَدْعُوِّ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِمَا سَأَلَهُ عَنْهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَابَ عَنْهَا ، قَالَ لَهُ

حَيْثُ : لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ أَغْلَى وَأَجَلَ مِنْ أَنْ يَبْذَلَ لِغَيْرِ أَهْلِهِ ، وَيُجْعَلَ غَرَضًا لِلْعَبَثِ . وَجَرَتْ

عَادَةُ اللَّهِ وَشَيْئُهُ فِي عِبَادِهِ ، عِنْدَ شَرْعٍ مِنْ نَصَبِهِ ، أَنْ يَأْخُذَ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ يُؤْشِدُهُ ، وَلِلَّذَلِكَ قَالَ :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ

مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الآية ٧ سورة الأحزاب] ؛ وَقَالَ / عَزَّ وَجَلَّ : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الآية ٢٣ سورة الأحزاب] ؛ وَقَالَ جَلَّ

جَلَالُهُ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [الآية ١ سورة المائدة] ، قَالَ : ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَايَا

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَأُوا﴾ [الآيات ٩١ ، ٩٢ سورة النحل] ، وَقَالَ : ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية ٧٠

سورة المائدة] ، وَمِنْ أَمْثَالِ هَٰذَا .

فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُمْكِلْ حَقَّهُ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ عَهْدَهُ ، فَأَعْطَانَا صَفْقَةَ يَمِينِكَ ، وَعَاهَدَنَا

بِالْمَوْكَدِ مِنْ أَيْمَانِكَ وَعُقُودِكَ : أَلَّا نَقْشِيَ لَنَا سِرًّا ، وَلَا نَظَاهِرَ عَلَيْنَا أَحَدًا ، وَلَا نَطْلُبَ لَنَا غِيلَةً ، وَلَا

تَكْنَمًا نُضْحِكُهَا ، وَلَا نُؤَالِي لَنَا عَدُوًّا .

فَإِذَا أَعْطَى الْعَهْدَ قَالَ لَهُ الدَّاعِي : أَعْطَانَا جُعْلًا مِنْ مَالِكَ وَغَرْمًا^(١) نَجْعَلُهُ مُقَدِّمَةً أَمَامَ كَشْفِنَا لَكَ

الْأُمُورَ وَتَعْرِيفِكَ إِثَّاها - وَالرُّشْمَ فِي هَٰذَا الْجُعْلِ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ الدَّاعِي - فَإِنْ امْتَنَعَ الْمَدْعُوُّ أَمْسَكَ

عَنْ الدَّاعِي ، وَإِنْ أَجَابَ وَأَعْطَى نَقَلَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الثَّانِيَةِ .

وَأَمَّا سُنَّتُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ بِالْبَاطِنِيَّةِ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَاطِنٌ ،

وَلِكُلِّ تَنْزِيلٍ تَأْوِيلٌ .

الدَّعْوَةُ الثَّانِيَةِ - لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَقَدُّمِ الدَّعْوَةِ الْأُولَى . فَإِذَا تَقَرَّرَ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ جَمِيعُ مَا

تَقَدَّمَ^(٢) وَعَاهَدَ الدَّاعِي^(ب) وَأَعْطَى الْجُعْلَ ، قَالَ لَهُ الدَّاعِي : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرُضْ فِي إِقَامَةِ حَقِّهِ وَمَا

شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ ، إِلَّا أَنْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ عَنْ أَثِمَةٍ نَصَبَتْهُمُ لِلنَّاسِ ، وَأَقَامَتْهُمْ لِحِفْظِ شَرِيعَتِهِ عَلَى مَا أَرَادَهُ

الله تعالى . وَيَسْئَلُكَ فِي تَقْرِيرِ هَذَا ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ مَقْرُورَةٍ فِي كُتُبِهِمْ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ اعْتِقَادَ الْأَئِمَّةِ قَدْ ثَبَتَ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ ، فَإِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ نَقَلَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الثَّالِثَةِ .

الدَّعْوَةُ الثَّالِثَةُ - مُرْتَبَةٌ عَلَى الثَّانِيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الدَّاعِي مِمَّنْ دَعَاهُ أَنَّ ارْتِبَاطَهُ عَلَى دِينِ اللَّهِ لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْأَئِمَّةِ ، قَرَّرَ حِينَئِذٍ عِنْدَهُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ سَبْعَةٌ ، قَدْ رَتَّبَهُمُ الْبَارِي تَعَالَى كَمَا رَتَّبَ الْأُمُورَ الْجَلِيلَةَ ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ سَبْعَةً ، وَيَجْعَلُ السَّمَنَاتِ سَبْعًا ، وَيَجْعَلُ الْأَرْضِينَ سَبْعًا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ سَبْعٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ .

وهؤلاء السَّبْعَةُ الْأَئِمَّةُ^(٥) هُمْ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَعَلِيُّ ابْنِ الْحُسَيْنِ الْمُلَقَّبُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ، وَالشَّاعِبُ هُوَ الْقَائِمُ صَاحِبُ الزَّمَانِ . وَهُمْ - أَعْنِي الشَّيْعَةَ - مُخْتَلِفُونَ فِي هَذَا الْقَائِمِ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ مُحَمَّدَ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَيُسَمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَدُّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ إِمَامًا ، ثُمَّ يُعَدُّ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ .

فَإِذَا تَقَرَّرَ عِنْدَ الْمَدْعُوِّ أَنَّ الْأَئِمَّةَ سَبْعَةٌ ، انْحَلَّ عَنْ مَعْتَقِدِ الْإِمَامِيَّةِ مِنَ الشَّيْعَةِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَةِ اثْنَيْ عَشَرَ إِمَامًا ، وَصَارَ إِلَى مُعْتَقَدِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ انْتَقَلَتْ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ . فَإِذَا عَلِمَ الدَّاعِي ثَبَاتَ هَذَا الْعَقْدِ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ ، شَرَعَ فِي ثَلَبِ بَقِيَّةِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ قَدْ اعْتَقَدَ الْإِمَامِيَّةَ فِيهِمْ الْإِمَامَةَ ، وَقَرَّرَ عِنْدَ الْمَدْعُوِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْمَسْتُورَاتِ وَتَوَاطُنِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَوْجَدَ عِنْدَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، وَأَنَّ عِنْدَهُ أَيْضًا عِلْمُ التَّأْوِيلِ وَتَفْرِيقُهَا وَتَنْفِيسُ ظَاهِرِ الْأُمُورِ ، وَعِنْدَهُ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَجْهِ تَنْذِيرِهِ الْمَكْتُومِ ، وَاتِّفَاقٌ^(٦) دَلَّاهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَسْأَلُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْمَقْدُومَاتِ ، وَتَفْسِيرُ الْمُشْكِلَاتِ وَتَوَاطُنِ الظَّاهِرِ كُلِّهِ ، وَالتَّأْوِيلَاتِ وَتَأْوِيلِ التَّأْوِيلَاتِ . وَأَنَّ دُعَاةَ هُمْ الْوَارِثُونَ لِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ طَوَائِفِ الشَّيْعَةِ ، لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَنْهُ ، وَمِنْ جِهَتِهِ زَوَّوْا ، وَأَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ الْخَالِفِينَ لَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَاوِيَهُمْ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّحَقُّقِ بِمَا عِنْدَهُمْ إِلَّا مِنْهُمْ ، وَيَحْتَاجُ لِذَلِكَ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِهِمْ مِمَّا لَا يَسَعُ هَذَا الْكِتَابُ حِكَايَتَهُ لَطَوْلِهِ . فَإِذَا انْقَادَ الْمَدْعُوُّ وَأَدْعَنَ لِمَا تَقَرَّرَ ، نَقَلَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الرَّابِعَةِ .

الدَّعْوَةُ الرَّابِعَةُ - لَا يَشْرَعُ الدَّاعِي فِي تَقْرِيرِهَا حَتَّى يَتَيَقَّنَ صِحَّةَ انْتِقَادِ الْمَدْعُوِّ لَجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ . فَإِذَا تَيَقَّنَ مِنْهُ صِحَّةَ الْاعْتِقَادِ^(٧) ، قَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّ عَدَدَ الْأَنْبِيَاءِ النَّاسِخِينَ لِلشَّرَائِعِ الْمُتَبَدِّلِينَ لِأَحْكَامِهَا

أَصْحَابِ الْأَذْوَارِ وَتَقْلِبِ الْأَحْوَالِ النَّاظِقِينَ بِالْأُمُورِ ، سَبْعَةَ فَقَطْ كَعَدَدِ الْأُتُمَةِ سَوَاءً . وَكُلُّ وَاجِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَدُّ لَهُ مِنْ صَاحِبٍ بِأَخْذٍ عَنْهُ دَعْوَتُهُ وَيَحْفَظُهَا عَلَى أُمِّيَّتِهِ ، وَيَكُونُ مَعَهُ ظَهِيرًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَخَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَفَاتِهِ إِلَى أَنْ يُبَلِّغَ شَرِيعَتَهُ إِلَى أَحَدٍ يَكُونُ سَبِيلَهُ مَعَهُ كَسَبِيلِهِ هُوَ مَعَ نَبِيِّهِ الَّذِي اتَّبَعَهُ ، ثُمَّ كَذَلِكَ كُلُّ مُسْتَخْلَفٍ خَلِيفَةٍ ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُمْ عَلَى تِلْكَ الشَّرِيعَةِ سَبْعَةُ أَشْخَاصٍ ، وَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ : السَّبْعَةُ الصَّامِتُونَ ، لِقَبَائِلِهِمْ عَلَى شَرِيعَةٍ اقْتَفَوْا فِيهَا أَلْزَاجًا وَاجِدًا هُوَ أَوَّلُهُمْ ، وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةِ «السُّوس» .

وَأَنَّهُ لَا يَدُّ عِنْدَ انْقِضَاءِ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةِ وَتَفَادٍ ذُرِّيَّتِهِمْ ، مِنْ اسْتِفْتِاحِ ذُرِّيَّةٍ ثَانٍ يَظْهَرُ فِيهِ نَبِيٌّ يُنَسِّخُ شَرْعَ مَنْ قَبْلَهُ ، وَتَكُونُ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِ أُمُورِهِمْ تَجْرَى كَأَمْرِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ نَبِيٌّ نَاسِخٌ يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةٌ صُمْتُ أَبَدًا ؛ وَهَكَذَا حَتَّى يَقُومَ النَّبِيُّ السَّابِعُ مِنَ الطُّقَّاءِ ، فَيُنَسِّخُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ ، وَيَكُونُ صَاحِبَ الزَّمَانِ الْآخِرِ .

فَكَانَ أَوَّلُ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الطُّقَّاءِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ صَاحِبَهُ وَشُوسَهُ ابْنُهُ شِيثُ . وَعَدُّوا تَمَامَ السَّبْعَةِ الصَّامِتِينَ عَلَى شَرِيعَةِ آدَمَ .

وَكَانَ الثَّانِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الطُّقَّاءِ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - / فَإِنَّهُ نَطَّقَ بِشَرِيعَةٍ نَسَخَ بِهَا شَرِيعَةَ آدَمَ ، وَكَانَ صَاحِبَهُ وَشُوسَهُ ابْنُهُ سَامٌ ، وَتَلَاهُ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ الصَّامِتِينَ عَلَى شَرِيعَةِ نُوحٍ .

ثُمَّ كَانَ الثَّلَاثُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الطُّقَّاءِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فَإِنَّهُ نَطَّقَ بِشَرِيعَةٍ نَسَخَ بِهَا شَرِيعَةَ نُوحٍ وَآدَمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَكَانَ صَاحِبَهُ وَشُوسَهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَالْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ مِنْ بَعْدِهِ الْمُبَلِّغُ شَرِيعَتَهُ ، ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُفُهُ صَامِتٌ بَعْدَ صَامِتٍ عَلَى شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ حَتَّى تَمَّ ذُرُّ السَّبْعَةِ الصُّمُوتِ .

وَكَانَ الرَّابِعُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الطُّقَّاءِ مُوسَى بْنُ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَإِنَّهُ نَطَّقَ بِشَرِيعَةٍ نَسَخَ بِهَا شَرِيعَةَ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ صَاحِبَهُ وَشُوسَهُ أَخُوهُ هَارُونَ . وَلَمَّا مَاتَ هَارُونَ فِي حَيَاةِ مُوسَى ، قَامَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى يُوسُفُ بْنُ تُونٍ خَلِيفَةً لَهُ صَمَّتْ عَلَى شَرِيعَتِهِ وَبَلَّغَهَا ، فَأَخَذَهَا عَنْهُ وَاجِدٌ بَعْدَ وَاجِدٍ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُ الصُّمُوتِ عَلَى شَرِيعَةِ مُوسَى : يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، وَهُوَ آخِرُ الصُّمُوتِ .

ثُمَّ كَانَ الْخَامِسُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الطُّقَّاءِ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فَإِنَّهُ نَطَّقَ بِشَرِيعَةٍ نَسَخَ بِهَا شُرَائِعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ صَاحِبَهُ وَشُوسَهُ شَمْعُونُ الصُّفَا ، وَمِنْ بَعْدِهِ تَمَّامُ السَّبْعَةِ الصُّمُوتِ عَلَى شَرِيعَةِ الْمَسِيحِ .

إلى أن كان الشايدس من الأنبياء النطقاء نبينا محمد ﷺ ، فإنه نطق بشريعة نَسَخَ بها جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء من قبله ، وكان صاحبه وشوْسه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم من بعد علي بيته صَحَبُوا على الشريعة المحمدية ، وقاموا بميراث أشرارها ، وهم : ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو آخر الصلوات من الأئمة المشهورين .

والشايخ من النطقاء هو صاحب الزمان ، وعند هؤلاء الإسماعيلية أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأنه الذي انتهى إليه علم الأولين ، وقام يعلم بواطن الأمور وكشفها ، وإليه المرجع في تفسيرها دون غيره ، وعلى جميع الكافة أتباعه والخضوع له والالتقياد إليه والتشليم له ، لأن الهداية في موافقته وأتباعه ، والضلال والخيرة في الغدول عنه . فإذا تقرر ذلك عند المدعو ، انتقل الداعي إلى الدعوة الخامسة .

الدعوة الخامسة - مترتبة على ما قبلها ، وذلك أنه إذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد ، أخذ الداعي يقرر أنه لا بد مع كل إمام قائم في كل عصر حُجَج متفرقون عليهم تقوم الأرض في جميع جهاتها ، وعدة هؤلاء الحُجَج أبدا اثنا عشر رجلا في كل زمان ، كما أن عدد الأئمة سبعة .

ويستدل لذلك بأمر : منها أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ، ولائذ في خلق كل شيء من حكمة ، ولأفلم خلق الشجوم التي بها قوام العالم سبعة ، وجعل أيضا السموات سبعا ، والأرضين سبعا ، والبروج اثني عشر ، والشهور اثني عشر شهرا ، ونُقباء بني إسرائيل اثني عشر نقيبا ، ونُقباء رسول الله ﷺ من الأنصار اثني عشر نقيبا .

وعلق تعالى في كف كل إنسان أرتع أصابع ، وفي كل إصبع ثلاثة شقوق ، تكون جملتها اثني عشر شقا . على أنه في كل يد إبهام وفي كل إبهام شقان إشارة ودلالة على أن الإنسان بدنه كالأرض ، وأصابعه كالجزائر الأربع ، والشقوق التي في الأصابع كالحُجَج ، والإبهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الأصابع ، كالذي يقوم الأرض بعدد ما فيها ، والشقان اللذان في الإبهام إشارة إلى أن الإمام وشوْسه لا يفترقان .

ولذلك صار في ظهر الإنسان اثنا عشرة خوزة إشارة إلى الحُجَج الاثني عشر ، وصار في غيْته سبع ، فكان العنق عاليا على خوزات الظهر ، وذلك إشارة إلى الأنبياء النطقاء والأئمة السبعة ، وكذلك الأنتقاب السبعة التي في وجه الإنسان العالي على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة . فإذا تمهد عند المدعو ما دعه إليه الداعي وتقرر ، نقله حيطلا إلى الدعوة السادسة .

الدُّعْوَةُ السَّادِسَةُ - لا تكون إلا بعد ثبوت جميع ما تقدّم في نفس المدّعو، وذلك أنّه إذا صار إلى الرُّتبة الخامسة، أَخَذَ الدّاعي في تفسير معاني شَرَايِع الإسلام - من الصَّلَاة والزَّكَاة والحَجِّ والطَّهَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَرَائِضِ - بِأُمُورٍ مُخَالَفَةٍ لِلظَّاهِرِ، بعد تَمْهِيدِ قَوَاعِدٍ تَبَيَّنَ فِي أَزْمِنَةٍ مِنْ غَيْرِ عَجَلَةٍ. تَوْذِي إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَضِعَتْ عَلَى جِهَةِ الرُّمُوزِ لِمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَسِيَاسَةِ أُمُورِهِمْ^(a)، حَتَّى يَسْتَقْبِلُوا بِهَا عَنْ بَعْثِي بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَصُدِّهِمْ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ حِكْمَةً مِنْ النَّاصِبِينَ لِلشَّرَائِعِ، وَقُوَّةً فِي حُشْنِ سِيَاسَتِهِمْ لِأَتْبَاعِهِمْ، وَاتِّقَانًا مِنْهُمْ لِمَا رَتَّبَهُ مِنَ النَّوَائِيسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى يَتِمَّكَنَ هَذَا الْاِعْتِقَادُ فِي نَفْسِ الْمَدْعُو.

فَإِذَا طَالَ الزَّمَانُ، وَصَارَ الْمَدْعُو وَلَا يَدُ^(b) يَعْتَقِدُ أَنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا وَضِعَتْ عَلَى سَبِيلِ الرُّمُوزِ لِسِيَاسَةِ الْعَامَّةِ، وَأَنَّ لَهَا مَعَانِي أُخَرُ غَيْرَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ، نَقَّلَهُ الدّاعي إِلَى الْكَلَامِ فِي الْفَلَسَفَةِ، وَخَضَّعَهُ عَلَى النَّظَرِ فِي كَلَامِ أَفْلَاطُونِ وَأَرِسْطُو وَفِيثَاغُورَسَ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، وَنَهَاهُ عَنْ قَبُولِ الْأَخْبَارِ وَالِاخْتِجَاعِ بِالشَّمْعِيَّاتِ، وَزَيَّنَ لَهُ الْاِفْتِدَاءَ بِالْأَوَّلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّعْوِيلَ عَلَيْهَا.

فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ / عِنْدَهُ وَاعْتَقَدَهُ، نَقَّلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الدُّعْوَةِ السَّابِقَةِ، وَيَحْتَاجُ ذَلِكَ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ.

٣٩٥:

الدُّعْوَةُ السَّابِقَةُ - لَا يُفْصِحُ بِهَا الدّاعي مَا لَمْ يَكْثُرْ أَثَرُهُ مِنْ دَعَا، وَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ قَدْ تَأَهَّلَ إِلَى الْاِنْتِقَالِ إِلَى رُتْبَةٍ أَعْلَى مِمَّا هُوَ فِيهِ، فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ: «عَلِمَ^(c) أَنَّ صَاحِبَ الدَّلَالَةِ وَالنَّاصِبِ لِلشَّرِيعَةِ لَا يَسْتَفْنِي بِنَفْسِهِ، وَلَا يَدُ لَهُ مَنْ صَاحِبٍ مَعَهُ يَغَيِّرُ عَنْهُ، لِيَكُونَ أَحَدُهُمَا الْأَضْلَ وَالْآخَرُ عَنْهُ كَانَ وَصَدَرَ. وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ لِمَا يَحْوِيهِ الْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ، فَإِنَّ مُدَبِّرَ الْعَالَمِ فِي أَضْلِ التَّرْتِيبِ وَقِيَامِ النُّظَامِ صَدَرَ عَنْهُ أَوَّلَ مَوْجُودٍ بِغَيْرِ وَايِسْطَةِ وَلَا سَبَبٍ نَشَأَ عَنْهُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الْآيَةُ ٨٢ سُورَةُ بَا] إِشَارَةً إِلَى الْأَوَّلِ فِي الرُّتْبَةِ، وَالْآخَرُ هُوَ الْقَدَرُ الَّذِي قَالَ فِيهِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [الْآيَةُ ٤٩ سُورَةُ الْقَمَرِ]، وَهَذَا مَعْنَى مَا نَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ فَقَالَ لِلْقَلَمِ «اكْتُبْ» فَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ مَا هُوَ كَاتِبٌ.

وَأَشْيَاءٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَوْجُودَةٌ فِي كُتُبِهِمْ، وَأَضْلَاهَا مَأْخُوذٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَسَافَةِ الْقَائِلِينَ: الْوَاحِدُ لَا يَصْدُرُّ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُتَصَوِّفَةُ وَبَسَطُوهُ بِعِبَارَاتٍ أُخَرُ فِي كُتُبِهِمْ. فَإِنْ

كنت ممن اؤتاض وعزف مقالات الناس، تبين لك ما ذكرت. ولا يَحْتَمَل هذا الكتاب بَشَط القول في هذا المعنى.

وإذا تقرّر ما ذُكِرَ في هذه الدُّعْوَة عند المدَّعو، نَقَلَهُ الدَّاعِي إلى الدُّعْوَة الثَّامِنَة.

الدُّعْوَة الثَّامِنَة - متوقّفة على اعتقاد سائر ما تقدّم، فإذا استقرّ ذلك عند المدَّعو ديناً له، قال له الدَّاعِي: اَعْلَمْ أَنَّ أَحَدَ المذكورين اللذين هما: مُدَبِّرُ الوجود والصادر عنه، إِمَّا تقدّم السابق على اللاحق تقدّم العلة على المفعول، فكانت الأغنياء كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب متعروف في بعضهم. ومع ذلك فالسابق عندهم لا أشم له ولا صفة ولا يُعَبَّر عنه ولا يُقَيَّد، فلا يقال: هو موجود ولا مغدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قدير ولا عاجز، وكذلك سائر الصفات - فإنّ الإثبات عندهم يقتضي شَرِكَة بينه وبين المُحَدَّثَات، والنفي يقتضي التَّعْطِيل - وقالوا: ليس بقديم ولا مُحدَث، بل القديم أمزه وكَلِمَتُهُ، والمُحدَث خَلَقَهُ وفطَرَتُهُ، كما هو مبسوط في كُتُبِهِمْ.

فإذا استقرّ ذلك عند المدَّعو، قرّر عنده الدَّاعِي أَنَّ التالي يَذَاب في أعمال منه^(a) حتى يُلْحَق بمنزلة السابق، وأنّ الطَّائِفَة^(b) في الأرض يَذَاب في أعماله حتى يُلْحَق^(c) بمنزلة^(d) التالي فيقوم مقامه ويصير بمنزلة سواء، وأنّ الشُّومس يَذَاب في أعماله حتى يصير بمنزلة^(d) الطَّائِفَة سواء، وأنّ الدَّاعِي يَذَاب في أعماله حتى يبلغ منزلة الشُّومس وحاله سواء. وهكذا تجرّي أمورُ العالم في أكواره وأذواره.

ولهذا القول بَشَط كبير، فإذا اعتقد المدَّعو ذلك^(d) قرّر عنده الدَّاعِي أَنَّ مُعْجَزَة النَّبِيِّ الصَّادِق الطَّائِفَة ليست سوى مَجِيعَة بِأَشْيَاء^(e) ينتظم بها سياسة الجُمهُور، وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تُنبئ عن حقيقة أئمة السماء والأرض، وما يشتمل العالم عليه بأشهره من الجواهر والأغراض: تازة يؤثّر بقليلها العالمون، وتازة يافصح يعرفه كلُّ أحد، فينتظم بذلك للنبي شريعة يتَّبِعها الناس.

ويقرّر عنده أيضاً أَنَّ القيامة والقُرْآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر للذهن إليه، وليس هو إلاّ حَدُوثُ أذوار عند انقضاء أذوار من أذوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها، من كَوْنٍ وفَسَادٍ جاء على ترتيب الطبائع، كما قد بسطه الفلاسيقة في كُتُبِهِمْ، فإذا استقرّ هذا العقْد عند المدَّعو، نَقَلَهُ الدَّاعِي إلى الدُّعْوَة الثَّامِنَة.

(a) بولاق: في أعماله. (b) بولاق: الصامت. (c) بولاق: يصير. (d-d) ساقطة من بولاق. (e) بولاق: غير أشياء.

الدَّعْوَةُ القَاسِئَةُ - هي النَّبِيَّةُ التي يُحَاوِلُ الدَّاعِي ، بِتَفْهِيمِ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ ، رُسُوحَهَا فِي نَفْسٍ مِنْ يَدْعُوهُ . فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَدْعُوَّ نَاضِلٌ لِكَشْفِ السِّرِّ وَالْإفْصَاحِ عَنِ الرُّمُوزِ ، أَحَالَهُ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي كُتُبِ الْفَلَايِئَةِ مِنْ عِلْمِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَمَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ وَالْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَقْسَامِ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ ؛ حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَ الْمَدْعُوُّ مِنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، كَشَفَ الدَّاعِي قِنَاعَهُ وَقَالَ : مَا ذِكْرُكَ مِنَ الْخُدُوثِ وَالْأُصُولِ رُمُوزٌ إِلَى مَعَانِي الْمُبَادِي وَتَقَلُّبِ الْجَوَاهِرِ ، وَإِنَّ الْوَحْيَ إِنَّمَا هُوَ صَفَاءُ النَّفْسِ ، فَيَجِدُ النَّبِيَّ فِي فَهْمِهِ مَا يُقَلِّقُ إِلَيْهِ وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِ ، فَيُبْرِزُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَيُعَبِّرُ عَنْهُ بِكَلَامِ اللَّهِ الَّذِي يُنْظِمُ بِهِ النَّبِيُّ شَرِيعَتَهُ ، بِحَسَبِ مَا تَرَاهُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي سِيَاسَةِ الْكَافَّةِ .

وَلَا يَجِبُ حَيْثُئِذِ الْعَمَلُ بِهَا إِلَّا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ مِنْ رِعَايَةِ مَصَالِحِ الدُّهُمَاءِ ، بِخِلَافِ الْعَارِفِ فَإِنَّهُ لَا يُلْزِمُهُ الْعَمَلُ بِهَا ، وَيَكْفِيهِ مَعْرِفَتُهُ فَإِنَّهَا الْيَقِينُ الَّذِي يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ ، وَمَا عَذَا الْمَعْرِفَةِ مِنْ سَائِرِ الْمَشْرُوعَاتِ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَثْقَالٌ وَأَصَارٌ حَمَلَهَا الْكُفْرَانُ أَهْلَ الْجَهَالَةِ لِمَعْرِفَةِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَشْبَابِ . وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ التُّطَقَاءَ أَصْحَابَ الشَّرَائِعِ إِنَّمَا هُمْ لِسِيَاسَةِ الْعَامَّةِ ، وَأَنَّ الْفَلَايِئَةَ أَنْبِيَاءَ حِكْمَةِ الْخَاصَّةِ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ إِنَّمَا وَجُودُهُ فِي الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ إِذَا صِرْنَا بِالرِّيَاضَةِ فِي الْمَعَارِفِ إِلَيْهِ ، وَظُهُورُهُ الْآنَ إِنَّمَا هُوَ ظُهُورُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ عَلَى لِسَانِ أَوْلِيَائِهِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُتَبَسِّطٌ فِي كُتُبِهِمْ وَهَذَا حَاصِلُ عِلْمِ الدَّاعِي ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مُصْنَفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا اخْتَصَرْتُ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرْتُهُ .

ابتداء هذه الدعوة

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ مَنَسُوبَةٌ إِلَى شَخْصٍ كَانَ بِالْعِرَاقِ يُعْرَفُ بِمَيْمُونِ الْقُدَّاحِ ، وَكَانَ مِنْ غَلَاةِ الشَّيْعَةِ . فَوَلَدَ ابْنًا عُرِفَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ ، اتَّسَعَ عِلْمُهُ/، وَكَثُرَتْ مَعَارِفُهُ ، وَكَادَ أَنْ يَهْلِكَ عَلَى جَمِيعِ مَقَالَاتِ الْخَلِيفَةِ ، فَزُتِبَ لَهُ مَذْهَبًا ، وَجَعَلَهُ فِي سَبْعِ دَعَوَاتٍ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَذْهَبِهِ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلْقٌ ، وَكَانَ يَدْعُو إِلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَظَهَرَ مِنَ الْأَهْوَازِ وَنَزَلَ بِعَشْرٍ مُكْرَمٍ ، فَصَارَ لَهُ مَالٌ وَاسْتَقَرَّتْ دُعَاؤُهُ ، فَأَتَكَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ وَهَمُّوا بِهِ ، فَفَرَّ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْحُسَيْنِ الْأَهْوَازِيِّ .

فَلَمَّا انْتَشَرَ ذِكْرُهُ بِهَا طَلِبَ ، فَصَارَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَأَقَامَ بِسَلَمِيَّةٍ ، وَبِهَا وَلِدَ لَهُ ابْنُهُ أَحْمَدُ ، فَقَامَ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ ، فَسَيَّرَ الْحُسَيْنِ الْأَهْوَازِيَّ دَاعِيَةً لَهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَقِيَ خَمْدَانِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْمَعْرُوفَ بِقَرْمَطٍ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَدَعَاهُ وَاسْتَجَابَ لَهُ ، وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ . وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، عِنْدَ ذِكْرِ الْمُجَرِّدِ لِدِينِ اللَّهِ مَقَدِّ .

ثم إنه وُلِدَ لأحمد بن عبد الله ابنة الحسين ومحمد المعروف بأبي الشَّلْعَلَع، فلَمَّا هَلَكَ أحمد خَلَقَهُ الله الحسين، ثم قامَ من بعده أخوه أبو الشَّلْعَلَع، وكان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه^١.

فانتشرت الدُّعَاءُ في أقطار الأرض، وتَفَقَّهوا في الدُّعْوَة حتى وَضَعُوا فيها الكُتُب الكثيرة، وصارَت عِلْمًا من العُلُوم المدوَّنة، ثم اضمَحَلَّت الآن وَذَهَبَتْ بِذَهَابِ أَهْلِهَا، ولهذا يُقَالُ: إِنَّ أَصْلَ دَعْوَةِ الإسماعيلية مأخوذٌ من القَرَامِطَة، ونُسِبُوا من أَجْلِهَا إلى الإلحاد^٢.

صِفَةُ الْعَهْدِ الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَيْهِ الدُّعْوَة

وهو أَنَّ الدَّاعِي يقول لمن يأخذ عليه العهدَ وَيُخَلِّفُهُ^٣: جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ، وَدِيْمَةَ رَسُوْلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وما أَخَذَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنْ عَقْدٍ وَعَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، أَنَّكَ تَشْتَرِ بِجَمِيعِ مَا تَسْمَعُهُ وَسَمِعْتُهُ وَعِلْمْتُهُ وَتَقْلَعُهُ وَغَرْفُهُ وَتَعْرِفُهُ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ الْمُقِيمِ بِهَذَا الْبَلَدِ لَصَاحِبِ الْحَقِّ، الإمام الذي عَرَفْتَ لِإِقْرَارِي لَهُ وَنُصْحِي لِمَنْ عَقَدَ دِيْمَتَهُ، وَأُمُورِ إِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ عَلَى هَذَا الدِّينِ، وَمُخَالَصَتِهِ لَهُ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ وَالصُّغَارِ وَالْكِبَارِ فَلَا تُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَلَا شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَّا مَا أَطْلَقْتَ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ أَطْلَقَهُ لَكَ صَاحِبُ الْأَمْرِ الْمُقِيمِ بِهَذَا الْبَلَدِ، فتعمل في ذلك بِأَمْرِنَا، وَلَا تَتَعَدَّاهُ وَلَا تُزِيدُ عَلَيْهِ.

^١ انظر فيما تقدم ١٧٣ حيث ذكر المغربي هذا الموضوع في حديثه عن نسب الخلفاء الفاطميين، وما دُكر من مراجع.

^٢ من أوائل النصوص الإسماعيلية التي تمدها بمعلومات عن «العهد» الذي كان يأخذه الدُّعَاءُ على المستجيبين كتاب «العالم والغلام» لجعفر بن منصور اليمني الذي نشره جيمس موريس James W. Morris مع ترجمة إنجليزية بعنوان *The Master and the Disciple. An Early Islamic Spiritual Dialogue*, London - The Institute of Jamaili Studies 2001. وانظر كذلك مقال هانز هالم Halm, H., «The Isma'ili Oath of Allegiance ('ahd) and the Session of Wisdom (majālis al-hikma) in Fatimid Times», in Daftary, F., (ed.), *Mediaeval Isma'ili History and Thought*, pp. 91-115.

^٣ راجع عن العلاقة بين الإسماعيلية (الفاطمية) والقرامطة أولاً مقال فلاديمير إيفانوف Ivanow, W., «Ismailis and Qarmatians», *JBRAS* N.S. 16 (1940), pp. 43-85، ثم مقال ولفرد ماديلونغ Madelung, W., «Fatimiden and Bahrein-Qarmaten», *Der Islam* 34 (1959), pp. 34-88 الذي نشره بعد مراجعته بالإنجليزية بعنوان «The Fatimids and Qarmatis of Bahrayn», in Daftary, F. (ed.), *Mediaeval Isma'ili History and Thought* Cambridge 1996, pp. 21-73 وأخيراً مقال فِرهاد دُفري Daftary, F., «A Major Schism in the Early Isma'ili Movement», *SI* 77

ولیکن ما تعمل علیه قبل العهد وبغده بقولک وفعلک : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَتَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَشْهَدَ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ لَوْفِيهَا ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ لِحَقِّهَا ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، وَتُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَتُؤَالِيَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، وَتُعَادِيَ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، وَتَقُومَ بِفَرَائِضِ اللَّهِ وَشُرُئِهِ وَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَعِلَانِيَةً وَسِرًّا وَجَهْرًا .

فَإِنْ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ هَذَا الْعَهْدَ وَلَا يَهْدِمُهُ ، وَيُجَبِّهُهُ وَلَا يُزِيلُهُ ، وَيُقَرِّبُهُ وَلَا يُبَاعِدُهُ ، وَيَشُدُّهُ وَلَا يُضْعِفُهُ ، وَيُوجِبُ ذَلِكَ وَلَا يُطِيلُهُ ، وَيُوضِّحُهُ وَلَا يُعَمِّقُهُ . كَذَلِكَ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَسَائِرُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - عَلَى الشَّرَاطِئِ الْمُبَيَّنَةِ فِي هَذَا الْعَهْدِ ، جَعَلَتْ عَلَى نَفْسِكَ الْوَفَاءَ بِذَلِكَ قُلْ نَعَمْ ، فَيَقُولُ الْمَدْعُو : نَعَمْ .

ثُمَّ يَقُولُ الدَّاعِي لَهُ : وَالصِّيَانَةَ لَهُ بِذَلِكَ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، عَلَى الْآلِ تَطْهِيرَ شَيْئًا أُجِزَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي حَيَاتِنَا وَلَا بَعْدَ وَفَاتِنَا ، لَا فِي غَضَبٍ وَلَا عَلَى حَالٍ رَضَى ، وَلَا عَلَى رَغْبَةٍ وَلَا فِي حَالٍ رَهْبَةٍ ، وَلَا عِنْدَ شِدَّةٍ وَلَا فِي حَالٍ رَخَاءٍ ، وَلَا عَلَى طَمَعٍ وَلَا عَلَى حِرْزٍ ، تَلْقَى اللَّهُ عَلَى الشَّرِّ لَذَلِكَ وَالصِّيَانَةَ لَهُ ، عَلَى الشَّرَاطِئِ الْمُبَيَّنَةِ فِي هَذَا الْعَهْدِ .

وَجَعَلَتْ عَلَى نَفْسِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَذِمَّتَهُ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ﷺ : أَنْ تَمْتَنِعَنِي وَجَمِيعَ مَنْ أَسْمَعِيهِ لَكَ وَأُثْبِتَهُ عِنْدَكَ مِمَّا تَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسَكَ ، وَتَنْصَحَ لَنَا وَلَوْلَايِكَ وَلِإِجْرِ اللَّهِ ، نُصْحًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، فَلَا تُخَنِّ اللَّهُ وَوَلِيهِ وَلَا أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِنَا وَأَوْلِيَائِنَا وَمَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ مِثَّا ، بِسَبَبٍ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ ، وَلَا رَأْيٍ وَلَا عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ تَنَاوَلْ^(أ) عَلَيْهِ بِمَا يَظِلُّهُ .

فَإِنْ فَعَلْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ - وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ خَالَفْتَهُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ مِنْهُ - فَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي سَوَّى خَلْقَكَ وَاللَّفَ تَرْكِيكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ ، وَتَبَرَأَ مِنْ رُؤْسِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَمَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْكَرُوبِيِّينَ وَالرُّوحَانِيِّينَ وَالْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ وَالشَّيْعِ الْمَعَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَتَبَرَأَ مِنَ الثَّوَرَةِ وَالْإِنْمِجْلِ وَالزُّبُورِ وَالذُّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَمِنْ كُلِّ دِينٍ ارْتَضَاهُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ كُلِّ عَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه ^(هـ) ودأخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه ^(هـ)،
 وخذلك الله خذلاً ثانياً يمتدحلك بذلك الثَّغْمَة والعقوبة والمصير إلى نار جهنم التي ليس لله فيها
 رَحْمَة ، وأنت بريء من حَوْلِ الله وقُوته مُلجأً إلى حَوْلِ نفسك وقُوَتِكَ ، وعليكَ لَعْنَةُ الله التي
 لَعَنَ الله بها إبليس وحُرْمَ عليه بها الجنة وخلده في النار ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، ولقيت الله
 يوم تلقاه وهو عليك غَضَبَان .

والله عليك أن تَحْجِجَ إلى بيتِهِ الحَرَامِ ثلاثين حَجَّةً حَجَّاجاً واجِباً ماشياً حافِئاً ، لا يقبل الله منك
 إلا الوفاء بذلك . وكل ما تملك في الوقت الذي تُخالفه فيه ، فهو صدقة على الفقراء
 والمساكين الذين لا رِجَمَ بينك وبينهم ، لا يُأْجِزُكَ الله عليه ، ولا يُذْخِلُكَ عليك بذلك مُنْقَعَةً . /
 وكل مملوك لك من ذَكَرٍ أو أُنْثَى في مِلْكِكَ ، أو تستفيده إلى وقت وفاتِكَ ، إن خالفت شيئاً
 من ذلك ، فهم آخرائُ لوجه الله عَزَّ وَجَلَّ . وكل امرأ لك أو تَتَرُوجُهَا إلى وَقت وفاتِكَ ، إن
 خالفت شيئاً من ذلك ، فهن طَوَالِقُ ثلاثاً بَتَّةً ، طَلَّاقُ الحَرَجِ لا مَثْنُوَّةٌ ^(ب) لك ولا خِيَار ولا رَجْعَة
 ولا مَشِيْقَة . وكل ما كان لك من أَهْلِ وَمَالٍ وَغَيْرِهِمَا ، فهو عليك حَرَامٌ ، وكلُّ ظَهَارٍ فهو
 لَازِمٌ لك .

وأنا المُسْتَعْلِفُ لك لإِمَامِكَ وَحُجَّتِكَ ، وأنت الحَالِفُ لهما . وإن تَوَيْتَ أو عَقَدْتَ أو أَصْمَرْتَ
 خِلَافَ ما أُحْمِلُكَ عليه وَأُخْلَفُكَ بِهِ ، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مُجَدَّدَةٌ عليك لازِمَةٌ
 لك ، ولا يَقْبَلُ الله منك إلا الوفاء بها ، والقيام بما عَاهَدْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، قل نَعَمْ ، فيقول :
 نَعَمْ ^١ .

ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أَضْرَبْنَا عَنْهَا خَشْيَةَ الإِطَالَةِ ، وفيما ذَكَّرْنَا لِمَنْ عَقَلَ
 كَفَايَةً ^(ع) .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : مثوبة . (c) بولاق : وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل .

ذِكْرُ الدَّيَّانِ^(a)

وكانت دواوينُ الدَّوْلَةِ الفاطمية^١، لما قَدِمَ المُعِزُّ لدين الله إلى مصر ونَزَلَ بِقَصْرِهِ في القَاهِرَةِ، تَخَلَّها بدار الإِمَارَةِ من جِوار الجامع الطُّولوني . فلما مات المُعِزُّ، وَقَلَّدَ العَزِيزُ بالله الوِزَارَةَ لِيَعْقُوبَ ابنِ كِلْسٍ، نَقَلَ الدَّوَاوِينَ إلى داره ؛ فلما مات يعقوبُ نَقَلَهَا العَزِيزُ بعد موته إلى القصر، فلم تَزَلْ به إلى أن استبدَّ الأَفْضَلُ ابنُ أمير الجيوش، وعَمَّرَ دارَ المُلْكِ بِمِصرَ، فَتَقَلَّ إليها الدَّوَاوِينَ، فلما قُتِلَ عَادَتْ من بعده إلى القصر، وما زالت هناك حتى زالت الدَّوْلَةُ .

- قَالَ في كتاب «الدُّخَائِرِ والتُّخَفِ» : وَحَدَّثَنِي مَنْ أُثِقُ بِهِ قَالَ : كُنْتُ بِالْقَاهِرَةِ يَوْمًا من شُهورِ سنة تسع وخمسين وأربع مائة، وقد اسْتَفْحَلَ أَمْرُ المَارِقِينَ، وَقَوِيَتْ شَوَكَّتُهُمْ، وامتدَّتْ أَيْدِيهِمْ إلى أَخَذِ الدُّخَائِرِ المِصُونَةِ في قصر السُلْطَانِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ^(b)؛ فَرَأَيْتُ وقد دَخَلَ من باب الدَّيْلَمِ، أَخَذَ أَبْوابَ القُصُورِ المَعْمُورَةِ الزَّاهِرَةِ، المعروف بِتاج الملوك شَاذِي، وَفَخَّرَ العَرَبِ عَلِيَّ بنِ ناصِرِ الدَّوْلَةِ ابنِ حَفْدَانَ، وَرَضِيَّ الدَّوْلَةَ بنَ رَضِيَّ الدَّوْلَةِ، وَأَمِيرِ الأَمْرَاءِ بَنَجَتَكِينَ بنِ شُبُكْتَكِينَ، وَأَمِيرِ العَرَبِ ابنِ كَيْفَلَنْجٍ، والأَعَزَّ بنِ سِنَانَ، وَعِدَّةٌ من الأَمْرَاءِ أَصْحَابِهِمُ البَغْدَادِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَصَارُوا في الإِيوانِ الصَّغِيرِ؛ فَوَقَّفُوا عِنْدَ دِيوانِ الشَّامِ لكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَكَانَ مَعَهُمْ أَخَذُ الفَرَّاشِينَ المُسْتَحْدَمِينَ بِرِسْمِ القُصُورِ المَعْمُورَةِ، فَدَخَلُوا إلى حَيْثُ كَانَ الدَّيَّانُ النَّظَرِي في الدَّيَّانِ المَذْكُورِ، وَصُحْبَتُهُمْ فَعَلَّةٌ، وَاتَّهَوْا إلى حَائِطِ مُجَبَّرٍ، فَأَمَرُوا الفَعَلَةَ بِكَشْفِ الجِيرِ عَنْهُ، فَظَهَرَتْ حَنْتُهُ بِابٍ مُشَدُودٍ فَأَمَرُوا بِهَذْمِهِ، فَتَوَصَّلُوا مِنْهُ إلى خِزَانَةٍ دُكِرَ أَنَّهَا عَزِيزِيَّةٌ من أَيَّامِ العَزِيزِ بالله ؛ فَوُجِدَ^(c) فِيهَا مِنَ السِّلَاحِ ما يروقُ النَّاضِرُ، وَمِنَ الرِّمَاحِ العَزِيزِيَّةِ المُطْلَبَةِ أَسْنَنُهَا بِالذَّهَبِ، ذَاتُ مَهَارِكٍ وَفِصَّةٍ مَجْرُوةٍ بِسَوَادٍ تَمْسُوحُ وَفِصَّةٍ بِياضٍ ثَقِيلَةُ الوِزْنِ عِلَّةٌ رُزْمٌ، أَعْوَادُهَا مِنَ الزَّانِ الجَيِّدِ، وَمِنَ الشُّيُوفِ المَجْهُورَةِ النَّصُولِ، وَمِنَ النُّشَابِ الخَلَّاجِ وَغَيْرِهِ، وَمِنَ الدَّرَقِ اللَّطْمُ والحِجَفِ التَّبَتِي وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنَ الدَّرُوعِ المَكْلَلِ سِلَاحَ بَعْضِهَا، وَالحُلَى بَعْضُهَا بِالْفِصَّةِ المَرْكَبَةِ عَلَيْهِ، وَمِنَ التَّخَافِيفِ

(a) بولاق : الدواوين . (b) بولاق : أمره . (c) بولاق : فوجدوا .

^١ انظر كذلك فيما تقدم ٢٤٤:١-٢٤٥.

والجواشين^١ والكزاعنيدات^٢ الملبسة ديباجا، المكوكة بكوابج^٣ فضة، وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار، فحملوا جميع ذلك إلى^٤ بعد صلاة المغرب.

ولقد شاهدت بعض خواشيهم وركاياتهم يكسرون الرماح، ويثفون بذلك أغواذها الزان ليأخذوا المهارك الفضة، ومنهم من يجعل ذلك في سرواله^٥ وعمامته وجيبه، ومنهم من يستذهب من صاحبه السيف الثمين.

وكان فيها من الرماح الطوال الخطيئة السمر الجياد عدة، حملوا منها ما قدروا عليه، وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجري مجراهم، كانوا يبيعونه للمغازلين ولصناع المرادين حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة. ولم تعرضهم الدولة، ولا التفقت إلى قدر ذلك ولا اختقلت به، وجعلته هو وغيره فداء لأموال المسلمين وحفظا لما في منازلهم^٦.

ديوان المجلس

قال ابن الطوير: ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما، وفيه علوم الدولة بأجمعها، وفيه عدة كتاب، ولكل واحد مجلس مفرد، وعنده معين أو معينان. وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الإقطاعات، ويلحق بديوان النظر^٧، ويخلع عليه ويثبأ له السجل، وله المرتبة والمستند والدواة والحاجب إلى غير ذلك^٨.

(a) بولاق: الكراعيدات. (b) بولاق: بكواب. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: سراويله.

وتكسى بالثياب الديباج أو غيرها وثخاط عليها وتحن بالتيث بالحرير وغيره (Cahen Cl., op.cit., p. 116).

^٣ هذا الثقل الطويل المنقول من كتاب والذخائر والشمع لا يوجد في النسخة الوحيدة من الكتاب التي وصلت إلينا، وهي دليل على أن ما وصل إلينا من الكتاب منتخبات أو مختارات منه.

^٤ انظر فيما تقدم ٢٢١:١ ص ٨، ٢٦٨ ص ٢١.

^٥ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٧٤-٧٥.

^١ جواشن ج. جواشين. اللزاع (Cahen, Cl., Un) (traité d'armurerie, p. 116).

^٢ كزاعنيدات ج. كزاعنيدات. لفظ فارسي الأصل معناه المعطف القصير الذي يلبس فوق الزددة، وكان يثب من القطن أو الحرير المبطن المتجد (Dozy, R., Supl. Dict.) Ar. II, p. 470 المقريزي: السلوك ٢٥٣:١ هـ؛ ابن أصل: مفرج الكروب ٤٤:٢ هـ. وعند الطوسوسي أن الكازغندات مما استخرجه مولدو الأعراب وهي زرديات رفاع يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها شفاة الحرير والمصطكا

قال: ذِكْرُ خِدْمَتِهِمُ الْخَاصَّةِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ. فَأُؤَلِّهَا «دَفْتَرُ الْمَجْلِسِ» وصاحبه من الأُستَاذِينَ الْمُحْكَمِينَ، ثُمَّ يَتَوَلَّاهُ أَجَلُ كُتَّابِ الدَّوْلَةِ مَن يَكُونُ مَرْتَشَحًا لرَأْسِ الدَّوَاوِينِ. وَبِتَضَمُّنِ ذَلِكَ الدَّفْتَرِ - وَلَهُ مَكَانٌ دِيْوَانُ الْقَصْرِ - الْبَاطِنُ مِنَ الْإِنْعَامِ فِي الْعَطَايَا، وَالظَّاهِرُ مِنَ الرُّسُومِ الْمُفْرَقَةِ^(a) فِي عُرْوَةِ السَّنَةِ، وَالضُّحَايَا، وَالْمَرْتَبُ مِنَ الْكُشُوتِ لِلْأَوْلَادِ وَالْأَقَارِبِ وَالْجِهَاتِ وَأَرْبَابِ الرُّتَبِ عَلَى اخْتِلَافِ الطُّبُقَاتِ، وَمَا يَرِدُ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا مِنَ التَّخَفِّ وَالْهَدَايَا، وَمَا يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُلَاطَفَاتِ، وَمَقَادِيرِ الصُّلَاتِ/ لِلْمَرْتَشَلِينَ بِالْمَكَاتِبَاتِ، وَمَا يُخْرَجُ مِنَ الْأَكْثَفَانِ لَمَنْ يَمُوتُ مِنْ أَرْبَابِ الْجِهَاتِ الْمُحْتَرَمَاتِ.

٣٩٨

ثُمَّ يَضْبِطُ مَا يُنْفَقُ فِي الدَّوْلَةِ مِنَ الْمُهِمَّاتِ لِيَعْلَمَ مَا بَيْنَ كُلِّ سَنَةٍ مِنَ التَّفَاوُتِ: فَالْعُرْوَةُ^(b) الْمُنْعَمُ بِهَا فِي أَوَّلِ الْعَامِ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالرِّيَابِيَةِ وَالْقَرَارِيضِ تُقْرَبُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَتَمْتَلِكُ الضُّحَايَا يُقْرَبُ مِنْ أَلْفِي دِينَارٍ، وَمَا يُنْفَقُ فِي دَارِ الْفِطْرَةِ فِيمَا يُفْرَقُ عَلَى النَّاسِ سَبْعَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَمَا يُنْفَقُ فِي دَارِ الطَّرَازِ لِلْإِسْتِعْمَالَاتِ: الْخَاصِّ وَغَيْرِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَمَا يُنْفَقُ فِي مُهِمِّ قَنْجِ الْخَلِيجِ غَيْرِ الْمَطَايِمِ أَلْفَا دِينَارٍ، وَمَا يُنْفَقُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سِمَاطِهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَمَا يُنْفَقُ فِي سِمَاطِي الْفِطْرِ وَالتَّخْرِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ؛ هَذَا خَارِجًا^(c) عَمَّا يُطْلَقُ لِلنَّاسِ أَصْنَافًا مِنْ خِزَانَتِهِ^(d) مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَوَاصِلَةِ مِنَ الْهَيَاتِ، وَمَا تَخْرُجُ بِهِ الْخُطُوطُ مِنَ التَّشْرِيفَاتِ وَالْمُسَامَحَاتِ، وَمَا يُطْلَقُ مِنَ الْأَهْرَاءِ مِنَ الْعَلَّاتِ حَتَّى لَا يَفُوتَهُمْ عِلْمٌ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمُطْلَقَاتِ.

١٥

وَفِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ كَاتِبٌ مُسْتَقِلٌّ بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِ دِيْوَانِهِ الْأَصْلِيِّ^(e)، وَمَعَهُ كَاتِبَانِ آخَرَانِ لَتَنْزِيلِ ذَلِكَ فِي الدَّفْتَرِ. وَالدَّفْتَرُ عِبَارَةٌ عَنْ جَرَايِدَ مَسْطُوحَاتٍ يُنْزَلُ ذَلِكَ فِيهَا فِي أَوْقَاتِهِ مِنْ غَيْرِ قَوَاتٍ^١.

قال: وَإِذَا انْقَضَى عِيدُ النَّحْرِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، تَقْدَمُ بِعَمَلِ «الِاسْتِيعَارِ»^٢ لَتِلْكَ السَّنَةِ تَمَامَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا، فَيَجْتَمِعُ كُتَّابُ دِيْوَانِ الرُّوَاتِبِ عِنْدَ مُتَوَلَّيْهِ، وَتُحْمَلُ الْغُرُوضُ إِلَيْهِ. فَإِذَا تَحَرَّرَتْ نُسَخَةُ

(a) بولاق: المعروفة. (b) بولاق: الصُّرَّة. (c) بولاق: وهذا خارج. (d) بولاق: خزانته. (e) بولاق: الأصلي.

^١ ابن الطوير: نزعة المقلتين ٧٤-٧٦. المأمون: أخبار مصر ٥٩، ١٧٠ ابن أبيك: كنز الدرر
^٢ الاستيعار: هو السجل الحكومي الذي يشتمل على أرزاق ذوي الأقاليم وغيرهم من أرباب المناصب في الدولة
 ١٢٩١ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٩١، المقرئ: اعطاء الحقن ٢: ١١٢، والسلوك ١: ٨٥٠، ٢: ٧٣٨ وفيما
 ملي ٥٣٤، ٢: ٢٢٤.

التحرير يُصَنَّت بعد أن يُسْتَدْعَى من المجلس أوراق بالإضرار الذي يقبض بغير خروج - وفي الإضرار ما هو مستقر بالوجهين - فَيُضَاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالغ المعلومة بديوان الرَوَاتِبِ وجهاتها، حتى لا يفوت الاستيمارة^(a) شيء من كل ما تقرّر شرّحه، ويعلم مقداره عَيْتًا وَوَرَقًا وَغَلَّةً وغير ذلك. فيحرّر ذلك كله بأسماء المؤثرين، وأولهم الوزير ومن يُلَوِّذُ به، وعلى ذلك إلى أن ينتهي الجميع إلى أرباب الضُّو^(b). فإذا تكمل استدعي له من خِزَانَةِ الْفُرُوشِ^(c) وطَاء خَيرٍ^(d) لشُدّه، وشُرَابٍ لشكّه^(e) إمَّا خَصْرَاءَ أو حَقْرَاءَ، ويُعْمَلُ له صَدْرٌ من الكلام اللَّائِقِ بما بعده.

وهذا كله خارج عن الكُتُوبِ الْمُطْلَقَةِ لِأَرْبَابِهَا، ^(f) وَرَسْمُ الْعُرَّةِ فِي أَوَّلِ^(g) كُلِّ سَنَةٍ، وما يُحْمَلُ من دار الفِطْرَةِ من الأصناف بِرَسْمِ عِيدِ الْفِطْرِ، وَعَيْتًا يَشْهَدُ بِهِ دَفْتَرُ الْمَجْلِسِ مِنَ الْعَطَايَا الْخَافِيَةِ وَالرُّسُومِ. وقد انْعَقَدَ مَرَّةً - وَأَنَا أَتَوَلَّى دِيوَانَ الرُّوَاتِبِ - عَلَى مَا مَبْلَغُهُ نِيفٌ وَمِائَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْ مِائَتِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ^(h)، وَمِنَ الْقَفْحِ وَالشُّعِيرِ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ أَرْدَبٍ.

فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ شَكْهِ⁽ⁱ⁾ فِي الشُّرَابَةِ، حُمِلَ إِلَى صَاحِبِ دِيوَانِ النَّظَرِ إِنْ كَانَ، وَالْأَصَاحِبِ دِيوَانِ الْمَجْلِسِ لِيَعْرِضَهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِنْ كَانَ - يَعْنِي مُسْتَبَدًّا - أَوْ الْوَزِيرِ، لِاسْتِقْبَالِ الْحَرَمِ مِنَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ، فَيَتَأَخَّرُ فِي الْعَرَضِ، رَيْثَمًا^(j) يَسْتَوْعِبُ الْحَرَمُ لِيَحِيطَ الْعِلْمُ بِمَا فِيهِ، فَإِذَا كَمَلَ الْعَرَضُ أُخْرِجَ إِلَى الدِّيَوَانِ وَقَدْ شُطِبَ عَلَى بَعْضِهِ.

وَكَانُوا يَتَحَوَّجُونَ مِنَ الْإِقَامَاتِ عَلَى مَالِ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَا أَضْلَ لَهَا وَعَلَى غَيْرِ مُتَوَقَّرٍ، وَيَتَنَجَّزُهَا أَرْبَابُهَا بِاتِّشْقِيَّاتٍ^(k) عَلَى الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، وَيُنْقَصُ قَوْمٌ لِلِاسْتِكْثَارِ، وَيُزَادُ قَوْمٌ لِلِاسْتِحْقَاقِ، وَيُضَرَفُ قَوْمٌ وَيُسْتَحْدَمُ آخَرُونَ، عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْآرَاءُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُسَلِّمُ^(l) لِرَبِّ هَذَا الدِّيَوَانِ، فَيَحْمِلُ الْأَمْرَ عَلَى مَا شُطِبَ فِيهِ^(m)، وَعَلَامَةُ الْإِطْلَاقِ خُرُوجُهُ مِنَ الْعَرَضِ.

(a) بولاق : من الاستيمارة . (b) بولاق : الضر . (c) بولاق : الفرش . (d) بولاق : مسكه . (e) بولاق : الرسوم المعلنة في . (f) بولاق : دينار . (g) بولاق : مسكه . (h) بولاق : ربما . (i) بولاق : بالمستقبلات . (j) بولاق : ثم يسلم . (k) بولاق : عليه .

¹ وطَاء ج. أوطية . والوطاء ككتاب ومباحب خلاف تكون شيئاً أشبه بالخفاذ تقدم عليه الخلع من باب التشريف . الخطاء (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٧٠)، ويمكن أن

وقيل : إِنَّهُ عَمِلَ مَرَّةً فِي أَيَّامِ الْمُشْتَصِرِ بِاللَّهِ ، فَلَمَّا اسْتَوْذَنَ عَلَى عَرْضِهِ قَالَ : هَلْ وَقَّعَ أَحَدٌ بِمَا فِيهِ غَيْرُنَا ؟ قِيلَ لَهُ : مَعَاذَ اللَّهِ يَا مَوْلَانَا ، مَا تُمْ إِنْعَامٌ إِلَّا لَكَ ، وَلَا رِزْقٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ عَلَى يَدَيْكَ . فَقَالَ : مَا يُتَقَبَّضُ مَا خَرَجَ^(أ) بِهِ أَمْرُنَا وَلَا خَطُنَا وَمَا صَرَفْنَاهُ فِي دَوْلَتِنَا بِإِذْنِنَا .

وَتَقَدَّمَ إِلَى وَلِيِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ خَيْرَانَ^(ب) كَاتِبَ الْإِنْشَاءِ بِإِمْضَائِهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ عَرْضٍ ، وَحَمَلَ الْأَمْرَ عَلَى حُكْمِهِ ، وَوَقَّعَ^(ج) الْخَلِيفَةَ بِظَاهِرِهِ :

«الْفَقْرُ مُرُّ الْمَذَاقِ ، وَالْحَاجَةُ تُذِلُّ الْأَغْنَى ، وَجِرَاسَةُ النَّعَمِ يَازِدُ الرِّقَابَ الْأَوْزَاقِ ، فَلْيَجْزُوا عَلَى رُشُومِهِمْ فِي الْإِطْلَاقِ ، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(د) [الآية ٩٦ سورة النحل] .

وَوُقِّعَ فِي خِلَافَةِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ عَلَى اسْتِثْمَارِ الرُّوَاتِبِ مَا نَصَّه :

«أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَسْتَكْثِرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ كَثِيرَ الْإِغْطَاءِ ، وَلَا يُكَلِّرُهُ بِالتَّأَخِيرِ لَهُ وَالْتِمَاشِ وَالْإِبْطَاءِ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ مَا أَزْبَابُ الرُّوَاتِبِ عَلَيْهِ مِنَ الْقَلَتِ لِلْإِمْتِنَاعِ مِنْ إِيْجَابَتِهِمْ ، وَحَمَلَ خُرُوجَاتِهِمْ : قَدْ ضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَقَتْنَطَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَسَاءَتْ ظُنُونُهُمْ ، شَمِلَهُمْ بَرَحَتِيهِ وَرَأْفَتُهُ ، وَأَثْنَتُهُمْ مِمَّا كَانُوا وَجِلِينَ مِنْ مَخَافَتِهِ ، وَحَمَلَ التَّزْوِيقَ بِذَلِكَ بِخَطِّ يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْإِنْعَامِ وَالْمَنْ ، وَتَهْنِئَةً بِصَدَقَةِ لَا تُتْبَعُ بِالْأَذَى وَالْمَنْ ؛ فَلْيَعْتَمِدْ فِي دِيْوَانِ الْجُيُوشِ الْمَنْصُورَةِ إِجْرَاءً مَا تَضَعَّتْ هَذِهِ الْأَوْزَاقُ ذِكْرَهُمْ ، عَلَى مَا أَلْفَوْهُ وَعَهْدُوهُ مِنْ

(أ) ساقطة من بولاق . (ب) بولاق : جبران . (ج) بولاق : ووقع عن . (د) ورد بعد ذلك في نسخة أبياصوفيا الفقرة التالية التي تبدأ بـ : وقال في كتاب كنز الدرر ، ثم كتب على هامش النسخة : لعل محله هنا أو يقدم قبل : وقال في كتاب كنز الدرر . وواضح أنها طيارة موجودة في أصل نسخة المقرئ .

بأقوت : معجم الأدهاء ٥: ٤ - ١١٣ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٦٨ ، ٢٤٤ - ١٢٤٨ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٣٨٢ ، ٧ : ٣١ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧ : ٢٣٤ - ٢٣٦ ، (وفيها أن وفاته كانت في رمضان سنة ٤٣١ هـ) .
٢ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٧٨ ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١٥٠ : ١ - ١١٥١ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٩١ : ٤٩١ المقرئ : اتعاظ الخفا ٣ : ٣٤٣ .

١ ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي بن أحمد بن خيران . تولى ديوان الإنشاء بعد أبيه للخليفة الظاهر سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ، ثم للمستنصر بالله ، وتوفي بعد سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥٢ م . فقد ذكر ابن القلانسي أنه كتب سجل تقليد الوزير أبي محمد البازوري في ذي القعدة من هذه السنة . (المسيحي : أخبار مصر ، الجزء الأربعون ١ : ٣١ ، ٤٤ : ٢ - ٤٦ : ٢ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٠ ، ٨٥ ، ١٨٥

رَوَاتِهِمْ، وَإِجَابَهَا عَلَى سِيَاقِهَا لِكَائِهِمْ^١، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْنُتْ، وَلَا اسْتِذْرَاكَ وَلَا تَعْقُبْ. وَلِيَجْرُوا فِي تَشْيِيحَتِهِمْ عَلَى عَادَتِهِمْ، لَا يُتَّقَضَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا كَانَ مُبَرِّمًا، وَلَا يُنْسخَ مِنْ رَسْمِهِمْ مَا كَانَ مُحْكَمًا، كَرَمًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلًا مَبْرُورًا، وَعَمَلًا بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الآية ٩ سورة الإنسان].
وَلِيُنْسخَ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ بِالْحَضْرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^٢.

وَقَالَ فِي كِتَابِ «كَنْزِ الدُّرَرِ»: إِنَّ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، غُرِضَ عَلَى الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْاسْتِيمَارَ بِاسْمِ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْقُرَّاءِ وَالْمُؤَدِّينَ بِالْقَاهِرَةِ / وَمِصْرَ، وَكَانَتِ الْجُمْلَةُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَحَدًا وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا وَثَلَاثِي دِينَارٍ وَرَبْعَ دِينَارٍ. فَأَمُضِيَ جَمِيعُ ذَلِكَ^٣.

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ: وَأَمَّا الْاسْتِيمَارُ فَبَلَغَنِي مِمَّنْ أُثِيقَ بِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَارَ فِي الْأَيَّامِ الْمَأْمُونِيَّةِ لَا اسْتِيقْبَالَ سَنَةِ سِتٍّ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَأَمَّا «تَذَكُّرُ الطَّرَازِ» فَالْحُكْمُ فِيهَا مِثْلُ الْاسْتِيمَارِ. وَالشَّائِعُ فِيهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَشْتَمِلُ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ عَلَى أَحَدٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ فِي الْأَيَّامِ الْمَأْمُونِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَتَضَاعَفَتْ فِي الْأَيَّامِ الْآمِرِيَّةِ^٤.

وَعُرِضَ «رُوزْنَامَجِ»^٥ بِمَا أُتِفِقَ عَيْنًا مِنْ يَتِ الْمَالِ - فِي مُدَّةِ أَوَّلِهَا مُحَرَّمُ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَآخِرُهَا سَلَخُ ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا - فِي الْقَسَاكِرِ الْمُسَيَّرَةِ لِحِجَابِ الْفِرْنَجِ بَرًّا وَالْأَسَاطِيلِ بَحْرًا، وَالْمُنْفَقِ فِي أَرْبَابِ الثَّقَفَاتِ مِنَ الْحُجَرِيَّةِ وَالْمُضْطَلَعِيَّةِ وَالشُّودَانِ عَلَى اخْتِلَافِ قُبُوضِهِمْ، وَمَا يُخْصَرَفُ بِرَسْمِ جَرَايَةِ^٦ الْقُصُورِ الزَّاهِرَةِ، وَمَا يُبْتَاعُ مِنَ الْحَيَوَانِ بِرَسْمِ الْمَطَايِخِ، وَمَا هُوَ بِرَسْمٍ مُنْدِيلِ الْكُتْمِ الشَّرِيفِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ دِينَارٍ، وَالْمُطْلَقِ فِي الْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ، وَمَا يُنْقَمُ بِهِ عِنْدَ الرُّكُوبَاتِ

(a) بولاق : ليكاثهم . (b) بولاق : خزانة .

^١ ابن الطوير : نزهة للمقلتين ٧٨-٧٩.

^٢ ابن أليك : كنز الدور ٦ : ٢٩١.

^٣ أي الفترة التي استقل فيها الأمر بأحكام الله بالحكم

(العلوم ٣٧).

(٥١٩-٥٢٤هـ)، وانظر فيما يلي ٥٣٤.

من الرسوم والصَّدقات وعند التَّوَد منها ، وَتَمَن الأُمْتِعة المبتاعة من التُّجَّار على أيدي الوُكلاء ، والمُطْلَق يرسم الرُّسُل والصُّيُوف ومن يَصِل مستأمنًا ودار الطُّراز ودار الدِّيَّاج^١ ، والمُطْلَق يرسم الصَّلَات والصَّدقات ومن يَهْتَدِي للإسلام ، وما يُنْعَم به على الولاة عند استخدامهم في الخِدم ، وَنَقَّات يَتَم المال والقماير وهو من العَيْن : أربع مائة ألف وثمانية وستون ألفًا وسبع مائة وسبعة وتسعون دينارًا ونصف ، من جملة خمس مائة ألف وسبعة وستين ألفًا ومائة و(أربعة وتسعين)^٢ دينارًا ونصف . يكون الحاصلُ بعد ذلك ، ممَّا يُخْتَل إلى الصُّناديق الخاصَّ بِرسم المُهَيَّات لما يتجدَّد من تَشْفِير القساكر ، وما يُخْتَل إلى الثُّغور عند نَقاد ما بها : ثمانية وتسعين ألفًا ومائة وسبعة وتسعين دينارًا ورُبْعًا وشُدْشَا . ولم يكن يُكْتَب من يَتَم المال وصولٌ بحري^٣ ولا تُقَرَف . وذلك خارجٌ عَمَّا يُخْتَل مُشَاهرةً بِرسم الدِّيوان المأموني والأجلاء إخوانه وأولاده ، وما أُتِم به على ما تَضَمَّنَت اسمه مُشَاهرةً من الأصحاب والخواشي وأزباب الخِدم ، والكُتَّاب والأطباء والشُّعراء ، والفَرَّاشين الخاصَّ والجُوق والمؤدِّين^٤ ، والخيَّاطين والرُّفَّائين وصبيان يَتَم المال وتُؤَاب الباب ونُقَباء الرِّسائل ، وأزباب الرُّوَّاب المستقرة من ذَوِي النِّسَب والبيوتات ، والصُّعفاء ، والصُّعاليك من الرُّجال والنِّساء ، عن مُشَاهرتهم : ستة عشر ألفًا وست مائة واثنان وثمانون دينارًا وثُلثًا دينار ، يكون في الشُّنَّة مائتي ألف ومائة دينار . فذلك^٥ الجملة سبع مائة ألف وسبعة وستين ألفًا ومائتين وأربعة وتسعين دينارًا ونصفًا^٦ .

قال : وفي هذا الوقت - يعني شُوال سنة سبع عشرة وخميس مائة - وَقَعَتْ مُرَافعةٌ في أبي البركات بن أبي اللَّيْث^٣ ، مَثُولِي دِيوان المَجْلِس ، صُوِّرَتْهَا :

«المَمْلُوكُ يُقَبِّلُ الأرض ، وَيُنْهِي أَنَّهُ ما واصلَ لإنهاء حالِ هذا الرجل وما يعتمدُه لأنَّه أَهلٌ يَمالُ خِدمةً ، ولَمَّا هي نَصِيحةٌ تُلْزِمُه في حَقِّ سُلْطانيه ، وقد

(a-a) بولاق : مائة وأربعين . (b) بولاق : ولا بحري . (c) بولاق : المؤدِّين . (d) بولاق : فكون .

^١ انظر عن دار الطراز ودار الدِّيَّاج فيما يلي ٥١٩ - ٥٢٠ ، ٥٢٤ - ٥٣٦ .
سنة سبع وعشرين وخميس مائة ، وتوفي مقتولًا في سنة ثمان وعشرين وخميس مائة . (ابن ميسر : أخبار مصر ٧٧ ،

^٢ ابن المأمون : أخبار مصر ٧٠ - ٧١ .

^٣ وَلِيَّ الدولة أبو البركات يوحنا (يُحَنَّا) بن أبي اللَّيْث
التُّضْراني صاحب ديوان المجلس ، ظلَّ به إلى أن صرف عنه

١٤٨ ، وفيما يلي ٣٣٢ .

حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ مَا لَا عَدَدَ لَهُ وَلَا قِيَمَةَ عَلَيْهِ ، وَيَضْرِبُ
الْمَمْلُوكَ عَنْ وَجْهِهِ الْخِيَانَةَ^(a) الَّتِي هِيَ ظَاهِرَةٌ ، لِأَنَّ السُّلْطَانَ لَا يَرْضَى بِذِكْرِهَا
فِي عَالِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا سَمَاعِهَا فِي دَوْلَتِهِ ، وَلَهُ وَلِأَهْلِهِ مُشْتَقِدُونَ فِي الدَّوْلَةِ
سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً ، بِالْجَارِي الثَّقِيلِ لِكُلِّ مِنْهُمْ .

وَيَذْكُرُ الْمَمْلُوكُ مَا وَصَلَتْ قُدْرَتُهُ إِلَى عِلْمِهِ ، مَا هُوَ بِاسْمِهِ خَاصَّةً دُونَ
هُوَ مُشْتَقِدٌ فِي الدَّوَاوِينِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَبْدَأُ بِمَا يَرْسُمُهُ^(b) مُيَاوَمَةً
إِدْرَارًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَالْخَزَائِنِ وَدَارِ الثَّغْبَةِ وَالْمَطَايِخِ وَشُؤْنِ الْحَطَبِ - وَهُوَ مَا
يُسَمَّى : يَرْسُمُ الْبَقُولَاتِ وَالْتَوَابِلِ - نِصْفَ دِينَارٍ ، وَمِنْ الضَّيَّانِ رَأْسَ وَاحِدٍ ،
وَمِنْ الْحَيَوَانِ ثَلَاثَةَ أَطْيَارٍ ، وَمِنْ الْحَطَبِ حَمَلَةً وَاحِدَةً ، وَمِنْ الدَّقِيقِ خَمْسَةَ
وَعِشْرُونَ رَطْلًا ، وَمِنْ الْخُبْزِ عِشْرُونَ وَطِيفَةً ، وَمِنْ الْفَاكِهَةِ ثَمَرَةَ زَهْرَةٍ^(c)
قَصْرِيَّتَانِ وَشَقَامَةً .

وَفِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ مِنَ السَّمَاطِ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ : طَيْفُورٌ خَاصٌّ⁽¹⁾ ،
وَصَحْنٌ مِنَ الْأَوَائِلِ ، وَخَمْسَةُ وَعِشْرُونَ رَغِيفًا مِنَ الْخُبْزِ الْمَوَائِدِيِّ وَالشَّمِيدِ .
وَفِي كُلِّ يَوْمِي أَحَدٌ وَأَرْبَعَاءُ مِنَ الْأَشْطِطَةِ بِالْدارِ الْمَأْمُونَةِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَفِي كُلِّ
يَوْمٍ سَبْتٍ وَثَلَاثَاءَ مِنَ الْأَشْطِطَةِ الزُّكُوبَاتِ : خُرُوفٌ شِوَاءَ^(d) ، وَجَامٌ⁽²⁾ حَلْوَى ،
وَرُبَاعِي عَيْتًا .

وَيُخَصَّرُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْإِسْطِطَلَاتِ : بَقْلَةٌ بِمَرْكُوبٍ مُحَلَّى ، وَبَقْلَةٌ
بِرَّسْمِ الرَّاجِلِ ، وَقَرَّاشِينَ مِنَ الْحُقُوقِ بِرَّسْمِ خِدْقَتِهِ وَتَبِيَّتِ عَلَى بَابِهِ . وَإِذَا
خَرَجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ السُّلْطَانَ فِي اللَّيْلِ ، كَانَ لَهُ شَمْعَةٌ مِنَ الْمَوْكِبِيَّاتِ تُؤْصَلُهُ
إِلَى دَارِهِ وَزَنَها سَبْعَةُ عَشَرَ رَطْلًا ، وَلَا تَعُودُ . وَبِرَّسْمٍ وَلَدِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ : ثَلَاثَةُ
أَرْطَالِ لَحْمٍ ، وَعَشْرَةُ أَرْطَالِ دَقِيقٍ ، وَفِي أَبْهَامِ الزُّكُوبَاتِ رُبَاعِي .

(a) بولاق : الخيانة . (b) بولاق : باسمه . (c) بولاق : ثمرة زهرة . (d) بولاق : مشوي .

¹ طَيْفُورٌ ج. طَيَافِيرُ . إِنَاءٌ مُفْتَرٌ عَمِيقُ قَاعِهِ مَسْطَحٌ
وَجَوَانِبُهُ مَرْتَفَعَةٌ بِاسْتِقَامَةٍ (Dozy, R., Suppl. Dict. Ar.)
يُصَبُّ فِيهَا السَّكَّرُ بَعْدَ نَضِجِهِ لِنَعْنَعِ الْحَلْوَى (Dozy, R.,
Suppl. Dict. Ar. I, p. 168) . (II, p. 48)

والمشاهدة جاري ديوان الخاص والمجلس برشمه مائة وعشرون ديناراً،
وبرشم وليه رايتا؛ عشرة دنانير.

وأُثِّبَت أربعة غِلْمان نصاري، ونُسَبِّههم للإسلام، في جملة المُستَخدمين
في الركاب، ولم يَخدموا لا في اللَّيْل ولا في النَّهار، بما مبلغه سبعة دنانير.
ومن الشُّكر خمسة عشر رطلًا، ومن عَسَل النَّخل عشرة أُرطال، ومن قَلْب
الفُسْتَق ثلاثة/ أُرطال، وَقَلْب بُنْدُق خمسة أُرطال، وَقَلْب لَوْز أربعة
أُرطال، وَزُد مُرْتَي رطلان، زيت طَيِّب عشرة أُرطال، شَهْرَج خمسة
أُرطال، زَيْت حار ثلاثون رطلًا، خَلّ ثلاث جِرار، أُرز نصف وَثِيَّة، سُمّاق
أربعة أُرطال، جِصْرِم وَكْشَك وَحَب زُمان وَقَراضيا بالسُّوِّيَّة اثنا عشر رطلًا،
سِذْر وَأَشْنان وَثِيَّة، ومن الكِيزان عشرون شُرْبَة عَزِيْزِيَّة، وثَلْجِيَّة وَاجِدَة،
ومن الشُّنْع سِتَّ شَمْعَات: منهم اثنتان مَنُويَات، وأربعة رطليات.

والمُسانَهَة في بَكور العُرَّة: برشم خاصَّه^(a) خمسة دنانير، وخمس
رُباعِيَّة، وعشرة قَرارِيط مُجَدَّد. وبرشم ولده دِنار رُباعي، وثلاثة قَرارِيط،
وَحُرُوف مَقْمُوم، وخمسة أُرُوس، وَزُبْع قَنطار خبز بُز مَازِق، وَصُخْن أُرُز
بَلَبَن وَشُكْر.

ومن السُّمَاط بالقصر في اليوم المذكور: حُرُوف شِواء، وَزَبادي، وَجَام
حَلُوي، وَالْحَبْز وقطعة مَنفُوخ، ومن القَمَح ثلاث مائة أُرْدَب، ومن الشُّعير
مائة وخمسون أُرْدَبًا، وفي المواليد الأربعة أُرْبَع صَواني فُطْرَة.

وَكُشُورَة الشِّتاء: برشمه خاصَّة مِندِيل خَريري، وَشُقَّة دِيَقِي حَريري،
وَشُقَّة دِياج، وَرِداء أَطْلَس، وَشُقَّة دِياج داري، وَشُقَّتَان سَفْلاطون
إِحداهما إِسْكَندَراني، وَشُقَّتَان عَنّايي، وَشُقَّتَان خَزْ مَغْرِبِي، وَشُقَّتَان
إِسْكَندَراني، وَشُقَّتَان دِمياطي، وَشُقَّة طَلِي مُرَيْش^(b) وَفُوطَة خاصَّ. وبرشم
وَلَدَه شُقَّة سَفْلاطون داري، وَشُقَّة عَنّايي داري، وَشُقَّة خَزْ مَغْرِبِي، وَشُقَّتَان
دِمياطي، وَشُقَّتَان إِسْكَندَراني وَشُقَّة طَلِي وَفُوطَة. وبرشم من عنده مِندِيلًا

(a) بولاق: الخاصة. (b) بولاق: مرش، آياصوفيا: ممّش، وصوبها سرجنت: مُرَيْش. Serjeant, B.B., *Islamic* (a) بولاق: الخاصة. (b) بولاق: مرش، آياصوفيا: ممّش، وصوبها سرجنت: مُرَيْش. Serjeant, B.B., *Islamic* (Textiles, p. 158 n. 181).

كَمْ أحدهما خزانتي خاصّ، ونصفني أردية ذبيقي، وشُقّة سَقلاطون
داري، وشُقّة عَتايي، وشُقّة سُوسي، وشُقّة دِمياطي، وشُقَتان إشكَنْدَراني
وَفُوطَة.

وبرشمه أيضًا في عيد الفِطَر : طَيفُورَان فِطْرَة مشوَرَة، ومائة حَبَة بوري،
وبَذَلَة مُدْمِيَة مُكَمَّلَة، ولَوْلَدَه بَذَلَة حَرِير، وبرشم من عنده حَلَة مَدَهية. وفي
عيد النُّحْر رَشمُه مثل عيد الفِطَر، ويَزِيد عنه هِبَة مائة دينار. ولَوْلَدَه مثل
عيد الفِطَر وزيادة عشرة دنانير، ويُساق إليه من القَتَم ما لم يكن باسمه.
وفي مُؤَسَم فَتَح الخَلِيج : أربعون دينارًا، وصينية فِطْرَة، وطَيفُور خاصّ
من القصر، وخُرُوف شِواء، وجام حَلْواء، وبرشم وَلَدَه : خمسة دنانير.
ولِخاصّه في الثُّوروز : ثلاثون دينارًا، وشُقّة ذبيقي حَريري، وشُقّة لاذُ،
ومَقْعَجَر حَريري، ومِنْدِيل كَمْ حَريري، وفُوطَة، ومائة بِطِيخَة، وسبع مائة
حَبَة رُمان، وأربعة عناقيد مُؤَز، وفَزْد بُشَر، وثلاثة أَقْفاص تَمَر قوصي،
وَقَفَصان سَفَرَجَل، وثلاث بكالي هَرِيصَة : واحدة بِدْجاج وأخرى بَلْخَم
ضأن، والثالثة بَلْخَم بَقْري، وأربعون رطلًا خبز بُز مازِق. ولَوْلَدَه خمسة
دنانير، وحوائج الثُّوروز بما تَقَدَّم ذكره.

وبرشمه في المِيلاد : جام قاهِرية، ومَتَرْد سَمِيد مُقْتَصَمي، وزَلابية،
وَيَسْت قَرَابات لُجَلاب، وعشر حَبّات بوري.
وبرشم الفِطاس : خمس مائة حَبَة تَوْنُج ونارِنْج ولَيمون مراكيبي، وخمسة
عشر طِن قَصَب، وعشر حَبّات بوري. وبرشمه في عيد القَدِير من السَّماط
بالقصر مثل عيد النُّحْر.

وله هِبَة عن رَشم الخِلَع من المَجْلِس المأموني - يعني مجلس الوَزارة -
ثلاثون دينارًا، ولَوْلَدَه خمسة دنانير.

ومَن تكون هذه رُشومه، في أي وَجْه تنصرف أمواله؟ والذي باسم
أخيه نَظير ذلك، وكذلك صِبْهَره في دِيوان الوَزارة، وابن أخيه في الدِّيوان
الثَّاجي ووُجُوه الأَمْوال من كُلِّ جِهَة واصلَة إليهم، والأمانة مَضْرُوفَة
عنهم.

وقد اِختَصَرَ المَمْلُوكُ فيما ذَكَرَهُ ، والذي باسمه أَكثَرُ . وإذا أَمِرَ بِكَشْفِ
ذلك من الدَّواوين ، تَبَيَّنَ صِحَّةُ قَوْلِ المَمْلُوكِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مِمَّنْ يَتَجَنَّبُ قَوْلَ
المُحَالِّ ولا يَتَوَضَّاهُ لِنَفْسِهِ ، سِوَمَا إِنَّ رَفَعَهُ إِلَى المَقَامِ الكَرِيمِ .

وَشَفَعَ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ القَوْلِ فِيهِمْ ، وَعَرَضَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ ، وَأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ يَنْقُتِ فِي جِهَاتِهِمْ
من الأَمْوَالِ الَّتِي تَخْرُجُ عَنْ هَذَا الإِنْعَامِ ، مَا يَجِدُهُ حَاضِرًا مَذخورًا عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُهُ مِائَةً أَلْفِ دِينَارٍ .
فَلَمْ يُسْمَعْ كَلَامُهُ إِلَى أَنْ ظَهَرَ الرَّاهِبُ فِي الأَيَّامِ الأَمِيرِيَّةِ ، فَوَجَدَهُ هُوَ وَغَيْرُهُ الفُرْصَةَ فِيهِمْ ،
وَكَثَرُوا الرِّفَاعُ^١ عَلَيْهِمْ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ عَنْ آخَرِهِمْ وَمَنْ يَعْرِفُهُمْ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ الجُعْلَةَ الكَبِيرَةَ ، ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ عَادُوا إِلَى خِدْمَتِهِمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَسْمَائِهِمْ ، وَتَجَدَّدَ مِنْ جَاهِهِمْ ، وَانْتِقَامِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ
أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ أَوَّلًا . انْتَهَى^١ .

فَانْظُرْ - أَعَزَّكَ اللهُ - إِلَى سَعَةِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ مِنْ مَعْلُومِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ كُتَّابِ دَوَاوِينِهَا ، يَتَبَيَّنُ
لَكَ - بِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ المُرَافَعَةِ - مِنْ عِظَمِ الشَّأْنِ وَكَثْرَةِ العَطَاءِ ، مَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى بَاقِي
أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ .

ديوان الثَّظَر

قال ابنُ الطُّوَيْرِ : أَمَّا دَوَاوِينُ الأَمْوَالِ فَإِنَّ أَجْلَهَا مِنْ يَتَوَلَّى الثَّظَرَ عَلَيْهِمْ ، وَلَهُ العَزْلُ وَالْوِلَايَةُ ،
وَمَنْ يَدُهُ عَرَضُ الأَوْزَاقِ فِي أَوْقَاتٍ مَعْرُوفَةٍ عَلَى الخَلِيفَةِ أَوْ الوَظِيرِ^٢ ، وَلَمْ يُرَ فِيهِ نَضْرَانِيٌّ إِلَّا^{١٥}
الأَخْرَمِ^٣ ، وَلَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَيْهِ إِلَّا بِالضَّمَانِ . وَلَهُ الاِغْتِقَالُ بِكُلِّ مَكَانٍ يَتَعَلَّقُ بِبُؤَابِ الدَّوْلَةِ ، وَلَهُ

(a) يولاق : وكثر الوقائع .

^١ سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ، ثم صرف في سنة ٥٤٢هـ /
١١٤٧م بالقاضي المرتضى أبي عبد الله محمد بن الحسين
الطرابلسي المعروف بالهتَّك (أبو صالح : تاريخ ١١٤ ابن
ميسر : أخبار ١٣٦ ، ١٣٧ القرظي : اتعاظ ٣ : ١٨٠ ،
١٨٢ ، والمقفى الكبير ٧ : ٢٧٦) .

^٢ اختلفت المصادر في ذكر الاسم الصحيح لهذا
الشخص . فقد ورد اسمه في المصادر الإسلامية بالصيغة
التالية : صنبة الخلافة أبو الكرم الأخرم (أو الأخرم) بن =

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٦٥ - ٦٨ .
^٢ احتفظت لنا المصادر بأسماء بعض الذين تولوا ديوان
الثَّظَر الفاطمي ، فتولاه في عهد الخليفة الحافظ الشريف
معتمد الدولة علي بن جعفر بن عثمان المعروف بابن أبي
العشاش الذي تولى نظر الدواوين في سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م
(ابن ميسر : أخبار مصر ١١٩ القرظي : اتعاظ الخفا
١٤٨ : ٣) والمؤلف أبو الكرم محمد بن معصوم التتبي الذي
أعيد إليه نظر الدواوين والأثراك والخزان في جمادى الأولى

الجلوس بالمرتبة والمستند ، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ، وتخرج له الدواة بغير كُرسي . وهو يُثدب المترسلين لطلب الحساب ، والحث على طلب الأموال ، ومطالبة أزهاب الجدول^٥ ، ولا يُفترض / فيما يقصده من أخذ من الدولة^١ .

ديوان التحقيق

٥ ديوان مفتضاه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخلع والمرتبة والحاجب ، ويُلقب برأس الديوان - يعني مُتَوَلِّي ديوان النظر - ويُفتقر إليه في أكثر الأوقات^٢ . وقال ابن المأمون : وفي هذه السنة - يعني سنة إحدى وخمسة مائة - فُتِحَ^٣ ديوان سُني ديوان التحقيق ، تولاه ابن أبي الليث النضراني وأضيف إليه^٤ ديوان المجلس .

١٠ قال : ولما كثرت الأموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان ، رَغِبَ في التَّجَمُّع على الأفضل ابن أمير الجيوش بنهضته ، فسأل^٥ أن يُشاهده قبل حمله ، وذكر أنه سبع مائة ألف دينار خارجاً عن نفقات الرجال . فُجِعِلَت الدنانير في صناديق بجانب ، والدراهم في صناديق بجانب ، وقام ابن أبي الليث بين الصُفَيْن . فلما شاهد الأفضل ابن أمير الجيوش ذلك ، قال لابن أبي الليث :

(a) بولاق : الدولة . (b-b) ساقطة من بولاق وموجودة أيضاً في مخطوطة Liège . (c) بولاق : ينهض وبسأله .

= أبي زكريا النضراني (ابن طاهر والنابلسي والمقرزي) . بينما جاء في تاريخ الكنائس والأديرة لأبي المكارم سعد الله : الشيخ الرئيس صنعة الخلافة أبو ذكري يحيى المعروف بالأكرم بن الشيخ السعيد أبو المكارم هبة الله بن مينا المعروف بابن بولس (أبو المكارم : تاريخ الكنائس ٤٢ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٧٤:٦) . وبينما يذكر المؤرخون المسلمون أنه تولى نظر الدواوين في مدة وزارة بهرام الأرمني (٥٢٩-٥٣١هـ) ثم أعيد إليها في سنة ٥٣٣ بعد عزل الوزير رضوان بن ولشي (ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة ٩٩ النابلسي : تجميد سيف للهمة ١٤٢-١٤٣ (نص مليء بالتفصيلات) ؛ ابن ميسر : أخبار ١٤٠ المقرزي : انعاظ ٣:١٨٩ ، وفيما يلي ٣٤٧-

١ ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٩-٨١ ابن الفرات : تاريخ ١/٤: ١٤١-١٤٢ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٨٩ المقرزي : انعاظ ٣: ٣٣٨ أمين فزاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٤٩-٣٥٢ .

٢ نفسه ٨١ نفسه ١/٤: ١٤٢ نفسه ٣: ١٨٩ نفسه ٣: ٣٣٨ .

«يا شيخ، تُفَرِّحُنِي بِالْمَالِ وَثُرَّةُ امِيرِ الْجِيُوشِ إِنْ بَلَغَنِي أَنَّ بَرًّا مَعْطَلَّةً، أَوْ أَرْضًا بَائِرَةً، أَوْ بَلَدًا خَرَابًا، لِأَضْرِبُ غُنُقَكَ». فَقَالَ: «وَحَقُّ نِعْمَتِكَ لَقَدْ حَاشَا اللَّهَ إِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا بَلَدٌ خَرَابٌ، أَوْ بَرٌّ مَعْطَلَّةٌ، أَوْ أَرْضٌ بُورٌ، فَأَتَى أَنْ (ه) يَخْلَعَ عَلَيْهِ حَتَّى (ا) يَكْشِفَ عَمَّا ذَكَرَ^١. انتهى.

وَقِيلَ ابْنُ أَبِي اللَّيْثِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ^٢.

ديوان (ب) الجيوش والرواتب

- قال ابنُ الطَّوَيْرِ: أَمَّا الخِدْمَةُ فِي دِيوانِ الْجِيُوشِ فَتَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ:
- الأوَّلُ «دِيوانُ الْجِيُوشِ»، وَفِيهِ مُشْتَوِّفٌ أَصِيلٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مُشْلَمًا، وَلَهُ مِيزَةٌ^(ع) عَلَى غَيْرِهِ لَجُلُوسِهِ بَيْنَ يَدَيْ الخَلِيفَةِ دَاخِلَ عَتَبَةِ بَابِ المَجْلِسِ، وَلَهُ الطَّرَاحَةُ والمُسْتَدُّ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الخَاجِبُ، وَتَرَدُّ عَلَيْهِ أُمُورُ الأَجْنَادِ، وَلَهُ العَرَضُ والحُلَى والشَّيْثَاتُ^(د).
- ولهذا الدِّيوانُ خَازِنَانِ بِرَسْمٍ دَفْعٍ^(ه) الشُّوَاهِدِ. وَإِذَا عَرَضَ أَحَدُ الأَجْنَادِ، وَرَضِيَ بِهِ عَرَضَ دَوَائِهِ، فَلَا يُنْبِتُ لَهُ إِلَّا القَرَسَ الجَيِّدَ مِنْ ذِكُورِ الحَيْثِلِ وَإِنَائِهَا، وَلَا يَنْزِلُ^(ز) لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِرُذُونٍ وَلَا بَغْلٍ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمُ البَرَاذِينُ والبِغَالُ، وَلَيْسَ لَهُمْ تَغْيِيرُ أَحَدٍ مِنَ الأَجْنَادِ إِلَّا بِمَرْسُومٍ، وَكَذَلِكَ إِقْطَاعُهُمْ.
- وَيَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ هَذَا المَسْتُوفِي نُقَبَاءُ الأَمْرَاءِ يَنْهَوْنَ إِلَيْهِ مُتَجَدِّدَاتِ الأَجْنَادِ مِنَ الحَيَاةِ والمَوْتِ والمَرَضِ والصُّعَةِ، وَكَانَ قَدْ فُصِّحَ لِلأَجْنَادِ فِي مُقَابِلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي الإِقْطَاعِ بِالتَّوَقُّعَاتِ بِغَيْرِ عَلَامَةٍ، بَلْ بِخَرِيجٍ صَاحِبِ دِيوانِ المَجْلِسِ. وَمِنْ هَذَا الدِّيوانِ تُعْمَلُ أَوْرَاقُ أَبْوابِ الجَرَايِاتِ، وَمَا كَانَ لِأَمِيرٍ - وَإِنْ عَلَا قَدْرُهُ - بَلَدٌ مُقَرَّرٌ^٣ إِلَّا نَادِرًا^٤.

(a-b) ساقطة من بولاق. (b) أما صوغها: ديواني. (c) بولاق: مرتبة. (d) بولاق: الثياب. (e) بولاق: رفع. (f) بولاق: يترك.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٢٩، ابن مسير: أخبار مصر ١٤٨٨، المقريزي: ٧٧، المقريزي: اتماظ ٣: ٣٩، أين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٥٢-٣٥٥.

^٢ ابن مسير: أخبار مصر ٧٧، وفي تاريخ أبي صالح الأرمي ٦٤ أن وفاته سنة ٥٢٨ هـ.

^٣ عن البلاد المقررة انظر فيما تقدم ١: ٢٢٢ هـ.

^٤ ابن الطوير: نزعة المقلتين ٨٢-٨٣، ابن الفرات:

تاريخ ١/٤: ١٤٣، الفلقشندي: صبح ٣: ١٤٨٨، المقريزي: اتماظ ٣: ١٣٣٩، وراجع كذلك المخزومي: المنهاج في علم خراج مصر ٦٨-٧٢، وفيما تقدم ١: ٢٥٣-٢٥٤، Cahen, CL., «L'administration financière de l'armée fatimide d'après Makhzûm», JESHO XV (1972), pp. 163-82، الدولة الفاطمية في مصر ٦٥٧-٧٢٤.

وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو «ديوان الرّوايت» ، ويشتمل على أسماء كل مؤتلف في الدولة^(٩) وجاري وجاريه ، وفيه كاتب أصيل بطواخة ، وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة أنفس . والتعريفات وإرادة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ، ومباشرة من استجد ، وموت من مات ، ليجب استحقاقه على النظام المستقيم . وفي هذا الديوان عدة عروض :

٥. **القرض الأول** - يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ، ومن يليه من ولد وأخ من ثلاث مائة دينار إلى مائتي دينار ، ولم يُقرر لولد وزير خمس مائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكايل ، ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمس مائة إلى أربع مائة إلى ثلاث مائة خارجاً عن الإقطاعات .

١٠. **القرض الثاني** - حواشي الخليفة وأولهم الأستاذون المحتكون على رتبهم وجواري خدامهم التي لا يُباشرها سواهم . فزمام القصر ، وصاحب بيت المال ، وحامل الرسالة ، وصاحب الدفتر ، وشاذ التاج ، وزمام الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس : لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر . ومن دونهم ينقص عشرة دنانير ، حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير ، وتزيد عدتهم على ألف نفس . ولطبيبي الخاص ، لكل واحد خمسون ديناراً ، ولن دونهما من الأطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

١٥. **القرض الثالث** - يتضمن أبواب الرتب بحضرة الخليفة : فأوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون ديناراً ، ولكل واحد من كتابه ثلاثون ديناراً ،^(ب) ثم من يتولى مجالسة الخليفة والتوقيع بالقلم الدقيق في المظالم وجاريه مائة دينار^(ب) ، ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون ديناراً ، ثم حامل الشيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون ديناراً ، وبقيّة الأربعة على القساكر والسودان من خمسين إلى أربعين ديناراً إلى ثلاثين ديناراً .

٢٠. **القرض الرابع** - يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار ، وداعي الدعاة مائة دينار ، ولكل من قراء الحضرة عشرون ديناراً إلى خمسة عشر إلى عشرة ، ولخطباء الجوامع من عشرين ديناراً إلى عشرة ، وللشعراء من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير .

القرض الخامس - يشتمل على أبواب الدواوين ومن يجري مجراهم ، وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون ديناراً ، وديوان التحقيق جاريه خمسون ديناراً ، وديوان المجلس أربعون /

دينارًا، وصاحبُ دَفْتَرِ الْمَجْلِسِ خمسة وثلاثون دينارًا، وكاتبه خمسة دنانير، وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارًا، والمُوْتَعُ بالقَلَمِ الجَلِيلِ ثلاثون دينارًا، ولجميع أصحاب الدَّوَابِّين الجاري فيها المعاملات لكلِّ واحدٍ عشرون دينارًا، ولكلِّ مُعِينٍ من عشرة دنانير إلى سبعة إلى خمسة دنانير.

٥. **الْفَرْضُ السَّادِسُ** - يَشْتَكِلُ على الْمُسْتَعْدِمِينَ بالقَاهِرَةِ ومصر، لكلِّ واحدٍ من المُسْتَعْدِمِينَ في ولاية القاهرة وولاية مصر في الشهر خمسون دينارًا والحَمَّاءُ بالأَهْرَاءِ، والمُنَاخَاتِ، والجَوَالِي، والبَسَاتِينِ، والأَمْلَاكِ وغيرها، لكلِّ منهم من عشرين دينارًا إلى خمسة عشر إلى عشرة إلى خمسة دنانير.

- الْفَرْضُ السَّابِعُ** - الْفَرَّاشُونَ بِالْقُصُورِ يَرْسُمُ خِدْمَتَهَا وتنظيفها خارجًا وداخِلًا، وَنَقْصِبُ الْمَتَائِرِ المحتاج إليها، وَخِدْمَةُ الْمَنَاطِرِ الخَارِجَةِ عن القصر. فمنهم خاصٌّ يَرْسُمُ خِدْمَةَ الْخَلِيفَةِ وَعِدَّتُهُمْ خمسة عشر رجلًا، منهم صاحبُ المَائِدَةِ وحامي المَطَايِخِ ولَهُمْ^١ من ثلاثين دينارًا إلى ما حولها، ولَهُمْ رُسُومٌ مُمَيَّزَةٌ، وَيُقَرَّبُونَ من الْخَلِيفَةِ فِي الْأَسْمِطَةِ التي يجلس عليها. ويليهم الرُّشَّاشُونَ داخِلَ القصر وخَارِجَهُ ولَهُمْ عُرْفَاءٌ، ويتولَّى أَمْرَهُمْ استَاذٌ من خواصِّ الْخَلِيفَةِ، وَعِدَّتُهُمْ نحو الثلاث مائة رَجُلٍ، وجاريهم من عشرة دنانير إلى خمسة دنانير.

١٥. **الْفَرْضُ الثَّامِنُ** - صِبْيَانُ الرُّكَّابِ وَعِدَّتُهُمْ تزيد على ألفي رجل، ومقدموهم أصحابُ رِكَابِ الْخَلِيفَةِ وَعِدَّتُهُمْ اثنا عشر مَقْدُمًا، منهم مُقَدِّمُ الْمُقَدِّمِينَ وهو صاحبُ الرُّكَّابِ اليمين، ولكلِّ من هؤلاء الْمُقَدِّمِينَ في كُلِّ شهر خمسون دينارًا، ولَهُمْ نَقَبَاءٌ من جهة المذكورين يَقْرَفُونَهُمْ، وهم مُقَرَّرُونَ جُوعًا على قَدْرِ جَوَارِيهِمْ: جُوعَةٌ لكلِّ منهم خمسة عشر دينارًا، وجُوعَةٌ لكلِّ منهم عشرة دنانير، وجُوعَةٌ لكلِّ منهم خمسة دنانير. ومنهم من يُنْتَدَبُ فِي الْخِدْمَةِ السُّلْطَانِيَةِ، ويكون لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْأَعْمَالِ التي يَدْخُلُونَهَا، وهم الذين يحملون الخُلُقَاتِ^٢ لِرُكُوبِ الْخَلِيفَةِ فِي الْمَوَاسِمِ وغيرها^٣.
٢٠. وَأَوَّلُ من قَرَّرَ الْعَطَاءَ لِعِلْمَانِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَأَوْلَادِهِمُ الذَّكَورَ وَالْإِنَاثَ وَلِيسَائِهِمْ، وَقَرَّرَ لَهُمْ أَيْضًا الْكُشُونَةُ الْغَزِيرُ بِاللَّهِ بْنِ الْمِيزِ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الملحقات، وربما يكون صوابها المضافات.

^١ ابن الطوير: نزعة المقتلين ٨٣-٨٥ ابن الفرات: الأعشى ٣: ٤٩١، ٥٢١-٥٢٣ المقرئ: اعطاء الخنفا تاريخ الدول والملوك ١/٤: ١٤٣-١٤٥ القلقشندي: صبح ٣: ٣٣٩-٣٤٢.

ديوان الإنشاء والمكاتبات

وكان لا يتولاه إلا لأجل كُتّاب البلاغة ، ويُخاطَب بالشَيْخ الأَجَلّ ، ويُقال له : « كاتِب الدَّشْتِ الشَّرِيف » ، وإليه^(٥) تُسَلَّم المكاتبات الواردة مَخْقُومَة ، فيعرضها على الخَلِيفَة من يَدِه ، وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها للكُتّاب ، والخَلِيفَة يستشيرُه في أكثر أُمُورِه ، ولا يُعْجَب عنه متى قَصَد المَثُول بين يديه ، وهذا أَمْرٌ لا يصل إليه غَيْرُه ، ورُبَّمَا باتَ عند الخَلِيفَة لِيَالِي . وكان جاريه مائة وعشرين دينارًا في الشهر .

وهو أَوَّلُ أَرْباب الإقطاعات وأَرْباب الكُشُوفَة والرُّسُوم والمُلاطَفات ، ولا سَبِيل أن يدخل إلى ديوانه بالقَصْرِ ، ولا يجتمع بِكُتّابِه أَحَدٌ إلا الخَوَاص ، وله حاجِب من الأَمْرَاء الشُّيُوخ وفَرَّاشون ، وله المَرْتَبَة الهائلة والخُداد والمُسْتَد ، والدَّوَاة لَكُنْها بغير كِرسِي . وهي من أَحْصَ الدَّوَى ، ويحملها أَسْتَاذ من أَسْتَاذِي الخَلِيفَة^(٦) .

التوسيع بالقلم الدقيق في المظالم

وكان لا بُدَّ للخَلِيفَة من مجلس يُذَاكِرُه ما يحتاج إليه من كِتَاب الله ، وتَجْوِيد الخطِّ وأَخْبَار الأنبياء والخُلَفَاء . فهو يجتمع به في أكثر الأَيَّام ومعه أَسْتَاذ من المُحْكَمِينَ مؤَهَّل لذلك فيكون الأَسْتَاذ ثالثهما ، ويقرأ على الخَلِيفَة مَلْخَص السَّيَر ، ويَكْثُر عليه ذِكر مَكَارِم الأخلاق ، وله بذلك رُتْبَة عَظِيمَة تَلْحَق بِرُتْبَة كَاتِب الدَّشْت .

ويكون صُحْبَتُه لِلجُلُوس دَوَاةً مُعَلَّاةً ، فإذا فَرَّغَ من المَجَالَسَة أُلْقِيَ في الدَّوَاة كَاعْدَة فيها^(٧) عَشْرَة دنانير ، وقِرْطاس فيه ثلاثة مِثاقيل نَدَّ مِثْلُ خَاصٍّ لِيَتَبَخَّرَ به عند دُخُولِه على الخَلِيفَة ثاني دُفْعَة^(٨) .

(٥) ساقطة من بولاق . (٦) بولاق : كافد فيه . (٧) بولاق : مرة .

^١ قارن ابن الطوير : نزهة الملقين ٢٨٧ ابن القرات : صبح الأعشى ١٠٢:١ - ١٠٣:١ المقرئ : اتعاط الحفا تاريخ الدول والملوك ١٤٠: ١٤١ - ١٤١ الفلقشندي : ٣٣٧:٣ - ٣٣٨.

وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق، وله طراحة ومسند وقراض يقدم إليه ما يوقع عليه، وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن، وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم، والكساوي وغيرها^١.

التوقيع بالقلم الجليل

- وهي رتبة جلييلة، ويقال لها: «الخادمة الصغرى»، ولها الطراحة والمسند بغير حاجب، بل القراض لترتيب ما يوقع عليه^٢.

مجلس النظر في المطاليم

- كانت الدولة إذا خلعت من وزير صاحب سيف، جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه الثقباء/ والحجاب، فينادي المنادي بين يديه: يا أرباب الظلمات فيحضرون: فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت إلى الولاة والقضاة رسالة بكشفها. ومن تظلم ممن ليس من أهل البلدين أحضر قصة بأمره، فيتسلمها الحاجب منه. فإذا جمعتها أحضرها إلى الموضع بالقلم الدقيق فيوقع عليها، ثم تحتمل إلى الموضع بالقلم الجليل، فييسط ما أشار إليه الموضع الأول، ثم تحتمل في خريطة إلى الخليفة، فيوقع عليها، ثم تخرج في الخريطة إلى الحاجب، فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه.
- فإن كان وزيره صاحب سيف، جلس للمطاليم بنفسه، وقبائته قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان معتبران، ومن جانب الوزير الموضع بالقلم الدقيق، وبليه صاحب ديوان المال، وبين يديه صاحب الباب وإشفهتلار العساكر، وبين أيديهما الثواب والحجاب على طبقاتهم. ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المطاليم في يومين من الأسبوع.
- وكان الخليفة إذا رفعت إليه القصة وقع عليها: «يُعتمد ذلك إن شاء الله». ويوقع في الجانب الأيمن منها: «يوقع بذلك»، فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس، فيوقع عليها جليلاً، ويخلى

(٢) بولاق: فيه.

^٢ نفسه ٨٨.

^١ نفسه ٨٨ نفسه ١/٤: ١٤١ نفسه ٣: ٤٨٧ نفسه

مكان «العلامة»^١، فيعلم عليها الخليفة وتثبت. وكانت علامتهم أبداً: «الحمد لله رب العالمين». وكان الخليفة يوقع في المصاححة^٢ والتشويخ^٣ والتخسيس^٤: «قَدْ أَنْعَمْنَا بِذَلِكَ، أَوْ قَدْ أَمْضَيْنَا

أخت المستنصر «الحمد لله ولي كل نعمة» (السجلات المستنصرية رقم ٢٨ و ٥١ و ٥٢). أما علامة السيدة أم المستعلي فكانت: «الحمد لله على نعمه» (السجلات رقم ٣٥). وكان لكبار الموظفين أيضاً علامتهم مثل القاضي هبة الله بن ميسر الذي كان يكتب: «الحمد لله على نعمه». (ابن ميسر: أخبار ١٢٨، المقرئ: انماط ٣: ١٦٣). وكذلك الموظفون من أهل الدمة فكانت علامة أبي نصر بن عبدون المعروف بابن العداس متولي ديوان الشام في خلافة الحاكم: «الحمد لله على ما يستحق» (أبو صالح: تاريخ ٥١).

ولم تكن العلامة توجد على رأس السجل أو المنشور ولا مباشرة بعد البسملة وإنما كانت تأتي بعد السطر الأول من النص. (Stern, S. M., *op.cit.*, pp. 127-135).

^٢ المصاححة ج. مضافات. والمقصود بالمصاححة هو التي الخراج عند نقل حساب الدولة من الهلالي إلى الحراجي. (ابن المأمون: أخبار ٢٨، المقرئ: الخطوط ١: ٨٣، ٨٦، والاتماط ٢: ١١٤، ٨٠: ٣، ٨١، ١٠٤) وفيها نص منشور بمصاححة كافة سكان الزباج السلطانية بالقاهرة ومصر... بأجرة شهر رمضان سنة ٥١٧، وقارن ابن ميسر: أخبار ٥٣، والاتماط ٢: ٣٢٩، ٢٥٣: ٣، والخطوط ١: ٣٨٢ حيث يذكر إطلاق بدر الجمالي الخراج للمزارعين ثلاث سنوات وهو أشبه بالمصاححة. وقارن القلقشندي: صبح ١٣: ٢٣، وجمارة البني: النكت المصرية ٥٣.

^٣ التشويخ ج. تسويغات (مؤددة). الإذن في تناول الاستحقاق من جهة معية تيسيراً وتسهيلاً على الأخذ. (القاموس: ١٠١٢ هـ).

^٤ التخسيس. هو الأمر بوقف أرض أو عقار للصرف من عائلته على عمارة أو مؤسسة دينية أو اجتماعية.

^١ العلامة. مصطلح خاص كان يطلق على ما يكتبه الخليفة بيده على الرسائل أو الأوامر أو السجلات أو التوقيعات الصادرة عنه. ولا تصدر هذه الوثائق، على اختلاف أنواعها، إلا بعد كتابة هذه العلامة. وكان كل خليفة أو سلطان أو ملك يتخذ لنفسه مصطلحاً خاصاً ليكون علامته. وهذه العلامة هي التي تطورت في أواخر العصر المملوكي وفي العصر العثماني وأصبحت تُعرف «بالطغراء». (المقرئ: السلوك ١: ٣٤٤ هـ^١، ابن أصل: مفرج ١: ١٧٣ هـ^٢، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار (قسم مصر والشام) ٤٣-٤٤ هـ^٣، القلقشندي: صبح ١٣: ١٦٢-١٦٦ وفيما يلي ٢: ٢١١).

ويؤكد ما ذكره ابن الطوقر من أن علامة جميع الخلفاء الفاطميين كانت: «الحمد لله رب العالمين» نص مماثل للقلقشندي، لم يتمكن من تحديد مصدره، اقتبسه علي بك بهجت في هامش قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي ١٠٩، وكذلك نص «السجلات المستنصرية» وما أورده يحيى بن سعيد الأنطاكي في تاريخه ٢٣١، ٢٣٣ وأبو شامة في الروضتين ١: ١٢٨، وما جاء في رسالة «الهداية الأمرية» (في مجموعة الوثائق الفاطمية) ٢١٥. ويذكر المؤرخ ابن حنّاد أنه شاهد سجلات صادرة عن المستعلي بن المستنصر وعليها علامته: «الحمد لله على آلائه». (أخبار ملوك بني عبيد ١٠). ويرى شيرن أن العلامة التي شاهدها ابن حنّاد ليست صادرة عن الخليفة، وإنما عن وزيره الأفضل بن بدر الجمالي، فهي تتفق مع علامة الوزراء التي وصلت إلينا عن الوزير الجرجاني؛ فيذكر ابن الصيرفي وابن خلّكان أن القاضي أبا عبد الله القضاعي كان يُقلم عنه: «الحمد لله شكراً لنيّته» (الإشارة ٦٩، وفيات ٣: ٤٠١، Stern, S. M., *Fatimid Decrees*, p. 130).

بينما كانت علامة الوزير عباس: «الحمد لله وبه أثق» (الروضتين ١: ٢٤٧). وكان لنساء البلاط الفاطمي أيضاً علامتهن، فكانت علامة السيدة أم المستنصر: والسيدة

ذلك». وكان إذا أراد أن يُعَلِّمَ ذلك الشيء الذي أنهى وَقَعَ : «لِيُخْرِجَ الحال في ذلك». فإذا أحضر إليه إخراج الحال ، عَلَّمَ عليه .

فإن كان حَيْضِيَّ وَزِيرَ ، وَقَعَ الْخَلِيفَةُ بِخَطِّهِ : «وَزِيرُنَا السَّيِّدُ الْأَجَلْ - وذكر نَقْتَهُ المعروف به - أَمْتَقْنَا الله بِقِيَامِهِ ، يَتَقَدَّمُ بِتَجَازِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى» ، فَيَكْتُبُ الْوَزِيرُ تَحْتَ خَطِّ الْخَلِيفَةِ : «يُمَثِّلُ أَمْرُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَيُثَبِّتُ فِي الدَّوَابِين»^١ .

رَتَبُ الْأَسْرَاءِ

وكان أَجَلُ خَدَمِ الْأُمَرَاءِ أَرْبَابِ الشُّيُوفِ ، يَخْدُمُهُ الْبَابُ ، وَيُقَالُ لِمَنْ تَوَلَّى هَذِهِ الْخِدْمَةَ : «صَاحِبُ الْبَابِ»^٢ ، وَيُثَبَّتُ أَبَدًا بِالْمُعْظَمِ . وَأَوَّلُ مَنْ خَدَمَ بِهَا الْمُعْظَمُ خُحْمَرَتَاش^٣ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ ، وَكَانَ مِنَ الثَّقَلَاءِ ، وَنَابَ عَنِ الْحَافِظِ فِي مَرَضِهِ ، فَلَمَّا غَوِيَ أَرَادَهُ عَلَى الْوِزَارَةِ فَامْتَنَعَ .

وله نَائِبٌ يُقَالُ لَهُ : «النَّائِبُ» ، وَتُسَمَّى الْخِدْمَةُ فِيهَا بِ«النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ» ، وَمُقْتَضَاهَا أَنَّهَا مُخَيَّرَةٌ ، وَلَا يَلِيهَا إِلَّا أَعْيَانُ الْعُدُولِ وَأَرْبَابُ الْعَمَائِمِ ، وَيُثَبَّتُ أَبَدًا بِ«عَدِيِّ الْمُلْكِ» . وَهُوَ الَّذِي يَتَلَقَّى الرُّسُلَ الْوَاصِلَةَ مِنَ الدُّوَلِ ، وَمَعَهُ نَوَاطِبُ الْبَابِ فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَحْفَظُهُمْ وَيُنْزِلُهُمْ بِالْأَمَاكِينِ الْمُقَدَّةِ لَهُمْ ، وَيَقْدِمُهُمْ لِلسَّلَامِ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ مَعَ صَاحِبِ الْبَابِ ، فَيَكُونُ صَاحِبُ الْبَابِ يَمِينًا وَهُوَ يَسَارًا ، وَيَتَوَلَّى اقْتِضَاءَهُمْ وَالْحَثَّ عَلَى ضِيَابَتِهِمْ ، وَلَا يُمَكِّنُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهِمْ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا جَاءُوا فِيهِ ، أَوْ مِنْ يَتَقَبَّلُ الْأَخْبَارَ إِلَيْهِمْ^٤ .

^١ (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٢٨٢ : ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٦) . ويبدو أنه تولى هذا المنصب بعد استغناء الحافظ عن اتخاذ الوزراء في أعقاب هرب رضوان ابن ولخشي .

^٢ ابن الطوير : نزعة المقلتين ١١٧-١١٨ : المقرئ : مسودة المواعظ والاعتبار ٢٥٠ تحت عنوان : ذكر رتبة متولي دار الضيافة في أيام الخلفاء ، وانظر فيما يلي ٥٠٩ حيث نسب النقل صراحة إلى ابن الطوير تحت عنوان الخدمة المعروف بالنيابة لبقاء الخراسانية .

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين ٨٨-٩٠ : ابن الفرات : تاريخ ١٤٢: ١/٤ - ١٤٣ : القلقشندي : صبح الأعشى ١٤٨٧: ٣ : المقرئ : اعطاء الحنفا ٣: ٣٣٩ .

^٢ عن صاحب الباب انظر كذلك ابن الطوير : نزعة المقلتين ١٢٢-١٢٣ : القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٧٩ : Ayman F. Sayyid, *El² art. Sâhib al-bâb VIII*, p. 860.

^٣ هو الأمير المعظم أبو المعظم خُحْمَرَتَاش الحافظي صاحب باب الإمام الحافظ لدين الله ، توفي سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٩م

ويلي رُتبة صاحبِ الباب رُتبة^(٥) «الإسفهنسار»، وهو زمام كلِّ زمام، وإليه أُمُور الأجناد^١. ثم يليه «حامِلُ سيفِ الخليفة» أيام الزكوب بالمِظلة والهيمة، ثم من يَرِم طائفتي الحافظية والأميرية ومُها وجه الأجناد. وهؤلاء أرباب الأطواق، يليهم أرباب القصب والقماريات - وهي الأعلام - ثم زِي الطوائف، ثم من يترشَّح لذلك من الأمائل. وكانت الدولة لا تشيد ذلك إلا إلى أرباب الشجاعة والشجدة، ولهذا دَخَلَ فيه أخلاطُ الناس من الأزمن والزوم وغيرهم، وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والثباهي^٢.

وقاضي القضاة

وكان من عادة الدولة أنه إذا كان وزيرُ رَبِّ سيف، فإنه يقلد القضاة رجلاً نيابة عنه، وهذا إنما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجمالي. وإذا كان الخليفة مستبداً، قلَّد القضاة رجلاً ونعته بـ«قاضي القضاة»، وتكون رُتبته أجلُّ رُتب أرباب القضاة وأرباب الأعلام، ويكون في بعض الأوقات دَاعياً، فيقال له حينئذٍ: «قاضي القضاة وداعي الدعاة»، ولا يخرج شيء من الأمور الدينية عنه^٣.

ويجلس في يومي^(٤) السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومُسند تحرير^٤، فلما ولي ابنُ أبي عقيل^(٥) القضاة رفعَ المرتبة والمُسند، وجلس على طراحات السامان، فاستمر هذا الرُسم. ويجلس الشهودُ حوَالَيْه يَمَنَةً ويُسْرَهُ بحسب تاريخ عدالتهم، وبين يَدَيْهِ خمسة من الحُجَّاب: اثنان بين يديه، واثنان على باب المقصورة، وواحد يُنفذُ الحُصوم إليه.

(٥) ساقطة من بولاق.

^١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٢٣؛ القلقشندي: صبح ٢٥٣:٢.

^٢ قاضي القضاة الأعزُّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن الأعمش ٤٧٩:٣.

^٣ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٢٥؛ ابن الفرات: تاريخ ١/٤: ١٣٦-١٣٧؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٦.

^٤ انظر أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٦٤.

^٥ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٠٧؛ ناصر خسرو: سفرنامه ١٠٢؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٢٤، وفيما يلي

^٥ قاضي القضاة الأعزُّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن الأعمش ٤٧٩:٣. ابن محمد بن أحمد بن أبي عقيل، المتوفى في شعبان سنة ٥٣٣/١١٣٩م وهو في منصب القضاة. (ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٨، ١٣١؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٦: ٥٢٨؛ المقرئ: المقي الكبر ١: ٤٩١؛ اتعاظ الحنفا ٣: ١٦٣، ١٧٢؛ ابن حجر: رفع الإصر ٥٩-٦٠).

وله أربعة من المؤتمنين بين يديه ، اثنان يُقابِلان اثنين . وله كُورسي الدَّوَاة ، وهي دَوَاةٌ مُخَلَّاةٌ بِالْفِضَّةِ تُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِ الْقُصُورِ ، ولها حَامِلٌ بِجَانِبِكَيْهِ فِي الشَّهْرِ عَلَى الدَّوَلَةِ .
وَيُقَدَّمُ لَهُ مِنَ الْإِسْطَبَلَاتِ بِرَسْمِ رُكُوبِهِ عَلَى الدَّوَامِ بَغْلَةٌ شَهْبَاءٌ ، وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا اللَّوْنِ مِنَ الْبِغَالِ دُونَ أَرْبَابِ الدَّوَلَةِ ، وَعَلَيْهَا مِنْ خِزَانَةِ الْمَرْجُوحِ سَرْجٌ بِخَلْيٍ ثَقِيلٍ وَرَادِيَتَيْنِ^(٥) فِضَّةً ، وَمَكَانُ الْجِلْدِ خَرِيرٌ .

وَتَأْتِيهِ فِي الْمَوَاسِمِ الْأَطْوَاقُ ، وَيُخْلَعُ عَلَيْهِ/ الْخِلْعُ الْمَذْهَبِيَّةُ بِلَا طَبْلٍ وَلَا بَوقٍ إِلَّا إِذَا وَلِيَ الدُّعْوَةَ مَعَ الْحُكْمِ ، فَإِنَّ لِلدُّعْوَةِ فِي خِلْعِهَا الطَّبْلَ وَالْبَوقَ وَالْبَنُودَ الْخَاصَّ ، وَهِيَ نَظِيرُ الْبَنُودِ الَّتِي يُشْرَفُ بِهَا الْوَزِيرُ صَاحِبُ السَّيْفِ .

وَإِذَا كَانَ لِلْحُكْمِ خَاصَّةً ، كَانَ حَوَالِيهِ الْقُرَاءَةُ رَجَالَةً ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمُؤَدِّنُونَ يُغْلِنُونَ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ أَوْ الْخَلِيفَةِ^(٦) وَالْوَزِيرِ إِنْ كَانَ ثُمَّ وَزِيرٌ صَاحِبُ سَيْفٍ^(٧) ، وَيَحْمِلُ بَنُودَ الْبَابِ وَالْحُجَابِ ، وَلَا يُتَقَدَّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي مَحْضَرِهِ هُوَ حَاضِرُهُ مِنْ رَبِّ سَيْفٍ وَقَلَمٍ ، وَلَا يَحْضُرُ لَا مِلَاكٌ وَلَا جَنَازَةٌ إِلَّا بِإِذْنٍ ، وَلَا سَبِيلٌ إِلَى قِيَامِهِ لِأَحَدٍ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ ، وَلَا يُعَدَّلُ شَاهِدٌ إِلَّا بِأَمْرِهِ .

وَيَجْلِسُ بِالْقُصْرِ فِي يَوْمِي الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلسَّلَامِ عَلَى الْخَلِيفَةِ ، وَنُؤَايِهِ لَا يَقْتَرُونَ عَنْ الْأَحْكَامِ ، وَيَخْضَرُ إِلَيْهِ وَكَيْلُ يَمِينِ الْمَالِ^(٨) .

قَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ^(٩) : وَكَانَ لَهُ الْتَهْلُكُ فِي دَارِ^(١٠) الضَّرْبِ لَصَبْطٍ مَا يُضْرَبُ مِنَ الدَّنَانِيرِ^(١١) السَّبَبِ كَانَ مُتَقَدِّمًا وَهُوَ : إِنَّهُ يُقَالُ عَنْ ابْنِ طُولُونَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ الْإِمَامُ بَعِيْنُ شَمْسٍ مَكَانَ الْحِجَازَةِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمَسَالِ وَأَنَّ يَدَ قَرْبِهِ سَاحَتْ يَوْمًا فِي أَرْضِ صَلْدَةٍ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِحَفْرِ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَوُجِدَ الْخَيْبَةُ الْمَشْهُورَةُ وَهِيَ فِي قَبْرِ عَظِيمٍ فِيهِ خَمْسَةُ نَوَافِسَ ، فَكَشَفَهَا فَوُجِدَ فِي الْأَوْسَطِ مِنْهَا مِثْقًا فِي عَسَلٍ نَحَلَ عَلَى صَدْرِهِ لَوْحٌ لَطِيفٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ كِتَابَةٌ لَا تُعْرَفُ ، وَكُلٌّ مِنَ النَّوَافِسِ مَمْلُوءٌ بِالسَّبَائِكِ الذَّهَبِ ، فَتَقَلَّ ذَلِكَ وَدَفَنَ الْمِثْقَ وَأَخَذَ اللَّوْحَ فَمَا وَجَدَ مِنْ يَحْلِهِ ، فَقِيلَ : إِنْ بَدَّرَ الْعَرَبَةُ رَاهِبًا شَيْخًا مَعْمَرًا وَقَدْ كَانَ يُعْتَنِي بِهَذَا ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَقِيلَ إِنَّهُ مَا يَنْتَهِضُ فَاسْتَدْعَى رَجُلًا مِنْ

(٨) بولاق : وراء دهر . (٩) ساقطة من بولاق . (١٠) إضافة من مسودة المواعظ . (١١) في جميع النسخ : ديوان .

(١٢) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وسائر مخطوطات الخطط ومثبتة من مسودة المواعظ .

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين ١٠٧-١٠٨ ؛ ابن الفرات : ٣٣٦-٣٣٧ ؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى تاريخ ١٣٧: ١/٤ ؛ المقرئ : انماط الحفا ٤٨٢: ٣ .

عُدُول مصر يُقال له : ابن عَمْرُوس فَدَفَعَ له اللُّوح وأمره بالمضي إلى الزَّاهِبِ فإن فَسَّرَ له نَقَلَ عنه ما يَقُولُ له وَنَذَبَ معه قومًا . فمضى إلى مكان الزَّاهِبِ فَلَطَفَ به وَأَطْلَقَهُ على سَبَبِ مُحْضُورِهِ إليه . فلما وَقَفَ على اللُّوح قال : نَعَمْ هذا يقول : أنا أكبر الملوك وَدَهَبِي أَخْلَصُ الدَّهَبَ ، فسَطَرَ هذا وعادَ إلى أحمد بن طُلول . فلما عَلِمَ ذلك قال : قَبِّحَ الله ، من يكون هذا الكافر ، من أكبر منه ، ولا دَهَبَهُ أَخْلَصَ من دَهَبِهِ ؟ فاستدعى أهل الخِيْرة لاسْتِخْلَاصِ الدَّهَبِ وَأَقَامَ دَارَ الصُّرْبِ فكان يتولَّاهَا بنفسه ويحصل إليه ما يُغْلَقُ منها في الثَّارِ يَخْتِمُهُ وَيُفْتَحُهُ ويتحرَّى العِيَارَ ، فإذا صَحَّحَ له أَمْرٌ بِصُورِهِ دَنَائِرٍ . ولم يزل على ذلك حتى مات فاعتمد ابنه ثُمَارُؤُهُ ذلك بعده . فلما انتقلت البلادُ إلى الخُلَفَاءِ لم يَسْتَعْمِمْ مُبَاشَرَةً هذه الأمور بأنفسهم فاستندوها إلى قاضي القضاة^(٥) ، فكان القاضي يحضر التَّغْلِيْقَ بِنَفْسِهِ وَيَخْتِمُ عليه ويحضر للمَوْعِدِ الآخر لِفَتْحِهِ^١ .

وكان القاضي لا يُصْرَفُ إذا وُلِّيَ^(٥) إِلَّا بِجُنْحَةٍ ، ولا يُعَدَّلُ أَحَدًا إِلَّا بِتَرْكِية عشرين شاهدًا ، عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ، وِرَضَى الشُّهُودُ به ، ولا يَخْتَمِي أَحَدٌ على الشُّرْعِ ، ومن فَعَلَ ذلك أَدَبُ^٢ .

ذِكْرُ (a) قَاعَةِ الْفِضَّةِ

وهي من جُمْلَةِ قاعات القَصْرِ ، (b) ذَكَرَهَا الأمير جمال المُلكِ موسى بنُ المأمُونِ البطاحي في (تاريخه)^(b) ٣ .

ذِكْرُ قَاعَةِ السِّدْرَةِ

كانت بهجوار المَدْرَسَةِ وَالتَّرْبَةِ الصَّالِحِيَّةِ ، واشْتَرَاهَا قاضي القضاة شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ عبد الواحد بن علي بن سُورِ المَقْدِسِيِّ الحَنْبَلِيِّ ، مدرِّسُ الحَنَابِلَةِ بِالْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ^٤ ،

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط .

^١ ابن الطوير : نزهة المتقين ١٠٨-١٠٩ : ابن الفرات : ^٣ ابن المأمون : أخبار مصر ١٧ : المقرئ : مسودة تاريخ ١٣٨-١٣٩ : المقرئ : مسودة المواظ ٢٧٨-٢٧٩ : القلقشندي : صبح الأعشى ٤٦١:٧-٤٦٢ .

^٢ نفسه ١٠٨-١٠٩ : المقرئ : مسودة المواظ ٢٧٧-٢٧٩ : القلقشندي : صبح الأعشى ٤٦١:٣-٤٦٢ .
^٤ المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ / ١٢٧٧ م (راجع ترجمته عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٩:٢-١٠ : للمقرئ : المقفى الكبير ١٠٣:٥-١٠٧ : ابن حجر : رفع الإصر ٣٤١-٣٤٢) .

بألف وخمسة وتسعين ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وست مائة ، من كمال الدين ظافر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال ، ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر ببيز في حادي عشرين ربيع الآخر المذكور . وكان يتوصل إليها من باب البخر .

ذكر قاعة الخيم^(a)

- كانت شرقي قاعة السدرة ، وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة الظاهرية العتيقة^(b) ١ .

ذكر المناظر الثلاث

- استجدهن الوزير المأمون بن^(a) البطائحي ، وزير الخليفة الأمير بأحكام الله : إحداهن بين باب الذهب وباب البخر ، والأخرى على قوس باب الذهب ، ومنظرة ثالثة . وكان يقال لها : الزاهرة والفاخيرة والناضرة ، وكان يجلس الخليفة في إحداهما لغرض العساكر يوم عيد الغدير ، ويقف الوزير في قوس باب الذهب^(b) ٢ .

ذكر قصر الشوك

قال ابن عبد الظاهر : كان منزلاً لبني عُذرة قبل القاهرة يُعرف بقصر الشوك ، وهو الآن أخذ أبواب القصر^٣ . انتهى .

- والعائنة تقول : « قصر الشوك »^٤ . وأزركت مكانه داراً استجدت بعد الدولة الفاطمية ، هدمها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار في سنة إحدى عشرة وثمان مائة ليُنشئها داراً ، فمات قبل ذلك . وموضع اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق^٥ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بعدها ياض في الأصل .

^١ فيما يلي ٣٧٨ : ٢ ، وقاعات الذهب والفضة والسدرة والخيم هي القاعات التي حفظ لنا المقرئ أسماءها ، ولا نعرف أسماء قاعات غيرها في القصر .
^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة ١٢٥ المقرئ : مسودة المواظ ١١٣ ، ٢١٤ ؛ أمين قواد : الدولة الفاطمية في مصر ٦١٨ - ٦٢٠ .
^٣ نفسه ١٥ ، وفيما يلي ٤٣٥ .
^٤ وهي التسمية الشائعة الآن ، حتى إن الأديب نجيب محفوظ أطلق على الجزء الثاني من ثلاثيته « قصر الشوك » لا « الشوك » .
^٥ Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 270-71 .

ذِكْرُ (a) قَصْرِ أَوْلَادِ الشَّيْخِ

هذا المكان من جملة القصر الكبير، وكان قاعةً، فسكنها الوزيرُ الصَّاحِبُ الأمير الكبير مُعِين الدِّين حُسَيْنُ ابن شَيْخِ الشُّيُوخِ صَدْر الدِّين بن حَمَوَيْه، في أيام الملك الصَّالِح تَجَمُّ الدِّين أَيْوْب، فغُرِفَ به ^١.

وأَذْرَحْتُ هذا المكانَ حُطًّا يُغْرِفُ بالقصر، يُتَوَصَّلُ إليه من رُقَاقِي تَجَاهَ حِثَّامِ تَيْسَرِي، وفيه عِدَّةُ دور: منها دَارُ الطَّوَّاشِي سَابِقِ الدِّين ومَدْرَسَتُهُ المعروفة بالمَدْرَسَةِ الشَّايِقِيَّة. وكان يُتَوَصَّلُ إليه من الرُّوْحَن المَخْلُوق أَيْضًا، من الباب المظلم تَجَاهَ سُورِ سَعِيدِ الشَّعْدَاءِ، المعروف قَدِيمًا بباب الرِّيح ^٢. ثم غُرِفَ بِبَابِ (b) قَصْرِ ابنِ الشَّيْخِ، وغُرِفَ فِي زَمَانِنَا بِبَابِ القصر، إِلَى أَنْ هَدَمَهُ جَمَالُ الدِّين الأُسْتَاذَار كَمَا بَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ ^٣.

قَصْرِ الزُّمُرُودِ

هو من جُمْلَةِ القصر الكبير، وغُرِفَ أخِيرًا بقصر قَوْصُون، ثم غُرِفَ فِي زَمَانِنَا بقصر الحِجَارِيَّة. وقِيلَ لَهُ: قَصْرُ الزُّمُرُودِ لِأَنَّهُ كَانَ بِجَوَارِ بَابِ الزُّمُرُودِ أَحَدُ أَبْوَابِ القصر. وَوُجِدَ بِهِ فِي سَنَةِ بَضْعِ وَسْبَعِينَ وَسَبْعَ مَائَةٍ تَحْتَ التُّرَابِ عَمُودَانِ عَظِيمَانِ مِنَ الرُّخَامِ الأَبْيَضِ، فَقِيلَ لَهُمَا ابْنُ عَابِدِ رَئِيسِ الحَرَارِيْقِ الشُّلْطَانِيَّةِ أَسَاقِيلِ، وَجَرَّهُمَا إِلَى المَدْرَسَةِ الَّتِي أَنشَأَهَا المَلِكُ الأَشْرَفُ شَقْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ تَجَاهَ الطَّبْلَخَانَةِ مِنَ قَلْعَةِ الجَبَلِ ^٤.

وَأَدْرَكْنَا لِحَرْ هَذَيْنِ العَمُودَيْنِ أَوْقَاتًا فِي أَيَّامِ تَجَمُّعِ النَّاسِ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ لِمُشَاهَدَةِ ذَلِكَ، وَلَهَجُوا بِذِكْرِهِمَا زَمَنًا، وَقَالُوا فِيهِمَا شَيْئًا وَغِنَاءً كَثِيرًا، وَعَمِلُوا أَعْمُودَاجَاتٍ (b) مِنْ ثِيَابِ الحَرِيرِ وَتَطَرِيزِ المُنَادِيلِ غُرِفَتْ بِجَرْ العَمُودِ. وَكَانَتِ الأَنْفُسُ حَيْثُهَا مِنْبَسِطَةً، وَالثَّلُوبُ خَالِيَةً مِنْ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: نحوذجات.

^١ انظر المقرئ: السلوك ٣: ٢٥١-٢٥٢؛ أبا الحسن: التاجم الزاهرة ١١: ٢٦٧ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١٥٤: ٢ وفيما يلي ٢: مسودة (المدرسة الظاهرية المستجدة).

^٢ فيما يلي ٢٢٨، ٢: ٢٣٣ Fu'ad Sayyid, A. *op.cit.*, p. 253

^٣ فيما يلي ٢: ٣٩٣.

^٤ فيما يلي ٢٢٨.

الهُموم ، وللناس إقبالٌ على اللُّهُو لكثرة نعيمهم وطول فراغهم . وكان العمودان المذكوران مِمَّا
ازْدَيَمَ من أنقاض القصر ، فشَبَّحان الوارث !

دُرُوءُ الرُّؤْنِ المَخْلُقِ

مَوْضِعُهُ الآنَ تجاه حَوْضِ الجَامِعِ الْأَقْمَرِ ، على يَمِينَةٍ من أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى المَسْجِدِ المَعْرُوفِ الْآنَ
بِمَقْبَدِ مُوسَى . وقيل له : الرُّؤْنُ المَخْلُقُ لِأَنَّهُ ظَهَرَ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَسِتٍّ مِائَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حَجَرٌ
مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : «هَذَا مَسْجِدُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ» ، فَخُلِقَ بِالزُّعْفَرَانِ ، وَسُمِّيَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ
بِالرُّؤْنِ المَخْلُقِ ^١ .

وَأَخْبَرَنِي الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ أَبُو المَعَالِي يَلْبَغَا السَّامِيُّ أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْأَسْطَرِ المَكْتُوبَةِ بِأَشْكَفَةِ بَابِ الجَامِعِ
الْأَقْمَرِ كَلَامًا مِنْ جَمَلَتِهِ : «وَالْحَوَائِثُ الَّتِي بِالرُّؤْنِ المَخْلُوقِ» بِوَاوٍ بَعْدَ الْخَاءِ . فَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي
«الْأَمَالِي» لِلْقَالِي : «وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ^(ب) ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو : الْحَزَقَاءُ الصُّخْرَاءُ الَّتِي لَا مَاءَ بِهَا ، وَيُقَالُ
الرَّوَايَةِ ، وَأَخْوَقٌ : وَاسِعٌ» . فَلَعَلَّهُ سُمِّيَ المَخْلُوقُ بِمَعْنَى الْإِتْسَاعِ ، فَكَانَ رُكْنًا مُتَّسِقًا وَفِي بِنَاءِ
وَاسِعٍ ، أَوْ يَكُونُ المَخْلُوقُ بِاللَّامِ مِنْ قَوْلِهِمْ : قَدْخَ مَخْلُوقٌ - بَضَمِ المِيمِ وَقَتْحِ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ
وَقَتْحِهَا - أَيِ مَسْتَوٍ أَفْلَسَ . وَكُلُّ مَا لَيْنٌ وَمُلْسٌ فَقَدْ خُلِقَ ، فَكُلُّ مَمْلُوسٍ مَخْلُوقٌ ، وَسَمَّيْتُهُ الْعَامَّةُ بَعْدَ
ذَلِكَ «الرُّؤْنِ المَخْلُوقِ» عِنْدَمَا خَلَقُوهُ بِالزُّعْفَرَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الشَّيْئَةُ ^(ج)

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَضَرِ الْكَبِيرِ مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِالشَّيْئَةِ ^(ج) يَقِفُ عِنْدَهُ الْمُتَظَلِّمُونَ ، وَكَانَتْ عَادَةً
الْخَلِيفَةُ أَنْ يَجْلِسَ هُنَاكَ كُلَّ لَيْلَةٍ لِمَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْمُتَظَلِّمِينَ ، فَإِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ وَقَفَ تَحْتَ الشَّيْئَةِ ^(ج) وَقَالَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أبو عبيدة . (c) بولاق : السقيفة .

^١ ابن أبي الفضايل : النهج السديد ١٠٤ - ١٠٥ .
ويحفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٦٩٠١
بنقش بارز على قطعة من الرخام يشتمل على ثلاثة أسطر
بالخط النسخي المملوكي تحمل النص التالي : «أمر بفتح هنا
المسجد المبارك الذي يسمى معبد موسى عليه السلام مولانا
^٢ القرني : مسودة المواعظ ١١٨ .

السلطان الملك الظاهر خلد الله ملكه و.... وهي مؤرخة سنة
٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م (Wiet, G., *Inscriptions historiques saur pierre* (Catalogue général du
Musée de l'art islamique au Caire, pp. 56-57;
(Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 250-51 .

بصوت عالٍ : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عليّ وليّ الله » . فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه ، أو يُفَوِّض أمره إلى الوزير أو القاضي أو الوالي ^١ .

ومن غريب ما وَقَعَ أَنَّ الْمُؤَفَّقَ بْنَ الْخَلَّالِ ^٢ لما كان يتحدث في أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله ، وتخرج من انتداب بعد انحطاط التيل من الغدول والنصارى الكُتَّاب إلى الأعمال ، لتحرير ما شمله الرّيّ وزرع من الأراضي ، وكتابة المكلفات ^٣ . فخرج إلى بعض النواحي من يمسحها من شاة وناظر وغدول ، وتأخر الكاتب النُصْراني ثم لحقهم وأراد التعديّة إلى الناحية ، فحمله ضامئ تلك المقدّية إلى البرّ ، وطلب منه أجرة التعديّة ، فنفر فيه النُصْراني وسبه وقال : أنا ماسح هذه البلدة ، وتريد مني حق التعديّة ؟ فقال له الضامئ : إن كان لي زرع نخذه . وقلّع لجام بقلة النُصْراني ، وألقاه في معديته . فلم يجد النُصْراني بُدًا من دفع الأجرة إليه حتى ^٤ أخذ لجام بقلته .

فلما تمّ مساحّة البلد ، ويخصّ مكلفة المساحّة ليحملها إلى دواوين الباب - وكانت عادتهم حينئذٍ هذا ^٥ - كتب الجملة بزيادة عشرين فدّانًا وترك بياضًا في بعض الأوراق ، وقابل الغدول على المكلفة ، وأخذ حُطوطهم ^٦ عليها بالصّحة ، ثم كتب في البياض الذي تركه : « أرض اللّجام - باسم ضامن المقدّية - : عشرين فدّانًا قطيعة . كلّ فدّان أربعة دنانير ، عن ذلك ثمانون دينارًا » . وحمل المكلفة إلى ديوان الأضلّ .

وكانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية أربعة أشهر ، نُذِبَ من الجُند من فيه حماسة وشدة ، ومن الكُتَّاب الغدول ، وكاتب نُصْراني . فيخرجون إلى سائر الأعمال كذلك ^٧

(a) بولاق : حين . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الخطوط .

^٢ المؤفّق أبو الحجاج يوسف بن علي بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء في دولة الحافظ لدين الله ومن بعده من الخلفاء ، توفي في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م (العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ٢٣٥:١ - ٢٣٧:١ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢١٩:٦ - ٢٢٥:١ ابن مسر : أخبار مصر ١١٥١ للمقريزي : تماظ الخنفا ٣:٢١٨) .

^٣ عن المكلفات . انظر فيما تقدم ١: ٢٣٠ .

^١ في مسودة المواعظ جاءت هذه الكلمة بخط المقرئ في الشقيقة لا الشقيقة كما اشتهر عنها بمعنى سقفة أو جزء مسقوف في فناء وثابت نشرة بولاق في ذلك في كتابي *la capitale de l'Égypte* ، ولكن يبدو من خلال مسودات المقرئ والنسخ المتقولة من خطه أن صواب الكلمة «السقفة» ، وربما كانت جزءًا بارزًا في القصر يجلس فيه الخليفة كل ليلة ويأتي إليه المتظلمون ، لا سقفة يقف تحتها المتظلمون!

لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة، فيُنْفَق في الأجناد، فإنه لم يكن حيثنل للأجناد إقطاعات كما هو الآن^١. وكان من العادة أن يخرج إلى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خَرَج وقت المساحة، بل يُتَدَب قَوْم سواهم. فلما خَرَجَ الشاذ والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية، استدعوا أبواب الزرع على ما تشهد به المكلفة، ومن جعلتهم ضامين المعديّة. فلما خَصَرَ الزم ستة وعشرين دينارًا وثلاثي دينار، عن نظير ثلث المال الثمانين دينارًا التي تشهد بها المكلفة عن خراج أرض اللجام.

فأنكر الضامين أن تكون له زراعة بالناحية، وصَدَقَه أهل البلد. فلم يقبل الشاذ ذلك - وكان عسوفًا - وأتمر به فغضب بالمقارع، واحتج بخط العدول على المكلفة، وما زال به حتى باع معديته وغيرها، وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة. /وسار إلى القاهرة، فوقف تحت السفينة^٢، وأعلن بما تقدم ذكره، فأمر الخليفة الحافظ بإحضاره. فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مُشافهةً، وحكى له ما اتفق منه في حق النصارى، وما كاده به. فأخضِر ابن الخلال وجميع أبواب الدواوين، وأخضرت المكلفات التي عُيِّلَت للناحية المذكورة في عِدَّة سنين ماضية، وتُصَفِّحَت بين يديه سنة سنة، فلم يوجد لأرض اللجام ذكر البتة. فحيثنل أمر الخليفة الحافظ بإحضار ذلك النصارى وشمر في مَرَكَب، وأقام له مَنْ يُطْعمه ويسقيه، وتقدم بأن يُطافَ به سائر الأعمال، وينادى عليه، ففعل ذلك. وأمر بكف أيدي النصارى كلها عن الحِدَم في سائر المملكة، فتعطلوا مدة إلى أن ساءت أحوالهم^٣.

وكان الحافظ مُفَرِّمًا بعلم التجوم، وله عِدَّة من المنجمين من جعلتهم شخص صار إليه عِدَّة من أكابر كتاب النصارى، ودفعوا إليه جملة من المال، ومعهم رَجُلٌ منهم يُعرف بالأخزم بن أبي زكريا^٤، وسألوه أن يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة جليلة هذا الرجل، فإنه إن أقامه في تذيير

(a) بولاق: السفينة.

Islamization of the Middle East. The Case of
: Egypt», JARCEXII (1985), pp. 29-47
: أمين غزاد

النولة الفاطمية في مصر ٢٦٤-٢٦٦.

٣ انظر عن الأخزم بن أبي زكريا فيما تقدم ٣٣١ -

٣٣٢.

^١ انظر فيما تقدم ١: ٢٣٠.

^٢ حدث هذا الموقف من النصارى في أحقاب سيطرة الأرمن على الأمور في مصر في ظل وزارة الوزير بهرام الأرمني والإجراءات التي اتخذها الوزير السني رضوان بن ولحشي ضدهم (راجع) Leiser, G., «The Madrasa and the

دَوَّلَتَهُ زَادَ النَّيْلَ، وَنَمَا الارتفاعُ، وَزَكَتِ الزُّرُوعُ، وَنَتَجَتِ الأغْنَامُ، وَدَرَّتِ الصُّرُوعُ، وَتَضَاعَفَتِ
الْأَشْمَاكُ، وَوَزَدَ الشَّجَارُ، وَجَرَتْ قَوَانِيْنُ الْمَمْلَكَةِ عَلَى أَجْمَلِ الْأَوْضَاعِ. فَطَمِعَ ذَلِكَ الْمُتَنَجِّمُ فِي
كَثْرَةِ مَا عَائَتْهُ مِنَ الذَّهَبِ، وَعَمِلَ مَا قَرَّرَهُ النَّصَارَى مَعَهُ.

فَلَمَّا رَأَى الْحَافِظُ ذَلِكَ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِمَشَاهِدَةِ تِلْكَ الصِّفَةِ، فَأَمَّرَ بِإِحْضَارِ الْكُتَّابِ مِنَ
النَّصَارَى، وَصَارَ يَتَصَفَّحُ وَجْهَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطْلَعَ أَحَدًا عَلَى مَا يُرِيدُهُ، وَهُمْ يُؤَخَّرُونَ الْأَخْزَمَ
عَنِ الْحُضُورِ إِلَيْهِ - قَصْدًا مِنْهُمْ، وَخَشْيَةً أَنْ يَقْطِنَ بِمَكْرِهِمْ - إِلَى أَنْ اشْتَدَّ إلْزَامُهُمْ بِإِحْضَارِ سَائِرِ مَنْ
بَقِيَ مِنْهُمْ، فَأَخْضَرُوهُ بَعْدَ أَنْ وَضَعُوا مِنْ قَدْرِهِ (a) وَلِئِشْنِهَا أَمَرَهُ (b).

فَلَمَّا رَأَاهُ الْحَافِظُ، رَأَى فِيهِ الصِّفَاتِ الَّتِي عَيَّنَّهَا مِنْجُمُهُ، فَاسْتَدْنَاهُ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ، وَآلَ أَمْرَهُ إِلَى أَنْ
وَلَّاهُ أَمْرَ (b) الدُّوَاوِينِ. فَأَعَادَ كُتَّابَ النَّصَارَى أَوْفَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَشَرَعُوا فِي التَّجَبُّرِ، وَبَالَغُوا فِي
إِظْهَارِ الْقَخَرِ، وَتَظَاهَرُوا بِالْمَلَابِسِ الْعَظِيمَةِ، وَرَكَبُوا الْبُخْلَاتِ الرَّائِعَةِ وَالْحُبُولِ الْمُسَوَّمَةِ بِالشُّرُوجِ
الْمَحْلَاةِ وَاللُّجُجِ الثَّقِيلَةِ، وَضَائِقُوا الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى الْأَحْبَاسِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ
الشَّرْعِيَّةِ، وَاتَّخَذُوا الْقَبِيدَ وَالْمَالِيكَ وَالْجَوَارِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ. وَصُودَرَ بَعْضُ كُتَّابِ
الْمُسْلِمِينَ فَأُلْجِئَتْهُ الصُّرُورَةُ إِلَى تَبِعِ أَوْلَادِهِ وَبَنَاتِهِ، فَيَقَالُ إِنَّهُ اشْتَرَاهُمْ بَعْضُ النَّصَارَى، وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ ابْنُ الْخَلَّالِ:

[الرواية]

إِذَا حَكَّمَ النَّصَارَى فِي الْفُرُوجِ وَعَالُوا بِالْبِغَالِ وَبِالشُّرُوجِ
وَذَلَّتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ طُرًّا وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي الْفُلُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدُّجَالِ هَذَا زَمَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

وَمَوْضِعُ الشَّيْفَةِ (c) فِيمَا بَيْنَ دَرْبِ السَّلَامِيِّ وَبَيْنَ خِزَانَةِ الْبُثُودِ، يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ تَجَاهِ الْبُقَرِ الَّتِي
قُدَّامَ دَارِ كَانَتْ تُعْرَفُ بِقَاعَةِ ابْنِ كُتَيْلَةَ، ثُمَّ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا بِجَمَالِ الدِّينِ الْأَشْتَادَارِ وَجَعَلَهَا مَسْكَنًا
لَأَخِيهِ نَاصِرِ الدِّينِ الْخَطِيبِ، وَغَيَّرَ بَابَهَا.

ذِكْرُ دَارِ الضَّرْبِ

- هذا المكابن - الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر - كان جزائته بجوار الإيوان الكبير ،
 سُجِنَ بها الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر
 بالله أبي تميم متقد . وذلك أن الأمير لما قُتِل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين
 وخمس مائة قام العادل بزعش وهزأ الملوك بجوامزد - وكانا أحص غلمان الأمير - بالأمير عبد
 المجيد ، ونصبا خليفة ، ونعتاه بالحافظ لدين الله ، وهو يومئذ أكبر الأقارب سناً^١ .
- وذكر أن الأمير قال قبل أن يقتل بأسبوع عن نفسه : «المشكين المقتول بالسكين»^٢ ، وأنه أشار
 إلى أن بعض جهاته حامل منه ، وأنه رأى أنها ستلد ذكراً وهو الخليفة من بعده ، وأن كفالته للأمير
 عبد المجيد . فجلس على أنه كافل للمذكور ، وتذب هزأ الملوك للوزارة ، وخلع عليه^٣ .
- فلم يرض الأجناد بوزارته^٤ ، وثاروا بين القصرين - وكبيرهم رضوان بن ولخشي - وأقاموا أبا
 علي^٥ أحمد بن الأفضل الملقب بكثيفات ، وقالوا : لا نرضى إلا أن تصريف هزأ الملوك
 ونفوض الوزارة لأحمد بن الأفضل^٦ فترعت الخلع من هزأ الملوك في مجلس الخلافة وقبض عليه
 وقيل وخلع على أحمد بن الأفضل^٧ في سادس عشره . فكان أول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة
 الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيدته ، وهم بخلمه فلم يتأت له ذلك . وكان إمامياً ، فأبطل ذكر
 الحافظ من الخطبة ، وصار يدعو للقائم المنتظر ، ونقش على السكة : «الله الصمد ، الإمام
 محمد»^٨ .

(a) بولاق : به . (b) بولاق : وأقاموا بأبي علي . (c) ساقطة من بولاق . (d-d) ساقطة من بولاق .

^١ فيما تقدم ١٩٩ - ٢٠٠ .
^٢ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٨٥ .
^٣ راجع ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢ -
 ٢٤٣ .
 مجموعة الدكتور هنري أمين عوض بالقاهرة باسم :

(الإمام محمد المنتظر لأمر الله ،

الله الصمد)

وهو ما يتفق مع ما ذكره المقرئ .

^٤ راجع أعبار أبي علي الأفضل والانتقال الذي قام به
 ضد الدولة الفاطمية حيث أسقط اسم إسماعيل بن جعفر
 الصادق الذي تنسب إليه الإسماعيلية ، ودعا للإمام المنتظر

فلما قُتِلَ في يَوْمِ الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة سِتِّ وعشرين وخمسة مائة، بالميدان خارج باب الفتوح، سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله إلى الحافظ، وأخرجوه من الخزانة المذكورة، وفككوا عنه قيده - وكان كبيرهم يانس - وأجلسوه في الشباك على منصب الخلافة، وطيف برأس أحمد بن الأفضل، وخلع على يانس خلع الوزارة^١.

وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة مائة، عن سبع وستين سنة: منها خليقة، من حين قُتِلَ ابن الأفضل، ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام.

ذكر (٥) خزائن السلاح

كانت بالإيوان الكبير الذي تقدّم ذكره، في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة، تحت القبة التي هُدِمت في سنة سبع وثمانين وسبع مائة كما تقدّم.

وخزائن السلاح المذكورة هي الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسيني، وعقد الإيوان باقي وقد تشعّت^٢.

ذكر (٥) المارستان العتيق

قال القاضي الفاضل في «متجددات» سنة سبع وسبعين وخمسة مائة (b) ومن خطه نقلت (b): في تاسع ذي القعدة أمر السلطان - يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب - بفتح مارستان للمرضى والصّغفاء، فاختر له مكاناً بالقصر، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرةً متبّعها مائتا دينار، وغلّت جهاتها القيم. واستخدم له أطباء وطبائعين وجراحين ومشارف وعاملاً وخدّاماً. ووجد الناس به رفقا، وإليه مستروحاً، وبه نفقا^٣.

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) إضافة من مسودة المواظع.

^١ أمير الجيوش سيف الإسلام أبو الفتح. يانس الحافظي، أحد غلمان الوزير الأفضل شاعشا، تقدم في الربح حتى أصبح «صاحب الباب»، قبل أن تسند إليه الوزارة، وتسبب إليه إحدى طوائف الجند المعروفة بـ «الطائفة البائية». (ابن الطوير: نزعة المقلين ٣٥-٣٦، ابن ظافر: أخبار الدول المتقطعة ٩٨، ابن

ميسر: أخبار مصر ١١٧-١١٨، النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٩، القريري: العاطل الخفا ٣: ١٤٤-١٤٥، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٤٠، وفيما يلي ١٦: ٢-١٧).

^٢ انظر كذلك فيما يلي ٣٨٠ - ٣٨١.

^٣ القريري: السلوك ١: ٧٦.

وكذلك بمصر أمر بفتح مَارِسْتَانِهَا الْقَدِيمِ ، وَأَفْرَدَ بِرَسْمِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْأَخْبَاسِ مَا تُقَدِّرُ ارْتِفَاعُهُ عَشْرُونَ دِينَارًا ، وَاسْتَحْدَمَ لَهُ طَبِيبٌ وَكَحَالٌ^(١) وَمُشَارِفٌ ، وَارْتَفَقَ بِهِ الضُّعَفَاءُ ، وَكَثُرَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الدُّعَاءُ^١ .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ : كَانَ قَاعَةُ بَنَاهَا الْعَزِيزُ بِاللَّهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . وَقِيلَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَكْتُوبٌ فِي جِيطَانِهَا ، وَمِنْ خَوَاصِّهَا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا تَمَلُّ لِطِلَّاسِمٍ بِهَا . وَلَمَّا قِيلَ ذَلِكَ لَصَلَاحِ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ : هَذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَارِسْتَانًا . وَسَأَلْتُ مُبَاشِرِيهِ عَنْ ذَلِكَ [فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ]^(٢) فَقَالُوا : إِنَّهُ صَحِيحٌ .

وَكَانَ قَدِيمًا الْمَارِسْتَانُ - فِيمَا بَلَّغَنِي - الْقَشَّاشِينَ ، وَأَطْلَقَهُ الْمَكَانَ الْمَعْرُوفَ بِدَارِ الضُّرْبِ^(٣) . انْتَهَى^٢ .
وَالْقَشَّاشِيُّ الْمَذْكُورَةُ تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْخَرَّاطِينَ ، الْمَسْلُوكِ فِيهَا إِلَى الْخَيْمِيِّينَ وَالْجَامِيعِ الْأَزْهَرِ .

ذِكْرُ التَّشْرِيفِ^(د)

كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَضَرِ الْكَبِيرِ الثَّوْبَةُ الْمُعْرِزِيَّةُ ، وَفِيهَا دَفَنَ الْمُعْرِزُ لَدَيْنَ اللَّهِ آبَاءَهُ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمْ فِي تَوَابِيتٍ مَعَهُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَهُمْ : الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عِيْدَ اللَّهِ ، وَابْنُهُ الْإِمَامُ^(٤) الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، وَابْنُهُ الْإِمَامُ الْمُتَّصِرُ بِنَصْرِ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ . وَاسْتَقَرَّتْ مَذَقَاتُ يُذَكِّرُنَ فِيهِ الْخُلَفَاءُ وَأَوْلَادُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِثَوْبَةِ الرَّغْفَرَانِ ، وَهُوَ مَكَانٌ كَبِيرٌ مِنْ جُمْلَتِهَا الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِخُطِّ الزُّرَاكِشَةِ الْعَتِيقِ ، وَمِنْ هُنَاكَ بَابُهَا^٣ .

(a) بولاق : عامل . (b) إضافة من الروضة البهية . (c) جميع النسخ . دار الديلم ، والتصويب من ابن عبد الظاهر ٣٣ . (d) بولاق : التربة المعزية . (e) ساقطة من بولاق .

^١ المقرئ : مسودة المراجع ٣١٩ .
^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦١ ؛ الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٦٥ .
^٣ Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, p. 291 ، ويُطلق عليها
أحياناً «تربة القصر» كما في نص المسحوق الآتي ذكره ، وعند ابن
ميسر : أخبار مصر ١٥٠ ؛ أو «تربة الأئمة بالقصر» كما في نص ابن
المأمون الآتي ذكره ، وكذلك «تربة الزُّغفران» كما ذكرها المقرئ

في أكثر من موضع ؛ وأخيراً «التربة المقدسة تربة الأئمة» كما في
نص ابن المأمون الآتي ذكره ، وهي تسمية معاصرة لزم
الفاطميين ، وانظر كذلك دراسة توماس ليستين Leisten, Th.,
«Dynastic Tomb or Private Mausolea: Observations on the Concept of Funerary Structures of the Fātimid and Abbāsīd Caliphs», in Barrucan, M. (ed.), *L'Égypte Fatimide son art et son histoire*, pp. 473-79.

ولما أنشأ الأمير جهاز ركس الخليلي خانته المعروف به بالخط المذكور، أخرج ما شاء الله من عظامهم، فألقيت في المزابل على كيما ن البرقية. ويمتد من هناك من حيث المدرسة البديرة، خلف المدارس الصالحية النجيرية، وبها إلى اليوم بقايا من قبورهم^١.

وكان لهذه الثروة عوائد ورؤوس: منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد إلى القصر، لابد أن يدخل إلى زيارة آبائه بهذه الثروة، وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجمعة دائماً، وفي عيدي الفطر والأضحى، مع صدقات ورؤوس تعرف^٢ (٨).

(b) قال المستبحي في حوادث سنة خمس وثمانين وثلاثمائة: وفي نصف شوال توفيت السيدة العزيزية أم ولد أمير المؤمنين العزيز بالله ورؤيته، بالخيم في متى بجعفر، فحملت إلى القصر وصلى عليها العزيز بالله ودفنها في ثروة القصر وستر قبرها بالثقل والجوهر، وكفنت بما بلغه عشرة آلاف دينار، وأخذت الغاسلة ما كان تحتها من فرش وما كان عليها من الثياب وكان ذلك بمبلغ ستة آلاف دينار. ورثاها جماعة من الشعراء، فأطلقت لهم جوائز خمس مائة دينار. ورجع العزيز إلى المضارب، وأقامت ابنتها المناخة على قبرها والقواذ والعلمان والخدام بالثياب المسخمة وعلى رعوسهم كرازي الصوف، وأيديهم مشبكة على رؤوسهم يصيحون: واسئنا! وهم خفاة، فإذا توسطوا الطريق حفتوا حفات من ثراب وحثوها على رعوسهم ودخلوا، وأقاموا كذلك شهراً كاملاً والعزيز بالله يواصل زيارتها في كل يوم والناس يطعم، ويفرق الأطعمة على سائر الناس مع الحلوى، وفرق على الشعراء بعد ذلك ألفي دينار^٣ (b).

قال ابن المأمون: وفي هذا الشهر - يعني شوالاً سنة ست عشرة وخمس مائة - تنبه ذكر الطائفة النزارية، وتقرر بين يدي الخليفة الأمير بأحكام الله أن يسير رسولاً إلى صاحب الموت، بعد أن جتمعوا الفقهاء من الإسماعيلية والإمامية، وقال لهم الوزير المأمون البطايحي: ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية؟ فقال كل منهم: لم يكن لنزار إمامة، ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل، ويجب قتله. وذكروا محبتهم، فكُتب الكتاب.

(a) بولاق: تفرق. (b-b) ساقطة من بولاق ومضافة من النسخ المنقولة من خط المقرري.

^١ فيما يلي ٣٥: ٢، ٩٤. توجه الخليفة إلى قرية آبائه للترحم بعد انقضاء ركوب أول العام.

^٢ فيما يلي ٤٦٢، ٨، ٤٨٧، ٣، حيث يذكر ابن المأمون ^٣ المسيحي: نصوص ضائعة ١٥.

وَوَصَلَتْ كُتُبٌ مِنْ خَوَاصِّ الدَّوْلَةِ تَتَضَمَّنُ أَنَّ الْقَوْمَ قَوَّيَتْ شَوْكَهُمْ ، واشتدَّت في البلاد طَمَعُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ سَيَبْرُوا الْآنَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ يَرْسُمُ النَّجَوى وَيَرْسُمُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَنْزِلُ الرُّسُلُ عَنْهُمْ ، ويَخْتَفُونَ فِي مَحَلِّهِمْ . فَتَقْدُمُ الْوَزِيرُ بِالْفَخْصِ عَنْهُمْ ، والاختِرَازِ الثَّامِ عَلَى الْخَلِيقَةِ فِي رُكُوبِهِ وَمُتَنَزَّهَاتِهِ ، وَحِفْظِ الدُّورِ وَالْأَسْوَاقِ . وَلَمْ يَزَلِ الْبَحْثُ فِي طَلَبِهِمْ إِلَى أَنْ وَجِدُوا فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ خَمْسَةَ مِنْهُمْ هُمُ الرُّسُلُ الْوَاصِلُونَ بِالْمَالِ فَضَلُّوا .

وَأَمَّا الْمَالُ ، وَهُوَ أَلْفَا دِينَار ، فَإِنَّ الْخَلِيقَةَ أَتَتْهُ قَبُولُهُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُنْفَقَ فِي الشُّرُودَانِ عِبِيدَ الشَّرَاءِ . وَأَخْضِرَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ نَظِيرَ الْمِبْلَغِ ، وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُصَاغَ بِهِ قِنْدِيلَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَقِنْدِيلَانِ/ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَنْ يُحْمَلَ مِنْهَا قِنْدِيلٌ ذَهَبٌ وَقِنْدِيلٌ فِضَّةٌ إِلَى مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ بِقَرْعِ عَشَقْلَانِ^١ ، وَقِنْدِيلٌ إِلَى الثَّوْبَةِ الْمُقَدَّسَةِ ثَوْبَةِ الْأَيُّمَةِ بِالْقَصْرِ .

١٠ وَأَمَرَ الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ بِإِطْلَاقِ أَلْفِي دِينَارٍ مِنْ مَالِهِ ، وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُصَاغَ بِهَا قِنْدِيلٌ ذَهَبٌ وَسِلْسِلَةٌ فِضَّةٌ يَرْسُمُ الْمَشْهَدَ الْعَشَقْلَانِي ، وَأَنْ يُصَاغَ عَلَى الْمُصْحَفِ الَّذِي بِحِطِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^٢ - بِالْجَمَاعِ الْعَتِيقِ بِمِصْرَ مِنْ فَوْقِ الْفِضَّةِ ذَهَبٌ .

وَأُطْلِقَ حَاصِلُ الصُّنَادِيقِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى مَالِ النَّجَوى بِرِسْمِ الصَّدَقَاتِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ تُفَرَّقُ فِي الْجَوَامِعِ الثَّلَاثَةِ : الْأَزْهَرُ بِالْقَاهِرَةِ ، وَالْعَتِيقُ بِمِصْرَ ، وَجَامِعُ الْقَرَّافَةِ ، وَعَلَى فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَبْوَابِ الْقُصُورِ .

١٥ وَأُطْلِقَ مِنَ الْأَهْرَاءِ أَلْفِي أَرْدَبٍ قَمِيحًا ، وَتَصَدَّقَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الْجِهَاتِ بِجُمْلَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَاشْتَرِيَتْ عِدَّةُ جَوَارٍ مِنَ الْحُمْرِ ، وَكُتِبَ عِتْقُهُنَّ لِلْوَقْتِ ، وَأُطْلِقَ سَرَاحَتُهُنَّ^٣ .

وَقَالَ فِي كِتَابِ «الذَّخَائِرِ» : إِنَّ الْأَثْرَكَ طَلَبُوا مِنَ الْمُسْتَنْصِرِ نَفَقَةً فِي أَيَّامِ الشَّدَةِ فَمَا طَلَبَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ هَجَمُوا عَلَى الثَّوْبَةِ الْمَدْفُونِ فِيهَا أَجْدَادُهُ فَأَخَذُوا مَا فِيهَا مِنْ قِنَادِيلِ الذَّهَبِ . وَكَانَتْ قِيَمَةُ ذَلِكَ مَعَ مَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاتِ الْمَوْجُودَةِ هُنَاكَ - مِثْلَ الْمَدَاحِينِ وَالْجَمَائِرِ وَحُلِيِّ الْحَارِيبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ^٤ .

(٤) ساقطة من بولاق .

^٣ المقرئ : انماط الحنفا ٢ : ٢٩٢ ، والنص غير موجود

فيما وصل إلينا من الذخائر .

^١ انظر عن هذا المشهد فيما يلي ٤٠٦ - ٤٠٨ .

^٢ ابن المأمون : أخبار مصر ٤٩ - ٥٠ .

ذكر (٥) القصر السافعي

قال ابن عبد الظاهر: القصر السافعي قُوب التوبة، بقرب من جهة الشَّيْبِ خَوْخ، كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الأشراف^١، انتهى.

ومَوْضِعُ هذا القصر اليوم فُنْدُق المِهْمَنْدَار الذي يُدَقُّ فيه الذَّهَب، وما في قِبْلِهِ من خان مَنجُك، ودار خواجه عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بجِذَاء خان مَنجُك، وما بجوار دار خواجه من الرُّفَاق المعروف بِدَرْب الحَبِيشي^٢.

وكان حَدُّ هذا القصر القَرْصِي ينتهي إلى الفُنْدُق الذي بِالْحَبِيشِيِّين، المعروف قَدِيمًا بِخَان مَنكُوزَس، ويُعرَف اليوم بِخَان القاضي^٣.

واشْتَرَى بعضُ هذا القصر، لما بِيَِعَ بعد زَوَالِ الدَّوْلَةِ، الأميرُ ناصِرُ الدِّين عُثْمَانُ بن سُنْقَر الكَامِلِي المِهْمَنْدَار، (وَعَمْرُهُ الفُنْدُق^٤) الذي يُعرَف بِفُنْدُق المِهْمَنْدَار، بعد أن كان إِسْطَبْلًا له.

واشْتَرَى بَعْضُهُ الأميرُ مُحَسَّامُ الدِّين لَاجِينُ الأَنَدُورِي - المعروف بِالسُّرْفِيل - ذَوادار الملك الظَّاهِر بِييُزَس، وَعَمْرُهُ إِسْطَبْلًا ودارًا، وهي الدَّارُ التي تُعرَف اليوم بِخَواجَا عبد العزيز على باب دَرْب الحَبِيشي، ثم عَمِلَ الإِسْطَبْلُ الخَان الذي يُعرَف اليوم بِخَان مَنجُك.

وَابْتَنَى النَّاسُ فِي مَكَانِ دَرْبِ الحَبِيشي^٥ الدَّوْر^٦، وزالَ أَثَرُ القَصْرِ فلم يَبْقَ منه شَيْءٌ أَبْنَةُ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق : الحبشي. (c-c) ساقطة من بولاق.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٣، ٣٩.

^٢ فيما يلي ٢: ٩٣.

^٣ فيما يلي ٢: ٣٥، ولم يفرّد المقرئ أي مدخل

^٤ فيما يلي ٢: ٤٠.

للحديث عن فندق المهندار أو خان منجك.

الخزائن التي كانت بالقصر^(٥)

وكانت بالقصر الكبير عدّة خزائن، منها: خزانة الكتب، وخزانة البثود، وخزائن السلاح، وخزائن الذرق، وخزائن الشروج، وخزانة القوس، وخزانة الكشوات، وخزائن الأدم، وخزائن الشراب، وخزانة التوابل، وخزائن الحميم، ودار الثعينة، وخزائن دار أفتيكن، ودار الفطرة، ودار العلم، وخزانة الجوهر والطيب.

وكان الخليفة يَمضي إلى موضع من هذه الخزائن، وفي كل خزانة دُكّة عليها طراحة، ولها قَواشٍ يخدمها وينظفها طول السنة، وله جارٍ في كل شهر فيطوفها كلها في كل^(٦) السنة.

خزانة الكتب

قال المستبهي^(٧) في «تاريخه الكبير» في حوادث سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة^(٨): وذكر عند العزيز بالله كتاب «العين» للخليل بن أحمد، فأمر خزان دقائره فأخرجوا من خزائنه نيفًا وثلاثين نسخة من كتاب «العين» منها نسخة بخط الخليل. وحمل إليه رجل نسخة من^(٩) «تاريخ الطبري» اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من «تاريخ الطبري»، منها نسخة بخطه. وذكر عنده كتاب «الجمهرة» لابن دريد، فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها^(١٠).

وقال في كتاب «الذخائر»: عدّة الخزائن التي يرسم الكتب في سائر العلوم بالقصر، أربعون خزانة: خزانة من مجلّاتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة؛ وأنّ الموجود فيها من مجلّة الكتب المخترجة في شدة المشتتير، ألفان وأربع مائة ختمة قرآن في رُبعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن، مَحَلّة بدّهب وفضّة وغيرهما^(١١). وأنّ جميع ذلك كله ذهب فيما أخذ الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته، ولم يبق في خزائن القصر البرّانية منه شيء بالجملة، دون خزائن القصر الدّاخلية التي لا يتوصّل إليها.

(٥) ورد هذا العنوان في أبياصوفيا قبل ذكر القصر النافعي. (b) ساقطة من بولاق. (c-c) إضافة من مسودة المواظ. (d) بولاق: من كتاب.

^٢ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٦٢.

^١ المسبهي: نصوص ضائعة ١١٧ القرظي: مسودة

المواظ ١٤٠-١٤١، اتماظ الحنفا ١: ٢٧٨.

ووجدت صناديق مملوءة أقلاماً مبرية من براية ابن مقلّة وابن البواب وغيرهما^١.

قال: وكنتُ بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربع مائة، فرأيتُ فيها خمسة وعشرين جَمَلًا مَوْقَرَةً كُتِبََا مَحْمُولَةً إِلَى / دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي، فسألتُ عنها، فعرفتُ أَنَّ الوزيرَ أَخَذَهَا مِنْ خَزَائِنِ الْقَصْرِ هُوَ وَالْخَطِيرُ ابْنُ الْمُؤَفَّقِ فِي الدِّينِ بِإِجَابَاتٍ^٢ وَجَبَتْ لَهَا عَمَّا يَسْتَحِقُّانَهُ وَغِلْمَانَهُمَا مِنْ دِيوانِ الْحَلَبِيِّينَ، وَأَنَّ حِصَّةَ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ مِنْهَا قُوَّتٌ عَلَيْهِ، مِنْ جَارِي تَمَالِيكِهِ وَغِلْمَانِهِ، بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِينَار. وَذَكَرَ لِي مِنْ لَهُ خِيزَرَةٌ بِالْكُتُبِ أَنَّهَا تَبْلُغُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَار. وَنُهِبَ جَمِيعُهَا مِنْ دَارِهِ يَوْمَ انْتَهَزَمَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ابْنُ حَمْدَانَ مِنْ مِصْرَ فِي صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، مَعَ غَيْرِهَا ثُمَّ نُهِبَ مِنْ دُورٍ مِنْ سَارَ مَعَهُ مِنَ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ وَابْنِ أَبِي كُدَيْتَةَ وَغَيْرِهِمَا.

هذا سِوَى مَا كَانَ فِي خَزَائِنِ دَارِ الْعِلْمِ بِالْقَاهِرَةِ، وَسِوَى مَا صَارَ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ الْحَتِّاقِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَ مَقْتَلِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ؛ وَسِوَى مَا ظَفِرَتْ بِهِ لَوَاثِمٌ مَحْمُولَةً مَعَ مَنْ صَارَ إِلَيْهِ بِالْإِتِّبَاعِ وَالْعَضْبِ فِي بَحْرِ الثَّيْلِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَمَا بَعْدَهَا، مِنَ الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ الْمِقْدَارِ الْمَقْدُومَةِ الْيَقْلِ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ صِحَّةً وَحُشْنٌ خَطٍّ وَتَجْلِيدٌ وَغَرَابَةٌ، الَّتِي أَخَذَ جُلُودَهَا عِبِيدُهُمْ وَإِمَاؤُهُمْ بِرِسْمِ عَمَلٍ مَا يَلْبَسُونَهُ فِي أَزْجُلِهِمْ، وَأُخْرِقَ وَرَقُهَا تَأْوِلًا مِنْهُمْ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ قِصْرِ السُّلْطَانِ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ - وَأَنَّ فِيهَا كَلَامَ الْمَشَارِقَةِ الَّذِي يُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ. سِوَى مَا غَرِقَ وَتَلَفَ وَحُمِلَ إِلَى سَائِرِ الْأَقْطَارِ، وَبَقِيَ مِنْهَا مَا لَمْ يُخْرِقْ وَسَقَتْ عَلَيْهِ الرِّيَاحُ الثَّرَابَ، فَصَارَ تِلَالًا بَاقِيَةً إِلَى الْيَوْمِ فِي نَوَاحِي أُبْيَارٍ تَعْرِفُ بِتِلَالِ الْكُتُبِ^٣.

وقال ابنُ الطَّوَيْرِ: خِيزَرَةُ الْكُتُبِ كَانَتْ فِي أَحَدِ مَجَالِسِ الْبِيْمَارِشْتَانِ^٤ الْيَوْمِ - يَعْنِي الْمَارِشْتَانَ

(a) بولاق: بإيجاب. (b) بولاق: المارستان.

^١ المستعصي في النصف الثاني للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (راجع، أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ٥٥-٦٢، ٣٠٧-٣١٢).

^٢ لم أقف على هذا الخبر فيما وصل إلينا من كتاب «الذخائر والتحف» المنسوب إلى الرشيد بن الوزير، وقرن للمقريزي: اتعاظ الحنفا ٢٩٤:٢-٢٩٥.

^٣ يقصد المقريزي الوزير أبا علي محمد بن علي بن الحسن ابن مقلّة وزير الخلفاء العباسيين للمقتدر والقاهر والراضي، المتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م، وأبا الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البواب، المتوفى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م والذي خطب العربي واللذين بدعا تحويله من الشكل الكوفي إلى الشكل العربي الذي هو عليه الآن، وأصبحت طريقتهما وأسلوبهما في الكتابة هي السائدة حتى ظهرت مدرسة باقرت

العتيق - ، فيجيء الخليفة راكباً^(٥) ويتدخل إليها^(٦) ويرجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ، ويحضر إليه من يتولأها - وكان في ذلك الوقت المجلس ابن عبد القوي - فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة ، وغير ذلك مما يقترحه من الكتب . فإن عن له^(٧) أخذ شيء منها أخذته^(٨) ثم يعيده .

وتحتوي هذه الخزانة على عدة رؤوف في دور ذلك المجلس العظيم ، والرؤوف مقطعة بحواجز ، وعلى كل حاجز باب مثقن^(٩) بمقصلات وقفل . وفيها من أضاف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ، ويسير من الجردات : فمنها الفقه على سائر المذاهب ، والنحو واللغة ، وكتب الحديث النبوي^(١٠) ، والتواريخ وسير الملوك ، والتجامة والروحانيات والكيمياء ، من كل صنف النسخة والعشرة^(١١) . ومنها التواقيص التي ما تمت ، كل ذلك تزيجه ورقة ملصقة على باب كل خزانة^(١٢) ، وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها . وفيها من الدروج بخط ابن مقله ونظائره كابن البواب وغيره ، وتولى يجمعها ابن سورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين .

فإذا أراد الخليفة الاثفصال ، مشى فيها مشيةً لتفرها ، وفيها نايسخان وفراشان : صاحب المرتبة^(١٣) وآخر ، فيغطي الشاهد عشرين ديناراً ، ويخرج إلى غيرها^(١٤) .

وقال ابن أبي طي ، بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر : ومن جملته ما باعوه خزانة الكتب ، وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر . ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من «تاريخ الطبري» إلى غير ذلك . ويقال إنها كانت تحتوي^(١٥) على ألف ألف^(١٦) وست مائة ألف كتاب ، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة^(١٧) . انتهى .

(a-a) إضافة من المسودة . (b-b) المسودة . أخذ شيئاً منها للمطالعة . (c) بولاق : مقفل . (d) إضافة من المسودة . (e) بولاق : نسخ والمثبت من المسودة . (f) المثبت من المسودة ، وسائر النسخ : بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة . (g) إضافة من المسودة . (h) بولاق : المكتبة . (i) ساقطة من بولاق .

^١ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٦-١٢٨ : المقرري : ^٢ أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٠٧ : المقرري : مسودة المواعظ والاعتبار ١٣٨-١٣٩ .
المواعظ والاعتبار ١٣٩-١٤٠ ، واتعاط الحنفا ٣ : ٣٣١ .

ومما يؤيد ذلك أَنَّ القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، لما أنشأ المَدْرَسَةَ الفاضليَّةَ بالقاهرة، جعلَ فيها من كُتُبِ القصر مائة ألف كتاب مُجَلَّد^١، وباع ابن صَوْرَةَ دَلَالُ الكُتُبِ منها مُجَمَّلَةً في مُدَّةِ أَغْوَامٍ، فلو كانت كُلُّها مائة ألف لما فَضَّلَ عن القاضي الفاضل منها شيء. وذكر ابنُ وَاصِلٍ أَنَّ خِزانَةَ الكُتُبِ كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مُجَلَّد^٢.

خِزانَةُ الكُتُوبِ

قال ابنُ أبي طَيٍّ: وعَمِلَ - يعني المِيزَ لَدِينِ الله - دارًا وسماها دار الكُتُوبِ، كان يُفَضِّلُ فيها من جميع أنواع الثياب والبز، ويكسو بها النَّاسَ على اختلاف أَصْنَافِهِم كُتُوبَ الشَّتَاءِ والصَّيْفِ، وكانت لأَوْلَادِ النَّاسِ ونِسائِهِم كذلك. وجعلَ ذلك رَشْمًا يتوارَثُونَهُ في الأَعقابِ، وَكَتَبَ بِذلك كُتُبًا، وسَمَّى هذا المَوْضِعَ «خِزانَةَ الكُتُوبِ».

- وقال، عند ذِكْرِ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ: ومن أخبارِهِم أَنَّهُم كانوا يُخْرِجُونَ من خَزَائِنِ الكُتُوبِ إلى جميع تَحْدِيهِم وخَواشِيهِم، وَمَنْ يَلُودُ بِهِم من صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ وَرَفِيعٍ وَخَفِيرٍ، كُتُوبَ الصَّيْفِ والشَّتَاءِ من الجِمامَةِ إلى الشَّراوِيلِ، وما دونه من المِلايِسِ والمِثدِيلِ، من فاخِرِ الثَّيابِ ونَفِيسِ الملبُوسِ. ويقومون لَهُم بِجميع ما يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ من نَفِيسِ المَطْطُومَاتِ والمَشْرُوبَاتِ.

^١ انظر فيما يلي ٣٦٦:٢.

^٢ ابن واصل: مفرج الكرب ١: ٢٠٣.

وبقيتها في مكتبة الجمعية الآسيوية للبنغال في الهند)، والنسخة الوحيدة أيضًا من كتاب «تحذف من كتب قريش عن مؤرخ بن عمرو السدوسي كانت في خزانة الظاهر بأمر الله الفاطمي (محفظة الآن بالخزانة العامة بالرباط) (انظر صفحة ٣٥٧) والمجلد العاشر من كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني بحري الجزآن التاسع عشر والعشرين من الكتاب، كان أيضًا في خزانة الظاهر بأمر الله ثم وقَّعَ السلطان الناصر حسن على مدرسته بالقاهرة سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٥م (محفوظ الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٧ أدب). (راجع Fu'ad Sayyid, A., «L'art du livre», *Dossiers d'Archéologie* 233 (Mai 1998), pp. 80-83 أمين فؤاد: «خزانة كتب الفاطميين هل بقي منها شيء؟»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤٢ (مايو ١٩٩٨)، ٣٢-٧، والدولة الفاطمية في مصر ٥٩٤-٦٠٩).

وانظر أيضًا خبر هذه الخزانة وما اشتملت عليه وما خرج منها عند أبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ١: ٥٠٧، Khoury, R. G., «Une description fantastique des fonds de la Bibliothèque, *Hizānat al-Kutub*, au Caire», *Proceedings of the Ninth Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants*, Leiden 1981, pp. 123-40 ووصل إلينا من بين الكتب التي كانت في تلك الخزانة ثلاث مخطوطات: النسخة الوحيدة من كتاب «التأليفات والتوارد» لأبي علي الهجري، كانت أولًا في خزانة كتب الوزير الأفضل شاهنشاه ثم دخلت في الخزانة الفاتمية (محفظة الآن في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٤٢ لغة ٦٥٥٣هـ،

[قال]: وسَمِعْتُ من يقول: إِنَّهُ خَضَرَ كُنَا القَصْرِ الَّتِي تُخْرَجُ فِي الصَّيْفِ وَالشَّتَاءِ، فَكَانَ بِمَقْدَارِهَا سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَزِيَادَةً.

قَالَ: وَكَانَتْ يَخْلَعُهُمْ عَلَى الْأَمْرَاءِ الثِّيَابَ الدَّبِيقِيَّ وَالْعَمَائِمَ الْقَصَبَ^(أ) بِالطُّرُوزِ الذَّهَبِ. وَكَانَ طِرَازُ الذَّهَبِ وَالْعِمَامَةِ مِنْ خَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ، وَيُخْلَعُ عَلَى أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ الْأَطْلَاقُ وَالْإِسْوِزَةُ وَالسِّيُوفُ الْحَلَّاءَةُ. وَكَانَ يُخْلَعُ عَلَى / الْوَزِيرِ عِوَضًا عَنِ الطُّوقِ عِقْدٌ بِجَوْهَرٍ^١.

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ: وَجَلَسَ الْأَجَلُ - يَعْنِي الْوَزِيرَ الْمَأْمُونُ - فِي مَجْلِسِ الْوِزَارَةِ لِنَتْفِيزِ الْأُمُورِ وَعَرْضِ الْمُطَالَعَاتِ، وَخَضَرَ الْكُتَّابُ وَمَنْ جُعِلَتْهُمْ ابْنُ أَبِي الْلَيْثِ كَاتِبَ الدَّفْتَرِ، وَمَعَهُ مَا كَانَ أَمِيرٌ بِهِ مِنْ عَمَلٍ جَرَائِدِ الْكُشُوءِ لِلشَّتَاءِ بِحُكْمٍ لِحُلُولِهِ وَأَوَّانَ تَقْرِئَتِهَا، فَكَانَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْمُتَّفَقُ فِيهَا، لِسَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ، مِنْ الْأَصْنَافِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ أَلْفًا وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَخَمْسَ قِطْعٍ؛ وَأَنْ أَكْثَرَ مَا أُتَّفِقَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ، فِي طَوْلِ مُدَّتِهَا، فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ: ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَخَمْسَ وَسَبْعُونَ قِطْعَةً، يَكُونُ الزَّائِدُ عَنْهَا - بِحُكْمٍ مَا رُئِيَ بِهِ فِي مُتَّفَقِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ - خَمْسَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ^(ب) وَأَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ قِطْعَةً^٢.

وَوَصَلَتْ الْكُشُوءُ الْمُخْتَصِمَةُ بِالْعِيدِ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، وَقَدْ تَضَاعَفَتْ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ لِهَذَا الْمَوْسِمِ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى ذَهَبٍ وَسُلْفٍ دُونَ الْعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَهُوَ عِنْدَهُمُ الْمَوْسِمُ الْكَبِيرُ، وَيُسَمَّى بِـ «عِيدِ الْحَلَلِ»؛ لِأَنَّ الْحُلَّالَ فِيهِ تَعَمُّ الْجَمَاعَةُ، وَفِي غَيْرِهِ لِلْأَغْنِيَاءِ خَاصَّةً. فَأَخْضِرَ الْأَمِيرُ أَفْخَارَ الدَّوْلَةِ، مُقَدِّمٌ خِزَانَةَ الْكُشُوءِ الْخَاصِّ، لِيَتَسَلَّمَ مَا يَخْتَصُّ بِالْخَلِيقَةِ، وَهُوَ بِرُشْمِ الْمَوْكِبِ: بِذَلَّةٍ خَاصَّةٍ جَلِيلَةٍ مَلْهَبَةٍ، ثَوْبُهَا مَوْشَعٌ مُجَاوِمٌ مُذَاتِلٌ، عِذَّتُهَا بِاللُّفَافَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ قِطْعَةً: الشَّلْفُ عَنْهَا مِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا وَنِصْفٌ، وَمِنَ الذَّهَبِ الْعَالِي الْمَغْرُولِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَخَمْسُونَ مِثْقَالًا وَنِصْفٌ، كُلُّ مِثْقَالٍ أَجْرُهُ عَزْلُهُ ثَمَنُ دِينَارٍ، وَمِنَ الذَّهَبِ الْعِرَاقِيِّ أَلْفَانٍ وَتِسْعَ مِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَتِسْعُونَ قَصَبَةً^٣.

تَفْصِيلُ ذَلِكَ: شَاشِيَّةٌ طَمِيمٌ: الشَّلْفُ دِينَارَانِ وَسَبْعُونَ قَصَبَةً ذَهَبًا عِرَاقِيًّا. مِثْدِيلٌ بِعَمُودِ ذَهَبٍ: الشَّلْفُ سَبْعُونَ دِينَارًا^(أ) وَأَلْفَانِ وَمِائَتَانِ وَخَمْسُونَ قَصَبَةً ذَهَبًا عِرَاقِيًّا، فَإِنْ كَانَ الذَّهَبُ

(أ) ساقطة من بولاق. (ب) الأصول وبولاق: ست مائة، والتصويب من المسودة.

^١ المقرئ: مسودة المواظع والاعتبار ١٥٧-١٥٨. المواظع والاعتبار ١٥٦-١٥٧، وصواب الرقم ٥٥٣٠ قطعة

^٢ ابن المأمون: أخبار مصر ٤٤٨؛ المقرئ: مسودة لا ٥٥٣٤ قطعة.

نَظِيرِ الْمَصْرِيِّ ، كَانَ الَّذِي يُرَقَمُ فِيهِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةِ عَشْرِينَ مِثْقَالًا ، لِأَنَّ كُلَّ مِثْقَالٍ نَظِيرِ تِسْعِ قَصَبَاتٍ ذَهَبًا عِراقِيًّا .

وَسَطَ شَرُوبِ بِطَانَةِ الْمُنْدِيلِ : الشَّلْفُ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ وَسَبْعُونَ قَصَبَةً ذَهَبًا عِراقِيًّا . ثَوْبٌ مُوشَعٌ مُجَاوِمٌ مُطَوَّفٌ : الشَّلْفُ خَمْسُونَ دِينَارًا وَثَلَاثُ مِائَةٍ وَأَحَدٌ وَخَمْسُونَ مِثْقَالًا وَنِصْفٌ ذَهَبًا عَالِيًا ، أَجْرَةُ كُلِّ مِثْقَالٍ ثَمَنُ دِينَارٍ ، تَكُونُ جُمْلَةُ مَبْلَغِهِ وَقِيمَةُ ذَهَبِهِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَتِسْعِينَ دِينَارًا وَنِصْفًا .

ثَوْبٌ ذَيْقِي خَرِيرِي وَشَطْنَانِي : الشَّلْفُ اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا . غِلَالَةُ ذَيْقِي خَرِيرِي : الشَّلْفُ عَشْرُونَ دِينَارًا . مِندِيلٌ كُتْمٌ أَوَّلٌ مُذْهَبٌ : الشَّلْفُ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ وَمِائَتَانِ وَأَرْبَعُ قَصَبَاتٍ ذَهَبًا عِراقِيًّا . مِندِيلٌ كُتْمٌ ثَانٍ خَرِيرِي : الشَّلْفُ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ . حَجَرَةٌ : الشَّلْفُ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ . عَرَضِي مَذْهَبٌ : الشَّلْفُ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ وَخَمْسَةُ عَشَرَ مِثْقَالًا ذَهَبًا عَالِيًا . عَرَضِي لُفَافَةٌ لِلتُّخْتِ : دِينَارٌ وَاحِدٌ وَنِصْفٌ .

بَذْلَةٌ ثَانِيَةٌ يَرْسُمُ الْجُلُوسَ عَلَى السُّمَاطِ ، عِدَّتُهَا بِاللُّفَافَتَيْنِ عَشْرُ قِطْعٍ : الشَّلْفُ مِائَةٌ وَأَرْبَعَةُ عَشَرَ دِينَارًا ، وَمِنَ الذَّهَبِ الْعَالِيِ خَمْسَةُ وَخَمْسُونَ مِثْقَالًا ، وَمِنَ الذَّهَبِ الْعِراقِي سَبْعُ مِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ قَصَبَةً .

تَفْصِيلُ ذَلِكَ : شَاشِيَّةٌ طَمِيمٌ : الشَّلْفُ دِينَارَانِ وَسَبْعُونَ قَصَبَةً ذَهَبًا عِراقِيًّا . مِندِيلٌ : الشَّلْفُ سِتُونَ دِينَارًا وَسِتُّ مِائَةٍ قَصَبَةً ذَهَبًا عِراقِيًّا . شُقَّةٌ وَكُتْمٌ : الشَّلْفُ سِتَّةُ عَشَرَ دِينَارًا وَخَمْسَةُ وَخَمْسُونَ مِثْقَالًا ذَهَبًا عَالِيًا ، أَجْرَةُ كُلِّ مِثْقَالٍ ثَمَنُ دِينَارٍ . شُقَّةٌ ذَيْقِي خَرِيرِي وَشَطْنَانِي : اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا . شُقَّةٌ ذَيْقِي غِلَالَةٍ : ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ . مِندِيلٌ الْكُتْمِ الْخَرِيرِي : خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ . حَجَرَةٌ : أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ . عَرَضِي : خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ . عَرَضِي يَرْسُمُ التُّخْتِ : دِينَارٌ وَاحِدٌ وَنِصْفٌ . وَهَذِهِ الْبَذْلَةُ لَمْ تَكُنْ فِيهَا تَقَدُّمٌ فِي أَيَّامِ الْأَفْضَلِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَمَّ سِمْاطٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ نَقَلَ مَا يُعْمَلُ فِي الْقُصُورِ مِنَ الْأَسْطِطَةِ وَالذُّوَابِينَ إِلَى دَارِهِ فَصَارَ يُعْمَلُ هُنَاكَ .

مَا هُوَ يَرْسُمُ الْأَجَلَّ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرُ أَخِي الْخَلِيفَةِ الْآمِرِ : بَذْلَةُ مُذْهَبَةٍ سُلِّفَتْهَا تِسْعُونَ دِينَارًا وَنِصْفٌ ، وَخَمْسَةُ وَعَشْرُونَ مِثْقَالًا ذَهَبًا عَالِيًا ، وَأَرْبَعُ مِائَةٍ وَسَبْعُونَ قَصَبَةً ذَهَبًا عِراقِيًّا .

تَفْصِيلُ ذَلِكَ : مِندِيلٌ : الشَّلْفُ خَمْسُونَ دِينَارًا وَأَرْبَعُ مِائَةٍ وَسَبْعُونَ قَصَبَةً ذَهَبًا عِراقِيًّا . شُقَّةٌ ذَيْقِي خَرِيرِي وَشَطْنَانِي : الشَّلْفُ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ . شُقَّةٌ غِلَالَةُ ذَيْقِي : الشَّلْفُ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ . حَجَرَةٌ : ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ وَثَلَاثُ . عَرَضِي ذَيْقِي : ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ .

الجهة العالية بالدار الجديدة التي يقوم بخدمتها جواهر: حلة مذهبة مؤشع مجاوم مذابل
مطرف، عدتها سبع^(a) عشرة قطعة: ^(b)سلفها ثلاث مائة وستة وثلاثون ديناراً، ومن الذهب
العراقي ستة آلاف وثمان مائة وخمسة وثلاثون قصبه^(b).

تفصيل ذلك: مكلف مذهب مؤشع مجاوم: السلف خمسة عشر ديناراً وست مائة وستون
قصبه^(b) غصاة مؤشع مذهب، السلف عشرون ديناراً وست مائة وستون قصبه^(b). سداسي
مذهب: السلف ثمانية عشر ديناراً ومائتا قصبه. معجر أول مذهب مؤشع مجاوم مطرف:
السلف خمسون ديناراً وألف وتسع مائة قصبه. معجر ثانٍ حريري: السلف خمسة وثلاثون
ديناراً ونصف. رداء حريري أول: السلف عشرة دينار ونصف. رداء حريري ثان: السلف
تسعة دينار. ذراعة مؤشع مجاوم مذابل مذهبة: السلف خمسة وتسعون ديناراً، ومن الذهب
العراقي ألفان وست مائة وخمس وخمسون قصبه.

شقة ذبيقي حريري وشطاني: السلف عشرون ديناراً ونصف. شقة ذبيقي بغير رقم يرسم عجز
التفصيل: ثلاثة دينار. ملاعة ذبيقي: السلف أربعة وعشرون ديناراً وست مائة قصبه. منديل / كم
أول: السلف ستة دينار ومائة وستون قصبه. منديل كم ثان: السلف خمسة دينار ومائة وستون
قصبه، منديل كم ثالث: السلف خمسة دينار. حجرة: ثلاثة دينار. غرضي ذبيقي: ثلاثة دينار.
جهة مكنون القاضي بمثل ذلك على الشرح والعدة. جهة مؤشع: حلة مذهبة عدتها أربع
عشرة قطعة: السلف مائة وأحد وأربعون ديناراً، ومن الذهب العراقي ألف وست مائة وتسع
وثمانون قصبه. جهة غلبر مثل ذلك. الشيدة جهة ظل مثل ذلك. جهة منجب مثل ذلك.
الأمير أبو القاسم عبد الصمد: بذلة مذهبة. الأمير داود مثله. الشيدة العقة: حلة مذهبة.
الشيدة العايذة العقة مثل ذلك.

الموالي الجلساء من بني الأعمام، وهم: أبو الميمون عبد المجيد، والأمير أبو البشر ابن الأمير
مُحسن، والأمير أبو علي ابن الأمير جعفر، الأمير خبذرة ابن الأمير عبد المجيد، والأمير موسى
ابن الأمير عبد الله، والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود: لكل منهم بذلة مذهبة.

البثون والبنات من بني الأعمام غير الجلساء: لكل منهم بذلة حريري. ست سيدات: لكل
منهن حلة حريري. جهة المولى أبي الفضل جعفر التي يقوم بخدمتها زبحان: حلة مذهبة. جهة

المَوْلَى عبد الصُّمد : حُلَّةٌ حريري . ما يَخْتَصُّ بالدار الجَيُوشِيَّةِ والمُظَفَّرِيَّةِ^١ ، فعلى ما كان بأسمائهم .
المُسْتَعْدَمَات بِخِزَانَةِ الْكُشُوفَةِ الْخَاصَّةِ : زَيْنُ الْخِزَانِ^٢ الْمُقَدَّمَةُ حُلَّةٌ مَدْبُوعَةٌ . يَبْتَغِي خِزَانٌ لِكُلِّ
مِنْهُمْ حُلَّةٌ جَرِيرِي . عَشْرَ وَقَافَاتٍ لِكُلِّ مِنْهُمْ كَذَلِكَ . الْمُعْلَمَةُ مُقَدَّمَةُ الْمَائِدَةِ كَذَلِكَ . رَاهَاثُ
مُقَدَّمَةُ خِزَانَةِ الشَّرَابِ كَذَلِكَ .

- المُسْتَعْدَمَاتُ مِنْ أَرْبَابِ الصَّنَائِعِ مِنَ الْقُصُورِيَّاتِ وَمِنْ أَنْصَافِ الْبَهَنِ مِنَ الْأَفْضَلِيَّاتِ : مَائَةٌ
وَسَبْعُونَ حُلَّةً مُدْهَبَةً وَحَرِيرِي ، عَلَى التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ .
المُسْتَعْدَمَاتُ عِنْدَ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ جِهَةٌ جَوْهَرٌ عَشْرُونَ حُلَّةً مُدْهَبَةً وَحَرِيرِي ، وَكَذَلِكَ
المُسْتَعْدَمَاتُ عِنْدَ جِهَةٍ^٣ مَكْنُونِ .

الْأَمْرَاءُ الْأَسْتَاذُونَ الْمُحْكَمُونَ : الْأَمِيرُ الثَّقَّةُ زِمَامُ الْقُصُورِ : بَذَلَةٌ مُدْهَبَةٌ . الْأَمِيرُ نَسِيبُ الدَّوْلَةِ
مُرْشِدٌ ، مُتَوَلَّى الدَّفْتَرِ ، كَذَلِكَ . الْأَمِيرُ خَاصَّةُ الدَّوْلَةِ زَيْنُحَانٌ ، مُتَوَلَّى يَتِ الْمَالِ ، كَذَلِكَ . الْأَمِيرُ
عَظِيمُ الدَّوْلَةِ وَسَيِّفُهَا ، حَامِلُ الْمِظْلَةِ ، كَذَلِكَ . الْأَمِيرُ صَارِمُ الدَّوْلَةِ صَافٍ ، مُتَوَلَّى السُّنَرِ ، كَذَلِكَ .
وَفِي الدَّوْلَةِ إِشْعَافٌ ، مُتَوَلَّى الْمَائِدَةِ ، مِثْلُهُ . الْأَمِيرُ افْتِخَارُ الدَّوْلَةِ مُجْنَدُبٌ : بَذَلَةٌ مُدْهَبَةٌ نَظِيرُ الْبَذَلَةِ
الْمَخْتَصَّةِ بِالْأَمِيرِ الثَّقَّةِ . وَلِكُلِّ مَنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ حُلَّةٌ حَرِيرِي أَرْبَعٌ قِطْعٌ ، وَلُفَافَةٌ قُوطَةٌ .

مُخْتَارُ الدَّوْلَةِ ظِلٌّ : بَذَلَةٌ حَرِيرِي . سِتَّةُ أَسْتَاذِينَ فِي خِزَانَةِ الْكُشُوفَةِ الْخَاصَّةِ عِنْدَ الْأَمِيرِ افْتِخَارِ
الدَّوْلَةِ مُجْنَدُبٌ : لِكُلِّ مِنْهُمْ بَذَلَةٌ مُدْهَبَةٌ . جَوْهَرُ زِمَامِ الدَّارِ الْجَدِيدَةِ : بَذَلَةٌ حَرِيرِي . تَاجُ الْمَلِكِ عَتَبَرُ
نَائِبِ^٤ يَتِ الْمَالِ مِثْلُهُ . مُفْلِحُ بَرَسَمِ الْخِدْمَةِ فِي الْمَجْلِسِ مِثْلُهُ . مَكْنُونُ مُتَوَلَّى خِدْمَةِ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ
مِثْلُهُ . قُتُونُ مُتَوَلَّى خِدْمَةِ الثَّرْوَةِ مِثْلُهُ . مُرْشِدُ الْخَاصِّ مِثْلُهُ .

الثَّرَوَاتُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الثَّقَّةِ فِي زِمَامِ الْقُصُورِ - وَعِدَّتُهُمْ أَرْبَعَةٌ - لِكُلِّ مِنْهُمْ بَذَلَةٌ حَرِيرِي .
خُسْرُوَانِي الْعَظِيمِي ، مُقَدَّمُ خِزَانَةِ الشَّرَابِ ، وَرَفِيقُهُ : لِكُلِّ مِنْهُمَا بَذَلَةٌ كَذَلِكَ . (مُتَوَلَّى الْمَائِدَةِ عِنْدَ
الْمُعْلَمَةِ بَذَلَةٌ كَذَلِكَ^٥) الصَّقَايَةِ أَرْبَابُ الْمَذَابِ - وَعِدَّتُهُمْ أَرْبَعَةٌ - لِكُلِّ مِنْهُمْ بَذَلَةٌ حَرِيرِي وَشَقَّةٌ
وَقُوطَةٌ . نَائِبُ السُّنَرِ مِثْلُ ذَلِكَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : تاج الملك أمين . (c-c) ساقطة من بولاق .

^١ انظر عن الدار المظفرية فيما يلي ٥٢ : ٢ .
تتولى أمر خزانة الكسوة الباطنة .

^٢ انظر عن زَيْنِ الْخِزَانِ فيما يلي ٣٦٩ ، وهو نعت من

- الأستاذون برشم خِدْمَةُ المِظْلَةِ - وَعِدَّتْهُمْ خَمْسَةٌ - لِكُلِّ مِنْهُمْ مَنْدِيلٌ سُوسِيٌّ وَشُقَّةٌ دِمْيَاطِيٌّ وَشُقَّةٌ إِسْكَنْطَرْنَانِيٌّ وَقُوْطَةٌ. الْأُسْتَاذُونَ الشُّدَّادُونَ بِرِشْمِ الدُّوَابِ - وَعِدَّتْهُمْ سِتَّةٌ - كَذَلِكَ.
- ما حُمِّلَ بِرِشْمِ الشَّيْءِ الْأَجَلِ المَأْمُونِ - يَعْنِي الْوَزِيرَ - : بَذْلَةٌ خَاصَّةٌ مُذْهَبَةٌ كَبِيرَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، عِدَّتْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ قِطْعَةً^(أ). وما هو بِرِشْمُ جِهَاتِهِ، وَبِرِشْمُ أَوْلَادِهِ : الْأَجَلُ تَاجُ الرِّئَاسَةِ^(١)، وَتَاجُ الْخِلَافَةِ، وَسَقْدُ الْمُلْكِ مَحْمُودٌ، وَشَرْفُ الْخِلَافَةِ جَمَالُ الْمُلْكِ مُوسَى - وَهُوَ صَاحِبُ التَّارِيخِ^(٢) - نَظِيرُ مَا كَانَ بَاشِمُ أَوْلَادِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ، وَهُمْ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَأَحْمَدُ. الْأَجَلُ الْمُؤَكَّنُ سُلْطَانُ الْمُلُوكِ - يَعْنِي أَخَا الْوَزِيرِ - عَنْ تَقْدِيمَةِ الْقَسَاكِرِ وَزَمِّ الْأَزِمَةِ، وَبِرِشْمِ الْجَيْهَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ. وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ عِزُّ الْمُلُوكِ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ حَمَلِ الشَّيْفِ الشَّرِيفِ - خَارِجًا عَمَّا لَهُ مِنْ حِمَاةٍ خِزَانَةِ الْكُشُوتِ وَصَنَادِيقِ الثَّقَفَاتِ، وَمَا يُحْتَمَلُ أَيْضًا لِلخِزَانِ الْمَأْمُونِيَّةِ، ثُمَّ يُنْفَقُ مِنْهَا عَلَى مَنْ يُحْسَنُ فِي الرَّأْيِ مِنَ الْحَاشِيَةِ الْمَأْمُونِيَّةِ - ثَلَاثُونَ بَذْلَةً.
- الشَّيْخُ الْأَجَلُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ، كَاتِبُ الدُّنْتُ الشَّرِيفِ، بَذْلَةٌ مُذْهَبَةٌ عِدَّتْهَا خَمْسٌ قِطْعٌ، وَكُتْمٌ وَعَرْضِيٌّ.
- الْأَمِيرُ فَخْرُ الْخِلَافَةِ مُحْسِمُ الْمُلْكِ، مَتَوَلَّى حُجْبَةِ الْبَابِ، بَذْلَةٌ مُذْهَبَةٌ كَذَلِكَ. الْقَاضِي يُقَّةُ الْمُلْكِ ابْنُ الرَّسْعَنِ^(أ) النَّائِبُ فِي الْحُكْمِ : بَذْلَةٌ مُذْهَبَةٌ عِدَّتْهَا أَرْبَعٌ قِطْعٌ، وَكُتْمٌ وَعَرْضِيٌّ.
- الشَّيْخُ الدَّاعِي وَلِيُّ الدَّوْلَةِ ابْنُ عَبْدِ^(ب) الْحَقِيقِ : بَذْلَةٌ مُذْهَبَةٌ. الْأَمِيرُ الشَّرِيفُ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَقِيلٍ، نَقِيبُ الْأَشْرَافِ، بَذْلَةٌ حَرِيرِيٌّ ثَلَاثٌ قِطْعٌ، وَقُوْطَةٌ. الشَّرِيفُ أَنَسُ الدَّوْلَةِ، مَتَوَلَّى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ، بَذْلَةٌ كَذَلِكَ.
- دِيْوَانُ الْمَكَاتِبَاتِ : الشَّيْخُ أَبُو الرَّضَى ابْنُ الشَّيْخِ الْأَجَلِ أَبِي الْحَسَنِ، النَّائِبُ عَنْ وَالِدِهِ فِي الدِّيْوَانِ الْمَذْكُورِ : بَذْلَةٌ مُذْهَبَةٌ عِدَّتْهَا ثَلَاثٌ قِطْعٌ وَكُتْمٌ. أَبُو الْمَكَارِمِ هَيْبَةُ اللَّهِ أَخُوهُ : بَذْلَةٌ مُذْهَبَةٌ ثَلَاثٌ قِطْعٌ وَقُوْطَةٌ. أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنٌ أَخُوهُمَا كَذَلِكَ. أَخُوهُمُ أَبُو الْفَتْحِ : بَذْلَةٌ حَرِيرِيٌّ قِطْعَتَانِ وَقُوْطَةٌ.

(أ) ساقطة من بولاق. (ب) الأصل وبولاق : أبي.

^١ توفي تاج الرئاسة ابن المأمون مقتولاً في سنة ٥٤٤هـ / البطاحي، المتوفى سنة ٥٨٨هـ / ١١٩١م صاحب كتاب «أخبار مصر» أو «السيرة المأمونية». (المقريزي : السلوك ١ / ١٠٥٢ (ابن ميسر : أخبار مصر ١٤٤).
^٢ الأمير جمال الملك أبو علي موسى بن المأمون ١١١:١، وانظر المقدمة.

الشَيْخُ أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْمَيْدَمِي^(a)، مُنْشِئُ مَا يَصُدَّرُ عَنْ/ دِيوانِ الْمَكاتِبَاتِ، وَمُحَرَّرُ مَا يُؤَمَّرُ بِهِ مِنَ الْمُهَيَّاتِ: بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ عِدَّتْهَا ثَلَاثُ قِطَعٍ وَكُتْمٌ وَمُزَنَرٌ. أَبُو سَعِيدِ الْكَاتِبِ: بِذَلَّةٍ حَرِيرِي. أَبُو الْفَضْلِ الْكَاتِبِ كَذَلِكَ. الْحَاجُّ مُوسَى الْمُعِينُ فِي الْإِلْصَاقِ كَذَلِكَ.

وَأَمَّا الْكُتَّابُ بِدِيوانِ الْإِنْشَاءِ فَلَمْ يَتَّفِقْ وَجُودُ الْحِصَابِ الَّذِي فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ فَيُذَكَّرُوا، وَمِنَ الْقِيَاسِ أَنْ يَكُونُوا قَرِينًا مِنْ ذَلِكَ.

الشَيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ، مُتَوَلِّيُ دِيوانِي^(b) الْمَجْلِسِ وَالْخَاصِّ، بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ عِدَّتْهَا خَمْسُ قِطَعٍ وَكُتْمٌ وَعَرَضِي. وَلَامَرَاتُهُ حُلَّةٌ مُذْهَبَةٌ.

الشَيْخُ أَبُو الْقَضَائِلِ هَيْثُ اللَّهُ بْنُ أَبِي اللَّيْثِ، مُتَوَلِّيُ الدُّفْتَرِ وَمَا يَجْمَعُ إِلَيْهِ، بِذَلَّةٍ. أَبُو الْمَجْدِ وَلَدُهُ: بِذَلَّةٍ حَرِيرِي. عَلِيُّ الْمُلْكِ أَبُو الْبَرَكَاتِ، مُتَوَلِّيُ دَارِ الصُّيَافَةِ، بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ. وَبَعْدَهُ الصُّيُوفُ الْوَارِدُونَ إِلَى الدَّوْلَةِ جَمِيعُهُمْ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ بِذَلَّةٌ مُذْهَبَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي. وَكَذَلِكَ مِنْ يَتَّفِقُ حُضُورُهُ مِنَ الرُّسُلِ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ.

مُقَدِّمُو الرُّكَّابِ: غَفِيفُ الدَّوْلَةِ مُقْبِلٌ: بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ. الْقَائِدُ مُؤْتَفِقٌ وَالْقَائِدُ تَمِيمٌ مِثْلُ ذَلِكَ. أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ يَرْسُمُ الشُّكِيمَةَ، لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي. الرُّوَاضُ عِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي. الْخَاصُّ مِنَ الْقَرَّاشِينَ - وَهُمْ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا - مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مُمَيَّزُونَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ مُذْهَبَةٌ، وَبَقِيَّتُهُمْ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي.

الْأَطِبَّاءُ: الشَّدِيدُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي الشَّدِيدِ: ^(c)بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ، أَبُو الْفَضْلِ بْنُ رَحْمُونَ مِثْلُ ذَلِكَ، أَبُو الْمَنْصُورِ وَلَدُهُ^(c): بِذَلَّةٍ حَرِيرِي. أَبُو الْفَضْلِ النَّشْطُورِيُّ: بِذَلَّةٍ حَرِيرِي. وَكَذَلِكَ الْبَيْتِيُّ^(d) الْمُشْتَخَذُونَ يَرْسُمُ الْحَمَامَ - وَهُمْ ثَمَانِيَةٌ - مُقَدِّمُهُمْ: بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ، وَالْبَيْتِيُّ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي. ^(e)الْمُشْتَخَذُونَ يَرْسُمُ عَمَلِ الثَّقَاوِمِ أَرْبَعَةٌ، لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي^(e).

وَالِي الْقَاهِرَةِ وَوَالِي مِصْرَ: لِكُلِّ مِنْهُمَا بِذَلَّةٌ مُذْهَبَةٌ. الْمُشْتَخَذُونَ فِي الْمَوَاجِبِ: الْأَمِيرُ كَوَكَبُ الدَّوْلَةِ، حَامِلُ الرُّوْفَعِ الشَّرِيفِ وَرِثَاءِ الْمَوْكِبِ وَالْذَّرَقَةِ الْمُعِزَّةِ، بِذَلَّةٍ حَرِيرِي. حَامِلَا الرُّوْمَحَيْنِ الْمُعَزَّيَّةِ أَيْضًا أَمَامَ الْمَوْكِبِ بَغِيرِ ذَرَقٍ: لِكُلِّ مِنْهُمَا مِثْدِيلٌ وَشُقَّةٌ وَقُوطَةٌ. وَهَوَّلَاءُ الثَّلَاثَةِ رِمَاحٌ مَا هِيَ عَرِيَّةٌ، بَلْ هِيَ خُشُوتٌ قِيمٌ بِهَا الْمُعِزُّ مِنَ الْمَغْرِبِ. حَامِلَا لِيَوَاءِ الْحَمْدِ الْمُخْتَصَّانِ بِالْخَلِيفَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَيسارِهِ: لِكُلِّ مِنْهُمَا بِذَلَّةٌ.

مُتَوَلِّي بَغْلِ الْمُؤَكَّبِ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْغُدَّةِ الْمَغْرِبَةِ : بِذَلَّةٍ حَرِيرِي .
 مَتَوَلِّي حَمَلِ الْمِظَلَّةِ كَذَلِكَ . عَشْرَةٌ نَقَرٌ مِنْ صِبْيَانِ الْخَاصِّ ، يَرْسُمُ حَمَلِ الْعَشْرَةِ رِمَاحَ الْعَرِيَةِ الْمَغْشَاةِ
 بِالذَّبْيَاجِ وَزَاةِ الْمُؤَكَّبِ ، لِكُلِّ مِنْهُمْ يَنْدِيلٌ وَشُقَّةٌ وَقُوطَةٌ . حَامِلُ الشَّبَعِ وَزَاةِ الْمُؤَكَّبِ : بِذَلَّةٍ حَرِيرِي .
 الْمُقَدَّمُونَ مِنْ صِبْيَانِ الْخَاصِّ - وَهُمْ عَشْرُونَ - لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ . عُزَّاءُ الْفَرَّاشِينَ الَّذِينَ يَنْخَطُّونَ
 عَنِ فَرَّاشِي الْخَاصِّ وَفَرَّاشِي الْمَجْلِسِ وَفَرَّاشِي خَزَائِنِ الْكُشُوءِ الْخَاصِّ : لِكُلِّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي .
 الْفَرَّاشُونَ فِي خَزَائِنِ الْكُشُوءِ الْمُسْتَخْدَمُونَ بِالْإِيْوَانِ - وَهُمْ الَّذِينَ يَشُدُّونَ أَلْوِيَةَ الْحَمْدِ بَيْنَ
 يَدَيْ الْخَلِيفَةِ لَيْلَةَ الْمُؤَسِّمِ ، فَإِنَّهَا لَا تُشَدُّ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَبْدَأُ هُوَ بِاللَّفِّ عَلَيْهَا يَدَهُ عَلَى سَبِيلِ
 الْبَرَكَةِ ، وَيُكْمِلُ الْمُسْتَخْدَمُونَ بِقِيَّةِ شَدِّهَا ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْقُضْبِ الْفِضَّةِ وَالْأَوِيَةِ الْوَزَارَةِ
 وَغَيْرِهَا - وَعِدَّتُهُمْ سَبْعَةٌ : لِكُلِّ مِنْهُمْ يَنْدِيلٌ شُوسِي وَشُقَّتَانِ إِشْكَنْدَرَانِي .

الْمُسْتَخْدَمُونَ يَرْسُمُ حَمَلِ الْقُضْبِ الْفِضَّةِ وَلِوَزَائِي الْوَزَارَةِ : أَرْبَعَةٌ عَشَرَ كَذَلِكَ . مُشَارِفُ خِزَانَةِ
 الطَّيِّبِ - وَكَانَتْ مِنَ الْحَيْدَمِ الْجَلِيلَةِ ، وَكَانَ بِهَا أَغْلَامُ الْجَوْهَرِ الَّتِي يَرْكَبُ بِهَا الْخَلِيفَةُ فِي الْأَعْيَادِ ،
 وَيَسْتَدْعِي مِنْهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَيُعَادُ إِلَيْهَا عِنْدَ وَقُوعِ الْغِنَى عَنْهَا ، وَكَذَلِكَ الشَّيْفُ وَالثَّلَاثَةُ رِمَاحُ
 الْمُعَزَّيَّةِ - مُشَارِفُ خِزَانَةِ السُّرُوجِ : بِذَلَّةٍ حَرِيرِي .

مُشَارِفُ خَزَائِنِ الْفَرَشِ ، وَكَاتِبُ بَيْتِ الْمَالِ ، وَمُشَارِفُ خَزَائِنِ الشَّرَابِ ، وَمُشَارِفُ خَزَائِنِ
 الْكُتُبِ : كُلٌّ مِنْهُمْ بِذَلَّةٌ حَرِيرِي . بَرَكَاتُ الْأَدَمِيِّ ، وَالْمُسْتَخْدَمُونَ بِالْبَابِ ، وَسِنَانُ الدَّوْلَةِ ابْنُ
 الْكَزْكَزْدِيِّ عَنْ زَمَنِ الرَّهْمَضِيَّةِ ، وَالْبَيْتُ عَلَى أَبْوَابِ الْقُصُورِ - وَكَانَتْ مِنَ الْحَيْدَمِ الْجَلِيلَةِ - وَالصَّبْيَانُ
 الْحُجْرِيُّونَ الْمُشِيدُونَ تَلَوِ الْمُؤَكَّبِ بَعْدَ الْمُقَرَّرِينَ وَعِدَّتُهُمْ عَشْرُونَ : لِكُلِّ مِنْهُمْ الْكُشُوءَةُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالْعِيدَيْنِ وَغَيْرِهَا .

وَعِدَّةُ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ الْكُشُوءَ فِي الْعِيدَيْنِ مِنَ الْفَرَّاشِينَ أَكْثَرُ مِنْ صِبْيَانِ الرُّكَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ
 يَتَوَلَّوْنَ الْأَشْجَطَةَ وَيَقِفُونَ فِي تَقْدِيمَتِهَا ، وَيَنْفَرِدُ عَنْهُمْ الْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الرُّكَابِ بِمَا لَهُمْ مِنَ الْمُنْحَصِلِ
 فِي الْمَخْلُفَاتِ فِي الْعِيدَيْنِ ، وَهُوَ مَا مَبْلَغُهُ سِتَّةُ آلَافِ دِينَارٍ ، مَا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِيهَا نَصِيبٌ .

وَكَانَ يُكْتَبُ فِي كُلِّ كُشُوءَةٍ هِيَ يَرْسُمُ وَجْهَ الدَّوْلَةِ وَرُقْعَةً مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، فَمِمَّا كُتِبَ بِهِ
 مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ الصَّبْرِيِّ^١ ، مُقَرَّنَةٌ بِكُشُوءَةِ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ :

« وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُنْعِمًا بِالرَّغَائِبِ ، مُوَلِّيًا لِإِحْسَانِهِ كُلِّ حَاضِرٍ مِنْ

^١ ابن الصَّبْرِيِّ انظر فيما تقدم ٢٧٩: ١.

أوليائه وغائب، مُجْزِلًا حَفْلَهُمْ مِنْ مَنَاجِيحِهِ وَمَوَاهِبِهِ، مُوَصِّلًا إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَيَاءِ مَا يَقْصُرُ شُكْرُهُمْ عَنْ حَقِّهِ وَوَاجِبِهِ. وَأُنْكَرُ إِلَيْهَا الْأَمِيرَ ^(a) لِأَوْلَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِجَسِيمِهِ، وَأَخْرَاهُمْ بِاشْتِشَاقِ نَسِيمِهِ، وَأَخْلَقَهُمْ بِالْجُرْءِ الْأَوْفَى مِنْهُ عِنْدَ فَضْلِهِ وَتَقْسِيمِهِ. إِذْ كُنْتُ فِي سَمَاءِ الْمَشَايِقَةِ ^(b) بِدُرَا، وَفِي جَرَائِدِ الْمُنَاصِحَةِ صُدْرَا، وَمَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ سِرًّا وَجَهْرًا، وَحِظِي فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا عَظُمَ ^(c) لَهُ وَصَفًا وَسِيرَ لَهُ ذِكْرًا.

وَلَمَّا أَقْبَلَ هَذَا الْعِيدُ السَّعِيدُ - وَالْعَادَةُ فِيهِ أَنْ يُعْمِينَ النَّاسُ هَيْثَهُمْ، وَيَأْخُذُوا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ زِينَتَهُمْ - وَمِنْ وَطَائِفِ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفُ أَوْلِيَائِهِ وَخَدَمِهِ فِيهِ، وَفِي الْمَوَاسِمِ الَّتِي تُجَارِيهِ، بِكُشُوفَاتٍ عَلَى حَسَبِ مَنَازِلِهِمْ تَجْمَعُ بَيْنَ الشَّرَفِ وَالْجَمَالِ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهَا مَطْمَخٌ لِلْأَمَالِ، وَكُنْتُ مِنْ / أَحَقِّ ^(d) الْأَقْرَاءِ الْمَقْدَمِينَ... ^(e) ١.

قَالَ: وَوَصَلَتْ الْكُشُوفَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِغُرَّةِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَجُمُعَتَيْهِ: بِرِسْمِ الْخَلِيفَةِ لِلْغُرَّةِ بِذَلَّةٍ كَبِيرَةٍ مُؤَكِّدَةٍ مَكْمَلَةٍ مُذْهَبَةٍ. وَبِرِسْمِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ لِلْجُمُعَةِ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ، بِذَلَّةٍ مُؤَكِّدَةٍ حَرِيرِي مَكْمَلَةٍ، مَبْدِيلُهَا وَطِيلَسَانُهَا بَيَاضٌ، وَبِرِسْمِ الْجَامِعِ الْأَنْوَرِ لِلْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ بِذَلَّةٍ مَبْدِيلُهَا وَطِيلَسَانُهَا شَعْرِي.

وَمَا هُوَ بِرِسْمِ أَخِي الْخَلِيفَةِ، لِلْغُرَّةِ خَاصَّةً، بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ، وَبِرِسْمِ أَرْبَعٍ ^(e) لَهُ مَعَ جِهَاتِ الْخَلِيفَةِ أَرْبَعٍ لِحُلِّ مَذْهَبَاتٍ. وَبِرِسْمِ الْوَزِيرِ لِلْغُرَّةِ بِذَلَّةٍ مُذْهَبَةٍ مَكْمَلَةٍ مُؤَكِّدَةٍ، وَبِرِسْمِ الْجُمُعَتَيْنِ بِذَلَّتَانِ حَرِيرِي. وَلَمْ يَكُنْ لِعَمِيرِ الْخَلِيفَةِ وَأَخِيهِ وَالْوَزِيرِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ فَيُذَكَّرُ.

وَوَصَلَتْ الْكُشُوفَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَنْطَرِ الْخَلِيجِ، وَهِيَ بِرِسْمِ الْخَلِيفَةِ ثَخْتَانِ ضَمْنَهُمَا بِذَلَّتَانِ: لِاحْدَاهُمَا مَبْدِيلُهَا وَطِيلَسَانُهَا طَمِيمٌ بِرِسْمِ الْمُضِيِّ، وَالْأُخْرَى جَمِيعُهَا حَرِيرِي بِرِسْمِ الْعَوْدِ. وَكَذَلِكَ مَا يَخْتَصُّ بِإِخْوَتِهِ وَجِهَاتِهِ: بِذَلَّتَانِ مُذْهَبَتَانِ، وَأَرْبَعٍ لِحُلِّ مَذْهَبَةٍ. وَبِرِسْمِ الْوَزِيرِ بِذَلَّةٍ مُؤَكِّدَةٍ مُذْهَبَةٍ فِي ثَخْتٍ. وَبِرِسْمِ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ ثَلَاثَ بِذَلَّاتٍ مَذْهَبَةٍ. وَبِرِسْمِ جِهَتِهِ حُلَّةٍ مَذْهَبَةٍ فِي ثَخْتٍ. وَبَقِيَّةُ

(a) فِي آيَاصُوفِيَا: بَيَاضٌ قَلْبَرُ كَلِمَةٍ. (b) بُولَاقُ: الْمَسَافَةِ. (c) بُولَاقُ: عَطَرُ. (d) بُولَاقُ: أَعْصَى. (e) بُولَاقُ: وَبِرِسْمِ لَهُ مَعَ.

ما يُخَصُّ المستخدمِين وابن أبي الرُّؤَاد في تُخُوت، في ^(٥) كُلِّ تَحْتَ عِدَّةٌ بِذَلَات .
 وَحَضَرَ مُتَوَلَّى الدَّقْر، وَاسْتَأْذَنَ عَلَى مَا يُعْمَلُ بِرَسْمِ الْخَلِيفَةِ، وَمَا يُفَرَّقُ وَيُقَصِّلُ بِرَسْمِ الْخَلِيعِ،
 وَمَا يُخْرَجُ مِنْ خَاصِلِ الْخَزَائِنِ غَيْرِ الْوَاصِلِ - وَهُوَ مَا يُقَصِّلُ بِرَسْمِ الْفُلْمَانِ الْخَاصِّ ^(٦) - بِرَسْمِ سَبْعِ
 مِائَةِ قِيَاءٍ : خَمْسَ مِائَةِ وَشَقَّتَيْنِ شَقْلَاطُونَ دَارِي، وَبِرَسْمِ رُؤَسَاءِ الْعُشَارِيَّاتِ مِنَ الشَّقِّ الدَّقْبَاطِي
 وَالْمَادِيلِ الشُّوسِي وَالْفُوطِ الْخَرِيرِ الْحُمَرِ، وَبِرَسْمِ الثَّوَاتِيَةِ الَّتِي بِرَسْمِ الْخَاصِّ مِنَ الْعُشَارِيَّةِ مِنَ الشَّقِّ
 الْإِسْكَنْدَرَانِي وَالْكُلُوتَات .

وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْصِيلُ الْكُشُوتِ بِجَمِيعِهَا وَعَدَّدُهَا، وَأَسْمَاءُ الْمُسْتَمِرِّينَ لِقَبْضِهَا ^١.
 وَقَالَ فِي كِتَابِ « الدَّقَائِرِ » : وَحَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ، عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ [الْأَمَاطِي] ^(٥)، أَنَّهُ قَالَ :
 قَوْمُنَا نَمَّا أُخْرِجَ مِنْ خَزَائِنِ الْقَصْرِ - يَعْنِي فِي سِنِي الشَّدَّةِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ - مِنْ سَائِرِ أَلْوَانِ الْخُشُرَوَانِي
 مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ قِطْعَةٍ، أَكْثَرُهَا مُذْهَبٌ ^٢.

وَسَأَلْتُ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ : أُخْرِجَ مِنَ الْخَزَائِنِ مَا حُرِّتَ قِيَمَتُهُ عَلَى يَدَيَّ وَبَحْضَرْتِي أَكْثَرَ
 مِنْ مِائَةِ أَلْفِ قِطْعَةٍ ^٣.

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ بَحْيِي بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُخْدَادِي - أَحَدُ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينِ بِالْحَضْرَةِ - أَنَّ الَّذِي
 تَوَلَّى أَبُو سَعِيدٍ التَّهَافُوتِي، الْمَعْرُوفُ بِالْمُعْتَمِدِ، يَتَقَهُ خَاصَّةً مِنْ مُخْرَجِ الْقَصْرِ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ
 الْأَمْثَاءِ، فِي مِثْلَةِ بَسِيرَةِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنْ يَلُوزٍ وَمُخَكَّمٍ ^(٤)، مِنْهَا مَا يُسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ
 إِلَى عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ وَبَيْفٍ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ لُخْشُرَوَانِي.

وَحَدَّثَنِي عَمِيدُ الْمُلُوكِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ فَخْرُ الْوُزَرَاءِ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ، أَنَّ نَاصِرَ
 الدَّوْلَةِ أَرْسَلَ يُطَالِبَ الْمُسْتَنْصِرَ بِمَا بَقِيَ لِغُلَامَانِهِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ إِلَّا مَلَابِسُهُ، فَأَخْرَجَ
 ثَمَانِ مِائَةِ بِذَلَّةٍ مِنْ ثِيَابِهِ بِجَمِيعِ آلَاتِهَا كَامِلَةً، فَقَوِّمَتْ وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ ^٤.

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : برسم الخاص من الفلمان . (c) زيادة مما يلي ٣٧٧ . (d) بولاق : وبحكم .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٥٤ - ٥٥ .

^٢ فيما يلي ٣٧٨ .

^٣ لم أقف على هذا الخبر فيما وصل إلينا من الذخائر

^٤ الرشيد بن الوزير : الذخائر والتحف ٢٥٣، وفيما يلي

وقال ابنُ الطَّوَيْر: الخِذْمَةُ في خِزَائِنِ الكُشُوتِ لها رُتْبَةٌ عَظِيمَةٌ في المُبَاشَرَاتِ، وهما خِزَانَتَانِ ^(٥) ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ: فالظَّاهِرَةُ بِتَوَلَّاهَا خَاصَّةً أَكْبَرُ خَوَاشِي الخَلِيفَةِ إِذَا أَشْتَادَ أَوْ غَيْرِهِ. وفيها من الحَوَاصِلِ مَا يَدُلُّ عَلَى إِسْتِبَاحِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ تَخْلُقِهِ مِنَ المَلَابِسِ الشُّرُوبِ، وَالحَاصِلِ الدِّيْقِيِّ المَلُونَةِ رَجَالِيَةً وَنِسَائِيَةً، وَالدِّيَاجِ المَلُونَةِ وَالسَّقْلَاطُونِ. وإِلَيْهَا يُخْتَلِ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي دَارِ الطَّرَازِ بِتَنْبِيسٍ وَدِيْمَاطٍ وَإِسْكَنْدَرِيَّةٍ مِنْ خَاصِّ المَسْتَعْمَلِ. وَبِهَا «صَاحِبُ المَقْصَصِ» - وَهُوَ مُقَدِّمُ الخِزَاطِينَ - وَلَأَصْحَابِهِ مَكَانٌ لِحَيَاتِهِمْ، وَالتَّفْصِيلُ يُفَعَّلُ عَلَى مِقْدَارِ الأَوَامِرِ وَمَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى خِزَانَةِ الكُشُوتِ البَاطِنَةِ مَا هُوَ خَاصٌّ لِلْبَاسِ الخَلِيفَةِ. وَتَوَلَّاهَا إِفْرَاقٌ تُنْعَتُ بِـ «زَيْنِ الخِزَانِ» أَبَدًا - ^(٦) وَكَانَتْ هَذِهِ رُومِيَّةً فِي عَصْرِنَا^(٧)، وَبَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ جَارِيَةً فَلَا يُغَيَّرُ الخَلِيفَةُ أَبَدًا نِيَابَتَهُ إِلَّا عِنْدَهَا وَلِبَاسُهُ، خَافِيَا الثِّيَابِ الدَّارِيَةِ، وَسَعَةً أَكْمَامُهَا سَعَةٌ نَصَفِ أَكْمَامِ الظَّاهِرِ. وَلَيْسَ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ ثِيَابٌ أَضْلًا، وَلا يَلْبَسُ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الخِزَانَةِ.

وَكَانَ يَرْسُمُ هَذِهِ الخِزَانَةَ بُشْتَانٌ مِنْ أَثْلَاقِ الخَلِيفَةِ عَلَى شَاطِئِ الخَلِيجِ - يُغْنَى فِيهِ أَبَدًا بِالنَّشْرَيْنِ وَالبَاسَمَيْنِ - فَيُخْتَلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الصَّيْفِ وَالسَّتَاءِ، لَا يَنْقُطِعُ أَلْبَتَّةُ، يَرْسُمُ الثِّيَابِ وَالصَّنَادِيقِ.

فَإِذَا كَانَ أَوَانُ الثَّغْرِقةِ الصَّيْفِيَّةِ أَوْ الشَّتَوِيَّةِ، شُدُّ لِمَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ أَوْلَادِ الخَلِيفَةِ وَجِهَاتِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَزْوَاجِ الرُّوَاتِبِ وَالرُّسُومِ: مِنْ كُلِّ صِنْفٍ شَدَّةٌ - عَلَى تَرْتِيبِ المَفْرُوضِ لَهُمْ^(٨) مِنْ شَقِّ الدِّيَاجِ المَلُونِ وَالسَّقْلَاطُونِ وَالشُّرُوبِ^(٩) إِلَى الشُّوسِي وَالْإِسْكَنْدَرِي^(١٠)، عَلَى مِقْدَارِ القُصُولِ مِنَ الزَّمَانِ، مَا يَتَقَرَّبُ مِنْ مَائَتِي شَدَّةٍ. فَالْخَوَاصُّ فِي العِرَاضِي^١ الدِّيْقِيِّ، وَدُونِهِمْ

(a-a) إضافة من مسودة الموعظ. (b) بولاق: مفروض. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: الإسكندراني.

١ عَرَضِي ج. عِرَاضِي. وَزَدَ هَذَا المَصْطَلَحُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ عِنْدَ ابْنِ المَأمُونِ وَابْنِ الطَّوَيْرِ وَالمَقْرِزِيِّ وَأَبِي الحَاسَنِ بَآكُثَرٍ مِنْ مَعْنَى، فَيُرَدُّ أحيانًا بِالصِّفَةِ التَّالِيَةِ: «عَرَضِي مَذْهَبٌ»، «عَرَضِي لِفَاقَةِ لِلتَّخْتِ»، «عَرَضِي دِيْقِي» (فِيهَا يَلِي ٤٦٩: ١٧، ابْنُ المَأمُونِ: أُنْصَارُ ٤٦، ٥٠). وَفِي هَذِهِ الأَمْثَلَةِ يَعْنِي المَصْطَلَحُ أحيانًا قِطْعَةً مِنَ المَلَابِسِ قَدْ تَكُونُ عَلَى شَكْلِ وَشَاح. وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى يُنْطَبِقُ هَذَا المَصْطَلَحُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الأَغْطِيَةِ الْمَنْسُوجَةِ لَتَغْطِيَةِ الأَطْبَاقِ وَالأَوَانِي مِثْلَ: «كَانَ يَعْمَلُ فِي الطَّرَازِ لِلْوَلَامِ الَّتِي تَنْخَدُ بِرِسْمِ تَغْطِيَةِ الصَّوَانِي عِدَّةٌ مِنَ عِرَاضِي دِيْقِي، ثُمَّ قَوَارَاتُ شَرْبٍ تَكُونُ مِنْ تَحْتِ العِرَاضِي عَلَى الصَّوَانِي...» (فِيهَا يَلِي ٥٤٣: ٥) أَوْ «الْجَاجِي وَمَوَكِبَاتُ مَمْلُوءَةٌ مَاءً مَلْفُوفَةٌ فِي عِرَاضِي دِيْقِي» (فِيهَا يَلِي ٤٨١: ١٤). وَفِي أحيانٍ أُخْرَى يَعْنِي المَصْطَلَحُ نَوْعًا مِنَ المَنَاطِقِ أَوْ أَغْطِيَةِ الرَّأْسِ مِثْلَ: «بِأَوْسَاطِهِمُ العِرَاضِي» (٣٤)

١ عَرَضِي ج. عِرَاضِي. وَزَدَ هَذَا المَصْطَلَحُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ عِنْدَ ابْنِ المَأمُونِ وَابْنِ الطَّوَيْرِ وَالمَقْرِزِيِّ وَأَبِي الحَاسَنِ بَآكُثَرٍ مِنْ مَعْنَى، فَيُرَدُّ أحيانًا بِالصِّفَةِ التَّالِيَةِ: «عَرَضِي مَذْهَبٌ»، «عَرَضِي لِفَاقَةِ لِلتَّخْتِ»، «عَرَضِي دِيْقِي» (فِيهَا يَلِي ٤٦٩: ١٧، ابْنُ المَأمُونِ: أُنْصَارُ ٤٦، ٥٠). وَفِي هَذِهِ الأَمْثَلَةِ يَعْنِي المَصْطَلَحُ أحيانًا قِطْعَةً مِنَ المَلَابِسِ قَدْ تَكُونُ عَلَى شَكْلِ وَشَاح. وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى يُنْطَبِقُ هَذَا المَصْطَلَحُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الأَغْطِيَةِ الْمَنْسُوجَةِ لَتَغْطِيَةِ الأَطْبَاقِ وَالأَوَانِي مِثْلَ: «كَانَ يَعْمَلُ فِي الطَّرَازِ لِلْوَلَامِ الَّتِي تَنْخَدُ بِرِسْمِ تَغْطِيَةِ الصَّوَانِي عِدَّةٌ مِنَ عِرَاضِي دِيْقِي، ثُمَّ قَوَارَاتُ شَرْبٍ تَكُونُ مِنْ تَحْتِ العِرَاضِي عَلَى الصَّوَانِي...» (فِيهَا يَلِي ٥٤٣: ٥) أَوْ «الْجَاجِي وَمَوَكِبَاتُ مَمْلُوءَةٌ مَاءً مَلْفُوفَةٌ فِي عِرَاضِي دِيْقِي» (فِيهَا يَلِي ٤٨١: ١٤). وَفِي أحيانٍ أُخْرَى يَعْنِي المَصْطَلَحُ نَوْعًا مِنَ المَنَاطِقِ أَوْ أَغْطِيَةِ الرَّأْسِ مِثْلَ: «بِأَوْسَاطِهِمُ العِرَاضِي» (٣٤)

في أوطية^١ خريز، ودونهم في قوط^٢ إمشكندرية. ويدخل في ذلك كُتّاب ديواني الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكُتّاب، على مقدارهم وذلك يخرج من الجوّاري في الشهر المطلقات^٣.

وقال القاضي الفاضل في «مُتَجَدِّدَات» سنة سبع وستين وخمسين مائة^٤، بعد وفاة القاضي: وكُثِفَ حَاصِلُ الخَزَائِنِ الخاصّة بالقصر، فقيل: إنَّ الموجودَ فيها مائة صندوق كُشُوَّة فاخترة: من مُوَسَّي ومُرَصَّع، وعُقُود ثَمِينَة، ودَخَائِر فَخْمَة، وبجواهر نفيسة، وغير ذلك من دَخَائِر عَظِيمَة الخطر، وكان الكاشِفُ بهاء الدين قراقوش وبيان^٥.

١/ خَزَائِنُ الْجَوْهَرِ وَالطَّيِّبِ وَالطَّرَائِفِ^٦

قال ابنُ المأمُون: وكان بها الأعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة في الأعياد، ويستدعي منها عند الحاجة، ويُعَادُ إليها عند الغنى عنها، وكذلك السيفُ الخاصُّ والثلاثة رِمَاح المِيزِيَّة^٧. وقال في كتاب «الدخائر والتحف»: ودَكَرَ بعضُ سُيُوخِ دار الجَوْهَرِ بمصر أنَّه استدعي يوماً، هو وغيره من الجَوْهَرِيِّين من أهل الخِيزَةِ بقيمة الجَوْهَرِ، إلى بعض خَزَائِنِ القصر - يعني في أيام السُّلْة زمن المُسْتَنصِر - فأُخْرِجَ صُنُودُقٌ كَيْلٌ منه سبعة أُمْدَاد رُمُود، قيمتها على الأقلِّ ثلاث مائة ألف دينار. وكان هناك جَالِسًا فَخْرُ العَرَبِ ابنُ حَقْدَان، وابنُ سِنَان، وابنُ أَبِي كُدَيْتَة، وبعضُ المَخَالِفِينَ. فقال بعضُ من حَضَرَ من الوُزَرَاءِ المعطَّلِينَ للجَوْهَرِيِّين: كم قيمة هذا الرُّمُود؟ فقالوا: إِنْما

١ = الديهي المقصورة (فيما يلي ٥٤٦: ١١). وثيماً لما ورد في

٢ نص ابن الطوير، فإن مصطلح العراضي الديهي والأوطية الحرير والقوط الإسكندرية، كما جاءت في النص، تحمل معنى متقارب. (راجع، Canard, M., *La Procession du nouvel an*, p. 383 n. 74).

٣ = ابن الطوير: نزعة المقاتلين ١٢٨-١٣٠ للمقرزي: مسودة الموايعظ ١٥٤-١٥٦ وقارن القلقشندي: صبح ٤٧٢: ٣ زكي محمد حسن: كوز الفاطميين ٣٥-٣٩ مرزوق: الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ٤٩-٥٣.

٤ في ثالث عشرين ربيع الآخر (فيما يلي ٦٠٨).
٥ قارن مع المقرزي: اعتباط الحنفا ٣٣٠: ٣٣١ وفيما يلي ٦٠٨.

٦ نَقَلَ هذا الفصل إلى الألمانية باول كاله بعنوان «كوز الفاطميين»، Kahle, P., «Die Schätze der Fatimiden», ZDMG 89 (1935), pp. 329-62.

٧ ابن المأمُون: أخبار مصر ٨٩.

وعلى الهامش عن خط المؤلف: «سوسة من بلاد إفريقية تُلَسَّب إليها الثياب الرفيعة السوسية».

١ وطاء ج. أوطية. في القاموس الوطاء ككتاب وسحاب خلاف الغطاء (القاموس ٧٠). ويمكن أن تكون شيئاً أشبه بالخد تقدم عليه الخلع من باب التشريف.

٢ قُوطَة ج. قُوط. نوع من القماش القطني يصلح لاستخدامات مختلفة، ويلف بها في العادة. (Dozy).

تُعرف^(٥) قيمة الشيء إذا كان مثله موجوداً، ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل، فاغناظ. وقال ابن أبي كدينة: فخر القرب كثير المؤنة، وعليه نخرج. فالتفت إلى كتاب الجيش وبيت المال فقال: يُحسب عليه فيه خمس مائة [ألف]^(٦) دينار، فكتب ذلك وقبضه^١.

وأخرج عقد جواهر قيمته على الأقل من ثمانين ألف دينار فصاعداً، فتحيونا فيه، فقال: يُكتب بالقي دينار. وتشاغلوا بنظر ما يبواه، وانقطع سلكه فتأثر به، فأخذ واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه، وأخذ ابن أبي كدينة أخرى، وأخذ فخر القرب بعض الحب، وباقي المخالفين التقطوا ما بقي منه، وغاض كأن لم يكن.

وأخذ ما كان ألفه الصليحي من نفيس الدر الرفيع الرائع وكيله - على ما دُكر - سبيع وبيات^٢.

وأخذوا ألفاً ومائتي خاتم ذهباً وفضة، ففحصوها من سائر أنواع الجواهر المختلف الألوان والقيم والأثمان والأنواع - مما كان لأجداده وله، وصار إليه من وجوه ذواته - منها ثلاثة خواتم ذهب مرعبة عليها ثلاثة فصوص، أخذها زمرود والاثان ياقوت شقافي وزماني، بيعت باني عشر ألف دينار بعد ذلك^٣.

وأخضر خريطة فيها نحو وثمة جواهر، وأخضر الخبزاء من الجوهريين وتقدم إليهم بقيمتها، فذكروا أن لا قيمة لها، ولا يشتري مثلها إلا الملوك، فقومت بعشرين ألف دينار. فدخل جواهر الكاتب، المعروف بالختار عز الملك، إلى المشتصير وأعلمه أن هذا الجواهر اشتراه بجله بسبع مائة ألف دينار واسترخصه، فتقدم بإنفاقه في الأتراك، فقبض كل واحد منهم جزءاً بقيمة الوقت، وفروق عليهم^٤.

قال: فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والحكم والمينا المجرة بالذهب والمجروود والبغداد والخيازر^(٥) والمدهون، والخلنج والعيني والصيني والذهيمي^(٦) وخزائن القرش

(٥) بولاق: نعرف. (٦) زيادة من الذخائر. (c) بولاق: الخياري. (d) بولاق: الذهيمي والأمدى.

^١ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٢-٢٥٣؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨١، وغير موجودة في نص الذخائر والتحف.

^٢ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٣؛ المقرئ: الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٤؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨١.

والبسط والشتور والتعليق، فلا يُخصى كثرة.

وحدثني مَنْ أَيْقُ به من المُسْتَحْدَمِينَ فِي تَيْتِ الْمَالِ أَنَّهُ أَخْرَجَ يَوْمًا فِي جَمْلَةٍ مَا أَخْرَجَ مِنْ خَزَائِنِ الْقَصْرِ عِدَّةَ صَنَادِيقٍ، وَأَنْ وَاحِدًا مِنْهَا فُتِحَ فَوُجِدَ فِيهِ عَلَى مِثَالِ كَيْزَانَ الْفُقَّاعِ مِنْ صَافِي الْبُلُورِ الْمَنْقُوشِ وَالْمَجْرُودِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَأَنْ جَمِيعَهَا مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ ^١.

وحدثني مَنْ أَيْقُ بِهِ أَنَّهُ رَأَى قَدَحَ بُلُورٍ بِيَعٍ مَجْرُودًا بِمِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ دِينَارًا، وَرَأَى خِرْدَادِي بُلُورٍ بِيَعٍ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ دِينَارًا، وَكَوْزَ بُلُورٍ بِيَعٍ بِمِائَتَيْنِ وَعِشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَرَأَى صُحُونًا مِينَا كَثِيرَةً تُبَاعُ مِنَ الْمِائَةِ دِينَارٍ إِلَى مَا دُونِهَا.

وحدثني مَنْ أَيْقُ بِقَوْلِهِ أَنَّهُ رَأَى بَطْرَائِلسَ قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْبُلُورِ السَّادِجِ الْغَايَةِ فِي الثَّمَاءِ وَمُحْسَنِ الصَّنِيعَةِ: إِحْدَاهُمَا خِرْدَادِي، وَالْأُخْرَى بَاطِيئَةٌ، مَكْتُوبٌ عَلَى جَانِبِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا اسْمُ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ، تَسَعُ الْبَاطِيئَةُ سَبْعَةَ أَرْطَالٍ بِالْمِصْرِيِّ مَاءً، وَالْخِرْدَادِي تَسْعَةُ. وَأَنَّهُ غَرَضَهُمَا عَلَى بَجَلَالِ الْمَلِكِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَمَّارٍ، فَدَفَعَ فِيهِمَا ثَمَانِ مِائَةِ دِينَارٍ. فَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهِمَا، وَكَانَ اشْتَرَاهُمَا مِنْ مِصْرٍ مِنْ جَمْلَةٍ مَا أَخْرَجَ مِنَ الْخَزَائِنِ ^٢.

وَأَنَّ الَّذِي تَوَلَّى أَبُو سَعِيدٍ التَّهَازُنْدِي تَبَقَّهَ مِنْ مُخْرَجِ الْقَصْرِ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، فِي مُدَيَّدَةٍ بِسِيرَةٍ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنْ بُلُورٍ وَمُحْكَمٍ، مِنْهَا مَا يُسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ وَإِلَى عِشْرَةِ دَنَانِيرٍ ^٣. وَأَخْرَجَ مِنْ صَوَانِي الذَّهَبِ الْحِجْرَةَ بِالْمِينَا وَغَيْرَ الْحِجْرَةِ، الْمَنْقُوشَةَ بِسَائِرِ أَنْوَاعِ الثَّمُوشِ، الْمَمْلُوءَةَ جَمِيعُهَا مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِهِ وَأَلْوَانِهِ وَأَجْنَاسِهِ، شَيْءٌ كَثِيرٌ جَدًّا.

وَوُجِدَ فِيهَا وَجِدٌ غُلْفُ خِيَاظٍ مَبْطُونَةٍ بِالْحَرِيرِ مُحَلَّلَةٌ بِالذَّهَبِ، مُخْتَلِفَةُ الْأَشْكَالِ، خَالِيَةٌ مِمَّا فِيهَا مِنَ الْأَوَانِي، عِدَّتُهَا سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْفَ غُلَافٍ، كَانَ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ إِثْمًا بُلُورٍ أَوْ مَجْرُودٍ أَوْ مُحْكَمٍ أَوْ مَا يُشَاكِله.

وَوُجِدَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ كَأْسٍ بَازْمَرٍ وَنَصَبٍ وَأَشْبَاهِهَا عَلَى أَكْثَرِهَا اسْمُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَغَيْرِهِ ^٤. وَوُجِدَ فِي خَزَائِنِ الْقَصْرِ عِدَّةُ صَنَادِيقٍ كَثِيرَةٌ تَمْلُوءُ سَكَكِينَ مُدْهَبَةٍ وَمَقْضُصَةً بِنَصَبٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ سَائِرِ الْجَوَاهِرِ، وَصَنَادِيقُ كَثِيرَةٌ تَمْلُوءُ مِنْ أَنْوَاعِ الدُّوَى الْمُرْبَعَةِ وَالْمَدْوَرَةِ وَالصَّغَارِ وَالْكِبَارِ،

^١ المقرئ: تماظ الحنفا ٢: ٢٨٣.

^٢ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٤: المقرئ:

تماظ الحنفا ٢: ٢٨٥.

^٣ نفسه ٢: ٢٨٣.

^٤ المقرئ: تماظ الحنفا ٢: ٢٨٣.

المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والأبتوس الزنجي والعاج، وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجواهر والذهب والفضة، وسائر أنواع الحلبي الغريبة^(a)، والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوي ألف دينار وأكثر والأقل، سيوى ما عليها من الجواهر^١.

وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة محرقة بالسواد صغار وكبار، مصنوعة بأحسن/ ما يكون من الصنعة وعدة أزيار صيني كبار مختلفة الألوان، مملوءة كافورا فنصوريا^(b) ٢. وعدة من جماجم العنبر الشخري، ونوافش^(c) الميسك الثبتي وقواريزه، وشجر العود وقطعه^٣.

ووجد للسيدة رشيدة^(d) ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، ما قيمته ألف ألف دينار وسبع مائة ألف دينار: من جملة ثلاثون [ألف]^(e) ثوب خز مقطوع، واثنا عشر ألفا من الثياب المصمتة ألوانا، ومائة قاطرميز مملوءة كافورا فنصوريا^(b). ومما وجد لها معصمات بجواهرها، من أيام المعز ويتت هارون الرشيد الخز الأسود الذي مات فيه بطوس. وكان من ولي من الخلفاء^(f) ينتظرون وفاتها، فلم يقض ذلك إلا للمشتتصير بالله، فحازه في جزائته^٤.

ووجد لعبد بن المعز أيضا - وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة - ما لا يحصى^٥. حدثني بعض خزان القصر أن خزان السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما يجب أن يختم عليه [من موجودها]^(g)، ذهب من الشمع في خواتمه - على الصنعة والمشاكلة - أربعون رطلا بالمصري، وأن بطائق المتاع الموجود كُتبت في ثلاثين رزمة ورقي^٦.

(a) بولاق: الأنواع الغريبة. (b) بولاق: قيصوريا. (c) بولاق: نوافج. (d) الذخائر: راشدة. (e) زيادة من الذخائر. (f) الذخائر: من أولاد المعز.

^١ نفسه ٤٢٥٤ نفسه ٢: ٢٨٥.
^٢ نسبة إلى قصور بلدة في جنوب جزيرة جاوه (الذخائر).
^٣ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٤٢٥٥: المقريزي.
^٤ نفسه ٢: ٢٨٥.
^٥ نفسه ٢٤١.
^٦ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٤١ - ٢٤٢.
^٧ نفسه ٢٤١.
^٨ نفسه ٢٤١.

ومما وُجِدَ لها أيضًا أربع مائة قمطرة ، وألف وثلاث مائة قطعة مينا فضّة محرقة ، زينة كلّ مينا عشرة آلاف درهم ، وأربع مائة سيف مُخَلَّى بالذهب ، وثلاثون ألف شُقّة صِبْلِيَّة ، ومن الجَوْهَر ما لا يُحَدُّ كثرة ، وزُمُرود كَيْلُه أردب واحد^١.

وأنَّ سَيِّدَ الوُزَرَاءِ أبا محمد البازوري وَجَدَ في موجوداتها طَشَنًا وإِزْبَقًا ، فلفَظَ استِخْسانه لهما سألَ المُشْتَصِرَ فيهما ، فَوَهَبَهُمَا له^٢. وَوُجِدَ [أيضًا لها]^٣ مَذَهَنٌ يَأْقُوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مِثْقَالًا. وأُخْرِجَ أيضًا تسعون طَشَنًا وتسعون إِزْبَقًا من صافي البُلُور^٤.

وُجِدَ في القصر خَزَائِنٌ مملوءةٌ من سائر أنواع الصِّينِي. منها أجاجين^٥ صيني كبار مُحَلَّاة ، كلُّ إِجَانَةٍ منها على ثلاثة أرجل ، على صورة الوحوش والسباع ، قيمة كلِّ قطعة منها ألف دينار ، معمولة لِفُشَل الثَّياب^٦.

وُجِدَ عِدَّةٌ أَقْصَاصٌ مَملُوءَةٌ بَبَيْض صيني ، مَقْمُولٌ على هيئة البَيْض في خَلْقَتِهِ وبَيَاضِهِ ، يجعل فيها ماء البيض النيمرشت يوم القَصَاد.

وُجِدَ حَصِيرٌ ذَهَب وزنها ثمانية عشر رطلًا ، ذكر أنها الحَصِير التي جُلِّيت عليها بُورَان بنت الحسن بن سَهْل على المأمون [في سنة عشر ومائتين]^٧.

وأُخْرِجَ ثَمَانٌ وعشرون صِينِيَّة مينا مجرأة بالذَّهَب بِكُغُوب ، كان أرسلها ملكُ الرُّوم إلى العَزِيز بالله ، قَوَّمتْ كلُّ صِينِيَّة منها بثلاثة آلاف دينار ، أُنْفِذَ جميعُها إلى ناصِر الدَّوْلَةِ.

وُجِدَ عِدَّةٌ صِنَادِيقٌ مَملُوءَةٌ مَرَاثِي حديد من صيني ومن زُجاج المينا لا يُخْصَى ما فيها كثرة ، جميعها مُخَلَّى بالذهب المُشَبَّك والْفِضَّة ، ومنها المُكَلَّل بالجَوْهَر في غلف الكِيْمِشْحَت ، وسائر أنواع الحرير والخِزْرَان وغيره ، مُضَبَّب بالذهب والْفِضَّة ، ولها المقايض من العقيق وغيره.

وأُخْرِجَ من المِظَال وقُضْبِهَا الْفِضَّة والذَّهَب شيء كثير. وأُخْرِجَ من خَزَائِن الْفِضَّة ما يقارب الألف درهم من الآلات المصنوعة^٨ من الْفِضَّة ، المجرأة بالذَّهَب ، فيها ما زينة الْقِطْعَةِ الواحدة منه خمسة آلاف درهم ، الْعَرِيَّة النَّقْش والصَّنْعَة ، التي تُساوي خمسة دراهم بدينار. وأنَّ جميعه بيع

(a) إضافة من اللخائر. (b) بولاق : المصنوعة.

^١ الرشيد بن الزبير : اللخائر والتحف ٢٤٢.

^٢ نفسه ٢٤٢-٢٤٣. ^٣ نفسه ٢٤٣.

اعتاظ الخنقا ٢: ٢٨٥-٢٨٦.

^٤ إِجَانَةٌ جـ. أجاجين : الإناء المُقَدُّ لِفُشَل الثَّياب.

^٥ نفسه ٢٥٦: ٢٨٦.

^٦ الرشيد بن الزبير : اللخائر والتحف ٢٥٥: المقرري :

كلّ عشرين درهماً بدینار^١، سیوی ما أخذ من العشاریات الموكية، وأغمدة الخيام وقُصَب المظال، والمنجوقات والأعلام والقناديل والصناديق، والبوقات والزرايق^٢، والشروج واللجم، والمناطق التي للعشاریات، والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه.

وأخرج من الشطرنج والتزود المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والأبنوس، برِقاغ الحرير والمذهب، ما لا يُحَدّ كثرة ونفاة^٣. وأخرج آلات فضة وزّنها ثلاث مائة ألف ونيّف وأربعون ألف درهم، تساوي ستة دراهم بدینار.

وأخرج أفضّاص تملوءة من سائر آلات مصوّعة مجرّاة بالذهب، عدّتها أربع مائة قفص كبار، شبكت جميعها وفوّقت على الخائفين. وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوّفة بالذهب يُعمل فيها التزجس، وألفا بنقسية كذلك^٤.

وأخرج من خزانة الطرائف ستة وثلاثون ألف قطعة من مُحكم وبلّور، وقوم السكاكين بأقلّ القيم، فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار. وأخرج من تماثيل الغنّير اثنان وعشرون ألف قطعة، أقلّ تماثل منها وزنه اثنا عشر مثلاً وأكبره يُجاوز ذلك، ومن تماثيل الكافور^٥ ما لا يُحَدّ، من جملة ثمان مائة بطيخة كافور.

وأخرجت الكلّوة الموضّعة بالجوهر، وكانت من غريب ما في القصر ونفيسه، ذُكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار، قُومت بثمانين ألف دينار، وكان وزنها ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلاً. اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك، فصار إلى فخر العرب منها قطعة بلّخس وزنها ثلاثة وعشرون مثقالاً، وصار إلى تاج الملوك - ممّا وقّع إليه - حبات دُرّ، كلّ حبة ثلاثة مثاقيل، عدّتها مائة حبة. فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت^٦.

وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري غود هندي، كلّ واحد من تسعة أذرع إلى عشرة أذرع. وكافور قيصوري^٧ زنة كلّ حبة من خمسة مثاقيل إلى ما دونها [لم ير مثله]^٨. وقطع غنّير ترن^٩ القطعة ثلاثة آلاف مثقال^{١٠}.

(a) بولاق: التوقات والزوازين. (b) بولاق: الخليفة. (c) بولاق: قيصوري. (d) إضافة من اللخائر. (e) بولاق: وزن.

^١ نفسه ٢٥٧-٢٥٨. ^٢ نفسه ٢٥٨-٢٥٩.

^٣ الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٦-٢٥٧.

^٤ نفسه ٢٥٩.

^٥ نفسه ٢٥٧، المقرئ: اتعاط الحنفا ٢: ٢٨٩.

وأُخرج مَثَارِدُ صِبْنِي محمولة على ثلاثة أرجل، مِلءُ كُلِّ وعاء منها مائتا رطل من الطعام،
وَعِدَّةٌ قُطِعَ يَنْشُبُ / وبازهر: منها جامٌ سَعَتَهُ ثلاثة أشبار ونصف وعُمُقُهُ شبر مليح الصُّنعة،
وقاطرميز يَلُورُ فيه صُورُ نائقة^(a) [عن جسمه]^(b) تَسع [من الشُّراب]^(c) سبعة عشر رطلاً، ودَكُوجة^(d)
يَلُورُ مجرود تَسع عشرين رطلاً وقَضْرِيَّةٌ يَنْشُبُ^(e) كبيرة جدًا^(f)، وطابع نَدَ فيه ألف مثقال كان فَخْرُ
الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ ابْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِي عمله، مكتوبٌ في وَسْطِهِ « فَخْرُ الدَّوْلَةِ
شَعْسُ الْمِلَّةِ »، وأبيات منها:

[البيط]

وَمَنْ يَكُنْ شَعْسُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً فَتَنُهُ طَابِعٌ مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ

وطاؤوس ذهب مُرْصِعٌ بِنَفِيسِ الْجَوْهَرِ، عَيْنَاهُ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، وَرِيشُهُ مِنَ الرُّجَاجِ الْمِينَا الْمَجْرِي
بِالذَّهَبِ عَلَى أَلْوَانِ رِيشِ الطَّاءُؤُسِ. وَدِيكٌ مِنَ الذَّهَبِ لَهُ غُرْفٌ مَفْرُوقٌ كَأَكْبَرِ مَا يَكُونُ مِنْ
أَعْرَافِ الدِّيُوكِ، مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ، مُرْصِعٌ بِسَائِرِ الدُّرِّ وَالْجَوْهَرِ، وَعَيْنَاهُ يَاقُوتٌ. وَغَرَالُ مُرْصِعٌ
بِنَفِيسِ الدُّرِّ وَالْجَوْهَرِ، وَبَطْنُهُ أَيْضُ، قَدْ نُظِمَ مِنْ دُرٍّ رَائِعٍ. وَمَجْمَعُ سَكَارِجٍ [مَخْرُوطٌ مِنْ قِطْعَةٍ
يَلُورُ بِغَطَائِهِ، وَفِيهِ سَكَارِجٌ]^(b) مِنْ يَلُورٍ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَعُودُ فِيهِ، فَتَحْتَهُ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ، مَلِيحِ الصُّنْعَةِ فِي
غُلَافٍ خَيْرٌ زَرَانٍ [مُذَهَّبٌ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ أَخْذِهِ فَخَرُ الْعَرَبِ احْتِقَارًا لَهُ]^(b). وَبَطِيخَةٌ مِنَ الْكَافُورِ فِي
شُبَّانِكٍ ذَهَبٍ مُرْصَعَةٍ، وَزَنْهَا خَالِصَةٌ سَبْعُونَ مِثْقَالًا مِنْ كَافُورٍ. وَقِطْعَةٌ غَنَبَرٍ تَسْمَى الْخَشْرُوفُ^(c)،
وَزَنْهَا سَوَى مَا يُمْسِكُهَا مِنَ الذَّهَبِ ثَمَانُونَ مِثْقَالًا. وَبَطِيخَةٌ كَافُورٍ أَيْضًا وَجِدَ مَا عَلَيْهَا مِنْ
الذَّهَبِ ثَلَاثَةَ آلَافِ مِثْقَالٍ. وَمَائِدَةٌ يَنْشُبُ^(e) كبيرة واسعة، قَوَائِشُهَا مِنْهَا. وَبِيضَةٌ بَلْخَشُ،
وَزَنْهَا سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِثْقَالًا، أَشَدُّ صَفَاءً مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. وَقَاطِرْمِيزٌ يَلُورُ مَلِيحِ التَّقْدِيرِ
يَسَعُ مَرُوقَتَيْنِ، قُوْمٌ فِي الْخُرْجِ بِثَمَانِ مِائَةِ دِينَارٍ، دُفِعَ إِلَى تَاجِ الْمُلُوكِ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَلْفُ
دِينَارٍ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهِ. وَمَائِدَةٌ جَزَعٌ يَقْعُدُ عَلَيْهَا جَمَاعَةٌ قَوَائِمُهَا مَخْرُوطَةٌ مِنْهَا. وَنَخْلَةٌ
ذَهَبٌ مَكْلَلَةٌ بِالْجَوْهَرِ وَبَدِيعِ الدُّرِّ فِي إِجْمَانَةِ ذَهَبٍ، تَجْمَعُ الطُّلُعُ وَالْبَلَحُ وَالرَّطَبُ بِشَكْلِهِ وَلَوْنِهِ
وَعَلَى صِفَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، مِنَ الْجَوَاهِرِ لَا قِيَمَةَ لَهَا. وَكُوزٌ زَبَرٌ يَلُورُ يَحْمِلُ عَشْرَةَ أَزْطَالٍ مَاءٍ.

(a) بولاق : نائقة . (b) إضافة من الذخائر . (c) بولاق : بلوجة . (d) بولاق : نصب ، النسخ : يصب ، والمثبت من
الذخائر . (e) الأصل وبولاق : الحروف والمثبت من الذخائر .

^١ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٩ - ٢٦٠ ، والقاطرميز : وعاء عميق ذو غطاء يَلُورُ ، والدَكُوجة : الجرّة الصغيرة ؛
والسكرة : القصعة أو الجفنة .

ودواج مرصع بنفيس الجواهر لا قيمة له . ومززة مكللة بحب لؤلؤ نفيس^١ . وقبة العشاري وقاربه^٢ وكشوة زخيلة الذي استعمله علي بن أحمد الجرجاني ، وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبع مائة درهم نفرة ، وأطلق للصناع عن أجرة صياغته ، وتغن ذهب للطلاء ، ألفان وتسع مائة دينار . وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم ستة دنانير وربع ، سعر ستة عشر درهماً بدینار .

وأخرج العشاري الفضي الذي استعمله علي بن أحمد لأتم المشتصر ، وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف درهم نفرة ، وصوف أجرة صياغة وطلاء ألفان وأربع مائة دينار ، وكسوه بمالي جليل .
وأخرج جميع كسا العشاريات التي يرسم الزره البخرية^٣ ، وعدتها ومنايلها ورعوس منجوقات^٤ وأهلة وصفريات - وكانت أربع مائة ألف دينار لسته وثلاثين عشارياً - وعدة مناكيم^٥ فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة أظال فضة .

وأخرج بُستان أرضه فضة محرقة مذهبة ، وطينه نَد ، وأشجاره فضة مذهبة مصوغة ، وأثماره عتير وغيره ، وزنه ثلاث مائة وستة أظال . وبطيخة كافور وزنها^٦ عشرة آلاف مثقال مشبكة بذهب وتماثيل عتير وكافور ، وزنها^٧ ستة عشر ألف مثقال . وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهماً . وقطع زمرد ، زنة كل قطعة ثمانون درهماً . ونصاب مرآة من زمرد له طول وتغن ، كل ذلك أخذته الخالقون .

خزائن الفروش والأقمشة

قال في كتاب « الذخائر » : وحدثني من أئق به ، عن ابن عبد العزيز الأحمطي أنه^٨ قال : قوتنا مما^٩ أخرج من خزائن القصر من سائر [ألوان]^{١٠} الخشرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة ، أكثرها مذهب^{١١} .

(a) بولاق : كارتة . (b) بولاق : البرية والبحرية . (c) بولاق : منحرفات . (d) بولاق : ماكيم . (e-e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : الفرش . (g) ساقطة من بولاق . (h) بولاق : ما . (i) إضافة مما تقدم ٣٦٨ .

^١ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٠-٢٦١ مع نفسه ٢٥٣ وفيما تقدم ٣٦٨ .

تقديم وتأخير في النص .

وسألت ابن عبد العزيز، فقال: أخرج من الخزائن ما حُرِّرت قيمته على يدي وبخضرتي أكثر من مائة ألف قطعة^١.

وأخرج مَزَبَّةً خُشْرَوَانِي بحمراء بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار، ومَزَبَّة قلموني بيعت بألفين وأربع مائة دينار، وثلاثون سُنْدُسِيَّة بيعت كُلُّ واحدة منها بثلاثين دينارًا ونيف، وعشرون ألف قِطْعَةً خُشْرَوَانِي فِي هَذِهِ لَمْ يُقَطَّعْ مِنْهَا شَيْءٌ.

وكانت قِيَمَةُ الْعَرُضِ الْمَبِيعِ بِأَقْلِّ الْقِيَمِ وَأَبْزَرَ الْأَثْمَانِ فِي ثَمَنَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ صَفَرِ سَنَةِ سِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ - سِوَى مَا نُهَبَ وَسُرِقَ - ثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَقَبَضَ جَمِيعَهَا الْجُنْدُ وَالْأَتْرَاكُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ دِرْهَمٌ وَاجِدٌ قَبْضَةً عَنْ اسْتِخْفَاقٍ.

وَحَدَّثَنِي الْأَمِيرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ - أَحَدُ مُقَدِّمِي الْخِيَمَتَيْنِ بِالْقَصْرِ - أَنَّ الْفَرَّاشِينَ دَخَلُوا إِلَى بَعْضِ خَزَائِنِ الْفَرَشِ، لَمَّا اسْتَدَّتْ مُطَابَقَةُ الْمَارِقِينَ لِلْمُسْتَنْصَرِ بِالْمَالِ، إِلَى الْخِزَانَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِخِزَانَةِ الرَّهْفِ - وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ رُفُوفِهَا، وَلِكُلِّ رَفٍّ مِنْهَا سُلَّمٌ مَفْرَدٌ - فَأَنْزَلُوا مِنْهَا أَلْفِي عَدْلٍ شَقِيقٍ طَعِيمٍ بِهَذِيهَا، مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْخُشْرَوَانِي وَغَيْرِهِ، لَمْ تُسْتَعْمَلْ بَعْدَ، وَجَمِيعٌ مَا فِيهَا مُذْهَبٌ مَعْمُولٌ بِسَائِرِ الْأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ. وَأَنْهَمُ فَتَحُوا عَدْلًا مِنْهَا فَوَجَدُوا مَا فِيهِ أَجَلَةٌ مَعْمُولَةٌ لِلْقِيَلَةِ مِنْ الْخُشْرَوَانِي أَحْمَرُ مُذْهَبٌ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَمَلِ، وَمَوْضِعُ نُزُولِ أَفْخَاذِ الْفِيلِ وَرِجْلَيْهِ سَادَجَةٌ بِغَيْرِ ذَهَبٍ. وَأَخْرَجَ مِنْ بَعْضِ الْخَزَائِنِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ قِطْعَةٍ خُشْرَوَانِي أَحْمَرُ مَطْرُزٌ بِأَبْيَضٍ فِي هَذِيهَا لَمْ يُفْصَلْ، مِنْ كُسَايِوتٍ كَامِلَةٍ بِجَمِيعِ آلَاتِهَا وَمَقَاطِعِهَا، وَكُلُّ بَيْتٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مَسَائِدِهِ وَمَخَاذِهِ وَمَسَاوِيرِهِ وَمَرَاتِيهِ وَبُسْطِيهِ وَعَتَبِيهِ وَمَقَاطِعِهِ وَشُتُورِهِ، وَكُلُّ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ فِيهِ.

قَالَ: وَأَخْرَجَ مِنْ خَزَائِنِ الْقَصْرِ^٢ مِنَ الْبَيْوتِ الْكَامِلَةِ الْفَرَشِ، مِنَ الْقَلَمُونِي وَالذَّيْقِي مِنْ سَائِرِ أَلْوَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ، الْمُخْتَلِ وَالْخُشْرَوَانِي وَالذَّيْبَاجَ الْمَلَكِي وَالْخَزَّ وَسَائِرَ الْحَرِيرِ مِنْ جَمِيعِ أَلْوَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً، وَلَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ نَفَاسَةً^٣.

وَأَخْرَجَ مِنَ الْحَصْرِ وَالْأَنْخَاخِ الشَّامَانِي الْمَطْرُوزَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَغَيْرِ الْمَطْرُوزَةِ مِنَ الْجُيُومَةِ وَالْمُطَيَّرَةِ وَالْمُقِيلَةِ^٤ وَالْمُصَوَّرَةِ بِسَائِرِ الصُّوَرِ، شَيْءٌ كَثِيرٌ.

(a) بولاق: خزائن الفرش. (b) بولاق: المخزنة والطيور والفيلة.

وَأَتَمَسَ بَعْضُ الْأَثَرِكَ مِنَ الْمُسْتَصْنِيعِ مَقْرَمَةً - يعني سِتَارَةً - سُتَدَسَ أَخْضَرُ مَذْهَبَةٍ ، فَأُخْرِجَ عَذَلٌ مِنْهَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ « مائة وثمانية وثمانون » ، من جملة أَعْدَادٍ^(١) أَعْدَالٍ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ^١ .

وَوُجِدَ مِنَ الشُّتُورِ الْحَرِيرِ الْمَنْسُوجَةِ بِالذَّهَبِ ، عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا وَأَطْوَالِهَا ، عِدَّةٌ مَعِينٌ تَقَارِبُ الْأَلْفِ ، فِيهَا صُورُ الدُّوَلِ وَفُلُوكِهَا وَالْمَشَاهِيرِ فِيهَا ، مَكْتُوبٌ عَلَى صُورَةٍ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ^(٢) اسْمُهُ وَشِدَّةُ أَهَامِهِ وَشَرْحُ حَالِهِ^٢ .

وَأُخْرِجَ مِنْ خَزَائِنِ الْفُرُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافِ رِزْمَةٍ خُشْرَوَانِي مَذْهَبِ ، فِي كُلِّ رِزْمَةٍ فَرْشٌ مَجْلِسٍ يُشِطُّهُ وَتَعَالِيْقُهُ وَسَائِرُ آلاَتِهِ ، مَنْسُوجَةٌ فِي خَيْطٍ وَاحِدٍ ، بَاقِيَةٌ عَلَى حَالِهَا لَمْ تُحْمَسْ^٣ .

وَصَارَ إِلَى فَخْرِ الْقَرْبِ مَقْطَعٌ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَزْرَقِ التُّشْتَرِي^(٣) الْقَرْقُوبِي غَرِيبُ الصَّنِيعَةِ ، مَنْسُوجٌ بِالذَّهَبِ وَسَائِرُ أَلْوَانِ الْحَرِيرِ تَنْبِيْثًا^(٤) ، كَانَ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . فِيهِ صُورَةُ أَقَالِيمِ الْأَرْضِ وَجِبَالِهَا وَبَحَارِهَا وَمُدُنُهَا وَأَنْهَارُهَا وَمَسَالِكُهَا شَبَّهَ جُغْرَافِيَا ، وَفِيهِ صُورَةُ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ مَبِيْنًا لِلنَّاظِرِ ، مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ مَدِيْنَةٍ وَجَبَلٍ وَبَلَدٍ وَنَهْرٍ وَبَحْرٍ وَطَرِيقٍ اسْمُهُ بِالذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ أَوْ الْحَرِيرِ ، وَفِي آخِرِهِ :

« بِمَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ شَوْقًا إِلَى حَرَمِ اللَّهِ وَإِشْهَارًا لِمَعَالِمِ رَسُولِ اللَّهِ

فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ » .

وَالثَّقَّةُ عَلَيْهِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ^٤ .

وَصَارَ إِلَى تَاجِ الْمُلُوكِ بَيْتٌ أَرْزَمَنِي أَحْمَرُ مَنْسُوجٌ بِالذَّهَبِ ، عُجِلَ لِلتُّشْتَرِكْلِ عَلَى اللَّهِ ، لَا يَمِثْلُ لَهُ وَلَا قِيْعَةٌ ، وَبَسَاطٌ خُشْرَوَانِي دُفِعَ إِلَيْهِ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الطَّلَوَيْزِ : يُخَزِنُهُ الْقَرْشُ - وَهِيَ قَرِيْبَةٌ مِنْ بَابِ الْمُلْكِ - يَخْضُرُ إِلَيْهَا الْخَلِيفَةُ مِنْ غَيْرِ مَجْلُوسٍ ، وَيَطُوفُ فِيهَا وَيَسْتَشْخِرُ عَنْ أَحْوَالِهَا ، وَبِأَمْرِ بِإِدَامَةِ الِاسْتِعْمَالِ . وَكَانَ مِنْ حُقُوقِهَا اسْتِعْمَالُ السَّامَانِ فِي أَمَاكِنَ خَارِجِهَا بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَيُغَطِّي مُسْتَحْدَمُهَا خَمْسَةَ

(١) ساقطة من بولاق . (٢) بولاق : التصوري .

^٤ راجع ، Wiet, G., RCEA IV, p. 186 n° 1564

^١ المقرئ : اتعاط الحنفا ٢ : ٢٨٤ .

زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٢ - ٥٣ .

^٢ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٤ .

^٣ نفسه ٢٥٨ .

عشر دينارًا - يعني يوم يُطوف فيها الخليفة^١.

خَزَائِنُ السِّلَاحِ

قال في كتاب «الدُّخَائِر»: فَأَمَّا خَزَائِنُ السُّيُوفِ والآلاتِ والسِّلَاحِ، فَإِنَّ بَعْضَهَا أُخِذَ وَقُسِّمَ
بين العشرةِ الثَّانِيَيْنِ - يعني^٢ على الْمُسْتَنْصِرِ - وهم: نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بنُ حَمْدَانَ، وَأَحْوَاهُ،
وَبَلْدُ كُوش^٣، وَابْنُ سُبُكْتِكِينِ، وَسَلَامُ عَلِيكَ، وَشَاوَرُ بنُ حُسَيْنٍ^٤. حَتَّى صَارَ ذُو الْفَقَارِ إِلَى تَاجِ
الْمُلُوكِ، وَصِيصَتَامَةُ عَمْرُو بنِ مَعْدِي كَرَبٍ، وَسَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ وَهْبِ الرَّاسِي، وَسَيْفُ كَافُورٍ،
وَسَيْفُ الْمُعِزِّ، وَسَيْفُ أَبِي الْمُعِزِّ، إِلَى الْأَعَزِّ بنِ سِنَانٍ، وَدِرْعُ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ - وَكَانَتْ تُسَاوِي أَلْفَ
دِينَارٍ - وَسَيْفُ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَدِرْعُ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَسَيْفُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ. وَمِنَ الْخُذِّ وَالذُّرُوعِ وَالتَّخَافِيفِ، وَالسُّيُوفِ الْمُحَلَّلَةِ
بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالسُّيُوفِ الْحَدِيدِيَّةِ، وَصَنَادِيقُ التَّنُصُّولِ، وَجِعَابُ السُّهَامِ الْخَلَّجِ، وَصَنَادِيقُ
الْقِسِيِّ، وَزَرَمُ الرِّمَاحِ الزَّانِ الْخَطِيئَةِ، وَشَدَاتُ الْقَنَا^٥ الطُّوَالِ، وَالزُّرْدُ وَالْبَيْضُ، مِثْنُ أُلُوفٍ وَكَانَ
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا مَفْرَدًا عَشْرَاتِ أُلُوفٍ^٦.

وقال ابنُ الطُّوَيْرِ: خِزَانَةُ السِّلَاحِ يَدْخُلُ إِلَيْهَا الْخَلِيفَةُ وَيَطُوفُهَا قَبْلَ مَجْلُوسِهِ عَلَى السَّرِيرِ هُنَاكَ،
وَيَتَأَمَّلُ حَوَاصِلَهَا مِنَ الْكَزَاغِنْدَاتِ الْمَدْفُونَةِ بِالزُّرْدِ الْمُعْشَاةِ بِالذِّبَاجِ الْحَكِيمَةِ الصَّنَاعَةِ، وَالْجَوَاشِينِ
الْمُبِطَّنَةِ لِلذَّهَبِ، وَالزُّرْدِيَّاتِ السَّابِلَةَ بِرِعْوِهَا، وَالْخُذَّ الْمُحَلَّلَةَ بِالْفِضَّةِ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الزُّرْدِيَّاتِ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: بلد قوس. (c) بولاق: القسي.

^١ ابن الطوير: نزهة المقلعين ١٣٣ وفارن، الفلقندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٣؛ زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٥٢-٥٣، ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية في كتابه Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, p. 159.

^٢ لم يستوف الثمن أسماء العشرة الثاثرين.

^٣ هذا النص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب «الدُّخَائِرِ والتحف».

^٤ كَزَاغِنْدَاتُ ج. كَزَاغِنْدَاتُ. لفظ فارسي الأصل معناه المعطف القصير الذي يُلبس فوق الزردية، كان يُصنع من

القطن أو الحرير المبطن المُجَمَّد (Dazy, R., *Suppl. Diet.*)
At. I, p. 470؛ القريزي: السلوك ١: ٢٥٣هـ؛ ابن
واصل: مفرج الكروب ٢: ٤٤٤هـ. وعند الطرسوسي أن
الكَزَاغِنْدَاتِ مِمَّا اسْتَخْرَجَهُ مُؤَلِّدُو الْأَعْرَابِ. وَهِيَ زُرْدِيَّاتُ
رِفَاعٍ يَلْبَسُ عَلَيْهَا ثِيَابٌ قَدْ بَسَطَ فَوْقَهَا شِشَاةَ الْحَرِيرِ
وَالْمَصْطَلَكَا وَتَكْسَى بِالثِّيَابِ الدِّبَاجِ أَوْ غَيْرِهَا وَتَخَاطُ عَلَيْهَا
وَتُحْمَلْنَ بِالتَّنْبِيَتِ بِالْحَرِيرِ وَغَيْرِهِ. (Cahen, Cl., *Un traité*
d'armurerie p. 116).

^٥ مجوَّشَن ج. مجوَّاشِين. الدرر (Ibid., p. 116).

والشيف ، على اختلافها من القزليات والقلاجوريات^١ ، والرماح والقنّاء ، والقُطاريّات^٢ المدهونة والمذهبة ، والأسيّة الحِرْصانية^٣ ، والقيسيّ لرماية اليد ، المنسوبة إلى صنّاعها مثل الخطوط المنسوبة إلى أربابها .

فيخصّر إليها ما يجزّيه ، ويتأمل الثّشاب - وكانت نصوله مثلثة الأركان - على اختلافها ، ثم قيسيّ الرّجل والركاب : وقيسيّ اللّؤب الذي زنة نصله خمسة أرتال ، ويُؤمى من كلّ سَهم بين يديه فينظر كيف مخرجه . والثّشاب الذي يُقال له الجرّاد ، وطوله شبر ، يُؤمى به عن قيسيّ في مجازٍ معموله برسمه ، فلا يُدري به الفارس أو الرّاجل إلا وقد نَقَذ .

فإذا فَرَّغ من نظَر ذلك كلّهُ ، خرّج من خزانة الدّرق - وكانت في المكان الذي هو خان مشرور ، وهو يرسم الاستِعمالات/ للأساطيل ، من الكبيرة الخرجية والخوذة الجلّودية إلى غير ذلك - فيغطّي مُستخدّمها خمسة وعشرين دينارًا ، ويُخلّع على مُقدّم الاستِعمالات جُوكانيّة مزينة خريزًا ، وعمامة لطيفة^٤ .

خزائن السروج

قال في كتاب « الذّخائر » : أُخْرِجَ فيما أُخْرِجَ صناديقُ سروج مُحلّاة بفضّة مجرّاة بسواد ممسوحة ، وُجِدَ على صُنْدُوقيّ منها « الثامن والتسعون والثلاث مائة » ، وعدّة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سَرَج .

(a) بولاق : البرصانية .

^٣ الحِرْصانية . لعلها من الحِرْص بمعنى السنان والرمح اللطيف القصير يتخذ من خشب منحوت (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١٧٩٥ ؛ Dozy, R., *op.cit.*, I, p. 362) .
زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٧هـ .

^٤ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣٣-١٣٤ ، المقرئ : مسودة المواظ والاعتبار ١٥٠-١٥١ ، وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٤٧٣:٣ ، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٤-٥٨ ، وفيها يلي ٩٢:٢ .

^١ القلاجوريات . لعل أصلها من قُلْج التركية بمعنى سيف . (زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٧) .

^٢ قُطاريّة ج. قُطاريات . من اليونانية Kontarion ، جس من الرّماح يصنع من الخشب الرّزان والشوح ليست بالطويلة ، اشتهر بصنعها بنو الأصغر ومن جانشهم من الروم وأستنها فصار عراض كهية البلطة وما جرى مجراها (Cahen, Cl., *op.cit.*, p. 11) أبو شامة : الروضتين ١: ٤٦٠ ؛ ابن واصل : مفرج ١: ١٨٣ ؛ Dozy, R., *op.cit.*, II, p. 421 .

وأخرج المُشْتَصِرُ من خَزَائِن الشُّرُج خمسة آلاف سُرُج كان أبو سَعْد إبراهيم بن سَهْل التُّشْتَرِي ذَخَرها له فيها وتقدَّم بحِفْظِها ، كُلُّ سُرُجٍ منها يساوي من سبعة آلاف دينار إلى ألف وأكثرها غالٍ . سُبِكَ جميعُها وفُزِقَ في الأتراك . كان يرسم رِكايبَها أربعة آلاف سُرُج . وأُخِذَ من خَزَائِن السُّيَّدة والدته أربعة آلاف سُرُج مثلها ودونها ، صُنِعَ بها مثل ذلك ^١ .

وقال ابنُ الطَّوَيْر : خِزَانَةُ الشُّرُج تحتوي من المَلِك ^(أ) على ما لا تُحْتَوِي عليه مملكةٌ من الممالك ، وهي قاعةٌ كبيرةٌ [بالقصر] ^(ب) بدورها مُنْطَبِعةٌ علوُّها ذِرَاعان ، ومُتْجَالِسها كذلك . وعلى تلك المُنْطَبِعةُ مُتَكَاتٌ مَحَلَّصَة الجانِبين ، على كُلِّ مُتَكَأٍ ثلاثة سُرُج مُنْطَبِقةٌ ، وفوقه في الحائط وتَدُّ مَذْهُونٌ مَضْرُوبٌ في الحائط قبل تبييضه ، وهو بارزٌ بُرُوزًا يَمُتْكِي عليه المُرُكَّبات الخُلُي على لُجْم تلك الشُّرُج الثلاثة من الذَّهَبِ خَاصَّةً أو الفِضَّةِ خَاصَّةً أو الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، وقلائدها وأطواقُها لأَعناق الخَيْل ، وهي لخاصِّ الخَلِيفَة وأزباب الرُّتَب ما يَرِيد على ألف سُرُج . ومنها لِجِئامِ هو الخاصِّ ، ومنها الوَسَط ، ومنها الثَّوْن ، وهي خِيارٌ غيرُها يرسمُ القَواري لأزباب الرُّتَب والخِذَم ، ومنها ماهو قَرِيب من الخاصِّ ، فيكون عند المُستخدَم بِشَدَّادِه الدائم ، وجاريه على الخَلِيفَة ما دام مُسْتَعْدَمًا ، والتَّلَف مُعَلَّقٌ من الأَهْرَاء . أمَّا الصَّاعَة فَإِنَّ فيها منهم ومن المُرُكَّبين والخَزَازين عَدَدًا جَمًّا دائمين لا يَفْتَرُون عن العمل . وكلُّ مَجْلِسٍ مُضْبُوطٌ بِعَدَدِ مُتَكَاتِه وما عليها من الشُّرُج والأوتاد واللُّجْم . وكلُّ مَجْلِسٍ لذلك عند مُستخدِميهِ في العَرَض ، فلا يَخْتَلِ عليهم منها شيءٌ . وكذلك وَسَط قاعتها بِعَدَّةٍ متواليةٍ أيضًا . والشَّدَادُون مَطْلُوبُون بِالتَّغَايُصِ منها أَيَّام المَوَاسِم ، وهم يُخَضِرُونها أو قِيَمَتها ، فَتَقْوُض وتُرَكَّب ^(ج) . ويَخْضَرُ إليها الخَلِيفَة ويَطُوفُها من غيرِ مَجْلُوس ، ويُطْطِي حاميها للترفة في المُستخدِمين عشرين دينارًا . ويُقال : إِنَّ الحَافِظَ لِدِينِ اللَّهِ عَرَضَتْ لَهُ فيها حاجَةٌ ، فجاءَ إليها مع الحامي ، فَوَجَدَ الشَّاهِدَ غيرَ حاضِرٍ وَخُتْمُه عليها ، فَرَجَعَ إلى مكانه وقال : لا يَمُتْكُ خُتْمُ العَدَلِ إِلَّا هو ، ونحن ونعود في وَقْتِ حَضُورِه ^٢ . انتهى .

(أ) زيادة من مسودة المواظع . (ب) زيادة من صبح الأعشى . (ج) بولاق : فمعرض ويركب .

^١ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٧ : المقرئ : مسودة المواظع والاختيار ١٥٣-١٥٤ : وقارن القلقشندي : انماط الحنفا ٢ : ٢٨٤ .
^٢ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣١-١٣٢ : المقرئ : صبح الأعشى ٤٧٣ : ٣ : وزكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٩-٦١ .

وكان الخليفة الأمير بأحكام الله تُحْدِثُهُ نَفْسُهُ بِالسُّفَرِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْعَازَةِ عَلَى بَغْدَادَ ، فَأَعَدَّ
لِذَلِكَ سُورُوجًا مَجُوفَةً الْقَرَارِيصَ ، وَبَطَّنَهَا بِصَفَائِحَ مِنْ قَصْدِيرٍ لِيَجْعَلَ فِيهَا الْمَاءَ ، وَجَعَلَ لَهَا فَمًّا فِيهِ
صُفَّارَةٌ ، فَإِذَا دَعَتْ الْحَاجَّةُ إِلَى الْمَاءِ شَرِبَ مِنْهُ الْفَارِسُ ، وَكَانَ كُلُّ سَرَجٍ مِنْهَا يَتَّعِ سَبْعَةَ أَرْطَالٍ
مَاءً . وَعَمِلَ عِدَّةٌ مَخَالٍ لِلخَيْلِ مِنْ دِيبَاجٍ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

[الطويل]

دَعِ اللُّؤْمَ عَنِّي لَسْتُ بِمُؤَلِّي فَلَا بُدَّ لِي مِنْ صَدَقَةِ الْمُتَحَقِّقِ
وَأَسْقِي جِيَادِي مِنْ قُرَابٍ وَدِجَلَةٍ وَأَجْمَعُ شَمْلَ الدِّينِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ^١

وَأَوَّلَ مَنْ أَوْكَبَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي دَوْلَتِهِ مِنْ خِيُولِهِ بِالْمَرَائِبِ الذَّهَبِ فِي الْمَوَاسِمِ ، الْعَزِيزُ بِاللَّهِ
نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ .

خزائن النجيم

قَالَ فِي كِتَابِ «الذُّخَايِرِ» : وَأَخْبَرَنِي سَمَاءُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُدَبَّرٍ ، وَزِيرُ
نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، قَالَ : أَخْرَجَ فِيمَا أَخْرَجَ مِنْ خَزَائِنِ الْقَصْرِ عِدَّةً لَمْ تُحْصَ مِنْ أَغْدَالِ الْحَنِيمِ وَالْمَضَارِبِ
وَالْفَازَاتِ وَالْمُسْطَحَاتِ وَالخَزَاكَوَاتِ وَالْحُصُونِ وَالْقُصُورِ وَالشَّرَاغَاتِ وَالْمَشَارِعِ وَالْفَسَاطِيطِ
الْمَعْمُولَةِ مِنَ الذِّيْقِي وَالْمُخَمَّلِ وَالْحُسْنُورَانِي وَالذِّيْبَاجِ الْمَلَكِي وَالْأَرْمَنِيِّ وَالتَّبَهَّاسَوِي وَالْكَرْدَوَانِي ،
وَالْحَيِّدِ مِنَ الْحَلَبِيِّ ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ أَلْوَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ .

وَمِنَ السُّنْدُسِ وَالطَّمِيمِ أَيْضًا : مِنْهَا الْمُقْبِلُ وَالْمُسْتَعِ وَالْمُخَيَّلُ وَالْمُطَوِّسُ وَالْمُطَوَّرُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ
سَائِرِ صُورٍ^(ب) الْوُحُوشِ ، وَالْأَدَمِيِّينَ مِنْ سَائِرِ الْأَشْكَالِ وَالصُّورِ الْبَدِيعَةِ الرَّائِعَةِ . وَمِنْهَا الْمَنَازِجُ
وَالْمَنْقُوشُ فِي ظَاهِرِهِ بِغَرَائِبِ الثَّقُوشِ بِجَمِيعِ آلَاتِهَا ، مِنَ الْأَعْمَدَةِ الْمَلْبَسَةِ أَنْايِبِ الْفَيْضَةِ ، وَالثِّيَابِ
الْمُذَهَّبَةِ وَغَيْرِ الْمَذَهَّبَةِ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِهَا وَأَلْوَانِهَا ، وَالصُّفْرِيَّاتِ الْفَيْضَةُ عَلَى أَقْدَارِهَا ، وَالْحَيَاتِلِ الْمَلْبَسَةِ
الْقَطَنِ وَالْحَرِيرِ ، وَالْأَوْتَادِ وَسَائِرِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ آلَاتِهَا وَعُدَّتِهَا ، الْمِبْطُنِ جَمِيعِهَا بِالذِّيْقِي
الطَّمِيمِ الْمَذَهَّبِ وَالْحُسْنُورَانِي الْمَذَهَّبِ ، وَثِيَابِ الْحَرِيرِ الصِّينِيِّ وَالتُّشْتَرِيِّ وَالْمُضَبَّتِ^(ج) / وَالزَّوَارِجِ^(د)

٤١

(أ) بولاق : تفرق ، ابن ميسر : تفرق . (ب) ساقطة من بولاق . (ج) بولاق : المضبب . (د) بولاق : الرجيج .

^١ ابن ميسر : أخبار مصر ١١١٢ ؛ المقريزي : انماط الحنفا ٣ : ١٣٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٦ ، وانظر فيما يلي

والشرفي والشعري والديباج والمُرْبُش، وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان وأنواعها كِبَارًا وصَغَارًا، منها ما يُحْتَمَلُ خِرْقُهُ وَأَوْتَاذُهُ وَعُمُدُهُ وسائر عُذَّتِهِ على عشرين بَعِيرًا ودون ذلك وفوقه .
فالمُسْتَطَح بيت مُرَبَّع له أربعة حيطان وسَقَف ستة أعمدة، منها عَمُودَان للْحَائِطِ الواحد المرفوع للدُخُول والخُرُوج . والحَيَمَةُ ظهرُها حَائِطٌ مَرَبَّع، وسَقِفَتُها إلى الباب حَائِطٌ مَرَبَّع، وأركانها سَوَازِك من الجانبين على قَدَرِ القَائِمِ، وفيها أربعة أَعْمِدَةٍ: اثنان في الباب، واثنان في وَسَطِهَا . وكلُّمَا زَادَت زاد عُمُدُهَا وسَقَفُهَا، ولها خَدَّان مُشَوَّزَكان^٥ من الجانبين . والشُّرَاعُ حَائِطٌ في الظَّهْرِ بِسَقْفٍ^٦ على الرَّأْسِ بعمودين، من أي مَوْضِعِ دَارَتِ الشَّمْسُ حَوَّلَ إلى ناحية الشَّمْسِ . والمَشْرَعَةُ فيه مثل المِظْلَةِ على عَمُودٍ واحد تام وشُّرَاعٍ سَابِلٍ خَلْفَهَا، من أي مَوْضِعِ دَارَتِ الشَّمْسُ أَدِيرُ والقُبَّةُ على حَالِهَا .

وحدثني أبو الحسن علي بن الحسن الحيمي قال : أَخْرَجْنَا في جُمْلَةٍ ما أَخْرَجَ من خَزَائِنِ القصر أَيَّامَ المَارِقِينَ، حين اشْتَدَّتْ المَطَالِبَةُ على السُّلْطَانِ، فُنْشِطَاطًا كَبِيرًا أكبر ما يَكُونُ، يُسَمَّى « المَدْوَرَةُ الكَبِيرَةُ »، يَقُومُ على قَوَدِ عَمُودٍ طَوْلُهُ خَمْسَةٌ وَسِتُونَ ذِرَاعًا بالكبير، ودَائِرَةُ فَلَكَتَيْهِ عَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَقَطْرُهَا سِتَّةُ أَذْرُعٍ وَثَلَاثَا ذِرَاعٍ، ودَائِرَتُهُ خَمْسُ مِائَةِ ذِرَاعٍ، وَعِدَّةُ قِطْعِ خِرْقَتِهِ أَرْبَعٌ وَسِتُونَ قِطْعَةً كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْهَا تُخَرِّمُ في عَذَلٍ وَاحِدٍ يُجْتَمَعُ بَعْضُهُ إلى بَعْضٍ بِغُرَى وَشُرَارِبٍ حَتَّى يُنْصَبَ، تُحْتَمَلُ خِرْقَتُهُ وَجِبَالُهُ وَعُذَّتُهُ على مِائَةِ جَحَلٍ .

وفي صُفْرَتِهِ المَعْمُولَةُ مِنَ الْفِضَّةِ ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرٍ مِصْرِيَّةٍ، يَحْمِلُهَا مِنْ دَاخِلِهَا قُضْبَانٌ حَدِيدٌ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهَا، تَمْتَلِئُ مَاءً مِنْ رَاوِيَةٍ جَحَلٍ، قَدْ صُورَ في رَفْرَفِهِ كُلُّ صُورَةٍ حَيَوَانٍ فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّ عِقْدٍ تَلْبِيحٍ وَشَكْلِ ظَرِيفٍ . وفيه بِأَذْنَجِ طَوْلُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي أَعْلَاهُ . كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَازُورِيِّ أَمَرَ بِعَمَلِهِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ فَقَمِلَهُ الصَّنَاعُ - وَعِدَّتُهُمْ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ صَانِقًا - فِي مِثْلَةِ تِسْعِ سَنِينَ، وَاشْتَمَلَتِ الثَّقَفَةُ عَلَيْهِ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَكَانَ عَمَلُهُ عَلَى مِثَالِ « الْقَاثُولِ » الَّذِي كَانَ الْقَزِيزُ بِاللَّهِ أَمَرَ بِعَمَلِهِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا أَغْلَى عَمُودًا مِنْهُ وَأَوْسَعَ وَأَعْظَمَ وَأَحْسَنَ .

وَكَانَ الْحَايِفَةُ أَنْقَذَ إِلَى مُتَمَلِّكَ الزَّوْمِ فِي طَلَبِ عَمُودَيْنِ لِلْقُسْطَاطِ طَوْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا بَعْدَ أَنْ غَرِمَ عَلَيْهِمَا أَلْفَ دِينَارٍ: أَحَدُهُمَا فِي هَذَا الْقُسْطَاطِ بَعْدَ أَنْ قُطِعَ مِنْهُ خَمْسَةٌ

أذرع ، والآخر حَمَلَه ناصِرُ الدولة بن حَمْدان حين خَرَجَ على الخَلِيفَةِ المُسْتَشِيرِ بالله إلى الإسكَنْدَرِيَّة ، وما أَذْرِي ما فَعَلَ به .

قال : وَأَقْبَنَّا مُدَّةً طَوِيلَةً فِي تَفْصِيلِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَتَقْطِيعِهِ جِرْقًا وَشَقًّا قُوَّتَتْ عَلَى الْمَذْكُورِينَ بِأَقْلٍ الْقِيَمِ ، وَتَفَرَّقَ فِي الْآفَاقِ .

- وقال لي أيضًا : أَخْرَجْنَا مُسْطَحًا قَلَمُونِيًّا مُخَمَّلًا مُوجَّهًا مِنْ جَانِبِهِ - عُجَلٌ بَيْتْنِسٌ لِلْعَزِيزِ بِاللَّهِ - يَسْمَى دَارُ الْبَطِيخِ . وَسَطُهُ تَكْنِيسٌ^(a) عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا فِي أَرْكَانِ الْكَنِيسَةِ^(b) (c) الأربعة ، وَعَمُودَانِ فِي وَسْطِهَا وَفِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْكَنِيسَةِ قُبَّةٌ^(d) وَفِي الْأَرْبَعَةِ الْأَرْكَانِ أَرْبَعُ قِيَابٍ ، وَمِنْ الْقُبَّةِ إِلَى الْقُبَّةِ رِوَاقٌ دَائِرٌ عَلَيْهِ وَالْقِيَابُ دُونَهُ ، وَفِي كُلِّ قُبَّةٍ أَرْبَعَةُ أَعْمِدَةٍ ، طُولُ كُلِّ عَمُودٍ مِنْ أَعْمِدَةِ التَّكْنِيسِ^(b) ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا وَكَذَلِكَ طُولُ قَائِمِ الْقِيَابِ . وَقَعَلْنَا بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلْنَا بِالْأَوَّلِ^(d) .

- ١٠ وقال لي : أَخْرَجْنَا مُسْطَحًا عُجَلٌ لِلظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ بَيْتْنِسٌ ، ذَهَبٌ فِي ذَهَبِ طَمِيمٍ قَائِمٍ عَلَى عَمُودٍ ، لَهُ سِتُّ صَفَارِي بَلُورٍ ، وَسِتَّةُ أَعْمِدَةٍ فِصَّةٌ ، أُنْفِقَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ^(c) وَأَخْرَجْنَا عَشْرِينَ مُسْطَحًا مُضْمَتًا مِنْ سَائِرِ أَلْوَانِهِ وَأَخْرَجْنَا مُسْطَحًا دَارَ بَطِيخٍ أَيْضًا كَبِيرًا طَمِيمٍ^(e) . وَمُسْطَحًا ذَبِيقِيًّا كَبِيرًا مُذَهَّبًا بِدَوَائِرِ كِرْدَوَانِي مَنقُوشٍ .

- وَأَخْرَجْنَا قُصُورًا تُحِيطُ بِالْحِيَامِ ، بِشُرَفَاتٍ مِنَ الْمُخْتَلِ وَالْقَلَمُونِي وَالذَّبِيقِي وَالذَّبِيحِ الْخُشْرَوَانِي ، وَالْحَرِيرِ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِهِ وَأَلْوَانِهِ^(e) لَا تُحْصَى كَثْرَةُ وَأَخْرَجْنَا عِدَّةَ حَقَامَاتٍ عُجَلَتْ لِلْعَزِيزِ مِنَ اللَّبُودِ الطَّالِقَانِيَةِ وَالْأَدَمِ^(c) الْمَذْهَبَةِ الْمَنقُوشَةِ ، بِحِيَاضِهَا وَدِكَكِهَا وَمَسَاطِبِهَا وَقُدُورِهَا وَزُجَاجِهَا وَسَائِرِ عُذُودِهَا .^(c) وَأَخْرَجْنَا مِنَ الْحِيَامِ الذَّبِيقِي أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ مِائَةِ قِطْعَةٍ وَمِنْ الْحَرِيرِ وَالسُّنْدُسِ وَالطَّمِيمِ مَا لَا يُحَدُّ كَثْرَةُ^(e) .

- وَأَخْرَجْنَا مِنَ الْحِيَامِ الْكِزْدَوَانِي شَيْقًا كَثِيرًا . وَأَخْرَجْنَا خَيْمَةً كَبِيرَةً مَدُورَةً كِرْدَوَانِي مَلِيحَةً النَّقْشِ وَالصَّنِيعَةِ ، عُدَّتْهَا قِطْعٌ كَبِيرَةٌ ، طُولُ عَمُودِهَا خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا . فَعَلْنَا بِجَمِيعِهَا مِثْلَ مَا فَعَلْنَا بِالْأَوَّلِ .

وَأُخْرِجَ فِي جَمَلَتِهَا الْقُشَطَاطُ الْكَبِيرُ الْمَعْرُوفُ بِـ « الْمَدُورَةِ الْكَبِيرَةِ » ، التَّوَلَّى عَمَلَهُ بِحَلَبِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَيْتَرِ فِي سَنِي ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، الْمُتَّفَقُ عَلَى خِرْقَتِهِ وَنَقْشِهِ وَعَمَلِهِ وَغُدَّتِهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، الَّذِي عَمُودُهُ أَطْوَلُ مَا يَكُونُ مِنْ صَوَارِي دَرَامِينَ الرُّومِ

(a) بولاق : بكيس . (b) بولاق : الكنيس . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : في الأول .

البنادقة أربعون ذراعاً، ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبراً، ويحتمل على سبعين جملاً، ووژن صغريته الفضة فيطاران سوى أنابيب عمده، ويتولى إيقاف^٥ عمده ونضبه مائتا رجل من قواش ومعين. وهو شبيه بالقائول العريزي، وسُمي بالقائول لأنه ما نصب قط إلا وقتل رجلاً أو رجلين ممن يتولى إيقافه^٦ من قواش وغيره.

• قال: ووجد في خزائن مملوكة من سائر أنواع الصواني المدهونة يتعداد المذهبة،^٧ التي سعة كل واحدة منها من العشرة أشبار إلى ما دونها قد جعل في كل واحدة منها دونها في السعة^٨ إلى ما سعة دون الدرهم ومن سائر أنواع الأطباق الخلتج^٩ الرازي في هذه السعة، وفوق ذلك ودونه، قد تحشيت بطونها بما دونها في السعة إلى ما سعة دون الدينار. ومن الموائد القوالمية الصغار والكبار ألوف. ومن موائد الكرم وما أشبهها شيء كثير. ومن الجفان الجور الواسعة التي قد عجلت مقايضها من الفضة، وتحليت بأنواع الحلي التي لا يقدر الحمل القوي على حمل جفتين منها لعظمها، تساوي الواحدة منها مائة دينار وفوقها ودونها شيء كثير.

ووجد من الذكك والمحاريب والأسيرة، العود والصندل والعاج والأبنوس والبشم شيء كثير ملبح الصنعة^١.

١٥ وقال ابن ميسر: وعجل الأفضل ابن أمير الجيوش خيمة سماها «خيمة الفرح»، ثم سُميت بالقائول؛ لأنها إذا نُصبت يموت تحتها من القراشين واحد أو اثنان^{١٠}، اشتملت على ألف ألف وأربع مائة ألف ذراع، وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعاً بيزراع العمل. صُرف عليها عشرة آلاف دينار، ومدحها جماعة من الشعراء^٢.

(a) بولاق: إتيان. (b) بولاق: إتيانه. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: الخلع. (e) إضافة من ابن ميسر.

^١ كل هذا النص المنقول من كتاب «الذخائر والتحف» الأرب ٢٨: ٢٨٥؛ المقرئ: انماط الحنفا ٧٢: ٧٣ غير موجود في القسم الذي وصل إلينا منه. وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ١٣٨: ٢، ٤٧١.

^٢ ابن ميسر: أخبار مصر ٨٥-٨٦؛ النويري: نهاية

خِزَانَةُ الشَّرَابِ

قال ابنُ المَأمُون: ولم يَكُنْ في الإيوان فيما تقدَّم شرابٌ مخلو، بل إنَّها قُورِت في استقبال النَّظَر المأموني، وأُطلقَ لها من الشُّكْر مائة وخمسة عشر قِنطَارًا، وبرسُم الوزد المرئي خمسة عشر قِنطَارًا. وأما ما يُستَقَمَل بالكافوري من الخَلِيجِ الفايدي^(a) والحامض^(b) وقُفِّف الثَّقُولات^(c)، فالمبلغ في ذلك - على ما حَصَره شَاهِدُهُ - في السنة ستة آلاف وخمسة مائة دينار. وما يُحْتَمَل للكافوري أيضًا برسُم كَرَك الماؤزد ما يستدعيه مُتَوَلِّي الشَّرَاب^١.

وقال ابنُ الطَّوَيْر: خِزَانَةُ الشَّرَابِ وهي أَخَذُ مَجَالِسِهِ أيضًا - يعني القَاعَةُ التي هي الآن المَارِسْتَان الصَّغِير - فإذا جَلَسَ الخَلِيفَةُ على الشَّرير غَرَضَ عليه ما فيها حَامِيهَا - وهو من كِبَار الأُسْتَاذِينَ - وشَاهِدُهَا فيخْضَرُ إليه فَرَاشُوهَا بين يَدَيْ مُسْتَعْدَمِهَا من عُيُون الأَصْنَافِ العَالِيَةِ من المَعَايِين العَجِيبَةِ في الشُّكَايِجِ^(c) الصُّبْنِي والطِّيَافِيرِ الخَلْجِجِ، فيذوق ذلك شَاهِدُهَا بِحَضْرَتِهِ، وَيُسْتَشْخِرُ عن أحوَالِهَا بِحُضُورِ أَطِبَّاءِ الخَاصِّ.

وفيهَا من الآلات والأزْيَارِ الصُّبْنِي والبراني عِدَّةٌ عَظِيمَةٌ للوزد والبَنْفَسِيجِ والمُرْسِينِ، وَأَصْنَافِ الأدوية من الرَّاوِنْدِ الصُّبْنِي وما يَجْرِي مَجْرَاهُ مِمَّا لَا يَقْدَرُ أَخْذُ عَلَى مِثْلِهِ إِلَّا هُنَاكَ، وما يَدْخُلُ فِي الأدوية من آلاتِ المِطْرِ إِلَى غَيْرِ^(c) ذلك. وَيُسْأَلُ عن الذُّزْيَاقِ الفَارُوقِ، ويأمرهم بِتَخْصِيلِ أَصْنَافِهِ لِيَسْتَدْرِكَ عَمَلَهُ قَبْلَ انْقِطَاعِ فِعْلِ^(c) الحَاصِلِ مِنْهُ، وَيُؤَكِّدُ فِي ذَلِكَ تَأْكِيدًا عَظِيمًا.

ويَسْتَأْذِنُ عَلَى مَا يُطْلَقُ مِنْهَا فِي رِقَاعِ، أَطِبَّاءِ الخَاصِّ لِلجِهَاتِ وَحَوَاشِي القَصْرِ، فَيَأْذَنُ فِي ذَلِكَ، وَيُعْطَى الحَامِي لِلتَّفَرُّقَةِ فِي الجَمَاعَةِ ثَلَاثِينَ دِينَارًا^٢.

خِزَانَةُ التَّوَابِلِ

وقال ابنُ المَأمُون: فَأَمَّا التَّوَابِلُ، العَالِي مِنْهَا والدُّون، فَإِنَّهَا مَجْمَلَةٌ كَثِيرَةٌ، وَلَمْ يَقَعْ لِي شَاهِدٌ بِهَا، بَلْ إِنَّمَا اجْتَمَعْتُ بِأَحَدٍ مِنْ كَانَ مُسْتَعْدِمًا فِي خِزَانَةِ التَّوَابِلِ فَذَكَرَ أَنَّهَا تُشْتَمَلُ عَلَى خَمْسِينَ

(a) بولاق: الحلو الفانيد. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) ساقطة من بولاق.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٩٠. القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٦.

^٢ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٠-١٣٦، وقارن

ألف دينار في السنة ، وذلك خارج عما يُحتمل من البقولات - وهي باب مُفرد - مع المستخدم في الكافوري^١.

والذي استقر إطلاقه على محكم الاستيثار من الجرايات المختصة بالقصور والوزائب المستجدة ، والمطلق من الطيب وتذكرة الطراز وما يحتاج من الثغور ويُستعمل بها ، وغير ذلك^٢.

فأولها جرامة القصور وما يُطلق لها من ثبوت المال إداريًا لاستقبال النظر المأموني - ستة آلاف وثلاث مائة وثلاث وأربعون دينارًا . تفصيله : بتدليل الكم الخاص الآمري في الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم ، أربع جُمع ، الحَمَام في كل جمعة مائة دينار ، أربع مائة دينار . وبرزم الإخوة والأخوات والسيدة الملكة والسيدات ، والأمير أبي علي وإخوته ، والموالي والمستخدّات ، ومن استجدّ من الأفضليات : ألفان وتسع مائة وثلاثة وأربعون دينارًا .

ولم يكن للقصور في الأيام الأفضلية من الطيب راتب فيذكر ، بل كان إذا وصلت الهدية والنجاوى^٣ من البلاد اليمنية تحتمل برؤيتها إلى الإيوان ، فينتقل منها بعد ذلك للأفضل والطيب المطلق للخليفة من جملتها . فانفتح هذا الحكم ، وصار المرتب من الطيب مياومة ومُشاهرة على ما يأتي ذكره .

ما هو برزم الخاص الشريف في كل شهر : نَدّ مثلث : ثلاثون مثقالًا ، غود صيني^٤ : مائة وخمسة دراهم ، كافور قديم : خمسة عشر درهماً ، عنبر نحام ، عشرة مثاقيل ، زعفران عشرون درهماً ، ماء وزد : ثلاثون رطلاً .

برزم بخور المجلس الشريف في كل شهر في أيام السلام : نَدّ مثلث عشرة مثاقيل ، غود صيني^٥ عشرون درهماً ، كافور قديم ثمانية دراهم ، زعفران شَعْر عشرة دراهم .

ما هو برزم بخور الحَمَام في كل ليلة مُجمعة عن أربع جُمع في الشهر : نَدّ مثلث أربعة مثاقيل ، غود صيني^٦ عشرة مثاقيل .

(a) بلاق : الجاوي . (b) بلاق : صيني .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٩٠ ، المقرئ : مسودة الموايعظ ترجمته للوزير المأمون بن البطاحي في المقنى الكبير والاعتبار ١٦٠ ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٤ . ٤٨٤ : ٦ .

^٢ من هنا يتفق نص الخطط مع ما أورده المقرئ في ^٣ انظر فيما يلي ٤٦٢ .

ما هو يرسم السيدات والجهات والأخوة في كل شهر : نَدْ مثلث خمسة وثلاثون مثقالاً ، عود صيني^(a) مائة وعشرون درهماً ، زَعْفَرَان شَعَرٍ خمسون درهماً ، عَثْرُ خام عشرون مثقالاً ، كافور قديم عشرون درهماً ، مشك خمسة عشر مثقالاً ، ماء وَزْد أربعون رطلاً .

ما هو يرسم المائدة الشريفة ممَّا تَتَسَلَّمُهُ^(b) المعلّمة : مشك خمسة عشر مثقالاً ، ماء وَزْد خمسة عشر رطلاً .

ما هو يرسم خزائن الشراب الخاص : مشك ثلاثة مثاقيل ، نَدْ/ مَثَلث سبعة مثاقيل ، عود صيني^(a) خمسة وثلاثون درهماً ، ماء وَزْد عشرون رطلاً .

ما هو يرسم بخور المواكب السنّة ، وهي الجُمُوعَتان الكائنتان في شهر رَمَضَانَ يرسم الجامعين بالقاهرة - يعني الجامع الأزهر والجامع الحاكمي - والعيدين ، وعيد القدير ، وأوّل السنّة بالجواميع والمُصَلّي : نَدْ خاصّ جملة كثيرة لم تتحقّق فتُذَكَّر . ولم يكن للغزيرتين : غُرّة السنّة ، وغُرّة شهر رَمَضَانَ ، وفتح الخليج ، بخورٌ فيُذَكَّر .

وعِدّة المبحّرين في المواكب ستة : ثلاثة عن اليمين ، وثلاثة عن الشمال . وكلّ منهم مُشَدود الوَسَط ، وفي كُفِّهِ قَحَمٌ يرسم تعجيل المدّخنة ، والمدّاخين فِضّة . وحامِلُ الدَّرَجِ الفِضّة الذي فيه البُخُورُ أَحَدُ مُقَدَّمِي بَيْتِ الْمَال ، وهو فيما بين المُبَحِّرين طول الطريق ، ويضع بيده البُخُورُ في المدّخنة . فإذا^(c) مات أَحَدُ هَؤُلَاءِ المُبَحِّرين لا يَخْدُمُ عِوَضًا عنه إِلَّا من يَتَبَرَّعُ بِمَدّخنة فِضّة ؛ لِأَنَّهُمْ رُسُومًا كثيرة في المواكب ، مع قُرْبِهِمْ في المواكب من الخليفة . من الوقت الذي يتبرّع فيه بالمدّخنة يرجع في حَاصِلِ بَيْتِ الْمَال . وإذا توفّي حَامِلُهَا لا تُرْجَعُ لَوَزْنِهِ .

وعِدّة ما يُبَحَّرُ في الجواميع والمُصَلّي غير هَؤُلَاءِ ، في مَدَاخِنِ كِبَارٍ في صَوَانِي فِضّة ، ثلاث صَوَانٍ : في المِحْرَابِ إِحْدَاهُنَّ ، وعن يَمِينِ الْمَنبَرِ وشماله اثنتان ، وفي الْمَوْضِعِ الذي يجلس فيه الخليفة إلى أَنْ تُقَامَ الصَّلَاةُ صينية رابعة .

وأما البُخُورُ الْمُطْلَقُ يرسم المأمون فهو في كلّ شهر : نَدْ مثلث خمسة عشر مثقالاً ، عود صيني ستون درهماً ، عَثْرُ خام ستة مثاقيل ، كافور ثمانية دراهم ، زَعْفَرَان شَعَرٍ عشرة دراهم ، ماء وَزْد خمسة عشر رطلاً^١ .

(a) بولاق : صيني . (b) بولاق : ما تسلمه . (c) بولاق : وإذا .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٩٠ - ٩٢ ، القرني : المقياس الكبير ٤٨٤ : ٦ - ٤٨٦ .

ومنها مَقَرُّر المجاميع : وما قُرِّر من خِزَانَةِ التُّفْرِقَةِ في كُلِّ يَوْمِ اثْنَا عَشَرَ مَجْمَعًا ، كُلُّ بَيْتٍ عِيَارِهِ رَطْلٌ وَاحِدٌ . وَلِكُلِّ مَجْمَعٍ ثَلَاثَةُ أَرْطَالٍ لِحَبْنِ تَشْوِير^(a) ، وَفَاكِهَةٍ نِصْفِ دِرْهَمٍ . وَالْمُسْتَقَرُّ لِهَذِهِ الْمَجَامِيعِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ اللَّيْلِ [الرَّائِبِ]^(b) خَمْسَةٌ وَثَمَانُونَ رَطْلًا .

ومنها مَقَرُّر الحَلَوَى والفُشْتَقْ ، وَمِمَّا اسْتَجِدُّ مَا يُعْمَلُ فِي الْإِيوَانِ بِرُشْمِ الْخَاصِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْحَلَوَى اثْنَا عَشَرَ جَاتًا رَطْبَةً وَبَابَسَةً نِصْفَيْنِ ، وَزَنْ كُلِّ جَامٍ مِنَ الرُّطْبِ عَشْرَةُ أَرْطَالٍ وَمِنَ الْبَابِسِ ثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ^١ .

وَمَقَرُّر الْخُشْكِنَانِجِ وَالتَّسْتَدُودِ : فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ ، بِرُشْمِ الْخَاصِّ الْأَمْرِيِّ وَالْمَأْمُونِيِّ ، قِنْطَارٌ وَاحِدٌ سُكَّرٌ ، وَمِثْقَالَانِ مِشْكٌ ، وَدِينَارَانِ بِرُشْمِ الْمُؤْنِ لِعَمَلِ خُشْكِنَانِجِ وَتَسْتَدُودِ فِي قَعَبَاتٍ وَسِلَالٍ صَفْصَافٍ . وَيُحْتَمَلُ ثُلُثًا ذَلِكَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَالثُّلُثُ إِلَى الدَّارِ الْمَأْمُونِيَّةِ^٢ .

قَالَ : وَبَجَرَتْ مُفَاوِضَةً بَيْنَ مَتَوَلِّي بَيْتِ الْمَالِ وَدَارِ الْفِطْرَةِ بِسَبَبِ الْأَصْنَافِ ، وَمِنْ جَمَلَتِهَا الْفُشْتَقُ وَقِلَّةُ وَجُودِهِ وَتَزَايُدُ سَعَرِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ رَطْلٌ وَنِصْفَ دِينَارٍ . وَقَدْ وَقَفَ مِنْهُ لِأَرْبَابِ الرُّسُومِ مَا حَصَلَ شَكْوَاهُمْ بِسَبَبِهِ . فَجَاوَبَهُ مُتَوَلَّى الدِّيَوَانِ بِأَنْ قَالَ : مَا نَمُّ مُوجِبُ الْإِنْفَاقِ لِمَا هُوَ رَاتِبٌ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَطَالَعَا الْمَقَامَ الْعَالِيَّ بِأَنَّهُ لَمَّا رَسَمَ لِهَمَا ، ذَكَرَ جَمِيعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مَا هُوَ مُسْتَقَرُّ الْإِنْفَاقِ مِنَ قَلْبِ الْفُشْتَقِ ، وَالَّذِي يُطْلَقُ مِنْ حَاصِلِ^(c) الْخَزَائِنِ مِنْ قَلْبِ الْفُشْتَقِ إِذْ رَازَا مُسْتَقَرًّا بِغَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ وَلَا تَوَقُّعٍ ، مُيَاوَمَةً كُلِّ يَوْمٍ جِسَابًا فِي الشَّهْرِ الثَّامِ عَنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا : خَمْسَ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ وَثَمَانُونَ رَطْلًا ، وَفِي الشَّهْرِ الثَّاقِصِ عَنْ تِسْعَةِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا : خَمْسَ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ وَثَمَانُونَ رَطْلًا ، جِسَابًا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ تِسْعَةَ عَشَرَ رَطْلًا وَنِصْفًا .

مِنْ ذَلِكَ مَا يَتَسَلَّمُهُ^(d) الصُّنَاغُ الْحَلَاوِيُّونَ وَالْمُسْتَخْدَمُونَ بِالْإِيوَانِ مِمَّا يُصْنَعُ بِهِ خَاصَرٌ ، خَارِجًا عَمَّا يُصْنَعُ بِالْمَطَابِخِ الْأَمِيرِيَّةِ ، عَنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَامَ حَلَوَى خَاصَرٌ ، وَزَنْهَا مِائَةٌ وَثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ : مِنْهَا رُطْبٌ سِتُونَ رَطْلًا ، وَبَابِسٌ وَغَيْرُهُ ثَمَانِيَةُ وَأَرْبَعُونَ رَطْلًا مِمَّا يَصِلُ فِي يَوْمِهِ وَسَاعَتِهِ : مِنْهَا مَا يُحْتَمَلُ مَحْتَوَمًا بِرُشْمِ الْمَائِدَتَيْنِ الْأَمِيرِيَّتَيْنِ بِالْبَاهْذَهْنَجِ وَالدَّارِ الْجَمِيدَةِ ، اللَّتَيْنِ مَا يَحْضُرُهُمَا إِلَّا مِنْ كَثِيرَتِ مَنَزِلَتِهِ وَعَظُمَتِ وَجَاهَتِهِ ، جَامَانِ رَطْبًا وَبَابِسًا . وَمَا يُفَرِّقُ فِي الْعَوَالِي مِنَ الْمَوَالِي وَالْجِبَاهَاتِ ، عَلَى

(a) بولاق : قريش . (b) إضافة من المقي . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : بسطمه .

أوضاع مختلفة، تبسج جامات . وما يُحمَل إلى الدار المأمونية، يرسم المائدة بالدار دون الشماط، جام واحد تتمة المياومة المذكورة. ما يستلمه مُقَدِّم الفَرَّاشين المُسْتَحْدَمِينَ في خِدْمَةِ المائدة الشَّرِيفَةِ التي تتولّاها المُعَلِّمَةُ بالقصور الزَّاهِرَةِ، أربعة أُرطال فُشْتَق. ما يستلمه الشَّاهِدُ والمُشَارِفُ على المطابخ الآمِرِيَّة، ثَمَّا يُصَنَّع فيها برسم الجامات الحَلَوَى وغيره، ثَمَّا يكون على المَدَوَّرَةِ في الأَسْبِطَةِ المستمرة بقاعة الذَّهَبِ في أيام السَّلام وفي أيام الزُّكُوبات وحُلُول الرُّكَّاب بالمناظر:

• أربعة أُرطال. وما يستلمه الحَاج مُقْبِل الفَرَّاش يرسم المائدة المأمونية ثَمَّا يُوصِّله لِإِمَام الدار دون المطابخ الرجالية: رطلان.

الحُكْم الثاني يُطَلَّق مُشَاهَرَةً - بغير تَوْقِيع ولا اسْتِذْعاء - بِأَسْمَاءِ كُتُبَاء الجِهَات والمُسْتَحْدَمِينَ من الأَصْحَابِ والحَوَاشِي في الخِدْمِ المُمَيَّرَةِ، وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلًا. والذِّيَّانُ شَاهِدٌ بِأَسْمَاءِ أَزْوَاجِهِ.

وما يُطَلَّق من هذه الخَزَائِنِ السَّعِيدَةِ بالاستدعاءات والمُطَالَعَات ويوقَّع عليه بالإِغْلَاق من هذا الصَّنْفِ في كُلِّ سَنَةِ على ما يَأْتِي ذَكَرُهُ.

وما يُسْتَدْعَى بِرِسْمِ التَّوَسِيعَةِ في الرُّوَاتِبِ، عند تَحْوِيلِ الرُّكَّابِ العَالِي إلى اللُّوْلُوَةِ مُدَّةَ أَيَّامِ النَّيْلِ المَبَارِكِ، في كُلِّ يَوْمِ رطلان.

• وما يُسْتَدْعَى بِرِسْمِ الصَّيَامِ مُدَّةَ تِسْعَةِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا، رَجَبِ وَشَعْبَانَ، جِسَابًا عَنْ كُلِّ يَوْمِ رطلان: مائة وثمانية عشر رطلًا.

/وما يُسْتَدْعَى لما يُصَنَّع بدارِ الْفِطْرَةِ في كُلِّ لَيْلَةٍ بِرِسْمِ الْخَاصِّ خُشْكَنَانِجٍ لَطِيفٍ وَيُسْتَدْعَى وَجُوزْشَنَاتٍ وَنَوَاطِيفَ، وَيَحْمَلُ فِي سِلَالٍ صَفْصَافٍ لَوْقَتَهُ، عَنْ مُدَّةِ أَوَّلِهَا مُسْتَهْلٌ رَجَبٍ وَآخِرُهَا سَلَخُ رَمَضَانَ، عَنْ تِسْعَةِ وَثَمَانِينَ يَوْمًا: مائة وثمانية وسبعون رطلًا، لِكُلِّ لَيْلَةٍ رطلان، وَيُسَمَّى ذَلِكَ بِالتَّقْيِيقَةِ.

وما يُسْتَدْعَى صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ وَمُتَوَلِّي الدِّيَّانِ، فِيمَا يُصَنَّع بِالْإِيَّانِ الشَّرِيفِ بِرِسْمِ الْمَوَالِيدِ الشَّرِيفَةِ الأَرْبَعَةِ: النَّبَوِيِّ، وَالْعَلَوِيِّ، وَالغَاطِطِيِّ، وَالْآمِرِيِّ - ثَمَّا هُوَ بِرِسْمِ الْخَاصِّ وَالْمَوَالِي وَالْجِهَاتِ بِالْقُصُورِ الزَّاهِرَةِ وَالدَّارِ الْمَأْمُونَةِ وَالْأَصْحَابِ وَالْحَوَاشِي - خَارِجًا عَمَّا يُطَلَّقُ ثَمَّا يُصَنَّع بدارِ الْوَكَالَةِ، وَيُفَرَّقُ عَلَى الشُّهُودِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ ثَمَّا يَكُونُ حَسَابُهُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْخَزَائِنِ: عَشْرُونَ رطلًا قَلْبُ فُشْتَق، جِسَابًا لِكُلِّ يَوْمٍ مُؤَيَّدٍ مِنْهَا خَمْسَةُ أُرطال.

ما يُستدعى برسم ليالي الرقود الأربع الكائنات في رجب وشعبان^١، مما يُعمل بالإيوان برسم الخاصين والقصور خاصة: عشرون رطلاً، لكل ليلة خمسة أرتال.

وأما ما يُنصرف في الأسيمطة والليالي المذكورات، في الجامع الأزهر بالقاهرة والجامع الظاهري بالقاهرة، فالحكم في ذلك يُخرج عن هذه الخزائن، ويرجع إلى مشارف الدار الشعيذة. وكذلك ما يُستدعى المُستخدُمون في المطابخ الآيرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره، يرسم الأسيمطة لمدة تسعة وعشرين يوماً من شهر رمضان ويوم^٢ سلخه لأشواط فيه، وفي الأعياد جميعها بقاعة الذهب.

وما يُستدعى النائب برسم ضيافة من يُصرف من الأمراء في الخدم الكبار ويُعود إلى الباب، ومن يرد إليه من جميع الضيوف.

وما يُستدعى المُستخدُمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج، وهي الجملتان الكبيرتان فجميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن مُحاسبته ولا ذكر جملته؛ والمعاملة فيه مع مشارف الدار الشعيذة. وأما ما يُطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولائم والأفراح وإرسال الإنعام، فهو شيء لم تتحقق أوقاته ولا مبلغ استدعائه أنهى المملوك كان ذلك. وللمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به إن شاء الله تعالى^٣.

دار النقيب^٤

قال ابن المأمون: دار النقب كانت في الأيام الأفضلية تشتمل على مبلغ يسير، فانهى الأمر فيها إلى عشرة دنانير كل يوم، خارجاً عما هو موظف على البساتين السلطانية، وهو التزجس والتوفرين^٥ الأصفر والأحمر، والتخل الموقوف برسم الخاص، وما يصل إليه من القيوم وتغر الإشكندرية.

ومن جملتها نفقة القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة، ونفقة المناظر في الركوبات إلى الجمع في شهر رمضان، خارجاً عن نفقة الحُمامات وما يُحتمل كل يوم من الزهرة، ويرسم خزانة الكسوة الخاص، ويرسم المائدة، وتفرقة الثمرة الصيفية في كل سنة على

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: النينوفران.

^٢ ابن المأمون: أخبار مصر ٩٢-٩٤.

^٣ انظر فيما يلي ٥٢٢ - ٥٢٨.

الجهات والأمراء والمُستَخدمين والحوَاشي والأصحاب، وما يُحتمل لدار الوَزارَةِ والضُيُوف وحاشية دار الوَزارَةِ^١.

جِزَانَةُ الْأَدَم

- قَالَ: وَأَمَّا الرَّائِبُ مِنْ عِنْدِ بَرَكَاتِ الْأَدَمِيِّ، فَإِنَّهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَمَانُونَ^٢ زَوْجًا أُوْطِئَتْ، مِنْ ذَلِكَ: بِرِشْمِ الْخَاصِّ ثَلَاثُونَ زَوْجًا، بِرِشْمِ الْجِهَاتِ أَرْبَعُونَ زَوْجًا، بِرِشْمِ الْوَزَارَةِ عَشْرَةَ أَزْوَاجَ خَارِجًا عَنِ السُّبَاعِيَّاتِ، فَإِنَّهَا تُسْتَدْعَى مِنْ جِزَانَةِ الْكُشُوفَةِ، وَفِي كُلِّ مَوْسِمٍ تَكُونُ مَذْهَبَةً^٣.

خَزَائِنُ دَارِ أَفْتَكِينَ

- قَالَ ابْنُ الطُّوَيْقَرِ: وَكَانَتْ لَهُمْ دَارٌ كَبِيرَى يَسْكُنُهَا نَصْرُ الدَّوْلَةِ أَفْتَكِينَ الَّذِي وَافَقَ يَزَارَ بْنَ الْمُشْتَنَصِرِ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، جَعَلُوهَا بِرِشْمِ الْخَزْنِ، فَقِيلَ: خَزَائِنُ دَارِ أَفْتَكِينَ. وَتَحْتَوِي عَلَى أَصْنَافٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الشُّنْعِ الْمَحْمُولِ مِنَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَجَمِيعِ الْقُلُوبِ الْمَأْكُولَةِ مِنَ الْفُشْتَقِ وَغَيْرِهِ، وَالْأَعْمَالِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا، وَالسُّكَّرِ وَالْقَنْدِ وَالشُّبْرِجِ وَالزُّبَيْتِ.
- فَيَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْخَزَائِنِ بِيَدِ حَامِيهَا - وَهُوَ مِنَ الْأُسْتَاذِينَ الْمُمَيَّرِينَ - وَمُشَارِفُهَا - وَهُوَ مِنَ الْمُعَدِّلِينَ - رَائِبُ الْمَطَابِخِ خَاصًّا وَعَامًّا لِيَوْمٍ أَوْ لَأَيَّامٍ يَتَّقَى عَلَيْهَا^٤ لِلْمُسْتَعْدِمِينَ ثُمَّ لِأَرْبَابِ التَّوْقِيعَاتِ مِنَ الْجِهَاتِ، وَأَرْبَابِ الرُّسُومِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَرْبَابِ الرُّتَبِ، حَتَّى لَا يَخْرُجَ عَمَّا يَحْتَاجُونَهُ مِنْهَا إِلَّا اللَّحْمُ وَالْخَضِرَاوَاتُ، فَهِيَ أَبَدًا مَعْمُورَةٌ بِذَلِكَ. انْتَهَى^٥.

/عَبَّرَ يَزَارَ وَأَفْتَكِينَ - لَمَّا مَاتَ الْخَلِيفَةُ الْمُشْتَنَصِرُ بِاللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعَدَّ ابْنُ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي عَلِيٍّ مَنصُورٍ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ، بَاكَرَ الْأَفْضَلُ شَاهِنْشَاهُ ابْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ إِلَى الْقَصْرِ وَأَجْلَسَ أَبَا الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُشْتَنَصِرِ فِي مَنْعِبِ الْخِلَافَةِ وَلَقَّبَهُ بِـ«الْمُسْتَغْلِيِّ بِاللَّهِ». وَسَيَّرَ

(a) بولاق: ثمان. (b) بولاق: ينفق منها.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٩٩٤، ابن عبد الظاهر: الروضة ٤٨٨: ٦.

البهية ٤٤٣: المقرئ: مسودة المواعظ والاعتبار ١٦٢. ^٢ ابن الطوير: نزعة المقلتين ١٤٢-١٤٣: المقرئ:

^٣ نفسه ٩٤: نفسه ١٤٥: المقرئ: المقفى الكبير مسودة المواعظ ١٦١-١٦٢.

إلى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير إسماعيل أولاد المشتصير فجاءوا إليه ، فإذا أخوهم أحمد - وهو أصغرهم - قد جلس على سرير الخلافة ، فاشتقوا لذلك وشق عليهم . وأمرهم الأفضل بتقبل الأرض ، وقال لهم : قبلوا الأرض مولانا «المشتغلي بالله» وبايعوه ، فهو الذي نص عليه الإمام المشتصير قبل وفاته بالخلافة من بعده . فاشتقوا من ذلك وقال كل منهم إن أباه وعده بالخلافة .

وقال نزار : لو قطعت ما بايئت من هو أصغر مني سناً ، وخط والدي عندي باني ولي عهده وأنا أخضيره . وخرج مشرعاً ليخضر الخط ، فمضى لا يذري به أحد ، وتوجه إلى الإسكندرية . فلما أبطل ما حقيقه بتت الأفضل إليه ليخضر الخط ، فلم تعلم له خبراً ، فانزعج لذلك انزعاجاً عظيماً .

وكانت نفرة نزار من الأفضل لأمر : منها أنه خرج يوماً فإذا بالأفضل قد دخل من باب القصر وهو راكب ، فصاح به نزار : انزل يا أرمي الجنس ، فحقدتها عليه ، وصار كل منهما يكره الآخر . ومنها أن الأفضل كان يعارض نزاراً في أيام أبيه ، ويستخف به ، ويضع من خواشيه وأسبابه ، ويبتطش بعلمايه . فلما مات المشتصير خافه لأنه كان رجلاً كبيراً ، وله حاشية وأعوان ، فقدم لذلك أحمد بن المشتصير بعدما اجتمع بالأمرء وخوفهم من نزار ، وما زال بهم حتى واقفوه على الإغراض عنه . وكان من جعلتهم محمود بن مصال ، فسير خفيته إلى نزار ، وأعلمته بما كان من اتفاق الأفضل مع الأمرء على إقامة أخيه أحمد وإدارته لهم عنه . فاستعد للمسير إلى الإسكندرية هو وابن مصال .

فلما فازق الأفضل ليخضر إليه بخط أبيه ، خرج من القصر متكرراً وسار هو وابن مصال إلى الإسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين - أحد تمالك أمير الجيوش بذر الجمالي - ودخلا عليه ليلاً وأعلماه بما كان من الأفضل وتراميا عليه ، وعده نزار بأن يجعله وزيراً مكان الأفضل فقبلهما أتم قبول وبايع نزاراً ، وأخضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ، ونعت به «المصطفى لدين الله»^١ .

فبلغ ذلك الأفضل ، فأخذ تجهز لحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار إلى الإسكندرية ؛ فبرز إليه نزار وأفتكين ، وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر

(هـ) بولاق : قد وعده .

^١ يؤكد إعلان نزار لنفسه إماماً وخليفة في الإسكندرية ظهور دهنار جديد إلى النور عام ١٩٩٤م ، هو أول نموذج معروف من هذا النوع ، ضرب في الإسكندرية سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م في الوقت الذي ثار فيه نزار هناك . ويحمل هذا الدهنار الكتابة التالية : (المصطفى لدين الله • ودعا الإمام نزار) =

فيها الأَفْصَلُ وَرَجَعَ بِنَ مَعَهُ مِنْهُمَا إِلَى الْقَاهِرَةِ. فَقَرِيَ يَزَارُ وَأَتَتْكِينَ وَصَارَ إِلَيْهِمَا كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَاشْتَدَّ أَمْرُ يَزَارَ وَعَظُمَ وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ.

وَأَتَّخِذُ الْاَفْضَلُ بِنَجْمِهِ ثَانِيًا إِلَى الْمَسِيرِ مُحَازَةً يَزَارُ ، وَدَسَّ إِلَى أَكَابِرِ الْغُرَبَانِ وَوُجُوهِ أَصْحَابِ يَزَارِ
وَأَتَّكِينُ ^(٨) مَنِ اسْتَمَالَهُمْ إِلَيْهِ وَسَارَ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ انْهَزَمَ فِيهَا يَزَارُ وَأَتَّكِينُ ^(٩) ،

وصاروا إلى الإشكثارية فنزَلَ الأَفْضَلُ إليها وحاصَرَهَا حِصَارًا شَدِيدًا ، وَأَلْعَ في مُقَاتَلَتِهِمْ ، وَبَعَثَ إلى أَكَابِرِ أَصْحَابِ يَزَارٍ وَوَعَدَهُمْ . فَلَمَّا كَانَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وَقَدْ أَشَدَّ الْبَلَاءُ مِنَ الْحِصَارِ ، جَمَعَ إِبْنُ مَضَالٍ مَالَهُ وَقَرَّ فِي الْبَحْرِ إِلَى جِهَةِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي عَصَدِ يَزَارٍ وَتَبَيَّنَ فِيهِ الْإِنْكِسَارُ .

وَأَشَقُّهُ الْأَفْضَلُ وَتَكَاثَرَتْ جُمُوعُهُ، فَبَعَثَ زِيَارًا وَأَفْتَكِينَ إِلَيْهِ يَطْلُبَانِ الْأَمَانَ مِنْهُ فَأَتَتْهُمَا، وَدَخَلَ
الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ، وَقَبِضَ عَلَى زِيَارٍ وَأَفْتَكِينَ، وَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى الْقَاهِرَةِ. فَأَمَّا زِيَارٌ فَإِنَّهُ قُتِلَ فِي الْقَصْرِ بِأَنْ
أَقِيمَ بَيْنَ حَاطِلَيْنِ بُنِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ بَيْنَهُمَا، وَأَمَّا أَفْتَكِينَ فَإِنَّهُ قُتِلَهُ الْأَفْضَلُ بَعْدَ قُدُومِهِ^١.

ودارِ اُفتکینِ هذه كانت خارج القصر، وموضعها الآن حيث مدرّسة القاضي الفاضل^٢ وأدّره
بلدّ ب مَلُوحِيّا^٣.

خمسائة البسود

«البثود» هي الرايات والأعلام، ويُشبه أن تكون هي التي يُقال لها في زَمَننا «العصائب السلطانية».^٤

(a-a) ماقطة من بولاق .

التويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٤٤-٢٤٥، المقرئ: اتعاض
الحلقتا ١١٣-١١٤، المقفى الكبير ٢: ٢٢٨-٢٢٩، أمين
نفاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٠-٢٢٤، وفيما تقدم
١٩٨.

Daftary, F., «Hasan Sabbāh and the» -
Origins of the Nizārī Ismā'īlī Movement» in
Medieval Ismā'īlī History and Thought,
أهن «Cambridge University Press 1996, p. 194
فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر (٢٢٢).

^۲ انظر فيما يلي ۲: ۳۶۶.

٢ المقرري : مسودة الموعظ ١٦٢.

⁴ قارن ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (ممالك

مضمون (والشام) ٣٢، ٣٨.

^١ راجع خبر نزار وأفندي كملك عند، ابن ميسر: أخبار مصر ٥٩-٦١ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٠: ٢٣٧-٢٣٨ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطارقة الكنيسة ٢/ ٣: ٢٤٤-٢٤٥ ابن خلكان: وفیات الأعيان ١: ٤٤٠.

وكانت خزانة البثود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد ، بناها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله ، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع ، (هـ) على ما ذكر ابن أبي طي في «تاريخه»^١ .

وكانت أيام الظاهر هذا سكوتا وطمانينة ، وكان مُشتغلا بالأكل والشرب والنزه وسماع الأغاني . وفي زمانه تألق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ المغاني^(ب) والرقاصات ، وتلغ من ذلك المبالغ العجيبة ، وأخذت له حجرة^(ج) الممالك ، وكانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم وأنواع آلة الحرب ، وصنوف جيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك ، (د) ذكر ذلك ابن أبي طي في سنة ٤٢٧ (د) ٢٧ .

وقال في كتاب «الذخائر والتحف» (د) وما كان بالقصر من ذلك وهو يجمع بعض المصريين مجهول المصنّف وفيه فوائد جمة ومنه نقلت ما نصّه^(د) : ولما وهب السلطان - يعني الخليفة المستنصر - لسعد الدولة المعروف بـ «سلام عليك» ، ما في خزانة البثود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك ، في اليوم السادس من صفر سنة إحدى وستين وأربع مائة ، حمل جميعه ليلا . وكان فيما وجد/ سعد الدولة فيها ألف وتسع مائة درقة لمطي^(هـ) ، إلى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبثود وما سواه . وفي خلال ذلك سقط من بعض القراشين نقط شمع يتوقد نارا ، فصادف هناك أعدال كئان ومتاعا كثيرا ، فاحترق جميعه . وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العائمة والأشواق^٣ .

وأعلمني من له خيرة بما كان في خزانة البثود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والأمتعة والذخائر لا تُعرف^(هـ) له قيمة عظمتا ، وأن المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار إلى ثمانين

a-a) إضافة من المسودة ، وفي الأصول : قال ابن أبي طي : خزانة البثود أنشأها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع . (b) بولاق : الأغاني . (c) بولاق : حجرة . (d-d) إضافة من المسودة . (e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : يعرف .

^١ كانت خزانة البثود تُكوّن القسم الأكبر من المباني التي يحدها اليوم من الشمال شارع قصر الشوق ومن الشرق امتداد نفس الشارع ودرب القرازين ومن الجنوب عطفة القوازين . ويقسم هذه المباني قزب علي الدين الذي يخرقها من الشرق إلى الغرب (راجع Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 268-69) .
^٢ المقريري : مسودة المواظظ ١٤١ .
^٣ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥١ : المقريري : مسودة المواظظ ١٤١-١٤٢ ، اعطاء الحنفا ٢ : ٢٨٠ .

ألف دينار، من وقت دُحُول القَائِد جَوْهَر وبناء القَصْرِ من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة إلى هذا الوقت، وذلك زائِدٌ عن مائة سنة، وأنَّ جميعه باقٍ فيها على الأيام لم يتغيَّر، وأنَّ جميعه اختَرَقَ حتى لم يَبْقَ منه باقية ولا أَثَرٌ، وأَنَّهُ اختَرَقَ في هذه الليلة من قَرَابَاتِ الثَّقُفِ عشرات أُلُوفٍ، ومن زُرَافَاتِ الثَّقُفِ أمثالها. فأما الدَّرَقُ والسُّيُوفُ والرِّمَاحُ والنُّشَابُ فلا تُحْصَى بوجه ولا سَبَبٍ، مع ما فيها من قُصْبِ الفِضَّةِ وثيابها المذهبة وغيرها، والبُثُودُ المَحْمَلَةُ، وسروج ولحم، وثياب الفُرْجِيَّةِ المصبَّغَاتِ والبَنَادِينِ وغيرها، بعد أن أَخَذُوا ما قَدَرُوا عليه، حتى لَوَّاهُ الحَمْدُ وسائر البُثُودِ وجميع العلامات والألوية والرايات^(٨).

وحَدَّثَنِي من أَتَى به ^(٩)أيضًا أَنَّهُ احترق فيها من السُّيُوفِ عَشْرَاتِ أُلُوفٍ وما لا يُحْصَى كثرةً، وأنَّ السُّلْطَانَ بعد ذلك بِمُدَّةٍ طويلةٍ احتاج إلى إِخْرَاجِ شَيْءٍ من السِّلَاحِ لبعض مُهِمَّاتِهِ، فَأَخْرَجَ من خِزَانَةِ واحدةٍ - ممَّا بقي وسَلِمَ - خمسة عشر ألفَ سَيْفٍ مُجَوَّهَةٍ سِوَى غيرها. ^(١٠)حَدَّثَنِي بِجَمِيعِهِ الأَجَلُ عَظِيمُ الدَّوْلَةِ متولِّي السُّنَنِ الشَّرِيفِ ^(١١). انتهى.

وَجُعِلَت خِزَانَةُ البُثُودِ بعد هذا الحَرِيقِ حَبَسًا. وفيها يقول القاضي المَهْدُبُ بن الرُّبَيْرِ^٢ لما اغْتَقِلَ بها، وَكَتَبَ بها للكَامِلِ بن شَاوَرٍ:

[الطويل]

أَيُّهَا صَاحِبَتِي سِجْنُ الخِزَانَةِ خَلَّتِيَا
وَقَوْلًا لِمَنْزُومِ الصَّبِيحِ هَلْ أَنتِ عَائِدَةٌ
وَلَا تَيَّأَسِيَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْ أَرَى
نَسِيمَ الصَّبَا يُوسِلُ إِلَى كَيْدِي تَفْخَعَا
إِلَى نَظَرِي أَمْ لَا أَرَى بِقَلْبِهَا ضُبْحَا؟
سَرِيعًا بِفَضْلِ الكَامِلِ الْقَفْوُ وَالصَّفْحَا

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) ساقطة من الدخائر. (c-c) ساقطة من بولاق.

^١ الرشيد بن الزبير: الدخائر والتحف ٢٥١-٢٥٢؛ المقرئ: المسودة ١٤١-١٤٣؛ ونقل ابن عبد الظاهر هذا الخبر في الروضة البهية ٤٦-٤٧؛ وسبقه بالمعبرة الثالثة: «ورأيت كتابًا ذُكِرَ فيه جملة من الدخائر والهدايا والتحف وشيء من أخبار الدولة المصرية، قال: أخبرني عظيم الدولة صاحب السنن أن مبلغ ما كان»

الملقب بالقاضي المهذب بن الزبير، المتوفى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م (العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ٢٠٤:١-٢٢٥؛ ياقوت: معجم الأدباء ٤٧:٩-٤٧:١٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢:١٣١-١٣٨؛ ابن شاعر: فوات الوفيات ١:٣٣٧-٣٤١؛ المقرئ: الملقى الكبير ٣:٣٤٦-٣٤٨).

^٢ القاضي المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن إبراهيم

وقال :

[الطويل]

أَيُّمَا صَاحِبِي سَجَنِ الْخِوَانَةِ خَلَّيْنَا مِنْ الصُّبْحِ مَا يَتَدَوُّ سَنَاءً لِنَاطِرِي
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَكْرَفِي سَاهِرٍ عَلَى طَوِيلِ هَذَا اللَّيْلِ أَمْ غَيْرِ سَاهِرٍ ؟
وَمَالِي مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ أَذَاكُمَا بِيَوْمِ مَلِكِ الدُّنْيَا شَجَاعِ بْنِ شَاوِرِ ٥

واستمرت سجنًا للأُمراء والوزراء والأغنياء إلى أن زالت الدولة ، فأتخذها ملوك بني أئوب
أيضًا سجنًا يُقتل فيه الأُمراء والمماليك ٢ .

ومن غريب ما وقع بها أَنَّ الوزيرَ أحمد بن علي الجزجرائي لما توفي ، طَلَبَ الوِزَارَةَ الحسن بن
علي الأتباري فأجيب إليها ، فتعجل من سوء التدبير قَبْلَ تمامه ما قُوَّتُهُ مُرَادُهُ ، وَصَيَّعَ مَالَهُ
ونفسه ٣ . وذلك أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَبَيَّنَ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَخَوَانِ يَهُودِيَّانِ يَتَصَرَّفَانِ أَحَدُهُمَا فِي التَّجَارَةِ ،
وَالْآخَرُ فِي الصَّرْفِ وَيَبِيعُ مَا يَحْمِلُهُ التُّجَّارُ مِنَ الْيَرَّاقِ ، وَهُمَا أَبُو سَعْدٍ إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَصْرٍ هَارُونَ ابْنَا سَهْلٍ
الشُّشْرِيِّ ، وَاشْتَهَرَ مِنْ أَثَرِهِمَا فِي الْبُيُوعِ وَإِظْهَارِ مَا يَحْصُلُ عَنْدهمَا مِنَ الزُّدَائِعِ الْخَفِيَّةِ لِمَنْ يُقْتَنَدُ مِنَ
التُّجَّارِ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ ، مَا يَنْشَأُ بِهِ جَمِيلُ الذِّكْرِ فِي الْآفَاقِ ، فَاتَّسَعَ حَالُهُمَا لِذَلِكَ .

وَاسْتَحْدَمَ الْخَلِيفَةُ الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبَا سَعْدٍ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَهْلٍ الشُّشْرِيِّ فِي إِيْتِيَاعِ مَا يَخْتِاجُ
إِلَيْهِ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْتَةِ ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ فَبَاعَ لَهُ جَارِيَةً سَوْدَاءَ فَتَحَضَّطَى بِهَا الظَّاهِرُ وَأَزَلَّهَا ابْنُهُ
الْمُسْتَشِيرُ . فَرَعَتْ لِأَبِي سَعْدٍ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى الْمُسْتَشِيرِ وَلَدَهَا ، قَدَّمَتْ أَبَا سَعْدٍ
وَتَخَصَّصَتْ بِهِ فِي خِدْمَتِهَا ٤ .

فَلَمَّا مَاتَ الْوَزِيرُ الْجَزْجَرَانِيُّ ، وَتَكَلَّمَ ابْنُ الْأَتْبَارِيِّ فِي الْوِزَارَةِ ، قَصَدَهُ أَبُو نَصْرٍ أَخُو أَبِي سَعْدٍ ،
فَجَبَّهَ أَخَذَ أَصْحَابَهُ بِكَلَامِ مُؤَلِّمٍ ، فَظَنُّ أَبُو نَصْرٍ أَنَّ الْوَزِيرَ ابْنَ الْأَتْبَارِيِّ إِذَا بَلَغَهُ ذَلِكَ يُتَكَرَّعُ عَلَى
عُلَامِهِ وَيَحْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ مِنْهُ خِلَافٌ مَا ظَنَّهُ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُ أَضْعَافُ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْعُلَامِ ، فَشَكَا ذَلِكَ ٥

٢ انظر كذلك ابن ميسر : أخبار مصر ٣-٥ ، ١٢٥
ناصر خسرو : سفرنامه ١٠٨-١٠٩ التويزي : نهاية الأرب
٢٨ : ٢٢٥ للتويزي : انماط الخلفاء ١٩٥:٢-١٩٦ ،
Fishel, W. I., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, N.Y. 1969, pp. 68-89.

١ هذا الخبر نقله المقرئ في المسودة عن ابن عبد الظاهر وهو
موجود في الروضة الزاهرة ٤٧-٤٨ ، وانظر الأبحاث عند محمد
عبد الحميد سالم : شعر المذهب بن الزبير - تحقيق ودراسة ، القاهرة
- هجر للطباعة والنشر ١٩٨٨ ، ١٨٢ ، ١٩٥ .

٢ المقرئ : مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٤ .

٣ سيفصل المقرئ هذا الخبر بعد قليل .

إلى أخيه أبي سغد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما . فلم يفتؤ أبو سغد عن ابن الأتباري ، وأغزى به أم المشتصير مولاته ، فتحدثت مع ابنها الخليفة المشتصير في أمره حتى عزله عن الوزارة . فسعى أبو سغد عند أم المشتصير لأبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي في الوزارة ، فاستوزره المشتصير ، وتولى أبو سغد الإشراف عليه ، وصار الوزير الفلاحي مثقالا لأبي سغد تحت حكمه .

- وَأَخَذَ الْفَلاحِيَّ يَعْمَلُ عَلَى ابْنِ الْأَتْبَارِيِّ وَيُعْرِِي بِهِ ، وَيَضَعُ عَلَيْهِ دُنُوبًا^٨ ، وَيَذْكُرُ عَنْهُ مَا يُوجِبُ الْقَضَبَ عَلَيْهِ حَتَّى تَمَّ لَهُ مَا يُرِيدُ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِمَّا كَانَ يَتَوَلَّاهُ قَدِيمًا ، وَأَلْزَمَهُ بِحِفْلِهَا ، وَتَوَعَّ لَهُ أَصْنَافَ الْعُدَابِ ، وَاسْتَضْفَى أَمْوَالَهُ وَهُوَ مَعْقُولٌ / بِخِرَازَةِ الْبُثُودِ ، ثُمَّ قَتَلَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْخَامِسِ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ بِهَا^١ .

- فَاتَّفَقَ أَنَّ الْفَلاحِيَّ لَمَّا صُرِفَ عَنِ الْوِزَارَةِ ، اعْتَقَلَ بِخِرَازَةِ الْبُثُودِ حَيْثُ كَانَ ابْنُ الْأَتْبَارِيِّ ثُمَّ قُتِلَ بِهَا . وَحُفِرَ لَهُ لِيُدْفَنَ فَظَهَرَ فِي الْحَفْرِ رَأْسُ ابْنِ الْأَتْبَارِيِّ ، قَبْلَ أَنْ يُخْضَى فِيهِ الْقَتْلُ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، هَذَا رَأْسُ ابْنِ الْأَتْبَارِيِّ أَنَا قَتَلْتُهُ وَدَفَنْتُهُ ههنا ، وَأَنْشَدَ :

[الخفيف]

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا يَرَاوَا ضاحِكًا مِنْ تَرَاخُمِ الْأَصْدَادِ

فَقُتِلَ وَدُفِنَ فِي تِلْكَ الْحَفْرَةِ مَعَ ابْنِ الْأَتْبَارِيِّ ، فَقَدْ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ الْأَتْفَاقِ^٢ .

- ثُمَّ إِنَّ خِرَازَةَ الْبُثُودِ جُعِلَتْ مَنَازِلَ لِلْأَسْرَى مِنَ الْفِرْنَجِ الْمَاسُورِينَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ أَيَّامَ كَانَتْ مُحَازَبَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ . فَأَنْزَلَ بِهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْأَسْرَى بَعْدَ حُضُورِهِ مِنَ الْكَرْكِ ، وَأَبْطَلَ السَّجْنَ بِهَا . فَلَمْ يَزَالُوا فِيهَا بِأَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ . فَصَارَ لَهُمْ فِيهَا أَفْعَالٌ قَبِيحَةٌ وَأَمْوَرٌ مَنكَرَةٌ شَنِيعَةٌ مِنَ التَّجَاهُرِ بِبَيْعِ الْحَفَرِ ، وَالتَّظَاهُرِ بِالزُّنَا وَاللِّبَاطَةِ ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ يَدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ أَبْزَابِ الدُّيُونِ وَأَصْحَابِ الْحَرَائِمِ وَغَيْرِهِمْ ، فَلَا يُقَدَّرُ أَحَدٌ - وَلَوْ جُلَّ - عَلَى أَخْذِ مَنْ صَارَ إِلَيْهِمْ وَاحْتَمَى بِهِمْ وَالسُّلْطَانُ يُغْضِي عَنْهُمْ لَمَّا يَرَى فِي ذَلِكَ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَصْلَحَةِ ، وَالسِّيَاسَةِ الَّتِي اقْتَضَاهَا الْحَالُ مِنْ مَهَادَنَةِ مُلُوكِ الْفِرْنَجِ .

(a) بولاق : ويصنع عليه ديونا .

^١ نقل المقرئ في هذا الخبر في مسودة المواقظ ١٤٨ - هذا النصّ نسبه المقرئ في المسودة إلى ابن ميسر وهو موجود في أخبار مصر ٨ - ٩٩ والبيت المذكور لأبي العلاء المرعي .

^٢ من كتاب «تاريخ وزراء المصريين» لمن يدعى يحيى بن سعيد ، وهو مبصر غير معروف لنا .

وكان يَسْكُنُ بالقرب منها الأمير الحاج آل مَلِك الجُوكندار^١، ويتلغَّه ما يفعله الفِرْنَجُ من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم. وفُحِّشَ أمرهم، فزُفِعَ الخبرُ إلى السلطان، وأكثر من شكايتهم غير مَرَّة، والسلطان يتغافل عن ذلك إلى أن تَكَثَّرَت مَقَاوِضُ الحاج آل مَلِك للسلطان في أمرهم، فقال له السلطان: انتقل أنت عنهم يا أمير. فلم يَسْمَعْهُ إِلَّا الإغراض عن ذلك جملةً، وعَمَّرَ دارَه التي بالحُسَيْنِيَّة والإسْطَبَل والجامع المعروف بجامع آل مَلِك والحَمَام والفُنْدُق^٢، وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البُثُود، وسَكَنَ بالحُسَيْنِيَّة إلى أن مات السلطان الملك الناصر في أخريات سنة إحدى وأربعين وسبع مائة.

وتَقَبَّلَ الملك في أولاده إلى أن جَلَسَ الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وضَرَبَ سُورَى على مَنْ يكون نَائِبَ السُّلْطَانَةِ^٣ بالديار المصرية يُدَبِّرُ أحوال المملكة. كما كانت العادة في ذلك مُدَّة الدولة التركية. فأشِيرَ بتولية الأمير بدر الدين جُنْكَلِي بن البابا^٤، فتَمَصَّلَ من ذلك وأَتَى قبوله. ففَرَضَت النِّيَابَةُ على الأمير الحاج آل مَلِك، فاشتَبَشِرَ وقال: لي شروطُ أَشْرَطَها على السلطان، فإن أَجَابَتني إليها فَعَلْتُ ما يَرِيسُ به، وهي: ألا يُفْعَلَ شيء في المملكة إِلَّا بِرَأْيي، وأن يَمْنَعَ النَّاسُ من شُرْب الخمر، ويُقَامَ مَنَارُ الشَّرْع، ولا يُفْتَرَضَ على أمرٍ من الأمور فأُجِيبَ إلى ما سأل.

وأُحْضِرَت التَّشَارِيفُ، فَأُفِيضَت عليه بالجامع من قَلْعَةِ الجَبَل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبع مائة، وأَصْبَحَ يوم السبت جالِسًا في دار النِّيَابَةِ من القَلْعَةِ، وحَكَّمَ بين الناس. وأوَّلَ ما بدأ به أن أَمَرَ والي القاهرة بالثُرُولَ إلى خزانة البُثُود، وأن يَخْتاطَ على جميع ما فيها من الخمر والقَوَاجِش، ويُخْرِجَ الْأَشْرَى منها، ويَهْدِمَهَا حتى يجعلها ذَكَاً وَيُسَوِّيَ بها الأرض. فَتَزَلَّ إليها معه الحاجِبُ في عِدَّةٍ وافِزَةٍ، وَهَجَمُوا على مَنْ فيها وهم آمِنُونَ، وأحاطُوا بسائر ما تَشْتَمِلُ عليه. وقد اجْتَمَعَ من العامة والفُزَعَاء ما لا يَقَعُ عليه حَضَرٌ. فأَرَأَوْا منها خُمُورًا كثيرة تتجاوز الحدَّ في الكثرة، وأُخْرِجَ مَنْ كان فيها من النِّسَاءِ الْبَغَايَا وغيرهن من

^١ ١٣٤٥م (الصفدي: أعيان العصر ١: ١٦٣-١٦٦، الوافي

انظر عنه فيما يلي ٣١٠:٢-٣١١.

^٢ ١٩٩:١١-١٢٠١ المقيري: المقفى الكبير ٣: ٧٥-٧٧،

انظر عنها فيما يلي ٣١٠:٢.

^٣ السلوك ١: ٨٧١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٧٦، أبو

^٤ عن نيابة السُّلْطَانَةِ انظر فيما يلي ٢١٥:٢.

الحاسن: للنهل ٥: ٢٢-٢٥، النجوم ١٠: ١٤٣).

^٤ الأمير بدر الدين جُنْكَلِي بن محمد بن البابا بن جُنْكَلِي

ابن خليل بن عبد الله العجلي، المتوفى سنة ٨٧٤٦هـ/

الشباب وأزباب الفساد، وقُبِضَ على الفِرْعَنْج والأَرَمَن، وَهَدَمَهَا حتى لم يَبْقَ لها أَثَرٌ.
وَوُدِيَ في النَّاسِ فَحَكَّرُوهَا، وَبَنُوا فِيهَا الدُّورَ والطُّوْحِينَ على مَا هِيَ عَلَيْهِ الآنَ، وَأَمَرَ
بِالْأَشْرَى فَأُنْزِلُوا بِالْقُوبِ مِنَ الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ بِجِوَارِ كَيْمَانَ مِصْرَ فَمِنْ هُنَا إِلَى الآنَ، وَأُنْزِلَ مَنْ
كَانَ مِنْهُمْ أَيْضًا بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فَأُشْكِنُوا مَعَهُمْ.

- وَطَهَّرَ اللهُ تِلْكَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ، وَأَرَاخَ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّهِمْ، فَإِنَّهَا كَانَتْ شَرَّ بُقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ
الْأَرْضِ: يُبَاعُ فِيهَا لَحْمُ الْخَيْزُرِ عَلَى الْوُطْمِ كَمَا يُبَاعُ لَحْمُ الضَّئَانِ، وَيُقَصَّرُ فِيهَا مِنَ الْخُمُورِ
فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ حَصْرَهُ، حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُقَصَّرُ بِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ
جَرَّةٍ خَمْرٍ، وَيُبَاعُ فِيهَا الْخَمْرُ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ رطلًا بِدِرْهَمٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْغُشُوقِ^١.

دَارُ الْفِطْرَةِ

- ١٠ قَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: دَارُ الْفِطْرَةِ خَارِجُ الْقَصْرِ بَنَاهَا الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا، وَفَرَّزَ فِيهَا مَا
يُعْمَلُ مِمَّا يُحْتَمَلُ إِلَى النَّاسِ فِي الْعِيدِ. وَهِيَ قُبَالَةَ بَابِ الدَّيْلَمِ مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَى الْمَشْهَدِ
الْحُسَيْنِيِّ.

- ويكون مبدأ الاستعمال فيها تحصيل جميع أصنافها من الشُّكْرِ وَالصَّبَلِ وَالْقُلُوبِ
وَالزُّعْفَرَانِ وَالطَّيْبِ وَالذَّقِيقِ، لِاسْتِقْبَالِ النُّصَفِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ كُلِّ سَنَةٍ لَيْلًا وَنَهَارًا،
مِنْ الْخُشْكَنْجِ^٢ وَالتَّبَسُّدُودِ، وَأَصْنَافِ الْفَانِيدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ كَقَب/ الْقَزَالِ، وَالتَّبَزْمَاوَزْدِ^٣

رطل ثلاثة أوقي شيرج ويُغَمِّنُ صَجَّتًا قَوِيًّا وَيُحَرِّكُ حَتَّى
يَخْتَمِرَ، ثُمَّ يُقَرَّصُ مَسْطِيلاً وَيَجْعَلُ فِي وَسْطِ كُلِّ وَاحِدَةٍ
بِمَقْدَارِهَا مِنَ اللُّوزِ وَالسُّكَّرِ الْمَدْقُوقِ الْمَعْجُونِ بِمَاءِ الْوَرْدِ
الْمَطْبُوعِ، وَلِيَكُنَ اللُّوزُ مِثْلَ نِصْفِ السُّكَّرِ، ثُمَّ يَجْمَعُ عَلَى
الْعَادَةِ وَتُخَبَّرُ فِي الْفَرْنِ وَتُرْفَعُ. (البغدادي: كتاب الطبخ
٧٨).

^٣ التَّبَزْمَاوَزْدُ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا التَّبَزْمَاوَزْدُ. مَرْبُوبٌ، وَهُوَ
الْوَقَاقُ الْمَلْفُوفُ بِاللَّحْمِ (المغرب ٢٢١). وَصِفَةُ عَمَلِهِ أَنَّ
يُؤْخَذُ الشَّوَاءُ الْخَارِ الَّذِي قَدْ نَزَرَ وَهَجَهُ وَيُقَطَّعُ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ
وَرَقُ الثَّقَفِ وَيَسِيرُ مِنْ تَحْتِ لَيْمُونٍ مَمْلُوحٍ وَلَسَبَ جَوْزٍ وَيُغْرَسُ
عَلَيْهِ بِسِيرِ مَاءِ زَرْدٍ وَيُدَقَّقُ بِالسَّاطُورِ دَقًّا نَعِيمًا، وَلَا يُزَالُ =

^١ قَارَنَ الْقُرَيْزِيُّ: مَسُودَةُ الْمَوَاحِظِ ١٤٤-١٤٨ الَّذِي
أُورِدَ الْخَبَرُ فِي رَوَاتَيْنِ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نَقْلًا عَنْ كِتَابِ «نَزْهَةِ
النَّاطِلِ فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَمِنْ وَلِيِّهِ مِنْ أَوْلَادِهِ،
لِعِمَادِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى الْبُوسَفِيِّ عَنْ نَسْخَةٍ
بَخِطَ الْمُؤَلِّفُ مِنْ فَصْلِ حَتَوَانِهِ «ذِكْرُ نِبَاهَةِ الْحَاجِّ آلِ مَلِكٍ» وَهُوَ
غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الْجُزْءِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ. وَانْظُرْ
الْقُرَيْزِيُّ: السُّلُوكُ ٢: ٦٤٠-٦٤١ إِبْنُ إِبْرَاهِيمَ: بِدَائِعِ الزُّهْرِ
١/١: ٤٩٩-٥٠٠ وَفِيهَا يَلِي ٣٦: ٢.

^٢ الْخُشْكَنْجُ، وَهُوَ أَيْضًا الْخُشْكَنْجَانُ. فَارْسِيٌّ مَرْبُوبٌ،
هُوَ دَقِيقُ الْحَيْضَةِ إِذَا عَجِنَ بِشِيرِجٍ (الجوالقي: المغرب ١٨٢).
وَصِفَةُ عَمَلِهِ أَنْ يُؤْخَذَ الدَّقِيقُ السَّمِيدُ الْفَاتِقُ وَيَجْعَلُ عَلَى كُلِّ

والمُستَنق (a)، وهو شواير مثال الصنّج .

والمُستَخْدَمون يُزَفَعون ذلك إلى أُمَاكِنَ وَسِيعَةٍ مَصُونَةٍ ، فيحصل منه في الحاصل شيءٌ عَظِيمٌ هائلٌ يد مائة صايغ : وللخلاويين مقدّم ، وللخُشْكَنَانِيّين آخَر . ثم يُثَدَّب لها مائة قَرَّاشٍ لِحَمَل طيافير التفرقة على أرباب الرسوم ، خارجا عمن هو مُرتَّب لخدمتها من القَرَّاشين الذين يَحْفَظون رُسُومَهَا وَمَوَاعِينَهَا الحاصلة بالذائم ، وعدّتهم خمسة .

فيحضر إليها الخليفةُ والوزيرُ معه ، ولا يَصْحَبُهُ في غيرها من الخزانين لأنّها خارج القصر وكلّها للتفرقة . فيجلس على سريره بها ، ويجلس الوزيرُ على كُرسي مُلَيَّن^(b) على عادته في النصف الثاني من شهر رَمَضَان ، ويدخل معه قَوْمٌ من الخواص ، ثم يُشَاهِد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعبأة مثل الجبال من كلِّ صنف ، فيفترقها من رُبْع قنطار إلى عشرة أُرطال إلى رَطْلٍ واجد وهو أقلّها . ثم ينصرف الخليفةُ والوزيرُ بعد أن يُنْعِم على مُستَخْدَميها بستين دينارًا .

ثم يُعْضَر إلى حاميتها ومُشارفها الأذعيةُ المعمولة المُخَرَّجَة من «دَقَر المجليس» ، كلُّ دَعْوٍ لَفَرِيْقٍ فَرِيْقٍ من خاصٍّ وغيره ، حتى لا يبقى أحدٌ من أرباب الرسوم إلّا واسمه وارِدٌ في دَعْوٍ من تلك الأذعية .

ويُثَدَّب صاحبُ الدِيَوَانِ الكُتَّابُ المُسْلِمِينَ في الدِيَوَانِ ، فيُسَيَّرهم إلى مُستَخْدَميها ، فيَسَلِّمُ كُلُّ كَاتِبٍ دَعْوًا أو دَعْوَيْنِ أو ثلاثة ، على كثرة ما تحويه وقلته ، ويُؤَمَّر بالتفرقة من ذلك اليوم ، فيَقْدَمون أَبَدًا مائتي طَيِّفُورٍ من العالي والوسط والدُّون ، فيحملها القَرَّاشون بِرِقَاعٍ من كُتَّاب الأذعية باسم صَاحِبِ ذلك الطَيِّفُورِ غَلا أو دَنا ، وينزل اسم القَرَّاش^(c) أمام اسمه^(d) بالدَّعْوِ وعَريفه حتى لا يَضِيع منها شيءٌ ولا يَخْتَلَط .

ولا يزال القَرَّاشون يَخْرُجون بالطيافير مَلَأَى ويدخلون بها فارغة ، فبمقدار ما تُحْمَلُ المائة الأولى عبت المائة الثانية ، فلا يَفْتَر ذلك طول التفرقة . فَأَجْلُ الطيافير ما عَدَدُ خُشْكَنَانِه مائة حبة ،

(a) بولاق : الفستق . (b) بجوارها في آياصوفيا : كذا . (c-c) ساقطة من بولاق .

= يعني خلأ إلى أن يشربه جيدًا . ويؤخذ الخبز السميد الغاليق الملبب فيخرج لبايه ثم يُغشى من ذلك الشواء خَشَوًا جيدًا ويُفْلَع بالسكين قطعًا متوسطة مستطيلة . ويؤخذ بركن فخار بيل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش فيه نعنح طري ويبقى فيه بعضه فوق بعض ثم يغطي أيضًا بشيء من التفتع ويترك ساعة ويستعمل ويؤكل أيضًا باننا فيكون طيبًا (نفسه ٥٩) .

بركن فخار بيل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش

ثم إلى سبعين وخمسين . ويكون على صاحب المائة طَرْحَة فوق قَوَارِثِهِ^١ ، ثم إلى خمسين ، ثم إلى ثلاث وثلاثين ، ثم إلى خمس وعشرين ، ثم إلى عشرين . ونسبة منشور كلٍّ واجِدٍ على عَدَدِ حُشْكَنَاتِهِ . ثم العَبِيدُ السُّودَانُ بِغَيْرِ طَيَّافِيرٍ ، كُلُّ طَائِفَةٍ بِتَسْلَمَةٍ لَهَا عُرْفَاؤُهَا فِي أَفْرَادِ الْخَوَاصِ ، لِكُلِّ طَائِفَةٍ عَلَى مِقْدَارِهَا ؛ الثَّلَاثَةُ الْأَفْرَادِ وَالْخَمْسَةُ وَالسَّبْعَةُ إِلَى الْعِشْرَةِ . فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْقَضِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، وَلَا يَفُوتُ أَحَدًا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَتَهَادَاهُ النَّاسُ فِي جَمِيعِ الْإِقْلِيمِ .

قال : وما يُنْفَقُ فِي دَارِ الْفِطْرَةِ ، فِيمَا يُفْرَقُ عَلَى النَّاسِ مِنْهَا ، سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ^٢ .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ : دَارُ الْفِطْرَةِ بِالْقَاهِرَةِ قُبَالَةَ مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهِيَ الْفُنْدُقُ الَّذِي بَنَاهُ الْأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ بَهَائِرُ الْآنَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٣ ؛ أَوَّلُ مِنْ رَجَبِهَا الْإِمَامُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مِنْ سَنَتِهَا .

وكانت الْفِطْرَةُ - قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ الْأَفْضَلُ إِلَى مِصْرَ - تُعْمَلُ بِالْإِيوَانِ وَتَفْرَقُ مِنْهُ^٤ ؛ وَعِنْدَمَا تَحْوَلُ إِلَى مِصْرَ تَقْلُ الدَّوَّارِينَ مِنَ الْقَصْرِ إِلَيْهَا ، وَاسْتَجَدَّ لَهَا مَكَانًا قُبَالَةَ دَارِ الْمُلْكِ ، (لَا دِيوَانِي^٥) الْمَكَاتِبَاتِ وَالْإِنْشَاءَ فَإِنَّهُمَا كَانَا بِقَرْبِ الدَّارِ ، وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِمَا مِنَ الْقَاعَةِ الْكَبِيرَى الَّتِي فِيهَا جُلُوسُهُ^٥ .

ثم استجَدَّ لِلْفِطْرَةِ دَارًا عُمِلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَوُاقَّةً ، وَهِيَ الْآنَ دَارُ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ الْأَقْرَمِ بِمِصْرَ قُبَالَةَ دَارِ الْوَكَاةِ^٦ ، وَعُمِلَتْ بِهَا الْفِطْرَةُ مُدَّةً ، وَفُرِقَ مِنْهَا إِلَّا مَا يَخُصُّ الْخَلِيفَةَ وَالْجِيهَاتِ وَالسَّيِّدَاتِ

(a) بولاق : يايواني .

^١ قَوَارِثُ جَدِّ قَوَارَاتٍ . مَا قُوِّرَ مِنَ الثَّوبِ وَغَيْرِهِ ، وَمَا قَطَعَتْ مِنْ جَوَانِبِ الشَّيْءِ (الْفَرُوزْأَبَادِي : الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ٦٠٠) . وَكَانَتِ الْقَوَارَاتُ تُسْتَعْمَلُ فِي تَغْطِيَةِ الصَّوَانِي ، يَقُولُ ابْنُ الْمَأْمُونِ : كَانَ يَسْتَعْمَلُ فِي الطَّرَازِ لِلْوَلَامِ الَّتِي تَتَخَذُ بِرِسْمِ تَغْطِيَةِ الصَّوَانِي عِلَّةً مِنْ عَرَاضِي دِيْقَتِي ، ثُمَّ قَوَارَاتٍ شَرِبَ تَكُونُ مِنْ تَحْتِ الْعَرَاضِي عَلَى الصَّوَانِي مَفْتَحَ كُلِّ قَوَارَةٍ مِنْهُنَّ دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْيَارٍ (فِيْمَا يَلِي ٥٤٣: ٥) .

^٢ ابْنُ الطَّوِيلِ : نَزَعَهُ الْمُقَلَّتَيْنِ ١٤٣-١٤٦ الْمَقْرِيزِي : مِسْوَدَةُ الْوَاعِظِ ١٧٣-١٧٤ وَقَارَنَ الْقَلْفَشَنَدِي : صَبَحَ الْأَعْنَى ٣: ٥٢٥ .

^٣ هَذَا تَارِيخُ تَدْوِينِ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ لِكِتَابِهِ ، وَلَمْ يَفْرَدِ سِوَاهُ ابْنَ عَبْدِ الظَّاهِرِ أَوْ الْمَقْرِيزِي هَذَا الْفُنْدُقَ بِحَدِيثٍ مُسْتَقِلٍّ ، وَإِنَّمَا أَفْرَدَ الْمَقْرِيزِي حَدِيثًا لِدَارٍ يَهَادِرُ بِجَوَارِ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ الَّتِي يَبْدُو أَنَّهَا هِيَ الْمَقْصُودَةُ (الْمَقْرِيزِي : مِسْوَدَةُ الْوَاعِظِ ٣٩٨-٤٠٠ ، وَفِيْمَا يَلِي ٦٧: ٢-٦٨) .

^٤ أَبُو الْهَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٤: ١٢٢ .

^٥ انْظُرْ فِيمَا يَلِي ٥٧٤ ، ٢: ٢٩١ .

^٦ كَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ فِي الْفَسْطَاطِ وَقَدْ اشْتَرَاهَا الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْرَسُ الْجَاشَنْكِيرِ مَعَ دُورٍ أُخْرَى وَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَتْقَاضٍ لِيُنِي الْحَافِقَاهُ الْمُنَسُوبَةَ إِلَيْهِ سَنَةَ ٧٠٦ هـ =

والمُسْتَعْدَمَات والأُسْتَاذِينَ فَإِنَّهُ كَانَ يُعْمَلُ بِالْإِيوَانِ عَلَى الْعَادَةِ .

وَلَمَّا تَوَفَّى الْأَفْضَلُ ، وَعَادَتْ الدَّوَابُّ إِلَى مَوَاضِعِهَا ، أَنْتَهَى خَاصَّةُ الدَّوْلَةِ رَئِيسَانِ - وَكَانَ يَتَوَلَّى بَيْتَ الْمَالِ - أَنَّ الْمَكَانَ بِالْإِيوَانِ يَضِيقُ بِالْفِطْرَةِ ، فَأَمَرَهُ الْمَأْمُونُ أَنْ يَجْمَعَ الْمُهَنْدِسِينَ ، وَيَقْطَعَ قِطْعَةً مِنْ إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ يَتِمُّ بِهِ دَارَ الْفِطْرَةِ . فَأَنْشَأَ الدَّارَ الْمَذْكُورَةَ قُبَالَةَ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ ، وَالبَابِ الَّذِي بِمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ يُعْرَفُ بِبَابِ الدُّيْلَمِ ، وَصَارَ يُعْمَلُ بِهَا مَا اسْتَجَدُّ مِنْ رُشُومِ الْمَوَالِيدِ وَالْوُقُودَاتِ .

وَعُقِدَتْ لَهَا جَمَلَتَانِ : إِحْدَاهُمَا وَجِدَتْ فَشِطْرَتَ ، وَهِيَ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، خَارِجًا عَنْ جَوَارِي الْمُسْتَعْدَمِينَ . وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ قُصِّلَتْ فِيهَا الْأَصْنَافُ ، وَشَرَحَهَا : ذَقِيقُ أَلْفِ حِمْلَةٍ ، سُكَّرُ سَبْعِ مِائَةِ قِنْطَارٍ ، قَلْبُ فُسْتُقٍ سِتَّةِ قِنْطَايِرٍ ، قَلْبُ لَوْزٍ ثَمَانِيَةِ قِنْطَايِرٍ ، قَلْبُ بُذُقٍ أَرْبَعَةِ قِنْطَايِرٍ ، تَمْرٌ أَرْبَعِ مِائَةِ أُرْدَبٍ ، زَيْبٌ ثَلَاثِ مِائَةِ أُرْدَبٍ ، خَلٌّ ثَلَاثَةِ قِنْطَايِرٍ ، عَسَلٌ نَحْلٍ خَمْسَةِ عَشْرِ قِنْطَارًا ، شَوْرَجٌ مِائَتَا قِنْطَارٍ ، حَطَبٌ أَلْفِ وَمِائَتَا حِمْلَةٍ ، سِغِيمٌ أُرْدَبَانِ ، آيِسُونٌ أُرْدَبَانِ ، زَيْتٌ طَيِّبٌ بِرِسْمِ الْوُقُودِ ثَلَاثُونَ قِنْطَارًا ، مَاءٌ وَزْدٌ خَمْسُونَ رِطْلًا ، مِسْكٌ خَمْسُ تَوَافِجٍ ، كَأْفُورٌ قَدِيمٌ عَشْرَةُ مِثْقَالٍ ، زَعْفَرَانٌ مِطْحُونٌ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ دِرْهَمًا . وَيَدُ الْوَكِيلِ بِرِسْمِ الْمَوَاعِينِ وَالْبَيْضِ وَالسَّقَاتِينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤْنِ ، عَلَى مَا يُحَاسِبُ بِهِ ، وَيَرْفَعُ الْخَازِمِ^١ : خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ .

وَوَجِدْتُ بِحَقِّ ابْنِ سَاكِينٍ قَالَ : كَانَ الْمُرْتَبُ فِي دَارِ الْفِطْرَةِ وَلَهَا مَا يُذَكَّرُ ، وَهُوَ : زَيْتٌ طَيِّبٌ بِرِسْمِ الْقِنَادِيلِ خَمْسَةِ عَشْرِ قِنْطَارًا ، مَقَاطِعُ سَكَنْدَرِي بِرِسْمِ الْقَوْلَرَاتِ ثَلَاثُ مِائَةِ مَقْطَعٍ ، طَيَايِرٌ مَجْدُدٌ بِرِسْمِ السَّمَاطِ ثَلَاثُ مِائَةِ طَيِّفُورٍ ، شَمْعٌ بِرِسْمِ السَّمَاطِ وَتَوْدِيعِ الْأُمَرَاءِ ثَلَاثُونَ قِنْطَارًا ، أَجْرَةٌ الصَّنَاعِ ثَلَاثَةُ مِائَةِ دِينَارٍ ، جَارِي الْحَامِي مِائَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا ، جَارِي الْعَامِلِ وَالْمُشَارِفِ^٢ مِائَةٌ/وِثْمَانُونَ دِينَارًا^٣ .

٢٠ [وَالْمُشَارِفُ]^(ب) شَقَّةٌ ذَبِيقِي بِيَاضٍ خَرِيرِي ، وَمِنْذِيلٌ ذَبِيقِي كَبِيرٌ خَرِيرِي ، وَشَقَّةٌ سَقْلَاطُونٌ أَنْدَلْسِي يَلْبَسُهَا قُدَّامَ الْفِطْرَةِ يَوْمَ حِمْلِهَا ، ^(٥) لِيُفَرَّقَ طَيَايِرُ الْفِطْرَةِ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَأَبْوَابِ الرُّسُومَاتِ

(a) ابن عبد الظاهر : المباشرين والعامل . (b) إضافة من ابن عبد الظاهر . (c-c) ساقطة من ابن عبد الظاهر .

= الواقعة الآن في شارع الجمالية تجاه درب الأصغر (فيما يلي مخزومة جـ مخازيم . نوع من الدفاتر يُخَرَّقُ .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٦-٢٨ . (٤١٦:٢) .

وعلى طبقات الناس، حتى تعم الكبير والصغير والضعيف والقوي^(٥). ويبدأ بها من أول رجب إلى آخر شهر^(٦) رَمَضَانَ.

يُكْتَرُ ما اختَصِر من صِفَةِ الطَّوَائِفِ^(٦) ١: الأَعْلَى منها طَيِّفُور [مُشَوَّر]^(٥) فيه مائة حَبَّة خُشْكَنَانَج وزنها مائة رطل، وخَمْس عشرة قطعة خِلَاوَة زنتها مائة رطل، سُكَّر سُلَيْمَانِي وغيره عشرة أَرْطَال، قُلُوبَات ستة أَرْطَال، بَسَنْدُود عَشْرُونَ حَبَّة، كَكَلَك وَزَيْب وَتَمَر فَنطَار، جَمَلَةُ الطَّيِّفُور ثلاثة قَنَاطِير وثَلَاث^(٤) وَيَحْمَلُهُ عِدَّةُ فَرَاشِينَ^(٥) إلى ما دون ذلك، على قدر الطَّبَقَات، إلى عشر حَبَّات^٢.

وقال ابنُ أَبِي طَلْحٍ: وَعَمِلَ المَعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ دَارًا مَسَاهَا دَارَ الْفِطْرَةِ. فكان يُعْتَمَلُ فيها من الخُشْكَنَانَجِ والحَلْوَاءِ والبَسَنْدُودِ والغَانِيدِ والكَكَلَكِ والثَّمَرِ والبُنْدُوقِ شَيْءٌ كَثِيرٌ من أَوَّلِ رَجَبٍ إلى نِصْفِ رَمَضَانَ، فيفُوقُ جَمِيعَ ذَلِكَ في جَمِيعِ النَّاسِ، الْخَاصِّ وَالْعَامِّ على قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ في أَوَانٍ لَا تُشْتَعَادُ. وكان قَبْلَ لَيْلَةِ الْعِيدِ يَفُوقُ على الْأَمْرَاءِ الْحَيُولِ بِالْمَرَائِبِ الذَّهَبِ وَالخَلِيعِ الثَّقِيصَةِ وَالطَّرَازِ الذَّهَبِ، وَالثِّيَابِ بِرَشْمِ النِّسَاءِ^٣.

المَشْرِدُ الحَسَنِيُّ

قال الفاضلُ محمد بن علي بن يُوسُف بن مُيَسَّر: وفي شَعْبَانَ - سنة إحدى وتسعين وأربع مائة - خَرَجَ الْأَفْضَلُ ابنُ أمير الجيوش بِمَسَاكِرِ جَمَّةٍ إلى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَبِهِ سَكَنَانِ^(٥) وإِلِغَارِي ابنَا أَرْزُقٍ في جَمَاعَةٍ من أَقَارِبِهِمَا وَرَجَالِهِمَا وَعَسَاكِرِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَثْرَاكِ، فَرَأَسَلَهُمَا الْأَفْضَلُ يَلْتَمِسُ مِنْهُمَا تَسْلِيمَ الْقُدْسِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ حَرْبٍ، فَلَمْ يُجِيبَاهُ لِدَلَالِكَ، فَقَاتَلَ أَهْلُ^(٥) الْبَلَدِ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمُجَانِيقَ وَهَدَمَ مِنْهَا جَانِبًا، فَلَمْ يَجِدَا بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ لَهُ وَسَلَّمَاهُ إِلَيْهِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا وَأَطْلَقَهُمَا^٤. وعَادَ في

(٥) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: ما اختص من صفة الطوائف؛ المسودة: من وصف. (c) إضافة من ابن عبد الظاهر. (d-d) ساقطة من بولاق. (e) في النسخ: سكان.

^١ عن الطيفورج. الطوائف، الطوائف، انظر لهما تقدم ٣٢٨. قول ابن أبي طلي مخالف لما قاله ابن الطوير وابن عبد الظاهر.
^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٢٩، المقرئ: وهما أعلم منه بأخبار المصريين، وكل أهل بلد أعلم بأخباره.
^٣ المقرئ: مسودة المواظ ١٧٤-١٧٥ وأضاف هنا: الكامل ١٠: ٢٨٢-٢٨٤، ٢٨٦، ابن خلكان: وفيات- مسودة المواظ ١٧٢.
^٤ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ١١٣٥، ابن الأثير: الكامل ١٠: ٢٨٢-٢٨٤، ٢٨٦، ابن خلكان: وفيات-

عساكره وقد ملك القدس، فدخل عسقلان، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فأخرج وعطره، وحمله في سقطة إلى أجل دار بها، وعمر المشهد، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره، وسعى به ماشيا إلى أن أخله في مقره. وقيل إن المشهد الذي بعسقلان بناه أمير الجيوش بنو الجمالي، وكمله ابنه الأفضل^٢.

وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووضوله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمس مائة. وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان، والقاضي المؤتمن ابن مشكين مشارفها. وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور^٣.

= الأعيان ١: ١٩١؛ التويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٤٦ - أسطر من الخط الكوفي المزهر الدقيق بحرف بارز على الخشب: ٢٤٧.

«بسم الله الرحمن الرحيم» (نص من الله وتفتح قريب) لعبد الله ووليه معذ أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين وأئمة البررة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين. مما أمر بقمل هذا الميثر قناه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناجي الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو التجم بنو المستنصري عضد الله به الدين وأنتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بنو عسقلان تشييد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهر سنة أربع وثمانين وأربع مائة.

١ سقطة ج. أنفاط. محرقة كالجوالق أو كالثقة (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨٦٥).

٢ هذه الرواية التي شك فيها ابن تيمس - هي الرواية الصحيحة، فتوجد على منبر جامع عسقلان - الموجود الآن في مدينة الخليل - كتابتان تاريختان تؤكدان أن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي بنى مشهد عسقلان سنة ٤٨٤ هـ/

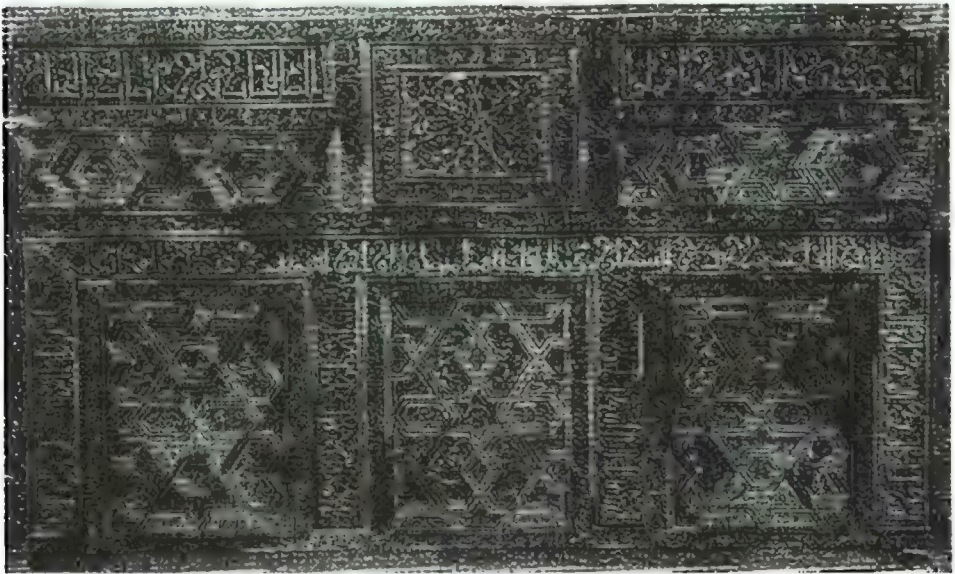
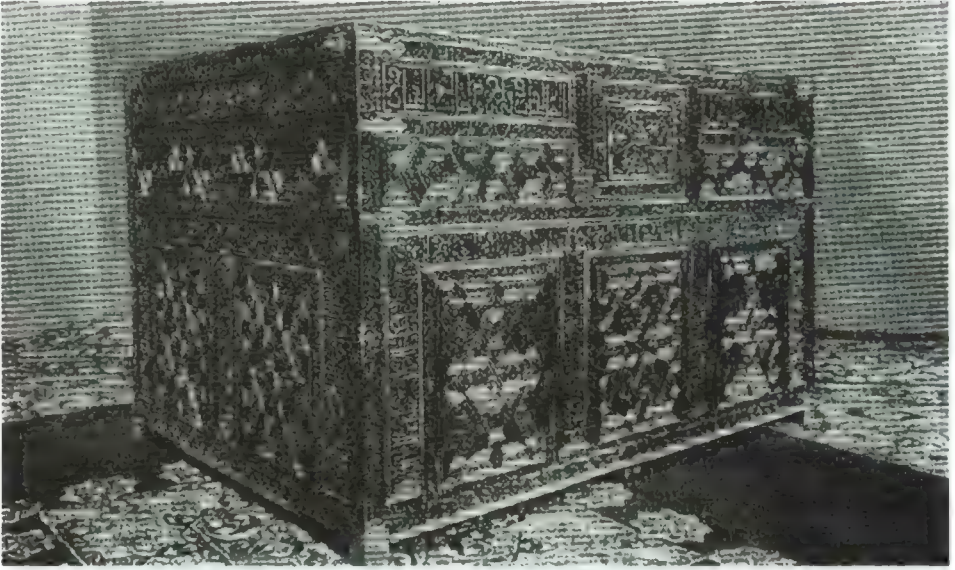
١٠٩١ م في خلافة المستنصر بالله (راجع van Berchem, M., «La chaire de la mosquée d'Hébron», *Festschrift Eduard Sachau zum siebzigsten Geburtstage gewidmet Freunden und Schülern*, Berlin 1915, p. 131; Jausen, J.-A., «Inscriptions coufiques de la chaire du martyr al-Husayn à Hébron», *Revue Biblique* (1923), pp. 575-95; Wiet, G., «Notes d'épigraphie syro-musulmane», *Syria* V (1924), pp. 216-28; id., *RCEA* VII n° 2790-91; Grabar, O., *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 29-30 n° 55؛ وفيما يلي نص إحدى الكتابين وهي سنة

وجاء في النص الثاني:

«.... وتقدم بإنشاء هذا الميثر برسم المشهد الشريف الذي أنشأه ودقن فيه هذا الرأس في أشرف محلة.... وألفق على جميع ذلك من فضل ما أتاه الله من محرماته وخلاص ما نلته.... وكان إنشاء هذا الميثر في سنة أربع وثمانين وأربع مائة».

٣ ابن ميسر: أخبار مصر ٦٥-٦٦؛ للمقريزي: اتعاط الخفا ٣: ٢٢ والمقني الكبير ٣: ٦١٥، ومسودة المراغط =

المشهدُ الحسيني



تابوت المشهد الحسيني (قبل سنة ١١٨٣هـ/١٥٧٨م)

محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

ويُذَكَّرُ أَنَّ هذا الرأس الشريف لما أُخْرِجَ من المَشْهَدِ بِعَشَقْلَانٍ ، وَجِدَ دُمُهُ لَمْ يَجَفَّ ، وَلَهُ رِيحٌ كَرِيحِ الْمَيْتِ ؛ فَقَدِمَ بِهِ الْأَسَازُ مَكْتُونٌ فِي عُشَارِيٍّ مِنْ عُشَارِيَّاتِ الْخِدْمَةِ ، وَأَنْزَلَ بِهِ إِلَى الْكَافُورِيِّ ، ثُمَّ حَمَلَ فِي السَّرْدَابِ إِلَى قَصْرِ الرُّمُودِ ، ثُمَّ دُفِنَ عِنْدَ قُبَّةِ الدُّيْلَمِ بِيَابِ دِهْلِيزِ الْخِدْمَةِ ^١ .

فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْخِدْمَةَ يُقْبِلُ الْأَرْضَ أَمَامَ الْقَبْرِ ، وَكَانُوا يَتَخَرَّوْنَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ عِنْدَ الْقَبْرِ الْإِبِلَ وَالتَّبَرَ وَالْقَتَمَ ، وَيَكْثُرُونَ التَّوْحُ وَالْجِكَاءَ ، وَيَسْجُدُونَ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ . وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الظَّاهِرِ : مَشْهَدُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ^٢ - قَدْ ذَكَّرَنَا أَنَّ طَلَائِعَ بَنِ زُرَّيْكَ الْمَنْعُوتِ بِالصَّالِحِ ، كَانَ قَدْ قَصَّدَ ثَقُلَ الرَّأْسِ الشَّرِيفَةِ مِنْ عَشَقْلَانٍ لَمَّا خَافَ عَلَيْهَا مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَبَنَى جَامِعَهُ خَارِجَ بَابِ زَوِيْلَةَ لِيَدْفِنَهُ بِهِ وَيَقْرَأَ بِهِلَا الْفَخَّارِ . فَقَلَبَتْهُ أَهْلُ الْقَصْرِ عَلَى ذَلِكَ وَقَالُوا : لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَنَا ، فَقَمَدُوا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَبَنَوْهُ لَهُ وَنَقَلُوا الرُّخَامَ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْفَائِزِ عَلَى يَدِ طَلَائِعَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ^٣ .

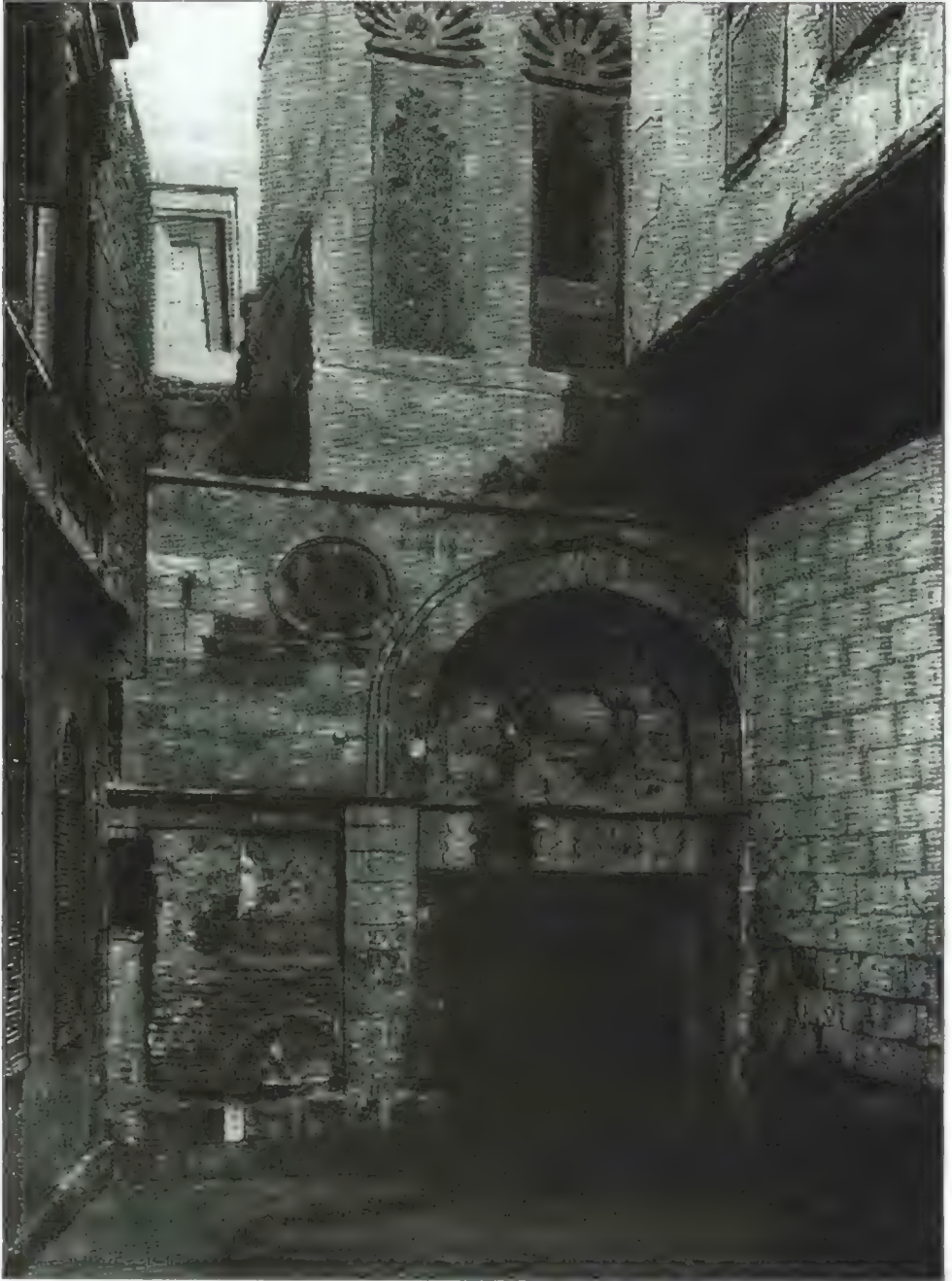
وَسَمِعْتُ مَنْ يَحْكِي حِكَايَةً يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى بَعْضِ شَرَفِ هَذِهِ الرَّأْسِ الْمُبَارَكَةِ ^٤ ، وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمَّا أَخَذَ هَذَا الْقَصْرَ ، وَشِئَ إِلَيْهِ بِخَادِمٍ لَهُ قَدَّرَ فِي الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ - وَكَانَ زِمَامَ الْقَصْرِ - وَقِيلَ إِنَّهُ يَعْرِفُ الْأَمْوَالَ الَّتِي بِالْقَصْرِ وَالذَّفَائِنَ ، فَأَجِدَ وَسْطِلَ ، فَلَمْ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : هذا الرأس الكريم المبارك .

وَأَنْكَرَ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِي وَصُولَ رَأْسِ الْحُسَيْنِ إِلَى مِصْرَ وَقَالَ : وَوَالْأَخْلَبُ أَنَّهُ لَمْ يَتَجَاوَزْ دِمَشْقَ لِأَنَّهُ إِذَا حَمَلَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَتْ دِمَشْقُ دَارِ مَلِكِهِ وَمَلِكُ بَنِي أُمَيَّةٍ . وَمِنْ الْحَالِ أَنْ يَتَجَاوَزَ الرَّأْسَ الْمَحْمُولَ إِلَى السُّلْطَانِ لِغَيْرِ حَضْرَتِهِ . وَلَهُ بِدِمَشْقَ مَشْهَدٌ مَعْرُوفٌ دَاخِلُ بَابِ الْفَرَادِيسِ وَفِي خَارِجِهِ مَكَانُ الرَّأْسِ ، عَلَى مَا ذَكَرُوا . وَقَدْ جَاءَ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ أَنَّهُمْ حَمَلُوا أَحْطَمَ الْحُسَيْنِ وَرَأْسَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ حَتَّى دَفَنُوهُ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْحَسَنِ . وَالْمَدَى بَعِيدٌ بَيْنَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ وَمَبْنَى مَشْهَدِ عَسَقْلَانِ (مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٢١٩:٢٢٠) .

٣١٠-٣١١ ، وَقَارَنَ الْقَلْقَشَنْدِي : صَبِيحُ الْأَعْيُنِ ٣٤٧:٣ ، ٣٦٣ ، ١١:٢٦٤-٢٦٨ حَسَنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ : تَارِيخُ الْمَسَاجِدِ الْأَثَرِيَّةِ ٧٦١-٨٣ ، De Smet, D., «La translation du Ra's al-Husayn au Caire fatimide», *Egypt and Syria in Fatimid, Ayyubide and Mamluk Eras*, Leuven 1999, II, pp. 29-44. Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 276-78.

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٠ ، ٧٤-٧٥ ، المقرئ : مسودة المواظ ٣١٢ .



الباب الأخصر الذي حلّ محل باب الدنم
والمؤدي إلى المشهد الحسيني

يُجب بشيءٍ وتجاهل . فَأَمَرَ صَلَاحُ الدِّينِ نُوَابَهُ بِتَغْذِيهِ ، فَأَخَذَهُ مَتَوَلِّيُ الْعُقُوبَةِ ، وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ خَنَافِسَ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا قُرْمَزِيَّةً - وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ أَشَدُّ الْعُقُوبَاتِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَطِيقُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا سَاعَةً إِلَّا تَتَيَّبَ دِمَاغَهُ وَتَقْتُلَهُ - فَفَعِلَ ذَلِكَ بِهِ مِرَازًا وَهُوَ لَا يَتَأَوَّهُ ، وَتَوَجَّدَ الْخَنَافِسُ مِجَنَّةً ؛ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَحْضَرَهُ ، وَقَالَ : هَذَا سِيرٌ فِيكَ ، وَلَا بَدَّ أَنْ تُعَرِّفَنِي بِهِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا سَبَّبَ هَذَا إِلَّا أَنِّي لَمَّا وَصَلْتُ رَأْسَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ حَمَلْتُهَا ، قَالَ : وَأَيُّ سَبَبٍ ^١ أَكْثَمَ مِنْ هَذَا ! وَرَاجِعَ فِي شَأْنِهِ ، فَقَعَا عَنْهُ ^٢ .

وَلَمَّا تَلَّكَ الشُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ جَعَلَ بِهِ حَلَقَةً تَدْرِيسَ وَفُقَهَاءَ ، وَقَوَّضَهَا لِلْفَقِيهِ الْبَهَاءِ الدَّمَشْقِيِّ ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلتَّدْرِيسِ عِنْدَ الْمِحْرَابِ الَّذِي الصُّرِيحُ خَلَقَهُ . فَلَمَّا وَزَرَ مُعِيْنُ الدِّينِ حَسَنُ ابْنِ شَيْخٍ / الشُّيُوخِ بْنِ حَمَّوَيْهِ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ أَمْرُ هَذَا الْمَشْهَدِ بَعْدَ إِخْوَتِهِ ، جَمَعَ مِنْ أَوْفَائِهِ مَا بَنَى بِهِ لِيَوَانِ التَّدْرِيسِ الْآنَ وَبُيُوتِ الْفُقَهَاءِ الْعُلُومِ خَاصَّةً .

وَاحْتَرَقَ هَذَا الْمَشْهَدُ فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحَةِ فِي سَنَةِ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ يَحْيَى نَائِبًا عَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ فِي الْقَاهِرَةِ . وَسَبِّهَ أَنَّ أَحَدَ خُزَّانِ الشَّمْعِ دَخَلَ لِيَأْخُذَ شِيعًا فَتَسَقَطَتْ مِنْهُ شُعْلَةٌ ، فَوَقَفَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ بِنَفْسِهِ حَتَّى طَفَأَ . وَأَنْشَدَتْهُ حِينَئِذٍ فَقُلْتُ :

[الكامل]

قَالُوا تَقْصَبُ لِلْحُسَيْنِ وَلَمْ يَزَلْ	بِالنَّفْسِ لِلْمَهْزُولِ الْخَوْفُ مُعْرِضًا
حَتَّى انْضَوَى صَوْنُ الْحَرِيقِ وَأَصْبَحَ	مُسْتَوْدٌ مِنْ تِلْكَ الْخَوَافِ أَنْيَضًا
أَوْسَى إِلَهَهُ بِمَا أَتَى فَكَأَنَّهُ	بَيْنَ الْأَنَامِ بِبَغْلِهِ مُوسَى الرَّضَا ^٣

قَالَ : وَلِحَفَظَةِ الْآثَارِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَثِقَلَةُ الْأَخْبَارِ مَا إِذَا طَوَّلَ وَقِفَ مِنْهُ عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَغَلِمَ مِنْهُ مَا هُوَ غَيْرُ الْمَشْهُورِ . وَإِنَّمَا هَذِهِ الْبَرَكَاتُ مُشَاهِدَةٌ مَرِيَّةٌ ، وَهِيَ بِصِحَّةِ الدُّعَايِ مَلِيَّةٌ ، وَالْعَمَلُ بِالْبَيَّةِ ^٤ .

(٥) يولاق : سر .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة ٣٠-٣١؛ المقرئ : ^٢ المقرئ : مسودة المواظ ٣١٣ ، ولم ترد هذه الفقرة
المسودة ٣١٢-٣١٣ ، المقفى الكبير ٦١٥:٣-٦١٦ .
عند ابن عبد الظاهر وهي دليل على اعتماد المقرئ على
نسخة مخالفة من كتاب ابن عبد الظاهر مثل مواضع أخرى =
^٣ نفسه ٣١-٣٢؛ نفسه ٣١٣ .

وقال في كتاب «النُّزَّ الثَّغِيمِ فِي أَوْصَافِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ»^١: «وَمِنْ مَجْمَلَةِ مَبَانِيهِ: الْبَيْضَاءُ قَرِيبَ مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ وَالْمَسْجِدِ وَالسَّقَايَةِ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا أَرْضِي قَرِيبَ الْخَنْدَقِ ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ، وَوَقَفْتُهَا دَائِرَ جَارٍ، وَالْإِنْتِفَاعُ بِهَذِهِ الْمَثُوبَةِ عَظِيمٌ. وَلَمَّا هُدِيمَ الْمَكَانُ الَّذِي بُنِيَ مَوْضِعُهُ وَفُتِنَتْ، وَجِدَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ يَلْبَسُ لَمْ يُقْلَمَ لِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ، فِيهِ اسْمُ الظَّاهِرِ بْنِ الْحَاكِمِ وَاسْمُ أُمِّهِ رَصَدٌ»^٢.

تَحْبِيزُ الْحُسَيْنِ - هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ - بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ الزُّهْرَاءُ ابْنَةُ^٣ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ^٣ وَوُلِدَ لِحَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شُعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَقِيلَ سَنَةِ ثَلَاثٍ، وَعَقِيَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشٍ، وَخَلَقَ رَأْسَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُتَصَدَّقَ بِزَنْتِهِ فَضَّةً، وَقَالَ: «أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟». فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: حَزْبًا. فَقَالَ: «بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ».

وَكَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ أَشْفَلَ مِنْ صَدْرِهِ، وَكَانَ فَاضِلًا ذَكِيًّا، كَثِيرَ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ^٤. وَقِيلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، لَعَشْرِ خَلَوْنَ مِنَ الْحَرَمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةِ إِحْدَى وَسَتِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «كَزْبَلَاءَ» مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ، وَيُغْرَفُ الْمَوْضِعُ أَيْضًا بِالطُّفِّ، قَتَلَهُ سَيْنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ^٥، وَقِيلَ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مَذْجِجٍ، وَقِيلَ: قَتَلَهُ شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ وَكَانَ أَتْرَصَ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ خَوْلِيٌّ بْنُ يَزِيدٍ الْأَصْبَحِيُّ مِنْ جَمْعٍ خَزَّ رَأْسَهُ وَأَتَى بِهِ^٦ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَقَالَ:

(a) بولاق: بنت. (b) بولاق: البحصي. (c) ساقطة من بولاق.

= من الكتاب. ٣: ٥٦٧-٦١٨، اعتمد فيها على ما ذكره ابن عبد البر في

الاستيعاب ١: ٣٩٢، ويحيى بن معين في التاريخ، والمسعودي: مروج الذهب ٣: ٢٤٨-٢٥٩، وانظر كذلك أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦: ١٣٧-١٧٤ ومقاتل الطالبين ٧٨-٧٩، ٩٥-١٢٢: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٠-٣٢١: الصنفدي: الوافي بالوفيات ١٢: ٤٢٣-٤٢٩: *El art. al- Husayn b' Ali III*, pp. 632. Veccia Vaglieri, L.,

^٤ المقرئزي: المغنى الكبير ٣: ٥٦٨-٥٦٩.

^١ كتاب «النُّزَّ الثَّغِيمِ فِي أَوْصَافِ [فِي تَقْرِيطِ] الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ»، نَشَرَهُ أَحْمَدُ أَحْمَدُ بَدَوِي فِي الْقَاهِرَةِ، وَصَدَرَ عَنْ مَكْتَبَةِ نَهْضَةِ مِصْرَ سَنَةِ ١٩٥٩.

^٢ لَمْ أَجِدْ هَذَا النَّصَّ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ.

^٣ أُنْصِبَارُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، كَثِيرَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ، وَأَكْتَفِي هُنَا بِالإِشَارَةِ إِلَى أَحْمَدِهَا وَمَا كَانَ مِنْهَا مَبْصُورًا لِلْمَقْرِئِزِيِّ، فَقَدْ أَفْرَدَ الْمَقْرِئِزِيُّ تَرْجُمَةً مَطْوُوعَةً لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ فِي كِتَابِ الْمَغْنَى الْكَبِيرِ

[الرجز]

أَوْفَّرَ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجَبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمَّ وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبَا

وقيل قَتَلَهُ عُثْمَانُ بن سعد بن أبي وقاص ، وكان الأمير على الخليل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بن سعد ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُؤَلِّيه الرَّيِّ إِنْ ظَفِرَ بِالْحُسَيْنِ وَقَتْلَهُ ^١.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا نَرَى النَّائِمَ يُصَفِّ الثَّهَارَ ، وَهُوَ قَائِمٌ أَشْعَثُ أَغْبَرُ يَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ ، فَقُلْتُ : يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي مَا هَذَا ؟ قَالَ : «هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ لَمْ أَزَلْ أَلْقِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ» . فَوُجِدَ ^٢ قَدْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ^٣.

وهذا البيت زَعَمُوا قَدِيمًا لَا يُدْرَى قَائِلُهُ :

١٠

[الوافر]

أَتَرَجَوْ أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ؟

وقُتِلَ مع الْحُسَيْنِ سَبْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ ، وَقِيلَ قُتِلَ معه من أَهْلِ بَيْتِهِ وَإِخْوَتِهِ ثَلَاثَةٌ وَعَشْرُونَ رَجُلًا .

وكان سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ بن أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنه - (٤) وَأَنْقَضَتِ الْإِمَارَةُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ (٥) فِي سَنَةِ سِتِينَ ، وَرَدَّتْ بِعَيْتِهِ (٥) عَلَى الْوَلِيدِ بن عُقْبَةَ بِالْمَدِينَةِ لِيَأْخُذَ الْبَيْتَةَ عَلَى أَهْلِهَا . فَأَرْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ بن عَلِيٍّ وإلى عَبْدِ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ لِيَأْتِيَا بِهِمَا فَقَالَ : بَايَعَا . فَقَالَا : مِثْلُنَا لَا يُبَايِعُ سِرًّا ، وَلَكِنَّا نُبَايِعُ عَلَى رُيُوسِ النَّاسِ إِذَا أَصْبَحْنَا .

١٥

فَرَجَعَا إِلَى بَيْتِهِمَا وَخَرَجَا مِنْ لَيْلِهِمَا إِلَى مَكَّةَ ، وَذَلِكَ لَيْلَةُ الْأَحَدِ لِلْيَلَتَيْنِ بَقِيْنَا مِنْ رَجَبٍ . فَأَقَامَ الْحُسَيْنُ بِمَكَّةَ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَسَوَّالًا وَذَا الْقِعْدَةِ ، وَخَرَجَ يَوْمَ الثَّوْرِيَّةِ يُرِيدُ الْكُوفَةَ بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ .

٢٠

فَلَمَّا بَلَغَ عَبِيدُ اللَّهِ بن زِيَادَ مَسِيرَ الْحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ ، بَعَثَ الْحُصَيْنَ بن تَمِيمَ الثَّمِيمِيَّ صَاحِبَ سُورَتِهِ ، فَتَنَزَّلَ الْقَادِسِيَّةَ وَتَغَلَّمَ الْخَبِيلَ مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ جَبَلِ لَقْلَعٍ . فَتَلَعَ الْحُسَيْنُ الْحَاجِزَ لَهُ عَنِ الْبَلَادِ ،

(a) بولاق : عمرو . (b) بولاق : فوجدته . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : يمة اليزيد .

فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يُرَفِّهِمْ بِقُدُومِهِ مَعَ قَيْسِ بْنِ مُشَيْرٍ ، فَظَلِمُوا بِهِ الْحُسَيْنَ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ .

وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنَ يَسِيرُ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَأَتَاهُ خَبِيرٌ قَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَخَبَرَ قَتْلَ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاةِ ، فَقَامَ حَتَّى أَعْلَمَ النَّاسَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : قَدْ نَحَذَلْنَا شَيْعَتَنَا ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلْيَنْصَرِفْ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ ذِمَامٌ مِنَّا ، فَتَفَرَّقُوا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ / جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ ، وَسَارَ فَأَذْرَكَهُ الْخَيْلُ ، وَهُمْ أَلْفٌ فَارِسٌ مَعَ الْحَزَنِيِّ بْنِ يَزِيدٍ التَّمِيمِيِّ ، وَنَزَلَ الْحُسَيْنُ فَوْقَهُمَا تَجَاهَهُ وَذَلِكَ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ ، فَسَقَى الْحُسَيْنُ الْخَيْلَ .

وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ فَأَذَنَ مُؤَذِّنُهُ ، وَخَرَجَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا مَغْلِبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ ، إِنِّي لَمْ آتِيكُمْ حَتَّى أَتْنِي كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ : أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْنَا فَلَيْسَ لَنَا إِمَامٌ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى . وَقَدْ جِئْتُكُمْ فَإِنْ تُعْطُونِي مَا أَطْعَمَنِي إِلَيْهِ مِنْ عَهْدِكُمْ أَقْدِمَ مِصْرَكُمْ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ ، فَسَكُّوْا ؛ وَقَالَ لِلْمُؤَذِّنِ : أَقِمْ ، فَأَقَامَ ؛ وَقَالَ الْحُسَيْنُ لِلْحَزَنِيِّ : أَتُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ أَنْتَ بِأَصْحَابِكَ ؟ قَالَ : بَلِ صَلَّ أَنْتَ وَنُصَلِّي بِصَلَاتِكَ ؛ فَصَلَّى بِهِمْ ، وَدَخَلَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَانْصَرَفَ الْحَزَنِيُّ إِلَى مَكَانِهِ .

ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ الْعَصْرَ ، وَاسْتَقْبَلَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَتَتَّقُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضِي لَكُمْ ؛ وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَوْلَى بِبَوَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ ، السَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمُونَا وَجَهِلْتُمْ حَقَّنَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ غَيْرَ مَا أَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ^(a) ، انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ . فَقَالَ الْحَزَنِيُّ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَذْرِي مَا هَذِهِ الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ الَّتِي تَذْكُرُ ؛ فَأَخْرَجَ خُرَجَيْنِ تَمْلُوعَيْنِ صُحُفًا فَتَشَرَّهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ فَقَالَ الْحَزَنِيُّ : إِنَّا لَنَسْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الدِّينِ كُتُبًا إِلَيْكَ ، وَقَدْ أُمِرْنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَاكَ أَلَّا نُعَارِقَكَ حَتَّى نُقْدِمَكَ الْكُوفَةَ عَلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : الْمَوْتُ أَذْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ لِيَنْصَرِفُوا فَزَكَّبُوا ، فَصَنَعَهُمُ الْحَزَنِيُّ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : تَكَلِّتْ أَمْلَكَ ، مَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ مَا تَزَكُّتُ ذِكْرُ أُمَّهُ بِالْكَفْلِ كَاثِمًا مِنْ كَانَ ، وَاللَّهِ مَا لِي إِلَيَّ ذِكْرُ أَمْلَكَ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا بِأَحْسَنِ مَا تَقْدِيرُ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ .

وَتَرَايَدَ^(b) الْكَلَامُ ، فَقَالَ الْحَزَنِيُّ : إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِكَ ، إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفَارِقَكَ حَتَّى أَقْدِمَكَ^(c)

الكوفة، فحُذَّ طَرِيقًا لَا تُدْخِلُكَ الكُوفَةُ وَلَا تَزُولُ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَتَكْتُبَ أَنْتَ إِلَى يَزِيدٍ أَوْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَمْرٍ يَرْزُقُنِي فِيهِ الْعَافِيَةَ مِنْ أَنْ أَهْلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِكَ. فَنِيَّاسٌ عَنْ طَرِيقِ الْغَذَّيْبِ وَالْقَادِسِيَّةِ، وَالْحَرَّ يَسَارُهُ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ الثَّلَاثِ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِينَ، قَدِمَ عُثْمَرُ^(٥) بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مِنَ الْكُوفَةِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَبَعَثَ إِلَى الْحُسَيْنِ رِسُولًا يَسْأَلُهُ: مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ؟ فَقَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَهْلِ بَصْرَتِكُمْ هَذَا أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَرِهُونِي فَأَنَا أَنْصَرِفَ عَنْهُمْ.

فَكَتَبَ عُثْمَرُ^(٥) إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يُعْرِضُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَعْزِضَ عَلَى الْحُسَيْنِ بَيْعَةَ يَزِيدٍ، فَإِنْ فَعَلَ رَأَيْنَا فِيهِ رَأْيَنَا، وَإِلَّا تَمَتَّعْ وَمَنْ مَعَهُ الْمَاءُ.

فَأَرْسَلَ عُثْمَرُ^(٥) بْنُ سَعْدٍ خَمْسَ مِائَةِ فَارِسٍ، فَتَزَلُّوا عَلَى الشَّرِيقَةِ وَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَتْلِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا حُسَيْنُ أَلَا تَنْظُرُ إِلَى^(ب) الْمَاءِ، لَا تَزُولُ^(ج) مِنْهُ قَطْرَةٌ حَتَّى تَمُوتَ غَطَّاشًا!

ثُمَّ اتَّفَقَى الْحُسَيْنُ بِعُثْمَرِ^(د) بْنِ سَعْدٍ مِرَازًا؛ فَكَتَبَ عُثْمَرُ^(د) بْنُ سَعْدٍ إِلَى عبيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْفَأَ النَّارَ وَجَمَعَ الْكَلِمَةَ. وَقَدْ أُعْطَانِي الْحُسَيْنُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ، أَوْ أَنْ تُسَيِّرَهُ إِلَى أَيِّ نَفَرٍ مِنَ الثُّغُورِ شِئْنَا^(هـ)، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ يَزِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِهِ، وَفِي هَذَا لَكُمْ رِضًى وَلِلْأُمَّةِ صَلَاحٌ».

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَشَيْمِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ: أَخْرِجْ بِهَذَا الْكِتَابَ إِلَى عُثْمَرِ^(هـ)، فَلْيَعْزِضْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ النَّزُولَ عَلَى مُحْكَمِي، فَإِنْ فَعَلُوا فَلْيَبْعَثْ بِهِمْ، وَإِنْ أَبَوْا فَلْيَقَاتِلْهُمْ. فَإِنْ فَعَلَ فَاشْتَعْلُ وَأَطْعِمْ، وَإِنْ أَتَى فَأَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ، وَاضْرِبْ غُثَّةَ وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ؛ وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَرِ^(هـ) بْنِ سَعْدٍ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمْ أَهْبُتْكَ إِلَى حُسَيْنٍ لَتَكُفَّ عَنْهُ وَلَا لَتَمْنِيهِ وَلَا لَتُطَاوِلِهِ وَلَا لَتَقْعُدَ لَهُ عِنْدِي شَافِقًا. انْظُرْ فَإِنْ نَزَلَ حُسَيْنٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحُكْمِ

(a) بولاق: عمرو. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: لا ترى. (d) بولاق: بعمر. (e) بولاق: شاء.

^١ الغَذَّيْبِ. ماءٌ بين القادسية والمخنية بينه وبين القادسية أربعة أميال (باقوت: معجم البلدان ٤: ٩٢).

وَاسْتَسْلَمُوا، فَأَبَقَتْ بِهِمْ إِلَيَّ سُلْمًا، وَإِنْ أَبَوَا فَارْجُفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ
وَتُمَثِّلَ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ مُسْتَحِقُّونَ، فَإِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطَى الْخَيْلَ صَنْدَرَهُ
وَعَظْمَهُ، فَإِنَّهُ عَاقِبُ شَاقِّ قَاطِعِ ظُلُومٍ. فَإِنْ أَنْتَ مَضَيْتَ لِأَمْرِنَا جَزَيْتَاكَ جَزَاءَ
السَّامِعِ الْمُطِيعِ، وَإِنْ أَنْتَ أَتَيْتَ فَأَعْتَزِلْ مُجْتَنِدَنَا، وَخَلْ بَيْنَ شِمِيرٍ وَبَيْنَ
الْعَشِيرِ. وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ رَكِبَ وَالثَّاسُ مَعَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْحُسَيْنِ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: جَاءَ
أَمْرُ الْأَمِيرِ بِكَذَا؛ فَاسْتَفْهَلَهُمْ إِلَى غَدْوَةٍ.

فَلَمَّا أَتَسَوْا قَامَ الْحُسَيْنُ وَمَنْ مَعَهُ اللَّيْلَ كُلَّهُ يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَيَدْعُونَ وَيَضْرِبُونَ. فَلَمَّا
صَلَّى عُمَرَ^(أ) بَنَ سَعْدَ الْغَدَاةِ يَوْمَ السَّبْتِ - وَقِيلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ - خَرَجَ فِيمَنْ مَعَهُ. وَعَبَأَ
الْحُسَيْنُ أَصْحَابَهُ - وَكَانَ مَعَهُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا وَأَرْبَعُونَ رَاجِلًا - وَرَكِبَ وَمَعَهُ مُضْحَفٌ بَيْنَ
يَدَيْهِ وَضَعَهُ أَمَامَهُ، وَاقْتَتَلَ أَصْحَابَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَأَخَذَ عُمَرَ^(أ) بَنَ سَعْدَ سَهْمًا فَرَمَى بِهِ وَقَالَ: أَشْهَدُوا أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى الثَّاسَ. وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ
فَضَرَعُوا رِجَالًا، وَأَخَاطُوا بِالْحُسَيْنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى انْتَصَفَ
النَّهَارُ، وَلَا يَقْدِرُونَ بِأَتُونَهُمْ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاجِدٍ. وَحَمَلَ شِمِيرٌ حَتَّى بَلَغَ فُسْطَاطَ الْحُسَيْنِ.

وَحَضَرَ وَتُتِ الصَّلَاةُ فَسَأَلَ الْحُسَيْنُ أَنْ يَكْفُوا عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَفَعَلُوا. ثُمَّ اقْتَتَلُوا بَعْدَ
الظَّهْرِ أَشَدَّ قِتَالٍ، وَوَصَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَقَدْ ضَرِغَتْ أَصْحَابُهُ، وَمَكَثَ طَوِيلًا، / مِنْ النَّهَارِ كُلِّمَا
انْتَهَى إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الثَّاسِ رَجَعَ عَنْهُ وَكَرِهَ أَنْ يَتَوَلَّى قَتْلَهُ.

فَأَقْدَمَ^(ب) عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ مَالِكٌ، فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ فَطَعَهُ الْبُرْسَ وَأَذْمَاهُ،
فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ دَمَهُ بِيَدِهِ فَصَبَّهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ حَبَشْتَ عَنَّا النَّصْرَ مِنْ
السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ، وَانْتَقِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ».

وَاسْتَدَّ عَظْمُهُ فَدَنَا لِشَرْبٍ، فَرَمَاهُ خَصِيْنُ بْنُ تَمِيمٍ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي فَمِهِ، فَتَلَقَّى الدَّمَ بِيَدِهِ وَرَمَى
بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالنَّاءِ عَلَيْهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مَا يُصْنَعُ بَابِنِ بِنْتِ
نَبِيِّكَ؛ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا».

فَأَقْبَلَ شَيْراً فِي نَحْوِ عَشْرَةِ إِلَى مَنْزِلِ الْحُسَيْنِ ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ بَقِيَ فِي ثَلَاثَةِ ، وَمَكَثَ طَوِيلاً مِنَ النَّهَارِ ، وَلَوْ شَاءُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ لَقَتَلُوهُ ، وَلَكِنْهُمْ كَانَ يَبْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضٍ ، وَيُحِبُّ هَؤُلَاءُ أَنْ يَكْفِيَهُمْ هَؤُلَاءُ . فَنَادَى شَيْراً فِي النَّاسِ : وَيُحْكُمُ مَا تَنْتَظِرُونَ بِالرَّجُلِ ؟ أَقْتُلُوهُ نِكَلْتُكُمْ أَمْهَاتِكُمْ^(a) . فَحَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَضَرَبَ زُرْعَةَ بْنِ شَرِيكٍ التَّمِيمِي كَفَّهُ الْأَيْسَرُ ، وَضَرَبَ عَاتِقَهُ وَهُوَ يَقُومُ وَيَكْبُو . فَحَمَلَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ بِيَتَانَ ابْنِ أُنْسٍ التَّحْمِي فَطَعَنَهُ بِالرُّمَحِ فَوْقَ ، وَقَالَ لِحَوْلِي بَنِي يَزِيدٍ الْأَصْبَحِيِّ : اخْتَرُوا رَأْسَهُ ، فَأَزِيدُ وَضَعُفٌ^١ .

فَنَزَلَ إِلَيْهِ^(b) وَذَبَحَهُ ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ فَذَفَعَهُ إِلَى حَوْلِي ، وَسَلَبَ الْحُسَيْنُ مَا كَانَ عَلَيْهِ حَتَّى سَرَاوِيلَهُ ، وَمَالَ النَّاسُ فَانْتَهَبُوا ثِقْلَهُ وَمَتَاعَهُ وَمَا عَلَى النَّسَاءِ . وَوُجِدَ بِالْحُسَيْنِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ طَعْنَةً وَأَزْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ ضَرْبَةً . ثُمَّ^(c) نَادَى عُمر^(d) بَنِي سَعْدٍ فِي أَصْحَابِهِ : مَنْ يُتَنَدَّبُ لِلْحُسَيْنِ فَيُوطِئُهُ فَرَسَهُ ؟ فَاثْتَدَبَ عَشْرَةَ فِدَاسُوا الْحُسَيْنِ بِخِيُولِهِمْ حَتَّى رَضُوا ظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ .

وَكَانَ عِدَّةٌ مِنْ قُتِلَ مَعَهُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا ، وَمِنْ أَصْحَابِ عُمر^(d) بَنِي سَعْدٍ ثَمَانِيَةٌ وَثَمَانِينَ رَجُلًا غَيْرَ الْجَزْحِيِّ .

وَدَفَنَ أَهْلُ الْغَاضِرِيَّةِ مِنْ بَنِي أَسَدِ الْحُسَيْنِ بَعْدَ قَتْلِهِ يَوْمَ^٢ ، وَبَعْدَ أَنْ أَخَذَ عُمر^(d) بَنِي سَعْدٍ رَأْسَهُ وَرَعَوْسَ أَصْحَابِهِ ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَحْضَرَ الرِّعْوَوسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ يَثْبِكُ بِقَضِيبٍ ثَنَاءً بِالْحُسَيْنِ وَزَيْنُ بَنِي أَرْقَمٍ حَاضِرٌ .

وَأَقَامَ ابْنُ سَعْدٍ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ وَمَعَهُ بَنَاتُ^(e) الْحُسَيْنِ وَأَخَوَاتِهِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّبِيَّانِ ، وَعَلِيٌّ بَنِي الْحُسَيْنِ مَرِيضٌ ، فَأَذْخَلَهُمْ عَلَى زِيَادٍ . وَلَمَّا مَرَّتْ زَيْنَبُ بِالْحُسَيْنِ صَرِيحًا صَاخَتْ : يَا مُحَمَّدَاهُ هَذَا حُسَيْنٌ بِالْقَرَاءِ مُزْمَلٌ بِالدِّمَاءِ مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ ، يَا مُحَمَّدُ بَنَاتُكَ سَبَايَا وَذُرِّيَّتُكَ مُقْتَلَةٌ ! فَأَبْكْتَ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ .

وَطِيفَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ فِي الْكُوفَةِ^(f) عَلَى خَشَبَةٍ ، ثُمَّ أُرْسِلَ بِهَا إِلَى يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَأُرْسِلَ

(a) بولاق : أمكم . (b) بولاق : عليه . (c) بولاق : و . (d) بولاق : عمرو . (e) بولاق : ثياب . (f) بولاق : وطيف برأسه بالكوفة .

النساء والصبيان وفي حُثِّي علي بن الحسين ويديه الغل ، وحملوا على الأقباب .
 فدخل بعض بني أمية على يزيد ، فقال : أبشِر يا أمير المؤمنين ، فقد أمكك الله من عدو الله
 وعدوك ، قد قُتل ووُجِه برأسه إليك . فلم يلبث إلا أيامًا حتى جيء برأس الحسين ، فوضع بين
 يدي يزيد في طشت ، فأمر الغلام فرقع الثوب الذي كان عليه ، فحين رآه خمر وجهه بكَّه
 كأنه يشم منه رائحة ، وقال : الحمد لله الذي كفانا المؤنة بغير مؤنة ﴿كَلَّمَآ أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ
 أَطْفَآهَا اللَّهُ﴾ [آية ٦٤ سورة المائدة] .

قالت رثًا حاضنة يزيد : فذَنُوتُ منه فتنطرتُ إليه وبه رذُغٌ من جثاء . والذي أذهب نفسه ، وهو
 قاذِرٌ على أن يَغْفِرَ له ، لقد رأيته يقرع ثنياه بقبضٍ في يده ، ويقول آياتًا من شعر ابن الزُبَيْرِ .
 ومكَّت الرأس مصلوبًا بدمشق ثلاثة أيام ثم أُنزل في خزائن السلاح حتى ولي سُلَيْمَانُ بن عبد
 الملك الملك فبكت إليه ، فجيء به وقد نحل وبقي عظمًا أبيض ، فجعلَه في سَفَطٍ وطَّيَّه ، وجعلَ
 عليه ثوبًا ، ودَفَنَه في مقابر المسلمين . فلما ولي عُمر بن عبد العزيز ، بكت إلى خازن بيت
 السلاح : أن وجهه لحي برأس الحسين بن علي ، فكتب إليه أن سُلَيْمَانُ أَخَذَه وجعلَه في سَفَطٍ ،
 وصلى عليه ودَفَنَه . فلما دخلت المسوَّدة سألوا عن موضع الرأس^(a) ، فنبشوه وأخذوه . والله أعلم
 ما صنَّع به .

وقال السُّنْدِي^(b) : لما قُتِل الحسين بن علي بكت السماء عليه ، وبكاؤها محمَّرتها . وعن عطاء
 في قوله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [آية ٢٩ سورة الدخان] قال : بكأوها حُمرةً
 أطرافها . وعن علي بن مُشهر ، قال : حدَّثني جدِّي قالت : كنت أيام الحسين جارية شابة ،
 فكانت السماء أيامًا كأنها عُلقة . وعن الزُّهري : بلغني أنه لم يقلب حجرٌ من أحجار بيت المقدس
 يوم قُتِل الحسين إلا وُجد تحت دم عبيط .

ويقال إن الدنيا أظلمت يوم قُتِل ثلاثًا ، ولم يمس أحدٌ من زُغفرانهم شيئًا فجعله على وجهه إلا
 احترق . وأنهم أصابوا إبلًا في عسكر الحسين يوم قُتل ، فتخروها وطبخوها فصارت مثل العَلَقَم ، فما
 استطاعوا أن يُسيغوا منها شيئًا . وروي أن السماء أمطرت دما ، فأصبح كل شيء لهم ملآن دما .
 ما كان يُقتل في يوم عاشوراء - (c) أول من تظاهر بالحزن في يوم عاشوراء من الملوك مُعز الدولة
 أحمد بن بُويه ، وذلك أنه أمر في عاشر المحرم من سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة أن يُغلق الناس

(a) بولاق : الرأس الكريمة الشريفة . (b) بولاق وليدن : السري . (c-c) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وليدن .

يغداد الحوانيت ويظهرها الثياحة وتخرج النساء منتشرات الشعور مسودات الوجوه وقد شققن ثيابهن وهن بلطمن وينحن على الحسين، ففعل الناس ذلك وما قدر أحد على إنكاره. ومن حينئذ تناقل الناس هذا الفعل وعجل بمصر^(ع).

قال ابن زولاق في كتاب: «سيرة المعز لدين الله»: في يوم عاشوراء سنة ثلاث وستين وثلاث مائة، انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثم^(أ) ونفيسة، ومعهم جماعة من قُزسان المغاربة ورجالهم بالثياحة والبكاء على الحسين - عليه السلام - وكسروا أواني السقائين في الأسواق، وشققوا الزوايا، وسبوا من يثق في هذا اليوم، ونزلوا حتى بلغوا مشجدة الرياح، وفازت عليهم جماعة من رعية أشقل. فخرج أبو محمد الحسين بن عمار - وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر - وأغلق الدُورَ ومنع الفريقين، ورجع الجميع، فحسن موقع ذلك عند المعز. ولولا ذلك لعظمت الفتنة؛ لأن الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور، وعطلوا الأسواق^١.

وأما قويت أنفُس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو^(ب) في أيام الإخشيدية والكافورية من الفتن^(ج) في يوم عاشوراء عند قبر كلثم^(أ) وقبر نفيسة. وكان سودان كافور^(د) يتعصبون على الشيعة، ويتعلق السودان في الطرقات^(هـ) بالناس ويقولون للرجل: من خالك؟ فإن قال معاوية أنكرموه، وإن سككت لقي المكروه، وأخذت ثيابه وما معه - حتى كان كافور قد وكل بالصُخراء، ومنع الناس من الخروج^٢.

وقال المسبحي: وفي يوم عاشوراء - يعني من سنة ست وتسعين وثلاث مائة - جرى الأمر فيه على ما يجري كل سنة من تغطيل الأسواق وخروج المتشدين إلى جامع القاهرة، ونزولهم مجتمعين بالثُوح والتشيد.

ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن الثعمان سائر المتشدين الذين يتكشبون بالثُوح والتشيد، وقال لهم: لا تُلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتهم على حوانيتهم، ولا تؤذوهم، ولا تتكشبوا بالثُوح والتشيد، ومن أراد ذلك فعليه بالصُخراء.

(أ) كلثم. (ب) بولاق: لا تخلو منهم. (ج) من الفتن ساقطة من بولاق وليدن. (د) بولاق وليدن: السودان وكافور. (هـ) أباصوفيا: الطرق.

ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع القتيق بعد الصلاة وأنشدوا، وخرجوا على الشوارع بجمعهم وسبوا السلف. فقَبَضُوا على رَجُلٍ، وتُودِي عليه: هذا جزاء من سَبَّ عائشة وزوجها ﷺ. ^(١) فاجتمع الزعاع والغوغاء معه وسبوا السلف ^(٢) وقُدِّم الرجل بعد النداء وضربت عنقه ^١.

وقال ابن المأمون: وفي يوم عاشوراء - يعني من سنة خمس عشرة وخمس مائة - عُيِّن السَّمَاطُ بِمَجْلِسِ الْعَطَايَا من دار الملوك بمصر - التي كان يسكنها الأفضل ابن أمير الجيوش - وهو السَّمَاط المختص بعاشوراء، وهو يُعَيَّن في غير المكان الجاري به العادة في الأعياد، ولا يُفعل مُدَوَّرَةٌ خَشَبٌ بل شَفْرَةٌ كبيرة من آدم، والسَّمَاطُ يعلوها من غير مَرَاثِع نُحَاسٍ، وجميع الزُّبَادِي أَجْبَانٍ وَسَلَاتِقٍ ^(٣) ومخللات وجميع الخبز من شعير.

وخرج الأفضل من باب فُزْد الكُتْم، وجلس على إساط ضوف من غير مِسْوَرَةٍ ^٢، واستفتح المقرئون، واشتدعت ^(٤) الأشراف على طبقاتهم، وحمل السَّمَاطُ لهم. وقد عُيِّل في الصُّخَنِ الأول الذي بين يدي الأفضل إلى آخر السَّمَاط عَدَسٌ أسود، ثم بعده عَدَسٌ مُصَفَّى إلى آخر السَّمَاط، ثم رُفِعَ وَقُدِّمَتْ صُحُوفٌ جميعها عَسَلٌ نَحْل ^٣.

ولما كان يوم عاشوراء - يعني من سنة ست عشرة وخمس مائة - جلس الخليفة الأمير بأحكام الله على باب الباذننج - يعني من القصر - بعد قتل الأفضل وعُود الأسيطة إلى القصر، على كُرْسِي جَرِيدٍ بغير مخدة، مثلثاً هو وجميع حاشيته، فسَلَّمَ عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز ^٤، وأذن للقاضي والداعي والأشراف والأمراء بالسلام عليه، وهم بغير متنايل - ^(٥) يعني عَمَائِمٍ ^(d) - ملثمون حفاة.

وعُيِّن السَّمَاطُ في غير موضعه المعتاد، وجميع ما عليه نُخِزَ الشَّعِيرِ والخواضر على ما كان في الأيام الأفضلية. وتقدم إلى والي مصر والقاهرة بالألا يمكناً أخذاً من جمع ولا قراءة مُضَرَّعِ الحُسَيْن. وخرج

a-a ساقطة من بولاق. (b) بولاق: سلاط. (c) بولاق: واستدهي. (d-d) ساقطة من بولاق وليدن.

^١ المسبحي: نصوص ضائعة ٢٣؛ المقرئ: انماط ٢: ٦٧. ^٢ ابن المأمون: أخيار مصر ١٥. ^٣ حاشية بخط المؤلف: «المشور والمشورة - بكسر الميم - مثلاً من آدم، وهي التي يقال لها في زمننا المدورة». (القاموس المحيط). ^٤ القيريز جد. قراميز. صبح أرمني يكون من عصارة دود.

الرَّسْمُ المَطْلُوقُ للمتصدِّرين والقُرَّاء الخاصَّ والوُعَاطِ والشُّعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم^١. قال: وفي ليلة عاشوراء - من سنة سبع عشرة وخمسة مائة - اعتمد الأجلُّ الوزير المأمون^٢ على الشَّيْخَةِ الأفضليَّة من المُضَيِّ فيها إلى الثَّوْبَةِ الجُوشِيَّة، وحضور جميع المتصدِّرين والوُعَاطِ وقُرَّاء القرآن إلى آخر الليل، وعَوَّده إلى داره. واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك، وجلس الخليفة على الأرض مثلثاً برزِّي^٣ الحُزْنَ، وحضَّر مَنْ شَرَفَ بِالسَّلام عليه والجلوس على السَّمَطِ بما جرت به العادة^٤.

قال ابن الطَّوَيْر: إذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن النَّاس، فإذا غَلَ النَّهَارُ رَكِبَ قاضي القضاة والشُّهود وقد غَيَّرُوا رِيثَهُمْ - فيكونون كما هم اليوم - ثم صاروا إلى المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ - وكان قبل ذلك يُعْمَلُ في الجامع الأزهر - فإذا جلسوا فيه ومَنْ معهم من قُرَّاء الحَضْرَةِ والمتصدِّرين في الجوامع، جاء الوزير فجلس صَدْرًا، والقاضي والدَّاعي من جانبيه، والقُرَّاء يقرأون نَوْبَةً بنَوْبَةٍ، ويُتَشَدُّ قَوْمٌ من الشُّعراء غير شُعراء الخليفة شعراً يَزَيُّونَ به أهل البيت عليهم السَّلام. فإن كان الوزير رافضياً تغالوا، وإن كان سُنيًّا اقتصدوا^٥. ولا يزالون كذلك إلى أن تَمُضِيَ ثلاث ساعات، فيستدعون إلى القصر بنقباء الرِّسَالِ، فيزكِّبُ الوزير وهو يَمْنِدِيلٌ صغير إلى داره، ويدخل قاضي القضاة والدَّاعي ومن معهما إلى باب الدَّهَبِ فيجدون الدَّهاليز قد فُرِشَتْ مَسَاطِيبُهَا بالحُضَرِ بَدَلِ البُشَطِ، ويُنْصَبُ في الأماكن الخالية من المصاطب دِكْكَ لتَلْحَقَ بالمصاطب وتُفَرَّشَ^٦، ويجدون صاحب الباب جالساً هناك فيجلس القاضي والدَّاعي إلى جانبه، والنَّاسُ على اختلاف طبقاتهم، فيقرأ القُرَّاء ويُتَشَدُّ المُتَشَدِّونَ أيضاً، (لهم يُفَرَّشَ وَسَطُ القَاعَةِ بالحُضَرِ المقلوبة ليس على وجوهها وإنما تخالف مقاربتها^٧)، ثم يُفَرَّشَ عليها «سِمَاطُ الحُزْنَ» مقدار ألف زبدية من القدس والملوحات والمخللات والأجبان والآليان السَّاذجة والأغسال النَّحْلِ والفطير والخبز المغيَّر لونه بالقَصْدِ. فإذا قَرَّبَ الظُّهُرُ وَقَفَ صاحبُ الباب وصاحبُ المائدة، وأذْخَلَ^٨ النَّاسَ لِلأَكْلِ منه. فيدخل القاضي والدَّاعي، ويجلس صاحبُ الباب نيابةً عن الوزير،

٤٣٢:١

(a) ساقطة من بولاق وليدن. (b) بولاق وليدن: يرى ٤. (c) بولاق: لتفرش. (d-d) ساقطة من بولاق وليدن. (e) بولاق وليدن: أدخل.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٣٥. ^٢ تحدث هنا التمييز منذ أن ولي الوزارة الوزير السني

^٣ نفسه ٥٩. ^٤ رضوان بن ولحي سنة ٥٣١هـ.

والمذكوران إلى جانبه^١، وفي الناس من لا يَدْخُل، ولا يُلْزَمُ أَحَدٌ بذلك . فإذا فَرَغَ الْقَوْمُ انفصلوا إلى أماكنهم رُكْبَاتًا بِذلك الرَّيِّ الذي ظَهَرُوا فيه ، وطافَ التَّوَالِخُ بالقاهرة ذلك اليوم ، وأغلقَ البِيعَاوُنُ حِوَانِيَتَهُمْ إلى جِوَارِ الْعَصْرِ ، فَيُفْتَحُ النَّاسُ بعد ذلك ويتصرفون^٢.

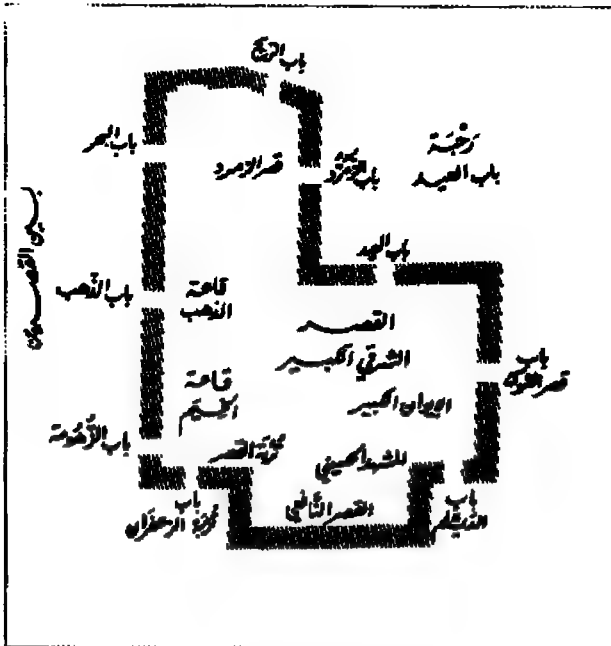
ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ

وكان لهذا الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ : أَكْبَرُهَا وَأَجْلَاهَا بَابُ الذَّهَبِ ، ثم بَابُ الْبَحْرِ ، ثم بَابُ الرُّيْحِ ، ثم بَابُ الرُّمُودِ ، ثم بَابُ الْعِيدِ ، ثم بَابُ قَصْرِ الشُّوكِ ، ثم بَابُ الدَّيْلَمِ ، ثم بَابُ ثَوْبَةِ الرُّعْفَرَانِ ، ثم بَابُ الرُّهُومَةِ^٣.

بَابُ الذَّهَبِ

وهو بَابُ الْقَصْرِ الذي تَدْخُلُ منه الْعَسَاكِرُ وَجَمِيعُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، فِي يَوْمِي الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمْسِينَ ، لِلْمُؤَكِّبِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ بِقَاعَةُ الذَّهَبِ^٤.

قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله : إِنَّهُ لما خَرَجَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ أَخْرَجَ أَقْوَالَ كَانَتْ لَهُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَأَمَرَ بِسَبْيِكِهَا أَرْجِيَّةً كَأَرْجِيَّةِ الطَّوَّاحِينِ ، وَأَمَرَ بِهَا حِينَ دَخَلَ إِلَى مِصْرَ فَأُلْقِيَتْ عَلَى بَابِ قَصْرِهِ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَ النَّاسُ يَسْتَوْنَهَا الْخَشَرَاتِ . وَلَمْ تَزَلْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ



أبواب القصر الفاطمي الكبير

(a) يولاق وليدن : جانبه .

Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 223-95.

^١ ابن الطوير : فرحة الملقين ٢٢٣ - ٢٢٤ ، وفيما يلي ١ : ٤٩٠ .

^٢ انظر فيما تقدم ٢٨٨ - ٢٩٣ .

^٣ راجع حول أبواب القصر وتحديد مواضعها Fu'ad

إلى أن كان زَمَنُ الغلاء في أيام الخليفة المُستنصر بالله، فلما ضاقَ بالثاس الأمر، أُذِنَ لهم أن يَبْزُدُوا منها بِمِيارٍ، فَاتَّخَذَ الثاسُ مِبارِدَ حادَّةً، وَغَرَّهَمُ الطَّمْعُ حَتَّى ذَهَبُوا بِأَكْثَرِها، فَأَمَرَ بِحَمْلِ الباقي إلى القصر فلم تُر بعد ذلك .

وقال ابنُ مَيْسَرٍ: إِنَّ المِيزَ لَمَّا قَدِمَ إلى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب . وقال غيره: كانت خمس مائة جمل على كُلِّ جَمَلٍ ثلاثة أَرْجِيَةِ ذَهَبًا، وإِنَّ عَمِلَ عِصَادَتِي الباب من تلك الأَرْجِيَةِ، واجدة فوق أخرى، فَشَمِي باب الذهب .

جُلُوسُ الخليفة في المواليد بالْمَنْظَرَةِ عُلوُّ باب الذهب - قال ابنُ المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمس مائة: وفي الثاني عشر من المحرم كان المَوْلِدُ الآمري، وَاتَّفَقَ كَوْنُهُ في هذا الشهر يوم الخميس، وكان قد تَقَرَّرَ أن يعمل أربعون صينية تُحْشَكُنَاجَ وَحَلْوَى وَكَفْكَ، وَ أُطْلِقَ بِرْشَمُ المَشَاهِدِ المحتوية على الضرائح الشريفة لكلِّ مَشْهَدٍ شُكْرٌ وَعَسَلٌ وَلَوْزٌ وَدَقِيقٌ وَشِيرَجٌ . وَتَقَدَّمَ بِأنْ يُعْمَلَ خمس مائة رطل حَلْوَى، وَتُفَرَّقَ على المتصدِّرين والقراء والفقراء: للمتصدِّرين ومن معهم في صُحُونٍ، وَلِلْفُقَرَاءِ على أرغفة السَّمِيدِ .

ثم حَضَرَ في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود، وَجَمِيعُ المتصدِّرين وقراء الحَضْرَةِ، وَفُتِحَتِ الطُّلُقاتُ التي قِتلِي باب الذهب، وَجَلَسَ الخليفة وَسَلَّمُوا عليه . ثم خَرَجَ مُتَوَلِّي بيت المال بِصندوقٍ مَخْتومٍ، ضَمَنَهُ عَيْتًا: مائة دينار وألف وثمان مائة وعشرون دِرْهَمًا بِرْشَمِ أَهْلِ القَرافة وساكينها وغيرهم . وَفُزَّتِ الصُّوانِي بعد ما حُمِلَ منها لِلْخَاصِّ، وَزِمَامُ القصر، وَمَتَوَلِّي الدُّفْرِ خَاصَّةً، وإلى دار الوِزَارَةِ، والأَجَلَاءُ الأُخوة والأولاد، وَكَاتِبُ الدُّسْتِ، وَمَتَوَلِّي حُجْبَةِ الباب، والقاضي، والداعي، وَمُفْتِي الدَّوْلَةِ، وَمَتَوَلِّي دار العِلْمِ، والمُقرِّين الخاصِّ، وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف^١ .

قال: وَخَرَجَ الأمرُ - يعني في سنة سبع عشرة وخمس مائة - بِإِطْلَاقِ ما يَخْصُ المَوْلِدُ الآمري بِرْشَمِ المَشَاهِدِ الشَّريفة^٢ من سكر وعسل وشِيرَجٍ ودقيق، وما يُصْنَعُ مِمَّا يُفَرَّقُ على المساكين بِالْجَامِعِينَ الأَزْهَرِ بالقاهرة والعتيق بمصر والقَرافة خمسة قناطير حَلْوَى وألف رطل دَقِيقٍ، وما يُعْمَلُ بِدار الفِطْرَةِ وَيُحْمَلُ لِلأَغْيَانِ والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية أربعين صينية تُحْشَكُنَاجُ .

^٢ نفسه ٦٠ .

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٣٥-٣٦ .

وحَضَرَ القاضي والدَّاعِي والمستخدمون بدار العيد^(أ) والشُّهُود في عَشِيَةِ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ، وَقُطِعَ سُلُوكُ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ فِي الْمَنْظَرَةِ، وَقَبِلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمَقْرُوءُونَ الْخَاصَّ جَمِيعَهُمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَتَقْدُمُ الْخَطِيبُ وَخَطَبَتْ حُطْبَةً وَسَّعَ الْقَوْلُ فِيهَا، وَذَكَرَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرَ، ثُمَّ حَضَرَ مَنْ أَنْشَدَ وَذَكَرَ فَضِيلَةَ الشَّهْرِ وَالْمَوْلُودِ فِيهِ. ثُمَّ خَرَجَ مَتَوَلِّي بَيْتِ الْمَالِ وَمَعَهُ صَنْدُوقٌ مِنْ مَالِ التُّجَاوِي خَاصَّةً، مِمَّا يُفَرَّقُ عَلَى الْحُكْمِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ^١.

قَالَ: وَاسْتَهْلَ رَبِيعُ الْأَوَّلِ، وَبَدَأَ بِمَا شَرَفَ بِهِ الشَّهْرُ الْمَذْكُورُ، وَهُوَ ذِكْرُ مَوْلِدِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ لثَلَاثَ عَشْرَةِ مِنْهُ، وَأُطْلِقَ مَا هُوَ بِرِسْمِ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَالِ التُّجَاوِي خَاصَّةً سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَمِنْ الْأَصْنَافِ مِنْ دَارِ الْفِطْرَةِ أَرْبَعُونَ صِينِيَّةً فِطْرَةً، وَمِنْ الْخَزَائِنِ بِرِسْمِ الْمَتَوَلِّينَ وَالسَّدَنَةِ لِلْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ^٢ الَّتِي بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْقَرَأَةِ الَّتِي فِيهَا أَعْضَاءُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَكَّرَ وَعَسَلَ وَلَوْزَ وَشِيرَجَ لِكُلِّ مَشْهَدٍ، وَمَا يَتَوَلَّى تَفَرَّقَتْ سَنَاءُ الْمَلِكِ بْنِ مُيَسَّرَ أَرْبَعِ مِائَةِ رَطْلٍ خِلَاوَةً وَأَلْفَ رَطْلٍ خَبَزَ^٣.

قَالَ: وَكَانَ الْأَنْفَضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ قَدْ أَبْطَلَ أَمْرَ الْمَوْلِدِ الْأَرْبَعَةِ: النَّبَوِي، وَالْعَلَوِي، وَالْفَاطِمِي، وَالْإِمَامِ الْحَاضِرِ وَمَا يَهْتَمُّ بِهِ، وَقَدَّمَ الْعَهْدُ بِهِ حَتَّى نُسِي / ذِكْرَهَا، فَأَخَذَ الْأُسْتَاذُونَ بِجَدِّدُونَ ذِكْرَهَا لِلْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَبِرَدِّدُونَ الْحَدِيثَ مَعَهُ فِيهَا، وَيُحْسِنُونَ لَهُ مُفَاوَضَةً^(ب) الْوَزِيرَ بِسَبِيحِهَا وَإِعَادَتِهَا وَإِقَامَةَ الْجَوَارِي وَالرُّسُومِ فِيهَا. فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ، وَعَمِلَ مَا ذُكِرَ^٤.

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: ذِكْرُ مَجْلُوسِ الْخَلِيفَةِ فِي الْمَوْلِدِ السُّتَّةِ فِي تَوَارِيخٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمَا يُطْلَقُ فِيهَا - وَهِيَ: مَوْلِدُ النَّبِيِّ ﷺ^{*}، وَمَوْلِدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَوْلِدُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَمَوْلِدُ الْحَسَنِ، وَمَوْلِدُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَمَوْلِدُ الْخَلِيفَةِ الْحَاضِرِ - وَيَكُونُ هَذَا الْمَجْلُوسُ فِي

(أ) كَذَا بِالنَّسْخِ وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ: دَارُ الْفِطْرَةِ. (ب) بَوْلَاقُ: مَعَارِضَةٌ.

^{*} عن تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي انظر Kaptein, N.J.G., *Muhammad's Birthday Festival. Early History in the Central Muslim Land and Development in the Muslim West until the 10th / 16th Century*, Leiden - Brill 1993.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٦٠.
^٢ أي المشاهد التسعة انظر عنها فيما يلي ٤٣٦:٢ -

٤٤٢.

^٣ ابن المأمون: أخبار مصر ٦٤.

^٤ نفسه ١٦٢ المقرري: المتقى الكبير ٦: ٤٨٤.

المنظرة التي هي أنزل المناظر، وأقرب إلى الأرض، قبالة دار فخر الدين بجهاز كس والفئدة المستجدة.

فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، تقدم بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطاراً من الشكر اليابس خلواء يابسة من طرائفها، وتعباً في ثلاث مائة صينية من الثحاس - وهو مؤلف النبي ﷺ - فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة، من أول النهار إلى ظهره^١. فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القراء بالحضرة، والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقوة المشاهيد. ولا يخرج ذلك عما يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه^٢.

فإذا صُلِّي الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة الصواني، فيجلسون بمقدار قراءة الختم الكريمة. ثم يشتدعي قاضي القضاة ومن معه، فإن كانت الدعوة مضافة إليه ولأخصر الداعي معه ببقاء الرسائل، فيركبون ويسرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من الشيوخين، قبل الابتداء بشلو^٣ بين القصرين، فيقفوا هناك. وقد مسكت^٤ الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن شوقنة أمير الجيوش عند الخوض هناك، وكينت الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفاً، وفرش تحت المنطرة المذكورة بالزمل الأصفر.

ثم يشتدعي صاحب الباب من دار الوزارة، والي القاهرة ماضي وعائد بحفظ^٥ ذلك المؤضع^٦ من الازدحام على نظير الخليفة. فيكون يروى صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم، فيقربون من المنطرة، ويترجلون قبل الوصول إليها بخطوات، فيجتمعون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة. فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المئيل، وعلى رأسه عدة من الأشتاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم. ويفتح بعض الأشتاذين طاقةً، ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كفه، ويشير به قائلاً: «أمير المؤمنين يرؤ عليكم السلام»، فيسلم بقاضي القضاة أولاً بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين أحد.

(a) بولاق: بالسوك. (b) بولاق ولندن: سلكت. (c) بولاق: لحفظ. (d) بولاق ولندن: اليوم.

فَيَسْتَفْتِيهِ قُرَاءُ الْحَضْرَةِ بِالْقِرَاءَةِ ، وَيَكُونُونَ قِيَامًا فِي الصُّنْدُرِ وَجُوهُهُمْ لِلْحَاضِرِينَ ، وَظُهُورُهُمْ إِلَى حَائِطِ الْمَنْظَرَةِ . فَيَقْدُمُ خَطِيبُ الْجَامِعِ الْأَنْوَرِ - المعروف بهجامع الحايكم - فَيَخْطُبُ كَمَا يَخْطُبُ فَوْقَ الْمِنْبَرِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُ : وَإِنَّ هَذَا يَوْمَ مَوْلَدِهِ إِلَى مَا مَرَّ اللَّهُ تَعَالَى^(a) بِهِ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ رِسَالَتِهِ ، ثُمَّ يَخْتُمُ كَلَامَهُ بِالذِّعَاءِ لِلْخَلِيقَةِ ؛ ثُمَّ يُؤَخَّرُ ، وَيُقَدِّمُ خَطِيبُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ فَيَخْطُبُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ يَخْطُبُ الْجَامِعُ الْأَقْمَرُ فَيَخْطُبُ كَذَلِكَ . وَ الْقُرَاءَةُ فِي خِلَالِ خُطْبَاتِهِ الْخُطَبَاءُ يَقْرَأُونَ . فَإِذَا انْتَهَتْ خُطْبَاتُهُ الْخُطَبَاءُ ، أَخْرَجَ الْأَشْتَادُ رَأْسَهُ وَبَدَهُ فِي كُفِّهِ مِنْ طَائِقِهِ ، وَرَدَّ عَلَى الْجَمَاعَةِ السَّلَامَ ، ثُمَّ تَغْلَقُ الطَّاقَتَانِ فَتَنْقُضُ النَّاسُ . وَبِجَرِيِّ أَمْرِ الْمَوْلِدِ الْخَمْسَةِ الْبَاقِيَةِ عَلَى هَذَا النَّظَامِ إِلَى حِينَ قَرَأَهَا عَلَى عِدَّتِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ^١ . انْتَهَى .

وهذا الباب صارَ بعد زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ يُقَابِلُ دَارَ الْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ بِجَهَازِ كَسِ الصَّلَاحِيِّ ، الَّتِي عُرِفَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْأُتَارِ الْقُطَيْبِيَّةِ ، وَهِيَ الْآنَ الْمَارِشَتَانِ الْمَنْصُورِيَّةُ ، وَصَارَ مَوْضِعُ هَذَا الْبَابِ بِمِخْرَابِ الْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الرُّكْنِيَّةِ بَيْرُوسَ^(b) .

بابُ الْبَحْرِ

هُوَ مِنْ إِنْشَاءِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي عَلِيٍّ مَنْصُورٍ ، وَهَدِيَمَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنَ الدِّينِ بَيْرُوسَ الْبُنْدُقْدَارِي ، وَشُوهِدَ فِيهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ . قَالَ جَامِعُ « السِّيَرَةِ الظَّاهِرِيَّةِ » : لَمَّا كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ - يَعْنِي مِنْ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتْ مِائَةٍ - رُيِسَ بِنَقْضِ عُلُوِّ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْمُسَمَّى بِبَابِ الْبَحْرِ ، قُبَالَةَ الْمَدْرَسَةِ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ ، لِأَجْلِ نَقْلِ عُثْمَدٍ فِيهِ لِبَعْضِ الْعِمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَظَهَرَ صَنْدُوقٌ فِي حَائِطٍ عَلَيْهِ . فَلَوُغَتْ أَخْضِرَتْ الشُّهُودُ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَفُتِحَ الصَّنْدُوقُ فَوُجِدَ فِيهِ صُورَةٌ مِنْ نُحَاسٍ أَصْفَرٍ مَفْرُغٍ عَلَى كُرْسِيِّ شَكْلِ الْهَرَمِ ارْتِفَاعُهُ قَدْرُ شِبْرٍ ، لَهُ أَرْبَعَةُ أَرْجُلٍ تَحْمِلُ الْكُرْسِيَّ ، وَالصَّنَمُ جَالِسٌ عَلَيْهِ^(a) مَتَوَرِّكًا ، وَلَهُ يَدَانِ مَرْفُوعَتَانِ ارْتِفَاعًا جَيِّدًا ، يَحْمِلُ صَفِيحَةً^(d) دَوْرَهَا قَدْرُ ثَلَاثَةِ أَشْبَارٍ . وَفِي هَذِهِ الصَّفِيحَةِ^(e) أَشْكَالٌ نَائِمَةٌ^(f) ، وَفِي الْوَسْطِ صُورَةٌ رَأْسٍ بِغَيْرِ جَسَدٍ ، وَدَائِرَةٌ مَكْتُوبٌ بِكَتَابَةِ الْقُوتُبِيِّ وَبِالْقَلْفَطِيرِيَّاتِ ، وَإِلَى جَانِبَيْهَا فِي الصَّفِيحَةِ^(g) شَكْلٌ لَهُ قَرْنَانِ يُشْبِهُ شَكْلَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : مدرسة الظاهر ركن الدين بيرس . (c) بولاق : شبه . (d) بولاق : صحيفة . (e) بولاق : الصحيفة . (f) بولاق : نائمة .

المُسْتَبَلَّة ، وإلى الجانب الآخر/ شكل آخر وعلى رأسه صليب ، والآخر في يده عُكَّاز وعلى رأسه صليب ، وتحت أرجلهم أشكال طيور ، وفوق رؤوس الأشكال كتابة .

ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لُوح من ألواح الصَّيَّان التي يكتبون فيها بالمكاتب ، مَذْهُونٌ وَجْهه الواحد أبيض ، وَوَجْهه الواحد أحمر ، وفيه كِتَابَةٌ قد تَكَشَّطَ أَكْثَرُها من طول المِلَّة . وقد تَلَّى اللُّوح ، وما بقيت الكِتَابَةُ تَلْتَم من الحَطِّ يُفْهَم^١ . وهذا نص ما فيه ، وأُخْلِيت مكانَ كتابته التي تَكَشَّطَتْ ، وأما الِوَجْهُ الأبيض فهو مكتوب بقلم الصَّفِيحَةِ^٢ القِبْطِي . والمكتوب في الِوَجْه الأحمر على هذه الصُّورَة :

السُّطْرُ الأوَّل : بقي منه مكتوبًا الإِسْكَندَر . السُّطْرُ الثاني : الأرض وَهَبَهَا لَهُ . السُّطْرُ الثالث : وَجَرِبَ لِكُلِّ . السُّطْرُ الرابع : أَصْحَاب . السُّطْرُ الخامس : وَهُوَ يَخْرُص . السُّطْرُ السادس : وَاخْتِارَاهُ بِقُوَّة . السُّطْرُ السابع : الْمَلِكُ مَرْجُو وَأَبْوَاب . السُّطْرُ الثامن : غَيْرِ بَيْتِهِ سَبْعَةَ . السُّطْرُ التاسع : عَالِمٌ حَكِيمٌ عَالِمٌ فِي عَقْلِهِ . السُّطْرُ العاشر : وَصَفَهَا فَلَا تَفْسَد . السُّطْرُ الحادي عشر : طَارِدَ كُلِّ سُوءٍ ، وَالَّذِي صَاغَهَا النِّسَاء . السُّطْرُ الثاني عشر : سَدَّ أَيْضًا كُلَّ آثَارِ أَسَدِيَّةٍ يَبْتَرِسُ وَهِيَ أَحَدُ . السُّطْرُ الثالث عشر : يَبْتَرِسُ مَلِكُ الزَّمَانِ وَالْحِكْمَةُ ، كَلِمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

هذا صورة ما وَجَدَ فِي اللُّوحِ مِمَّا بَقِيَ مِنَ الْكِتَابَةِ ، وَالْبَقِيَّةُ قَدْ تَكَشَّطَتْ .
وقيل إنَّ هذا اللُّوحَ بِحُطِّ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ ، وَأَعْجَبَ مَا فِيهِ اسْمُ السُّلْطَانِ ، وَهُوَ يَبْتَرِسُ .
ولمَّا شَاهَدَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ أَمَرَ بِقِرَاءَتِهِ ، فَعَرَضَ عَلَى قُرَاءِ الْأَقْلَامِ فَقَرَأَ ، وَذَلِكَ بِالْقَلَمِ الْقِبْطِيِّ .
ومضمونه : طَلَسْتُمْ عَمِلَ لِلظَّاهِرِ بْنِ الْحَاكِمِ ، وَاسْمُ أُمِّهِ رَصَدٌ ، وَفِيهِ أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَغَزَائِمِ وَزُقَى وَأَسْمَاءُ رُوحَانِيَّةٍ وَصُورِ مَلَائِكَةٍ ، أَكْثَرُهَا خَزَنُ لِدْيَارِ مِصْرَ وَتُفُورِهَا ، وَصُورُ الْأَعْدَاءِ عَنْهَا^٣ وَكُفُّهُمْ عَنْ طَرُوقِهِمْ إِلَيْهَا ، وَابْتِهَالٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَقْسَامِ كَثِيرَةٍ بِحِمَايَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَصَوْنِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ،

(a) يولاق : الصحيفة .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٤١٨-٤١٩ والنص الذي أورده المقرئ بعد ذلك ساقط من ابن عبد الظاهر وقارن ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ١٧٠ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ١٢ المقرئ : السلوك ١ : ٦٠٩ أبا الحسن : النجوم ٧ : ١٦٣ .

^١ فيما يلي ٢ : ٣٧٨ . وأدى فتح شارع بيت القاضي سنة ١٢٢٩هـ / ١٨٧٤م في عهد الخديوي إسماعيل إلى قضم القسم الأكبر من المدرسة الظاهرية القديمة ، وإن كانت بقاياها مازالت قائمة داخل عطفة طاهر ، على بين الداخل إلى شارع بيت القاضي من جهة شارع المعز لدين الله . (انظر Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 239-42 .

وَحِفْظُهَا مِنْ كُلِّ طَارِقٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْناسِ . وَتَضَمَّنَ هَذَا الطُّلُسُ كِتَابَةً بِالْقَلْفُطِيرِيَّاتِ وَأَوْفَاقًا وَضُورًا وَخَوَاصًّا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَحُمِلَ هَذَا الطُّلُسُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَبَقِيَ فِي ذَخَائِرِهِ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ عَتِيقِي رَثَ سَمَاءٍ مُصَنَّفَةٍ وَصِيَّةِ الْإِمَامِ الْغَزِيذِ بِاللَّهِ وَالِدِ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ لَوْلَهُ الْمَذْكُورُ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِيهِ الطُّلُسَمَاتِ الَّتِي عَلَى أَبْوَابِ الْقَصْرِ ، وَمِنْ جَمَلَتِهَا أَنَّ أَوَّلَ الْبُرُوجِ^١ الْحَمَلُ ، وَهُوَ بَيْتُ الْمَرْيَحِ وَشَرْفُ الشَّمْسِ ، وَلَهُ الْقُوَّةُ عَلَى جَمِيعِ سُلْطَانِ الْفَلَكَ لِأَنَّهُ صَاحِبُ السَّيْفِ وَاسْتَفْهِيلَارِيَةِ الْعَشْكَرِ بَيْنَ يَدَيْ الشَّمْسِ الْمَلَكَةِ ، وَلَهُ الْأَمْرُ وَالْحَرْبُ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُوَّةُ ، وَالْمُسْتَوْلِي لِقُوَّةِ رُوحَانِيَّتِهِ عَلَى مَدِينَتِنَا . وَقَدْ أَقْنَأْنَا طُلُسًا لِسَاعَتِهِ وَبُيُومِهِ ، لَقَهْرِ الْأَعْدَاءِ^٢ وَذُلِّ الْمُنَافِقِينَ ، فِي مَكَانٍ أَحْكَمْنَاهُ عَلَى إشرافِهِ عَلَيْهِ ، وَالْحَيْضُنِ الْجَامِعِ لِقَصْرِه^٣ ، مَجَاوِرًا لِأَوَّلِ بَابِ بَنِيانِهِ ، هَذَا نَصُّ مَا رَأَيْتُهُ . انْتَهَى .

- ١٠ وَلَعَلَّ مَعْنَى كِتَابَةِ بَيْيُوسٍ فِي هَذَا اللَّوْحِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَكُونُ عَلَى زَمَانِ بَيْيُوسٍ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ كَانَتْ لَهُمْ مَعَارِفُ كَثِيرَةٌ ، وَعَنَائِتُهُمْ بِهَذَا الْفَرْقِ وَافِرَةٌ كَبِيرَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَمَوْضِعُ بَابِ الْبَحْرِ هَذَا الْيَوْمَ يُعْرَفُ بِبَابِ قَصْرِ بَشْتَاكِ قُبَالَةَ الْمَدْرَسَةِ الْكَامِلِيَّةِ^٤ .

بَابُ الزَّيْحِ

- كَانَ عَلَى مَا أَدْرَكَتْهُ تَجَاهُ شُورِ سَعِيدِ الشُّعْدَاءِ ، عَلَى يَمِينَةِ السَّالِكِ مِنَ الرُّوْكِ الْمَخْلُوقِ إِلَى رَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ . وَكَانَ بَابًا مَرْتَبًا كَبِيرًا^١ يُشَلِّكُ فِيهِ مِنْ دَهْلِيزِ مُسْتَطِيلٍ مُظْلِمٍ إِلَى حَيْثُ الْمَدْرَسَةِ الشَّايِقِيَّةِ^٢ وَدَارِ الطَّوَّاشِي سَابِقِ الدِّينِ وَقَصْرِ أَمِيرِ السَّلَاحِ^٣ ، وَيَنْتَهِي إِلَى بَيْتِ الْقَصْرِ بَيْنَ تَجَاهِ حَمَامِ الْبَيْسَرِيِّ .

(a) الروض الزاهر : الكواكب . (b) بولاق : لقصر . (c) ساقطة من بولاق .

^١ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٤١٩ وبقية النص
ساقط من نسخة الروض الزاهر .
برقم ٣٤ ، ويقع محل الواجهة الغربية للقصر الفاطمي
المطلّة على بين القصرين الآن بين شارع خان الحليلي جنوبًا

وسيل عبد الرحمن كخدا شمالاً .

^٢ فيما يلي ٣٩٣ .

^٣ فيما يلي ٧٠ : ٢ .

^٤ فيما يلي ٧٠ : ٢ ، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 246-51

وما زالت بقايا قصر بشتاك قائمة إلى الآن عند زاوية
التقاء شارع المعز لدين الله مع دُوب قُزمر ومسجلة بالآثار

وعُرفَ هذا الباب في الدَّوْلَةُ الأيوبية بباب قَصْر ابن الشَّيخ، وذلك أَنَّ الوَزِيرَ الصَّاحِبَ مُعِين الدِّينَ حسن^(١) بن شَيْخ الشُّيُوخ، وَزِيرَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْم الدِّينِ أَيُّوب، كان يَسْكُنُ بِالْقَصْرِ الَّذِي فِي دَاخِلِ هَذَا الْبَابِ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ فِي زَمَانِنَا بِأَبِ الْقَصْرِ. وَكَانَ عَلَى حَالِهِ لَهُ عِصَادَتَانِ مِنْ حِجَارَةٍ، وَيَعْلُوهُ أَشْكُفَةٌ خَجَرٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا نَقْرًا فِي الْحَجَرِ عِدَّةٌ أَشْطَرُ بِالْقَلَمِ الْكَوْفِيِّ لَمْ يَنْتَهِيَا لِي قِرَاءَةٍ مَا فِيهَا، وَكَانَ دِهْلِيزُ هَذَا الْبَابِ عَرِيضًا يَتَجَاوَزُ عَرْضُهُ فِيمَا أَقْدَرُ الْعَشْرَةَ أَذْرَعًا فِي طَوْلِ كَبِيرٍ جَدًّا، وَيَعْلُو هَذَا الْبَابَ دُورٌ لِلشَّكْنَى تُشْرِفُ عَلَى الطَّرِيقِ.

وَمَا زَالَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ أُنْشَأَ الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ الْمُشِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يَوْسُفُ الْأَشْتَاذُ مَدْرَسَتَهُ بِرِخْتَةِ بَابِ الْعِيدِ^(٢)، وَاعْتَصَبَ لَهَا أَمْلَاكُ النَّاسِ، وَكَانَ مِمَّا اعْتَصَبَ مَا بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنَ الْحَوَانِيتِ وَالرُّبَاعِ الَّتِي تَوْقَهَا وَمَا جَاوَزَ ذَلِكَ، وَهَدَمَهَا لِيَبْنِيَهَا عَلَى مَا يُرِيدُ. فَهَذَا هَذَا الْبَابُ فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ، وَبُنِيَ فِي مَكَانِهِ وَمَكَانِ الدَّهْلِيزِ الْمُظْلِمِ الَّذِي كَانَ يَنْتَهِي بِالنَّسَائِكِ فِيهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الشَّابِقِيَّةِ، هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ الْكَبِيرَةُ ذَاتُ الْحَوَانِيتِ وَالْفَسْتَقِيَّةِ^(٣) وَالْأَبْوَابِ الْجَدِيدَةِ، وَدَخَلَ فِيهَا بَعْضٌ مِمَّا كَانَ بِجَانِبِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْحَوَانِيتِ وَغُلَّوْهَا^(٤).

وَلَمَّا هُدِّمَ هَذَا الْبَابُ ظَهَرَ فِي دَاخِلِ بُيْتَانِهِ شَخْصٌ؛ وَبَلَّغَنِي ذَلِكَ فَيَسَّرَتْ إِلَى الْأَمِيرِ الْمَذْكُورِ - وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ صُخْبَةٌ - لِأَشَاهِدَ^(٥) الشَّخْصَ الْمَذْكُورَ، وَالتَّمَسْتُ مِنْهُ إِحْضَارَهُ. فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَخْبَضَ إِلَيْهِ شَخْصٌ مِنْ حِجَارَةِ قَصِيرِ الْقَامَةِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ أَصْغَرَ مِنْ أُخْتِهَا^(٦). فَقُلْتُ: لَا بَدَّ لِي مِنْ مُشَاهَدَتِهِ؛ فَأَمَرُ/ بِإِحْضَارِ الْمَوْكَلِ بِعَمَارَتِهِ^(٧). وَأَنَا مَعَهُ إِذْ ذَاكَ فِي مَوْضِعِ الْبَابِ، وَقَدْ هُدِّمَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْبِنَاءِ - (٨) وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ الشَّخْصِ^(٩)، فَذَكَرَ أَنَّهُ رَمَاهُ بَيْنَ أَحْجَارِ الْعِمَارَةِ، وَأَنَّهُ تَكَشَّرَ وَصَارَ فِيمَا بَيْنَهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ تَمْيِيزَهُ مِنْهَا، فَأَغْلَظَ عَلَيْهِ وَبَالَغَ فِي الْقَحْصِ عَنْهُ، فَأَعْيَاهُمْ إِحْضَارَهُ.

(a) بولاق: حسين. (b) بولاق: السقيفة. (c) بولاق: لأشاهد هذا. (d) بولاق: الأخرى. (e) بولاق: بالعمارة. (f-f) ساقطة من بولاق.

^١ فيما يلي ٤٠١:٢. والمسافة بين باب البحر وباب الرِّيح كانت نحو ١٨٤ مترًا،
^٢ فيما يلي ٤٠١:٢-٤٠٣؛ ويشغل محل باب الرِّيح
الآن وكالة الكُتُبِ المَعْرُوفَةُ كَذَلِكَ بِاسْمِ وَكَالَةِ بَارُزَةِ (رقم
٢٥ شارع الشُّبْكِيَّةِ، ومُسَجَّلَةٌ بِالْأَتَارِ بِرَقْمِ ٣٩٨، والمُجَاوِرَةُ
لِمَدْرَسَةِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَشْتَاذِ، الْمُسَجَّلَةُ بِالْأَتَارِ بِرَقْمِ ٣٥. شرقًا (Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 253-55).

فَسَأَلْتُ الرَّجُلَ حِينَئِذٍ عَنْهُ فَقَالَ لِي : إِنَّهُمْ لَمَّا انْتَهَوْا فِي الْهَذَمِ إِلَى حَيْثُ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ إِذَا بِدَائِرَةٍ فِيهَا كِتَابَةٌ وَبِوَسْطِهَا شَخْصٌ قَصِيرٌ ، صَغِيرٌ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ حِجَارَةٍ ؛ وَهَذِهِ كَانَتْ صِفَةً بِجَمَالِ الدِّينِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ أَصْغَرَ مِنَ الْأُخْرَى . وَيُشَبِّهُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنْ يَكُونَ قَدْ غُيِّنَ فِي تِلْكَ الْكِتَابَةِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الشَّخْصِ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَهْدِيهِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، كَمَا وَجَدَ فِي بَابِ الْبَحْرِ اسْمَ يَبْيِزُوسَ الَّذِي هُدِمَ عَلَى يَدَيْهِ وَبِأَمْرِهِ .

وَقَدْ ظَفَرَ بِجَمَالِ الدِّينِ هَذَا بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ وَجَدَهَا فِي دَاخِلِ هَذَا الْقَصْرِ ، لَمَّا أَنْشَأَ دَارَهُ الْأُولَى فِي الْحَذَرَةِ مِنْ دَاخِلِ هَذَا الْبَابِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَ لِكَثْرَةِ هَذَا الْمَالِ لَا يَسْتَطِيعُ كِتْمَانَهُ ؛ وَمِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ يَوْمئِذٍ مِنَ الظَّاهِرِ بَرَزَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُصْرِّحَ بِهِ . فَكَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ وَخَوَاصِّهِ : وَجَدْتُ فِي هَذَا الْمَكَانِ سَبْعِينَ قَفَّةً مِنْ حَدِيدٍ . أَخْبَرَنِي اثْنَانِ رَئِيسَانِ مِنَ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِهَمَا هَذَا الْقَوْلَ .

وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ ، أَيَّامَ عِمَارَتِهِ لِهَذِهِ الْقَاعَةِ ، أَتَرَدَّدُ لِشَيْخِنَا سِرَاجِ الدِّينِ عُثْمَانَ بْنِ الْمُسْلِقِ^(أ) بِالْمَدْرَسَةِ السَّابِقِيَّةِ - وَبِهَا كَانَ يَسْكُنُ - فَتَعَرَّفْتُ بِجَمَالِ الدِّينِ مِنْهُ . وَكَانَ يَوْمئِذٍ مِنْ عَرَضِ الْجُنْدِ ، وَيُتَعَرَّفُ بِأُسْتَاذٍ بِجَاسَ^(ب) ، فَاشْتَهَرَ هُنَاكَ أَنَّهُ وَجَدَ - حَالِ هَذِهِ عِمَارَتِهِ الْقَاعَةِ وَالرُّوَاقَ بِالْحَذَرَةِ - مَكَانًا مَبْنِيًّا تَحْتَ الْأَرْضِ مُبْيَضَّ الْحِيطَانِ فِيهِ مَالٌ ، فَمَا كَانَ عِنْدِي شَكٌّ أَنَّهُ مِنْ أَمْوَالِ خَبَايَا الْفَاطِمِيِّينَ ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْخَبَارِيِّينَ أَنَّ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ ، لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الْقَصْرِ بَعْدَ مَوْتِ الْعَاضِدِ ، لَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَبَايَا ، وَعَاقَبَ بِجَمَاعَةٍ فَلَمْ يُوقِفُوهُ عَلَى أَمْرِهَا .

باب الزُمُود

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى قَصْرِ الزُمُودِ . وَمَوْضِعُهُ الْآنَ الْمَدْرَسَةُ الْحِجَازِيَّةُ بِحُطٍّ رَخِيَّةٍ بَابِ الْعِيدِ^١ .

(أ) بعد ذلك في بولاق : رحمه الله تعالى . (ب) بولاق : نحاس .

^١ كان باب الزُمُود يفتح في الجانب الشرقي لرحبة باب العيد حيث تقع الآن المدرسة الحجازية (فيما يلي ٣٨٢:٢) - Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*) و يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى قَصْرِ الزُمُودِ (p. 260) -

باب العيد

هذا الباب مكانه اليوم في داخل دُرب السُّلامي بِحُط رَحْبَة باب العيد . وهو عَقْدٌ مُنَحَكَم البناء ، ويعلموه قُبَّة قد عَمِلَتْ مَشْجَدًا ، ونَحَتْهَا حَائِثُوتٌ بِشَكْنِه سَقَاءٌ ، ويُقَابِلُه مَسْطَبَةٌ . وَأَذْرَكْتُ العائمة وهم يُسَمُّون هذه القُبَّة بالقَاهِزَة ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الحَلِيفَةَ كان يجلس بها وَيُزْخِي كُتْمُه ، فَتَأْتِي النَّاسُ وَتَقْبَلُه . وهذا غير صحيح .

وقيل لهذا الباب بابُ العيد ؛ لأنَّ الحَلِيفَةَ كان يَخْرُجُ منه في يومي العيد إلى المَصْلَى بظَاهِر باب النَّصْر ، فيَخْطُبُ بعد أن يُصَلِّي بالنَّاس صلاة العيد ، كما ستقف عليه عند ذِكْرِ المَصْلَى إن شاء الله ^١ .

وفي سنة إحدى وستين وست مائة ، بَنَى المَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْرُوسَ خَانًا لِلسَّبِيلِ بظَاهِر مَدِينَةِ الْقُدْسِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ بابُ العيد هذا فَعَمَلَه بِأَبَالِه ؛ وَتَمَّ بِنَاؤُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ^٢ .

باب قَصْرِ الشُّوكْ

وهو الذي كان يَتَوَصَّلُ منه إلى قَصْرِ الشُّوكْ ، وموضعه الآن تجاه حُكَّام غُرْفَتِ بِحُكَّام الْأَيْدُمَرِي - وَيُقَالُ لَهَا اليوم حُكَّامُ يُوسُفَ ^٣ - عند مَوْقِفِ المَكَارِيَةِ بِجَوَارِ خَزَانَةِ الْبُنُودِ ، على يَمِينَةِ السَّائِلِكِ مِنْهَا إِلَى رَحْبَةِ الْأَيْدُمَرِي .

وهو الآن رُقَاقٌ يَنْتَهِي إِلَى بَرٍّ يُشَقَّى مِنْهَا بِالْذَّلَاءِ ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى المَارِشَتَانِ الْعَتِيقِ وَغَيْرِهِ . وَأَذْرَكْتُ مِنْهُ قِطْعَةً مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ ^٤ .

^١ فيما يلي ٤٧٨ - ٤٩٢ .

التي حُلَّتْ محل مساحة رحبة باب العيد - وموضعه اليوم

ظهر مدرسة عمر مكرم الابتدائية بشارع قصر الشوك

بالجمالية ، التي بنيت مكان وقف الست نفيسة الشهيرة

بوكالة عبده رقم ٢٠ بالشارع (Fu'ad Sayyid, A.,

op.cit., pp. 263-64 .

^٣ لم يفرد المقرئ في هذه الحمام بمدخل خاص .

^٤ Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 270-71 .

^٢ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٥١ : المقرئ في :

السلوك ١ : ٤٩١ : أبو الحسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٤ .

وكان باب العيد يقع في الواجهة الشمالية الشرقية

للقصر في شقة جدار القصر المواجهة للواجهة الجنوبية لدار

الوزارة الكبرى (خاتمه يبرس الجاشنكير الآن) . وكان هذا

الباب يقع داخل دُرب السُّلامي - أحد الدروب الأربعة

بابُ الزَّيْنِ

وكان يُدْخَلُ منه إلى المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ ، وموضعه الآن دَرَجٌ يُنْزَلُ منها إلى المَشْهَدِ نِجَاهِ الفُنْدُقِ الذي كان دارَ الفِطْرَةِ ، ولم يبقَ لهذا الباب أثرٌ ألبتة^١ .

بابُ تَزِينَةِ الرَّغْفَرَانِ

- مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بخره ، مقابل فُنْدُقِ المِهْمَنْدَارِ الذي يُدْقُ فيه وَرَقُ الذهبِ ، وقد بُنِيَ بأعلاه طَبْخَةٌ وِرواقٌ ، ولا يكاد يعرفه كثيرٌ من النَّاسِ ، وعليه كتابةٌ بالقلم الكوفي . وهذا البابُ كان يُتَوَصَّلُ منه إلى تَزِينَةِ القَصْرِ المذكورة فيما تقدَّم^٢ .

بابُ الزُّهُومَةِ

- كان في آخر رُكْنِ القَصْرِ ، مقابل خِزَانَةِ الدَّرَقِ التي هي اليوم خان مشرور . وقيل له باب الزُّهُومَةِ لأنَّ اللُّحُومَ وخَوَائِجَ الطَّعَامِ ، التي كانت تُدْخَلُ إلى مَطْبَخِ القصر الذي للحُرَمِ^٣ ، إنما تُدْخَلُ بها من هذا الباب ، ف قيل له باب الزُّهُومَةِ ، يعني باب الزُّفْرِ^٤ .
- وكان تجاهه أيضًا دَرْجُ السَّلْسِلَةِ الآتِي ذكره إن شاء الله^٥ . وموضعه الآن باب^٦ قَاعَةِ الحَنَابِلَةِ من المَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ ، تجاه فُنْدُقِ مشرور الصَّغِيرِ^٧ ، ومن بعد باب الزُّهُومَةِ المذكورة بابُ الذهبِ الذي تَقْدَمُ ذكره . فهذه أبوابُ القَصْرِ الكبيرِ التسعة ، والله أعلم^٨ .

ذِكْرُ الْمَنَاصِرِ

/وكان بجوار هذا القصر الكبير (المنحصر) ، وهو المَوْضِعُ الذي اتَّخَذَهُ الخُلَفَاءُ لَتَحْرِ

٤٣١:١

(a) بولاق : للحوم . (b) ساقطة من بولاق .

^١ Fu'ād Sayyid, A., *op. cit.*, p. 274-78 . رائحة لحم سمين منن ، ولحم زهم وزهومة .

^٢ فيما تقدم ٣٥١-١٣٥٣ ، Fu'ād Sayyid, A., ^٤ فيما يلي ٣٨:٢ .

^٥ فيما يلي ١٣٧٤:٢ ، Fu'ād Sayyid, A., *op. cit.* ، ^٦ *op. cit.*, pp. 291-95 .

^٧ حاشية بخط المؤلف : (قال صاحب العين : الزُّهُومَةُ pp. 235-37 .

الأصاحي في عيد الثُخر وعيد العَدير، وكان تجاه رَحبة باب العيد. وموضعه الآن يُعرف بالذُرب الأصفر^١ تجاه خانقاه بَيزنس، وصار موضعه ما في داخل هذا الذُرب من الدور والطاحون وغيرها، وظاهره تجاه رأس حارة بَوجوان، يفصل بين حارة بَوجوان الحوانيت التي تُعابِل باب الحارة.

ومن جملة المنَحر الشاحنة العظيمة التي عَمِلَتْ لها خُونْد بَرَكة، أم السلطان الملك الأشرف شُعبان بن مُحسِن، البوابة العظيمة بِحُط الرُكن المُخلَق بجوار قيسارية المجلود التي عَمِلَ فيها حوانيت الأساكفة.

وكان الخليفة إذا صَلَّى صَلَاة عيد الثُخر وَخَطَبَ، يَنُحِر بالمُصلِّي، ثم يأتي المنَحر المذكور وخلفه المؤذنون يَجْهرون بالتكبير، وَيُوقِعُونَ أصواتهم كُلُّما نَحَرَ الخليفة شيئا. وتكون الحزونة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة لِيُناولهُ إِياها إذا نَحَرَ. وأوَّل من سَنَّ منهم إعطاء الضحايا وتَفَرَّقَتْها في أولياء الدولة، على قَدَر رُتبهم، العزيرُ بالله يزار^٢.

ما كان يُفَعَّل في عيد الثُخر - قال المُصَنِّحِي: وفي يوم عَرَفة - يعني من سنة ثمانين وثلاث مائة - حَمَل يانِس صاحِب الشُرطة السَماط، وَحَمَلَ أيضًا علي بن سَعْد المُحتَسِب سَماطًا آخر. وَرَكِب العزيرُ بالله يوم الثُخر فَصَلَّى وَخَطَبَ على العادة، ثم نَحَرَ عِلَّة نُوق يديه، وانصرف إلى قُصره، فَتَصَبَّ السَماط والموائد وأكل، وَنَحَرَ بين يديه، وَأَمَرَ بتفرقة الضحايا على أَهل الدولة؛ وَذَكَرَ مثل ذلك في باقي السنين^٣.

وقال ابنُ المأمُون في عيد الثُخر من سنة خمس عشرة وخمس مائة: وَأَمَرَ بتفرقة كُشوة^٤ عيد الثُخر والهبة وجملة العَيْن ثلاثة آلاف وثلاث مائة وسبعون دينارًا، ومن الكُشوات مائة قطعة وسَبْع قطع يرسم الأُمراء المُطَوَّقِينَ والأُستاذين المُحْكِينَ وكاتِب الدُست ومتولِّي حُجبة الباب وغيرهم من المُستخدَمِينَ.

(٤) ساقطة من بولاق.

١. Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 255-57 ١٩٨: ٤

٢. فيما يلي ٤٤: ٢.

٣. قارن المقرئ: مسودة المواظظ ١٧٦: ١٧٧، القلقشندي: المقرئ: مسودة المواظظ ١٧٦-١٧٧، اتعاط الحنفا

صبح الأعشى ٥١١: ٣ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٦٩: ١

وَعِدَّةٌ مَا دُبَّحَ ثَلَاثَةُ أَيَّامِ الثَّعْرِ، فِي هَذَا الْعِيدِ وَعِيدِ الْعَدِيرِ، أَلْفَانِ وَخَمْسَ مِائَةٍ وَاحِدَ وَسِتُونَ رَأْسًا. تَفْصِيلُهُ: ثُوقٌ: مِائَةٌ وَسَبْعَةُ عَشَرَ رَأْسًا، بَقَرٌ: أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَأْسًا، جَائِثُوسٌ: عِشْرُونَ رَأْسًا، هَذَا الَّذِي يُتَحَرُّ وَيَذْبَحُهُ الْخَلِيفَةُ بِيَدِهِ فِي الْمُصَلَّى وَالْمُتَحَرِّ وَبَابِ الشَّابَاطِ؛ وَيَذْبَحُ الْجَزَارُونَ مِنَ الْكِبَاشِ أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعَ مِائَةَ رَأْسًا.

- وَالَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ نَقَاتُ الْأَسِيطَةِ فِي الْأَيَّامِ الْمَذْكُورَةِ - خَارِجًا عَمَّا يُقْتَلُ بِالْأَدَارِ الْمَأْمُونَةِ مِنَ الْأَسِيطَةِ، وَخَارِجًا عَنِ أَسِيطَةِ الْقُصُورِ عِنْدَ الْحَرَمِ؛ وَخَارِجًا عَنِ الْقُصُورِ الْحُلُوءِ وَالْقُصُورِ الْمُنْفُوخِ الْمَصْنُوعَةِ بِدَارِ الْفِطْرَةِ: أَلْفٌ وَثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَرُبْعٌ وَشُدُسٌ دِينَارٌ؛ وَمِنَ الشُّكْرِ يَرْسُمُ الْقُصُورُ وَالْقُطْعُ الْمُنْفُوخُ: أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ قِنْطَارًا. تَفْصِيلُهُ: عَنْ قَصْرَيْنِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ خَاصَّةً اثْنَا عَشَرَ قِنْطَارًا، الْمُنْفُوخُ عَنْ ثَلَاثَةِ الْأَيَّامِ اثْنَا عَشَرَ قِنْطَارًا^١.

- ١. وَقَالَ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ: وَخَصَرَ وَقْتُ تَفْرِقَةِ كُثُوفَةِ عِيدِ الثَّعْرِ، وَوَصَلَ مَا تَأَخَّرَ فِيهَا بِالطَّرَازِ، وَفُرِقَتِ الرُّسُومُ عَلَى مَنْ جَزَتْ عَادَتُهُ بِهَا^(أ) - خَارِجًا عَمَّا أَمَرَ بِهِ مِنْ تَفْرِقَةِ الْعَيْنِ الْمُخْتَصِّ بِهَذَا الْعِيدِ وَأُضْحِيَّتِهِ، وَخَارِجًا عَمَّا يُفَرَّقُ عَلَى سَبِيلِ الشَّرَفِ مِنْ^(ب) الْمُنَاحِ، وَمِنْ بَابِ الشَّابَاطِ مَذْبُوحًا وَمُنْحُورًا: سِتُّ مِائَةٍ دِينَارٍ وَسَبْعَةُ عَشَرَ دِينَارًا.

- وفي التاسع من ذي الحجة جَلَسَ الْخَلِيفَةُ الْأَمِيرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، وَخَصَرَ الْوَزِيرُ وَأَوْلَادُهُ، وَقَامُوا بِمَا يَجِبُ مِنَ السَّلَامِ، وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّبُونَ، وَتَقَدَّمَ حَامِلُ الْمِظْلَةِ وَعَرَضَ مَا جَزَتْ عَادَتُهُ مِنَ الْمِظَالِ الْخَمْسَةِ الَّتِي جَمِيعُهَا مُذْهَبٌ، وَسَلَّمُ الْأَمْرَاءِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، وَخَتَمُ الْمُقَرَّبُونَ، وَغَرِصَتِ الدَّوَابُّ جَمِيعُهَا وَالْعَقَارِياتُ وَالْوُحُوشُ، وَعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مَحَلِّهِ.

- فَلَمَّا أَشْفَرَ الصُّبْحَ خَرَجَ الْخَلِيفَةُ وَسَلَّمُ عَلَى مَنْ جَزَتْ عَادَتُهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ - وَلَمْ يَخْرُجْ شَيْءٌ عَمَّا جَزَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي الرُّكُوبِ وَالْعَوْدِ - وَغَيَّرَ الْخَلِيفَةُ ثِيَابَهُ وَلَيْسَ مَا يَخْتَصُّ بِالثَّعْرِ - وَهِيَ الْبَذْلَةُ الْحُمْرَاءُ بِالْشَّنَّةِ الَّتِي تَسْمَى بِـ «شَنَّةِ الْوَقَارِ»^٢، وَالْعَلَمُ الْجَوْهَرُ فِي وَجْهِهِ بِغَيْرِ قَضِيبٍ مُلْكٌ فِي يَدِهِ - إِلَى أَنْ دَخَلَ الْمُتَحَرِّ. وَفُرِشَتِ الْمَلَاءَةُ الدُّبِّيُّ الْحُمْرَاءُ، وَثَلَاثُ بَطَائِنٍ مَصْبُوغَةٍ حُمْرٍ لِيَتَّحِيَ بِهَا الدَّمُ، مَعَ كَوْنِ كُلِّ مِنَ الْجَزَارِينَ بِيَدِهِ مَكْبَةٌ صَفْصَافٌ مَدَهُونَةٌ يُتَّقِي بِهَا الدَّمُ عَنِ الْمَلَاءَةِ، وَكَثِيرٌ

(أ) ساقطة من بولاق. (ب) الشرف من: زيادة من المسودة ومخطوطة Liège.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٢٥-٢٦، المقرئ: مسودة ^٢ انظر عن شَنَّةِ الْوَقَارِ فيما يلي ٤٦٨ - ٤٦٩، ٥٤٥.

المؤذنون، وتَحَرَّ الحَلِيفَةُ أربعمائة وثلاثين ناقةً، وقَصَدَ المَسْجِدَ الذي آخِرَ صَفِّ المَنَحَرِ، وهو مُعَلَّقٌ بالشُّرُوبِ والفاكهة المعبَّأة فيه، بمقدار ما غَسَلَ يديه، ثم رَكِبَ من قَوْرِهِ .

ومَجْلَعُهُ ما تَحَرَّه وَدَبَّحَهُ الحَلِيفَةُ خاصَّةً في المَنَحَرِ وبابِ السَّابِاطِ - دون الأَجَلِ الوَزِيرِ المَأْمُونِ وأولاده وإخْوَتِهِ - في الثلاثة الأيام ما عِدَّتُهُ أَلْفٌ وتسع مائة وستة أربعون رأسًا، تفصيله : نُوقَ : مائة وثلاث عشرة ناقة، تَحَرَّ منها في المَصَلَّى عَقِيبَ الحَطْبَةِ ناقةً، وهي التي تُهْدَى وتُطَلَّبُ من آفاق الأرض للنبوك بلحمها. وتَحَرَّ في المَنَاحِ مائة ناقةً، وهي التي يُحْمَلُ منها للوزير وأولاده وإخوته والأُمَرَاءُ والصُّيُوفُ والأَجْنَادُ والعسكِرِيُّونَ والمُخَيَّرِينَ من الرِّجَالِ، وفي كُلِّ يومٍ يُتَصَدَّقُ منها على الضُّعَفَاءِ والمَسَاكِينِ بِنَاقَةٍ واحدة، وفي اليوم الثالث من العيد تُحْمَلُ نَاقَةٌ منحورة للفقراء في القَرَاة^١.

١٠ وتُتَحَرَّ في بابِ السَّابِاطِ ما يُحْمَلُ إلى من حَوْتِهِ القُصُورِ، وإلى دارِ الوِزَارَةِ، وإلى الأَصْحَابِ والحَاشِي، اثنتا عشرة ناقةً وثمانين عشرة بَقَرَةً / وخمس عشرة جَامُوسَةً، ومن الكِبَاشِ أَلْفٌ وثمان مائة رأس، ويُتَصَدَّقُ كل يوم في بابِ السَّابِاطِ بِسَقَطٍ ما يُذْبَحُ من الثَّوْقِ والبَتَرِ .
وأَمَّا تَبَلُّغُ المُتَصَرِّفِ على الأَسْطِيطَةِ في الثلاثة الأيام، خَارِجًا عن الأَسْطِيطَةِ بالدارِ المَأْمُونِيَةِ .
فَأَلْفٌ وثلاث مائة وستة وعشرون دينارًا ورُبْعٌ وسُدُسٌ دينارٍ . ومن الشُّكْرِ يرسم قُصُورَ الحَلَاوَةِ والقِطْعَ المنفوخ المصنوعة بدارِ الفِطْرَةِ خَارِجًا عن المطابخِ، ثمانية وأربعين قِنْطَارًا^٢.

وقال ابنُ الطَّوَيْرِ : فإذا انقَضَى ذُو القَعْدَةِ وأَهْلُ ذُو الحِجَّةِ، اهتَمَّ بالركوب في عيدِ النُّحْرِ - وهو يومَ عَاشِرِهِ - فيجري حاله كما جَرَى في عيدِ الفِطْرِ من الرِّزْيِ والركوبِ إلى المَصَلَّى، ويكون لِيَاسُ الحَلِيفَةِ فيه الأحمر الموشَّح، ولا يُتَحَرَّمُ منه شيءٌ .

وركوبه ثلاثة أيام متوالية، فأولُها وهو^٣ يومُ الخُرُوجِ إلى المَصَلَّى والحَطَابَةِ كعيدِ الفِطْرِ، وثاني يومٍ وثالثه إلى المَنَحَرِ - وهو المُقَابِلُ لبابِ الرِّيحِ الذي في رُكْنِ القُصْرِ، المُقَابِلُ لَشُورِ دارِ سَعِيدِ السُّعْدَاءِ الخائِطَةِ اليومَ وكان تَرَاخًا خَالِيًا لا عِمَارَةَ فيه - فيخرج من هذا البابِ الحَلِيفَةُ بنفسه،

(٤) ساقطة من بولاق .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٤٠ - ٤١ : القريزي : مسودة ^٢ نفسه ٤٢ : نفسه ١٧٩ ، وفيما يلي ٥٠١ .

المواظع ١٧٧ - ١٧٩ .

ويكون الوزير وإيقفاً عليه ، فيترجل ويدخل ماشياً بين يديه بقره ؛ هذا بعد انفصالهما من المصلّى .
ويكون قد قيّد إلى هذا المنحدر أحد وثلاثون قصيلاً وناقّة أمام منسّطة مفروشة يطلع عليها الخليفة
والوزير ثم أكابر الدولة ، وهو بين الأستاذين المحكّمين ، فيقدّم القراشون له إلى المنسّطة رأساً
فأشاً^١ ، ويكون بيده خزمة من رأسها الذي لا سينان فيه ، ويُدّ قاضي القضاة في أصل سينانها ،
فيجعله القاضي في نحر النخيرة ، ويَطْعَن بها الخليفة ، وتُجَرّ من بين يديه حتى يأتي على العدة
المذكورة . فأول نخيرة هي التي تُقَدَّد وتُسَيَّر إلى داعي اليمن - وهو الملك فيه - فيفترقها على
المعتقدين من وزن نصف درهم إلى وزن درهم .

ثم يُعْمَل ثاني يوم كذلك ، فيكون عدّد ما يُنحر سبعا وعشرين ، ثم يُعْمَل في اليوم الثالث
كذلك ، وعدّة ما يُنحر ثلاث وعشرون . هذا وفي مُدّة هذه الأيام الثلاثة يسير رُسم الأضحية إلى
أزباب الوُتْب والرسوم - كما سُمّيت الغزوة في أوّل السنة - من الدنانير ، بغير رباعية ولا قراريط ،
على مثال الغزوة من عشرة دنانير إلى دينار . وأما لحم الجُزور فإنه يُفَرَّق في أزباب الرسوم للتبرك في
أطباق مع أدوان القراشين . وأكثر ذلك تفرقة قاضي القضاة وداعي الدعاة للطلبة بدار العلم ،
والمُتصّلين بجوامع القاهرة ، وتُقبأ المؤمنين بها من الشيعة للبركة^٢ .

فإذا انقضى ذلك خلَعَ الخليفة على الوزير ثيابه الحمراء^٣ التي كانت عليه ، ويثديلاً آخر بغير
البيّمة والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحدر . فيركب الوزير من القصر بالخلع
المذكورة شاقاً القاهرة ، فإذا خرّج من باب زويلة انعطف على يمينه سالكاً على الخليج ، فيدخل
من باب القنطرة إلى دار الوزارة ؛ وذلك انفصال عيد النحر^٤ .

وقال ابن أبي طي : عدّة ما يُذبح في هذا العيد ، في ثلاثة أيام النحر وفي يوم عيد القدير ، ألفان
 وخمسمائة وأحد وستون رأساً ، تفصيله : ثوق : مائة وسبعة عشر رأساً ، بقر : أربعة وعشرون
 رأساً ، جاثوس : عشرون رأساً . هذا الذي يُنحره الخليفة ويذبحه بيده في المصلّى والمنحدر وباب
 المشاباط ؛ ويُذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفاً وأربع مائة رأس^٥ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : للتبرك . (c) بولاق : الحمر .

^١ ابن الطوير : نزعة المقتلين ١٨٢-١٨٥ المرقزي : ^٢ المرقزي : مسودة المواظ ١٨٠ .

مسودة المواظ ١٨١-١٨٢ .

وقال ابن عبد الظاهر: كان الخليفة ينحدر بالمتحر مائة رأس، ويعود إلى جزائة الكشوة، فيغير قماشه ويتوجه إلى الميدان - وهو الخرنشف بباب الشاهات - للتحر والدبح، ويعود بعد ذلك إلى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الأشمطة. وعدة ما يذبحه ألف وسبع مائة وستة أربعون رأساً: ثوق^(١): مائة وثلاث عشرة ناقة، والباقي بقر وغنم^(٢).

قال ابن الطوير: وتمن الضحايا - على ما تقدم^(٣) - ما يقرب من ألفي دينار^(٤). وكانت تخرج المخلقات^(٥) إلى الأعمال بشائر بركوب الخليفة في يوم عيد النحر. فمما كتب به الأستاذ البارع أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب، المعروف بابن الصيرفي المنعوت بتاج الرئاسة^(٦):

«أما بعد، فالحمد لله الذي رفع منار الشروع وحفظ نظامه، ونشر رايته هذا الدين وأوجب إعظامه، وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب شعوره، وأظهر للمؤاليف والمخالف عزة أحرابه وقوة مجنوده، وجعل فزعه سامية نامية وأصله ثابتاً راسخاً، وشرفه على الأديان بأشهرها، وكان لغراها فاصماً ولاخكاها ناسخاً.

يحمدُهُ أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليفة، وجعل كراماته الأسباب الجديرة بالإمارة الخليفة. ويوعب إليه في الصلاة على جده محمد الذي حاز الفخار أجمعه، وضيم الجنة لمن آمن به واتبع الثور الذي أنزل معه، ورفع إلى أعلى منزلة تحير له منها الحل، وأرسله بالهدى ودين الحق، فزهق الباطل وتمدت ناره واضمحل.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: تفرز.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٠٢، القريري: مسودة المواظظ ١٧٩.

^٢ ابن الطوير: نزعة المقتل ١١٨٥، القريري: مسودة المواظظ ١٨٢، وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٥١١: ٣.

^٣ المخلقات. نوع من التجلات يشرك بركوب الخليفة في المواكب الرسمية وعودته بسلامة الله منها، وانظر فيما يلي ٤٩٢.

^٤ انظر فيما تقدم ٧٥٧: ١.

٩٩-٩٨: ٤.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
خَيْرِ الْأُئِمَّةِ وَإِمَامِيهَا ، وَخَيْرِ الْمِلَّةِ وَبَذَرِ نَحْمِهَا ، وَالْمَوْفَى يَوْمَهُ فِي الطَّاعَاتِ عَلَى
مَاضِي أَنَسِهِ ، وَمَنْ أَقَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمِبَاهِلَةِ مُقَامَ نَفْسِهِ ، وَاسْتَخَصَّهُ
بِأَبْعَدِ غَايَةٍ فِي (١) الْفَخْرِ وَأَشْرَفَهَا وَأَفْضَلَهَا فَبِتَعْنَهُ لَمْ تَسْخِ اللَّهُ مُعَاهَدَةَ الْمَشْرِكِينَ
وَأَنْزَلَ (٢) «سُورَةَ بَرَاءَةِ» ، فَنَادَى فِي الْحَجِّ بِأَوَّلِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَهُ يُنْفَذُ نَفَاذَهُ
وَلَا يُشَدُّ مَكَانَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ : «لَا يُبْلَغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» . عَمَلًا فِي
ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ (٣) سُبْحَانَهُ .

وعلى / الأئمة من ذُرِّيَّتِهِمَا خُلَفَاءِ اللهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْقَائِمِينَ فِي سِيَامَةِ
خَلْقِهِ بِصَرِيحِ الْإِيمَانِ وَمَحْضِهِ ، وَالْمُحْكَمِينَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ مَا لَا وَجْهَ لِحُلِّهِ وَلَا
سَبِيلَ إِلَى تَقْضِيهِ . وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ سَلَامًا يُتَّصِلُ ذَوَائِمُهُ وَلَا يُخْشَى
انْقِصَائُهُ ، وَمُجِدِّ وَكَرِّمٍ ، وَشَرُوفٍ وَعَظَمٍ .

وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْأَحَدِ عِيدِ النَّخْرِ ، مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ
وْخَمْسٍ مِائَةٍ ، الَّذِي تَبْلُغُ فَجْرُهُ عَنْ سَيِّمَاتٍ مُخْصَصَةٍ ، وَنُفُوسٍ مِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ
تُخْلُصُ ، وَرُوحَةٍ امْتَدَّتْ ظِلَالُهَا وَانْتَشَرَتْ ، وَمَغْفِرَةٍ هُنَّاتٍ وَبَشَّرَتْ .

وَكَانَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَرَزَ لِكَاثَةِ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ
أَوْلِيَائِهِ ، مُتَوَجِّهًا لِقَضَاءِ حَقِّ هَذَا الْعِيدِ الشَّعِيدِ وَأَدَائِهِ ، فِي عَتَرَةٍ رَاسِيخَةٍ
قَوَاعِدُهَا مَتَمَكِّنَةٌ ، وَعَسَاكِرُ جَعَّةٍ تَضِيقُ عَنْهَا ظُرُوفُ الْأَمَكَةِ ، وَمَوَاكِبُ
تَتَوَالَى كَتَوَالِي السَّيْلِ ، وَثَهَابٌ هَيِّئَةً مَجِيئِهِ فِي اللَّيْلِ ، بِأَسْلِحَةٍ تَحْتَسِرُ لَهَا
الْأَبْصَارُ وَتَهْوِي ، وَتَزَوَاغُ الْأَفْئِدَةُ مِنْهَا وَتَفْرُقُ : فَمَنْ مَشَرَّقِي إِذَا وَزَدَ تَوَزَّدَ ،
وَمَنْ مَشْهُرِي إِذَا قَصَدَ تَقَصَّدَ ، وَمَنْ عُمِدَ إِذَا عَجِدَتْ تَبَوَّاتِ الْمَغَايِرِ مِنْ
ضَمَانِهَا ، وَمَنْ قِيسِي إِذَا أُرْسِلَتْ بَنَانُهَا وَصَلَّتْ إِلَى الْقُلُوبِ بِغَيْرِ اسْتِظْدَانِهَا .

وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا فِي هَذِي الْإِمَامَةِ وَأَنْوَارِهَا ، وَسَكِينَةِ الْخِلَافَةِ وَوَقَارِهَا ، إِلَى
أَنْ وَصَلَ إِلَى الْمُصَلَّى قُدَّامَ الْمِحْرَابِ ، وَأَدَّى الصَّلَاةَ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
التَّقْبِيلِ حِجَابٍ . ثُمَّ عَلَا الْمِثْبَرُ فَاسْتَوَى عَلَى ذُرْوَتِهِ ، ثُمَّ هَلَّلَ اللهُ وَكَبَّرَهُ وَأَتْنَى

على عَظَمَتِهِ ، وأحسن إلى الكافة بتبليغ موعظته ، وتوجه إلى ما أُعِدَّ من
البُذْن فتحزّه تكميلاً لقربته ، وانتهى في ذلك إلى ما أَمَرَ الله عزَّ وجلَّ ،
وعادَ إلى قُصُوره المكرَّمة ومَنَازِله المقدَّسة قد رضي الله عَمَلَهُ ، وشَكَرَ فِعْلَهُ
وتَقَبَّلَهُ .

أَغْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لَتَشْكُرَ الله على النُّعْمَةِ فِيهِ ، وتُذِيعَهُ بِقَبْلِكَ على
الرَّوْثِ فِيما يُجَارِيهِ ، فَاغْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ^١ .

ذِكْرُ دَارِ الْوِزَارَةِ الْكُبْرَى

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي ، تجاه رَحْبَةِ باب العيد ، دارُ الْوِزَارَةِ الْكُبْرَى ، ويُقال
لها « الدارُ الْأَفْضَلِيَّة » و « الدارُ السُّلْطَانِيَّة »^٢ .

قال ابنُ عبد الظَّاهر : دارُ الْوِزَارَةِ بَنَاهَا بَذْرُ الْجَمَالِيِّ أَمِيرُ الْجُيُوش ، ثم لم يزل يَشْكُنُهَا من يلي
إِمْرَةِ الْجُيُوش إلى أن انتقل الأَمْرُ عن المصريين وصارَ إلى العُزَّة^٣ بني أَيُّوب . فاستقرَّ سَكْنُ الْمَلِكِ
الكَامِلِ بِقَلْعَةِ الْحَبْلِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ ، وَسَكَنَهَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ وَلَدَهُ ، ثم أُوصِدَت دارُ الْوِزَارَةِ
لَمَنْ يَرِيدُ مِنَ الْمُلُوكِ وَرُؤُسُ الْحَلِيقَةِ إلى هذا الوقت .

وكانت دارُ الْوِزَارَةِ قَدِيمًا تُعْرَفُ بِدَارِ الْقِيَابِ ، وَأَصَافُهَا الْأَفْضَلُ إلى دور بني هُرَيْمَةَ وَعَمَرُهَا
دَارًا ، وَسَمَّاهَا « دارُ الْوِزَارَةِ »^٤ . انتهى .

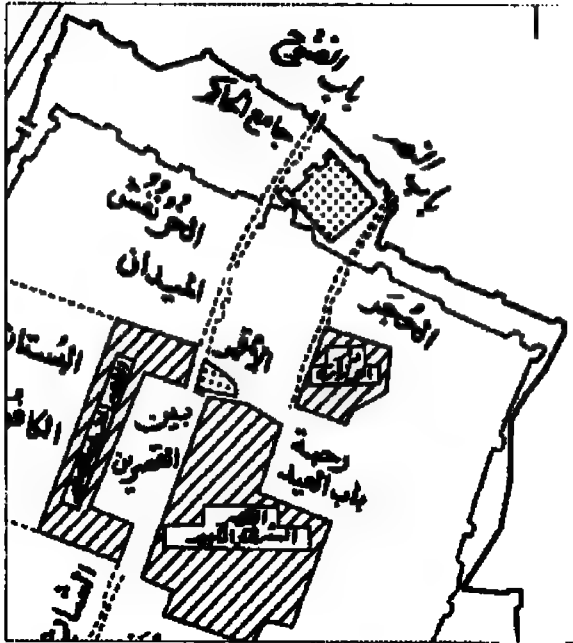
(a) ساقطة من بولاق .

^١ ٣٨٨:٢ وخالفه بويرس الجاشنكير من الشمال (فيما يلي
Fu'ad ٤١٦:٢) في مواجهة الدرب الأصفر (راجع ،
Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 462-68;
(Mackenzie, N. D., *Ayyubid Cairo*, p. 80 .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٠ - ٥١ : المقرئ :
مسودة للمواعظ ٢٥١ - ٢٥٢ .

^٣ انظر ابن الطوير : نزهة المقلتين (الملاحق) ٢٤١ -
٢٤٢ .

^٤ دار الوزارة الكبرى هي التي يحدد مكانها الآن الأرض
الواقعة بين حارة المبيضة من الجنوب والشرق ، ووكالة عطا
من الشمال ، وشارع الجمالية من الغرب ، والتي يشغل قسمًا
كبيرًا منها الآن بقايا المدرسة القرامنصرية من الجنوب (فيما يلي



مَوْقِعُ دارِ الوزارةِ الكبرى من القاهرةِ الفاطمية

والذي تدلُّ عليه كُتُبُ انبياءات
الأُمَمِ الْقَدِيمَةِ التي بتلك الحِطَّةِ أَنَّهَا من
بِنَاءِ الْأَفْضَلِ لَا من عِمَارَةِ أَيْهٍ يَذُرُ. وَالذَّارُ
التي عَمَرَهَا أَمِيرُ الْجُيُوشِ يَذُرُ هِيَ ذَارُهُ
بِحَاذَةِ بَرْجَوَانِ التي قِيلَ لَهَا دَارُ الْمُظْطَرِّ ١.

وما زالت وُزراءُ الدَّوْلَةِ الفاطميَّةِ أزيابَ
الشيوف من عهد الأفضَل ابن أمير
الجيوش، يسكنون بدارِ الوِزَارَةِ هذه إلى
أن زالت الدَّوْلَةُ، فاستقرَّ بها السُّلْطَانُ المَلِكُ
النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يوسُفُ بنِ أَيُّوبَ،
وابنه من بعده المَلِكُ العَزِيزُ عُثْمَانُ، ثم ابنه
المَلِكُ المُنْصُورُ، ثم المَلِكُ العادلُ أبو بكر بن
أَيُّوبَ، ثم ابنه المَلِكُ الكاملُ، وصاروا
يُسَمُّونَهَا « الدَّارَ السُّلْطَانِيَّةَ » .

وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك
العاذل أبي بكر بن أيوب ، وجعلها منزلاً للرسل .^{١٥}

فلما ولي قُطْر سُلْطَنَة دِهَار مصر وتلقب بالملك المظفر في سنة سبع وخمسين وست مائة ، وحضر إليه البحريّة - وفيهم بيّز بن البندقداري وقلاوون الألفي - من الشام ، خرج الملك المظفر قُطْر إلى لقائهم ، وأنزل الأمير رُكن الدين بيّز بدار الوزاة ، فلم يزل بها حتى سافر صُحْبَة قُطْر إلى الشام وقَّله ، وعاد إلى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل .

وفي سنة ثلاث وتسعين وست مائة لما قُتِلَ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي وَاقِعَةِ يَبْدَرَا، ثُمَّ قُتِلَ يَبْدَرَا وَأَجْلِسَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ^٣، وَثَارَتِ الْأَشْرَفِيَّةُ مِنَ الْمَمَالِكِ

¹ ابن الطوير: نزعة المقتلين ٣١-٣٢، المقرئ: مسودة المواضع ٢٥٢-٢٥٣، وفيما يلي ٥٠٨-٥٠٩. Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 431-32, 531-32.

^٢ فوما تقدم ٢٢٣ ، وفيما يلي ٢: ٢٠٣.

٣ يُختار ابن عبد الله المنصورى نائب السلطنة فى الدولة
الأشرفى خليل بن قلاوون ، تولّى نياة السلطنة عوضاً عن الأمير
طرطوئى سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، ثم خرج على الأشرف
خليل وقتله بالاشتراك مع الأمير حسام الدين خليل سنة =

على الأمراء، وتُقل من قُتل منهم - خاف بقيَّة الأمراء من شرِّ المماليك الأشرقيَّة، فقُبِضَ منهم على نحو الستِّ مائة مملوك، وأنزِلَ بهم من القلعة، وأُمنِكِن منهم نحو الثلاث مائة بدار الوزارة، وأُمنِكِن منهم كثيرٌ في مناظر الكُتُب، وأُجرِيت عليهم الرواتب، ومِيعوا من الرُكوب، إلى أن كان من أمرهم ما هو مذكورٌ في موضعه من هذا الكتاب^١.

ولما كانت سنة سبع مائة أخذَ الأميرُ شمسُ الدِّين قراشقرُ المنصوري، نائبُ السُلطنة في أيام الملك المنصور نحسام الدِّين لاجين، قطعةً من دار الوزارة وبقي فيها^(a) الربع المقابل خانقاه سعيد الشعداء، ثم بنى المَدْرَسَةَ المعروفة بالقراشقرية ومكتب الأيتام^٢.

فلما كانت دولةُ التُّوْجِيَّة^٣ بنى الأميرُ رُكنُ الدِّين بيبيوس الجاشنكير الخانقاه الرُكنيَّة والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة، وذلك في سنة/ تسع وسبع مائة^(b)، ثم استولى النَّاسُ على ما بقي من دار الوزارة وبنوا فيها.

فمن حقوقِ هذه الدَّار - أعني دار الوزارة - من بَحْرِهَا^(b): الربع تجاه الخانقاه الصَّلاحية دار سعيد الشعداء، والمَدْرَسَةُ القراشقرية، وخانقاه رُكن الدِّين بيبيوس، وما بجوارها من دار قُرْمان ودار الأمير شمس الدِّين سُقْرُ الأعصر الوزير - المعروفة بدار الستِّ^(c)، حُؤنْد طُولوباي النَّاصِرِيَّة جِهَةَ السُّلْطَان^(c) الملك النَّاصِر حُسن بن محمد بن قلاوون - وحُمام الأعصر التي بجانبها، وحُمام الحُسام المجاورة^(d) لها. ومن حقوقِ هذه الدار أيضًا قِتلِي هذه الأماكن المذكورة^(e)، وهي القُرون

(a) بولاق: فبنى بها. (b) بولاق: فمن حقوقها، والثبت من المسودة. (c) زيادة من المسودة. (d) بولاق: الحمام المجاورة، والثبت من المسودة. (e) بولاق: وما وراء هذه الأماكن من الأدر وغيرها، والثبت من المسودة.

^١ فيما يلي ١٣٤:٢: المقريزي: السلوك ١: ٨٠٢. ^٢ فيما يلي ٣٨٨:٢: المقريزي: المسودة ٢٥٥. ^٣ يُعَدُّ السُّلْطَان ركن الدين بيبرس الجاشنكير هو السُّلْطَان الشُّوكْسِي (المركسي) الوحيد بين سلاطين الدولة التركية (البحرية) فلذلك أطلق المقريزي على فترة سلطته: دولة البرجية. ^٤ فيما يلي ٤١٦:٢. ^٥ ١٢٩٣/هـ ١٢٩٣ م، يَترُجِّحه من جهة البحيرة وهو يتصيد غدراً. وحلف الأمراء ليهدرا وتلقب بالملك الأُوحد ولم يلبث أن قتله المماليك الأشرقية في اليوم التالي في الطرانة من أعمال البحيرة (ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١٣٦، ١٦٧-١٦٨ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٠-٣٦٢: المقريزي: السلوك ١: ٧٨٢، ٧٩٢، والمقضي الكبير ٢: ٥٦٢-٥٦٨ النويري: نهاية الأرب ٣١: ٢٥٩-٢٦٧ ابن الفرات: تاريخ الدول ٨: ١٧١ ابن أيلك: كنز الدرر ٨: ٣٤٥، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٩٣-٤٩٥).

وَالطَّاهُونَ الَّتِي قَبْلِي الْمَدْرَسَةُ الْقَرَّاشُفَرِيَّةُ - (هـ) وَهُمْ جَارِيَانِ فِي أَوْقَافٍ قَرَّاشُفَرٍ (هـ) - وَمِنَ الْآدَرِ وَالْحَرَبَةِ الَّتِي قَبْلِي رُبْعٌ قَرَّاشُفَرٌ ، وَمَا جَاوَرَ بَابَ سِرِّ الْمَدْرَسَةِ الْقَرَّاشُفَرِيَّةِ مِنَ الْآدَرِ وَالْمَسَاكِينِ (هـ) ، وَخَرَبَةٌ أُخْرَى هُنَاكَ ، وَالذَّارُ الْكَبِيرَى الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَزْنَعِي الصَّغِيرِ صِبْهَرِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَبْرُسَ الْجَاشَنْكِيرِ - الْمَعْرُوفَةُ الْيَوْمَ بِدَارِ الْقَزَاوِي - وَفِيهَا السُّرْدَابُ الَّذِي كَانَ رُزْيكُ بْنُ الصَّالِحِ رُزْيكَ فَتَحَهُ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ (و) مِنْ دَارِ الْوَزَارَةِ إِلَى دَارِ (د) سَعِيدِ الشَّعْدَاءِ ، وَهُوَ بَاقِي إِلَى الْآنَ فِي صَدْرِ قَاعَتِهَا ، وَذُكِرَ أَنَّ فِيهِ حَيَّةَ عَظِيمَةَ . وَمِنْ مُحَقِّقِي دَارِ الْوَزَارَةِ الْمُنَاسِخَ الْمَجَاوِرِ لِهَذِهِ الْقَاعَةِ . وَكَانَ عَلَى دَارِ الْوَزَارَةِ سُورٌ عَظِيمٌ مُزْنَعٌ بِنَاوِهِ بِالْحَبْجَرِ الْمُنْتَحُونَ (و) ، وَقَدْ بَقِيَ الْآنَ مِنْهُ قِطْعَةٌ فِي حَدِّ دَارِ الْوَزَارَةِ الْغَرْبِيِّ (وَفِي بَعْضٍ (٢) حَدُّهَا الْيَبْلِي - وَهُوَ الْجِدَارُ الَّذِي فِيهِ بَابُ الطَّاهُونَ وَالشَّاقِيَّةُ تَجَاهَ بَابِ سَعِيدِ الشَّعْدَاءِ ، مِنَ الرُّقَاقِ الَّذِي يَعْرِفُ الْيَوْمَ بِخَرَائِبِ تَرٍّ - وَمِنْهُ قِطْعَةٌ فِي حَدِّهَا الشَّرْقِيِّ عِنْدَ بَابِ الْحُفَامِ وَالْمُسْتَوَقْدِ بِبَابِ الْجَوَانِيَّةِ ١ .

١٠

وَكَانَ بِدَارِ الْوَزَارَةِ هَذَا « الشُّبَّاكُ الْكَبِيرُ » الْمَعْمُولُ مِنَ الْحَدِيدِ فِي الْقُبَّةِ الَّتِي دُفِنَ تَحْتَهَا يَبْرُسُ الْجَاشَنْكِيرُ مِنْ خَائِنِقَاهُ ، وَهُوَ الشُّبَّاكُ الَّذِي يَقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ ، وَكَانَ مَوْضِعًا فِي دَارِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ يَجْلِسُ فِيهِ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ٢ . فَلَمَّا اسْتَوْلَى الْأَمِيرُ أَبُو الْحَارِثِ الْبَسَاسِيرِيُّ عَلَى بَغْدَادَ ، وَخَطَبَ فِيهَا لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْفَاطِمِيِّ أَرْبَعِينَ جُمُعَةً وَانْتَهَبَ قَصْرَ الْخِلَافَةِ ، وَصَارَ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيُّ إِلَى عَائَةِ ، وَسَمَّى الْبَسَاسِيرِيُّ الْأَمْوَالَ وَالتَّخَفَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ بِمَصْرَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، كَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا بَقِيَ بِهِ مِنْدِيلُ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي عَمَّمَهُ يَدُهُ فِي قَالْبٍ مِنْ رُخَامٍ قَدْ وُضِعَ فِيهِ كَمَا هُوَ حَتَّى لَا تَتَغَيَّرَ شِدَّتُهُ ، وَمَعَ هَذَا الْمِنْدِيلِ رِدَاؤُهُ ، وَالشُّبَّاكُ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ وَيُكَلِّى عَلَيْهِ ٣ . فَاحْتَفِظَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ عُمِّرَتْ دَارُ الْوَزَارَةِ عَلَى يَدِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، فَجَعَلَ هَذَا الشُّبَّاكُ بِهَا يَجْلِسُ فِيهِ الْوَزِيرُ وَيُكَلِّى عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ بِهَا إِلَى أَنْ عُمِّرَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ يَبْرُسُ الْجَاشَنْكِيرُ الْخَائِنِقَاهُ الرُّكْنِيَّةَ ، وَأَخَذَ مِنْ دَارِ

٢٠

a-b إضافة من المسودة . b) زيادة من المسودة . c) المسودة : ملكه . d) ساقطة من بولاق . e) بولاق : سور بناؤه بالحجارة ، والمثبت من المسودة . f) زيادة من المسودة .

١ المقيزي : مسودة المواضع ٢٥٥-٢٥٦ ، وفيما يلي ٣ عن الشباك ودوره في الرسوم الفاطمية انظر فيما تقدم

الوزارة أنقاضاً منها هذا الشُّبَّاك، فجعَلَه في القُبَّة؛ وهو شُبَّاكٌ جليل.

وأما العِمَامَةُ والرِّدَاءُ فما زالَا بالقصر حتى ماتَ العاضِدُ، وتملَّك السُّلْطَانُ صلاحُ الدِّين ديار مصر، فسَيَّرهما في جملة ما بَعَثَ من مصر إلى الخليفة المُستَضِيءِ بِأَمْرِ اللَّهِ^(أ) القُبَّاسي ببغداد، ومعهما الكتابُ الذي كَتَبَهُ الخليفةُ القائمُ على نفسه وأشهد عليه الغدول فيه أَنَّهُ لَا حَقَّ لِبَنِي القُبَّاسِ، وَلَا لَهُ من جملتهم، في الخِلافةِ مع وُجود بني فاطمة الزُّهراء - عليها السَّلام - وكان البساسيريُّ الزَّوَمَ حَتَّى أَشْهَدَ على نفسه بذلك، وَبَعَثَ بالإشهاد إلى مصر - فَأَنْقَذَهُ صلاحُ الدِّين إلى بغداد مع ما سَيَّرَ به من التَّخَفِ التي كانت بالقصر^١.

وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مُعَمَّرٌ^(ب) أَذْرَكَهُ بِالْخَانِقَاهِ الرِّكْنِيَّةِ بَيْتُوسَ - يُعْرَفُ بِابْنِ الرُّضَاصِ وَيُقَالُ لَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ الشُّعُودِي^(ج)، وُلِدَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ،^(د) عَلَى مَا ذَكَرَ لِي مُشَافَهَةً - وَكَانَتْ لِي بِهِ صُحْبَةٌ لِكثْرَةِ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ^(هـ) قَالَ: رَأَيْتُ مَرَّةً وَقَدْ سَقَطَ مِنْ ظَهْرِ الرُّبَاطِ الْمَجَاوِرِ لَخَانِقَاهِ بَيْتُوسَ، مِنْ جَمْلَةٍ مَا بَقِيَ مِنْ سُورِ دَارِ الْوِزَارَةِ، جَانِبُ ظَهَرَتْ مِنْهُ عِلْبَةٌ فِيهَا رَأْسُ إِنْسَانٍ كَبِيرٍ. وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الرَّأْسَ مِنْ جَمْلَةٍ رُعُوسِ الْأُمَرَاءِ التَّوَقُّفَةِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ ضِرْعَاثٌ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ لِلْعَاضِدِ بَعْدَ شَاوَرٍ. فَإِنَّهُ كَانَ عَمَلُ الْحِيلَةِ عَلَيْهِمْ بِدَارِ الْوِزَارَةِ، وَصَارَ يَسْتَدْعِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى خِزَانَةِ بِالْذَّارِ، وَيُوْهِمُهُمْ^(و) أَنَّهُ يَخْلَعُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا صَارَ الْوَاحِدُ^(ز) مِنْهُمْ فِي الْخِزَانَةِ قُتِلَ وَقُطِّعَ رَأْسُهُ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ.

وكانت دارُ الوزارة في الدَّوْلَةِ الفاطمية تشتمل على عِدَّةِ قاعاتٍ ومَسَاكِنَ ومُشْتَنَينَ وغيره، وكان فيها مائة وعشرون مَقْسَمًا للماء الذي يجري في بَرَكِيهَا وَمَطَابِخِهَا ونحو ذلك^٢.

ذِكْرُ رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ وَهَيْئَةِ عِلْمِهِمْ وَيَقْدَارِ جَارِيهِمْ وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ - (الْوِزَارَةُ عبارة عن رَجُلٍ موثوقٍ به في دينه وَعَقْلُهُ يُشَاوِرُهُ الخليفةُ فيما يَحْكُمُ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ. وَاشْتُقَّ الْوِزِيرُ مِنَ الْوِزْرِ - بِكسر الواو - وهو الثَّقَلُ، فَكَأَنَّهُ يَحْمِلُ عَنِ الخليفةِ ثِقَلَ الْأُمُورِ؛ وَقِيلَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوِزْرِ - بفتح الواو والزاي - وهو المكان الممتنع في الجَبَلِ يُلْجَأُ إِلَيْهِ وَيُتَمَتَّعُ فِيهِ، فَكَأَنَّ الْوِزِيرَ يُلْجَأُ إِلَيْهِ الخليفةُ فيما يَحْكُمُ

(أ) بولاق: المستضيء بالله. (ب-ب) إضافة من المسودة. (ج) بولاق: يوهيم. (د) بولاق: واحد، المسودة: أحدهم. (ه-ه) حاشية بخط المؤلف.

^٢ المقرئ: المسودة ٢٥٧-٢٥٨.

^١ مصدر هذا الخبر في المسودة هو ابن دحية: التبراس في مناقب بني العباس ١٣٩: المقرئ: مسودة المواظ ٢٥٧.

له من الأمور ويمتنع برأيه من الخطأ؛ وقيل مشتق من الأزر - بفتح الهمزة وسكون الزاي - فكأن الوزير يتخذ أزر الخليفة ويقويه، ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن الواو في الوزير بدل من الهمزة، ويقال الوزارة - بكسر الواو وفتحها - والكسر أفصح^٥.

أما المعز لدين الله، أول الخلفاء الفاطميين بدمار مصر، فإنه لم يؤقّع اسم الوزارة على أحد في أيامه. وأول من قيل له الوزير في الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس، وزير العزيز بالله أبي منصور يزار بن المعز، وإليه تنسب الحازة الوزيرية، كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب^١. فلما مات ابن كلس لم يستؤزر العزيز بالله بعده أحدًا، وإنما كان رجل يلي الوساطة والسفارة، فاستقر في ذلك جماعة كثيرة بقيّة أيام العزيز وسائر أيام ابنه أبي علي منصور الحاكم بأمر الله.

ثم ولي الوزارة أحمد بن علي الجزجرائي في أيام الظاهر أبي هاشم علي بن /الحاكم^٢. وما زال الوزراء من بعده واحدًا بعد واحد - وهم أرباب أقاليم - حتى قديم أمير الجيوش بتز الجمالي. قال ابن الطوير: وكان من زبي هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات - يعني العمائم بالأخناك تحت مخلوقهم مثل العدول الآن - ويفردون بلبس ثياب^٣ يقال لها: «الدراريع»^٤ (واحدتها دراعة) وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس القواد بأزرار وغرى، ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من أزراره لؤلؤ، وهذه علامة الوزارة.

ويحتمل له الدواة المحلاة بالذهب، ويقف بين يديه الحجاب، وأقره نافذ في أرباب الشيوف من الأجناد وأرباب الأقاليم. وكان أجبرهم الوزير ابن المغربي^٥ الذي قديم عليه أمير الجيوش بتز

(a) بولاق: لياب فصار.

^٣ دراعة ج. دراريع. هي اللباس المعروف بالجبة أو

^١ فيما يلي ٢: ٥٠.

الفرجة وهي من خصائص لباس المشايخ وأرباب العمام في العصور الإسلامية (Ma'yer L. A., *Mamfuk Costume*, (Genève 1952, pp. 15-16).

^٤ الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي، أحد أفراد أسرة لعبت دورًا كبيرًا في الحياتين السياسية والثقافية في العراق ومصر في القرنين الرابع والخامس للهجرة. تولى الوزارة أول-

^٢ في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، حيث أصبحت الوزارة منذ هذا التاريخ منصبًا وتكليفًا، وكانت كل مسؤوليات وزير التنفيذ مسؤوليات إدارية فقط، فلا يُشير سجل تولية الجرجرائي المورخ في ذي الحجة سنة ٤١٨هـ (لورد نصه ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٨١) إلى أية مسؤوليات عسكرية أو قضائية.

الجمالي من عكا، وَوَزَرَ للمستنصر وزير سيف، ولم يتقدمه في ذلك أحدًا انتهى .
وترتب وزارته بأن تكون وزارته صاحب سيف، بأن تكون الأمور كلها مردودة إليه^(١)
ومنه إلى الخليفة دون سائر خدمه، ففقد له هذا العقد، وأنشئ له السجل، وُتِبَتْ بـ «السيد
الأجل أمير الجيوش»^(٢) - وهو الثغ الذي كان لصاحب ولاية دمشق - وأضيف إليه «كافل
قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين»، وجعل القاضي والداعي نايبين عنه ومقلدين من
قبيله . وكتب له في سجله :

« وقد قلّدتك أمير المؤمنين جميع^(٣) بجوامع تدبيره، وناط بك النظر في كل
ما وراء سريره . فباشر ما قلّدتك أمير المؤمنين من ذلك مُدْبِرًا للبلاد، ومُضِلِّحًا
للفساد، ومُدْمِرًا أهل العناد »^(٤).

وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، وزيد له الحنك مع الدواة المُرْخَاة والطَّلَسَان
المُورِزِي قاضي القضاة، وذلك في سنة سبع وستين وأربع مائة . فصارت الوزارة من حينئذ وزارة
تقويض ويُقال لتوليها : « أمير الجيوش »، وبطل اسم الوزارة^(٥).

(١) ساقطة من أبياصوفيا . (b) بولاق : الوزير .

القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥، ١: ٧٨-٩٣ جمال الدين
الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة ١٩٥٨،
١٢٧-١٧٨ محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء
في العصر الفاطمي، القاهرة ١٩٧٠، Laila Sami
al-Imād, *The Fatimid Vizirate 969-1172*,
Berlin 1990، أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر
٣٢٧-٣٢٠.

^(١) ابن الطوير : نزعة المقلتين ١٠٦ : القلقشندي : صح
٤٨٦:٢ .

^(٢) السجلات المستنصرة، السجلات أرقام ٥٦، ٥٧، ٥٨ .
^(٣) المقريري : المقي ٣٩٧:٢ ابن حجر : رفع الإصر
٩٢ .

^(٤) ابن الصيرفي : الإشارة ٩٦ : النويري : نهاية الأرب =

مرة في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م، وصرف عنها
سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م، ولم يكن هو الوزير الذي قدم عليه
بدر الجمالي وإنما ساعد الخليفة المستنصر في استدعاء بدر
الجمالي من عكا وهو يتولى ديوان الإنشاء، أما الوزير الذي
قدم عليه بدر الجمالي فهو الحسن بن القاضي ثقة الدولة
وسناتها المعروف بابن أبي كندجة (ابن الصيرفي : الإشارة
٨٩-٩٠) . (راجع، ابن الصيرفي : الإشارة ٨٣-٨٥ ابن
ميسر : أخبار مصر ١٨، ٢٢، ٢٥، ٣٤، ٤٧، ٥٥ ،
وفيما يلي ١٥٨:٢) .

وعن الوزارة في العصر الفاطمي راجع ابن الصيرفي :
الإشارة إلى من نال الوزارة، ومن الدراسات الحديثة : عطية
مصطفى مشرفة : نظم الحكم في عصر الفاطميين (٣٥٨-
١٢٠٧هـ / ٩٦٨-١٧١١م)، القاهرة ١٩٤٨، ٩٦-١٢٠
عيد للمعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر،

فلَمَّا قَامَ شَاهِنْشَاهُ ابْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ ، وَمَاتَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَأَجْلَسَ ابْنُ بَذْرَ فِي الْخِلَافَةِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُسْتَنْصِرِ وَلَقَّبَهُ بِـ « الْمُسْتَعْلِي » ، صَارَ يُقَالُ لَهُ : « الْأَفْضَلُ » ، وَمِنْ بَعْدِهِ صَارَ مِنْ يَتَوَلَّى هَذِهِ الرُّبَّةَ يَتَلَقَّبُ بِهِ أَيْضًا ^١ .

- وَأَوَّلُ مَنْ نُسِبَ ^٢ بِـ « الْمَسْلِكِ » مِنْهُمْ مُضَافًا إِلَى بَقِيَّةِ الْألقَابِ رِضْوَانُ بْنُ وَلَحْشِي عِنْدَمَا وَزَّرَ لِلْحَافِظِ لَدِينِ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : « السَّيِّدُ الْأَجَلُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ » ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ^٣ . وَفِعْلَ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ ، تَلَقَّبَ طَلَّاحُ بْنُ زُرَّيْكَ بِـ « الْمَلِكِ الصَّالِحِ » ^٤ ، وَتَلَقَّبَ ابْنُهُ زُرَّيْكَ ابْنُ طَلَّاحِ بِـ « الْمَلِكِ الْعَادِلِ » ، وَتَلَقَّبَ شَاوِرُ بِـ « الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ » ، وَتَلَقَّبَ آخَرُهُمْ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بِـ « الْمَلِكِ النَّاصِرِ » . وَصَارَ وَزِيرُ الشَّيْفِ مِنْ عَهْدِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَذْرَ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ هُوَ « سُلْطَانُ مِصْرَ » ، وَصَاحِبُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فِي الْكَافَّةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ وَالْقُضَاةِ وَالْكَتَّابِ وَسَائِرِ الرُّعِيَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي يُؤْتِي أَرْبَابَ الْمَنَاصِبِ الدِّيَوَانِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ ^٥ .
- وَصَارَ حَالُ الْخَلِيفَةِ مَعَهُ كَمَا هُوَ حَالُ مُلُوكِ مِصْرَ مِنَ الْأَثَرِ إِذَا كَانَ السُّلْطَانُ صَغِيرًا وَالْقَائِمُ بِأَمْرِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى تَنْذِيرَ الْأُمُورِ كَمَا كَانَ الْأَمِيرُ يُلَبِّغُ الْخَاصَّيْكَ مَعَ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ ، وَكَمَا أَدْرَكْنَا الْأَمِيرَ يَزْقُوقَ .

(a) بولاق : لقب . (b) بولاق : المنصور .

فؤاد : المرجع السابق (٣٢٢) .

^٢ هذه المعلومة غير دقيقة ومصدرها ابن الأثير : الكامل ٤٨:١١ ، وكررها المقرئ في اتعاظ الحنفيا ٣: ١٦١ . ولكن ما ذكره المقرئ يُناقضُ نَصًّا آخرَ له في اتعاظ الحنفيا ٣: ٢١٨ حيث يذكر في ترجمة الوزير طلالح بن زُرَّيْكَ أَنَّهُ نُسِبَ فِي سَجَلِ تَوَلِيهِ بِـ « الْمَلِكِ الصَّالِحِ » وَأَنَّهُ « لَمْ يُلَقَّبْ أَحَدًا مِنَ الْوُزَرَاءِ قَبْلَهُ بِالْمَلِكِ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ٤ ربيع الآخر سنة ٥٤٩هـ » ، وَأَضَافَ بَعْدَ قَلِيلِ (٢٥١:٣) : « وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خُوِطَ بِالْمَلِكِ فِي دِيَارِ مِصْرَ وَنَعَتْ بِهِ » . يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عِنْدَ ابْنِ مِيسَرٍ (أخبار ١٢٦) وَسَجَلُ تَقْلِيدِ رِضْوَانِ الْوَزَارَةِ الَّذِي لَمْ يَرِدْ فِيهِ لَفْظُ الْمَلِكِ . (القفاشندي : صبح ٣٤٢:٨ - ٣٤٦) .

٢٨٠: ٢٣٥ . وَأَضْفَى بَذْرَ الْجَمَالِي شُهْرَةً عَلَى هَذَا اللَّقَبِ حَتَّى إِنَّهُ حُلَّ مَحَلِّ اسْمِهِ الشَّخْصِيَّ لِلتَّحْدِيلِ عَلَيْهِ ؛ فَرُغِمَ أَنْ خُطَفَاهُ تَلَقَّبُوا كَذَلِكَ بِلَقَبِ « أَمِيرِ الْجُيُوشِ » - بِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا « وَزَرَاءَ سِيُوفِ » أَيَّ قَادَةِ لِلْجَيْشِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ - فَإِنَّ بَذْرًا احْتَفَظَ وَحْدَهُ لَدَى الْمُؤَرِّخِينَ بِمِيزَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتَفُونَ فَقَطْ لِتَعْرِيفِهِ بِذِكْرِ لَقَبِ « أَمِيرِ الْجُيُوشِ » . (أَيْمَنُ فُؤَادُ : الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ ٣٢٢) .

^١ اسْتَقَرَّ تَرْتِيبُ ألقَابِ وَزَرَاءِ السِّيُوفِ الْفَاطِمِيَّةِ ابْتِدَاءً مِنْ بَذْرَ الْجَمَالِي وَحَتَّى ظَهَرَ لَقَبُ « الْمَلِكِ » بَيْنَ ألقَابِ الْوُزَرَاءِ كَالْآتِي : « السَّيِّدُ الْأَجَلُ » [النعت الشخصي للوزير الذي أصبح ابْتِدَاءً مِنَ الصَّالِحِ طَلَّاحُ لَقَبَ « مَلِكًا »] ، أَمِيرُ الْجُيُوشِ ، شَيْفُ الْإِسْلَامِ ، نَاصِرُ الْإِمَامِ ، كَافِلُ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، (لَمْ يَسْمَعْ وَكُنِيَ وَلَقَبَ الْوَزِيرُ الشَّخْصِيَّ) . (أَيْمَنُ

قال ابن أبي طي^(a) في « تاريخ حلب »^(a): وكانت خلعهم - يعني الخلفاء الفاطميين - على الأتراء القباب الذهبية والعمائم القصص بالطراز الذهب ؛ وكان طراز الذهب والعمامة من خمس مائة دينار ، ويخلع على أكابر الأتراء الأطواق الذهب والإسورة والسيوف المحلاة . وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق عقد بجوهر^١.

قال ابن الطوقر : ويخلع عليه - يعني على أمير الجيوش بدر الجمالي - بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق ، وزيد له الحنك مع الذؤابة الموحاة والطيلسان المقور زي قاضي القضاة^٢.

(a) قال المؤلف^(a): وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء الأقالام في زمننا هذا ، غير أنه لقصور أحوال الدولة ، يجعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير - ويقل بخمسة آلاف مثقال ذهباً - قلادة من عنبر مغشوش يقال لها « العنبرية »^(b) ، ويتميز بها الوزير خاصة ، ويلبس أيضاً الطيلسان المقور ويسمى اليوم بـ « الطرخة » ، ويشاركه فيها جميع أبواب العمائم إذا خلع عليهم ، فإنه تكون خلعهم بالطرخة .

وترك أيضاً اليوم من خلع الوزير وغيره الذؤابة الموحاة وهي « العذبة » ، وصارت الآن من زي القضاة فقط وهجرها الوزراء . ويثبته - والله أعلم - أن يكون وضعها في الدولة الفاطمية للوزير في خلع له إشارة إلى أنه كبير أبواب السيوف والأقالام ، فإنه كان مع ذلك يتقلد بالسيوف . وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيوف ؛ لأنه لا يحكم له على أبواب السيوف .

ولما قام الأفضل ابن أمير الجيوش خلع أيضاً عليه بالسيوف والطيلسان المقور ، وبعد الأفضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك ، إلى أن قدم طلائع بن زريك ولقب بـ « الملك الصالح » عندما خلع عليه للوزارة ، وجعل في خلعته السيوف والطيلسان المقور^٣.

قال ابن المأمون : وفي يوم الجمعة ثانيه - يعني ثاني ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمس مائة - أخلع^(c) على القائد ابن فاتك البطايعي من الملابس الخاص الشريفة في فرد كتم مجلس

(a-a) إضافة من المسودة . (b) بولاق : العنبرية . (c) بولاق : خلع .

المواظ ٢٦٠ .

^١ المقرري : مسودة المواظ ٢٦٠ .

^٢ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢١ ؛ المقرري : مسودة ^٣ المقرري : مسودة المواظ ٢٦٠ - ٢٦١ .

٤٤١ اللَّحْظَةُ^١، وَطُوقَ بَطْوَاقٍ ذَهَبٍ مُرْصَعٍ/ وَسَيْفٍ ذَهَبٍ كَذَلِكَ، وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ. وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْأَمْتَاذِينَ الْمُحْتَكَينَ بِالْخُرُوجِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَرْكَبَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ الْأَفْضَلُ ابْنَ أَمِيرِ الْجِيُوشِ يَرْكَبُ مِنْهُ. وَتَمَسَّى فِي رِكَابِهِ الْقَوَاذِ عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ، وَخَرَجَ بِتَشْرِيفِ الْوَزَارَةِ - يَعْنِي مِنْ بَابِ الذَّهَبِ - ^(٢)شَاقًا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ^(٣)، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ رَاكِبًا، وَجَرَى الْحُكْمُ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ لِلْأَفْضَلِ، وَوَصَلَ إِلَى دَارِهِ فُضَاعَفَ الرُّسُومَ، وَأُطْلِقَ الْهَبَاتُ.

قَالَ^(٤): وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَامِسِ ذِي الْحِجَّةِ، اجْتَمَعَ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ لِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ الْأَمْرِ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي قَرَّرَهَا مُسْتَجِدَّةً، وَاسْتَدْعَى الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ - ^(٥)يعني صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات^(٥) - فَلَمَّا حَضَرَ أَمَرَ بِإِحْضَارِ السَّجِلِ - ^(٦)يعني تقليد الوزارة - فَأَحْضَرَهُ فِي لُفَافَةٍ خَاصَّةٍ مُذَهَّبَةٍ وَسَلَّمَ الْخَلِيفَةُ السَّجِلَ^(٦) لِلْأَجَلِ الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ مِنْ يَدِهِ، فَقَبَّلَهُ وَسَلَّمَهُ لِرِئَامِ الْقَصْرِ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْوَزِيرَ الْمَأْمُونُ بِالْجُلُوسِ عَنْ يَمِينِهِ. وَقُرِئَ السَّجِلُ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ - ^(٧)يعني الذي كان يجلس فيه الْخَلِيفَةُ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ فِي يَوْمِي الْمَوْكَبِ^(٧) وَهُوَ أَوَّلُ سِجِلٍ قُرِئَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَكَانَتْ سِجِلَاتُ الْوُزَرَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ تُقْرَأُ بِالْإِيوَانِ^٢ - وَرُسِمَ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ أَنْ يَثْقِيلَ النَّشْبَةَ لِلْأَمْرَاءِ وَالْمُحْتَكَينَ مِنَ الْأَمِيرِ إِلَى الْمَأْمُونِ لِلنَّاسِ أَجْمَعٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَخَذَ مِنْهُمْ يَنْتَسِبُ لِلْأَفْضَلِ وَلَا لِأَمِيرِ الْجِيُوشِ. وَقُدِّمَتِ الدَّوَاةُ لِلْمَأْمُونِ فَقَلَّمَ فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ، وَتَقَدَّمَتِ الْأَمْرَاءُ وَالْأَجْنَادُ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ وَشَكَرُوا ^(٨)أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٨) عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ.

وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِحْضَارِ الْخِلْعِ الْحَاجِبِ الْحُجُبَابِ لِحُسامِ الْمَلِكِ ^(٩)أَتَقَتَيْنِ فَأَحْضَرَتْ وَأَبِضَتْ عَلَيْهِ^(٩) وَطُوقَ بَطْوَاقٍ ذَهَبٍ وَسَيْفٍ ذَهَبٍ وَمِنْطَقَةٍ ذَهَبٍ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْخِلْعِ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ بِاسْتِمْرَارِهِ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ كِبَايَةِ الدُّسْتِ الشَّرِيفِ، وَشَرَفَهُ بِالدُّخُولِ إِلَى مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ. ثُمَّ اسْتَدْعَى الشَّيْخَ أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنَ أَبِي اللَّيْثِ [مَتَوَلَّى دِيوانَ الْمَجْلِسِ]^(١٠)، وَأَخْلَعَ عَلَيْهِ بَدَلَةً مُذَهَّبَةً، وَكَذَلِكَ أَبُو الرُّضَى سَالِمُ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ، وَكَذَلِكَ أَبُو الْمَكَارِمِ أَخُوهُ وَأَبُو مُحَمَّدٍ أَخُوهُمَا، ثُمَّ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْمِقْدَمِيِّ [مُنْشِئُ مَا يَصْدُرُ عَنْ دِيوانِ الْمَكَاتِبَاتِ وَمُحَرَّرُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْمَهْمَاتِ]^(١١)، وَوَهَبَهُ ذَنَانِيرَ كَثِيرَةً بِحُكْمِ أَنَّهُ الَّذِي قَرَأَ السَّجِلَ، وَخَلَعَ أَيْضًا^(١٢) عَلَى الشَّيْخِ أَبِي

(a-a) زيادة من مسودة المواظ. (b) إضافة من مسودة المواظ. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) زيادة من الملقى

الكبير. (e) إضافة من المسودة.

الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس . ثم استدعى عديّ الملّك سعيد بن عماد الضيف ، متولّي أمور الضيافات والرّسل الواصلين إلى الحضرة من ^(١) جميع الجهات ، وأخذ العلامة على التوقيعات فأطلع عليه . وما كان أحدٌ يَدْخُلُ ^(٢) مجلس الأفضّل ، ولا يَصِلُ لِعَتَبَتِهِ أحدٌ ، لا حاجِبُ الحُجَابِ ولا غيره سوى عديّ الملّك هذا ، فإنّه كان يقف من داخل العتبة . وكانت هذه الخِدْمَةُ في ذلك الوقت من أَجَلِ الخِدْمِ وأكبرها ، ثم عادت من أَهْوَنِ الخِدْمِ وأقلّها ^١ .

فعند ذلك قال القاضي أبو الفتح [محمود] ^(b) بن قادوس ^٢ يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه ، وقد زيدَ في نُعوتِهِ :

[الكامل]

قَالُوا أَنَا الثَّقُفُ وَهُوَ السَّيِّدُ الـ مَأْمُونٌ حَقًّا وَالْأَجَلُ الْأَشْرَفُ
وَمُنِيكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ وَمَجِيرُهَا مَا زَادَنَا شَيْقًا عَلَى مَا نَعْرِفُ

١٠

قَالَ : وَلَمَّا اسْتَمَرَّ حُسْنُ نَظَرِ الْمَأْمُونِ لِلدَّوْلَةِ وَجَمِيلِ أَعْمَالِهِ ، بَلَغَ الْخَلِيفَةُ الْآمِرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ، فَشَكَرَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : ثُمَّ كَلَامٌ يَحْتَاجُ إِلَى خُلُوعٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : تَكُونُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ^(c) ، وَأَمَرَ بِخُلُوعِ الْمَجْلِسِ . فعند ذلك مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ وَقَالَ لَهُ : يَا مَوْلَانَا امْتَنَانًا الْأَمْرَ صَغَبٌ وَمَخَالَفَتُهُ أَصْعَبُ ، وَمَا يَتَسَعَّ خِلَافُهُ قُدَامَ أُمَرَاءِ دَوْلَتِهِ وَهُوَ فِي دَسْتِ خِلَافَتِهِ وَمُنْصَبِ آبَائِهِ وَأُجْدَادِهِ ، وَمَا فِي قُوَايَ مَا يَرُومُهُ مِنِّي ، وَيَكْفِينِي هَذَا الْمِقْدَارُ ، وَهَيِّهَاتَ أَنْ أَقُومَ بِهِ ، وَالْأَمْرُ كَبِيرٌ . فعند ذلك تَغَيَّرَ الْخَلِيفَةُ وَأَقْسَمَ لَا كَانَ ^(d) لِي وَزِيرٌ غَيْرُكَ ، وَهُوَ فِي نَفْسِي مِنْ أَيَّامِ الْأَفْضَلِ ؛ وَهُوَ مُسْتَمَرٌّ عَلَى الْإِسْتِعْفَاءِ إِلَى أَنْ بَانَ لَهُ التَّغَيُّرُ فِي وَجْهِ الْخَلِيفَةِ ، وَقَالَ : مَا اعْتَقَدْتُ أَنَّكَ تَخْرُجُ عَنْ أَمْرِي وَلَا تُخَالِفُنِي ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ عِنْدَ ذَلِكَ : لِي شَرْوْطٌ ، وَأَنَا أَذْكُرُهَا ؛ فَقَالَ لَهُ : مَهْمَا شِئْتَ اشْتَرِطْ ؛ فَقَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ بِالْأَمْسِ مَعَ الْأَفْضَلِ ، وَكَانَ قَدْ اجْتَهِدَ فِي [أَنْ يَشْرَفَنِي بَعْدَهُ] ^(b)

١٥

(a-e) ساقطة من بولاق . (b) زيادة من المقيى الكبير . (c) بولاق في هذا الوقت . (d) بولاق : إن كان والمثبت من المقيى .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٢٠-٢١ : المقرئ : مسودة
المواظع ٢٦٢-٢٦١ والمقيى الكبير ٤٨٠-٤٨١ : والمعاط
الحفا ٧٥:٣-٧٧ .
(ابن ميسر : أخبار ١١٥٧ : العماد الأصفهاني : خريدة القصر
(قسم مصر) ٢٢٦:١-٢٣٤ : السيوطي : حسن المحاضرة

^٢ القاضي الفضل كلثي الكفاة أبو الفتح محمود بن
إسماعيل بن حميد الدبائطي المعروف بابن قادوس ، شاعر

الثموت وحل المظنة [من وسطي]^٨ فلم أقبل ؛ فقال الخليفة : علمت ذلك في وقته ؛ قال : وكان أولاده يكتبون إليه بما يعلمه مؤلاي من كوني قد نحتته في المال والأهل ، وما كان والله العظيم ذلك مني يوماً قط ! ثم مع ذلك معاداة الأهل جميعاً والأجناد وأرباب الطيائس والأقلام ، وهو يعطيني كل رقة تصل إليه منهم ، وما سمع كلام أحد منهم في ؛ فعند ذلك قال له الخليفة : فإذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته ، إيش يكون فغلي أنا ؟ فقال المأمون : يفرغني المولى ما يأثر به فأنتله بشرط ألا يكون عليه زائد .

فأول ما ابتدأ به أن قال : أريد الأموال لا تجبني إلا بالقصر ، ولا تصل الكشوات من الطراز والتمور إلا إليه ، ولا تفرق إلا منه ، وتكون أشيطة الأعياد فيه ، ويوسع في رواتب القصور من كل صنف ، وزيادة رسم مندبل الكم . فعند ذلك قال له المأمون : سدياً وطاعة ؛ أما الكشوات والجبائنة والأشيطة فما تكون إلا بالقصور ، وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الأمر ، وأما زيادة رسم مندبل الكم فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين ديناراً ، يكون في كل يوم مائة دينار ؛ ومولانا - سلام الله عليه - يشاهد ما يعمل بعد ذلك في الركوبات وأشيطة الأعياد وغيرها في سائر الأيام . ففرح الخليفة ، وعظمت مسرته .

ثم قال المأمون : أريد بهذا مشطوراً بخط أمير المؤمنين ، ونقسم لي فيه بأبائه الطاهرين ألا يلتفت لحاسيد ولا مبيغض ، ومهما ذكر/ عني^٩ يطلعي عليه ، ولا يأمر في بأمر سراً ولا جهراً يكون فيه ذهاب نفسي وانحطاط قدري . [وتكون]^{١٠} هذه الأيمان باقية إلى وقت وفاتي ، فإذا توفيت تكون لأولادي ولن أخلفه بعدي . فحضرت الدواة ، وكُتِبَ ذلك جميعه ، وأشهد الله تعالى في آخرها على نفسه ؛ فعندما حصل الخط بيد المأمون ، وقف وقبل الأرض وجعله على رأيه . وكان الخط بالأيمان نُسختين ، إحداهما في قصبة فضة .

قال : فلما قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع عشرة^{١١} وخمس مائة ، أنفذ الخليفة الأمير بأحكام الله يطلب الأيمان ، فنقد له التي في القسبة الفضة ، فحرقها لوقتها ، وبقيت النسخة الأخرى عندي ، فعديمت في الحركات التي تجرت^١ .

(٨) زيادة من المقي الكبير . (ب) بولاق : في . (ج) في النسخ : وعشرين ، خطأ .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٢٠-٢٣ ؛ المقرئ : انعط الحنفا ٣: ٧٥-٧٧ والمقي الكبير ٦: ٤٨٠-٤٨٣ .

وقال ابن كثير في حوادث سنة خمس عشرة وخمس مائة : وفيها تشرف القائد أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فايلك ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصري المعروف بابن البطاحي ، في الخامس من ذي الحجة ، وكان قبل ذلك عند الأفضل أستاذاره^١ ، وهو الذي قدمه إلى هذه المرتبة .

واستقرت نفوذه في سجله المقروء على كافة الأمراء والأجناد بـ « الأجل المأمون ، تاج الخلافة ، وجيه الملك ، فخر الصنائع ، ذخّر أمير المؤمنين » . ثم تجدد له من الثبوت بعد ذلك « الأجل المأمون ، تاج الخلافة ، عز الإسلام ، فخر الأنام ، نظام الدين والدنيا » . ثم نعت بما كان يُنعت به الأفضل ، وهو « السيد الأجل المأمون ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصير الأنام ، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين »^٢ .

ولما كان يوم الثلاثاء التاسع^٣ من ذي الحجة - وهو يوم الهناء بعيد النحر - جلس المأمون في داره عند أذان الصبح ، وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام ، ثم الأمراء والأستاذون المحضون والشعراء بعدهم . فركب إلى القصر ، وأتى باب الذهب ، فوجد الموتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجاري به العادة ، وأغلق الباب الذي عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والأقلام . وهذا الباب يُعرف بباب السرداب . فعندما شاهد الحال في المرتبة ، توقف عن الجلوس عليها لأنها حالة لم يجر معه حديث فيها ، ثم ألجأته الضرورة لأجل حضور الأمراء إلى الجلوس ، فجلس عليها وجلس أولاده الثلاثة عن يمينه وأخوه عن يساره ، والأمراء المطوقون - خاصة دون غيرهم - قيام بين يديه ، فإنه لا يصل أحد إلى هذا المكان سواهم . فلم يكن بأسرع من أن فُتح الباب وخرج عدة من الأستاذين المحضين بسلام أمير المؤمنين .

(١) عند ابن مسير : السابع ، وعند النوري : الثالث عشر .

^٢ راجع ألقاب المأمون البطاحي عند ، ابن طاهر : أخبار ١٨٨ : ٢٨ : ٢٢٨٨ ابن أبيك : كنز الدرر ٤٤٨٨ : ٦ : ٤٧٨ : ٤٧٩ ، وفيما يلي ٥١٤ .

^١ الأستاذار : كلمة فارسية مركبة بمعنى متولّي قبض المال أو كبير الدار أو البيت ، وهي من الوظائف التي عرفت في عصر الدولة المملوكية . ويبدو أن إشارة ابن مسير هذه هي الإشارة الوحيدة لوجود هذه الوظيفة عند الفاطميين . وانظر فيما يلي ٢ : ٢٢٢ .

وَحَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ النَّقْعَةُ مُتَوَلِّيُ الرِّسَالَةِ وَزِمَامُ الْقُصُورِ ، فَعِنْدَ مُحْضُورِهِ وَقَفَ لَهُ أَوْلَادُ الْمَأْمُونِ وَأَخْوَاهُ ، فَطَلَعَ عِنْدَ خُرُوجِهِ قُبَالَةً^(٥) الْمَرْتَبَةِ وَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرُدُّ عَلَى الْمَيْلِدِ الْأَجَلِ الْمَأْمُونِ السَّلَامَ . فَوَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَلِ^(٦) الْمَأْمُونُ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَعَادَ فَجَلَسَ مَكَانَهُ . وَتَأَخَّرَ الْأَمِيرُ إِلَى أَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَضْطَبَةِ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَبَّلَ يَدَ الْمَأْمُونِ ، وَدَخَلَ مِنْ قُورِهِ مِنَ الْبَابِ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى حَالِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَفْضَلُ .

وَكَانَ الْأَفْضَلُ يَقُولُ : مَا أَزَالُ أَعُدُّ نَفْسِي سُلْطَانًا حَتَّى أَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ وَالْبَابِ يُفْتَلَقُ فِي وَجْهِهِ وَالذُّخَانُ فِي أَنْفِي ، فَإِنَّ الْحَمَامَ كَانَتْ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ فِي السُّرْدَابِ .

ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ وَعَادَ النَّقْعَةُ ، وَأَشَارَ بِالْذُّخُولِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَدَخَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُتِيَ لَهُ وَدُعِيَ^(٧) لِمَجْلِسِ الْوِزَارَةِ ، وَبَقِيَ الْأَمْرَاءُ بِالذَّهَالِيزِ إِلَى أَنْ جَلَسَ الْخَلِيفَةُ ، وَاسْتَفْتَحَ الْقُرَاءَ ، وَاسْتَدْعَى الْمَأْمُونِ فَخَصَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَوْلَادَهُ وَأَخَوْتَهُ ، وَأَحْلَى الْأَمْرَاءَ عَلَى قَدْرِ طَبَقَاتِهِمْ : أَوَّلُهُمْ أَزْيَابُ الْأَطْوَاقِ ، وَيَلِيهِمْ أَزْيَابُ الْعُمَارِيَّاتِ وَالْأَنْصَابِ ، ثُمَّ الضُّيُوفُ وَالْأَشْرَافُ . ثُمَّ دَخَلَ دِيوَانُ الْمَكَاتِبَاتِ وَسَلَّمَ بِهِمُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ ، ثُمَّ دِيوَانُ الْإِنْشَاءِ وَسَلَّمَ بِهِمُ الشَّرِيفُ ابْنُ أَتَسِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الطَّالِبِينَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، ثُمَّ سَلَّمَ الْقَاضِي ابْنُ الرُّشْعَنِيِّ بِشَهْرِهِ ، وَالدَّاعِي ابْنُ عَبْدِ الْحَقِّيقِ بِالْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ سَلَّمَ الْقَائِدَ مُقْبِلَ مَقْدَمِ الرُّكَّابِ الْآمِرِيَّ بِجَمِيعِ الْمَقْدَمِينَ الْآمِرِيَّةِ ، ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ أَبِي اللَّيْثِ مُتَوَلِّيَ دِيوَانِ الْمَمْلُوكَةِ . ثُمَّ دَخَلَ الْأَجْنَادُ مِنْ بَابِ الْبَحْرِ ، وَسَلَّمَ كُلُّ طَائِفَةٍ بِمَقْدَمِهَا .

فَلَمَّا انْقَضَى ذَلِكَ دَخَلَ وَالِي الْقَاهِرَةِ وَوَالِي مِصْرَ وَسَلَّمَ كُلُّ مِنْهُمَا بِيَاضِ أَهْلِ الْبَلَدَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَطْرُكُ بِالنَّصَارَى وَفِيهِمْ كُتَّابُ الدَّوْلَةِ مِنَ النَّصَارَى ، وَرَبِّيسُ الْيَهُودِ^(٨) وَمَعَهُ الْكُتَّابُ مِنَ الْيَهُودِ ، ثُمَّ سَلَّمَ الْمُقَرَّبُونَ وَقَدْ قَارَبَ الْقَصْرَ . وَدَخَلَ الشُّعْرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَأَتَشَدَّ كُلُّ مِنْهُمْ مَا سَمَحَتْ بِهِ قَرِيحَتُهُ .

(a) بولاق : وقبل الأرض وعاد فجلس مكانه . (b) زيادة من ابن ميسر . (c) بولاق : عاد .

Nagid : A Reexamination», JQR 53 (1962), pp. 93-119; id., A Mediterranean Society II, pp. 23-40; Cohen, M., Jews Self-Government in Medieval Egypt - The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca. 1065-1126, Princeton 1980.

^١ رئيس اليهود هو المعروف بـ«الناجيد» (Nagid)، وهو المصطلح الذي كان يُطلق على رئيس يهود مصر اعتباراً من النصف الثاني للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (انظر، Goitein, S. D., «The Title and Office of the

قال : فكان هذا رتبة الوزير المأمون [في هذا اليوم] ^(a) ١.

قال ابن المأمون : وأما ما قُرِّرَ للوزارة عتينا في الشهر ، بغير إيجاب بل يُقبض من بيت المال ، فهو ثلاثة آلاف دينار . تفصيلها : ما هو على حكم الثبابة في العلامة ألف دينار ، وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار ، وما هو على مائة غلام - يرسم مجلسه ويخدمته - لكل غلام خمسة دنائير في الشهر . فأما العلماء الركابية وغيرهم من الفقهاء والطبائعين ، فعلى حكم ما يُرْعَب في إثباته .

وفي السنة : من الإقطاعات خمسون ألف دينار ، منها دقشور وجزيرة الدق ، وبقية الجملة في البلاد ^(b) صَفَقَات . ومن البساتين ثلاثة : بُسْتَان / الأمير تميم ^٢ ، وبُستنانان بِكُوم أَشْفِين . ومن القوت - يعني القمح - ومن القضم - يعني الشعير - والبرسيم في السنة عشرون ألف أردب قمحا وشعيرا . ومن الغنم يرسم مطابخه مُساقاة من المراحات ثمانية آلاف رأس .

وأما الحيوان والأخطاب وجميع الثوابل ، العال منها والدون ، فمهما استدعاه متولي المطابخ يُطلَق من دار أَفْكِين وشؤون الأخطاب وغير ذلك ^٣ .

وقد تقدّم مقررُ كُثُوة الوزارة في العيدين ، وفضلَي الشتاء والصيف ، ومؤيسم عيد الغدير ، وفتح الخليج . وغير ذلك من غرَّتني شهر رَمَضان وأول العام وغيره ، كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد استقصيتُ سِيَرُ الوزراء في كتابي الذي سَمَّيْتُهُ «تَلْقِيحُ الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ فِي تَنْقِيحِ أَخْبَارِ الْجُمْلَةِ الْوُزَرَاءِ» ^٤ فانظره .

(a) زيادة من ابن ميسر . (b) في البلاد : ساقطة من بولاق .

^١ ابن ميسر : أخبار مصر ٨٧-٩١ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٨٨-٢٩٠ ومصدر النويري هو ناظم سيرة المأمون ، وفيما يلي ٥١٣ - ٥١٤ .
^٢ حاشية بخط المؤلف : «بستان الأمير تميم يعرف اليوم بالمشروق وهو بجوار رباط الآثار» .
^٣ ابن المأمون : أخبار مصر ٨١ .
^٤ لم يصل إلينا هذا الكتاب للأسف ، وانظر فيما يلي ٢٢٣:٢ حيث يذكر المقرئ أنه جمع في وزراء الإسلام كتابا جليل القدر وأفرد وزراء مصر في تصنيف بدیع هو دون شك كتاب «تلقيح العقول» .

ذِكْرُ الْحُجْرَةِ الَّتِي كَانَتْ يَرَسُمُ الصَّيَّانُ الْحُجْرَةَ

وكان بجوار دار الوزارة مكانٌ كبيرٌ يُعرف بالحُجْر (مجمع حُجَرَة) فيها الغلمان المختصون بالخلفاء، كما أدركنا بالقُلعة البيوت التي كان يُقال لها الطُّبَاق^١ . وكانت هذه الحُجْر من جانب حارة الحُرَّانِيَّة ، وإلى حيث المَسْجِد الذي يُعرف بِمَسْجِد القاصِد^٢ ، تجاه باب الجامع الحاكمي الذي يُفضي إلى باب النَّصْر^٣ .

فمن حقوق هذه الحُجْر : دارُ الأمير بهادر التَّيُوسُفِي السَّلاخدار النَّاصِرِي التي تُجاور المَسْجِد الكائن على يَمِينَةٍ من سَلَك من باب الحُرَّانِيَّة طاليتا باب النَّصْر ، ومنها الحُزُوضُ المجاورة لهذه الدَّار ، ودارُ الأمير أحمد قُريب الملك النَّاصِر محمد بن قُلاوون ، والمَسْجِدُ المعروف بالنَّخْلَة ، وما يُجاوره من القاعتين اللتين تُعرف إحداهما بقاعة الأمير عَلم الدِّين سِنْجَر الجَاوِلِي ، وما في جانبها إلى مَسْجِد القاصِد ، وما وراء هذه الدَّور^٤ .

وكان لهؤلاء الحُجَرَة إِشْطَبُلٌ يرسم ذواتهم - سيأتي ذكره إن شاء الله^٥ .

وما زالت هذه الحُجْر باقية بعد انقضاء دولة الخُلَفَاء الفاطميين إلى ما بعد السبع مائة فَهَدِمَتْ ، وابتنى الناسُ مكانها الأماكن المذكورة^٥ .

قال ابنُ أَبِي طَیِّ [في « تاريخ حلب » عند وفاة^٦] المِعْزَ لدين الله : وَجَعَلَ كُلَّ مَاهِرٍ فِي صَنْعَةِ صَانِقًا لِلْخَاصِّ ، وَأَفْرَدَ لَهُمْ مَكَانًا يَرَسُمُهُمْ ، وَكَذَلِكَ قَتَلَ بِالْكِتَابِ وَالْأَفَاضِلِ ، وَشَرَطَ عَلَى وُلاَةِ الْأَعْمَالِ عَرَضَ أَوْلَادِ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمَنْ كَانَ ذَا شَهَامَةٍ وَمَحْسَنٍ خِلْقَةٍ أَرْسَلَهُ لِيُخْدِمَ فِي الرِّكَابِ . فَسَيَّرُوا إِلَيْهِ عَالِمًا مِنْ أَوْلَادِ النَّاسِ ، فَأَفْرَدَ لَهُمْ دُورًا وَسَمَّاهَا « الْحُجْر »^٦ .

(a) أضاف في المسودة : ويقرب من صبيان الحجر في زماننا المماليك السلطانية . (b) في المسودة : الذي في الرحبة التي هي أمام الجامع الحاكمي مقابلة لوكتلة قوصون الآن . (d) في بولاق : قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله ، وانجبت من المسودة .

^١ المقرئ : مسودة الملاحظ . ٢٧٠ .

^٢ انظر فيما يلي ٢ : ٢٩٣ .

^٣ نفسه ٢٦٩ ، وعن أولاد الناس انظر Ayalon .

^٤ المقرئ : مسودة الملاحظ . ٢٧٠ .

^٥ نفسه ٢٧٠ وعن هذه الدَّور انظر فيما يلي ٢ : ٦٥ .

^٦ نفسه ٢٧٠ وعن هذه الدَّور انظر فيما يلي ٢ : ٦٥ .

^٧ D., El³ art. Awlād al-Nās I, p. 786.

^٨ انظر فيما يلي ٥١٠ .

وقال ابن الطُّوَيْر: وَكُوتِبَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجَبُوشِ مِنْ عَشَقْلَانَ بِاجْتِمَاعِ الْفِرْنَجِ، فَاهْتَمَّ لِلتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا وَلَمْ^(a) يُبْقِ ثَمَكْنَا مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ^(b) وَرَجَالٍ وَخَيْلٍ^(c)، وَاسْتَنَابَ أَخَاهُ الْمُظْفَرُ أَبَا مُحَمَّدٍ جَعْفَرَ بْنَ أَمِيرِ الْجَبُوشِ بَدْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْخَلِيفَةَ مَكَانَهُ، وَقَصَّدَ اسْتِقْاذَ الشَّاحِلِ مِنْ يَدِ الْفِرْنَجِ، فَوَصَّلَ إِلَى عَشَقْلَانَ وَزَخَفَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ، فَخُذِلَ مِنْ جِهَةِ عَسْكَرِهِ - وَهِيَ نُوبَةُ النَّصْصَةِ^١ - وَعَلِمَ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنْدِهِ، وَلَمَّا غُلِبَ حَرَقَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَلَاتِ.

وكان عند الفِرْنَجِ شاعِرٌ منتجعٌ إليهم، فقال يُخَاطِبُ صَنْجِلَ [Saint Angilles] ملكَ الْفِرْنَجِ: [متقارب]

نَصَرْتُ بِتَيْفِكَ دِينَ الْمَسِيحِ فَلِلَّهِ ذِكْرٌ مِنْ صَنْجِلِ
وَمَا سَمِعَ النَّاسُ فِيمَا رَوَاهُ بِأَقْبَحَ مِنْ كَشْفَةِ الْأَفْضَلِ

فَتَوَصَّلَ الْأَفْضَلُ إِلَى ذَبْحِ هَذَا الشَّاعِرِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بَعْدَ هَذِهِ التَّوْبَةِ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْنَادِ بِالْأَفْضَلِ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمُ الثُّعُوثُ، وَلَمْ يَسْمَعْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ كَلِمَةً. وَأَنْشَأَ سَبْعَ حُجُرٍ، وَاخْتَارَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَجْنَادِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَاجِلٍ وَقَسَمَهُمْ فِي الْحُجُرِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مِائَةٍ زِمَامًا وَنَقِيبًا، وَزَمَّ الْكُلَّ بِأَمِيرٍ يُقَالُ لَهُ «الْمَوْفَّقُ»، وَأَطْلَقَ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَسِلَاحٍ وَغَيْرِهِ، وَغَنَّى بِهِؤُلَاءِ الْأَجْنَادِ. فَكَانَ إِذَا دَقَّقَهُ أَمْرٌ مِنْهُمْ، يَجْهَزُهُمْ إِلَيْهِ مَعَ الزِّمَامِ الْأَكْبَرِ^(c) ٢.

وقال ابنُ المَأمُونِ: وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْحُجَرِيَّةِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ السَّمَاطَ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِابْنِ زَخَلٍ، وَكَانَ يَأْكُلُ خَرُوفًا كَثِيرًا مَشْوِيًّا وَيَسْتَوْفِيهِ إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ يُقَدِّمُ لَهُ صَخْرًا كَبِيرًا مِنَ الْقُصُورِ الْمَعْمُولَةِ بِالسَّكْرِ، وَجَمِيعَ صُنُوفِ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا مَا لَمْ يُفْعَلْ قَطُّ مِثْلُهُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ، فَيَأْكُلُ مَعْظَمَهُ. وَكَانَ يَقْلُدُ فِي طَرَفِ الْمَدْوُوزَةِ حَتَّى يَكُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ نَظَرِ الْخَلِيفَةِ لِامْتِزَاتِهِ، وَكَانَ مِنَ الْأَجْنَادِ وَأَسِيرٌ فِي أَيَّامِ الْأَفْضَلِ، وَقِيلَ الْفِرْنَجِيُّ الَّذِي أَسْرَهُ وَعَذَّبَهُ، وَطَالَتْ مُدَّتُهُ فِي الْأَسْرِ وَكَانَ فَقِيرًا^٣.

(a) بولاق: فلم. (b-b) بولاق: خيل ورجال. (c) المسودة: الزمام الكبير.

^١ النَّصْصَةُ أَوْ الصَّيْصَةُ. لَمْ يَرِدْ هَذَا الْاسْمُ فِي الْمَوَاقِفِ. تَارِيخُ الدُّوَلِ وَالْمُلُوكِ - خ ١٦٣: ١-١٦٣ ط المَقْرِيزِي: الْأُخْرَى سِوَى فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ طَافَرٍ: أَخْبَارُ ٨٢. وَقَدْ جَرَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ لِنِسْعِ لِيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ٤٩٢ هـ. فِي مَعْرِ ٦٨٣-٦٨٥.

^٢ ابْنُ الطُّوَيْرِ: نَزْهَةُ الْمُقَلَّتَيْنِ ٣-٤، ٥٧؛ ابْنُ الْفَرَاتِ: ^٣ فِيمَا تَقَدَّمَ ٢٩٧ - ٢٩٨.

فَاتَّفَقَ أَنْ ذُكِرَ لِلْفِرْنَجِيِّ كَثْرَةُ أَكْلِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْضِرْ لِي عِجْلاً ، أَكْبَرَ عِجْلٍ عِنْدَكُمْ ، أَكَلُهُ إِلَى آخِرِهِ . فَصَحَّحَكَ مِنْهُ الْفِرْنَجِيُّ ، وَنَقَصَ عَقْلَهُ وَأَنَاهُ بِعِجْلٍ كَبِيرٍ ، وَيُقَالُ بِخِنْزِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَذْبَعُهُ وَاشْوِهِ ، وَاتَّيَنِي مَعَهُ بِحِجْرَةٍ تَحْلُ . ثُمَّ قَالَ : إِذَا أَكَلْتَهُ مَا يَكُونُ لِي عِنْدَكَ ؟ فَعَلِيطَ الْفِرْنَجِيُّ وَقَالَ لَهُ : أَطْلِقْكَ تَمْضِي إِلَى أَهْلِكَ . فَاسْتَحْلَقَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَغَلَطَ عَلَيْهِ الْيَمِينُ .

وَأَخْضَرَ الْفِرْنَجِيُّ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ لِشَاهِدُوا^(١) فعله . فَلَمَّا اسْتَوْفَى الْعِجْلَ جَمِيعَهُ ، صَلَّبَ كُلٌّ مِنَ الْحَاضِرِينَ عَلَى وَجْهِهِ/، وَتَعَجَّبَ مِنْ فَعْلِهِ وَأَطْلَقَهُ ؛ فَقَالَ : أَخَافُ مِنْ أَنْ يُفْتَقَدَ أَنَّنِي هَرَبْتُ ، فَأَرَدْتُ إِلَيْكُمْ . فَأَخْضَرَ الْفِرْنَجِيُّ مِنَ الْغُرَبَانِ مَنْ سَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلَّا بِبَابِ عَشْقَلَانَ فَطَلَعَ مِنْهَا ، وَأَغْفِيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الشَّمْسِ ، وَبَقِيَ يَرْسُمُ الْأَشْمِيطَةَ^١ .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : الْحُجْرَةُ قَرِيبٌ مِنْ بَابِ النَّصْرِ ، وَهُوَ مَكَانٌ كَبِيرٌ فِي صَفِّ دَارِ الْوِزَارَةِ ، إِلَى جَانِبِهِ بَابُ الْقَوْسِ الَّذِي يُسَمَّى بِبَابِ النَّصْرِ قَدِيمًا عَلَى يَمْنَةِ الْخَارِجِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، كَانَ تُرْتَضَى فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّبَابِ يُسَمُّونَ «صَيَّانِ الْحُجْرَةِ» يَكُونُونَ فِي جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَهُمْ يُنَازِلُونَ خَمْسَةَ آلَافٍ نَسَمَةٍ . وَلِكُلِّ حُجْرَةٍ اسْمٌ تُعْرَفُ بِهِ وَهِيَ : الْمَنْصُورَةُ وَالْفَتْحُ وَالْجَدِيدُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مُفْرَدَةً لَهُمْ ، وَعِنْدَهُمْ سِلَاحُهُمْ .

فَإِذَا جُرُودُوا خَرَجَ كُلُّ مِنْهُمْ لَوْقَتِهِ لَا يَكُونُ لَهُ مَا يَمْنَعُهُ ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى مِثَالِ الدَّوَايَةِ وَالْإِسْتَارِ^(٢) ، وَكَانُوا إِذَا سَمِيَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بِعَقْلٍ وَشَجَاعَةٍ خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْإِمْرَةِ أَوْ التَّقْدِمَةِ ، مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ السَّلَارِ وَغَيْرِهِ ، وَلَا يَأْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِحِجْرَتِهِ بِفَرَسِهِ وَغَدَنَتِهِ وَقِمَاشِهِ . وَلِلصَّيَّانِ الْحُجْرَةِ حِجْرَةٌ مُفْرَدَةٌ عَلَيْهِمْ أَشْتَادُونَ يَبْتَغُونَ عَنْدهُمْ ، وَخُدَّائِهِمْ يَرْسُمُهُمْ^٣ .

(a) المسودة : لمشاهدة . (b) بولاق : الدَّوَايَةُ وَالْإِسْتَار .

^١ Hospitaliers التي أسَّسها لنفس الغرض سنة ١٠٩٩م
Blessed Gerard

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٩٦٦ ، المقرئ : المسودة
٢٦٩-٢٧٠ .

^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥١ ؛ ابن خلكان :
وفيات الأعيان ٣ : ٤١٨ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ ٢٦٧ ،
وانظر فيما يلي ٥١٠ .

^٢ أي فرسان المعبد عند الفرنج المعروفين بالـ Templiers
وهم جماعة أسَّسها Hugue de Payns سنة ١١١٩م لحماية
طريق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس ، والإسبتارية

ذكر السائح السعيد

وكان من وراء القصر الكبير ، فيما يلي ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر ، «السائح» ، وهو مؤضع يرسم طواحين القمح التي تطحن جريات القصور ، ويرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك .

قال ابن الطوير : وأما المناحات ففيها من الحواصل ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشمية ، وآلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة بيد الفريخ القاطنين فيه ، والقنب والكثبان والمتجنيقات المعدة ، والطواحين الدائرة يرسم الجريات المقدم ذكرها ، والزفت في المخازن الذي علته الأتربة ولا ينقطع إلا بالمعاول . وقد أدرجت هذه الدولة - يعني دولة بني أيوب - منه شيئاً كثيراً في هذا المكان اتفق به .

والله يأوي الفريخ في بيوت يرسمهم ، وكانت عدتهم كثيرة ، ففيه من التجارين والجزارين والدّهانين والقروانين^٥ والخياطين والفقلة ، ومن العجائين والطحّانين في تلك الطواحين ، والقروانين في أفران الخبزات .

وفي هذا المكان مائة أكثر أهل الدولة ، وحاميه أمير من الأمراء ، ومشارف من القُدُول . وفيه أيضاً شاهد الثغقات ، وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف ، وعامل يرسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير مجاورهم ، لأن أوقاتهم مستفرقة في مباشرة الإطلاقات وغيرها^١ .

وذكر ابن عبد الظاهر^٥ أن المأمون بن البطائحي استجد طواحين يرسم الزواجب^٢ .

(٥) بولاق : الحجازين . (ب) في جميع النسخ : وذكر ابن الطوير ، والصواب ما أثبت .

^١ ابن الطوير : نزعة الملقنين ١٤١-١٤٢ المقيري : ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٧ المقيري : مسودة المواظظ ٤٢٤٩ وقارن القلقشندي : صبح ٤٧٥ : ٣ . مسودة المواظظ ٢٤٩ .

ذِكْرُ إِسْطَبِلِ الطَّارِمَةِ

الطَّارِمَةُ يَتُّ من خَشَب ، وهو دَخِيلٌ^١ . وكان بجوار القصر الكبير ، تجاه باب الدِّيْلَم من شرقي الجامع الأزهر : إِسْطَبِلٌ^٢ .

قال ابن الطَّوْنَر : وكان لهم إِسْطَبِلَان : أَحَدُهُما يُعْرَف بالطَّارِمَةُ يُقَابِلُ قَصْرَ الشُّوك ، والآخر بحارة زَوِيلَةَ يُعْرَف بِالْجُمُيْزَةِ .

وكان يكون^٣ (a) لِلخَلِيفَةِ الحَاضِر ما يُقَرَّب من ألف رأس - في كُلِّ إِسْطَبِلِ النصف من ذلك - منها ما هو يرسم الخاص ، ومنها ما يخرج يرسم القواري لأزباب الوُتُب والمستخدمين دائِماً ، ومنها ما يُخْرَج أَيَّام المَوَاسِم . وهي التغييرات المتقدِّم ذكر إرسالها لأزباب الوُتُب والحِلْم .

والمُرْتَبُ لِكُلِّ إِسْطَبِلٍ منهما : لِكُلِّ ثلاثة أرؤس «سَائِس» واجد مُلازم ، ولكُلِّ واجد منها «سَدَاد» يرسم تسييرها . وفي كُلِّ إِسْطَبِلٍ بئر بساقية تدور إلى أخواض ، ومخازن فيها الشعير والأقراط اليابسة المحمولة من البلاد إليها ، ولكُلِّ عشرين رجلاً من الشُّواس «عَرِيف» يلتزم دركهم بالضمان ، لأنهم الذين يتسلَّمون من خزائن الشُّروج المركبات بالحُلِيِّ ، ويعيدونها إليها على ما^٤ تقدِّم ذكره في خَزَائِن الشُّروج^٥ .

ولِكُلِّ من الإِسْطَبِلَيْنِ «رَائِض» كأمير آخور^٦ ، ولهما ميرة وجامِكِيَّة مُتَبِعَةٌ . وللغرفاء على الشُّواس مَتَبِعَةٌ ، وللجماعات الجرايات من القَمَح والخُبْز خارجاً عن الجامِكِيَّات . فإذا بقي لأَيَّام

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : كما .

إسطنبول الطارمة هذا . وقد زال الإسطبل نهائياً من موضعه في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، وأصبح أحد أخطاط القاهرة ، به عِدَّة مساكن وسوق وحمام ومساجد ويعرف بخط إسطنبول الطارمة .

ويحدِّد موضع إسطنبول الطارمة اليوم المكان الواقع شرق الباب الأخضر - وهو الباب الشرقي لمشهد الحسين - بين وبين شارع أم الغلام .

^٣ فيما تقدم ٣٨٢ .

^٤ الأمر آخور هو الذي يتحدَّث عن إِسْطَبِلِ السلطان -

^١ الجوابقي : المغرب من الكلام الأعجمي ٢٢٤ ، وفي اللسان (١٥ : ٢٥٤) : «الطارمة بيت من خشب كالقبة ، وهو دخيل أعجمي مغرب ، وانظر كذلك Dozy, R., Suppl. Dict. ar. II, 42 .

^٢ كان إسطنبول الطارمة يقع جنوب شرقي القصر الكبير في مواجهة باب الدِّيْلَم وإلى الشرق من السبع سُورج ويشرف عليه قصر الشوك والقصر الناصي . عرف بذلك لأنه كانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها ؛ وكان يقع في الوقت نفسه على يمين الجامع الأزهر ، ففي خلال العصر الفاطمي لم يكن يوجد بين رحبة الجامع الأزهر ورحبة قصر الشوك سوى

المواسيم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع، أخرج إلى كل راضٍ في الإسطبل مع أستاذ مِظْلَةٍ دَبيقي مركبة على قُفطارية مدهونة، ويختصِر الراض على ما يركبه الخليفة إما فرسين أو ثلاثة، وعليهما المركبات الحلي التي يركبها الخليفة، فيركبها الراض بحائل بينه وبين السروج، ويركب الأستاذ بَغْلَةً مِظْلَةً، ويحمل تلك المِظْلَةَ ويسير في تراح الإسطبل - وفيه سَقَّة عَظِيمَة - ماراً وعائداً وحولها البوق والطبل. فيكرّر ذلك عدّة دَفْعَات في كل يوم مُدَّة ذلك الأسبوع، ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك، ولا يتغير منه في حال الرُكوب عليه، فيعمل كذلك في كل إسطبل من الإسطبلين.

والدواب والبغلة التي تهبط هي التي يركبها الخليفة وصاحب المِظْلَةَ يوم الموسم، ولا يختل ذلك. ويقال إنه ما رأت دابة/ ولا بالّت والخليفة راكبها، ولا بغلة صاحب المِظْلَةَ أيضاً إلى حين نزولهما عنهما^١.

وكان في الشاغل بطريق مصر من القاهرة^٢، في البساتين المنسوبة إلى ملك صادم الدين خَطْلَبَا^٣، شُوتان مملوءتان زيتاً، معبتان كتعبته في المراكب كالجبلين الشاهقين، ولهما مُسْتَحْدَمون: حامٍ ومُشارِفٍ وعاملٌ بجامكية جيّدة، تصلُ بذلك المراكب الثبانة المؤهلة له من مُوظَّف الأتبان بالبلاد الساحلية، وغيرها ممّا يدخل إليه في أيام الليل. ولها رؤساء، وأمرها جارٍ في ديوان القمائر والصناعة. والإنفاق منها بالتوقيعات السلطانية للإسطبلات المذكورة وغيرها من الأواسي الديوانية وعوامل بساتين الملك.

وإذا جرى بين المستخدمين خُلف في الشُنف الثبّن المعتمر، عادوا إلى قَبْضِهِ بِالْوَزْن، فيكون الشُنفُ الثبّن ثلاث مائة وستين رطلاً بالمصري نقيّاً. وإذا أنفقوا دريساً قد تغيّرت صُورَة قَتّه، كان

(a) بولاق: حلبا.

^٢ المقصود هنا ساحل الخليج فبستان صادم الدين خَطْلَبَا أقيم في موضع الحارة المنصورة التي حوّلها صلاح الدين وكانت سكناً للسودان في أعقاب واقعة العبيد، وكانت تقع إلى جانب الباب الجديد خارج باب زويلة عند رأس الحارة المتحجرة فيما بينها وبين الحارة الهلالية.

^٣ الأمير صادم الدين خَطْلَبَا بن موسى الفارسي التتبي =

= أو الأمير ويوئى أمر ما فيه من الخيل والإبل في العصر المملوكي (القلقشندي: صبح ٥: ٤٦١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٧٤-١٨١).

^١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٥-١٣٧؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٢٤٢-٢٤٤، وقران القلقشندي: صبح ٤٧٤-٤٧٥.

عن القنّة اثنا عشر رطلاً ونصف^(a). ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقت^(b).^١
ومما يُخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصاناً أذهب قطّ، ولا يرون إضافته إلى دوابهم بالإشطيلات^٢.
وقال ابنُ عبد الظاهر: إشطيلُ الطارئة كان إشطيلاً للحليفة، فلما زالت تلك الأيام اختطّ
وبني أدراً^٣.

ذكر مدار الضرب وما يتعلق بها

(يقال إن أول ما ظهرت دار ضرب الذنانير والدرهم وصياغة الحلي من الذهب والفضة في أيام فالج بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فاقتدى به من بعده في ذلك^(c)).

وكان بجوار نخزاة الدرق - التي هي اليوم خان متروور الكبير - دار الضرب. وموضعها كان حيثُ بالقشاشين التي تُعرف اليوم بالخرّاطين^(d) المملوك فيها من السقطين إلى الخيميين والجامع الأزهر^(e). وصار مكان دار الضرب اليوم دُرب يُعرف بدُرب الشمس في وسط شوق السقطين المهامزين. وباب هذا الدُرب تجاه باب^(f) قيسارية العُصفر. فإذا دخلت هذا الدُرب، فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب، وبجوارها دار الوكالة الحافظية. فجعلت الحوانيت التي على يمين من سلك من رأس الخراطين تجاه شوق العنبر، طاليتا الجامع الأزهر، في ظهر دار الضرب.

وأنشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الأميرُ المعظم خمرقاش الحافظي^(g)، وجعلها وقفاً، وقال في كتاب وقفيها: وحد هذه الحوانيت الغربي ينتهي إلى دار الضرب وإلى دار الوكالة^(h). وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية⁽ⁱ⁾ مما اختص به^(j) من الأوقاف^(k).

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: وقه. (c-c) حاشية بخط المؤلف. (d-d) زيادة من المسودة. (e) ساقطة من

بولاق. (f) بولاق: اختصب.

= الموصلي الكامي، الخوفي سنة ٦٣٥هـ (فيما يلي ١٢٠:٢).
^١ ابن الطوير: نزعة المقلتين ١٤٠-١٤١ المقيري:

المسودة ٢٤٤-٢٤٥، وقارن القلقشندي: صبح ٤٧٥:٣.

^٢ ابن الطوير: نزعة المقلتين ١١٣٨ القلقشندي: صبح

^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٩.

^٤ عن الأمير المعظم خمرقاش الحافظي انظر فيما تقدم

٣٣٩، وفيما يلي ٢٨:٢.

^٥ المقيري: مسودة المواعظ ٢٧١-٢٧٢.

^٦ انظر فيما يلي ٣٨:٢.

وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية إلى أن استبدَّ السلطان صلاح الدين، فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدّم ذكره. وكان لدار الضرب المذكورة في أيامهم أعمالٌ، ويُعْمَلُ بها دنانيرُ الغرّة ودنانيرُ خميس العَدَس، ويتولّاها قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم.

قال ابنُ المأمون: وفي سؤال منها - وهي سنة ست عشرة وخمسة مائة - أمر الأجلّ ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة، لكونها مقرّ الخلافة وموطن الإمامة، فبُنِيَتْ بالقشاشين قبالة المارستان، وشيّت بالدار الآمرية، واشتُخِمْ لها القُدُول، وصارَ دينارُها أعلى عيارًا من جميع ما يُضْرَبُ بجميع الأمصار^١. انتهى.

وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدّوق: فما عن يمينك الآن، إذا سلكت من رأس الخواطين، فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا إلى الحمام التي بالخواطين وما وراءها، وما عن يسارك فهو موضع المارستان.

قال ابنُ عبد الظاهر: في أيام المأمون بن البطائحي، وزير الأمير بأحكام الله، بُنِيَتْ دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي هناك، وشيّت بالدار الآمرية^٢.

ذكر دار العلم الجديدة

وكان بجوار القصر الكبير الشرقي دارٌ في ظهر خزانة الدّوق من باب توبة الرّغفران، لما أُغْلِقَ الأفضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحايكم بأمر الله فتحها في باب الثّجّانين، اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم^(ب) التي كان الحايكم فتحها^(ا). فامتنع الوزير المأمون من إعادة فتحها في موضعها، فأشار الثّقّة زمام القصور بهذا الموضع، فمِيلَ دار العلم في شهر ربيع الأول سنة سبع

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) ساقطة من بولاق.

^١ ابن المأمون: أخبار ٣٨، ابن ميسر: أخبار ٩٢، نسخة آياصوفيا بعد ذكر دار العلم الجديدة الآتي ذكرها، المقرئ: مسودة المواعظ ٢٧١، واتعاظ الخنقا ٩٢: ٣. وهذا أيضًا بسبب إساءة نقل الطيارات التي كان يضيئها
^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٣، المقرئ: المسودة ٢٧١، ووردت الفقرة الخاصة بدار الضرب في

عشرة وخمسة مائة ، ولأها لأبي محمد حسن بن آدم ، واستخدم فيها مقررين . ولم تزل دار العلم هذه^١ حتى زالت الدولة الفاطمية^٢ .

قال ابن عبد الظاهر : رأيت في بعض كُتُب الأملك القديمة ما يدل على أنها قرية من القصر النافعي . وكذا ذكر لي الشريف السيد الحلبي أنها دار ابن أزدغر - المجاورة لدار سكّني الآن - خلف فندق مشرور الكبير ، وكذا قال لي والدي ، رحمه الله . وقد بناها بجمال الدين الأشتادار الحلبي^٣ داراً عظيمة غرّم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره^٤ . انتهى .

وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلافة بجوار دزب ابن عبد الظاهر ، قريباً من خان الحلبي بخط الزرايشة العتيق .

ذكر^٥ مؤسس أول العالم

- ١٠ قال ابن المأمون : وأسفرت غرّة سنة سبع عشرة وخمسة مائة ، وبادر المستخدمون / في الخزائن وصناديق الإنفاق بحمل ما يُخضّر بين يدي الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة^٦ ، ورسم جميع من يختص به من إخوته وجهاته وقرايته ، وأزباب الصنائع والمُستخدّات ، وجميع الأشتادين القوالي والأذوان . وثنوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون وأولاده وإخوته ، واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون وأولاده والأصحاب والحواشي والأمرء والطبوف والأجناد ، فأمرؤا بتفرقة . والذين اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها .
- ١٥ وجلّس المأمون باكرًا على السباط بداره ، وفُرّقت الرسوم على أزباب الخدم والمحمّرين من جميع أصنافه على ما تضمّنته الأوراق ، وحضرت الثغابير^٧ والتشريفات وزيتي المؤكّب إلى الدار المأمونية ، وتسلم كلّ من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحُجبة ومصفقات العساكر وتزيين الأشيطة ، واجتهد^٨ كلّ منهم إلى شغله وتوجّه لخِدْمَتِهِ .

(a) بولاق : عامرة . (b) بولاق : الحلبي . (c) سافطة من بولاق . (d) بولاق : الصاشر . (e) بولاق : وأحمد .

^١ انظر فيما يلي ٥٠٢-٥٠٨ .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٣٣ المقريري : لهذه المناسبة (فيما يلي ٤٧٦) .

مسودة المواقظ ٣٠٣ ، وفيما يلي ٥٠٢ .

ثم ركب الخليفة، واستدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب وقد نُشِرت مِطْلَته،
وخدمت الزهجة، ورُتّب المؤكّب والجنائب ومصفّات القساكر عن يمينه وشماله، وجميع تجار
البلدين - من الجوهرين والسياريف والصاغة والبرازين وغيرهم - قد زَيَّنوا الطريق بما تقتضيه تجارة
كلّ منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة. وخرج من باب القُتُوح، والقساكر فارسها وراجلها
بتجملها وزينها، وأبواب حارات العميد مُعلّقة بالسُتُور، ودخل من باب النُصر، والصّدقات تُعْم
المساكين، والرسوم تُفَرَّق على المستقرّين، إلى أن دخل من باب الذهب، فلقبه المقرّون بالقُرّان
الكريم في طول الدهاليز، إلى أن دخل خزانة الكُشُوة الخاصّة وغير ثياب الموكب غيرها، وتوجّه
إلى ثُوبه أبيه للترحيم على عادته^١، وبعد ذلك إلى ما رآه من قُصوره على سبيل الراحة.

وغبّت الأُمُيطة - وجزى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتَهَيّئة قُصور
الخِلافة وتَفَرِّقة الرُسوم - على ما هو مستقرّ. وتوجّه الأجلّ المأمون إلى داره، فوجد الحال في
الأُمُيطة على ما جرت به العادة، والتّؤيعة فيها أكثر ممّا تقدّمها، وكذلك الهَناء في صَبِيخة
المُوسم بالدار المأمونية والقُصور، وحضّر من جرت العادة بحُضوره للهَناء، وبعدهم الشّراء على
طبقاتهم، وعادت الأمور في أيام السّلام والركوبات وتزويجها على المعهود.

وأحضّر كُلّ من المستخدمين في الدّواوين ما يتعلّق بديوانه من التّذاكر^٢ والمطالعات بما^٣ تحتاج
إليه الدّولة في طول السّنة، ويُتَمّم به ويُتَصَدّق، ويحمل إلى الحَرَمَيْن الشّريفيْن من كلّ صِنف
على ما فُصّل في التّذاكر على يد المندوبين، ويُحْمَل إلى الثُّغُور ويُخَزَّن من سائر الأصناف ممّا
يُستَعمل ويُباع في الثُّغُور والبلاد، والاشتيمار^٤، وجريدة الأبواب، وتذكيرة الطّراز والتّوقيع
عليها^٥.

وقال ابن الطّوئّر^٥: فإذا كان العَشرُ الآخر من ذي الحِجّة في كلّ سنة، انتصب كلّ من
المستخدمين بالأماكن لإخراج آلات المؤكّب من الأسلحة وغيرها، فيخرج من خزائن الأسلحة ما

(أ) بولاق: ٥٤١.

^١ انظر فيما تقدم ٣٥٢؛ وفيما يلي ٤٨٧.

ص ١٣٣: ١٣٦، ١٣٧: ٣٧.

^٢ الاشتيمار (انظر فيما تقدم ٣٢٣).

^٣ التذكيرة ج. تذاكر. هي الورقة التي تُضَمَّن جمل

^٤ ابن المأمون: أخبار مصر ٥٨-٥٩.

الأموال التي يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئاً منها

^٥ هذا الوصف ممّا انفرد به ابن الطّوئّر، فكل ما نعرفه -

أو نسيه، أو تكون حجة فيما يورده ويصدره (القلقشندي:

يحملة صبيان الركاب حول الخليفة من السلاح^a وهو: الصماصيم المصقولة المذهبة مكان الشيوف المذهبة لغيرهم^b، والدبابيس الملبسة^c بالكيمخت^d الأحمر والأسود ورعوسها ممدورة مضروسة أيضًا^e، واللثوث^f كذلك ورعوسها مستطيلة مضروسة أيضًا، وآلاته^g يقال لها المشتوفيات، وهي عُمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال، بمقايض ممدورة في أيديهم بيضة معلومة من كل صنف فيتسلّمها نقيبائهم في^h صمانيهم، وعليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضي الخدمة بها.

(a) بولاق: الأسلحة. (b) ساقطة من بولاق. (c) زيادة من المسودة. (d) بولاق: آلات. (e) بولاق: وهي في.

في أول دولتهم أم لا، فمخطوطة «أخبار مصر» للمسيحي، والتي نشرتها في سنة ١٩٧٨، يوجد بها سقط ضاع معه حوادث أول المحرم سنة ٤١٥هـ فلم نتعرف على كيفية الاحتفال بركوب أول العام في هذا الوقت المتقدم، إلا أن المقريري ذكر في حوادث سنة ٣٩٠هـ (في أغلب الظن نقلًا عن المسيحي) أن الخليفة الحاكم ظهر في أول المحرم ودخل الناس فتهتفوا بالعام (اتعاظ ٢: ٢٥)، ولأشك أن ذلك كان من عادة القوم، وأخذ يتكرر في الأعوام التالية.

أما أول إشارة تقابلنا في المصادر عن ركوب الخلفاء في مؤسم أول العام وما كان يصحبها من استعدادات، فقد وردت عند ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٧هـ ولكن بدون التفاصيل الغنية التي ذكرها ابن الطوتري.

وراجع كذلك، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر Sanders, P., *El² art. Mawākib VI*, ٤١١-٤١٢, pp. 841-42; id., *Ritual, Politics, and the City in Fatimid Cairo*, New York 1994, pp. 83-98.

^١ الكيمخت. ضرب من الجلود المدبوغة كان يستخدم في عمل الدروع والجاوشن (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.*) II, p. 515; Cahen, Cl., *Un traité d'armurerie* pp. 114-116, 117.

^٢ اللثوث جمع لث. فارسي معرب وهو القنوم والفأس العظيمة (Cahen, Cl., *op.cit.*, p. 117).

= عن ركوب الخلفاء الفاطميين في اللواكب العظام والمراكب المختصرة وكذلك جلوس الخلفاء في مجلس الملك والأشيطة التي كانت تمتد في قاعة الدقب في المواسم والأعياد المختلفة ندين به إلى ابن الطوتري.

وقد تنبه إلى أهمية ما أورده ابن الطوتري عن ركوب الخلفاء في مؤسم أول العام - وحفظه لنا مؤرخو القرن التاسع - المستشرق الروسي إنسترونزف فنقل إلى الروسية ما كتبه ابن الطوتري عن ركوب أول العام اعتمادًا على المقريري مع الاسترشاد بما ورد عند أبي الحسن والقلقشندي (الذي لم يكن قد نشر بعد وإن وجدت له ترجمة ألمانية) مع مقدمة وتعليقات في غاية الأهمية Inostrantsev, K. A., *Toryestvenii Viezd Fatimidiskikh Khalifov in Zap. Vost. Otdel. Imp. Russ. Arkheol. Obschestva*, XVII (St-Petersbourg 1905).

ونظرًا لعدم تيسر الرجوع إلى ما كتبه إنسترونزف فقد نقل ماريوس كانار كلام ابن الطوتري إلى الفرنسية مذهبًا بتعليقات المستشرق الروسي وملاحظات كانار الشخصية (Canard, M., «La procession du nouvel an chez les Fatimides», *AIBO X* (1952), pp. 364-395) وقد استندت كثيرًا من عملهما في نشرهما متعلق بركوب أول العام.

وهو كذلك وصفت نموذجي لترتيب الموكب في آخر الدولة الفاطمية. وللأسف فإننا لا نعرف إذا كان الفاطميون قد عرفوا الاحتفال بهذا اليوم على هذا الترتيب

ويُخرج للطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب - ويقال لهم «أزباب السلاح الصغير»^(a)، وهم ثلاث مائة عبد - لكل واحد خربتان بأسيئة مصقولة تحتها مجلب فضة كل اثنتين في شربة، وثلاث مائة ذرقة بكوابح^(b) فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم، فيسلمونه للعبيد لكل واحد خربتان وذرقة^(c).

ثم يُخرج من خزانة الثجمل - وهي من حقوق خزائن السلاح - القصب الفضة يرسم تشرير الوزير والأمرء أرباب الرتب، وأرمة العساكر والطوائف من الفارس والواجل. وهي رماح مُلبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب إلا ذراعين منها، فيشد في ذلك الحالي من الأنابيب عدة من المعاجر الشرب^(d) الملونة، ويترك أطرافها المرقومة مُشبَّلة كالسناجق^(e)، وبرعوسها رثامين منفوخة فضة منقبة وأجلة مجوفة كذلك، وفيها جلاجل لها جس إذا تحركت، وتكون عِدَّتُها ما يقرب من مائة.

ومن القماريات - وهي شبه الكجاوات^(f) - من الدياج الأحمر - وهو أجَلُها - والأصفر والقزقوبي والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير خريز، وعلى دائر التوزيع منها مناطق بكوابح^(g) فضة مشمورة في جلد نظير عدد القصب، فيسير من القصب عشرة، ومن القماريات مثلها من الحمر خاصة للوزير^(h).

ويُخرج للوزير خاصة لواءان على رُمحين طويلين ملبسين بمثل تلك الأنابيب، ونفس اللواء ملفوف غير منشور. وهذا التشرير يسير أمام الوزير، وهو للأمرء من ورائهم. ثم يسير للأمرء

(a) بولاق : الصفر. (b) بولاق : كوامخ. (c) بولاق : كالسناجق. (d) بولاق : الكجاوات. (e) بولاق : بكوامخ. (f) زيادة من مسودة المواظ.

^١ الكوابح عن الكلمة التركية göbek بمعنى شرة، أي أن في وسطها حلبة أو زخرفة محدبة أو مقعرة (Canard, M., *op.cit.*, p. 370 n.18).

^٢ القلقشندي : صبح ٣ : ٤٧٠.

^٣ المفجر كجنر ج. معاجر. ثوب يلف به (القاموس المحيط ٥٦٠)، وفي لسان العرب ٦ : ٢١٨ أنه ثوب تعجر به المرأة أصغر من الرداء وأكبر من المئنة، وقد استخدمه ابن المأمون (نينا تقدم ٣٦٢) بهذا المعنى عند حديثه على ملابس

^٤ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٠ - ٤٧١.

أرباب الرتب في الخدم - وأولهم صاحب الباب ، وهو أجَلهم - خمس قصبات وخمس عشاريات ، ويُرسَل لإشفهتسلاز/ القساكر أربع قصبات وأربع عشاريات من عِدَّة ألوان ، ومن يواهبها من الأمراء على قَدَر طبقاتهم ثلاث ثلاث ، واثنان اثنان ، وواحدة واحدة .

- ٥ ثم يُخرج من البثود الخاص الديقي المرقوم الملون عشرة يرمح ملبسة بالأنابيب ، وعلى رءوسها الرُثامين والأجلة للوزير خاصة ؛ ودون هذه البثود ثَمَّ هو من الحرير على يرمح غير ملبسة ، ورءوسها ورثامينها من نحاس مجوف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الأمراء المذكورين ، من تسعة إلى سبعة ^(a) إلى خمسة .

- ١٠ ثم يخرج لقوم يقال لهم : السبزيّة^١ سلاح كل قطعة طول سبعة^(a) أذرع برأسها طَلعة مضقولة ، وهي من خشب القنطاريات^٢ داخلية في الطلعة وعقبها حديد مدور السفل^(b) ، فهي في كف حابيلها الأيمن ، وهو يفتلها فيه قَلَّا مُقدارك الدوران^٣ ، وفي يده اليسرى نُشابة كبيرة يخطر بها ، وعدتها ستون مع ستين رجلاً يسيرون رجالة في الموكب يسيرون يَمَنَّة ويَسَرَّة .

- ١٥ ثم يُخرج من الثغارات حمل عشرين بَغَلًا ، على كل بغل ثلاث ، مثل ثغارات الكوسات بغير كوسات ، يقال لها «طَبُول حَلَب»^(c) يتسلّمها ضُاعها ، ويسيرون في الموكب اثنان اثنان ، ولها جيش مستحسن^٤ ، وكان لها مَيِّزة عندهم في التّشريف .

ثم يُخرج لقوم متطوعين - بغير جاري ولا جارية - تقرب عدّتهم من مائة رجل ، لكل واحد ذَرَقَة من ذَرَق اللُّعَط^٥ ، وهي واسعة ، وسيف ، ويسيرون أيضًا رجالة في الموكب^٦ . هذا وظيفة خزائن السلاح .

(a-a) ساقطة من بولاقي . (b) بولاقي : أسفل . (c) حلب : إضافة من مسودة المواظ .

^١ السبزيّة : نسبة إلى السبزيّات ، وهي جنس من الرماح جاء في كتاب «نبصرة أرباب الألباب» أن طولها خمسة أذرع وأستها عراض طوال يكون عرضها سعة الفتر وطولها ذراع وأكثر (Cahen, Cl., op.cit., p. 11) .

^٢ قنطارية جد . قنطاريات . انظر فيما تقدم ٣٨١ هـ .^٣

^٤ الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٠ .

ثم يُخَضَّر حامي خَزَائِن الشُّرُوج - وهو من الأُستَازِين المُخَنِّكِينَ - إِلَيْهَا مع مُشَارِفِهَا - وهو من الشُّهُود المُقَدِّلِينَ - فَيُخْرَجُ مِنْهَا بِرَسْمٍ خَاصٍّ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْحَلِيَّتِي مَا هُوَ بِرَسْمٍ رُكُوبِهِ وَمَا يُجَنَّبُ فِي مُؤَكِّبِهِ مِائَةُ سَرَجٍ : مِنْهَا سَبْعُونَ عَلَى سَبْعِينَ حِصَانًا ، وَمِنْهَا ثَلَاثُونَ عَلَى ثَلَاثِينَ بَغْلَةً ؛ كُلُّ مُرَكَّبٍ مُصْنُوعٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، أَوْ مِنْ ذَهَبٍ مُنْزَلٌ فِيهِ الْمِينَا ، أَوْ مِنْ فِضَّةٍ مُنْزَلَةٍ بِالْمِينَا ، وَرَوَادِفُهَا وَقَرَائِيسُهَا^١ مِنْ نَسَبِهَا ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُرْصَعٌ بِالْجَوَاهِرِ الْفَاتِقَةِ . وَفِي أَغْنَاقِهَا الْأَطْلَاقُ الذَّهَبُ وَقَلَائِدُ الْعُنْبُرِ ، وَرُبَّمَا يَكُونُ فِي أَيْدِي وَأَرْجُلِ أَكْثَرِهَا خَلَاخِيلُ مَسْطُوحَةٌ دَائِرَةٌ عَلَيْهَا ، وَمَكَانُ الْجِلْدِ مِنَ الشُّرُوجِ الدِّيَاجِ الْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَلْوَانِ ، وَالشَّقْلَاطُونَ الْمَنْقُوشُونَ بِالْوَلَوَانِ الْحَرِيرِ قِيَمَةُ كُلِّ دَائِئَةٍ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْغَدَّةِ أَلْفُ دِينَارٍ .

فَيُشْرَفُ الْوَزِيرُ مِنْ هَذِهِ بَعْشَرَةِ حُصْنٍ لِرُكُوبِهِ وَأَوْلَادِهِ وَإِخْوَتِهِ وَمَنْ يَتَزَيَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَقَارِبِهِ . وَيُسَلِّمُ ذَلِكَ لِعُرَفَاءِ الْإِسْطَبْلَاتِ ، بِالْعَرَضِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَرَائِدِ الَّتِي هِيَ ثَابِتَةٌ فِيهَا عِلَامَاتُهَا فِي أَمَاكِئِهَا وَأَعْدَادِهَا ، وَعَدَدُ كُلِّ مُرَكَّبٍ مَنْقُوشٌ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوَّلِ وَثَانٍ وَثَالِثٍ إِلَى آخِرِهَا - كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي الْجَرَائِدِ - فَتَعْرِفُ بِذَلِكَ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَيُسَلِّمُهَا الْعُرَفَاءُ لِلشُّدَّادِينَ بِضَمَانٍ عُرْفَاتِهِمْ إِلَى أَنْ تَعُودَ ، وَعَلَيْهِمْ غَرَامَةٌ مَا تَقْصُ مِنْهَا وَإِعَادَتُهَا بِرُمُتِهَا .

ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ الْخَزَائِنِ الْمَذْكُورَةِ لِأُزْبَابِ الدَّوَابِّ الْمُرْتَبِينَ فِي الْخِدْمِ ، عَلَى مَقَادِيرِهِمْ ، مُرَكَّبَاتٌ أَيْضًا مِنَ الْحَلِيَّتِي - دُونَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ - مَا تَقَرَّبَ عِدَّتُهُ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ مُرَكَّبٍ عَلَى خَيْلٍ وَبَغْلَاتٍ وَبِغَالٍ ، يَتَسَلَّمُهَا الْعُرَفَاءُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ ، وَيُتَنَذَّبُ حَاجِبٌ يُخَضِّرُ عَلَى التَّفَرُّقَةِ لِفُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنْ أُزْبَابِ الْخِدْمِ سَيِّفًا وَقَلَمًا ، فَيَعْرِفُ كُلُّ شَدَّادٍ صَاحِبَهُ ، فَيَحْضُرُ إِلَيْهِ بِالْقَاهِرَةِ وَمَصْرَ سَحَرَ يَوْمَ الرُّكُوبِ ، وَلَهُمْ مِنَ الرُّكَّابِ رُسُومٌ مِنْ دِينَارٍ إِلَى نِصْفِ دِينَارٍ إِلَى ثُلُثِ دِينَارٍ .

فَإِذَا تَكَامَلَ^٢ هَذَا الْأَمْرُ ، وَسَلِّمَ أَيْضًا الْجَمَّالُونَ بِالْمُنَاحَاتِ أَغْشِيَةَ الْعَمَّارِيَاتِ ، وَتَكُونُ إِزَاحَةُ الْعِلَّةِ^٣ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى آخِرِ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَصْبَحَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ وَالْعَشْرُونَ - وَهُوَ سَلَخُهُ عَلَى رَأْيِ الْقَوْمِ - عَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْجُلُوسِ فِي الشُّبَّاكِ^٤ لِعَرَضِ ذَوَابِهِ الْخَاصِّ الْمَقْدَمِ

(a) بولاق : تكمل . (b) ساقطة من بولاق .

^١ الروادف : ما يوضع على ردف الفرس ، والقربوس جد . (R., op.cit., I, p. 324)

^٢ عن الشُّبَّاك . انظر فيما تقدم ٣٠٢ . ^٣ قرابيس . الحشبة الصغرة القائمة في مقدم السرج (Dozy)

ذكرها، ويُقال له «يَوْمُ غَرَضِ الْخَيْلِ». فَيَسْتَدْعِي الْوَزِيرَ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ - وهو من كبار الأُمْتَادِينَ الْمُحْكَمِينَ وَقُصَّاصِيهِمْ وَعُقْلَانِيهِمْ وَمُخَصِّلِيهِمْ - فَيَمْضِي إِلَى اسْتِدْعَائِهِ فِي هَيْئَةِ الْمُسْرَعِينَ عَلَى جِصَّانٍ دَهْرَاجٍ^١، انْتِشَالًا لِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ بِالْإِسْرَاعِ، عَلَى خِلَافِ حَرَكَتِهِ الْمَعْتَادَةِ. فَإِذَا عَادَ مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ وَأَعْلَمَهُ بِاسْتِدْعَائِهِ الْوَزِيرَ. فَيُخْرَجُ رَاكِبًا مِنْ مَكَانِهِ فِي الْقَصْرِ - وَلَا يَرْكَبُ أُخَذٌ فِي الْقَصْرِ إِلَّا الْخَلِيفَةُ^٢ - وَيَنْزِلُ فِي السَّهْدِلَا بِدَهْلِيزِ بَابِ الْمُلْكِ الَّذِي فِيهِ الشُّبَّاكُ^٣، وَعَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِهِ لِلنَّاسِ بَيْتٌ، فَيَقِفُ مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ زِمَامَ الْقَصْرِ، وَمِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ، وَهُمَا مِنَ الْأُمْتَادِينَ الْمُحْكَمِينَ. فَيَرْكَبُ الْوَزِيرُ مِنْ دَارِهِ وَيَبْدُو الْأُمَرَءَ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ تَرْجُلُ الْأُمَرَءَ وَهُوَ رَاكِبٌ، وَيَكُونُ دُخُولُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ بَابِ الْعِيدِ، وَلَا يَزَالُ رَاكِبًا إِلَى أَوَّلِ بَابٍ مِنَ الدَّهَالِيزِ الطُّوَالِ^٤، فَيَنْزِلُ هُنَاكَ وَيَمْشِي فِيهَا وَخَوَالِيَهُ حَاشِيَتُهُ وَغِلْمَانُهُ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ يَزَارُهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَيَصِلُ إِلَى الشُّبَّاكِ فَيَجِدُ تَحْتَهُ كُرْسِيًا كَبِيرًا مِنْ كُرَاسِي السَّلِينِ الْحَدِيدِ^٥، فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيَرْجُلُهُ تَطَأُ الْأَرْضَ. فَإِذَا اسْتَوَى جَالِسًا، رَفَعَ كُلُّ أَسْتَاذِ الشَّرِّ مِنْ جَانِبِهِ، فَيَرَى الْخَلِيفَةَ جَالِسًا فِي الْمَرْتَبَةِ الْهَائِلَةِ، فَيَقِفُ وَيُسَلِّمُ وَيَتَخَدَّمُ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِالْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَيَجْلِسُ، وَيَسْتَفْتِحُ الْقُرَءَاءَ بِالْقِرَاءَةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بَآيَاتٍ لَا قِفَّةَ بِذَلِكَ الْحَالِ بِمِقْدَارِ نِصْفِ سَاعَةٍ، ثُمَّ يُسَلِّمُ الْأُمَرَءَ.

(a) المسودة : الدُّوَاب . (b) يولال : البلق الجيد ، وهي قِراءة لا توجد في أية نسخة . (c) المسودة : المكان .

^١ الدَّهْرَجَةُ . السير السريع ، وحصان دهرج أي سريع السير . (القاموس المحيط ٢٤٢) .

^٢ انظر فيما تقدم ٢٩٢، واستثنى من ذلك الوزير القاهر صلاح الدين يوسف بن أيوب - آخر وزراء الفاطميين - فقد كان يدخل على العاضد في القصر راكباً (أبو شامة : الروضتين ٤٤٠:١) .

^٣ لاشك أن «غرض الخيل» كان يتم في فناء داخلي

للـقصر الشرقي الكبير بالقرب من «دهليز باب الملك» حيث كانت توجد «السَّهْدِلَا» و«الشُّبَّاك» ويتوصل إليه من باب العيد .

^٤ الدهاليز الطوال : هي دون شك ما أسماه غليوم أسقف صور ، كما نقل كلامه إلى الفرنسية جستاف شلمبرجيه : «longues et étroites allées voutées tout à fait obscures» ، «دهاليز طويلة وضيقة مُقْبِئَةٌ حَالِكَةٌ الظُّلَام لا

يستطيع الإنسان أن يبين فيها شيئاً» . (Schlumberger, G., *Campagnes du Roi Amaury I^{er} de Jérusalem* en Égypte au XII^e siècle, p. 118 .

و«السَّهْدِلَا» أو «السَّهْدِلَا» أو «السَّهْدِلَا» : لفظ فارسي معرب . (الجوابقي : المغرب ٢٣٥) وأصله بالفارسية

ويُشرع^٥ في عَرَض (b) الخَيْل والبغال^٦ الخاصّ المقدم ذكرها دَائَةً دَائَةً ، وهي هادئة كالعرائس بأيدي شَدَّادِيهَا ، إلى أن يَكْمُلَ^٧ /عَرَضُهَا ، فيقرأ القراءُ خُفْمَ ذلك الجُلُوس ، ويُزخِي الأُستاذان السَّحرين^٨ ، فيقوم^٩ الوَزيْرُ ويدخلُ إليه ويُقَبِّلُ يديه ورجليه ، وينصرف عنه إلى داره ، فيركب من مكان نزوله والأُمراء بين يديه لوداعه إلى داره رُكْبَانًا ومُشاةً إلى قُرب المكان ،^{١٠} (وَيُنْقَضِي هذا الأَمْرُ^{١١}).

[آلاتُ الموكب]

فإذا صَلَّى الخَلِيفَةُ الظُّهْرُ بعد انقضاء ما تَقَدَّمَ ، جَلَسَ لَعَرَض ما يَلْبِسُهُ في عَدِيَّة^{١٢} تلك الليلة - وهو «يَوْمُ اسْتِفْتاح^{١٣} العام^{١٤}» - بِخَزَائِنِ الكُشُواتِ الخاصِّ^{١٥} ، ويكون لباسه فيه التَّيَاضُ غير الموشَّح ، فيعين على مُنْدِيلٍ خاصٍّ^{١٦} وبَذَلَةٍ^{١٧} . فأما المُنْدِيلُ فيُسَلَّمُ لَشَاذِ التَّاجِ الشَّرِيف . ويقال لها^{١٨} «شَدَّةُ الوَقَار» - وهو من الأُستاذين المُتَّكِنين ، وله مَيِّزَةٌ لِمَاسِيهِ ما يَغْلُو تاج الخَلِيفَةِ - فيشدها شَدَّةً عَرِيَّةً لا

(a) يولاق : ويسرع . (b-b) المسودة : تلك العواب . (c) يولاق : تكمل . (d) يولاق : الستر . (e) يولاق : فيقدم . (f-f) زيادة من المسودة . (g) يولاق : عيد . (h) النسخ ويولاق : افتتاح ، والثبت من مسودة المواظظ . (i) يولاق : له .

عن استخدام الخليفة لعدد من العمامات المختلفة الأنواع (أخبار مصر ١٤٧) ؛ كما يحدثنا ناصر خسرو عن استخدام الخليفة للعمامة أثناء احتفال فتح الخليج (سفرنامه ٩٦) ، كما يذكر أبو صالح الأرمني - عند وصفه لفتح الخليج - أن الخليفة المستنصر كان مُتَّزِّجًا أثناء الاحتفال بمندبل الجوهر والمظلة منشورة عليه وهو جالس فوق دكة الوقار (تاريخ أبي صالح ٣٢) . وأشار ابن الطُّوَرُ أَيْضًا عند حديثه على احتفال فتح الخليج إلى المندبل أو شَدَّةُ الوَقَار .

أما ابن المأمون فقد ذكر أن شَدَّةُ الوَقَار هي المندبل بالشدة الغرية التي يتفرد الخليفة بلباسها في الأعياد والمواسم خاصة لا على الثَّوَام ، وكانت تُرَضَّعُ بِغَالِي الباقوت والزُّمُرُود والجَوْهَر . (فيما تقدم ٤٣٣ وفيما يلي Canard, M., *Le cérémonial fatimide*, ١٩٤٥ pp. 390-92.

* انظر وصفًا لعدد من يَدُلُ الخليفة عند ابن المأمون :

أخبار مصر ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ .

^١ المقرئ : مسودة المواظظ ١٨٩-١٩٦ .
^٢ استخرج القلقشندي من هذا العرض الذي قدمه ابن الطوير ، الفصل الذي أفرده لذكر الآلات الموكبية (صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨-٤٧١) ، وكذلك التعريف بأهم وظائف الأُستاذين المُتَّكِنين وغير المُتَّكِنين .

^٣ انظر فيما تقدم ٣٦٩ .

^٤ المندبل . آلة قديمة للملوك ، وذكر القلقشندي أنه كان للوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه مائة بدلة معلقة على أوتاد من ذهب ، على كل بدلة منها مندبل من لونها . (صبح الأعشى ٢ : ١٣٢) .

ولم يكن التاج الفاطمي تاجًا بمعنى الكلمة بل كان عمامة ضخمة يلفها موظف مختص شَدَّةً غرية مفردة ذات شكل منفوخ ذي استطالة يزينها في وسطها الجوهرة المعروفة بـ «البَيْتِمة» . وفي أوائل عهد الدولة الفاطمية في مصر لم تكن عمامة الخليفة بهذا الشكل ؛ فيحدثنا المُسْتَبْهِي

يعرفها سواه شكل الإهليلجة . ثم تُخَصَّر إليه «البَيْيَمَة» ، وهي جَوْهَرَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُعْرَفُ لَهَا قِيَمَةٌ ، فَتَنْتَظِمُ هِيَ وَخَوَالِيهَا دُونَهَا^(a) من الجَوَاهِرِ^١ ، وهي موضوعة في الحَافِرِ ، وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدُّنْيَا^٢ ، فتَنْظِمُ على نِزْقَةٍ خَرِيرٍ أَحْسَنَ وَضْعٍ ، ويخيطها شاذ التاج بخياطة خَفِيفَةٍ^(b) ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخَلِيفَةِ - ويُقَالُ إِنَّ زِيَةَ الجَوْهَرَةِ سبعة دراهم ، وزِيَةُ الحَافِرِ أَحَدُ عَشَرَ مِثْقَالًا - وبدائرها قَصَبُ زُمُرَدٍ ذَبَابِيٍّ له قَدَرٌ عَظِيمٌ^٣ .

- ثم يُؤَمَّرُ بِشَذِّ المِظْلَةِ التي تُشَاكِلُ^(c) تلك البَدَلَةَ المُخَصَّصَةَ بين يديه ، وهي مُنَاسِبَةٌ لِلثِيَابِ^٤ ، ولها عندهم جَلَالَةٌ لَكُونُهَا تَغْلُو رَأْسَ الخَلِيفَةِ . وهي اثنا عشر شَوْزَكَ ، عَرَضُ سِقْلٍ كُلِّ شَوْزَكٍ شِبِيرٌ ، وطول ثلاثة أذرع وثلاث ، وآخر الشَّوَزَكِ من فوق دَقِيقٌ جَدًّا ، فيجتمع ما بين الشَّوَزَاكِ في رَأْسِ عُمُودِهَا^(d) بدائرة ، وهو قُتْطَارِيَّةٌ^٥ من الزَّيْنِ مُلَبَّسَةٌ بِأَنَابِيبِ الذَّهَبِ ، وفي آخر أُتْبُورَةٍ تلي الرَأْسَ من جسمه فَلَكَةٌ بَارِزَةٌ بِمِقْدَارِ عَرَضِ إِبْهَامٍ ، فيشَدُّ آخِرَ الشَّوَزَاكِ في حَلَقَةٍ من ذهب ، ويترك مُتَّسِعًا في رَأْسِ الرَّمْحِ وهو مفروض ، فتَلْقَى تلك الفَلَكَةُ فتَمْنَعُ المِظْلَةَ من الحُدُورِ في العمود المُرْكُوزِ^(e) . ولها أَضْلَاحٌ من خَشَبِ الخَلَنَجِ مَرْبُوعَاتٍ مَكْسُوءَةٍ بِوِزْنِ الذَّهَبِ ، على عَدَدِ الشَّوَزَاكِ ، يَخِفَافٌ فِي الوِزْنِ طولها طول الشَّوَزَاكِ ، وفيها خَطَاطِيفٌ لَطَافٌ وَجَلَقٌ يَمْسُكُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وهي تَنْظُمُ وَتَنْفَتِّحُ على طَرِيقَةِ شَوْكَاتِ الكِيزَانِ ، ولها رَأْسٌ شَبِهُ الرُّمَّانَةِ ، ويعلوه رُمَّانَةٌ صَغِيرَةٌ كُلُّهَا ذَهَبٌ مَرْصُوعٌ بِجَوْهَرٍ يَظْهَرُ لِلْعِيَانِ ، ولها زُرْفٌ دَائِرٌ يَفْتَحُهَا من نَسَبَتِهَا عَرَضُهُ أَكْثَرُ من شِبِيرٍ وَنِصْفٍ ، وَسِقْلٌ^{١٠} الرُّمَّانَةِ فَاصِلٌ يَكُونُ مِقْدَارُهُ ثَلَاثَ أَصَابِعٍ . فَإِذَا أُذْخِلَتِ الحَلَقَةُ الذَّهَبِ الجَاوِغَةُ لِآخِرِ شَوْزَاكِ المِظْلَةِ فِي رَأْسِ العمود ، رُكِبَتِ الرُّمَّانَةُ عَلَيْهَا وَلُفَّتْ فِي عَرَضٍ دَقِيقٍ مَذْقَبٍ ، فلا يَكْشِفُهَا مِنْهُ

(a) بولاق : ما دونها . (b) بولاق : خفيفة . (c) بولاق : تشابه . (d) بولاق : عودها . (e) بولاق : المذكور .

^١ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ .
^٢ انتقل الفص الحافر ، وهو من ياقوت أحمر وزنه سبعة دراهم ، إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من بني العباس (الذخائر والتحف ١٩٣) .

^٣ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ ، ٤٦٩ .
^٤ أكد ابن الطُّوَر في أكثر من موضع على ضرورة أن تكون المظلة من نفس لون الثياب التي يرتديها الخليفة الفاطمي
^٥ عن معنى قُتْطَارِيَّةٌ ، انظر فيما تقدم ٣٨١ .

في المواكب . ويبدو أن هذا التقليد استجدَّ في القرن السادس ، فالمُسْتَحْيِي في مطلع القرن الخامس يذكر في أكثر من موضع أن المظلة كانت تخالف لون ثياب الخليفة . (أخبار مصر ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨٠) ، وكانت دائما مظلة مذهبة مثقل ، وانظر كذلك ناصر خسرو : سفرنامه ١٩٦ ، Canard, M., ١٩٦٩ , p. 389 n.3 وفيما يلي ٤٨٩) .

إلا حاملها عند تسليمها إليه أول وقت الركوب^(a).

ثم يؤمر بشدّ «لِوَاغِي الحَمْد» المختصين بالخليفة، وهما رُمحان طويلان مُلبَّسان بمثل أنابيب عمود المِظْلَّة إلى حدّ نفّسهما^(b)، وهما من الحرير الأبيض الموقوم بالذهب، وغير منشورّين بل ملفوفين على جسم الرُمحَيْن، فيشدان ليخرجا بخروج المِظْلَّة إلى أميرين من حاشية الخليفة يرشمن حاملهما^١.

ويخرج إحدى وعشرون «رَايَةً» لطاف من الحرير الموقوم مُلوّنة بكتابة تُخالف ألوانها من غيره، ونصّ كتابتهما: «نَصْرُ من الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ» [الآية ١٣ سورة الصف]، على رِماح مُقوّمة من القنا المنتقى، طُولُ كُلِّ رَايَةٍ ذِرَاعَانِ فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ ونصف، في كُلِّ واحدة ثلاث طَوَارِدات^(c) فُتْسَلَمُ لأحد وعشرين رَجُلًا من فُوسان صِبيان الخاص^٢، ولهم بِشَارَةٌ عَوْدُ الخليفة سالماً أحد^(d) وعشرون ديناراً^٣.

ثم يُخْرَج «رُمُحَان» رءوسهما أهْلَةٌ من دَهَب صامئة، في كُلِّ واحدٍ سَبْعٌ من دِيبَاج أُخْمَر وأَضْفَر، وفي قَبْهِ طَارَةٌ مستديرة يدخل فيها الرِّيح، فيُتَفَتِّحَان فيظهر شكلهما، ويتسلّمهما فارسان من صِبيان الخاص، فيكونان أمام الرّايَات^٤.

ثم يُخْرَج «السَّيْفُ الخاصّ»، وهو من صَاعِقَةٍ وَقَعَتْ على ما يُقال، وَجِلِيَّتُهُ^(e) دَهَب مُرْصَعَةٌ بالجَوْهَر في خَرِيطَةٍ مَرْقُومَةٍ بالذَّهَب، لا يظهر إلّا رأسه لِيُسَلَّمَ إلى حامله وهو أميرٌ عَظِيمُ القُدر. وهذه عندهم رُتْبَةٌ جَلِيلَةٌ المقدار، وهو أكبر حامل^٥.

(a) بولاق : ركوبه . (b) بولاق : نصفهما . (c) بولاق : طرازات . (d) أحد و : ساقطة من بولاق . (e) بولاق : جلته .

^١ القلشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٩ .

^٢ صِبيان الخاص . أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة ، كان إذا مات الرجل منهم وله أولاد لحيلوا إلى حضرة الخلافة

ويودعوا في أماكن مخصوصة ، ويؤخذ في تعليمهم الفروسية

ويقال لهم «صِبيان الخاص» . (ابن مسر : أخبار مصر ١١٤٣

ابن الطوير : نزعة الملقين ٦٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١١٧٩

المقريزي : اتعاظ الخفا ٣ : ٤١٩٩ أسامة بن منقذ : الاعتبار

(٣٢) ، وهم في ذلك أشبه بصِبيان الحجر وإن كان هؤلاء

يستخدمون في الحرب مثل المماليك .

^٣ القلشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٠ .

^٤ نفسه ٣ : ٤٧٠ .

^٥ المقريزي : المقفى الكبير ٣ : ٤٠ في ترجمة جعفر بن

فاتك أخي الوزير للمأمون بن البطاحي ، فقد رُتِبَ أخوه لحمل

السيف الخاص عندما تولى الوزارة للخليفة الأمر بأحكام الله .

ويكون في وقت مسير الخليفة راكبا في الجانب الأيسر هو-

ثم يُخْرَج «الرُمح»^١، وهو رُمح لطيف في غلافٍ منظوم من اللؤلؤ، وله سنانٌ مختصرٌ بجليّة ذهب^٢، ودرّقة بكوايج^٣ ذهب، فيها سعة منسوبة إلى حنّزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في غشائه منحرير، لتخرج إلى حاملها وهو أميرٌ مُميّز. ولهذه الخدّمة وصاحبها عندهم بحلالة. ثم يُقْلَم^٤ النَّاسُ بطريق المؤكب، وسلوكه لا يتعدى دُورَتَيْن: إحداهما كبرى، والأخرى صغرى. أمّا الكبرى فمن باب القصر إلى باب النضر، مارًا إلى حوض عِرِّ الملك نَبَا - ومتّجده هناك وهو أقصاها^٥ - ثم يُنْقَطِف على يساره طاليًا باب الفتوح إلى القصر. والأخرى إذا خرج من باب النضر سارَ حافًا بالصور، ودخل من باب الفتوح.

فيقْلَم النَّاسُ بِسُلُوك أحدهما^٦، فيسيرون إذا رَكِبَ الخليفة فيها من غير تبديل للمؤكب، ولا تشويش ولا احتلال. فلا يصبح الصُّبْح من يوم الرُّكُوب إلّا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرّوْث وأرباب الثّعيرات^٧ من أرباب الميُوف والأقلام قيامًا بين القصرين - وكان يَراحا واسعًا خاليًا من البناء الذي فيه اليوم - فيتسع القوم لانتظار ركوب^٨ الخليفة.

ويُكرّر الأمراء إلى الوزير إلى داره، فيركب إلى القصر من غير استدعاء لأنّها خدّمة لازمة للخليفة، فيسير أمانته تُشْرِفُه المقلم ذكره، والأمراء بين يديه رُكبانًا ومُشاة، وأمانته أولاده وإخوته/ وكلّ منهم مزخى الذّوابة بلا حنك، وهو في أهبة^٩ عظيمة من الثياب الفاخرة والمثيل وهو بالحنك، ويتقلّد بالضعيف المذهب.

فإذا وصل القصر ترجل قبله أهله في أخصّ مكانٍ لا يصل الأمراء إليه، ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين إلى دهليز يُقال له «دهليز العمود»، فيتّرجل على منسكبة هناك، ويمشي بقية الدهليز إلى القاعة، فيدخل «مقطع الوزارة»^{١٠} هو وأولاده وإخوته وخواص حاشيته،

(a) بولاق: بكوامخ. (b) النسخ وبولاق: بشر والمثبت من مسودة المراعظ. (c) بولاق: إحداهما. (d) بولاق: العيزات. (e) ساقطة من بولاق. (f) بولاق: أبهة.

«رحامل الدواة، وهو أيضًا من يرخي الذّوابة ما دام حاملًا»^٣ لم يرد ذكر لهذا المسجد في غير هذا الموضع، ويبدو أنه ضاعت معالنه بعد العصر الفاطمي.

^١ انظر وصف ابن المأمون للمرح الشريف الذي كان يحمل وراء الموكب (فيما تقدم ٢١: ٣٦٥).
^٢ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٩.

ويجلس الأمراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكشوة في الصيف بالحضر الشامان وفي الشتاء بالبسط الجهريّة المحفورة.

فإذا أذخلت الدابة لركوب الخليفة، وأُسيّدت إلى الكرسي الذي تزكّب عليه من باب المجلس، أخرجت المظلة إلى حاملها، فيكشفها ممّا هي ملفوفة فيه غير مطبّعة^(a)، فيتسلّطها بإعانة أربعة من الصفاينة يرسم يخدمتها، فيركّزها في آلة حديد متخذة شكل القرن المضطّعب^(b)، وهو مَشْدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد بعقبها^(b)، فيتسكّك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف. ولم يُذكر قطّ أنّها اضطربت في ربح عاصف.

ثم يُخرج «بالصيف»، فيتسلّمه حامله، فإذا تسلّمه أُرِيخت دُوابّه ما دام حامله له. ثم تُخرج «الدواة» فتسلّم لحاملها وهو من الأستاذين المحكّين، وكان الوزراء يحملوها لقوم من الشهود المعدّلين. وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان، وهي في نفسها من الذهب وجليتها مزجان، وهي ملفوفة في منديل شرب يياض مُذهب^٢. وقد قال فيها بقصّ الشراء يُخاطب

(a) بولاق: مطوية. (b) زيادة من مسودة المواظظ.

هو الشيء». وفي حاشية أخرى: «هذان البيتان من نظم القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير وذكر أنهما من نظم أحمد بن منصور». ا. هـ.

وذكر ابن خلكان في ترجمة الوزير العباسي عون الدين يحيى بن هبيرة أن هذه الأبيات أنشدت في مجلسه عندما أهديت إليه دواة بلّور مرصعة بمرجان أنشدها شاعر ضربه لم يقف على اسمه. فقال الحفص بيض - وكان حاضراً في المجلس - : إنما وصفت صانع الدواة ولم تصفها، فقال الوزير: ثمّ عَجّر عَجّر. فقال الحفص يبيص الأبيات التي أوردها المقرئ. ثم أضاف ابن خلكان أنه وجد البيتين الأولين في كتاب «الجنان» للقاضي الرشيد أحمد بن الزبير الفسائي ونسبهما إلى القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر وأورد الرواية المنسوبة إلى الأفضل (وفيات الأعيان ٢٣٦: ٢٣٧). وانظر رواية مشابهة للرواية التي أوردها المقرئ في الهامش عند ابن أبيك: كنز الدرر ٦: ٤٧٣ =

^١ تُقدّم لنا هذه الفقرة وصفاً من الأوصاف القليلة للطبوغرافيا الداخلية للقصر الفاطمي الكبير.

^٢ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٨. وجاء هنا في حاشية بخط المؤلف: «هذه الدواة كانت من عَجْر بلق وحليتها من المرجان، صمها الأفضل بن أمير الجيوش فلما وقف عليها القاضي الرشيد بن الزبير أنشده: ألين لداود.. البيتين. وقال فيها الحفص بيص الشاعر البغدادى لما بلغه بيتا ابن الزبير:

صيّت دواتك من يومك فاشتبهت
على الأناس بلّور ومزجان
فيوم يلبّيك مبيض بغض ندى

ويوم حركك قان بالدم القاني
ثم إن الأفضل أهدى للخليفة الأمر في سنة اثنتين وخمس مائة هدايا جليّة منها قطعة مرجان فصنع منها الأمر دواة فقال فيها أحمد بن منصور البيتين. وهذا القول عندي

الخليفة الذي^٥ صُنِعَتْ جَلِيَّةُ الْمَرْجَانِ فِي وَقْتِهِ ، وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا يَكُونُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ فِي بَيِّنَتَيْنِ وَهُمَا :

[الطويل]

أَلَيْسَ لِدَاوُدَ الْحَدِيدُ كَرَامَةً فَقَدَّرَ مِنْهُ السُّودُ كَيْفَ يُرِيدُ
وَلَاَنَّ لَكَ الْمَرْجَانُ وَهُوَ حِجَارَةٌ وَمَقْلَعُهُ صَعْبُ الْمَرَامِ شَدِيدُ

فَيُخْرِجُ الْوَزِيرُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمَقْلَعِ ، وَتَنْصَبُ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ ، وَيَقْفُونَ إِلَى جَانِبِ الدَّائَةِ^٦ .

فَيَرْفَعُ صَاحِبُ الْمَجْلِسِ السُّرَّةَ ، فَيُخْرِجُ مَنْ كَانَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ لِلخِدْمَةِ مِنْهُمْ ، وَفِي أَثَرِهِمْ يَخْرُجُ الْخَلِيفَةُ بِالْهَيْئَةِ الْمَشْرُوحِ حَالُهَا فِي لِيَّاسِهِ : الثِّيَابُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَيْهِ ، وَالْمِثْدِيلُ الْحَامِلُ لِلْيَتِيمَةِ بِأَعْلَى جَبْهَتِهِ ، وَهُوَ مُخْتَكٌ مَرْخِي الدَّوَابَّةِ مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ الْأَيْسَرَ ، وَيَتَمَلَّدُ بِالسَّيْفِ الْعَرَبِيِّ^٧ ، وَيَبْدُو قَضِيبُ الْمُلْكِ وَهُوَ طَوَّلٌ يَنْبُرُ وَنَصَفٌ مِنْ عُودٍ مَكْسُو بِالذَّهَبِ الْمُرْصَعِ بِالذَّرِّ وَالْجَوْهَرِ^٨ . فَيُسَلِّمُ عَلَى الْوَزِيرِ قَوْمٌ مُرْتَبُونَ لَذَلِكَ ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَعَلَى الْأَمْرَاءِ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُ أَوْفَكَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، وَالْوَزِيرُ يَخْرُجُ بَعْدَ الْأَمْرَاءِ فَيَرْكَبُ وَيَقِفُ قُبَالَةِ بَابِ الْقَصْرِ بِهِيْهِ .

وَيَخْرُجُ الْخَلِيفَةُ [رَاكِبًا]^٩ وَخَوَالِيهِ الْأُسْتَاذُونَ ، وَدَائِمُهُ مَائِيَّةٌ عَلَى بُسْطٍ مَفْرُوشَةٍ خَيْفَةً مِنْ زَلَقِهَا عَلَى الرِّخَامِ^{١٠} . فَإِذَا قَارَبَ الْبَابَ وَظَهَرَ وَجْهُهُ ، ضَرَبَ رَجُلٌ يَبُوقٍ لَطِيفٍ مِنْ ذَهَبٍ مُعَوَّجٍ الرَّأْسِ - يُقَالُ لَهُ « الْغَرِيَّة »^{١١} - بِصَوْتٍ عَجِيبٍ يُخَالِفُ أَصْوَاتَ الْبُوقَاتِ .

فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ ضَرَبَتْ الْأَبْوَابُ فِي الْمَوْكِبِ ، وَنُشِرَتْ الْمِظَلَّةُ ، وَبَرَزَ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْبَابِ ، وَوَقَفَتْ وَقْفَةً بِسِيرَةٍ بِمَقْدَارِ رُكُوبِ الْأُسْتَاذِينَ الْمُتَحَكِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ الرُّثْبِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَاعَةِ لِلخِدْمَةِ ، وَ سَارَ الْخَلِيفَةُ وَعَلَى يَسَارِهِ صَاحِبُ الْمِظَلَّةِ وَهُوَ يُبَالِغُ أَلَّا يَرُولَ عَنْهُ ظِلُّهَا .

(a) بولاق : الفي . (b) بولاق : الرابة . (c) بولاق : المغربي . (d) إضافة من صبح الأعشى .

نحيط به أروقة ذات أعمدة وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام

متعددة الألوان ، «Une vaste cour découverte, entourée de magnifiques portiques à colonnades, Cour toute pavée de marbres de diverses couleurs» (Schlumberger, G., op.cit., pp. 118-119).

^٣ عن الغربية انظر فيما تقدم ٣٠٤ ؛ وفيما يلي ٤٨٤ .

«وعندي أن المقرئ يورد روايته نقلاً عن ابن أبيك .

^١ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ .

^٢ هذه العبارة توضح أن أرضية القصر كانت مبلمطة بالرخام وهو ما يؤكد وصف غلبوم أسقف صور Guillaume de Tyr ، كما نقله جستاف شلمبرجيه إلى الفرنسية ، حيث يصف من بين أجزاء القصر «قاعة مكشوفة

ثم يَكْتَتِفُ الخَلِيفَةُ مُقَدِّمُو صِيَّانِ الرُّكَّابِ : منهم اثنان في الشَّكْمَتَيْنِ^(a)، واثنان في عُتْقِ الدَّائِئَةِ من الجانبين ، و اثنان في رِكَايِهِ^(b). فالأَمَيْنُ مُقَدِّمُ الْمُقَدِّمِينَ ، وهو صاحب المَقَرَّعَةِ التي يتناولها ويتناولها ، وهو المؤدِّي عن الخَلِيفَةِ مُدَّةَ رُكُوبِهِ الأوامر والتواهي.

ويسيرُ المؤَكِّبُ بالْحَتِّ ، فأوَّلُهُ فُرُوعُ الأَمْرَاءِ وأولادهم ، وأخْلَاطُ بَغْضِ العَشْكَرِ الأماثل ، إلى أَرْبابِ الشُّصْبِ ، إلى أَرْبابِ الأطواق ، إلى الأَشْتَادِينَ الْمُحْتَكِينَ ، إلى حَامِلِ اللُّوَاعَيْنِ من الجانبين ، إلى حَامِلِ الدَّوَاةِ - وهي بينه وبين قَرْبُوسِ السَّرَجِ^١ - إلى صَاحِبِ الشَّيْفِ وهما في الجانب الأيسر كَلِّ واحدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمُ ذِكْرُهُ بَيْنَ عَشْرَةٍ إلى عشرين من أَصْحَابِهِ . وَيُخَجِّجُهُ أَهْلُ الوُزَيْرِ الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُمْ من الجانب الأيمن بَعْدَ الأَشْتَادِينَ الْمُحْتَكِينَ .

ثم يَأْتِي الخَلِيفَةُ وَحَوَالِيهِ « صِيَّانُ الرُّكَّابِ » المذكور^(c) تَفْرِقَةُ السِّلَاحِ فيهم ، وهم أَكْثَرُ من ألف رَجُلٍ ، وعليهم المَنَادِيلُ الطَّبِيعِيَّاتُ ، وهم مُتَقَلِّدُونَ^(d) بالشُّيُوفِ ، وأَوْسَاطُهُمْ مُشْدُودَةٌ بِمَنَادِيلٍ ، وفي أَيْدِيهِمُ السِّلَاحُ مَشْهُورٌ ، وهم من جَانِبِي الخَلِيفَةِ كَالْجَنَاحَيْنِ المَآذِنِ ، وبينهما فُرْجَةٌ لَوُجْهِ الدَّائِئَةِ^(e) ليس فيها أَحَدٌ ، وبالقُرْبِ من رَأْسِهَا الصُّفْلَيَانِ الحَامِلَانِ لِلْمَذْبُوحَيْنِ ، وهما مَرْفُوعَتَانِ كَالثَّلْثَتَيْنِ ، لما يَشَقُّقُ من طَائِرٍ وَغَيْرِهِ^٢ ، وهو سَائِرٌ عَلَى تَوَدَّةٍ وَرِفْقٍ .

وفي طُولِ المؤَكِّبِ من أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ « والي القَاهِرَةِ » مَارًا وَعَائِدًا لَفْشَحِ الطَّرِيقَاتِ وَتَشْيِيرِ^(f) الرُّكْبَانِ ، فَيَلْقَى فِي عَوْدِهِ الإِسْفِيهَسْلَارَ كَذَلِكَ مَارًا وَعَائِدًا لَحَتَّ^(g) النَّاسِ^(h) الأَجْنَادِ فِي الحِرْكَةِ وَالْإِنْكَارِ عَلَى المُرَاحِمِينَ الْمُقْتَرِضِينَ ، وَيَلْقَى فِي عَوْدِهِ صَاحِبَ البَابِ - وَمُرُورِهِ فِي زُمرَةِ الخَلِيفَةِ - إلى أَن يَصِلَ إلى الإِسْفِيهَسْلَارِ ، فَيَعُودُ لِتَرْتِيبِ المؤَكِّبِ وَحِرَاسَةِ طَرِيقَاتِ الخَلِيفَةِ ، وفي يَدِ كُلِّ مِنْهُمْ دَبُّوسٌ ، وهو رَاكِبٌ خَيْرَ دَوَابِّهِ ، وَأَسْرَعُهُ ، هَذَا لِمَنْ هُوَ⁽ⁱ⁾ أَمَامَ المؤَكِّبِ .

ثم يَسِيرُ خَلْفَ دَائِئَةِ الخَلِيفَةِ قَوَمٌ من صِيَّانِ الرُّكَّابِ لِحِفْظِ أَعْقَابِهِ ، ثم عَشْرَةٌ يَحْمِلُونَ/ عَشْرَةَ شُيُوفٍ فِي خَرَائِطٍ دِيْبَاجٍ أَحْمَرَ وَأَضْفَرَ يَشْرَارِبَ غَرِيْرَةٍ - يُقَالُ لَهَا « شُيُوفُ الدَّمِ » - بِرَاسِمْ صَرْبِ الأَعْنَاقِ^٣ .

(a) بولاق : الشكبة . (b) بولاق : ركاية . (c) بولاق : المذكورة . (d) بولاق : ويقلدون . (e) بولاق : الفرس والمثبت من المسودة . (f) بولاق : يفسح ... ويسير . (g-g) ساقطة من بولاق . (h) ساقطة من بولاق .

^١ الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ . نفسه ٣ : ٤٧٠ ، وكان صيَّان الرُكَّابِ فِي أَوَّلِ الدَّوَلَةِ

^٢ نفسه ٣ : ٤٧٠ . الفاطمية يعرفون بـ «الشقيبة» ، وهم نحو مائة رجل =

ثم يسير بعدهم « صبيان السلاح الصغير » أبواب الفرّيجيات المقدم ذكرهم أولاً^١.

ثم يأتي الوزير في هيئة^(a)، وفي ركابه من أصحابه قَوْمٌ يُقالُ لهم « صبيان الزرد »^٢، من أقوياء الأجناد يختارهم لنفسه^(b)، ما يقدره خمس مائة رجل من جانيه بقرّجة لطيفة أمامه دون قرّجة الخليفة، وكأنه على وفاز من جراحة الخليفة، ويجتهد ألاّ يغيّب عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير، وهو مع عدّة كثيرة تُدَوّي بأصواتها وجسّها الدنيا.

ثم يأتي حاملُ الرُفح المقدم ذكره ودرّقه حفرة^(c)، ثم طوائف الرجال من الرّيحانية^(d) والجيشية وقبلهما المصامدة، ثم الفرّيجية، ثم الوزيرة زُمرة زُمرة في عدّة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك، ثم أصحاب الزايات والشبّعين، ثم طوائف القساكر من الأبرية والحجّرية الكبار والحافظية والحجّرية الصغار المنقولين والأفضليّة والجيشيّة، ثم الأتراك المُصطَنعون ثم الدّيلم، ثم الأكراد، ثم العزّ المُصطَنعة.

وقد كان تقدّم هؤلاء القُوسان عدّة وافرة من المترجّلة أبواب قيسيّ اليد وقيسيّ الرجل في أكثر من خمس مائة، وهم المعدون للأساطيل، ويكون من القُوسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف. وهذا كلّه بقصّ من كلّ^٣.

فإذا انتهى المؤكّب إلى المكان المحدود عاذا على أقدراجهم، ويتخلّون من باب الفتوح، ويتيقّنون بين القصرين بعد الرجوع^(e) كما كانوا قبله.

(a) بولاق: هيئة. (b) في مسودة المواظ: باختياره لنفسه. (c) بولاق: ودرقه حمراء. (d) بولاق: الركابية. (e) مسودة المواظ: الركوب. (f) مسودة المواظ: الركوب.

= يختصون بركاب السلطان (الخليفة) ويحملون سيوفاً محلاة بين يديه، يعرفون لأجلها بـ «أصحاب السيوف الحلي». وقد جرت عادتهم في أيام الحاكم بأمر الله أن يتولّوا قتل من يؤمر بقتله. (المقريزي: تعاظ الحنفا ١٢٧:٢).

^١ انظر فيما تقدم ٤٦٤ حيث يذكر ابن الطوير مجموعة من العبيد الأقوياء السودان الشباب يقال لهم «أرباب السلاح الصغير» عددهم ثلاث مائة حيد.

^٢ صبيان الزرد. هم أرباب التشكّر وزغار الناس الذين اجتمعوا إلى الحسن بن الحافظ في صراعه مع أبيه الخليفة الحافظ

لدين الله سنة ٥٢٩هـ، ففرّق فيهم الزرد وسقاهاهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١/٣: ٢٨؛ المقريزي: للمقفي الكبير ٤١٦:٣).

ويدل هذا النص على أن الوزير، خلال هذا المؤكّب، كان على غير وثاق مع الخليفة لحرصه على أن يكون مخفوزاً بصبيان الزرد. وأرجّح أن يكون هذا الوزير هو العادل بن الشار.

^٣ ابن الطوير: نزعة المقلتين ١٤٧-١٦٦، ٢٧٥-٢٧٦؛ المقريزي: مسودة المواظ ١٨٩ - ٢٠٨.

فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأقمر بالقماحين اليوم، وقف وقفة بجملته في مؤكبه، وانفزع المؤكب للوزير فيتحرك^(a) مشرعاً ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه، فيمر الخليفة فيشكع له سكة ظاهرة، فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفيفة^(b) - وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحب الشيف - فيفارق^(c) ويشيق^(d) إلى دخول باب القصر راكباً على عادته إلى موضعه، ويكون الأمراء قد نزلوا قبله لأنهم في أوائل المؤكب.

فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله، وترجل الوزير، ودخل قبله الأشتاذون المحئون وأخذوا به، والوزير أمام وجهه دابته من^(e) مكان ترجمه إلى الكرسي الذي ركب منه، فيتزل عليه ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له.

فيخرج الوزير ويترك من مكانه الجاري به على عادته، والأمراء بين يديه وأقاربه حوآليه، فيركبون من أماكنهم ويسيرون صخبته إلى داره، فيدخل وينزل أيضاً إلى مكانه على كرسي، فتخدمه الجماعة بالوداع^١.

١) راسية العشرة التي كانت تضرب وتُسرق في أول السنة في أيام الخلفاء

قال ابن الطوير في الفصل الخامس من كتابه بعد ذكر ركوب أول العام ما نصه^(f): وتتفرق الناس إلى أماكنهم، فيجدون قد أحضر إليهم العرة. وهو أنه يتقدم أمر^(g) الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الآخر من ذي الحجة، بتاريخ السنة التي ركب أولها في هذا اليوم، جملة من الدنانير والرماية والدراهم المدورة المفضلة.

فيحتل إلى الوزير منها ثلاث وستون ديناراً وثلاث مائة وستون ربيعاً وثلاث مائة وستون قيراطاً، وإلى أولاده وإخوته من كل صنف من ذلك خمسون، وإلى أزياب الوتب من أصحاب السبوف والأقلام من عشرة دنانير وعشر ربايعات وعشرة قرايط إلى دينار واحد ورباعي واحد وقيراط واحد^٢، فيقبلون ذلك على حكم البركة من قبل^(h) الخليفة.

(a) بولاق : فتحرك . (b) بولاق : خفيه . (c) زيادة من مسودة المراعيظ . (d) بولاق : وسقه . (e) النسخ وبولاق : وجه الفرس ، والبيت من مسودة المراعيظ . (f-f) زيادة من مسودة المراعيظ . (g) بولاق : البرمكية من مبلغ .

^١ ابن الطوير : نزمة للملئين ١١٦٦-١١٦٧ المقرئ : يسمى الرباعي لأن وزنه أربع حبات بينما وزن القيراط حبة واحدة . مسودة المراعيظ ٢٧٦-٢٧٧ .

قال: وَمَبْلَغُ العُرّة التي يُنْعَم بها في أوّل العام المقدّم ذكرها، من الدنانير والزباعات والقراريط، ما يُقْرَب من ثلاثة آلاف دينار^١.

ذِكْرُ مَا كَانَ يُضْرَبُ فِي خَمِيسِ الْعَدَسِ مِنْ حَرَارِيبِ الذَّهَبِ

قال ابنُ المأمون: وَأَخْضَرَ الْأَجَلُ المأمون كَاتِبَ الدُّفْتَرِ، وَأَمَرَهُ بِالْكَشْفِ عَمَّا كَانَ يُضْرَبُ بِرِسْمِ خَمِيسِ الْعَدَسِ مِنْ الْحَرَارِيبِ الذَّهَبِ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ عَنْ عِشْرِينَ أَلْفَ خَزْرَوَةِ. فاشْتَدَعَ^٢ كَاتِبُ بَيْتِ الْمَالِ وَوَقَّعَ لَهُ بِإِطْلَاقِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَمَرَهُ بِإِخْضَارِ مُشَارِفِ دَارِ الضُّرُوبِ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ. فَاعْتَمَدَ ذَلِكَ، وَضُرِبَتْ عِشْرُونَ أَلْفَ خَزْرَوَةٍ وَأَحْضَرَهَا، فَأَمَرَ بِخَطْلِهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَسَيَّرَ الْخَلِيفَةُ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ. وَذَكَرَ أَنَّهَا لَمْ تُضْرَبْ فِي مُدَّةِ خِلَافَةِ الْحَافِظِ لَدَيْنِ اللَّهِ غَيْرَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ بَطَلَ حُكْمُهَا وَتُبِيَ ذِكْرُهَا^٣.

قال: وَصَارَ مَا يُضْرَبُ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ - بِعَنِي الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ - فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ: الْقَاهِرَةِ، وَمِصْرَ، وَقُوصَ، وَعَسْقلَانَ، وَصُورَ، وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةَ^٤.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ: خَمِيسُ الْعَدَسِ كَانَ يُضْرَبُ فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ^٥ تَعْمَلُ عَشْرَةُ أَلْفِ خَزْرَوَةٍ، كَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ يَخْجِلُ مِنْهَا لِلْخَلِيفَةِ مِائَتِي دِينَارٍ، وَالبَقِيَّةَ بِرُشْمِهِ. ثُمَّ جُعِلَتْ فِي الْأَيَّامِ الْمَأْمُونِيَّةِ أَلْفُ دِينَارٍ، وَزُبْمًا زَادَتْ أَوْ نَقَصَتْ بِسِيرٍ^٦.

وقد تَقَدَّمَ أَنَّ قَاضِي الْقَضَاةِ كَانَ يَتَوَلَّى عِيَارَ دَارِ الضُّرُوبِ، وَيَحْضُرُ التَّغْلِيْقَ بِنَفْسِهِ وَيَخْتِمُ عَلَيْهِ، وَيَخْضُرُ لِلْمَوْعِدِ الْآخِرِ لِفَتْحِهِ^٧.

(a) بولاق: واستدعى. (b) ساقطة من بولاق.

^١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٤١٦٧ المقرئ: مسودة المواظ ٢٧٢-٢٧٣.
^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١١٩ المقرئ:

^٣ ابن المأمون: أخبار مصر ٩٥ المقرئ: المسودة ٢٧٧.

^٤ ابن المأمون: أخبار مصر ٩٥ المقرئ: المسودة ٢٧٧. ^٥ فيما تقدم ٣٤٢.

ذِكْرُ دَارِ الْوَكَاةِ الْأَمْرِيَّةِ

/ كانت دارُ الوَكَاةِ المذكورة بجانب دار الضُرب ، وموضعها الآن على يَمِينَةِ السَّالِكِ من رأسِ الحُرَّاطِينَ إلى شُوقِ الْحَيْثَمِيِّينَ وَالْجَامِيعِ الْأَزْهَرِ .

قال ابنُ المَأْمُونِ في شُؤَالِ سنة سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : ثُمَّ أَنْشَأَ - بِعَيْنِي الْمَأْمُونُ بْنُ الْبَطْلَانِيِّ ، وَزَيْرُ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ - دَارَ الْوَكَاةِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ لِمَنْ يَهْضِلُ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الشُّجَرَاءِ ، وَلَمْ يُشَبِّقْ إِلَى ذَلِكَ ^١ .

ذِكْرُ مُصَلَّى الْعِيدِ

وكان في شَرْقِيِّ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ مُصَلَّى الْعِيدِ مِنْ خَارِجِ بَابِ النَّصْرِ ، وَهَذَا الْمُصَلَّى بَنَاهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ لِأَجْلِ صَلَاةِ الْعِيدِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سنة ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ^(أ) عَلَى مَا نَقَلْتَهُ مِنْ « سِيرَةِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ » تَأْلِيفَ الْفَقِيهِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَوْلَاقٍ ^(ب) ، ثُمَّ جَدَّدَهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ . وَقَدْ بَقِيَ إِلَى الْآنَ بَعْضُ هَذَا الْمُصَلَّى ، وَاتَّخَذَ فِي جَانِبِ مِنْهُ مَوْضِعٌ مُصَلَّى الْأَمْوَاتِ الْيَوْمَ ^٢ .

ذَكَرُ هَيْبَةُ صَلَاةِ الْعِيدِ وَمَا يَتَّخِذُ بِهَا - قَالَ ابْنُ زَوْلَاقٍ ^(ب) فِي « سِيرَةِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ » وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ ^(أ) : وَرَكِبَ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ يَوْمَ الْفِطْرِ لَصَلَاةِ الْعِيدِ إِلَى مُصَلَّى الْقَاهِرَةِ الَّتِي بَنَاهَا الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَدْرَعِ الْحَسَنِيِّ قَدْ بَكَرَ وَجَلَسَ فِي الْمُصَلَّى تَحْتَ الْقُبَّةِ فِي مَوْضِعٍ ، فَجَاءَ الْخَدَمُ وَأَقَامُوهُ وَأَقْعَدُوا مَوْضِعَهُ أَبَا جَهْفَرٍ مُشَلِّمًا ، وَأَقْعَدُوهُ هُوَ دُونَهُ ، وَكَانَ أَبُو جَهْفَرٍ مُشَلِّمٌ تَخْلُفَ الْمُعِزِّ عَنْ يَمِينِهِ وَهُوَ يُصَلِّي . وَأَقْبَلَ الْمُعِزُّ فِي زِيَّهِ وَبُيُودِهِ وَقِيَابِهِ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعِيدِ تَامَّةً طَوِيلَةً ، قَرَأَ فِي الْأُولَى بِأَمِّ الْكِتَابِ ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ﴾ [الآية ١ سورة العَاشِيَةِ] ، ثُمَّ كَبَّرَ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ ، وَرَكَعَ فَأَطَالَ ، وَسَجَدَ فَأَطَالَ - أَنَا سَمِعْتُ خَلْفَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَفِي كُلِّ سَجْدَةٍ

(A-B) زيادة من مسودة المواظب .

^١ ابن المأْمُون : أخبار ٢٣٩ ابن ميمر : أخبار ٤٩٢ المقيزي : مسودة المواظب ١٨٣ وانظر Pu'ad Sayyid, المقيزي : تماظ ٩٢: ٣ ، مسودة المواظب ٢٧٩ . A., op.cit., pp. 188-89 .

^٢ قارن ، ابن عبد الظاهر : الروضة ١١٨-١١٩

ثِيَقًا وَثَلَاثِينَ تَشْبِيحًا - وكان القاضي الثَّعْمَانُ بن مُحَمَّدٍ يُبَلِّغُ عنه التَّكْبِيرَ . وَقَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ بِأَمْرِ الْكِتَابِ وَسُورَةَ ﴿وَالضُّحَى﴾ ثُمَّ كَثُرَ أَيْضًا بَعْدَ الْقِرَاءَةِ - وَهِيَ صَلَاةُ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَطَالَ أَيْضًا فِي الثَّانِيَةِ الْوُكُوعَ وَالشُّجُودَ - أَنَا سَبَّحْتُ خَلْفَهُ ثِيَقًا وَثَلَاثِينَ تَشْبِيحًا فِي كُلِّ رُقْعَةٍ وَفِي كُلِّ سَجْدَةٍ - وَجَهَرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي كُلِّ سُورَةٍ .

- وَأَتَكَرَّجُمَاعَاتٍ يَتَوَسَّمُونَ بِالْعِلْمِ قِرَاءَتَهُ قَبْلَ التَّكْبِيرِ لِقَلَّةِ عِلْمِهِمْ ، وَتَقْصِيرِهِمْ فِي الْعُلُومِ .
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ : حَدَّثَنَا غُثْرُ بْنُ شَبَّةٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَجَاءُ عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْيَعِيدِ قَبْلَ التَّكْبِيرِ - فَلَمَّا فَرَعَ الْمُعِزُّ مِنَ الصَّلَاةِ صَعِدَ الْمُتَبِّرُ ، وَسَلَّمْ عَلَى النَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ تُنِيرُ بِالْبَنْدَيْنِ^(٥) الَّذِينَ كَانَا عَلَى الْمُتَبِّرِ ، فَخُطِبَ وَرَاءَهُمَا عَلَى رَشْمِهِ . وَكَانَ فِي أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْمَنِيرِ وَسَادَةٌ دِيبَاجٍ مُثْقَلٍ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْخُطْبَةَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - وَكَانَ مَعَهُ عَلَى الْمُتَبِّرِ الْقَائِدُ جَوْهَرُ بْنُ جَعْفَرٍ وَشَفِيعُ صَاحِبِ الْمِظْلَةِ - ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَاسْتَفْتَحَ بِذَلِكَ ، وَخُطِبَ وَأُبْلَغَ وَأَبْكَى النَّاسَ ، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ بِحُشُوعٍ وَخُضُوعٍ .

- فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ خُطْبَتِهِ ، انْصَرَفَ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَخَلْفَهُ أَوْلَادُهُ الْأَرْبَعَةُ بِالْجَوَاشِينِ وَالْخُوْذِ عَلَى الْخَيْلِ بِأَحْسَنِ زِيٍّ ، وَسَارُوا بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْفِيلَيْنِ .
- فَلَمَّا خَصَرَ فِي قُصْرِهِ أَخْضِرَ النَّاسُ فَأَكَلُوا ، وَقُدِّمَتْ إِلَيْهِمُ الشُّطُطُ ، وَنَشَطَتْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ ، وَغَتَبَ عَلَى مِنْ تَأَخَّرَ ، وَهَدَّدَ مِنْ بَلَّغَهُ عَنْهُ صِيَامُ الْعِيدِ^(٦) .

- وَقَالَ الْمُسَبِّحِيُّ فِي حَوَادِثِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ : وَبَيَّتَ مَسَاطِبَ مَا بَيْنَ الْقُصُورِ وَالْمُصَلَّى الْجَدِيدَةِ ظَاهِرَ بَابِ النُّصْرِ يَكُونُ^(٧) عَلَيْهَا الْمُؤَدُّونَ ، حَتَّى يَتَّصِلَ التَّكْبِيرُ مِنَ الْمُصَلَّى إِلَى الْقُصْرِ .

- وَفِيهِ تَقَدَّمَ أَمْرُ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ الثَّعْمَانِ بِإِحْضَارِ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي الشَّيْعَةَ - وَأَمَرَهُمْ بِالْجُلُوسِ يَوْمَ الْعِيدِ عَلَى هَذِهِ الْمَسَاطِبِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُرْتَّبُ النَّاسُ ، وَكُتِبَ رِقَاعًا فِيهَا أَسْمَاءُ النَّاسِ ، فَكَانَتْ تَخْرُجُ رُقْعَةً رُقْعَةً ، فَيَجْلِسُ النَّاسُ عَلَى مَسْطَبَةٍ مَسْطَبَةٍ بِالتَّرْتِيبِ .

(٥) بولاق : ستر بالسترين . (٦) ساقطة من بولاق .

^١ ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٩ - ١٦٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١٤٤ ؛ المقرئوي : انماط الحنفا ١ : ١٣٨ ، مسودة

وفي يوم العيد رَكِبَ القَزِيْرُ بالله لصلاة العيد ، وبين يديه الجنائِبُ والقبابُ الدِّياج بالحلي ، والعشكر في رِيته من الأتراك والدَيْلَم والقَزِيْزِيَّة ، والإخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالدِّياج المقل والشيوف والمناطق الذَّهب ، وعلى الجنائِب السروج الذَّهب بالجَوْهر والسروج بالقَنْبَر ، وبين يَدَيْهِ الفَيْتلة عليها الرجالة بالصلاح والزرافة . وخرَجَ بالمِظْلَة الثقيلة بالجَوْهر ، وبيده قَضِيْبٌ بجَدَه - عليه السلام - فصَلَّى على رَسْمِه وانصَرَفَ^١ .

وقال ابنُ المأمُون^(هـ) في « تاريخه »^(١) : ولَمَّا توفِّي أميرُ الجيوش بَلَدُ الجمالِي ، وانتقل الأمرُ إلى وَلَدِه الأَفْضَل ابن أمير الجيوش ، جرى على سَنَن والده في صلاة العيد ، ويقف في قَوْس باب داره الذي عند باب القصر - يعني دار الوزارة - ؛ فلَمَّا سَكَنَ بمصر^٢ ، صارَ يَطْلُع من مصر باكِراً ، ويقف على باب داره على الحالة الأولى إلى أن^(٣) تستحق الصلاة ، فيدخل من باب العيد إلى الإيوان ، ويصَلِّي به القاضي ابنُ الرُّسْعَنِي ، ثم يجلس بعد الصلاة على المَرْتَبَة إلى أن تنقضي الخطبة ، فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحدٌ غيره ، ثم يَخْلَع عليه ، ويتوجه إلى داره بمصر ، فيكون / السَّمَاطُ بها مَدَى الأعياد .

فلَمَّا قُتِلَ الأَفْضَلُ ، واستقرَّ بعده المأمُونُ بنُ البطائحي في الوزارة ، قال : هذا نَقْصٌ في حقِّ العيد ، ولا يُعْلَم السَّبَبُ في كَوْن الخليفة لا يَظْهَر . فقال له الخليفةُ الأميرُ بأحكام الله : فما تراه أنت ؟ فقال : يجلس مؤلانا في المَنظَرَة التي اشْتُجِدَتْ^(٤) بين باب الذَّهب وباب البحر ، فإذا جَلَسَ مؤلانا في المَنظَرَة وفتحت الطاقات ، وقف المملوك بين يديه في قَوْس باب الذَّهب ، وتجوَّزَ جميعها^(٥) فارسها وراجلها ، وتشملها بَرَكَة نَظَر مؤلانا إليها . فإذا حَانَ وَثَّت الصلاة توجَّه المملوك بالمؤكِب والرَّيِّ وجميع الأمراء والأجناد ، واجتازَ بأبواب القصر ودَخَلَ الإيوان . فاستحسن ذلك منه واشتصوبَ رَأْيَه^(٦) ، وبالغَ في شُكْرِه^٣ .

(a-a) زيادة من مسودة المواظظ . (b) بولاق : حتى . (c) مسودة المواظظ : استحدثت . (d) ساقطة من بولاق . (e) مسودة المواظظ : واستصوبه .

^١ المسيحي : نصوص ضائعة ١١٣ المقريري : مسودة المواظظ ١٨٥-١٨٦ ، اتعاظ الحنفا ١ : ٢٦٧ .
^٢ ابن المأمُون : أخبار مصر ٢٣-٢٤ : المقريري : مسودة المواظظ ١٨٦-١٨٧ .
^٣ انتقل الأفضل بن أمير الجيوش إلى دار الملك التي

ثم عاد المأمون إلى مجلسه ، وأمر بتفرقة كُشوة العيد والهبات ، يعني في عيد الثَّعْر سنة خمس عشرة وخمسة مائة . ومجئلة العين ثلاثة آلاف وثلاث مائة دينار وسبعة دنانير ، ومن الكُشوات مائة قطعة وسبع قطع ، يرسم الأتراء المطوقين والأستاذين المحنكين وكاتب الدُست ومُتَوَلِّي حُجبة الباب وغيرهم^١ .

٥ قال : وَوَصَلَتِ الْكُشُوَّةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالْعِيدِ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ - يعني في سنة ست عشرة وخمسة مائة - وهي تشتعل على دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم المَؤْيَم الكبير ، ويُسمَّى بـ « عِيدِ الْحُلُلِ » لِأَنَّ الْحُلْلَ فِيهِ تَعْمُ الْجَمَاعَةُ ، وفي غيره للأعيان خاصَّة^٢ . وقد تقدَّم تفصيلها عند ذِكر خِزَانَةِ الْكُشُوَّةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣ .

١٠ قال : وَلَمَّا كَانَ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، خَرَجَتِ الْأَوَامِرُ بِأَضْعَافِ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ لِلْمُقَرَّرِينَ وَالْمُؤَدَّنِينَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِرِسْمِ السُّحُورِ ، بِحُكْمِ أَنَّهَا لَيْلَةُ خَتَمِ الشَّهْرِ . وَخَضَرَ الْمَأْمُونُ فِي آخِرِ النَّهَارِ إِلَى الْقَصْرِ لِلْفُطُورِ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَالْحَضُورِ عَلَى الْأَشْمِطَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَخَضَرَ لِاخْوَتِهِ وَعُمُومَتِهِ وَجَمِيعِ الْجُلَسَاءِ ، وَخَضَرَ الْمُقَرَّرُونَ وَالْمُؤَدَّنُونَ ، وَسَلَّمُوا عَلَى عَادَتِهِمْ وَجَلَسُوا تَحْتَ الرُّوْشَنِ^٤ .

١٥ وَحُمِلَ مِنْ عِنْدِ مُعْظَمِ الْجِهَاتِ وَالسُّيُودَاتِ وَالْمُعِيرَاتِ مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ ثَلَاثِي^٥ وَمُزَكِّيَاتٍ مَمْلُوءَةٌ مَاءً مَلْفُوقَةٌ فِي غَرَاضِي دَيِّقِي ، وَجُعِلَتْ أَمَامَ الْمَذْكُورِينَ لِيَشْمَلَهَا بَرَكَتُهُ خَتَمُ الْقُرْآنِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّرُونَ مِنَ الْحَمْدِ إِلَى خَاتِمَةِ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَطْرِيتًا .

ثُمَّ وَقَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ خُطْبٍ فَاسْتَمَعَ وَدَعَا فَأُبْلَغَ ، وَرَفَعَ الْقَرَّاشُونَ مَا أَعَدُّوه بِرِسْمِ الْجِهَاتِ ، ثُمَّ كَبَّرَ الْمُؤَدَّنُونَ وَقَلَّلُوا ، وَأَخَذُوا فِي الصُّوْفِيَّاتِ إِلَى أَنْ نُيِّزَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّوْشَنِ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ وَرُبَاعِيَّاتٍ .

(٥) بولاق : بلاحي .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٢٤-٢٥ .
^٢ نفسه ٣٨ .
^٣ فيما تقدم ١ : ٤٠٩ .
^٤ الرُّوْشَنِ ج. الرُّوْشَنِ بمعنى النافذة أو الكوة للإضاءة ،
وأيضاً بمعنى الخرجات أو البروز في العمائر بغرض زيادة سطح
الأدوار العليا (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم :
المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٥٨) .

^٥ الرُّوْشَنِ ج. الرُّوْشَنِ بمعنى النافذة أو الكوة للإضاءة ،

وقُدِّمَتْ جِفَانُ الْقَطَائِفِ عَلَى الرَّسْمِ مَعَ الْحَلْوَى ، فَجَزَّوْا عَلَى عَادَتِهِمْ وَمَلَّأُوا أَكْصَانَهُمْ ، ثُمَّ خَرَجَ أَشْتَاذٌ مِنْ بَابِ الدَّارِ الْجَمِيلَةِ بِخَلْعٍ خَلَعَهَا عَلَى الْخَطِيبِ وَغَيْرِهِ ، وَدَرَاهِمُ تُفَرَّقُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُقَرَّرَيْنِ وَالْمُؤَدَّنِينَ ^١.

^٢ وَارْسِمَ أَنْ تُحْمَلَ الْفِطْرَةُ إِلَى قَاعَةِ الذَّهَبِ ، وَأَنْ تَكُونَ الثَّقِيفَةُ فِي مَجْلِسِ الْمَلِكِ ، وَتُعْتَبَأُ الطَّيَافِيرُ الْمَشُورَةُ الْكِبَارُ مِنَ الشَّرِيرِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، وَتُعْتَبَأُ مِنْ بَابِ الْمَجْلِسِ إِلَى ثُلُثِي الْقَاعَةِ سِمَاطًا وَاحِدًا مِثْلَ سِمَاطِ الطَّقَامِ ، وَيَكُونُ جَمِيعُهُ سَدًّا وَاحِدًا مِنْ خِلَاوَةِ الْمُؤَسِّمِ ، وَتُزَيَّنُ بِالْقَطْعِ الْمَنْفُوخِ ، فَانْتِثِلَ الْأَمْرُ .

وَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْإِيوَانِ ، وَاسْتَدْعَى الْمَأْمُونُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ ، وَغَرَضَتْ الْمِظَالُ الْمَذْهَبَةُ الْجَاوِزَةُ ، وَكَانَ الْمُقَرَّرُونَ يُلَوِّحُونَ عِنْدَ ذِكْرِهَا بِالْآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّحْلِ : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [الآية ٨١ سورة النحل] إِلَى آخِرِهَا . وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ ، وَرُفِقَتْ الشُّرُورُ ، وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّرُونَ ، وَجَدَّدَ الْمَأْمُونُ السَّلَامَ عَلَيْهِ ، وَجَلَسَ عَلَى الْمَرْجَبَةِ عَنْ يَمِينِهِ ، وَسَلَّمُ الْأَمْرَاءِ جَمِيعُهُمْ عَلَى حُكْمِ مَنَازِلِهِمْ لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ مَكَانَهُ ، وَالثَّوَابُ جَمِيعُهُمْ يَسْتَدْعُونَهُمْ بِنُقُوتِهِمْ وَتَرْتِيبِ وَفُورِهِمْ ، وَسَلَّمُ الرُّسُلِ الْوَاصِلُونَ مِنْ جَمِيعِ الْأَقَالِيمِ ، وَوَقَّفُوا فِي آخِرِ الْإِيوَانِ ، وَخَتَمَ الْمُقَرَّرُونَ وَسَلَّمُوا .

وَحَدَّثَتْ الرَّهَجِيَّةُ ، وَتَقَدَّمَ مُتَوَلِّي كُلِّ إِسْطَبْلٍ مِنَ الرُّوَاضِ وَغَيْرِهِمْ يُقْبِلُ الْأَرْضَ وَيَقِفُ ، وَدَخَلَتْ الدَّوَابُّ مِنْ بَابِ الدَّيْلَمِ ، وَالْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الرُّكَابِ بِالْمَنَادِيلِ يَتَسَلَّمُونَهَا مِنَ الشُّدَّادِينَ ، وَيَهْدُتُونَ بِهَا إِلَى ^٣ الْإِيوَانِ . وَدَوَابُّ الْمِظَلَّةِ مَتَمِّيزَةٌ عَنْ غَيْرِهَا يَتَسَلَّمُهَا الْأَسْتَاذُونَ دُونَ الْمُسْتَخْدَمِينَ ^٤ فِي الرُّكَابِ ، وَيَقْلُونَ بِهَا إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الشُّبَّاكِ الَّذِي فِيهِ الْخَلِيفَةُ .

وَكُلَّمَا غَرَضَ دَوَابُّ إِسْطَبْلٍ قَبْلَ الْأَرْضِ مُتَوَلِّيهِ وَانصَرَفَ ، وَتَقَدَّمَ مُتَوَلِّي غَيْرِهِ عَلَى حُكْمِهِ ، إِلَى أَنْ يَغْرَضَ جَمِيعُ مَا أَحْضَرُوهُ ، وَهُوَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ ، خَارِجًا عَنِ الْبَغَالِ وَمَا تَأَخَّرَ مِنَ الْجُمُشَارَاتِ ^٥ وَالْحُجُورَةِ وَالْمَهَارَى .

(a) بولاق : ويدورون بها حول . (b) بولاق : الأستاذون والمستخدمون . (c) بولاق : العشاريات .

^١ ابن المأمون : أخبار ٨٣ ، وفيما يلي ٥٩٦ - ٥٩٧ . عنوان : «بقية سباط الفطرة بقاعة الذهب وخروج الخليفة إلى

^٢ من هنا أورده المقرئ في مسودة المواظع ٢٢٩ تحت «المصلى» .

وَلَمَّا عَرِضَتِ الدُّوَابُّ ، أَبْطَلَتِ الرَّهَجِيَّةُ ، وَعَادَ اسْتِفْتَا حُكَّامِ الْمُقَرَّرِينَ ، وَكَانُوا مُخْسِنِينَ فِيمَا يَنْتَزِعُونَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَالَ ، مِثْلُ آيَةِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ : ﴿رَبِّنَا لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ﴾ [الآيَةُ ١٤ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ] إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ بَعْدَهَا ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآيَةُ ٢٦ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ] إِلَى آخِرِهَا .

- وَعَرِضَتِ الْوُحُوشُ بِالْأَجَلَّةِ الدِّيَاجِ (أ) مَزَيَّنَةً بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَعَرِضَتِ الْعِمَارَاتُ بِالْأَغْشِيَةِ الطَّمِيمِ وَالدِّيَاجِ (ب) وَالدِّيَاقِي بِبَابِ الذَّهَبِ وَالْمَنَاطِقِ وَالْأَهْلَةِ ، وَبَعْدَهَا التَّجُوبُ وَالتَّجَاتِي بِالْأَقْنَابِ الْمَلْبَسَةِ بِالذِّيْقِي الْمَلُونِ الْمُزَوَّمِ ، وَعَرِضَ السِّلَاحُ وَأَلَاثُ الْمُؤَكَّبِ جَمِيعُهَا ، وَنُصِبَتِ الْكُشَوَاتُ عَلَى بَابِ الْعِيدِ ، وَضُرِبَتِ طُولُ اللَّيْلِ .

- وَحُمِلَتِ الْفِطْرَةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي يُفْطِرُ عَلَيْهَا الْخَلِيفَةُ بِأَصْنَافِ الْجَوَازِشَاتِ بِالْمِشْكِ وَالْفُودِ وَالْكَافُورِ وَالزُّعْفَرَانِ ، وَالتَّمُورِ الْمَصْبُغَةِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مَا فِيهَا وَتُحْمَشُ بِالطَّيْبِ وَغَيْرِهِ وَتُسَدُّ وَتُخْتَمُ ، وَسُلِّمَتْ لِلْمُسْتَعْدِمِينَ فِي الْقُصُورِ ، وَغُبِّتْ / فِي مَوَاعِينِ الذَّهَبِ الْمَكْلَلَةِ بِالْجَوَاهِرِ ، وَخَرَجَتْ الْأَعْلَامُ وَالْبَنُودُ . وَرَكِبَ الْمَأْمُونُ ، فَلَمَّا حَصَلَ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ ، أَخَذَ فِي مُشَاهَدَةِ السَّمَاطِ مِنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ إِلَى آخِرِهَا .

- وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ لَوْفِيهِ مِنَ الْبَادِئِ ، وَطَلَعَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الصُّوَانِي الْمَقْدَّمِ ذَكَرَهَا ، وَاسْتَدْعَى بِالْمَأْمُونِ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ بَعْدَ أَدَاءِ حَقِّ السَّلَامِ ، وَأَمَرَ بِإِخْضَارِ الْأَمْرَاءِ الْمُمَيَّزِينَ وَالْقَاضِي وَالذَّاعِي وَالصُّيُوفِ ، وَسَلَّمَ كُلُّ مَنْهُمْ عَلَى حُكْمِ مَيَّزَتِهِ ، وَقَدِمَتِ الرُّسُلُ فَشَرَفُوا بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ ، وَالْمُقَرَّرُونَ يَتْلُونَ ، وَالْمُؤَدِّنُونَ يُهْلَلُونَ وَيُكَبِّرُونَ .

- وَكُشِفَتِ الْقَوَارِثُ الشُّرُوبُ (ب) الْمَذْهَبَاتُ عَمَّا هُوَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ ، فَبَدَأَ وَكَبَّرَ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ تَمْرَةً فَأَفْطَرَ عَلَيْهَا ، وَنَازَلَ مِثْلَهَا لَوَزِيرِهِ (ج) فَأَظْهَرَ الْفِطْرَةَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ الْخَلِيفَةُ فِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ مِنْ جَمِيعِ مَا حَضَرَ ، وَيُنَازِلُ وَزِيرَهُ مِنْهُ وَهُوَ يَقْبَلُهُ وَيَحْمِلُهُ فِي كُفِّهِ .

- وَتَقَدَّمَتِ الْأَجْلَاءُ (د) الْإِخْوَةُ وَالْأَوْلَادُ - بِعَنِي (هـ) إِخْوَةُ الْوَزِيرِ وَأَوْلَادُهُ - مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ ، وَهُوَ يُنَازِلُهُمْ مِنْ يَدِهِ ، فَيَجْعَلُونَهُ فِي أَكْمَامِهِمْ بَعْدَ تَقْبِيلِهِ ، وَأَخَذَ كُلُّ مَنْ الْحَاضِرِينَ كَذَلِكَ ، وَهُوَ يَأْكُلُ وَيَجْعَلُهُ فِي كُفِّهِ عَلَى سَبِيلِ الْهَزَكَةِ . فَمَنْ كَانَ رَأْيُهُ الْفُطُورُ أَفْطَرَ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ رَأْيُهُ أَوْمًا وَجَعَلَهُ فِي كُفِّهِ لَا يُتَّقَدُّ عَلَى أَحَدٍ فَعَلَهُ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الشرب . والمثبت من مسودة المواعظ . (c) بولاق : الوزير . (d-d) زيادة من مسودة المواعظ .

ثم قال المأمون بعد ذلك : ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة ، بل به له الشرف والميزة .
ومد يده وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه غود نبات وجعله في كفه بعد تقبيله ، وأشار إلى
الأمراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك ، وتلاوا أحكامهم ، ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ، ثم
خارج المأمون^(٥) إلى داره والجماعة في ركاياه ، فوجد الثقة فيها من صدر المجلس إلى آخره على ما
أمر به ، ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصواني الخاص . فجلس على مرتبة والأجلاء أولاده
وإخوته^(٦) ، واستدعى بالقبالي من الأمراء والقاضي والداعي والضيوف ، فحضرُوا وشرفهم^(٧)
بجلوسهم معه ، وحصل من ممرتهم بذلك ما يسطهم ، ورفعوا السير مما حضر على سبيل
الشرف ، ثم انصرفوا ، وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم ، إلى أن حبل جميع ما كان
بالدار بأسره . وانقضى حكم الفطور ، وعاد التنفيذ في غيره .

وضررت الطبول والأبواق على أبواب القصور والدار المأمونية ، وأحضرت الثغائر وفوتت على
أزبائها من الأجناد والمستخدمين ، وخرجت أزمتها القساكر فارسها وراجلها ، ونذبت الحاجب
الذي بيده الدغو لترتيب صفوفها من باب القصر إلى المصلى . ثم حضر إلى الدار المأمونية الشيوخ
المميزون ، وجلس المأمون في مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ، ورُفقت الستور ، وابتدا
المقرئون ، وسلم مؤتلي الباب والشيوخ ، ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومؤتلي الحنجة ،
وبالغ كل منهما في^(٨) هيبته وخرج لوقته وتواصلت الأمراء والمشرفون بالحنجة وقد بالغ كل منهم
في^(٩) زيهم وملبوسه ، وجزوا على رشحهم في تقبيل الأرض وغتية المجلس .

ووصل إلى الدار المأمونية التجمل الخاص - الذي يرسم الخليفة - جميعه : القضب الفضة ،
والأعلام ، والمنجقات ، والعقبات^(١٠) ، والعماريات ، ولواي حمد الوزارة^(١١) ^(d) وجميع ذلك
بالذهب والفضة والرقومات المذهبات والحريبات والخيل المسومة المختارة^(١٢) لركوب الخليفة بالمظلة
بالطميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجواهر ، وغير ذلك من التجملات .

وركب الأجل^(١٣) المأمون من داره ، وجميع الشريف^(١٤) الخاص بين يديه ، وخدمت الرهجية ومن
جملتهم القرية - وهي أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل ، تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ، ولا
تضرب قدام الوزير إلا في المايسم خاصة وفي أيام الخلع عليه - والأمراء مضطفون عن يمينه وعن

(٥) بولاق والنسخ : الوزير والمثبت من مسودة الموايعظ . (b) زيادة من مسودة الموايعظ . (c) بولاق : وشرفوا . (d-d) ساقط
من بولاق . (e) ساقطة من مسودة الموايعظ . (f) بولاق : لواي الوزارة ، النسخ : لواي الوزارة ، والمثبت من
المسودة . (g) زيادة من المسودة . (h) بولاق : التشريف .

شماله ، ويليهم إخوته ، وبعدهم أولاده . ودَخَلَ إلى الإيوان وجَلَسَ على المَرْتَبَةِ الْمُخْتَصَّةِ به ، وعن يمينه جميعُ الأَجْلَاءِ ، والمَمِيرُونَ وَثُوقُ أَمَاتِهِ ، ومن انحطَّ عنهم من بابِ المُلْكِ إلى الإيوان قِيَامٌ .

وخرَجَ^(٥) خاصَّةُ الدَّوْلَةِ رَيْحَانُ إلى المُصَلِّيِّ بالفَرْشِ الخاصِّ وآلاتِ الصَّلَاةِ ، وعلَّقَ الحِجْرَابَ بالشُّرُوبِ المَذْهَبَةِ ، وفَرَشَ فيه ثلاثَ سَجَادَاتٍ متراكبةٍ ، وباعلاها السَّجَّادَةُ اللطيفةُ التي كانت عندهم مُعَظَّمَةً - وهي قِطْعَةٌ من خَصِيرٍ دُكِرَ أَنَّهَا كانت من جُمَّلَةِ خَصِيرٍ لِحَفَفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ - عليهما السَّلَام - يُصَلِّي عليهما - وفَرَشَ الأرضَ جميعها بالخُصْرِ المحارِبِ . ثم علَّقَ على جانبي المِنْبَرِ ، وفَرَشَ بجميعِ دَرَجِهِ ، وجَعَلَ أَغْلَاهُ الخِثَّاءَ التي يَجْلِسُ عليها الخَلِيفَةُ ، وعلَّقَ اللِّوَاءَ عليه ، وَقَعَدَ تحتَ القُبَّةِ خاصَّةُ الدَّوْلَةِ رَيْحَانُ والقَاضِي ، وأُطْلِقَ البَخُورُ ، ولم يفتح من أبوابه إلَّا بَابٌ واحدٌ وهو الذي يدخل منه الخَلِيفَةُ . ويُتَعَدُّ الدَّاعِي في الدَّهْلِيزِ وَتَقْبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بين يديه ، وكذلك الأَمْرَاءُ والأَشْرَافُ والشُّيُوخُ والشُّهُودُ ومن سِوَاهُم من أَرْبَابِ الحِرْفِ ، ولا يُمكن من الدخول إلَّا مَنْ يعرفه الدَّاعِي ويكون في صَمَانِهِ .

واشْتَفَعَتِ الصَّلَاةُ ، وأَقْبَلَ الخَلِيفَةُ من قُصُورِهِ بغَايَةِ رَيفِهِ ، والعَلَمُ الجَوْهَرُ في مَنْدِيلِهِ ، وقَضِيْبُ المُلْكِ بيده ، وبنو عَمِّهِ وإخوته وأُستَاذُوهُ في رِكَابِهِ ، وتَلَقَّاهُ المَقْرُونُونَ عند وُضُوءِهِ والخَوَاصُّ ، واستدعى بالمَأْمُونِ ، فقتَدَمَ بمفرده وقَبَّلَ الأرضَ ، وأَحْذَى السَّيْفَ والرُّمَحَ من مُقَدِّمِي خَزَائِنِ الكُشُورَةِ ، والرَّهَجِيَّةِ تَخْدِيمَ ، وحَمَلَ لِيَوَاءِ الحَمْدِ بين يديه إلى أن خَرَجَ من بابِ العِيدِ ، فَوَجَدَ المِظْلَةَ قد نُشِيرَتْ عن يمينه ، والذي بيده الدُّعْوُ في ترتيبِ الحُجَّةِ لَمَنْ شَرَفَ بها لا يَتَعَدَّى أَحَدٌ حُكْمَهُ . وسَارَ المَوْكِبُ^(٦) بالجَنَائِبِ الخاصِّ / وَخَيْلُ التَّخَافِيفِ وَمَصْنَعَاتُ القَسَاكِرِ ، والطَّوَائِفُ جميعها بِرِيفِهَا ورَايَاتِهَا وَرَاءَ المَوْكِبِ إلى أن وَصَلَ إلى قَرِيبِ المُصَلِّيِّ ، والعَمَّارِيَاتُ والزَّرَافَاتُ . وقد شَدَّ على الفَيْتَلَةِ بِالأَسْرَةِ مملوءَةً رِجَالًا مُشَبَّكَةً بِالسَّلَاحِ لا يَجِبْنَ مِنْهُمْ إلَّا الأَخْدَاقُ ، وبأَيْدِيهِم السُّيُوفُ المَجْرُودَةُ والدَّرَقُ الحَدِيدُ الصَّيْنِي ، والعَسَاكِرُ قد اجتمعت وترادفت صُفُوفًا من الجَنَابِينَ إلى بابِ المُصَلِّيِّ ، والنُّظَّارَةُ قد تَلَأَتِ القَضَاءَ لِمَشَاهِدَةِ مَا لَمْ يَأْلَفُوهُ^(٧) ، والمَوْكِبُ سَائِرٌ بِهِمْ . وقد أَحَاطَ بالخَلِيفَةَ وَالْوَزِيرَ صِيْبَانُ الخاصِّ ، وبعدهم الأَجْنَادُ بِالدُّرُوعِ المُشْبَلَةِ ، والزُّرْدِيَّاتِ بِالمَغَايِرِ مُلْتَمَّةٌ ، والثَّرُوكُ^(٨) الحَدِيدُ بِالصَّمَاصِمِ والدَّبَائِسِ .

(a) بولاق : ويخرج . (b) بولاق : رسائر المواكب . (c) بولاق : يبلغوه . (d) بولاق : البروك .

ولما طَلَعَ الموكِبُ من زِنْتَةِ المَصْلَى، تَرَجَّلَ مُتَوَلِّيُ البابِ والحُجَابِ، وَوَقَفَ الخَلِيفَةُ بجمعه بالمِظْلَةِ إلى أن اجْتَازَ المَأْمُونُ رَاكِبًا بَيْنَ حَوْلِ رِكَابِهِ، وَرَدَّ الخَلِيفَةُ السَّلَامَ عَلَيْهِ بِكُفِّهِ، وَصَارَ أَمَامَهُ، وَتَرَجَّلَ الأَمْرَاءُ الْمُتَمَيِّزُونَ والأُسْتَاذُونَ المُحْكَمُونَ بَعْدَهُمْ وَجَمِيعُ الأَجْلَاءِ، وَصَارَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدُا بالسَّلَامِ عَلَى الوَازِرِ ثُمَّ عَلَى الخَلِيفَةِ إلى أن صَارَ الجَمِيعُ فِي رِكَابِهِ .

• ولم يَدْخُلْ من بابِ المَصْلَى رَاكِبًا غَيْرَ الوَازِرِ خَاصَّةً، ثُمَّ تَرَجَّلَ عَلَى بَابِهِ الثَّانِي إِلَى أَنْ وَصَلَ الخَلِيفَةُ إِلَيْهِ، فَاسْتَدْعَى بِهِ، فَسَلَّمَ وَأَخَذَ الشَّكِيَّةَ بِيَدِهِ إِلَى أَنْ تَرَجَّلَ الخَلِيفَةُ فِي الدُّهْلِيِّ الأَخْرَ، وَقَصَدَ الحِجْرَابَ والمُؤَدَّنُونَ يُكَبِّرُونَ قُدَّامَهُ .

وَاسْتَفْتَحَ الخَلِيفَةُ فِي الحِجْرَابِ، وَشَامَتَهُ فِيهِ وَزِيُوهُ، والقَاضِي وَالدَّاعِي عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، لِيُصَلُّوا التَّكْبِيرَ لَجَمَاعَةِ المُؤَدَّنِينَ من الجَانِبِينَ، وَيُتَّصِلَ مِنْهُمْ التَّكْبِيرُ إِلَى مُؤَدَّنِي مُصَلَّى الرِّجَالِ والنِّسَاءِ الخَارِجِينَ عَلَى المَصْلَى الكَبِيرِ، وَكَاتِبِ الدُّسْتِ وَأَهْلِهِ وَمُتَوَلِّي دِيْوَانِ الإِنشَاءِ يُصَلُّونَ تَحْتَ عَقْدِ المِئْبَرِ، وَلَا يُمَكِّنُ غَيْرُهُمْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ .

ولما قَضَى الخَلِيفَةُ الصَّلَاةَ وَهِيَ رَكْعَتَانِ : قَرَأَ فِي الأَوَّلَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ^(أ) وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفَّاثَةِ﴾ [الآية ١ سورة الفاتحة]، وَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَرَكَعَ وَسَجَدَ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالفَاتِحَةِ وَسُورَةِ ﴿وَالشُّمُسِ﴾ وَضَحَّاهَا [الآية ١ سورة الشمس]، وَكَبَّرَ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ - وَهَذِهِ سُنَّةُ الجَمِيعِ وَمَنْ يَتُوبُ عَنْهُمْ فِي صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ عَلَى الاستِمْرَارِ - وَسَلَّمَ وَخَرَجَ مِنَ الحِجْرَابِ وَعَطَفَ عَنْ يَمِينِهِ، وَالْحَوْضُ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ كَانَ خَصِيصًا بِهِ، وَصَعِدَ المنِيرُ بِالحُشُوعِ والسَّكِينَةِ، وَجَمِيعُ مَنْ بِالْمَصْلَى وَالبَرِيَّةِ^(ب) لَا يَسَامُ نَظَرُهُ، وَيُكَبِّرُونَ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ . وَلَمَّا حَصَلَ فِي أَعْلَى المِئْبَرِ أَشَارَ إِلَى الأَجَلِ^(ج) المَأْمُونِ فَقَبَّلَ الأَرْضَ، وَسَارَعَ فِي الطَّلُوعِ إِلَيْهِ وَأَدَّى مَا يَجِبُ مِنْ سَلَامِهِ وَتَعْظِيمِ مَقَامِهِ وَوَقَفَ بِأَعْلَى دَرَجَةٍ . وَأَشَارَ إِلَى القَاضِي فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَ كُلَّ دَرَجَةٍ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ، وَقَفَ عِنْدَهَا، وَأَخْرَجَ الدُّعَا مِنْ كُفِّهِ وَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَاسْتَدْعَى^(د) بَيْنَ تَضَمُّنِهِ، وَهُوَ مَا بَجَزَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ تَسْمِيَةِ يَوْمِ الْعِيدِ وَشُتْتِهِ وَالدُّعَاءَ لِلدُّوْلَةِ، وَكَانَتْ الْحَالُ فِي أَيَّامِ وَرَزَاءِ الأَقْلَامِ وَالشُّيُوفِ إِذَا حَصَلَ الخَلِيفَةُ فِي أَعْلَى بَقِي الوَازِرُ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَأَشَارَ الخَلِيفَةُ إِلَى القَاضِي، فَتَقَبَّلَ الأَرْضَ وَتَطَلَّعَ إِلَى الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ وَيُخْرِجُ الدُّعَا مِنْ كُفِّهِ وَيَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَذْكُرُ يَوْمَ الْعِيدِ وَشُتْتِهِ وَالدُّعَاءَ لِلدُّوْلَةِ، ثُمَّ يُسْتَدْعَى بِالْوَازِرِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَضَعُ بَعْدَ القَاضِي . فَرَاغَ الخَلِيفَةُ ذَلِكَ الأَمْرَ فِي حَقِّ الوَازِرِ، فَجَعَلَ الإِشَارَةَ مِنْهُ إِلَيْهِ أَوَّلًا، وَرَفَعَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا مِثْلَ غَيْرِهِ، وَجَعَلَهَا لَهُ مِيزَةً عَلَى غَيْرِهِ ثُمَّ تَقَدَّمَ، وَاسْتَمَرَّتْ فِيمَا بَعْدَ .

وَأَشْتَفَتِ الْخَلِيفَةُ بِالتَّكْبِيرِ الْجَارِي بِهِ الْعَادَةُ فِي الْفِطْرِ وَالْخُطْبَتَيْنِ إِلَى آخِرِهِمَا ، وَكَثُرَ الْمُؤَذِّنُونَ ، وَرُفِعَ اللَّوَاءَانِ ، وَتَرَجَّلَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ مَوَاضِعِهِ ، كَمَا كَانَ رُكُوبُهُ ، وَصَارَ الْجَمِيعُ فِي رِكَابِ الْخَلِيفَةِ ، وَجَرَى الْأَمْرُ فِي رُجُوعِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ ، وَمَضَى إِلَى ثُرْبَةِ آبَائِهِ^١ ، وَهِيَ سِتُّهُمْ فِي كُلِّ رَكْبَةٍ بِمِظْلَةٍ ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِحْجَةٌ ، مَعَ صَدَقَاتٍ وَرُسُومٍ تُفْرَقُ^٢ .

- وَأَمَّا الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ وَالْأَمْرَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَابِ الذَّهَبِ ، فَدَخَلَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ بِالْوُضُوءِ إِلَى دَارِهِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سِمَاطِ الْعِيدِ عَلَى عَادَتِهِ . وَلَمَّا حُلَّ^٣ الْمَأْمُونُ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ ، وَجَدَ الشُّرُوعَ قَدْ وَقَعَ مِنَ الْمُسْتَخْدِمِينَ بِتَقْيِيقِ السَّمَاطِ ، فَأَمَرَ بِتَفْرِيقِ الرُّسُومِ عَلَى أَرْبَابِهَا ، وَهُوَ مَا يُحْتَمَلُ إِلَى مَجْلِسِ الْوِزَارَةِ بِرِسْمِ الْحَاشِيَةِ . وَلِكُلِّ مَنْ حَاشِيَةِ أَوْلَادِهِ وَإِخْوَتِهِ ، وَكَاتِبِ الدُّسْتِ ، وَمُتَوَلِّيِ لِحْجَةِ الْبَابِ ، وَمُتَوَلِّيِ الدِّيَّانِ ، وَكَاتِبِ الدُّفْتَرِ ، وَالتَّائِبِ لِكُلِّ مِنْهُمْ رِسْمٌ يُصَرَّفُ قَبْلَ مَجْلُوسِ الْخَلِيفَةِ ، وَعِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَسْطِطَةِ لِغَيْرِ الْمَذْكُورِينَ عَلَى قَدَرِ مَنْزِلَةِ كُلِّ مِنْهُمْ .

ثُمَّ حَضَرَ أَبُو الْفَضَائِلِ بْنُ أَبِي اللَّيْثِ^٤ ، وَاسْتَأْذَنَ عَلَى طَيَافِيرِ الْفِطْرَةِ الْكِبَارِ الَّتِي فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَمَرَهُ الْوَزِيرُ بِأَنْ يَتِمَدَّ فِي تَفْرِيقِهَا عَلَى مَا كَانَ يَتِمَدُّ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ ، وَهُوَ لِكُلِّ مَنْ يَضَعُ الدُّفْتَرَ مَعَ الْخَلِيفَةِ طَيِّقُور .

- ١٥ فَلَمَّا أَخَذَ الْخَلِيفَةُ رَاحَةً بَعْدَ مُضِيِّهِ إِلَى الثُّرْبَةِ ، جَلَسَ عَلَى الشَّرِيرِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَائِدَةُ اللَّطِيفَةُ الذَّهَبُ بِالْمِينَا مَعْبُوءَةٌ بِالزُّبَادِي الذَّهَبِ ، وَاسْتَدْعَى الْوَزِيرَ ، وَاصْطَفَى النَّاسَ مِنَ الْمَذْكُورَةِ^٥ ، إِلَى آخِرِ السَّمَاطِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَرُفِعَتِ الشُّتُورُ وَأَشْتَفَتِ الْمَقَرُّونَ ، وَوَفِيَ الدَّوْلَةُ إِشْعَافَ مُتَوَلِّيِ الْمَائِدَةِ مَشْدُودُ الْوَسَطِ ، وَمُقَدَّمُ خِزَانَةِ الشُّرْبِ بِيَدِهِ شُرْبَةٌ فِي مَرْقَعِ ذَهَبٍ وَغِطَاءُ مُرَصَّعَتَيْنِ

(a) بولاق : دخل .

١ ولعل أبا المحاسن نقله من كتاب «أساس السياسة» ، الذي نقل عنه أبو المحاسن في ترجمة المعز (النجوم الزاهرة ٤: ٤٩٠ س ٦) .

٢ الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبي الليث متولي الدفتر .

٣ المذكرة . انظر فيما تقدم ٢٩٤ .

٤ أي الثربة المعزية أو ثربة الزُّهْرَانِ (انظر فيما تقدم ٣٥٢ و٤٦٢) .

٥ قارن مع أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ١٧٦-١٧٨ ومصدره هو تاريخ ابن أبي المنصور المعروف بعلي بن ظافر الأزدي (انظر القاسي : العقد الثمين ٤: ٧٢، ٧٥) . والنص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب أخبار الدول المنقطعة،

بالجواهر والياقوت، ومُتَوَلَّى خَزَائِن الإِنْفَاق بيده خَريطةٌ تَمْلُوءُ دنانير لمن يقف يَطْلُبُ صَدَقَةً وإِعْثَاءً، فيؤمر بما يُدْفَعُ / إليه، وتُفَرِّقُ الرُّشُومُ الجاري بها العادة .

وَلَعِبَتِ المُنَافِقُونَ^(٥) والتَّخَيُّرِيَّةُ^(١)، وتَنَاقَبَ القُرَّاءُ والمُنَشِّدُونَ وأُزْحِيتِ الشُّتُورُ، وعُجِبَ السَّمَاطُ ثانيًا على ما كان عليه أَوَّلًا، ثم رُفِعَتِ الشُّتُورُ، وجَلَسَ على المَدْوَرَّةِ والسَّمَاطُ من جَرَّتِ العَادَةُ به، وفُرِّقَتِ الدَّنَائِرُ على المقرئين والمنشدين والتَّخَيُّرِيَّةِ والمُنَافِقِينَ^(٥)، ومن هو معروفٌ بكثرة الأكل . ونُهَيْتِ قُصُورُ الحَلَاوَةِ^(٥)،^(٥) وانقضى حُكْمُ السَّمَاطِ^(٥) وأُزْحِيتِ الشُّتُورُ، وأَعْضَرَ مُتَوَلَّى خِزَانَةِ الكُشُورَةِ الخاصَّ للخَلِيفَةِ بَذْلَةً إلى أعلى السرير خَشَبَ ما كان أمره، فَلَبِسَهَا وَخَلَعَ الثَّيَابَ التي كانت عليه على الوزير بعد ما بَالَعَ في شُكْرِهِ والتَّنَاءِ عليه .

وتَوَجَّهَ إلى داره، فَوَصَلَ إليه من الخَلِيفَةِ الصَّوَانِي الخاصَّ المكَلَّمَةَ معبأةً على ما كانت بين يديه، وغيرها من الموائد، وكذلك إلى أولاده وإخوته صينية صينية، ولكاتب الدشت والمتَوَلَّى^(d) حُجْبَةُ الباب مثل ذلك . ويَكْرَهُ^(٥) الوزيرُ بِجُلُوسِهِ في دارِهِ مُعَلَّسًا^(f)، ويُسَارِعُ النَّاسُ على طبقاتهم لهْنَاهُ^(g) بالعيد والخلع، وبما جَرَى في صُغُود المنبر، وَخَضَرَ الشُّعْرَاءُ^١ وأُسْنِيتَ لهم الجَوَائِزُ .

وجَرَى الحالُ يومئذٍ في جُلُوسِ الخَلِيفَةِ وفي السَّلامِ لَجَمِيعِ الشُّيُوخِ والقُصَاةِ والشُّهَدَاءِ والأُمَرَاءِ والكَتَّابِ ومُقَدِّمِي الرِّكَابِ والتَّصَدِّقِينَ بالجَوَامِيعِ والفُقَهَاءِ والقَاهِرِينَ والمَصْرِيْنَ واليَهُودَ برُئِيسِهِم والتَّصَارِيْ بِطَرِيقِهِمْ، على ما جَرَّتْ به عَادَتُهُمْ، وَخَتَمَ المقرئون، وَقَدِمَتِ الشُّعْرَاءُ على طَبَقَاتِهِمْ إلى آخرهم، وَجُدَّدَ لِكُلِّ من الحَاضِرِينَ سلامه .

وانكفأ الخَلِيفَةُ إلى البَادِئِ نَجْدٍ لأداءِ قَرِيبَةِ الصَّلَاةِ والراحَةِ بِمِقْدَارِ ما عُجِبَتِ المَائِدَةُ الخاصَّ، واستحضر المَأْمُونُ وأولاده وإخوته،^(h) والخَلِيفَةُ جَالِسٌ وأخواه جَفَعَرٌ وعبد الصَّمَدِ على يَسَارِهِ، وأَجْلَسَ المَأْمُونُ عن يمينه وأولاده^(h) على عَادَتِهِمْ، واسْتَدْعَى من شَرَفَ بِحُضُورِ المَائِدَةِ - وهم :

(a) بولاق : المنافقون . (b) بولاق : الخليفة . (c-c) زيادة من مسودة المواظع . (d) بولاق : متولي . (e) بولاق : كبير . (f) بولاق : معلنا . (g) زيادة من المسودة . (h-b) ساقطة من بولاق .

^١ التَّخَيُّرِيَّةُ (التَّخَيُّرِيَّةُ) . قومٌ لا نعرف على وجه التحديد دورهم أو وظيفتهم انفراد بذكرهم ابن المائتون وابن الطُّوْزَرِ، ويبدو من خلال نص ابن الطُّوْزَرِ (فيما يلي ٤٩٤، وكذلك ٥٥٦) أنهم كانوا يؤدون أَلْمَانَا بهلوانية أثناء سير موكب الخليفة في موسم فتح الخليج .

^٢ حَدَّدَ المقرئ هؤلاء الشعراء في المسودة وهم : أحمد ابن مَرْجُوح بن سابق وظافر الحَدَّاد والقاضي أبو الفتح بن قادوس ومجير الدين أبو جعفر ومسعود الدولة أبو علي حسن ابن خَيْدَرَةُ المُقَدَّم على الشعراء .

الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ كَاتِبُ الدُّسْتِ، وَأَبُو الرُّضَا سَالِمُ ابْنِهِ، وَتَوَتَّلَى حُجْبَةُ الْبَابِ، وَظَهَرَ الدِّينُ الْكُتَامِي - عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْحَالُ قَبْلَ الصَّيَامِ، وَانْقَضَى حُكْمُ الْعِيدِ^١.

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: إِذَا قَرُبَ آخِرُ الْعَشْرِ الْأَخْرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ الزُّيُّ مِنْ أَمَاكِنِهِ عَلَى مَا وَصَفْنَا - بِعَنِي^٢ فِي رُكُوبِ أَوَّلِ الْعَامِ - وَلَكِنْ فِيهِ زِهَادَاتُ يَأْتِي ذِكْرُهَا، وَيُرَكَّبُ فِي مُسْتَهْلِ سُؤَالٍ بَعْدَ تَمَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَعِدَّتُهُ عِنْدَهُمْ أَبَدًا ثَلَاثُونَ يَوْمًا^٣. فَإِذَا تَهَيَّأَتِ الْأُمُورُ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ وَالْأُمَرَاءِ وَأَزْيَابِ الرَّتَبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَصَارَ الْوَزِيرُ بِجَمَاعَتِهِ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ، زَكَبَ الْخَلِيفَةُ بِهَيْعَةِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْمِظْلَةِ وَالْيَمِينَةِ وَالْآلَاتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهَا، وَلِبَاشُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ - (الَّذِي هُوَ عِيدُ الْفِطْرِ^٤) - الثِّيَابِ الْبَيَاضِ الْمَوْشَحَةِ الْمَجْمُومَةِ وَهِيَ أَجْلُ لِبَاسِهِمْ، وَالْمِظْلَةُ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا أَبَدًا تَابِعَةٌ لثِيَابِهِ كَيْفَ كَانَتْ الثِّيَابُ كَانَتْ^٥، وَيَكُونُ خُرُوجُهُ مِنْ بَابِ الْعِيدِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَالزِّيَادَةُ ظَاهِرَةٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي الْعَسَاكِرِ^٦ وَالْأَجْنَادِ وَالْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ^٧، وَقَدْ انْتَضَمَ الْقَوْمُ لَهُ صَفِّينَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ إِلَى بَابِ الْمُصَلَّى^٨.

وَيَكُونُ صَاحِبُ تَيْتِ الْمَالِ قَدْ تَقَدَّمَ عَلَى التُّرُثِ لِقَرَشِ الْمُصَلَّى - (كَمَا عَمِلَ فِي الْجَوَامِعِ^٩) - فَيَفْرَشُ الطُّرُوحَاتِ عَلَى رَسْمِهَا فِي الْحِجَابِ مُطَابِقَةً، وَيَعْلَقُ أَيْضًا^{١٠} سَتْرَيْنِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً: فِي الْأَيْمَنِ «الْبَشْمَلَةُ وَالْفَاتِحَةُ» وَ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» [الآيَةُ ١ سُورَةُ الْأَعْلَى]، وَفِي الْأَيْسَرِ مِثْلَ ذَلِكَ وَ «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْقَاشِيَةِ» [الآيَةُ ١ سُورَةُ الْقَاشِيَةِ]، ثُمَّ يَرْكُزُ فِي جَانِبِ الْمُصَلَّى لَوَاعِثِنِ مَشْدُودِينَ (مِثْلَ ذَلِكَ^{١١}) عَلَى رُفُوحَيْنِ مَلْبَسِينَ بِأَنْبَاطِ الْفِصَّةِ، وَهُمَا مُسْتَوْرَانِ مَرْخِيَانِ.

(a) زيادة من المسودة . (b-b) ماقطة من بولاق . (c-c) زيادة من للمسودة . (d) زيادة من المسودة .

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٨٤-٨٩، المقرئ: مسودة المواظ ٢٢٩-٢٣٩.

^٢ تبعاً للمذهب الإسماعيلي يتم صوم رمضان وفطره بالرؤية والحساب جميعاً، واعتبروهما كالظاهر والباطن، إذا أشكل الأمر في أحدهما اتس في الآخر. فاللهال كالظاهر لأنه مشاهد، والحساب كالباطن لأنه معقول وهو يستعمل من أول كل سنة ثم يراعى طلع الهلال، فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن وزال الإشكال. (المجالس المستصرية، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة ١٩٤٧، ١٢٨-١٢٩؛ وانظر المقرئ: اتعاط ٦٧:٢، ٨٧، أها

^٣ الفلقشندي: صبح الأعشى ٤٦٩:٣؛ وفيما تقدم

فَيَدْخُلُ الْخَلِيفَةُ مِنْ شَرْقِي الْمَصَلَّى إِلَى مَكَانٍ لِيَسْتَرِيحَ فِيهِ دَقِيقَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مَحْفُوظًا كَمَا يُحْفَظُ فِي جَامِعِ الْقَاهِرَةِ - ^(a) (يعني أَنَّهُ يَخْرُجُ مَاشِيًا وَحَوَالِيهِ الْأُسْتَاذُونَ الْمُحْتَكَونَ وَالْوُزَيْرُ وَرَاءَهُ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْحَوَاصِ وَيَأْيِدِيهِمُ الْأَسْلِحَةُ مِنْ صِيبِيَانِ الْخَاصِ وَهُمْ أُمَرَاءُ وَعَلَيْهِمْ هَذَا الْأَسْمُ ^(b) - فَيَصِيرُ إِلَى الْحِرَابِ ، وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ الْعِيدِ بِالتَّكْبِيرَاتِ الْمَسْنُونَةِ ، وَالْوُزَيْرُ وَرَاءَهُ وَالْقَاضِي ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مَا هُوَ مَرْقُومٌ فِي السَّيْرَيْنِ تَذْكَارًا ^(c) .

فَإِذَا قَرَعَ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِثْبَرُ لِلْحَطَابَةِ الْعِيدِيَّةِ يَوْمَ الْفِطْرِ ، فَإِذَا جَلَسَ فِي الدُّرْوَةِ - وَهَنَاكَ ^(d) طَرَاخَةُ سَامَانَ أَوْ ذَيْقِي عَلَى قَدْرِهَا ، وَبَاقِيَهُ يُنْتَرُ بِيَاضٍ عَلَى مِقْدَارِهِ فِي تَقْلِيعِ دَرَجِهِ ، وَهُوَ مُضْبُوطٌ لَا يَتَغَيَّرُ - فَيَرَاهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْجَمْعِ جَالِسًا فِي الدُّرْوَةِ . وَيَكُونُ قَدْ وَقَفَ أَشْفَلُ الْمِثْبَرِ الْوُزَيْرُ ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ ، وَصَاحِبُ الْبَابِ وَاسْتَفْهَسَ الْأَسَاكِرَ ، وَصَاحِبُ الشَّيْفِ ، وَصَاحِبُ الرِّسَالَةِ ، وَزِمَامُ الْقَضَرِ ، وَصَاحِبُ دَفْتَرِ الْمَجْلِسِ ، وَصَاحِبُ الْمِظَلَّةِ ، وَزِمَامُ الْأَشْرَافِ الْأَقَارِبِ ، وَصَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ ، وَحَامِلُ الرُّومَحِ ، وَنَقِيبُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ ، وَوَجْهُ الْوُزَيْرِ إِلَيْهِ ، فَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِالصُّعُودِ ^(e) فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ ^(d) وَيَقْرُبُ وَقُوفَهُ مِنْهُ ، وَيَكُونُ وَجْهُهُ مُوَازِيًا رَجْلَيْهِ فَيَقْبَلُهُمَا بِحَيْثُ يَرَاهُ الْعَالَمُ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَقِفُ عَلَى يَمِينِهِ الْخَلِيفَةُ ^(e) .

فَإِذَا وَقَفَ أَشَارَ إِلَى قَاضِي الْقَضَاةِ بِالصُّعُودِ ^(d) ، فَيَصْعَدُ إِلَى سَابِعِ دَرَجَةٍ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ صَاعِتًا لَمَّا يَقُولُ ، فَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ ^(d) ، فَيَخْرِجُ مِنْ كُمِهِ مِذْرَجًا قَدْ أُخْضِرَ إِلَيْهِ أَمْسَ مِنْ دِهْوَانِ الْإِنْتِشَاءِ بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَالْوُزَيْرِ ، فَيُعْلَنُ بِقِرَاءَةِ مَضْمُونِهِ ، فَيَقُولُ :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، تَبَيَّنَ بَيْنَ شُرُوفِ بَصُغُودِهِ الْمِثْبَرِ الشَّرِيفِ فِي يَوْمٍ كَذَا - وَهُوَ عِيدُ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ كَذَا - مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُتْبَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، بَعْدَ صُغُودِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَتُقُوتِهِ الْمَقْرُورَةِ وَدُعَائِهِ الْمُحَرَّرِ » .

فَإِنْ أَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُشْرَفَ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْوُزَيْرِ وَإِخْوَتِهِ ، اسْتَدْعَاهُ الْقَاضِي بِالثَّبَتِ ^(f) الْمَذْكُورِ ، ثُمَّ يَتْلُو ذَلِكَ ذِكْرَ الْقَاضِي الْمَذْكُورِ ^(d) - وَهُوَ الْقَارِئُ - فَلَا يَتَسَّعُ لَهُ أَنْ يَقُولَ عَنْ نَفْسِهِ تُعُوتُهُ وَلَا دُعَاءَهُ ، بَلْ يَقُولُ الْمَمْلُوكُ قُلَانُ بْنُ قُلَانٍ . وَكَانَ ^(d) قَرَاهُ مَرَّةً الْقَاضِي ابْنَ أَبِي

(a-a) زيادة من المسودة . (b) زيادة من المسودة . (c) المسودة : المذكورة . (d) زيادة من المسودة . (e) المثبت من المسودة ، وفي بولاق على يمينه . (f) بولاق : بالثبت .

عَقِيل^١، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى اسْمِهِ قَالَ: «الْعَبْدُ الذَّلِيلُ الْمُعْتَرِفُ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ فِي الْمَقَامِ الْجَلِيلِ أَحْمَدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ»؛ فَاِسْتُخْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ. ثُمَّ خَذَا خَذَوَهُ الْأَعَزُّ بْنُ سَلَامَةَ^٢ - وَقَدْ اسْتَقْبَضِي فِي آخِرِ الْوَقْتِ - فَقَالَ: «الْمَقْلُوكُ فِي مَحَلِّ الْكِرَامَةِ، الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَاءِ أَصْدَقُ غَلَامَةٍ، حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَلَامَةَ»^٣. ثُمَّ يَسْتَدْعِي مَنْ ذَكَرْنَا وَقَوْفَهُمْ عَلَى بَابِ الْمُنْبَرِ بِتُغُوتِهِمْ وَذَكَرَ خِدْمَتِهِمْ وَدُعَائِهِمْ عَلَى التَّرْتِيبِ.

فَإِذَا طَلَعَ الْجَمَاعَةُ - وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَعْرِفُ مَقَامَهُ فِي الْمُنْبَرِ بِمَنْزِلَتِهِ - (هـ) فَإِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ يَطْلُعُ (هـ) أَشَارَ الْوَزِيرُ إِلَيْهِمْ، فَأَخَذَ مَنْ هُوَ فِي (ب) كُلِّ جَانِبٍ يَدَهُ نَصِييًّا مِنَ الْوَلَاءِ الَّذِي بِجَانِبِهِ، فَيَسْتُرُ الْخَلِيفَةَ وَيَسْتُرُونَ، وَيُنَادِي فِي النَّاسِ بِأَنْ يُنْصِتُوا. فَيَخْطُبُ الْخَلِيفَةُ الْخُطْبَةَ (هـ) مِنَ الْمَسْطُورِ عَلَى الْعَادَةِ، وَهِيَ خُطْبَةٌ بَلِيغَةٌ مُوَافِقَةٌ لِلذَّكَاءِ الْيَوْمِ^٣. فَإِذَا فَرَغَ الْقَيِّ كُلُّ مَنْ فِي يَدِهِ مِنَ الْوَلَاءِ شَيْءٌ خَارِجَ الْمُنْبَرِ، فَيَنْكَشِفُونَ (هـ) كَمَا كَانُوا قَبْلَ يُسْتُرُونَ (هـ)، وَيَنْزِلُونَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا الْأَقْرَبُ فَأَلْقَرَبُ إِلَى الْقَهْقَرَى.

فَإِذَا خَلَا الْمُنْبَرُ مِنْهُمْ، قَامَ الْخَلِيفَةُ هَائِطًا، وَدَخَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ، فَلَبِثَ يَسِيرًا (د) وَرَكِبَ فِي زِيَّهِ الْمَفْخَمِ، وَعَادَ مِنْ طَرِيقِهِ بَعِيْنَهَا إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ (ع) الْقَصْرِ، فَيَتَقَدَّمُهُ الْوَزِيرُ كَمَا سَرَّخْنَا^٤. ثُمَّ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْعِيدِ فَيَجْلِسُ فِي الشُّبَّاكِ وَقَدْ نُصِبَ مِنْهُ إِلَى فَسْطَاتِهِ كَانَتْ فِي وَسْطِ الْإِيوَانِ (هـ)، بِمَقْدَارِ عَشْرِينَ قَصْبَةً سِيْمَاطٍ مِنَ الْخُشْبَانِ وَالْبَسْتَنُودِ وَالْبَرْمَازُودِ مِثْلَ الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَفِيهِ الْقِطْعَةُ وَزَنْهَا مِنْ رُغْعٍ قِنْطَارٍ إِلَى رُطْلٍ. فَيَدْخُلُ ذَلِكَ الْجَمْعُ إِلَيْهِ، وَيُفْطِرُ مِنْهُ

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: من. (c) زيادة من المسودة. (d) المسودة: ثم يلبث ليلة بسيرة. (e) المسودة: الفلسفة التي كانت في وسط الإيوان.

^١ قاضي القضاة الأعز أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن ابن أحمد بن أبي عقيل تولى القضاء في الحرم سنة ٥٣١ إلى حين وفاته في شعبان سنة ٥٣٣. (ابن ظافر: أخبار ١١٠١ ابن مسير: أخبار ١٢٨، ١٣١) المقرئ: المقفى ٩١:١ وامتاع ١٧٧:٣ ابن حجر: رفع الإصر ٥٩ - ٦٠).

^٢ القاضي الأعز أبو محمد الحسن بن علي بن سلامة المعروف بابن القرويس، تولى القضاء في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٩ عوضًا عن أبي القاسم هبة الله المعروف بالقاضي

المفضل ضياء الدين بن أبي كامل. (المقرئ: امتاع ٣:٢٧٨ ابن حجر: رفع الإصر ١٢٨ - ١٢٩ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٥٣).

^٣ انظر نص عِدَّة خُطْبٍ لِأَمْرٍ بِأَحْكَامِ اللَّهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ عند عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧: ٢٢٣ - ٢٣١.

^٤ انظر فيما تقدم ٤٧٦: ١ - ٥، وقد أورد المقرئ بعد ذلك في المسودة ما سبق شرحه.

من يُفْطِر، وَيَنْتَقِلُ مِنْهُ مَنْ يَنْتَقِلُ، وَيُنَاحِ وَلَا يُخَجِّرُ عَلَيْهِ، وَلَا مَانِعٌ دُونَهُ. فَيَمُرُّ ذَلِكَ بِأَيْدِي النَّاسِ،
وَلَيْسَ هُوَ مِمَّا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُغْنِي عَمَّا^(a) يَفْرُقُ لِلنَّاسِ وَيُخْتَمِلُ إِلَى دَوْرِهِمْ. وَيُعْمَلُ فِي هَذَا الْيَوْمِ سِمَاطٌ
مِنَ الطَّعَامِ فِي الْقَاعَةِ - يَعْنِي قَاعَةَ الذَّهَبِ^(b) يَحْضُرُ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ.

فَإِذَا انْقَضَى ذُو الْقَعْدَةِ، وَهَلْ هِلَالٌ ذِي الْحِجَّةِ، اهْتَمَّ بِرُكُوبِ عِيدِ النَّخْرِ فَيَجْرِي حَالَهُ كَمَا
يَجْرِي فِي عِيدِ الْفِطْرِ مِنَ الرِّيِّ وَالرُّكُوبِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَيَكُونُ لِيَأْسُ الْخَلِيفَةِ فِيهِ الْأَحْمَرُ الْمَوْشَّحُ،
وَلَا يَنْخَرَمُ مِنْهُ شَيْءٌ^١. انْتَهَى.

وَصَبِعَ مَرَّةَ الْخَلِيفَةُ الْحَافِظُ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبُو الْمَيْمُونِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْمُنْتَبِزُ يَوْمَ عِيدِ، فَوَقَّفَ الشَّرِيفُ بْنُ
أَتَسِ الدَّوْلَةَ بِإِزَائِهِ، وَقَالَ مُشِيرًا إِلَى الْحَاضِرِينَ:

[الطويل]

تُحْشَوْعًا فَإِنَّ اللَّهَ هَذَا مَقَامُهُ وَهَمَّشًا فَهَذَا وَجْهُهُ وَكَلَامُهُ
وَهَذَا الَّذِي فِي كُلِّ وَقْتٍ يُرْوَرُهُ تَحِيَّاتُهُ مِنْ رَبَّنَا وَسَلَامُهُ

فَضَرَبَ الْحَافِظُ الْجَانِبَ الْأَيْسَرَ مِنَ الْمُنْتَبِزِ، فَرَقَى إِلَيْهِ زِمَامُ الْقَصْرِ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لِلشَّرِيفِ
حَسْبُكَ قَضَيْتُ حَاجَتَكَ، وَلَمْ يَدَّعِهِ يَقُولُ شَيْئًا آخَرَ.

وَكَانَتْ تُكْتَبُ الْمُخَلِّقَاتُ^٢ بِرُكُوبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَصَلَاةِ الْعِيدِ، وَيُتَعَمَّقُ بِهَا إِلَى الْأَعْمَالِ. فَمِمَّا
كُتِبَ بِهِ مِنْ لُتْشَاءِ ابْنِ الصُّيُوفِيِّ:

«أَمَا تَعُدُّ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِمَادَ الْإِيمَانِ وَثَبَّتَ
قَوَاعِدَهُ، وَأَعَزَّ بِخِلَافَتِهِ مُتَعَتِّدَهُ وَأَذَلَّ بِمَهَابَتِهِ مُعَانِدَهُ، وَأَظْهَرَ مِنْ نُورِهِ مَا
انْبَسَطَ فِي الْآفَاقِ وَزَالَ مَعَهُ الْإِظْلَامُ، وَنَسَخَ بِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَلَلِ فَقَالَ:
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [الآية ١٩ سورة آل عمران]، وَجَعَلَ الْمُقْتَصِمَ بِحَبْلِهِ
مَفْضُلًا عَلَى مَنْ يُفَاخِرُهُ وَيُيَاهِيهِ، وَأَوْجَبَ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَخُلُودَهَا لِمَنْ عَمِلَ
بِأَوَامِرِهِ وَتَوَاهَى بِهِ.

(a) بولاق: ولا يصح بما. (b) زيادة من المسودة.

^١ ابن الطويل: نزعة المقلتين ١٧٦-١٨٣؛ المقرئ: ^٢ عن المخلفات انظر فيما تقدم ٤٣٦.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي اضْطَلَمَ لَهُ الدِّينَ ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَقْرَبِينَ وَالْأَبْعَدِينَ ، وَأَهْدَاهُ فِي الْإِرْشَادِ حَتَّى صَارَ الْعَاصِي مُطِيعًا ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ فُرَادَى وَجَمِيعًا ، وَغَدَوْا بِغُرُوتِهِ الْوُثْقَى مُتَمَسِّكِينَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آلَةُ ١٦١ سورة الأنعام] . وَعَلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ أَيْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِمَامِ الْأُمَّةِ ، وَكَاشِفِ الْعُتَمَةِ ، وَأَوْجِهِ الشُّفَعَاءِ لِسَيِّعَتِهِ يَوْمَ الْقَرْصِ ، وَمَنِ الْإِخْلَاصِ فِي وَلَايَةِ قِيَامٍ بِحَقٍّ وَأَدَاءِ قَرْصٍ ، وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا سَادَةِ الْبَرِّيَّةِ ، وَالْعَادِلِينَ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَالْعَامِلِينَ بِالسَّيِّرَةِ الْمَوْضِيَّةِ ، وَسَلَمَ وَكْرَمَ ، وَسُرُوفَ وَعَظَمَ .

وَيَكْتَابُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عِيدَ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قِيَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ وَأَدَائِهِ ، وَجَزْئِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِ وَعَادَةِ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ آبَائِهِ ، مَا يُبْنِيكَ بِهِ ، وَيُطْلِعُكَ عَلَى مَشْتُورِهِ عَنْكَ وَمُعْتَبِهِ . وَذَلِكَ أَنْ دُتِّنَ ثَوْبُ اللَّيْلِ لَمَّا يَبْصُرُهُ الصَّبَاحُ ، وَعَادَ الْحَرَمُ الْمَحْظُورَ بِمَا أُطْلِقَهُ الْمُحَلَّلُ الْمُبَاحُ ، تَوَجَّهَتْ عَسَاكِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَظَانِّهَا إِلَى بَابِهِ ، وَأَقْفَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدَ مَا حَازَتْهُ مِنْ أَجْرِ الصَّيَامِ وَثَوَابِهِ .

ثُمَّ انْتَشَتْ إِلَى مَصَافِّهَا فِي الْهَيْبَاتِ الَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا تَجْوِيدُ الصِّفَاتِ ، وَتُغْنِي مَهَابَتُهَا عَنْ تَجْرِيدِ الْمَوْجِفَاتِ ، وَتَشْهَدُ أُسْلُبُحَتُهَا وَغَدْدُهَا بِالتَّنَافُسِ فِي الْهِتَمِ ، وَتُعَلِّقُ مَوَاضِيهَا فِي أَعْمَادِهَا شَوْقًا إِلَى الْمُطْلَى وَالْقِمَمِ . وَقَدْ امْتَلَأَتْ الْأَرْضُ بِازْدِحَامِ الرَّجُلِ وَالْحَيْلِ ، وَثَارَ الْعَجَاجُ فَلَمْ يُرْ أَغْرُوبٌ مِنْ اجْتِمَاعِ الثَّهَارِ وَاللَّيْلِ .

وَبَرَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُصُورِهِ ، وَظَهَرَ لِلْأَبْصَارِ عَلَى أَنَّهُ مُخْتَجِبٌ بِضِيَائِهِ وَنُورِهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُصَلَّى فِي هَذِي جَدِّهِ وَأَبِيهِ ، وَالْوَقَارِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنِ النُّظِيرِ وَالشَّبِيهِ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَصْدُ الْهِجْرَابِ وَاسْتَقْبَلَهُ ، وَأَذَى الصَّلَاةِ عَلَى وَضْعِ رَضِيئِهِ اللهُ وَتَقَبَّلَهُ ، وَأَجْرَى أَمْرَهَا عَلَى أَفْضَلِ الْمَعْهُودِ ، وَوَقَّاهَا حَقَّهَا مِنَ الْقِرَاعَةِ وَالتَّكْبِيرِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ .

وانتهى إلى المنبر فصلاً وكبر/ الله ، وهلل على ما أولاه ، وذَكَرَ الثَّوَابَ
على إخراج الفطرة وبشر به ، وأنَّ المسارعة إليه من وسائل المحافظة على الخير
وقُزِّيه ، ورَغَظَ ورَغَظًا يَنْفَعُ قَابِلُهُ في عاجلته ومُتَقَلِّبه . ثم عادَ إلى قُصُوره
الزاهية ، مشمولاً بالوقاية ، مكنوفاً بالكفاية ، مُنتهِياً في إرشاد عبيده ورعاياه
أقصى الغاية .

أَعْلَمَكَ أمير المؤمنين خَيْرَ هذا اليوم لتعلم منه ما تشكَّن إليه ، وتُغْلِن
ببلاوته على الكافة ليشركوا في معرفته ويشكروا الله عليه فاعلم هذا ،
واغتمل به إن شاء الله .

وكان من أهل بركة طائفة تُعرف بـ « صبيان الخف » ، لها إقطاعات وجرايات وكثوات
ورُسوم . فإذا ركب الخليفة في العيدين تدوا حبلين مشطوحين من أعلى باب النضر إلى
الأرض : حبلًا عن يمين الباب ، وحبلًا عن شماله . فإذا عاد الخليفة من المصلَّى ، نَزَلَ على
الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مذهون ، وفي أيديهم رايات ، وخلف
كُلِّ واحدٍ منهم رديف ، وتحت رجله آخر مُعلَّق بيديه ورجليه . ويعملون أعمالاً تُذهل
العقول .

ويركب منهم جماعة في المؤكب على خيول ، فيركضون وهم يتقلَّبون عليها ، ويخرج
الواحد منهم من تحت إبط الفرس وهو يركض ، ويعود يركب من الجانب الآخر ، ويعود وهو
على حاله لا يتوقَّف ، ولا ينقطع منه شيء إلى الأرض ، ومنهم من يقف على ظهر الحصان
فيركض به وهو واقف^١ .

^١ هذه إشارة نادرة إلى محرفي الألعاب البهلوانية في العصر الفاطمي ، وإن لم يُحدِّد لنا المقرئ المصدر الذي نقل عنه هذه
المعلومات ، وانظر فيما تقدم ٤٨٨ ؛ وفيما يلي ٥٥٦ (البحثية) .

ذِكْرُ الْقَصْرِ الصَّغِيرِ الْغَرْبِيِّ

وكان نَجْمَةُ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ - الَّذِي تَقْدُمُ ذِكْرَهُ - فِي غَرْبِهِ ، قَصْرٌ آخَرٌ صَغِيرٌ يُعْرَفُ بِـ « الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ »^١ . وَمَكَانُهُ الْآنَ حَيْثُ الْمَارِشَتَانِ الْمُتَصُورِي وَمَا فِي صَفِّهِ مِنَ الْمَدَارِسِ ، وَدَارِ الْأَمِيرِ يَتَسَرَّى ، وَبَابُ قَبْرِ الْحَوْثُشَفِ ، وَرَبْعُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْمُطَّلَّ عَلَى سَوَاقِ الدُّجَاجِينَ الْيَوْمَ - الْمَعْرُوفِ قَدِيمًا بِالْبُتَّانِينَ - وَمَا يُجَاوِرُهُ مِنَ الدَّرْبِ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِدَرْبِ الْخَضِيرِيِّ نَجْمَةُ الْجَمَاعِيعِ الْأَقْمَرِ ، وَمَا وَرَاءَ هَذِهِ الْأَمَاكِينِ إِلَى الْخَلِيجِ^٢ .

وَكَانَ هَذَا الْقَصْرُ الْغَرْبِيُّ يُعْرَفُ أَيْضًا بِـ « قَصْرِ الْبَحْرِ » ، وَالَّذِي بَنَاهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ يُزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ قَالَ الْمُسَبِّحِيُّ : وَلَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ فِي شَرْقٍ وَلَا فِي غَرْبٍ^٣ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي طَيِّ فِي « تَارِيخِ خَلْبِ »^٤ : أَخْبَارُ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ : فَفِيهَا تَمَّتْ الْخَلِيفَةُ الْمُشْتَشِيرُ^٥ بِنَاءَ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ وَسَكَنَتْهُ ، وَغَرِمَ عَلَيْهِ أَلْفِي أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ بُنْيَانِهِ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ . وَكَانَ سَبَبُ بِنَائِهِ أَنَّهُ عَزَمَ^٦ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهُ مَنْزِلًا لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ صَاحِبِ بَغْدَادٍ ، وَيَجْمَعَ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَيْهِ ، وَيَجْعَلَهُ كَالْمَجْلِسِ لَهُمْ . فَخَاتَمَهُ أَمَلُهُ ، وَتَمَّتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَجَعَلَهُ لِنَفْسِهِ وَسَكَنَتْهُ^٧ .

وَقَالَ ابْنُ مُيَسَّرٍ : إِنَّ سَيِّدَ الْمُلْكِ أُمْتُ الْحَاكِمِ كَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهَا الْحَاكِمِ ، وَإِنَّ وَالِدَهَا الْعَزِيزُ بِاللَّهِ كَانَ قَدْ أَفْرَدَهَا بِسُكْنَى الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَجَعَلَ لَهَا طَائِفَةً يَرْشُمُهَا كَانُوا يُسَمُّونَ بِـ « الْقَصْرِئَةِ »^٨ . وَهَذَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْقَصْرَ الْغَرْبِيَّ كَانَ قَدْ بُنِيَ قَبْلَ الْمُشْتَشِيرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَكَانَ هَذَا الْقَصْرُ يَشْتَمِلُ أَيْضًا عَلَى عِدَّةٍ أَمَاكِينِ .

(a) زيادة من المسودة . (b) المسودة : صاحب مصر . (c) المسودة : غُول .

^١ عن القصر الفاطمي الغربي الصغير انظر Fu'ad Sanyid, A., *Le capitale de L'Égypte*, pp. 300-22. وفيات الأعيان ٥: ٣٧٢، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١١٣.

^٢ المقرئزي: مسودة المواعظ ٥٢، ١٢٧، وفيما تقدم

٦: ٢٤٧. نفسه، ١٢٧، وحده أنه ذكر ذلك في ترجمة سيّد

^٣ المسيحي: نصوص ضائعة ١٧، وقارن: ابن خلكان: الملك، وقارن مع ابن ميسر: أخبار ١٧٣.

الميدان

كان بجوار القصر القوي ومن حقوقه الميدان^١، ويعرف هذا الميدان اليوم بالخزنف وإسطبل القطبية^٢.

البستان الكافوري

وكان من حقوق القصر الصغير القوي البستان الكافوري، وكان بستاناً أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طنج بن جف الإخشيد أمير مصر، وكان مطلاً على الخليج، فاعتنى به الإخشيد وحفل له أبواً من حديد، وكان ينزل به ويقوم فيه الأيام. واهتم بشأنه من بعد الإخشيد ابنه الأمير أبو القاسم أوتوجور بن الإخشيد، والأمير أبو الحسن علي بن الإخشيد في أيام إمارتهما بعد أيهما. (فلما استبد من بعدهما)^٣ الأستاذ أبو الميثم كافر الإخشيد في أيام إمارتهما بعد ما ينتزه به، ويواصل الركوب إلى الميدان الذي كان فيه، وكانت تحوله بهذا الميدان. فلما قدم القائد جوهري من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لأخذ ديار مصر، أتاه بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة.

وكان متنزهها للحلفاء الفاطميين مدة أيامهم، وكانوا يتوصلون إليه من «سرايب مبنية تحت الأرض»، ينزلون إليها من القصر الكبير الشرقي، ويسبرون فيها بالدواب إلى البستان الكافوري ومتنزه اللؤلؤة بحيث لا تراه الأعمى.

وما زال البستان عامراً إلى أن زالت الدولة فمكبر، ونجى فيه في سنة إحدى وخمسين وست مائة، كما يأتي ذكره إن شاء الله، عند ذكر الحازات والحطط من هذا الكتاب^٤.

وأما الأقباء والسرايب فإنها عملت أسيرة للمراجيض^٥، وهي باقية إلى يومنا هذا تصب في الخليج.

(a-a) ساقطة من ظ.

Zaki Pacha, Ahmad, «Les aقباء والسرايب راجع، nouveaux égouts du Caire et les passages souterrains des Khalifes fatimides», BIE 5^e série = VI (1912), pp. 1-10, 195-97; Fu'ad Sayyid, A.,

^١ المقرري: مسودة المواظ ١٣١ وفيما يلي ١٩٧:٢.

^٢ نفسه ١٣١، ٣٥٩، وفيما يلي ٢٥:٢.

^٣ المقرري: مسودة المواظ ٣٢٨-٣٢٩، وعن هذه

كانت للخلفاء الفاطميين تموزات من تحت الأرض معقودة عُقُودًا مُحَكَمَةً ليسيروا فيها رُكْبَانًا من القصر إلى الميدان والبشتان الكافوري ومنظرة اللؤلؤة وغيرها . فلما زالت الدولة الفاطمية هُجِرَت المَسَارِبُ فُتِرَتْ . وكان من جملة ما أُخْدِثَ في الدولة التركية من جهات المكوس التي استُجِدَّها على الناس الوزير الفاتري^١ في سُلْطَنَةِ الملك المِيزْ أَيْتُك التُّرْكْمَانِي أَوَّلَ ملك من ملوك التُّرك بمصر ، ضَرَائِبُ مُقَرَّرَةٌ في ديوان السُلْطَانِ على كَسْحِ المَراحِيضِ تُغْرَفُ بِمُقَرَّرِ المَشَاعِلِيَّةِ^٢ .

فلَمَّا رَأَى الملك النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الدِّيارِ المِصرِيَّةَ في سنة خمس عشرة وسبع مائة ، أَبْطَلَ عِدَّةً مُكُوسٍ مِنْهَا « مَكْسُ الأُسْرِيَّةِ »^٣ : وقد سُلِّطَتْ مَراحِيضُ المَارِشْتَانِ المَنْصُورِي والجامع الحَاكِمِي وغيره من المَسَامِيطِ والمَسَالِحِ وغيرها على الأُسْرِيَّةِ التي كانت تَمُرُّ للخلفاء وصارت تَخْرُجُ من الأُسْرِيَّةِ إلى الخَلِيجِ الكَبِيرِ الَّذِي تُسَمِّيهِ العَامَّةُ « الخَلِيجِ الحَاكِمِي » .

١٠ قال ابنُ الطُّوَيْرِ عن الخلفاء الفاطميين : وكان من قَضَائِهِمْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ أَنْ يَرْكَبَ أَحَدٌ فِي القَصْرِ سِوَى الخَلِيفَةِ وَلَا يَنْصَرَفَ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا إِلَّا كَذَلِكَ ، وَلَهُ فِي اللَّيْلِ شَذَادَاتٌ مِنَ النَّشْوَةِ يَتَخَدَمُ فِيهَا البَقَلَاتُ وَالْحَمِيرُ الْإِنَاثُ لِلْجَوَازِ فِي الشَّرَادِيبِ القَصِيرَةِ الْأَقْبَاءِ ، وَالطُّلُوعِ عَلَى الزَّلَاقَاتِ إِلَى أَعَالِي المَنَاظِرِ وَالْمَسَاكِينِ^٤ .

وقال ابن عبد الظاهر : وكان للخلفاء تحت الأرض مكانًا يركبون من القصر إلى الميدان منه ، وَلَمَّا بُنِيَتِ المَدَارِسُ الصَّالِحِيَّةُ رَأَيْتُهُ^٥ ، وَهُوَ مَكَانٌ وَاسِعٌ كَبِيرٌ وَجُعِلَ مَضْرَفًا لَمَّا يَخْرُجُ مِنَ المِيَاهِ وَغَيْرِهَا مِنَ المَدَارِسِ^٦ .

(a) عند ابن عبد الظاهر : رأيت أنا هذا المكان .

op.cit., pp. 215-17. =

المالك ١: ٦٨ ، ١٦٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥٨:٧ .

٣ مقرر المشاعلية : هو ما يجب لهم على تنظيف الشرايات التي في البيوت والحمامات والمسامط وغيرها مما يلي سجراها (فما يلي بعد أسطر) .

٤ فيما تقدم ١: ٢٤١ .

٥ ابن الطوير : نزهة الملقنين ٢١٠ ، وفيما تقدم ٢٩٢-٢٩٣ .

٦ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٢ ، المقرئ :

مسودة المواعظ ٣٥٨ .

١ وردت النصوص التالية حتى نهاية ص ٤٩٨ في مسودة المواعظ والاعتبار ٣٢٨-٣٣٠ تحت عنوان «أُسْرِيَّةُ القَاهِرَةِ» وهي غير موجودة في الإصحاح الأخير للمواعظ والاعتبار . وقد رأيت أن أُنَبِّهَ هُنَا لِاتِّصَالِهَا بِمَوْضُوعِ تَحْوِيلِ الْأَقْبِيَّةِ وَالشَّرَادِيبِ الَّتِي كَانَتْ تَرْتَبُ القَصْرَ الفَاطِمِي الشَّرْقِي بِالْبِشْتَانِ الكَافُورِيِّ ، إِلَى أُسْرِيَّةِ المَقَاهِرَةِ .

٢ الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله ابن صاعد الفاتري التوفي سنة ٦٥٥هـ . (المقرئ : السلوك ٤٠٦:١-٤٠٧ ، العيني : عقد الجمان - عصر سلاطين

وقال في « السيرة الناصرية » ، وقد ذكر ما أبطله الناصر من المكوس عندما عَمِلَ الرُّوكَّ في سنة خمس عشرة وسبع مائة : وأيضاً مُقَرَّرُ المَشَاعِلِجَةِ ، وهو ما لَهِمَّ على تنظيف المَشَرَّابَاتِ التي في البيوت والحمَّامات والمَسَايِط وغيرها مما يجري في مَجَرَّهَا . وكان إذا امتلأ سَرَبٌ في مكانٍ ، حتى في المدارس والخَوَازِقِ والمساجد ، لا يمكن أن يتصوَّفَ في شَيْلِهِ إِلَّا بِحَضُورِ أَحَدٍ من جِهَةِ ضَامِنِ الجِهَةِ ليقول عليه ^١ . فإذا حَضَرَ أَحَدٌ من جِهَةِ الضَّامِنِ قَدَّرَ في أَجْرَةِ شَيْلِهِ ما يجب ويختار بحسب ما يراه ، فإن لم يُوافقه صاحبُ المكانِ فَارَقَهُ ^٢ وتركَ الشَّرْبَ مملوءاً حتى يحتاج إلى مُسَاعَلَتِهِ ويتدَلَّ له ما طَلَبَ ، فأبْطَلَ ذلك السُّلْطَانُ .

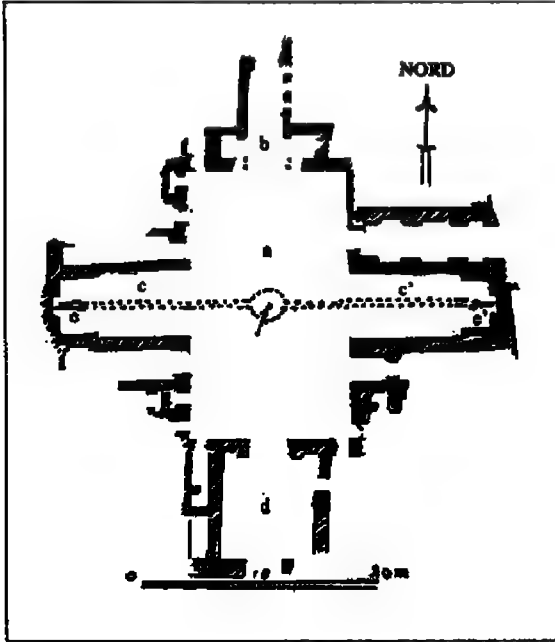
وئودي بأن لا يُمكن مَشَاعِلِي من عَمَلِ شَيْءٍ من ذلك فانتَفَجَ النَّاسُ في أَمْرِهِم وصاروا يَوْفَعُونَ أَشْرِيَّتَهُم إلى الكِيْمَانِ من غير حُبِّيَّةٍ عليهم فيها ولا زيادة كُلفَةٍ من ضَرِيَّةِ سُلْطَانِيَّةٍ تُؤْخَذُ منهم على ذلك وكانوا في عُجَّةٍ من ذلك المكُوسِ ، واستمرَّ إِبْطَالُ هذه الجِهَةِ حتى بَطَلَتْ ولله الحَمْدُ . ولقد سمعت من غير طَرِيقٍ أَنَّ الشَّرْبَ الَّذِي بمَعْدِنَةِ الجَامِعِ الحَاكِمِي مِمَّا يلي بابَ الفُتُوحِ نَزَلَ فيه شَخْصٌ فانتَهَى به المسير في مَكَانٍ مُتَبَعٍ ، إلى أن سمع قُرْعَ نِعالِ الحَفِيلِ بِعَبَّةِ بابِ النُّصَرِ ولم يَنْتَهَ إلى آخره فَعَلَبَ عليه الوَظْمَ وَرَجَعَ .

وسمعنا مَشَائِخَ من أدركنا يقولون : إنَّ هذا الشَّرْبَ ينتهي بسالِكِهِ إلى الجَبَلِ الأحمرِ . وانْحَسَفَ مَرَّةً مَكَانٌ من الشَّارِعِ المسلوكِ فيه تَجَاهَ قَبْوِ الحُرُونُشَفِ فَرُئِي منه سَرَبٌ كبيرٌ ثم عَمَدَ النَّاسُ إليه فَسَدُّوه ، وكذلك بخارج بابِ زَوِيْلَةِ سَرَبٍ عَظِيمٍ قد سَلَطَ عليه ما هنالك من الأَشْرِبَةِ التي لِلْمَسَايِطِ والجواميع وغيرها . وأخبرني من تَوَلَّى الإشرافَ على كَمَشِجِهِ أَنَّهُ نَزَلَ إليه الفَقْلَةُ لتخليص ما سَدَّ الماءَ عن المرور فيه وأَنَّهُ وَجَدَ في غَايَةِ الكِبَرِ والشَّعَةِ ، فلَمَّا فَتِحَ السَّدُّ مَرَّ ما كان محبوباً هنالك كالسَّيْلِ العَظِيمِ . وهذا الشَّرْبُ ينتهي إلى الخَلِيجِ أيضاً وعهدت قَدِيمًا ، أيامَ كان الماءُ قَرِيْبًا من بَرِّ القَاهِرَةِ ، قبل أن يُنَحْسِرَ عن ما هو الآن من الرُّومَالِ ، إذا جَاءَتْ زيادةُ الثَّلِّلِ في سنةٍ كبيرةٍ وكان نيلاً عَالِيًا ، أَنَّ البَلَالِيْعَ التي خارجَ بابِ زَوِيْلَةِ تَطُفُّ حتى تَقِيضَ على الطَّرِقاتِ ^٢ .

(a) خويبة : أولاً فارقه .

القاعة

وكان من مجملّة القصر الغربي قاعة كبيرة - هي الآن المارستان المنصوري حيث المَرْصِي - كانت سَكَنَ سَيِّدُ الْمُلْكِ أخت الحايكَم بِأمر الله^١ وكانت أحوالها مُثْبِتَةً جَدًّا .



شكطط قاعة سَيِّدُ الْمُلْكِ (من Gabriel)

قَالَ فِي كِتَابِ الذَّخَائِرِ وَالشَّحَفِ : وَأَهْدَتْ / السَّيِّدَةُ الشَّرِيفَةُ سَيِّدُ الْمُلْكِ^(a) أخت الحايكَم بِأمر الله إِلَى أَخِيهَا فِي^(a) يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الثَّاسِعِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّينَ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، هَذَا مِنْ مَجْمَلَّتِهَا ثَلَاثُونَ فَرَسًا بِمَرَاكِهَا ذَهَبًا ، مِنْهَا مَرْكَبٌ وَاحِدٌ^(b) مُرْصَعٌ وَمَرْكَبٌ مِنْ حَجَرِ الْبُلُورِ ، وَعَشْرُونَ بَغْلَةً بِشُرُوجِهَا وَحُجَمِهَا ، وَخَمْسُونَ خَادِمًا مِنْهُمْ عَشْرَةٌ صَقَالِيَّةٌ ، وَمِائَةٌ تَحْتَ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَفَاحِرِهَا ، وَتَاجٌ مُرْصَعٌ بِنَفِيسِ الْجَوْهَرِ وَيَدْبَعِهِ ،

(a) ساقطة من بولاق . (b) نهاية نسخة الظاهرية (ط).

كل جنب من جوانبه «رواق» ذو ثلاث فحات تختلف في الضيق والسعة ، فالفتحة الوسطى أوسع من الفتحين الجانبين ويفصلها عنهما كفتان مبيان بالآجر ، ويتراوح عرض هذا الرواق بين متر وثمانين سم ومترين . وفي سمت الرواق «القاعة» ، وهي قاعة كبيرة مستطيلة وتكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان منفصلتان عنها . وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الصحن - في محور كل جانب - «أواوين» تختلف في الامتداد إلى الداخل . وأطلق الباحثون على هذا-

^١ حَفِظَتْ لَنَا بِقَايَا هَذِهِ الْقَاعَةِ سَبَبُ اتِّصَالِهَا بِمَجْمُوعَةِ فَلَائُونَ الْأُتْرَاقِ ، قِبَةِ وَمَدْرَسَةِ وَمَارِسْتَانِ ، (هَيْمَا يَلِي ٣٧٩:٢ - ٣٨٢ ، ٤٠٦) . فَنَقِي خِلَالَ الْحَقَائِرِ الَّتِي قَامَ بِهَا هَرْتَسُ بَاشَا فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ فِي الْمَارِسْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ كَشَفَتْ قَاعَةَ سَيِّدِ الْمُلْكِ ، الْأَمْرَ الَّذِي مَكَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلًّا مِنَ الْبَاسِ جَابَرِيلِ وَإِدْمُونْدِ بَوْتِي مِنَ إِعَادَةِ بِنَاءِ التَّخْطِيطِ الْأَصْلِيِّ لِهَذِهِ الْقَاعَةِ الَّتِي تَتَكُونُ مِنْ نِظَامٍ هَنْدَسِيِّ قَائِمٍ عَلَى مَحْوَرَيْنِ مَتَعَامِدَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فِي وَسْطِ «صَحْنٍ» مَكْشُوفٍ مُسْتَطِيلٍ ، فِي

وشاشية مُرصعة ، وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه ، وبُشْتَانٌ من الفضة مَزْرُوع من أنواع الشجر^١.

قال : وخَلَفَتْ [السيدة ست مصر بنت الحاكم بأمر الله]^(a) حين مائت ، في مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وخمسين^(b) وأربع مائة ، ما لا يُحصى كثرة ، وكان إقطاعها في كل سنة يُغل خمسین ألف دينار ، ووُجِدَ لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية ،^(c) منها ثلثيات ألف وخمس مائة^(d) . وكانت سَمْحَةً نبيلةً كريمةً الأخلاق والفعل . وكان في جملة مَوجودها ثيف وثلاثون زيرًا صينيًا مملوءًا جميعها مسكًا مشحوفًا ، ووُجِدَ لها جَوْهَرٌ نفيس من جملته قطعة ياقوت دُكرَانٌ فيها عشرة مثاقيل^٢.

قال المستبحي : وُلِدَتْ بالمغرب في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وثلاث مائة^(d) . ولَمَّا زَالَت الدَّوْلَةُ عُرِفَتْ هذه الدار بالأمير فخر الدين جهازكس ثم^(e) مؤسك ثم الملك المفضل قطب الدين^(f) ابن الملك العادل .

فلَمَّا كَانَ في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وست مائة ، شَرَعَ الملك المنصور قلاوون الألفي في بنائها مارشنانًا ومدرسةً وثزبةً ، وتولَّى عِمَارَتَهَا الأمير عَلَمُ الدِّين سِنَجَر الشُّجَاعِي مُدَبِّر الممالك^٣ . ويُقال : إِنَّ دَرَعَ هذه الدار عشرة آلاف وست مائة ذراع .

(a) زيادة من الذخائر والتحف . (b) في جميع النسخ : وعشرين ، والتصويب من الذخائر . (c-c) هذه العبارة ساقطة من الذخائر . (d) بولاق : سنة خمس وثلاث مائة . (e) لم : ساقطة من بولاق . (f) هكذا يباض في جميع النسخ .

(A., op.cit., pp. 306-11).

^١ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٦٨ .

^٢ نفسه ٢٤٠ .

^٣ انظر فيما يلي ٣٧٩:٢-٣٨٢، ٤٠٦-٤٠٨ .

=العنصر The T-Plan أي المخطط على شكل الحرف T .
(راجع Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Fustat et les origines de la maison arabe en Égypte*, Paris 1927, pp. 64-68; Pauty, Ed., *Les palais et les maisons d'époque musulmane au Caire*, MIFAO LXII, 1932, pp. 64-68; Fu'ad Sayyid,

أَبْوَابُ الْقَصْرِ الْقُرْبِيِّ

كان لهذا القصر عِدَّةُ أَبْوَابٍ: منها بابُ الشَّاباط، وبابُ التَّجَانِين، وبابُ الزُّمُرُود^١.

بابُ الشَّاباط

هذا البابُ موضعه الآن باب سِرِّ المَارِشْتَانِ الْمُتَصَوَّرِي الَّذِي يُخْرَجُ مِنْهُ الْآنَ إِلَى الْخُرُونُشُفِ وَكَانَ مِنَ الرَّسْمِ أَنْ يَذْبَحَ فِي بَابِ الشَّاباطِ الْمَذْكُورِ مِذْبَحٌ أَهَامُ النَّحْرِ وَفِي عِيدِ الْقَدِيرِ، عِدَّةُ ذَبَائِحَ تُفْرَقُ عَلَى سَبِيلِ الشُّرَفِ.

قال ابنُ المأمُونِ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ: وَبِحِفْظِهِ مَا نَحَرَهُ الْخَلِيفَةُ الْآمِرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَذَبَحَهُ خَاصَّةً فِي الْمُنْتَحَرِ وَبَابِ الشَّاباطِ دُونَ الْأَجَلِّ - يَعْنِي الْمَأْمُونُ وَأَوْلَادُهُ وَإِخْوَتُهُ - فِي الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ أَلْفٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ وَسِتِّ وَأَرْبَعُونَ رَأْسًا، فَذَكَرَ مَا كَانَ بِالْمُنْتَحَرِ.

قال: وَفِي بَابِ الشَّاباطِ، مِمَّا يُحْتَمَلُ إِلَى مَنْ حَوَّثَهُ الْقُصُورُ وَإِلَى دَارِ الْوِزَارَةِ وَالْأَصْحَابِ وَالْحَوَاشِي، اثْنَتَا عَشْرَةَ نَاقَةً، وَثَمَانِيَةَ عَشْرِ رَأْسِ بَقَرٍ، وَخَمْسَةَ عَشْرِ رَأْسِ جَامُوسٍ، وَمِنْ الْكِبَاشِ أَلْفٌ وَثَمَانِ مِائَةٍ رَأْسٍ وَيُتَصَدَّقُ كُلُّ يَوْمٍ فِي بَابِ الشَّاباطِ بِسَقَطٍ مَا يُذْبَحُ مِنَ الثَّوَقِ وَالْبَقَرِ^٢. وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ: كَانَ فِي الْقَصْرِ بَابٌ يُعْرَفُ بِبَابِ الشَّاباطِ، كَانَ الْخَلِيفَةُ فِي الْعِيدِ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْمَيْدَانِ - وَهُوَ الْخُرُونُشُفُ الْآنَ - لِيَتَخَرَّجَ فِيهِ الصُّحَايَا^٣.

بابُ التَّجَانِينِ

هذا البابُ كَانَ بِبَابِ الْخُرُونُشُفِ الْآنَ، وَبِحِفْظِهِ دَارُ الْعِلْمِ الَّتِي بَنَاهَا الْحَاكِمُ، الْآتِي ذَكَرَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

بابُ الزُّمُرُودِ

كَانَ مُؤَضِّعٌ لِشَطِيبِ الْقُطَيْبَةِ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْبِشْتَانِ الْكَافُورِيِّ الْمَوْجُودِ الْآنَ^٤.

^١ راجع، Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 303-5. ^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٢؛ وفيما يلي

^٣ ابن المأمون: أخبار مصر ٤١، ٤٢؛ المقرئ: مسودة ٨٠: ٢.

^٤ وانظر فيما يلي ٥٣١ باب رابع للقصر الصغير - المواعظ ١٧٨-١٧٩، وفيما تقدم ٤٣٣.

ذكر دار العلم

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم، ويدخل إليها من باب الثبائين - الذي هو الآن يُعرف بقبة الخوشتف - وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضير، الكائنة بدار الخضير المقابل للجامع الأقصر. ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله^١، فاستمرت إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش^٢.

قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله^٣ (بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المصبحي^٤) في تاريخه الكبير ومنه نقلت من الجزء الرابع والثلاثين ما نصه^٥: وفي يوم السبت هذا - يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاث مائة - فُتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت الكتب إليها من خزائن الفقهاء المعمورة. ودخل الناس إليها، وتسع كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسته، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها. وجلس فيها القراء والفقهاء^٦ والمتجملون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد أن قرئت هذه الدار وزُخِرَتْ، وعُلِّقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوائم وخدام وقراشون وغيرهم وُسيّموا بخدمةها.

وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة، ما لم يُر مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها. فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يُسمع بمثلها، من إجراء الرزق الشهي لمن رُسم له بالجلوس فيها والخدمة لها، من فقيه وغيره. وحضرها الناس على طبقاتهم: فمنهم من يخطر لقراءة الكتب،

(a-a) زيادة من المسودة. (b) ساقطة من بولاق.

Institutions under the Fatimids» in *The Fatimids and their Traditions of Learning*, London 1997, pp. 71-93; Walker, P., «Fatimid Institutions of Learning», *JARCE* 34 (1997), pp. 179-200

فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ٥٨٣ - ٥٩٠.

^٢ انظر فيما تقدم ٤٦٠ - ٤٦١.

= هو «باب مُراد».

^١ عن دار العلم ودورها الثقافي راجع: Eche, Y., *Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Égypte au Moyen - Age*, Damas 1967, pp. 74-97; Halm, H., «Al-Hakim's House of Knowledge and Scientific

ومنهم من يُخَضَّرُ للشَّيْخ، ومنهم من يُخَضَّرُ للتعَلُّم، وجُعِلَ فيها ما يُخْتِاجُ النَّاسُ إليه من الحِجَرِ والأَقْلَامِ وَالْوَرَقِ والحَايِرِ. وهي الدَّارُ المعروفة بِمُخْتَارِ الصُّقْلَبِيِّ^١.

قَالَ: وفي سنة ثلاثٍ وأربع مائة، أُخْضِرَ جَمَاعَةٌ من دارِ العِلْمِ من أَهْلِ الحِسَابِ وَالْمَنْطِقِ، وَجَمَاعَةٌ من الفُقَهَاءِ مِنْهُمْ عبدُ العَنِيِّ بنُ سَعِيدٍ^٢، وَجَمَاعَةٌ من الأَطِبَّاءِ، إِلَى حَضْرَةِ الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَكَانَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ تُخَضَّرُ عَلَى انْفِرَادِهَا لِلْمُنَاطَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَى الْجَمِيعِ وَوَصَّلَهُمْ^٣.
وَوَقَّفَ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمَاكِرَ فِي قُسْطَاطٍ مَصْرَ عَلَى عِدَّةِ مَوَاضِعَ، وَصَوَّنَهَا كِتَابًا ثَبَتَ عَلَى قَاضِي النُّقْضَةِ مَالِكِ بنِ سَعِيدٍ - وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الجَامِعِ الْأَزْهَرِ^٤ - وَقَالَ فِيهِ وَقَدْ ذُكِرَ دارُ العِلْمِ:

«ويكون العُشْرُ وَثْنُ العُشْرِ لِدَارِ الحِكْمَةِ، لَمَّا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنَ العَيْنِ المَغْرِبِيِّ مَائَتَانِ وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا. مِنْ ذَلِكَ لَثْنُ الحَضَرِ القَبْدَانِيِّ وَغَيْرِهَا لِهَذِهِ الدَّارِ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ، وَمِنْ ذَلِكَ لَوَرَقِ الكَاتِبِ - يَعْنِي النَّاسِيخَ - تِسْعُونَ دِينَارًا، وَمِنْ ذَلِكَ لِلْحَازِنِ بِهَا ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ دِينَارًا، وَمِنْ ذَلِكَ لَثْنِ الْمَاءِ اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا، وَمِنْ ذَلِكَ لِلْفَرَّاشِ خَمْسَةَ عَشَرَ دِينَارًا، وَمِنْ ذَلِكَ لِلْوَرَقِ وَالْحِجَرِ وَالْأَقْلَامِ لِمَنْ يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ الفُقَهَاءِ اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا، وَمِنْ ذَلِكَ لِمَرْئَةِ الشَّاتِرَةِ دِينَارٌ وَاحِدٌ، وَمِنْ ذَلِكَ لِمَرْئَةٍ مَا عَسَى أَنْ يَتَّقَطَعَ مِنَ الكُتُبِ وَمَا عَسَاهُ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ وَرَقِهَا اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا، وَمِنْ ذَلِكَ لَثْنُ ثُبُودِ الْفَرَشِ فِي الشِّتَاءِ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ، وَمِنْ ذَلِكَ لَثْنُ طَنَافِسِ فِي الشِّتَاءِ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ».

Bianquis, Th., «Abd al-Ghanî Ibn Sa'îd, un savant sunnite au service des Fatimides» dans *Actes du XXIX^e Congrès International des Orientalistes. Études arabes et islamiques*, I-Histoire et Civilisation, Paris 1975, (I, pp. 39-47).

^٣ المسيحي: نصوص ضائعة ٢٢٢؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٠١، واتماظ الحنفا ٥٧:٢، وفيما يلي ٢٨:٢.

^٤ فيما يلي ٢٧٣:٢-٢٧٥، وابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٣-١٥٠.

^١ المسيحي: نصوص ضائعة ٢٢٢؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٠٠-٣٠١، واتماظ الحنفا ٥٦:٢.

^٢ الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي المصري، محدث وفقيه مصري لم يكن بعد الدار قطنية أخفط منه، استمر بعد أن تولى الحاكم زميليه في دار الحكمة: ابن أبي أسامة جنادة اللقوي وأبو علي المقرئ الأنطاكي، وظل محتفيا حتى ظهر له الأمن، وتوفي سنة ١٠١٨/هـ ١٠٩٠ م وكانت له جنازة عظيمة بالقسطنطين (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٢٣:٣-٢٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٦٨:١٧-٢٧٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات

وقال ابن المأمون: في هذا الشهر - يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسة مائة - جرت نوبة القصر - وهي طويلة وأولها من الأيام الأفضلية، وكان فيهم رجلان يُسمى أحدهما بركات، والآخر حميد بن مكّي الإطفيحي القصر - مع جماعة يُعرفون بالبدية، وهم على الإسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة. فاعتمد بركات من جملتهم أن اشتق عقول جماعة، وأخرجهم عن الصواب - وكان ذلك في أيام الأفضل - فأمر للوقت بخلق دار العلم والقبض على المذكور، فهرب.

وكان في^١ جملته من اشتق عقوله بركات المذكور أستاذان من القصر. فلما طُلب بركات المذكور واشترى، دقق الأستاذان الحيلة إلى أن أدخلاه عندهما في زي جارية اشترىها، وقاما بحقه وجميع ما يحتاج إليه، وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات. فمريض بركات عند الأستاذين، فحاروا في أمره ومداواته، وتعدّر عليهما إخصار طبيب له، واشتدّ مرضه ومات، فأغسلوا الحيلة، وعرفا زمام القصر أن إحدى عجائزهما قد توفيت، وأن عجائزهما يُغسلنها على عادة القصوريات^٢ ويُشيعنها إلى نوبة الثعمان بالقرافة^٣، وكتبوا عدة من يخرج. ففسح لهما في العدة، وأخذوا في غسله، وألبسوا ما أخذاه من أهله - وهو ثياب معلّمة وشاشية ومنديل وطيّلسان مقور - ودرجوه^٤ في الديقي، وتوجه مع الثابتين الأستاذان المشار إليهما. فلما قطعوا به بعض الطريق أراد تكميل الأجر له على قدر عقولهما، فقالا للحمالين: هو رجل تربته عندنا، فنادوا عليه ينداء الرجال واكتموا الحال، وهذه أربعة دنانير لكم، فشر الحمالون بذلك. فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرفوه بما جرى وقاسموا الدنانير، فحافت نفسه، وعلم أنها قضية لا تخفى، فمضى بهم إلى الوالي وشرح له القضية. فأودعهم في الاعتقال، وأخذ الذهب منهم، وكتب مطالعة بالحال.

فمن أول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك - الذي قيل له بعد ذلك المأمون - بالقضية - وكان مُدبر الأمور في الأيام الأفضلية - قال: هو بركات المطلوب. وأمر بإخصار الأستاذين والكشف عن القضية، وإخصار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم، فإذا تحققوا أمرهم

(a) بولاق: من. (b) بولاق: القصور. (c) بولاق: أدرجوه.

^١ هذه الإشارة الوحيدة إلى تربة الثعمان بالقرافة في كتاب الحطط نقلًا عن ابن المأمون، ولم يفردها المقرئ بمدخل مستقل عند حديثه على القرافة.

بَلَّغَهُ : فَتَنَ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ أَطْلَقُوهُ ، وَمَنْ أَيْ أَخْضَرُوهُ فَحَقَّقُوا مَعْرِفَتَهُ : فَمِنْهُمْ مَنْ بَصَقَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَمَّ بِتَقْيِيلِهِ وَلَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْهُ .

فَجَلَسَ الْأَفْضَلُ وَاسْتَدْعَى الْوَالِي وَالشَّيَافَ ، وَاسْتَدْعَى مَنْ كَانَ تَحْتَ الْحَوَاطَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَكُلٌّ مِنْ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَلَعَنَهُ أَطْلَقَ سَبِيلَهُ ، وَبَقِيَ مِنَ الْجَمَاعَةِ مِمَّنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْهُ خَمْسَةٌ نَقَرِ وَصِيٍّ لَمْ يَتَلَخَّ الْحَلَمُ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ ، وَطَلَبَ الْأَشْتَاذِينَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمَا . وَقَالَ لِلصَّبِيِّ مِنْ لَفْظِهِ : تَبَرَّأَ مِنْهُ وَأَتَيْعِمَ عَلَيْكَ وَأَطْلِقَ سَبِيلَكَ . فَقَالَ لَهُ : اللَّهُ يُطَالِبُكَ إِنْ لَمْ تُلْحَقْنِي بِهِمْ ، فَأَنِّي مُشَاهِدٌ مَا هُمْ فِيهِ . وَأَخَذَ بِسَيْفِهِ عَلَى الْأَفْضَلِ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ^a .

فَلَمَّا تَوَفَّى الْأَفْضَلُ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْآمِرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَزَيَّعَ الْمَأْمُونُ بْنُ الْبَطَّائِحِيِّ ، بِاتِّخَاذِ دَارِ الْعِلْمِ وَقَفَّحَهَا عَلَى الْأَوْضَاعِ الشَّرْعِيَّةِ .

١٠ ثُمَّ عَادَ حَمِيدُ الْقَصَارِ الْمُنْتَهَى بِذِكْرِهِ ، وَظَهَرَ ، وَسَكَنَ مِصْرَ يَذُقُّ الثَّيَابَ بِهَا ، وَيَطْلُعُ إِلَى دَارِ الْعِلْمِ ، وَأَفْسَدَ عَقْلَ أَشْتَاذٍ وَخِيَاطٍ وَجَمَاعَةٍ وَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ . فَحَضَرَ الدَّاعِي ابْنُ عَبْدِ الْحَقِّيقِ إِلَى الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ ، وَعَرَفَهُ بِأَنْ هَذَا قَدْ تَعَلَّقَ^b بِطَرْفٍ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ^١ ، ثُمَّ انْتَلَخَ مِنْ^c الْإِسْلَامِ وَسَلَكَ طَرِيقَ الْخَلَّاجِ^٢ فِي التَّعْوِيهِ ، / فَاسْتَهْوَى مِنْ ضَعْفِ عَقْلِهِ وَقَلَّتْ بَصِيرَتُهُ ، فَإِنَّ الْخَلَّاجَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَانَ يَدْعِي أَنَّهُ دَاعِيَةُ الْمُهْنَدِيِّ ، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ الْمُهْنَدِيُّ ، ثُمَّ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ وَأَنَّ الْحَيَّ تَخْدُمُهُ ، وَأَنَّهُ أَخِيَا عِدَّةً مِنَ الطُّيُورِ .

١٥

وَكَانَ هَذَا الْقَصَارُ تَتَمَسَّ بِالْذِّينِ^d ، وَجَرَتْ لَهُ أُمُورٌ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ ، وَتُفِي دَفْعَةً وَاعْتِمِلَ أُخْرَى ، ثُمَّ هَزَبَ بَعْدَ ذَلِكَ ، ثُمَّ حَضَرَ وَسَارَ يُوَاصِلُ طُلُوعَ الْجَبَلِ ، وَاسْتَضْحَبَ مَنْ اسْتَقْبَاهُ مِنْ

(a) المسودة : ضرب رقبته . (b) يولات : تعرف . (c) يولات : عن . (d) يولات : شيعي الدين .

٢-٣٥٦-٣٦٠ ما كتبه المقرئ عن الأشعرية .

٢ الخلاج ، أبو المنبت الحسين بن منصور بن تخمي البضاوي متكلم ومصنّف إسلامي عاش في القرن الثالث الهجري ، تعدّ حياته وتجربته نقطة تحوّل حاسمة في تاريخ حركة التصوّف الإسلامي ، توفي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣: ٧٠-٧٤ وما فيه من مصادر : Massignon, L. & Gardet, L., art. *al-Hallâdj* III, pp. 102-106.

١ المذهب الأشعري (ويقال لأتباعه الأشعرية والأشاعرة) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى في بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٣٥م مؤسس مدرسة علم الكلام السني (راجع : Montgomery Watt, W., *El² art. al-Ash'ari* I, pp. 715-16; id., art. *Ash'ariyya* I, pp. 1717-18 جلال محمد موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ، بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥ La Gimaret, D., *doctrine d'al-Ash'ari*, Paris 1991 وانظر فيما يلي

أصحابه . فإذا أَبْتَدَعَ قال لبعضهم بعد أن يُصَلِّي ركعتين : نَطْلُبُ شيئاً نأكله أصحابنا . فيمضي ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعدّه مع بعض خاصيته الذين يَطْلِعُونَ على باطنه . فكانوا يَهَابُونَهُ وَيُعْظَمُونَهُ حتى إنهم يخافُونَ الإثم في تأمل صُورَتِهِ ، فلا يَنْكُفُونَ مُطَرِّقِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ . وكان قَصِيرًا ذَمِيمَ الْخِلْقَةِ ، وادَّعَى مع ذلك الرُّبُوبِيَّةَ . وكان مِمَّنْ اخْتَصَّ بِحَمِيدِ رَجُلٍ خِيَّاطٌ وَخَصِيٍّ ، فَرَسَمَ المَأْمُونُ بِالْقَبْضِ عَلَى المذكور وعلى جميع أصحابه . فَهَرَبَ الْخِيَّاطُ وَطَلَبَ فلم يُوجَد ، ونودي عليه ، وبُذِلَ لِمَنْ يَخْضَرُ بِهِ مَالٌ فلم يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَاعْتَقِلَ الْقَصَّارُ وَأَصْحَابُهُ ، وَقُرِّرُوا فلم يَقْرَؤُوا بشيءٍ من حاله .

وبعد أيام تَمَارَوَتْ فِي الْحَبْسِ فَلَمَّا اسْتَوْرَمَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِدَفْنِهِ ، فَلَمَّا حُجِّلَ لِيَدْفَنَ ظَهَرَ أَنَّهُ حَيٌّ ، فَأُعِيدَ إِلَى الْأَعْيَالِ ، وَبَقِيَ كُلُّ مَنْ تَبَرَّأَ^(a) مِنْهُ مُعْتَقِلًا ، مَا خَلَا الْخَصِيَّ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ الْقَتْلَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ لِسَانِهِ وَرُمِيَ قُدَّامَهُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، فَأُخْرِجَ الْقَصَّارُ وَالْخَصِيُّ وَمَنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَضَلَبُوا عَلَى الْحَشَبِ وَضَرَبُوا بِالنُّشَابِ ، فَمَاتُوا لَوْقَتِهِمْ . ثُمَّ نُودِيَ عَلَى الْخِيَّاطِ ثَانِيًا ، فَأُخْضِرَ وَفُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِأَصْحَابِهِ بَعْدَ أَنْ قِيلَ لَهُ : هَا أَنْتَ تَنْظُرُهُ . فلم يَتَبَرَّأْ مِنْهُ ، وَصَلَبَ إِلَى جَانِبِهِ .

وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ هَذَا الْقَصَّارِ - مِمَّنْ لَمْ يُعْرِفْ^(b) - كَانَ يَشْتَرِي الْكَافُورَ ، وَيَزِمُهُ بِالْقُزْبِ مِنْ خَشَبَتِهِ الَّتِي هُوَ مَصْلُوبٌ عَلَيْهَا ، فَيَسْتَقْبِلُ رَائِحَتَهُ مِنْ سَلَكِ تِلْكَ الطَّرِيقِ ، وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنْ يَرْبِطَ عُقُولَ مَنْ كَانَ الْقَصَّارُ قَدْ أَضَلَّهُ . فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُحْطُوا عَنِ الْحَشَبِ ، وَأَنْ تُخْلَطَ رِجْلُهُمْ وَيُدْفَنُوا مَتَرَفِقِينَ حَتَّى لَا يُعْرِفَ قَبْرَ الْقَصَّارِ مِنْ قُبُورِهِمْ .

وَكَانَ قَتْلُهُمْ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَابْتِدَاءُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ .

قَالَ : وَكَانَ الشَّرِيفُ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ عَنْ صَدِيقٍ لَهُ مَأْمُونُ الْقَوْلِ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا شَاعَ خَبَرُ هَذَا الْقَصَّارِ وَمَا ظَهَرَ مِنْهُ ، أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ ، فَتَسَبَّبَ إِلَى أَنْ خَالَطَهُ ، وَصَارَ فِي جَمْلَةِ أَصْحَابِهِ وَمِنْ يُعْظَمُهُ وَيَطْلُعُ مَعَهُ إِلَى الْجَبَلِ ، فَأَلْسَدَ عَقْلَهُ وَغَيَّرَ مَعْتَقَدَهُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ . وَأَنَّهُ لَامَهُ عَلَى ذَلِكَ وَرَدَّعَهُ ، فَحَدَّثَهُ بِعَجَائِبِ مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا مِنْ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ يَطْلُعُونَ مَعَهُ إِلَى الْجَبَلِ أَحَدٌ إِلَّا وَيَسْأَلُهُ وَيَسْتَدْعِيهِ مَا يُرِيدُ عَلَى سَبِيلِ الْإِمْتِحَانِ ، فَيُخْضِرُهُ إِلَيْهِ لَوْقَتِهِ . وَأَنَّ يَدَهُ سِكِّينًا لَا

(a) بولاق : من لم يتبرأ . (b) بولاق : ممن لم يعرف أنه ، وفي المسودة : وكان بعض أصحاب القصار يشتري

تَقَطَّعَ إِلَّا بِيَدَيْهِ ، وَإِذَا أَمْسَكَ طَائِرًا وَقَبَضَهُ أَخَذَ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، يَذْفَعُ السَّكِينِ الَّتِي مَعَهُ لَهُ وَيَقُولُ لَهُ : اذْبَحْهُ ، فَلَا تَمْسُ فِي يَدِهِ ، فَيَأْخُذُهَا هُوَ وَيَذْبَحُهَا بِهَا وَيَجْرِي دَمُهُ ، ثُمَّ يَعُودُ وَيُمْسِكُهُ بِيَدِهِ وَيُسَرِّحُهُ فَيَطِيرُ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْحَدِيدَ لَا يَغْتَمِلُ فِيهِ ، وَيُوسِّعُ الْقَوْلَ فِيمَا يُشَاهِدُهُ مِنْهُ وَيَسْمَعُهُ .

فَلَمَّا اغْتَمَلُ الْقَصَّارُ ، بَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ مُصِرًّا عَلَى اغْتِقَادِهِ ، فَلَمَّا قِيلَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ وَشَاقَّهِ وَتَحَقَّقَ مَوْتُهُ ، عَلِمَ أَنَّ مَا كَانَ فِيهِ سِخْرٌ وَزُورٌ وَإِفْكٌ ، فَتَصَدَّقَ بِجَمَلَةٍ مِنْ مَالِهِ ، وَعَادَ إِلَى مَذْهَبِهِ وَصَحَّ مَعْتَقَدُهُ^١ .

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : دَارُ الْعِلْمِ كَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ قَدْ أَهْلَهَا ، وَهِيَ بِجَوَارِ بَابِ التَّيْبَانِينَ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْقَصْرِ الصَّغِيرِ ، وَفِيهَا مَذْقُونُ الدَّاعِي الْمُؤَيَّدِ فِي الدِّينِ هَيْبَةُ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْأَعْجَمِيِّ^٢ ، وَكَانَ لِإِبْطَالِهَا أُمُورٌ سَبَّبَتْهَا اجْتِمَاعُ النَّاسِ وَالْخَوْضُ فِي الْمَذَاهِبِ ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى الْمَذْهَبِ النَّزَارِيِّ .

وَلَمْ يَزَلِ الْخُدَّامُ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْآمِرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ حَتَّى تَحْدُثَ فِي ذَلِكَ مَعَ الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَكُونُ هَذِهِ الدَّارُ ؟ فَقَالَ بَعْضُ الْخُدَّامِ : تَكُونُ بِالْأُتَارِ الَّتِي كَانَتْ أَوَّلًا ؛ فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا لَا يَكُونُ لِأَنَّهُ بَابٌ صَارَ مِنْ جَمَلَةِ أَبْوَابِ الْقُصُورِ^٣ وَبُرِشَ الْحَوَائِجِ ، وَلَا يُمَكِّنُ الْاجْتِمَاعَ ، وَمَا^٤ يُؤْمَنُ مِنْ غَرِيبٍ يَتَحَصَّلُ بِهِ . فَأَشَارَ كُلُّ مِنَ الْأُسْتَاذِينَ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ^٥ بَعْضُهُمْ : أَنْ تَكُونَ فِي بَيْتِ الْمَالِ الْقَدِيمِ ؛ فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ قَدْ مَنَعْنَا أَنْ تَكُونَ مَتَاجِمَةً الْقَصْرِ^٦ .

الكَبِيرِ الَّذِي هُوَ سَكَنُ الْخَلِيفَةِ نَجْعُهَا مَلَاصِقَتُهُ^٧ ؟ فَقَالَ الثَّقَّةُ زِمَامُ الْقُصُورِ : فِي جَوَارِي مَوْضِعٍ لَيْسَ مُلَاصِقًا لِلْقَصْرِ وَلَا مُخَالِطًا لَهُ ، بِجُوزٍ أَنْ يُعْمَرَ وَيَكُونَ دَارَ الْعِلْمِ . فَأَجَابَ الْمَأْمُونُ إِلَى ذَلِكَ

(a) بولاق : القصر . (b) بولاق : ولا . (c) بولاق : فأشار . (d) بولاق : متاخمة للقصر . (e) بولاق : ملاصقة .

(راجع ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة - ترجمة حياته بقلمه ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة - دار الكاتب المصري ١٩٤٩) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة - دار الكاتب المصري ١٩٤٩) عماد الدين إدرس : حيون الأخبار

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٤٤-٤٦ : المقرئ : المسودة ٣٠٣-٣٠٧ ، وراجع أخبار بركات وحفيد القصار عند ابن مسير : أخبار مصر ١٩٥ : القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٦٢ : المقرئ : المقفى الكبير ٥٧١ : ٥٧٢ ، ٦٨٤ : ٦٨٥ .

Poonawala, I.K., *El* ^٢ art. ١٨٣-٣٧ : ٧ (Mu'ayyad fil-Din VII, pp. 272-73 .

^٢ داعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله ابن موسى بن داود الشيرازي ، المتوفى في شوال سنة ٤٧٠ هـ

وقال: بشرط أن يكون مُتَوَلِّيًا رَجُلٌ دِينٌ^(٥)، والدَّاعِي النَّاطِرُ فِيهَا، وَيَقَامُ فِيهَا مُتَصَتِّرُونَ بِرِسْمِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. فَاسْتُخْدِمَ فِيهَا أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ آدَمَ قَتُولَاهَا، وَشُرِطَ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ، وَاسْتُخْدِمَ فِيهَا مُقَرَّنُونَ^١.

ذِكْرُ دَارِ الضِّيَافَةِ

٥. خَرُجَ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَوَّلَ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ.

وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ دَارَ ضِيَافَةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ، وَأَعَدَّ فِيهَا الدَّقِيقَ وَالسَّنَنَ وَالْعَسَلَ وَغَيْرَهُ، وَجَعَلَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مَنْ يَحْمِلُ الْمُنْقَطِعِينَ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ حَتَّى يُوصِلُوهُمْ^(ب) إِلَى الْبَلَدِ.

١٠. فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَقَامَ الضِّيَافَةَ لِأَتْنَاءِ الشَّيْلِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ فِي الْمَسْجِدِ.

وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى بِمِصْرَ دَارَ الضِّيَافَةِ لِلنَّاسِ عُثْمَانُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ أَبِي الْعَاصِ السُّهْمِيُّ، أَخَذَ مِنْ شَهْدِ فَتَحَ مِصْرَ مِنَ الصُّحَابَةِ^٢.

١٥. وَكَانَ مَبْدَأُ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ - الَّذِي هُوَ الْآنَ الْخُرُونَشُفُ - دَارَ الضِّيَافَةِ بِحَاذَةِ بَرْجَوَانَ. وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ أَوَّلًا تُعْرَفُ بِدَارِ الْأُسْتَاذِ بَرْجَوَانَ، وَفِيهَا كَانَ يَسْكُنُ حَيْثُ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ بِحَاذَةِ بَرْجَوَانَ. ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْجَيْشِ بَذْرُ الْجَمَالِيِّ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ مِنْ عَكَّا وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِ الدَّوْلَةِ، أُنْشِأَ هُنَاكَ دَارًا عَظِيمَةً وَسَكَنَهَا، وَلَمْ يَسْكُنْ بِدَارِ الدِّيَابِجِ الَّتِي كَانَتْ دَارَ الْوِزَارَةِ الْقَدِيمَةِ.

٢٠. فَلَمَّا مَاتَ أَمِيرُ الْجَيْشِ بَذْرُ، وَاسْتَقَرَّ فِي^(ج) سُلْطَنَةِ دِيَارِ مِصْرَ ابْنُهُ الْأَفْضَلُ شَاهِنْشَاهُ بْنُ أَمِيرِ الْجَيْشِ، وَأُنْشِأَ دَارُ الْقِبَابِ - الَّتِي عُرِفَتْ بِدَارِ الْوِزَارَةِ الْكُبْرَى - قَرِيبًا مِنْ رَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ، أَقَرَّ أَخَاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ جَعْفَرًا الْمَنْعُوتَ بِالْمُظَفَّرِ بْنِ أَمِيرِ الْجَيْشِ بِدَارِ أَمِيرِ الْجَيْشِ مِنْ حَاذَةِ بَرْجَوَانَ،

(a) بولاق: رجلاً ديناً. (b) بولاق: يوصلهم. (c) بولاق: استولى على.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٢-٣٣، ٤٥ - ابن عبد الحكم: فوج مصر ٢٣١.

٤٤٦ المقرئ: مسودة المواظع ٣٠١-٣٠٣.

فغرقت بدار المظفر، وما زال بها حتى مات وقبر بها، وإلى اليوم قبره بها، وتسميه العائمة بجعفر الصادق^١.

ولما مات المظفر أخذت داره المذكورة دار ضيافة يرسم الرسل الواردين من الملوك، واستمرت كذلك إلى أن انقرضت الدولة، فأنزل بها السلطان صلاح الدين أولاد العايد، إلى أن نقلهم إلى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب.

فلما كان في سنة تسع وسبعين وست مائة، تقدم أمر الملك المنصور قلاوون لوكيل بيت المال القاضي مجد الدين عيسى بن الحشاش، ببيع دار المظفر، فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها، وبيع دار المظفر الصغرى، وهدمها الناس وبنا في مكانها دورا.

وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي الحنفي، وما بجوارها إلى الدار التي بها سكني اليوم^٢، وهي من حقوق دار المظفر الصغرى، على ما في كتبها القديمة.

ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره في سنة سبع، أو سنة ثمان وثمانين وسبع مائة، ظهر من تحت الأرض عند حفر الأساس حجرة عظيم، قيل إنه عتبة دار المظفر الكبرى. وكان إذ ذاك الأمير جهازكس الخليلي يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر بقوق التي في حطتين القصرين^٣، فلما بلغه خبر هذا الحجرة بقى إليه، وأمر بجره إلى العمارة، فعمل عتبة باب المدرسة التي للمدرسة.

وكان من وراء هذه الدار رحبة الأقيال، أذكرتها ساحة ثم غمر فيها. قال ابن الطوير: الخدمة المعروفة بـ «التيابة للقاء المترسلين»^٤ - وهي خدمة جليظة - يقال لتوليها: «الثائب»، ويُنعت بـ «عدي الملك»، وهو ثوب عن صاحب الباب^٥ في لقاء الرسل الوافدين عن مسافة، وإنزال كل واحد في دار تصلح له، ويقيم له من يقوم بخدمته، وله نظير في دار الضيافة - وهو يسمى اليوم بمهمندار - ويرتب لهم ما يحتاجون إليه، ولا يمكن أحدا من

(a) بولاق: المرسلين.

^١ فيما يلي ٥٢:٢-٥٣.

^٢ عن دار المقرري بحارة برجوان انظر فيما يلي رتبة الوزارة ويقال لها: الوزارة الصغرى (ابن الطوير: نزعة المقتلن ١٢٢:٤- *Sahib al-* art. ٢٢٢ *Ayman F. Sayyid, El*

bâb VIII p. 860؛ وفيما تقدم (٣٣٩).

٢٥٣:٢، ومقدمة المجلد الأول ٣٩:١.

^٣ فيما يلي السوداء.

الاجتماع بهم، ويُذَكَّر صاحبُ الباب بهم، ويُبالغ في نَجَازِ ما وَصَلُوا فيه .

وهو الذي يُسَلَّم بهم أهدًا عند الخليفة والوزير، ويُتَقَدَّ بهم ويستأذن عليهم . ويُذَخَّلُ الرسولُ وصاحبُ الباب قابضٌ على يده اليمنى، والثائب بيده اليسرى، فيحفظ ما يقولون وما يُقالُ لهم، ويجتهد في انقصالهم على أحسن الوجوه، وبين يديه من القراشين المقدم ذكرهم عدَّة لإعانتة، وإذا غاب أقام عنه نائبًا إلى أن يعود، وله من الجاري خمسون دينارًا في كل شهر، وفي اليوم نصف قنطار خُبْز، وقد يُهْدَى إليه المُرسَلون طُرُقًا فلا يتناولها إلا بإذن^١. انتهى .

وفي هذه الدولة التركية يُقالُ لمتولِّي هذه الوظيفة : « مِهْمَنْدَار »، ولا يليها عندهم إلا صاحبُ سَنَفٍ من الأمراء العُشَرَاوات . وكانت في الدولة الفاطمية، على ما ذَكَرَهُ ابْنُ الطَوُور، لا يليها إلا أَعْيَانُ العُدُولِ وأزبَابُ القسائم، ويُتَعَتُّ أهدًا بـ « عَدِيَّ المُلْك » . وأصلُ هذه الكلمة بالفارسية مِهْمَان دَار (ومعناها : مُتَقَلِّبُ الضُّيُوف) .

ذِكْرُ اسْمِ تَبَلُّبِ الحُجَرِيَّةِ

وكان بجوارِ دار الضيافة اسْمُ تَبَلُّبِ الصَّبِيَّانِ الحُجَرِيَّةِ المُقَدَّم ذكرهم^٢. ومَوْضِعُ هذا الإسْمِ تَبَلُّبُ اليوم يُعْرَفُ بخان الوِزَاقَةِ، داخل باب الفُتُوح القَدِيمِ بشوق المُرحِلين، على بَشْرَةٍ من أَرَادَ الخُرُوجَ من باب الفُتُوح القَدِيمِ، تجاه زيادة الجامع الحاكمي .

ومن حقوق هذا الإسْمِ تَبَلُّبُ أيضًا المَوْضِعُ الذي فيه الآن القَيْسَارِيَّةُ المعروفة بِقَيْسَارِيَّةِ السُّت^٣، التي هي اليوم تجاه المَدْرَسَةِ الصُّيُومِيَّةِ والجَمْعَلُون الصَّغِيرِ . وكانت بهذا الإسْمِ تَبَلُّبُ خِيُولُ الصَّبِيَّانِ الحُجَرِيَّةِ، إحدى طوائف القساكر في زَمَنِ الخُلَفَاءِ الفاطميين .

/ ذِكْرُ مَطْبَعِ القَصْرِ

وكان بجوارِ القَصْرِ الغَرْبِيِّ، قُبَالَةَ باب الرُّهُومَةِ من القَصْرِ الكبير « مَطْبَعُ القَصْرِ » وموضعه الآن الصَّاعَةِ تجاه المَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ . ولَمَّا كانت مَطْبَعًا كان يُخْرَجُ إليه من باب الرُّهُومَةِ . وَذَكَرَ

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين ١١١٨ ابن الفرات : تاريخ وفيما تقدم ٣٣٩ .

الدول ١١٤٧ : ١/٤ القلقشندي : صبح ٤٨٤ : ٣ فيما تقدم ٤٥٣ - ٤٥٤ .

المقريزي : المسودة ٢٥٠ - ٢٥١ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤٢ ، لم يفردها المقريزي في ذكر القياصر .

ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ، ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام ، تُفَرَّقُ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى أَزْبابِ الرُّسُومِ والصُّعْفَاءِ^١.

ذَرْبُ السِّلْسِلَةِ

- وكان بجوار مطبخ القصر ذَرْبُ السِّلْسِلَةِ^٢. قال ابن الطُّوَيْرِ: ويبيتُ خارج باب القصر في كُلِّ لَيْلَةٍ خمسون فارسًا. فإذا أُذِنَ بالعشاء الآخرة داخل القاعة ، وصَلَّى الإمامُ الرَّائِبُ بها بالمقيمين فيها من الأشتاذين وغيرهم ، وَقَفَ على باب القصر أميرٌ يُقالُ له سِنَانُ الدَّوْلَةِ بن الكَرْكَنْدِي^٣ ، فإذا علم بِفَرَاغِ الصَّلَاةِ أَمَرَ بِضَرْبِ التُّزَابَاتِ مِنَ الطُّبُلِ والبُوقِ ولَوَائِقِهِمَا مِنْ عِدَّةٍ وافرة ، بِطَرَائِقِ مستحسنة مُدَّةَ سَاعَةٍ زمانية^٤. ثم يخرج بعد ذلك أَشْتَاذُ يرسم هذه الخِدْمَةَ فيقول: أميرُ المؤمنين يَدْعُو على سِنَانِ الدَّوْلَةِ السَّلَامَ ، فيضْطَعُ^٥ وَيُغْرِسُ خِزْبَةً على الباب ، ثم يَرْفَعُهَا يده ، فإذا رَفَعَهَا أُعْلِقَ البابُ ، وسارَ حوالي القصر سبع دورات . فإذا انتهى ذلك جَعَلَ على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم ، وانضوى^٦ المؤذنون إلى خِزَائِتِهِمْ هناك ، وتَرْمَى السِّلْسِلَةَ عند المضيق آخر تَيْنِ القَصْرِينِ من جانب الشيوفيين^٧ فينقطع المارُّ من ذلك المكان إلى أن تُضْرَبَ التُّوْبَةُ سَحَرًا قرب الفَجْرِ ، فتصرف النَّاسُ من هناك بارتفاع السِّلْسِلَةِ^٨.

(B) بولاق : انصرف .

- ^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨٨: ٥٨٩ المقرئ: المسودة (٢٤١) القلقشندي: صبح ٣٤٦: ٣، ١٤٧٦ أبو الحسن: النجوم ٥٣: ٤ وفيما يلي ١١٠٢: ٢ Fu'ād and Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 237-39.
- ^٢ فيما يلي ٣٨: ٢.
- ^٣ أضاف القلقشندي أنه يقوم مقام أمير جالندار في عصر المالِك (صبح ٥١٨: ٣) ، وانظر فيما يلي ٢٢٢: ٢.
- ^٤ منع الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠٣ هـ من ضرب الطبول والأبواق حول القصر في الليل - لأنها كانت تؤرِّقُ النائمين في أغلب الظن - فصار الحراس يطوفون بغير طبل ولا بوق . (المقرئ: اتصاف ٩٦: ٢).
- ^٥ ابن الطوير: نزعة ٢١٠ - ٢١١ المقرئ: المسودة ٧٥ - ٧٦ ، وفيما يلي ٢٨: ٢ ، وقارن مع القلقشندي: صبح ٥١٨ ، ٥١٩ ناصر خسرو: سفرنامه ٨٩ (كيفية حراسة القصر سنة ١٤٤٠ هـ) Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 298-99.
- ^٦ انضوى أي لجأ (الفروزأبادي: القاموس المحيط ١٦٨٤).
- ^٧ المقصود سوق السيوفين الذي كان يقع عند المدخل الجنوبي الغربي لميدان بين القصرين . وكانت السلسلة تقع في الموضع الذي يحده اليوم التقاء شارع المعز لدين الله مع شارع جوهر القلاد .
- ^٨ ابن الطوير: نزعة ٢١٠ - ٢١١ المقرئ: المسودة ٧٥ - ٧٦ ، وفيما يلي ٢٨: ٢ ، وقارن مع القلقشندي: صبح ٥١٨ ، ٥١٩ ناصر خسرو: سفرنامه ٨٩ (كيفية حراسة القصر سنة ١٤٤٠ هـ) Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 298-99.

وقال ابن عبد الظاهر: دَرَبُ السُّلْسَلَةِ الذي هو الآن إلى جانب الشيوخين، كانت عنده سِلْسِلَةٌ منه إلى قُبَالَتِهِ تُعَلِّقُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الظَّهْرِ حَتَّى لَا يَغَيَّرَ رَاكِبٌ تَحْتَ الْقَصْرِ. وهذا الدَّرَبُ يُعْرَفُ بَيْنَانِ الدَّوْلَةِ بن الكَرْكَنْدِي. وهذا الدَّرَبُ هو المختص بالثَّقِيْرَةِ^(٨).

وهذه الثَّقِيْرَةُ^(٩) أمرها مستظرف لا من قِتل الحُشْنِ بل من قِبل التعجب من الغُفُول، ولها خمسة أوقات، وهي: ليالي العيدَيْن، وغُرَّةُ السَّنَةِ، وغُرَّةُ شهر رَمَضَانَ، ويَوْمُ فَتْحِ الْحَلِيج. وهو أَنَّهُ يَقِفُ رَاكِبًا فِي وَسْطِ الزُّلَاقَةِ التي لباب الذهب قُبَالَةَ الدَّارِ الْقُطَيْبَةِ، فيخرج إليه السلام من الخَلِيفَةِ، ثم تخدم الرَّهَجِيَّةُ، ثم يَصْعَدُ عَلَى كَنْدَجَةٍ^(١٠) باب الرُّهُومَةِ وقُدَّامَهُ دَوَابُّ المِظْلَةِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، والرَّهَجِيَّةُ تَخْدُم، وأزباب الصُّوْءِ ومستخدمو الطُّرُقِ عَلَى السُّلْسِلَةِ.

فإذا كان الطُّوْفُ وَصَلُوا إِلَيْهِ، واجتمعت الرَّهَجِيَّةُ كُلُّهُمْ، وَرَكِبَ فَرَسًا وعليه ثِيَابٌ حَسَنَةٌ، وَكَشَفَ عَنْ رَايَاتِهِ وَأَخَذَ يَدَهُ رُمُحًا، واجتمعت الرَّهَجِيَّةُ حَوْلَهُ، ويعبر مشورًا وأولئك خَلَفَهُ بِالصُّرَاخِ وَالصُّيَاحِ بِشِعَارِ الإِمَامِ، ثم يسير بذلك الجَمْعُ وَخَيْلُ المِظْلَةِ إِلَى أَبْوَابِ الْقَصْرِ، فيقف عند كُلِّ بَابٍ وتخدم الرَّهَجِيَّةُ إِلَى أَنْ يَمُودُوا إِلَى بَابِ الدُّقْبِ، ثم إلى دَارِ الوَزَارَةِ لِلهَتَاءِ. فلم يزلوا كَذَلِكَ إِلَى قُبَالَةِ بَابِ^(١١) ابن الكَرْكَنْدِي فَبَطَلَتْ هذه السَّنَةُ فِي الأَيَّامِ الأَمِيرِيَّةِ.

وصاحب الثَّقِيْرَةِ^(١٢) مَن وَصَلَ أَبَاؤُهُ صُحْبَةً المِيزَ لَدِينِ اللَّهِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، فكانت هذه سُنَّتُهُمْ^(١٣).

ذِكْرُ الدَّارِ المَأْمُونِيَّةِ

وكان بجوار دَرَبِ السُّلْسِلَةِ الدَّارُ المَأْمُونِيَّةُ وهي المَدْرَسَةُ الشَّيْخِيَّةُ^(١٤)، وكانت هذه الدَّارُ سَكَنَ المَأْمُونِ بن البَطَّايْحِي، وعُرِفَتْ قَدِيمًا بِقَوَامِ الدَّوْلَةِ حَبِيبِ ثُمَّ عُرِفَتْ بِالمَأْمُونِ مُحَمَّدِ بْنِ فَاتِكٍ.

(٨) بولاق وسائر النسخ: الثَّقِيْرَةُ، والمثبت من ابن عبد الظاهر. (b) بولاق: كندرة. (c) بولاق وسائر النسخ: ولاية، والمثبت من ابن عبد الظاهر.

^١ كَنْدَجَةٌ. كَمْزَةٌ تستخدم لبناء الأبنية والعقود
^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٩-٦٠.
^٣ فيما يلي ٢: ٣٦٥.
 (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ٣٢٧).

ذِكْرُ^٥ المأمون البطاحي - هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير مُنْجِد الدولة أبي الحسن مُختار المُشْتَصِرِي^١. انْصَلَّ بِخِدْمَةِ الْأَفْضَلُ بن أمير الجيوش في شهر شَوَّال سنة إحدى وخمسة مائة عندما تَقَفَّرَ على تاج المعالي مُختار الذي كان اضْطَظَنَّهُ وَقَحَّمْ أَمْرَهُ وَسَلَّمْ إِلَيْهِ خَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَكُشَوَاتِهِ ، وَسَلَّمْ ما كان بيده من الخِدْمَةِ لِحَمْدِ بن فاتك ، فَتَصَرَّفَ فِيهَا .

وَقَرَّرَ لَهُ الْأَفْضَلُ ما كان باسم مُختار من العَيْنِ خَاصَّةً دُونَ الْإِقْطَاعِ ، وَهُوَ مِائَةُ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا عَنْ جَارِي الْخَزَائِنِ ، مُضَافًا إِلَى الْأَصْنَافِ الرَّائِيَةِ مِائَةً وَمِثْلَهَا مِثْلَةً . فَحَسَنَ عِنْدَ الْأَفْضَلِ مَوْقِعَ خِدْمَتِهِ فَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ لَهُ جَمِيعَ أُمُورِهِ ، وَصَرَّفَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ . فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ الشُّغْلُ ، اسْتَعَانَ بِأَخُوهُ أَبِي ثَرَابٍ حَيْثَرَةَ وَأَبِي الْفَضْلِ جَقْفَرٍ ، فَأُطْلِقَ الْأَفْضَلُ لَهَا مَا وَشَّعَ بِهِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْمِائَةِ وَالْمِثْلَةِ وَالْمِثْلَةِ . وَنَعَتَهُ الْأَفْضَلُ بِ « الْقَائِدِ » ، فَصَارَ يُخَاطَبُ بِ « الْقَائِدِ » وَيُكَاتَبُ بِهِ ، وَصَارَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأُسْتَاذِ .

فَلَمَّا قُبِلَ الْأَفْضَلُ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ، قَامَ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بن فاتك لِحِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى أَمْوَالِ الْأَفْضَلِ ، وَبَالَغَ فِي مُنَاصَحَتِهِ حَتَّى لَقَدْ أَتَاهُمْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَبَّرَ فِي قَتْلِ الْأَفْضَلِ بِإِشَارَةِ الْخَلِيفَةِ . / فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْإِمْرُ فِي مَسْتَهْلٍ ذِي الْقَعْدَةِ بِمَجْلِسِ اللَّعْبَةِ مِنَ الْقَصْرِ^٢ ، وَهُوَ الْمَجْلِسُ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْخَلِيفَةُ ، وَلَمْ يُخْلَعْ قَبْلَهُ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ ، وَخَلَّ الْمِنْطَقَةَ مِنْ وَسْطِهِ ، وَخَلَعَ عَلَى وَلَدِهِ وَخَلَّ مِنْطَقَتَهُ ، وَخَلَعَ عَلَى إِخْوَتِهِ .

(٥) ساقطة من بولاق .

من نال الوزارة ١٠٣-١٠٧ هـ ابن مهسر : أخبار مصر ٨٧-
١٠٥ هـ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٨-٢٩٢ هـ المقرئ :
المقفى الكبير ٦: ٤٧٨-٤٧٩ هـ . Dunlof, D. M., *Et* art. ٥٠٠-
al-Batâ'ih, I, pp. 1124; Fu'âd Sayyid, A., *La*
capitale de l'Égypte, pp. 483-537 وفيما تقدم
٤٤٦-٤٤٧ هـ .

^٢ انظر فيما تقدم ٤٤٦ هـ .

^١ المصدر الرئيس لترجمة الوزير محمد بن فاتك المعروف
بالمأمون بن البطاحي هو كتاب «أخبار مصر» أو «السيرة
المأمونية» الذي كتبه ابنه الأمير جمال الملك أبو علي موسى بن
المأمون ، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ (المقرئ : السلوك ١١١: ١) .
وحفظ لنا المقرئ القسم الأكبر من هذه السيرة فيما نقله
عنها في الخطوط وانعاط الخنفا والترجمة المطبوعة التي خصصها
للويز المأمون البطاحي في كتابه المقفى الكبير . (راجع : ابن
المأمون : أخبار مصر ٣- ١٠٥ هـ ابن الصيرفي : الإشارة إلى

واستمر تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهل ذو الحجة ، ففي يوم الجمعة ثانياه خُليع عليه من الملابس الخاص [الشريفة]^(a) في فرد كتم مجلس اللعنة ، [وطوق بـ]^(a) طوق ذهب مريض وسيف ذهب كذلك ، وسلم على الخليفة .

وتقدم الأمر للأمراء وكافة الأشراف بالخروج بين يديه ، وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل يركب منه ، ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه ، وخرج بتشريف الوزارة ، ودخل من باب العيد راجيا . ووصل إلى داره ، فضاعف الرسوم وأطلق الهبات .

فلما كان يوم الاثنين خامسه ، اجتمع الأمراء بين يدي الخليفة ، وأحضِر السجل في لفافة خاص مذهب ، فسلمه الخليفة له من يده ، فقبله وسلمه لزاما القصر ، فأمره الخليفة بالجلوس إلى جانبه عن يمينه ، وقرأ السجل على باب المجلس ، وهو أول سجل قرئ هناك ، وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تُقرأ بالإيوان^١ .

ورسم للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة ، كاتب الدُست ، أن يتقل نسبة الأمراء والمحتمكين من الأميري إلى المأموني ، وكذا الناس أجمع ، ولم يكن أحد ينتسب إلى الأفضل ولا لأمير الجيوش ، وقدمت له الدواة فعلم في مجلس الخليفة . ونعت بـ « السيد الأجل المأمون تاج الخلافة ، وجيه الملك ، فخر الصنائع ، دُخر أمير المؤمنين عز الإسلام ، فخر الأنام نظام الدين ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ناصر الإمام^(b) ، كافي قضاة المسلمين ، وهايدي دُعاة المؤمنين » .

وكان يجلس بداره في يومي الأحد والأربعاء للراحة والتفقه في العسكر الفارس^(c) البساطية إلى الظاهر ، ثم يرفع التفقه ويحط السماع ، ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه ، فيتيق في الراجل إلى آخر النهار .

وفي يوم الجمعة يُطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير ، ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والأجزاء مما هو ثابت بأسمائهم خمس مائة درهم ، ولبيبة الضعفاء والمساكين خمس مائة درهم أخرى . فإذا توجه يوم الجمعة إلى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لأربابه .

(a) زيادة من المقي الكبير . (b) بولاق : الأنام . (c) ساقطة من بولاق .

ولم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمس مائة ، فقَبِضَ الأمير المذكور عليه وعلى إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلاً من خواصه وأهله واعتقله ، ثم صَلَبَته مع إخوته في سنة اثنتين وعشرين . وقيل : إن سَبَبَ القَبْض عليه ما بَلَغَ الأمير عنه أنه بَعَثَ إلى الأمير جعفر بن المستغلي يُغريه بِقَتْلِ أخيه ليقيمه مكانه في الخلافة ، وكان الذي بَلَغَ الأمير ذلك الشيخ أبو الحسن بن أبي أسامة . وبلَّغَه أيضًا عنه أنه سَيَّرَ نجيب الدولة أبا الحسن إلى اليمن ليضرب سيكة عليها . الإمام المختار محمد بن نزار . ودُكِرَ عنه أنه سَمَّ شيعًا ودَفَعَه لفضاد الخليفة فتَمَّ عليه الفَصَاذُ . وكان مَوْلَدُ المأمون في سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة ، وكان من ذوي الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول ، كريمًا واسع الصدر ، سَفَاحًا للدماء ، كثير التحرز والتطلع إلى معرفة أحوال الناس من العامة والجند ، فكثُرَ الوُشَاةُ في أيامه .

حبس المغوثة

وكان بجوار الدار المأمونية حبس المغوثة ، وموضعه اليوم قيسارية العنبر^١ . قال ابن المأمون : في سنة سبع عشرة وخمس مائة ، تقدَّم أُمُرُ المأمون إلى والييه بمصر والقاهرة^(a) بإحضار عُرَفاء السُّقَّاتين وأخذ الحُجَّج على المتعيشين^(b) منهم بالقاهرة بحضورهم متى دَعَت الحاجة إليهم ليلاً ونهارًا ، وكذلك يعتمد في القريبين^(c) - (الذين يحملون الماء في القرب^(d)) - وأن يبيتوا على باب كل مغوثة ومعهم عشرة^(e) من الفعلة بالطواري والمساحي ، (والزم والييه)^(f) أن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهما بحُكْم قَرِهِم^٢ . انتهى .

وكان حبس المغوثة هذا يُسَجِّن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل^٣ ، وأما الأمراء والأغنياء فيُسَجِّنون بخزانة البُتود كما تقدَّم^٤ . ولم يزل هذا الموضع سجنًا مُدَّة الدولة الفاطمية ومُدَّة دولة بني أيوب ، إلى أن عمَّره الملك المنصور قلاوون

(a) المسودة : لكل من والي القاهرة ومصر . (b) المسودة : والزام المتعيشين . (c-c) زيادة من المسودة . (d) المسودة : عدة .

^١ فيما يلي ٢: ٨٩ . المؤيد شيخ في بناء المدرسة المؤيدة على يسار الداخل من باب

^٢ ابن المأمون : أخبار مصر ٦٩-١٧٠ المقرزي : المسودة زويلة ، مما يدل على أن المقرزي كتب هذا القسم من المخطوط قبل هذا التاريخ ، وانظر فيما يلي ٢: ٣٢٨ .

^٣ هدم هذا السجن في سنة ٨١٨هـ عندما بدأ السلطان ^٤ فيما تقدم ٣٩٧ - ٣٩٨ .

فَيْسَارِيَّةٌ أَشْكَنَ فِيهَا الْعُتْبَرَانِيَّ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِت مِائَةَ ١.

ذِكْرُ الْحِشْبَةِ وَدَارِ الْعِصَارِ

وكان بجوار حبس المَقَوَّةِ دِكَّةُ الحِشْبَةِ ومكانها اليوم يُعرَف بالأبازرة ومَكشَر الحَطَب ، بجوار سوق القَصَّارين والقَحَّامين ٢.

قال ابنُ الطَّوَيْر: وأما الحِشْبَةُ فَإِنَّ مَنْ تُشَدُّ إِلَيْهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ وَجْهِهِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْيَانِ الْمَعْدُودِينَ ؛ لِأَنَّهَا خِدْمَةٌ دِينِيَّةٌ ، وَلَهُ اسْتِخْدَامُ الثَّوَابِ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَتَجْمِيعُ أَعْمَالِ الدَّوْلَةِ كَثُوبُ الْحُكْمِ ، وَلَهُ الْجُلُوسُ ٣ بِجَامِعِي الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ٢.

وَيَطُوفُ ثَوَابُهُ عَلَى أَرْبَابِ الْحَرْفِ وَالْمَعَايِشِ ، وَيَأْمُرُ ثَوَابُهُ بِالْحُكْمِ عَلَى قُدُورِ الْهَرَّاسِينَ وَنَظَرِ لَحْيِهِمْ وَمَعْرِفَةِ مَنْ بَجَزَّارِهِ ، وَكَذَلِكَ الطَّبَّاخُونَ ، وَيَتَبَّعُونَ الطَّرِيقَاتِ ، وَيَمْنَعُونَ مِنَ الْمُضَايِقَةِ فِيهَا ، وَيُلْزَمُونَ زُؤْسَاءَ الْمَرَائِبِ أَلَّا يَحْمِلُوا أَكْثَرَ مِنْ وَشَقٍ ٤ السَّلَامَةِ ، وَكَذَلِكَ مَعَ الْحَمَّالِينَ عَلَى الْبَهَائِمِ .

/وَيَأْخُذُونَ ٥ السَّقَّائِينَ بِتَغْطِيَةِ الزَّوَايَا بِالْأَكْمِيسِيَّةِ - وَلَهُمْ عِيَارٌ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ دَلْوًا ، كُلُّ دَلْوٍ أَرْبَعُونَ رَطْلًا - وَأَنْ يَلْبَسُوا الشَّرَاوِيلَاتِ الْقَصِيرَةَ الضَّايِقَةَ لَعُزَاتِهِمْ وَهِيَ زُرْقٌ ، وَيُلْزِمُونَ مُعَلِّمِي الْمَكَاتِبِ بِأَلَّا يَقْضِرُوا الصَّبِيَّانَ ضَرْبًا مَبْرُحًا وَلَا فِي مَقْتَلٍ ، وَكَذَلِكَ مُعَلِّمُو الْعَزْمِ بِتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الثَّرْفِيرِ بِأَوْلَادِ النَّاسِ ، وَيَقْفُونَ عَلَى مَنْ يَكُونُ سَبِيحُ الْمَاعِلَةِ فَيَنْهَوْنَهُ بِالزُّدْعِ وَالْأَدَبِ ، وَيَنْتَظِرُونَ الْمَكَائِلَ وَالْمَوَازِينَ .

(أ) مسودة المواظظ : جلوس . (ب) المسودة : حد . (ج) يولاق : ويأمرون .

^١ انظر فيما يلي ٨٩:٢ ، ١٠٢ ، ١٨٨ ، والمقريزي : مسودة المواظظ ٣٩٥ ، ٤٢٨ .

^٢ المقريزي : المسودة ٣٢٠ ، وفيما يلي ٣٦:٢ . وبعادل موقع خط دكة الحيشبة اليوم المكان الواقع بين جامع الأشرف برسباي عند تقاطع شارع القائد جوهر مع شارع المعز لدين الله ، وللمكان القائم عليه الآن جامع الغوري وما وراءه تجاه الجنوب .

^٣ عن وظيفة المحتسب في العصر الفاطمي راجع ، المسيحي : أخبار مصر ١٣-١٤ : المقريزي : إغالة الأمة ١٣-١٤ ، واتعاظ الخنفا ١: ١٢٠ ، ٢: ١٣٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ : سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٧٢ ، ٧٨ : أمين فؤاد سيد : تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين ، حوليات إسلامية ٢٤ (١٩٨٨) ، ١٢ .

وللمُخْتَسِبِ النَّظَرُ فِي دَارِ الْعِيَارِ، وَيُخْلَعُ عَلَيْهِ وَيُقْرَأُ سِجْلُهُ بِمِصْرٍ وَالْقَاهِرَةِ عَلَى الْمِثْبَرِ، وَلَا يُحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَصْلَحَةِ إِذَا رَأَاهَا، وَالْوَلَاةُ تُشَدُّ مِنْهُ^(٥) إِذَا احتاج إلى ذلك، وجاريه ثلاثون دينارًا في كُلِّ شهرٍ^١. انتهى.

وكان للعيار مكانٌ يُعرَفُ بدار العيار تُعَيَّرُ فِيهِ الْمَوَازِينُ بِأَسْرَها وَبِجَمِيعِ الصَّنَجِ. وكان يُتَّفَقُ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ مِنَ الدِّيوانِ السُّلْطَانِيِّ فِيمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَصْنَافِ، كَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالخَشَبِ وَالزُّجَاجِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَاتِ وَأَجْرِ الصَّنَاعِ وَالْمُشَارِفِينَ وَنَحْوِهِمْ. وَيَخْضُرُ الْمُخْتَسِبُ أَوْ نَائِبُهُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ لِتُعَيَّرَ الْمَعْمُولُ فِيهَا بِخَضْرَوِهِ، فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ أَمْتَصَّاهُ، وَالْأَمْرُ بِإِعَادَةِ عَمَلِهِ حَتَّى يَصِيحَ.

وكان بهذه الدار أُمْلَةٌ يُصَحَّحُ بِهَا الْعِيَارُ، فَلَا تُبَاعُ الصَّنَجُ وَالْمَوَازِينُ وَالْأَكْيَالُ إِلَّا بِهَذِهِ الدَّارِ، وَيَحْضُرُ جَمِيعُ الْبَاغَةِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ بِاسْتِذْعَاءِ الْمُخْتَسِبِ لَهُمْ، وَمَعَهُمْ مَوَازِينُهُمْ وَصِنْتُهُمْ وَمَكَايِلُهُمْ، فَتُعَيَّرُ فِي كُلِّ قَلِيلٍ. فَإِنْ وُجِدَ فِيهَا التَّافِصُ اسْتَهْلِكَ وَأُخِذَ مِنْ صَاحِبِهِ لِهَذِهِ الدَّارِ، وَالزَّرَمُ بِشِرَاءِ نَظِيرِهِ مِمَّا هُوَ مَحْزُورٌ بِهَذِهِ الدَّارِ وَالْقِيَامُ بِشِمْنِهِ. ثُمَّ سُومِعَ النَّاسُ، وَصَارَ يُلْزَمُ مَنْ يَظْهَرُ فِي مِيزَانِهِ أَوْ صِنْتِهِ خَلَلٌ بِإِصْلَاحِ مَا فِيهَا مِنْ فَسَادٍ فَقَطُّ وَالْقِيَامُ بِأَجْرَتِهِ فَقَطُّ.

وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةً جَمِيعَ الدَّوَلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى صَلاَحُ الدِّينِ عَلَى السُّلْطَنَةِ، أَقْرَأَ هَذِهِ الدَّارَ، وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى سُورِ الْقَاهِرَةِ مَعَ مَا كَانَ جَارِيًا فِي أَوْقَافِ السُّورِ مِنَ الرُّبَاعِ وَالنُّوَاحِي الْجَارِيَةِ فِي دِيوانِ الْأَشْوَارِ^٢. وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةً إِلَى^{(b) ٣}.

وكانت بدار العيار تحاريبٌ يُعرَفُ بِهَا الْأَوْزَانُ مِنْهَا أَنَّ الشَّحَاقَ زِنَةَ الْأَرْدَبِ مِنْهُ مَا بَيْنَ مِائَةِ قَنْطَارٍ مِصْرِيِّ وَثَلَاثَ إِلَى مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ رَطْلًا، وَالْقَلَّةُ الزَّيْتُ الْخَارِ مِائَةِ وَاثْنَا عَشَرَ رَطْلًا مِصْرِيًّا، وَالْحَمَلُ الْحَطَبُ السَّنَطُ مِائَةِ وَعَشْرَةَ أَرْطَالٍ، وَالْبُنْدُقُ يَصْحُ مِنَ الْجِيدِ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَرْطَالٍ وَنِصْفٍ

(a) بولاق : معه . (b) ساقطة من بولاق ، وبعدها في آياصوفيا بياض مقدر سطرين .

^١ ابن الطوير : نزعة ١١٦-١١٧ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول ١٤٦ : ١٤٧-١٤٨ ؛ الفلقشندي : صبح ٤٨٣ : ٣ ، وأضاف : «ورأيت في بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما أحياناً» ، المقرئ : المسودة ٣٢٠-٣٢١ ، واتعاظ ٣ : ٣٤٢ .
^٢ المقرئ : مسودة المواظ ٣٢١-٣٢٢ ؛ وانظر أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٥٤٨-٥٤٩ .
^٣ موضع هذه العبارة في مسودة المواظ : «وكانت هذه الدار في الموضع الذي يعرف اليوم [بياض]» .

وربع من الثلث ، واللوز يصح من قليه نحو ألفي رطل من كل قنطار ، والفستق يصح من كل عشرة أرطال أربعة أرطال من القلب ، والبيعة العثبر بمصر سبع مثاقيل ونصف ورثم ، وبالإسكندرية عشرة مثاقيل ، والزعفران الشعر كل من منه مائتان وستون درهما عنها أربعة وعشرون أوقية كل أوقية عشرة دراهم ونصف وثلاث . والطحون المئ مائتان وأربعون درهما ، أربعة وعشرون أوقية كل أوقية عشرة دراهم . والحمل البشم الآمري ، وهو الرقيق منه والكولمي وهو الجافي منه ست مائة رطل بالمصري . والحمل القفل خمس مائة رطل ، والحمل القطن المحلوج خمس مائة وخمسون رطلاً وثلاث رطل ، والراوية القطران مائتان وثمانون رطلاً جروثاً والمطر الزيت بالإسكندرية أحد وعشرون رطلاً وثلاث رطل بجزوي وهو أربعة أقساط وثلاث كل قسط خمسة أرطال وثلاث بالجزوي ، والأرز الروي الوية ستة عشر قدحاً وزنها ثلاثون رطلاً بالجزوي يكون القنطار ثلاث وثلاث والأردب مائة وثمانين رطلاً بالجزوي ، والأرز الغشيم الزاحي بغير تبييض يصح إذا بشر أرز بياض بالمليح خمس وثلاث عن المائة أردب ثلاثة وثمانون أردباً ، والدراع الحام ثلاثة أشبار وذراع الحصر شبران والدراع الذي يقاس به الحبل السميل ثلاثة أذرع^١ .

إسطنبول الجُمَيَّة

وكان بجوار القصر الغربي من قبله^(أ) «إسطنبول الجُمَيَّة» ، من جانب باب الشاباط الذي هو الآن باب سير المارستان المنصوري . وقيل له إسطنبول الجُمَيَّة من أجل أنه كان في وسطه شجرة جُمَيَّر كبيرة^٢ .

وكان موضع هذا الإسطنبول تجاه من يخرج من باب الشاباط ، فينزل من الحذرة التي هي الآن تجاه باب سير المارستان المتوصل منها إلى حارة زويلة ، ويمتد فيما حاذاه يسارك إذا وقفت بأول هذه الحذرة حيث الطاحون الكبيرة التي هي الآن في أوقاف المارستان وما وراءها ، ويحاذيها إلى الموضع المعروف اليوم بالثندقانيين .

(أ) في المسودة : كان غربي القصر الصغير .

^١ هذه الفقرة أضافها المقرئ في مسودة المواضع في
^٢ قارن للمقرئ : مسودة المواضع ٤٥ ، ونصه في غابة
 الاختصار ، وأيضاً 305-6 . Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp. 305-6 .

وكانت يقره تُعرف بئر زويلة ، وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول ومَوضِع هذه البئر اليوم قيسارية تُعرف بقيسارية يونس تجاه دزب الأنجب . وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدواidar هذه القيسارية والربع علوها ، فرأيت بئرا كبيرة جدا ، وقد عُقِدَ على فوهتها عُقْد رُكَب فوقه بعض القيسارية ، وترك منها شيء ؛ ومنها الآن الناس تشقي بالدلاء .

- وما زال هذا الإسطبل باقيا إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكِر ، وبُني في مكانه الأدر التي هي موجودة الآن ، وجُكِرَ جارٍ في أوقاف الصلاح الإزيلي^(٥) الكاميلي^(٦) ، وقد تقدّم ذكر هذا الإسطبل عند ذكر إسطبل الطارمة ، فانظر رؤومته هناك^(١) .

دار الديباج

- وكان بجوار إسطبل الجييزة^(٢) من غريب دار الديباج ، وهي حيث المدرسة الصاجية بشوكة الصاجب ، وما جاورها من جانبها وما خلفها إلى الوزيرية ، وكانت هي دار الوزارة القديمة^(٣) .
وأول من أنشأها الوزير ينعقوب بن يوسف^(٤) بن كلس وزير العزيز بالله ، ثم سكّنها الوزير الثاير للدين قاضي القضاة وداعي الدعاة علم المجد أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري .

- وما زالت سكّن الوزراء إلى أن قديم أمير الجيوش بذر الجمالي من عكا ، ووزر للمستنصر^(٥) ، وصار وزيرا مستبدا ، فأنشأ داره بحارة بجوان وسكّنها^(٦) ، وسكّن من بعده ابنه الأفضل بن أمير الجيوش بدار القباب التي عُرفت بدار الوزارة الكبرى^(٧) .

وصارت هذه الدار تُعرف بدار الديباج ، لأنه يُعمل فيها الحرير الديباج ، ويتولاها الأماثل والأغيا . فممن وليها أبو سعيد بن قوقة الطيب متولي خزائن السلاح وخزائن الشروح والصناعات^(٨) .

(a) بولاق : الأركي . (b) إضافة من المسودة . (c) في بولاق وسائر النسخ : الطارمة وهو سبق قلم . (d) بولاق : يونس . (e) بولاق : ووزره المستنصر .

^١ فيما تقدم ٤٥٧ - ٤٥٩ .

^٢ فيما يلي ٣٧١ : ٢ .

^٣ فيما يلي ٥٢ : ٢ .

^٤ فيما يلي ٦٣ : ٢ ، ٨١ .

فلما انقضت الدولة الفاطمية ، بنى الناس في مكان دار الديباج المدرسة الشيعية ، وما وراءها من المواضع التي تُعرف أماكنها اليوم بقُرب الحريري ، وما جاور هذا الدُرب إلى المدرسة الصّاحبية وما بجوارها وما هو في ظُهرها . فصار يُعرف حُط دار الديباج في زَمَننا بِحُط سُوَيْقَة الصّاحب^١ .

الاهراء السلطانية

وكانت أهراء الغلال السلطانية ، في دَوْلَة الخلفاء الفاطميين ، حيث المواضع التي فيها الآن خزانة شمائل^٢ ، وما وراءها إلى قُرب الحازة الوزيرية .

قال ابن الطوقر : وأما الأهراء فإنها كانت في عِدَّة / أماكن بالقاهرة هي اليوم إسطبلات ومناجات ، وكانت تحتوي على ثلاث مائة ألف أودب من الغلات وأكثر من ذلك . وكان فيها مخازن يسمى أحدها بَغْدَاد^(a) ، وآخر الغول ، وآخر القَرافة . ولها الحُمّة من الأمراء والمُشارفون^(b) من القُدول ، والمراكب واصله إليها بأصناف الغلات إلى ساجل مصر وساجل المُقس ، والحمّالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية ، وأكثر ذلك من الوجه القبطي .

ومنها إطلاق الأقوات لأبواب الرتب والخدم وأبواب الصدقات وأبواب الجوامع والمساجد ، وجرايات القبيد السودان بتغريفات^(c) ، وما يُنفق في الطواحين المُغلقة^(d) يرسم خاص الخليفة ، وهي طواحين مداراتها^(e) سيفل وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب^٣ ، ويُحتمل دقيقتها للخاص ، وما يختص بالجيهات في خرائط من شقق خَلِيفة .

ومن الأهراء^(f) تُخرُج جرايات رجال الأشطول - وفيها ما هو قديم يُقطع بالمساحي ، ويُخلط في بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين - وجرايات السودان ، ومنها ما يُستدعى بدار الضيافة

(a) بولاق : بغدادي . (b) بولاق : المشارفين . (c) المسودة : بتغريفات الجرمين . (d) زيادة من مسودة المواظع . (e) النسخ وبولاق : مدارها والمثبت من المسودة . (f) مسودة المواظع : ومنها .

^١ فيما يلي ٣٢ : ٢ ، ٤١٠٤ المقيزي : مسودة المواظع التي أنشأها السلطان المؤيد شيخ الحمودي على يسار الداخل من باب زويلة . (فيما يلي ٣٢٨ : ٢ ، وفيما تقدم ٥١٥) .

^٢ خزانة شمائل حل محلها بعد سنة ٨١٨ هـ المدرسة المؤيدة

^٣ القلقشندي : صبح الأعشى ٤٧٦ : ٣ .

لأختياز الوشل ومن يتبعهم، وما يُعْمَل من القَمَح برِسم الكَفك لزاد الأشْطُول. فلا يفتر مستخدموها من دُخُل وخَزَج، ولهم جامِكِيَّات^١ مِمِّرة وجرايات برِسم أقواتهم وشعير لدوابهم^٢. وما يُقْبَض من الواصيلين بِالْغَلال^٣ إلَّا ما يُمَاتِل العيون المختومة معهم، وإلَّا دُرِّي وطَلِب العَجْزُ بالنسبة^٤.

- وذكر ابن المأمون أَنَّ غَلَّات الوجه القبلي كانت تُحْمَل إلى الأهراء. وأما الأعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان^٥ والغريزة والكفور والأعمال الشريفة، فيحتمل منها اليسير، ويحتمل باقيها إلى الإشتكندرية ودمياط وتيس، لِيُسَمَّر إلى ثغر عسقلان وثغر صور. وأنه كان يُسَمَّر إليهما في كل سنة مائة وعشرون ألف أردب: منها لعسقلان خمسون ألفاً، ولصور سبعون ألفاً، فيصير هناك ذخيرة، ويُبَاغ منها عند العتَي عنها. قال: وكان يُتَحَصَّل للديوان في كل سنة ألف ألف أردب^٦.

وذكر جامع^٧ السيرة اليازورية أَنَّ المَتَجَر كان يُقَام به للديوان من الغلَّة، وأنَّ الوزير أبا محمد اليازوري قال للخليفة المُستَصر - وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضي القضاة، وقد قُصِر النبل في سنة أربع وأربعين وأربع مائة، ولم يكن بالخازن السلطانية غللاً فاشتدت المسغبة -: يا أمير المؤمنين، إنَّ المَتَجَر الذي يُقَام بالغلَّة فيه أوفى مَصْرَوة على المسلمين ورُبَّما انْحَطَّ^٨ السَّعْر من مُشْتَرَاها، ولا يمكن

(a) بولاق: جامكية. (b) المسودة: والشعير برسم دوابهم. (c) المسودة: بالغللات. (d) بولاق: أقطط.

^١ ابن الطوير: نزهة ١٣٩-١٤٠ للمقرزي: مسودة المواعظ ٢٤٦-٢٤٧.

^٢ الجزيرتان. هما جزيرة بني نصر وجزيرة قوسينا، وكانتا تقعان بين فُوقَي النيل الشرقي والغربي. كانت جزيرة بني نصر - وهي من المدن المندرسة الآن - تشل المنطقة الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع رشيد من محلة الدين التي بمركز كفر الزيات شمالاً إلى زاوية رزين بمركز منوف جنوباً. ذكر المقرزي أنها منسوبة إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن قوايزن، كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملقوا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة لؤائة فتركوا الخيام وصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل هو هذه الجزيرة (فيما تقدم ٢٢٦:١). وسُمِّيت جزيرة

لأن ماء النيل كان يحيط بها فكان يحلها من الغرب فرع رشيد ومن الشرق ترعة الباجورية وفروعها (ابن نماتي: قوانين الدواوين ٩٥: القلقشندي: صبح ٥٠٤:٣-٥٠٥:١ أبو المحاسن: النجوم ٣٨:٩ هـ^٢ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢١٣:١-٢١٤).

أما جزيرة قوسينا أو قوسينا فهي مدينة قوسينا الحالية أحد أعمال الغربية (ابن نماتي: قوانين ١٦٦: المقرزي: اعاط ٣: ١٨٨ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢ ج^٢ ص ٢٠٤).

^٣ ابن المأمون: أخبار مصر ٩٥-٩٦: المقرزي: مسودة المواعظ ٢٤٧-٢٤٨ مع خلاص في العبارة.

بَيْتُهَا ، فَتَغْيِرُ فِي الْخَازِنِ وَتَتَلَفُ . وَآثُهُ يُقَامُ مُنْجَرٍ لَا كُفَّةَ فِيهِ عَلَى النَّاسِ ، وَيُنْفِدُ أَضْعَافَ فَائِدَةِ الْعَلَّةِ ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ تَغْيِيرٍ فِي الْخَازِنِ وَلَا انْجِطَاطٍ بِعُغْرٍ ، وَهُوَ الْخَشَبُ وَالصَّبَابُونَ وَالْحَدِيدُ وَالرُّصَاصُ وَالْعَتَلُ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . فَأَنْصَتِي الْخَلِيفَةُ مَا رَأَتْ ، وَاسْتَمِرِّي ذَلِكَ ، وَدَامِ الرُّخَاءُ عَلَى النَّاسِ وَتَوَسَّعُوا ^١ .

ذِكْرُ الْمَنَاطِرِ الَّتِي كَانَتْ لِلخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ وَمَوَاضِعِ نَزَاهِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ أُمُورٍ جَمِيعَةٍ

وَكَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ مَنَاطِرٌ كَثِيرَةٌ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَالرُّوْضَةِ وَالْقَرَّافَةِ وَبِرُكَّةِ الْحَبَشِ وَطَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ عِدَّةٌ مُتَنَزَّهَاتٍ أَيْضًا . فَمِنْ مَنَاطِرِهِمْ الَّتِي بِالْقَاهِرَةِ : مَنَظَرَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَمَنَظَرَةُ اللُّؤْلُؤَةِ عَلَى الْخَلِيجِ ، وَمَنَظَرَةُ الدُّكَّةِ ، وَمَنَظَرَةُ الْمَقْسِ ، وَمَنَظَرَةُ بَابِ الْفَتْوحِ ، وَمَنَظَرَةُ الْبَيْلِ ، وَمَنَظَرَةُ النَّجَّاحِ وَالْخَمْسِ وَجُوهِ ، وَمَنَظَرَةُ الصَّنَاعَةِ بِمِصْرَ ، وَدَارُ الْمُلْكِ وَمَنَازِلُ الْعِزِّ وَالْهَوْدَجِ بِالرُّوْضَةِ ، وَمَنَظَرَةُ بِرُكَّةِ الْحَبَشِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْقَرَّافَةِ ، وَقُبَّةُ الْهَوَاءِ ، وَمَنَظَرَةُ الشُّكْرَةِ .
وَكَانَ مِنْ مُتَنَزَّهَاتِهِمْ : كَنْسَرُ خَلِيجِ أَبِي الْمُتَّجَا ، وَقَصْرُ الْوَزْدِ بِالْخَرْقَانِيَّةِ ، وَبِرُكَّةُ الْجُبِّ .

مَنَظَرَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ

وَكَانَ بِجَوَارِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ مِنْ قِبَلِهِ مَنَظَرَةٌ تُشْرِفُ عَلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ^٢ يَجْلِسُ الْخَلِيفَةُ فِيهَا لِمُشَاهَدَةِ لِبَالِي الْوُقُودِ .

ذِكْرُ لِبَالِي الْوُقُودِ - قَالَ (أ) الْأَمِيرُ الْمُخْتَارُ عِزُّ الْمُلْكِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ (ب) الْمُسَبِّحِيُّ فِي (تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ) ، وَمِنْهُ نَقَلْتُ (أ) : شَهْرُ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَفِيهِ - يَعْنِي خَرَجَ

(A-B) زيادة من مسودة الخطط .

^١ المقرئبي : إغاثة الأمة ٢٠ والامعاظ ٢٢٥:٢ ، وفيما
تقدم ١: ٢٩٤ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٩٤ -
٤٩٥ .
^٢ وهي غير المنظره الموجودة بالجامع والتي كان الخلفاء
يجلسون فيها حين يأتون إلى الجامع للخطابة في شهر رمضان
(المقرئبي : المسودة ٢٧٩) .

النَّاسُ فِي لَيَالِيهِ ، عَلَى رَشِيهِمْ فِي لَيَالِي الْجُمُعِ وَلَيْلَةَ النَّصْفِ ، إِلَى جَامِعِ الْقَاهِرَةِ - يَعْنِي الْجَامِعَ الْأَزْهَرَ - عِيْضًا عَنْ الْقَرَأَةِ ، وَزَيْدٌ فِيهِ فِي الْوَقْدِ عَلَى حَافَاتِ الْجَامِعِ وَحَوْلَ صَحْنِهِ الثَّنَائِيرِ وَالْقَنَادِيلِ وَالشُّعْخُوعِ عَلَى الرَّشْمِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَالْأَطْعَمَةِ وَالْحَلْوَى وَالتَّبْخُورِ فِي مَجَابِرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَطِيفَ بِهَا .

- وَخَصَّرَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ التُّغْمَانِ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ فِي الْمَقْصُورَةِ^(a) وَمَعَهُ شَهْرُوهُ^(b) وَبِجَمَاعَةٍ مِنْ^(c) وَجُوهِ الْبَلَدِ ، وَقُدِّمَتْ إِلَيْهِ سِلَالُ الْحَلْوَى وَالطَّعَامِ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْقُرَّاءُ وَغَيْرُهُمْ وَالتُّشْدُونَ وَالتَّائِحَةُ . وَأَقَامَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ، وَانْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ يَدَّ أَنْ قَدَّمَ إِلَى مَنْ مَعَهُ أَطْعَمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَبَحَّرَهُمْ .

وَقَالَ فِي شَعْبَانِ : وَكَانَ النَّاسُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةً وَلَيْلَةَ النَّصْفِ ، عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي

- ١٠ رَجَبٍ وَأَزِيدَ . قَالَ^(d) : وَفِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ/ لِلنَّاسِ جَفْعٌ عَظِيمٌ بِجَامِعِ الْقَاهِرَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَالتُّشْدِينَ ، وَخَصَّرَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ التُّغْمَانِ فِي جَمِيعِ شَهْرِهِ وَوُجُوهِ الْبَلَدِ ، وَوَقِدَتْ الثَّنَائِيرُ وَالْمَصَابِيخُ عَلَى سَطْحِ الْجَامِعِ وَدُورَ صَحْنِهِ ، وَوُضِعَ الشُّعْخُوعُ عَلَى الْمَقْصُورَةِ وَفِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ ، وَخَمَلٌ لِبِهِمُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ الْأَطْعَمَةُ وَالْحَلْوَى وَالتَّبْخُورُ ، فَكَانَ جَمْعًا عَظِيمًا^١ .
- قال : وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ قُطِعَ الرَّشْمُ الْجَارِي مِنَ الْخُبْرِ وَالْحَلْوَى الَّذِي يُقَامُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَشْهُرِ لِمَنْ يَبِيتُ بِجَامِعِ الْقَاهِرَةِ فِي لَيَالِي الْجُمُعِ وَالْأَنْصَافِ ، وَخَصَّرَ قَاضِي الْقَضَاةِ مَالِكُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارَقِيُّ إِلَى جَامِعِ الْقَاهِرَةِ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ رَجَبٍ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْقَرَأَةِ عَلَى مَا بَحَرَتْ بِهِ رُشُومُهُمْ مِنْ كَثْرَةِ اللَّعِبِ وَالْمُزَاحِ^(e) ٢ .
- ١٥

رَوَى الْفَاكِهِيُّ فِي كِتَابِ « [تَارِيخ] »^(f) مَكَّةَ : أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَصِيحُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَيَقُولُ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ أَوْقِدُوا لَيْلَةَ هِلَالِ الْحَرَمِ ، فَأَوْضِحُوا فِجَاجَكُمْ لِحَاجِ تَيْتِ اللَّهِ ، وَاخْرُسُوهُمْ لَيْلَةَ هِلَالِ الْحَرَمِ حَتَّى يُضْبِحُوا . وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ بِمَكَّةَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَتَّى كَانَتْ وَلَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ عَلَى مَكَّةَ ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُوقِدُوا لَيْلَةَ هِلَالِ رَجَبٍ ، فَيَحْرُسُوا

(a) بولاق والنسخ : بالمقصورة والمثبت من مسودة المخطوط . (b-b) زيادة من مسودة المخطوط . (c) زيادة من مسودة المخطوط .

(d) بعد ذلك ياض في الأصل . (e) زيادة اقتضاها السياق .

^١ المسبحي : نصوص ضائعة ١٢-١٣ ؛ المقرئ : نفسه ٣٠ ؛ المقرئ : تماط الخفا ٢: ٨٩ .

مسودة المواظ ١٢٠ ظ (بطاقة) .

عُتِمَار أَهْلُ الْيَمَنِ، فَقَعَلُوا ذَلِكَ فِي وِلَايَتِهِ، ثُمَّ تَرَكَوه بَعْدَ ١.

وَفِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةِ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، حَضَرَ الْخَلِيفَةُ الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبُو هَاشِمٍ عَلِيٌّ بْنُ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَمَعَهُ السَّيِّدَاتُ، وَخَدَمَ الْخَاصَّةُ وَغَيْرُهُمْ وَسَائِرُ الْعَامَّةِ وَالرَّعَايَا، فَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ فِي الْمُنْظَرَةِ ٢.

وَكَانَ فِي لَيْلَةِ شَعْبَانَ أَيْضًا اجْتِمَاعٌ لَمْ يُشْهَدْ مِثْلُهُ مِنْ أَيَّامِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ، وَأُوقِدَتْ الْمَسَاجِدُ كُلُّهَا أَحْسَنَ وَقِيدٍ، وَكَانَ مَشْهَدًا عَظِيمًا يُمَدُّ عَهْدُ النَّاسِ بِمِثْلِهِ ٣، لِأَنَّ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ كَانَ أَبْطَلَ ذَلِكَ فَانْقَطَعَ عَمَلُهُ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ: وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ مُسْتَهْلٍ رَجَبٍ - يَعْنِي مِنْ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ - عُيِّنَتْ الْأَسْمِطَةُ الْجَارِي بِهَا الْعَادَةُ، وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ الْآيُزُّ بِأَحْكَامِ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَالْأَجَلُ الْمَأْمُونُ الْوَزِيرُ وَمَنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأُظْهِرَ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْمَسْرُوعَةِ وَالْإِنْشِرَاحِ مَا لَمْ تَجْرُ بِهِ عَادَتُهُ، وَبَالَغَ فِي شُكْرِ وَزِيَرِهِ وَإِطْرَائِهِ، وَقَالَ: قَدْ أَعَدْتُ لِدَوْلَتِي بِهَيْجَتِهَا، وَجَدَّدْتُ فِيهَا مِنَ الْحَقَائِنِ مَا لَمْ يَكُنْ، وَقَدْ أَخَذْتُ الْأَيْثَامَ نَصِيبَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَبَقِيتُ اللَّيَالِي - وَقَدْ كَانَ بِهَا مَوَاسِمٌ قَدْ زَالَ مُحْكُمُهَا، وَكَانَ فِيهَا تَوْسِيعَةٌ وَبُرٌّ وَنَفَقَاتٌ - وَهِيَ «لِيَالِي الْوَقُودِ الْأَرْبَعِ»، وَقَدْ آنَ وَقْتُهُنَّ، فَأُشْتَهِي تَنْظَرُهُنَّ. فَامْتَثَلَ الْأَمْرَ، وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَى الْقَاضِي خَمْسُونَ دِينَارًا بِمَصْرَفِهَا فِي ثَمَنِ الشُّعْغِ وَأَنْ يَعْتَمِدَ الرُّكُوبُ فِي الْأَرْبَعِ اللَّيَالِي - وَهِيَ لَيْلَةُ مُسْتَهْلٍ رَجَبٍ، وَلَيْلَةُ نِصْفِهِ، وَلَيْلَةُ مُسْتَهْلٍ شَعْبَانَ، وَلَيْلَةُ نِصْفِهِ - وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ الشُّهُودِ بِأَنْ يَرْكَبُوا صُحْبَتَهُ، وَأَنْ يُطْلَقَ لِلْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ تَوْسِيعَةٌ فِي الزُّنْتِ يَرْسُمُ الْوَقُودَ، وَبِتَقَدُّمٍ إِلَى مُتَوَلِّي نَيْتِ الْمَالِ بِأَنْ يَهْتَمَّ بِرِسْمِ هَذِهِ اللَّيَالِي مِنْ أَصْنَافِ الْحَلَاوَاتِ، ثُمَّ يَجِبُ بِرِسْمِ الْقُصُورِ وَدَارِ الْوِزَارَةِ خَاصَّةً ٤.

وَقَالَ: فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي صَبِيحَتُهَا مُسْتَهْلُ رَجَبٍ، حَضَرَ الْقَاضِي أَبُو الْحُجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ الْمَقْرِي ٥، وَوَقَّعَ لَهُ بِمَا اسْتَجَدَّ إِطْلَاقَهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي، وَهُوَ

١ وَلِيُّ أَبُو الْقِيَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ دَاوُدَ بْنِ

عِيْسَى الْقِيَّاسِي وَلَايَةِ مَكَّةَ سَنَتَيْ ٢٤٠ و ٢٤١، وَأُورِدَ الْقَاضِي هَذَا الْخَبَرَ أَيْضًا عَنْ الْفَاكِهِي. (الْقَاضِي: الْعَقْدُ الصِّحِيحُ ٢: ٢٤٥).

٢ نَفْسُهُ ٤٤٨ نَفْسُهُ ٢: ١٥١، نَفْسُهُ ١٢٠ ظ.

٣ الْمَسْبُوحِي: أَخْبَارُ مِصْرَ ٤٤٨ الْمَقْرِي: اتَعَاظَ ٥ الْقَاضِي أَبُو الْحُجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ - ١٥١: ٢ مَسْودَةُ الْخَطِّ ١٢٠ ظ؛ وَانْظُرْ وَصْفَ نَاصِرِ

٤ ابْنُ الْمَأْمُونِ: أَخْبَارُ مِصْرَ ٣٦ الْمَقْرِي: اتَعَاظَ

٨٢: ٣.

٥ الْقَاضِي أَبُو الْحُجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ -

خمسون دينارًا من بيت المال لايتباع الشمع يرسم أوّل ليلة رَجَب . واستدعى ما هو يرسم^(a) الخليفة وجهاته ووزيره ممّا يُصنّع بالإيوان وهي عدّة أصناف وكذلك^(b) ما هو يرسم القعبتين^(c): إحداها للقصور^(d)، والأخرى للدّار المأمونية - بحكم الصّيام من مستهلّ رَجَب إلى سلخ رَمَضَانَ - ممّا يُصنّع في دار الفِطْرَةِ تُحْشِكُنَاغْ صَغِير وَتَسْتَدُود ، في كلّ يوم قَنْطَار سَكْر وَبِثْقَالَانِ مِشْكًا وَدِينَارَانِ مَوْوَنَةً .

وكان يُطْلَق في الأَرْبَع ليالي الوُقُود - يرسم الجوامع الستة : الأزهر والأَنْوَر والأَقْمَر بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر ، وجامع القرافة ، والمشاهد التي تضمّنت الأعضاء الشريفة^(١) ، وبعض

(a-a) ساقط من بولاق . (b) بولاق : القعبتين . (c) بولاق : إحداها للمقصورة .

Az. Isl. XVII (1981), pp. 1-30; Williams, C., «The Cult of Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo»- Part II: «The Mausolea», Muqarnas III (1985), pp. 39-60 .

وتقع هذه المشاهد اليوم على يمين ويسار شارع الأشرية فيما بين مشهد السيدة نفيسة جنوبًا وشارع الصليبة شمالًا . ويطلق لفظ «المشاهد» أيضًا على تسعة من المشاهد الشريفة المدفون بها رفات آل بيت رسول الله ﷺ ، تقع بين جبل المقطم والقرافة الكبرى هي : مشهد القاسم الشيبه ، ومشهد السيدة كلثوم ، ومشهد يحيى الشيبه ، ومشهد الحسن والحسين (أو المحسن) ، ومشهد السيدة آمنة ، ومشهد علي بن عبد الله ، ومشهد محمد بن عبد الله ، ومشهد السيدة أم كلثوم ، ومشهد السيدة زينب (راجع ، ابن المأمون : أخبار مصر ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ٩١ : القريزي : اتعاط ٨١:٣ والمقفى الكبير ٤٩٣:٦ وفيما يلي ٢٦٤:٢ ٤٣٦-٤٤٢ ؛ Ragib, Y., «Les Sanctuaires des gens de la famille dans la cité des morts du Caire», *RSOL I* (1977), pp. 47-76; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 644-57 .

= الأندلسي كان قد أقرأ المؤمن حيدرة بن فاتك أُمّا المأمون القرآن والنحو فولاه قضاء الغربية ، ثم قرّره الوزير المأمون في القضاء في ذي القعدة سنة ٥١٦ . ولُقّب بجلال الملك تاج الأحكام ، واشتمل سجله على توليته القضاء والخطابة والصلاة وديوان الأخياس ودار الضرب . وكانت وفاته في جمادى الآخرة وقيل في شوال سنة ٥٢١ هـ . (ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٦ : القريزي : اتعاط ١١٩:٢ ابن حجر : رفع الإصر ٤٧٣ - ٤٧٤) .

^١ المشاهد . هذه أقدم إشارة إلى منطقة المشاهد الواقعة على الطريق للرّوْضَل بين القاهرة والفسطاط (امتداد الشارع الأعظم) تمثل مشهد السيدة سكينة ومشهد عاتكة والجعفري ومشهد السيدة رقية ، بالإضافة إلى المشاهد الثلاثة المعلقة التي شجّنها الخليفة الحاكم بأمر الله (فيما يلي مسودة) . وعرفت هذه المنطقة زدهازًا عرانيًا مع مطلع القرن السادس الهجري . (أبو عبيد البكري : جغرافية مصر من كتاب الممالك والممالك ١٧٥ مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ٨٣ : الإدريسي : أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤ : ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١ : القريزي : السلوك ٥٤٣:٢ ؛ Ragib, Y., «Les mausolées fatimides du quartier d'al-Masâhid»,

المساجد التي لأزبابها وجاهة - جملة كبيرة من الرِّثَم الطَّيِّب ، ويختص بجامع رائدة ، وجامع ساحل الغلة بمصر^١ ، والجامع بالمقس ، يسير^٢ .

قال : ولقد حدثني القاضي المكين بن حيدر - وهو من أغنياء اليهود - أن من جملة الحيدم التي كانت بيده مشاركة الجامع العتيق ، وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة ، وأن المطلق يرسمه خاصة ، في كل ليلة يرشم وقوده ، أخذ عشر قنطارًا ونصف قنطار زيت طيب^٣ .

وذكر زكوب القاضي والشهود في الليلة المذكورة على جاري العادة قال : وتوجه الوزير المؤمنون يوم الجمعة ثاني الشهر بموكبه إلى مشهد السيدة نفيسة وما بهذه من المشاهد ، ثم إلى جامع القرافة ، وبعده إلى الجامع العتيق بمصر . وقد عم معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد ، وصلى الجمعة . وعند انقضاء الصلاة ، أحضر إليه الشريف الخطيب المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فوقع بإطلاق ألف دينار من ماله ، وأن يصاغ عليه فوق الحليلة^٤ الفضة جليلة ذهب ، وكتب عليه اسمه .

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود ، جرى الحال في زكوب القاضي وشهوده على الترتيب الذي تقدم في أول الشهر . ولما وصل إلى الجامع وجدته قد غيى في الرواق الذي عن يمين الخارج منه ، سباط كحل وحشكناج وحلوى ، فجلس عليه بشهوده ، ونهبه الفقراء والمساكين ، وتوجه بعده إلى ما سواه من جامع القرافة وغيره ، فوجد في رواق الجامع المذكور سباطًا مثل السباط المذكور ، فاعتمد فيه على ما ذكر . وله أيضًا رشم صدقة في هذا النصف للفقراء وأهل الربط ، مما يفرقه القاضي ، عشرة دنانير^٥ وخمسة مائة - درهم ، ولمسجد الفتح وغيره تسعة دنانير^٦ يفرقها القاضي^٧ .

وقال ابن الطوير : إذا مضى النصف من جمادى الآخرة - وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يومًا - أمر أن يشبك في خزائن دار أفتكين ستون شعة ، وزن كل شعة منها شذس قنطار

(a) بولاق : حلية . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ ابن المؤمن : أخبار مصر ٦٩ ، وفيما يلي ٢٦٤ : ٢ .

^٢ نفسه ١٠٤ ، وفيما يلي ٢٥٦ : ٢ .

^٣ ابن المؤمن : أخبار مصر ٦٣ - ٦٤ .

^٤ جامع ساحل الغلة هو جامع التشكر ، فقد كان التشكر قد خرب في ذلك الوقت وحملت أنفاضه وصار الجامع بساحل مصر (فيما يلي ٢٦٤ : ٢) .

بالمصري، وحملت إلى دار قاضي القضاة لركوب ليلة مستهل رجب. فإذا كان بعد صلاة الغضر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضًا، فمنهم من يركب بثلاث شعثات إلى اثنين إلى واحدة. ويمضي أهل مصر منهم إلى القاهرة، فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد، ثم ينتظرون ركوب القاضي؛ فيركب من داره بهيئته وأمامه الشفع المحمول إليه مؤقودًا مع المتدوين لذلك من القواشين من الطبقة السفلى، من كل جانب ثلاثون شعة، وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى، ويذعنون للخليفة والوزير بترتيب مقلتر محفوظ^١. ويتدب في محبته ثلاثة من نواب الباب، وعشرة من الحجاب، خارجًا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في زي الأتراء، وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة، والشهود وراءه على الترتيب في مجلسهم بمجلس الحكم الأقدم فالأقدم، وحوالي كل واحد ما له من شمع؛ فيشقون من أول شارع فيه دار القاضي إلى بين القصرين، وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالًا ونساءً وصبيانًا؛ بحيث لا يُعرف الرئيس من المرءوس وهو ما إلى أن يأتي هو والشهود باب الزمرد من أبواب القصر في الرخبة الوسيعة تحت المنطرة العالية في السعة العظيمة من الرخبة المذكورة، وهي التي تقابل دزب قراضيا.

فيحضر صاحب الباب ووالي القاهرة والقراء والخطباء - كما شرحنا في المواليد المسنة^٢ - ويرجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين شخصه، ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالمواليد، ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته، ثم يسلم الأستاذ من الطاقاة الأخرى اشتغافًا وانصرافًا كما ذكرنا.

ثم يركب الناس إلى دار الوزارة، فيدخل القاضي والشهود إلى الوزير فيجلس لهم في مجلسه ويسلمون عليه، ويخطب الخطباء أيضًا بأخف من مقام الخليفة، ويذعنون له ويخرجون عنه، فيشق القاضي والجماعة القاهرة، وينزل على باب كل جامع بها ويصلي ركعتين؛ ثم يخرج من باب زويلة طليًا مصر بغير نظام، ووالي القاهرة في خدمة القوم^٣، مستكثرا من الأغوان والحفظة

(٨) بولاق: في حليته اليوم.

^١ حاشية بخط المؤلف: وكانت عادة خلفاء بني العباس ببغداد أن تعمل دغوة في رجب لجماعة من أهل العلم وأهل التصوف ويعمل الشماع، فيهيمنون يومين ليلة؛ فلما ولي الناصر أبطل ذلك ثم أعاده.

^٢ فيما تقدم ٤٢٢ - ٤٢٥.

وكان يفرق في العلماء والفقهاء والصوفية عشرة آلاف، فسار يقال للدار التي يجتمعون بها: دار الدغوة والسماع!

في الطُرُقَات إلى جامع ابن طولون ، فیدخل القاضي إليه للصلاة فيجد والي مصر عنده للقاء القوم وخذمتهم ، فیدخل المشاهد التي في طريقه أيضا . فإذا وصل إلى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة ، وصار شاقا الشارع الأعظم إلى باب الجامع من الزيادة التي يتحكم فيها ، فيوقد له الثور الفضة الذي كان متعلقا فيه ، وكان مليحا في شكله وتعليقه غير منافر في الطول والعرض ، واسع الثوب ، فيه عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون بواقا ، وفيه سُرُوات بارزة مثل الثخيل ، في كل واجدة عدة بواقات ، تقرب عدة ذلك من ثلاث مائة ، ومعلق بدائر سيفله مائة قنديل نجومية . ويخرج من الجامع^(٥) فإن كان ساكنًا بمصر استقر بها ، وإن كان ساكنًا بالقاهرة وقف له والي القاهرة بجامع ابن طولون ، فيودعه والي مصر ، ويسير معه والي القاهرة إلى داره .

فإذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ، ركب ليلة الخامس عشر كذلك ، وفيه زيادة طلوعه - بعد صلواته بجامع مصر - إلى القرافة ليصلي في جامعها ، والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ، ولا يملون من ذلك .

فإذا انقضت هذه الليلة ، استدعي منه الشئ ليكمل نقضه^(٦) ، حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة ، والأشواق معمورة بالحلواء ، ويتفرغ الناس لذلك هذه الأربع الليالي^(١) .

منظرة اللؤلؤة

وكان للخلفاء الفاطميين منظرة - تُعرف بقصر اللؤلؤة ، وبمنظرة اللؤلؤة - على الخليج بالقرب من باب القنطرة . وكان قصرًا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة ، وهو أخذ متزهات الدنيا المذكورة ، فإنه كان يُشرف من شرقه على البستان الكافوري ، ويطل من غربه على الخليج^(٢) . وكان غربي الخليج إذ ذاك ليس فيه من المباني شيء ، وإنما كان فيه تساتين عظيمة وبوكة تُعرف

(٥) بولاق : ويخرج له الحاكم . (ب) بولاق : بعضه .

^١ ابن الطوير : زهرة ٢٢٠-٢٢٣ .
حاشية بخط المؤلف : « قال ابن كثير : أطل الويد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان - يعني سنة إحدى وخمسين وسبع مائة - بمزشم السلطان ، وكنت رأيت فيها عليها خط (٩) وجمال الدين الزملكاني بإبطال هذه البذعة .
وقد كانت قد استمرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربع مائة وإلى زماننا هذا .
^٢ يدل على موضع مظرة اللؤلؤة اليوم مدرسة الفرير بالخرنقش المطللة على شارع بورسعيد بالقرب من ميدان باب الشرية . (انظر أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٦ ، ٢٥٤-٢٥٥) .

يَبْطُنُ الْبَقْرَةَ، فَيَرَى الْجَالِسَ فِي قَصْرِ اللُّؤْلُؤَةِ جَمِيعَ أَرْضِ الطَّبَالَةِ وَسَائِرِ أَرْضِ اللُّوقِ وَمَا هُوَ مِنْ قِبَلِهَا، وَيَرَى بِحَرَائِلَ مِنْ وَرَاءِ الْبَسَاتِينِ.

قال ابنُ مُسَيَّرٍ: هذه الْمَنْظَرَةُ بَنَاهَا الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، وَلَمَّا وَلِيَ بَرْجَوَانَ وَزَارَةَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، بَعْدَ أَمِينِ الدَّوْلَةِ ابْنِ عَمَّارِ الْكُتَامِيِّ، سَكَنَ بِمَنْظَرَةِ اللُّؤْلُؤَةِ فِي جَمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ إِلَى أَنْ قُتِلَ^١.

وَفِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِهَذْمِ اللُّؤْلُؤَةِ وَتَهْيِئِهَا، فَهَدِمَتْ وَتُهِيتَ وَبِيعَ مَا فِيهَا.

وَقَالَ الْمُسَيَّرِيُّ/ : وَفِي سَادِسِ عَشْرِي رَجَبِ الْآخِرِ - يَعْنِي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ - أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِهَذْمِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِاللُّؤْلُؤَةِ عَلَى الْخَلِيجِ مُوَازَاةَ الْمَقَسِّ، وَأَمَرَ بِتَهْيِئِ أَنْقَاضِهِ، فَتُهِيتَ كُلُّهَا، ثُمَّ قُبِضَ عَلَى مَنْ وَجِدَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ تَهْبِ أَنْقَاضِ اللُّؤْلُؤَةِ وَاعْتَقَلُوا^٢.

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ: وَلَمَّا وَقَعَ الْإِهْتِمَامُ بِسَكَنِ اللُّؤْلُؤَةِ وَالْمَقَامِ فِيهَا مُدَّةَ الثَّيْلِ عَلَى الْحُكْمِ الْأَوَّلِ - يَعْنِي قَبْلَ وَزَارَةِ أَمِيرِ الْجَبُوشِ بَذَرِ وَابْنِهِ الْأَفْضَلِ - أُبْرِزَ لِإِزَالَةِ مَا لَمْ تَكُنِ الْعَادَةُ جَارِيَةً بِهِ مِنْ مُضَافَتِهَا بِالْبِنَاءِ^٣.

وَلَمَّا بَدَتْ زِيَادَةُ الثَّيْلِ، وَعَوَّلَ الْخَلِيفَةُ الْآمِرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ عَلَى السَّكَنِ بِاللُّؤْلُؤَةِ، أَمَرَ الْأَجَلَ الْوَزِيرَ الْمَأْمُونُ بِأَخْذِ جَمَاعَةِ الْفَرَّاشِينَ، الْمَوْقُوفِينَ بِرَسْمِ خِدْمَتِهَا، بِالْمَبِيتِ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الْحِرَاسَةِ لَا عَلَى سَبِيلِ السَّكَنِ بِهَا، (هَمْ أَحْضَرَ وَكَيْلَهُ أَبَا الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدَ بْنَ عِثْمَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُخْضِيَ إِلَى دَارِي الْقَلْعِ وَالذَّهَبِ اللَّتَيْنِ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ وَيُضْلِحَ مَا قَسَدَ مِنْهُمَا وَيُضَيِّفَ إِلَيْهِمَا دَارَ الشَّابُورَةِ^٤).

وَعِنْدَمَا بَلَغَ الثَّيْلُ سِتَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْخَيْمِ؛ وَعِنْدَمَا قَارَبَ الثَّيْلُ الْوَفَاءَ تَحَوَّلَ الْخَلِيفَةُ فِي اللَّيْلِ مِنْ قُصُورِهِ، بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَعْمَامِهِ وَالسَّيِّدَاتِ كَرَائِمِهِ وَعَمَّاتِهِ، إِلَى اللُّؤْلُؤَةِ، وَتَحَوَّلَ الْمَأْمُونُ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ^٥، وَأَسْكَنَ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ الْغَزَّالَةَ عَلَى شَاطِئِ

a-a) إضافة من المسودة.

^١ هذا النص في الجزء الأول من تاريخ ابن مسير الذي لم

يصل إلينا. مما يدل على أن ابن مسير تناول الفترة التي دُوِّنَتْهَا

المُسَيَّرِيُّ؛ القُرَيْزِيُّ: مسودة المواضع ٢٨٠.

^٢ فيما يلي ٢: ٢٤.

^٣ دار الذهب. انظر فيما يلي ٢: ٦٣.

^٤ المسيحي: أخبار مصر ٣٠؛ القُرَيْزِيُّ: مسودة

الخليج^١ ، (٢) ولم يسكن أحد قبله فيها ممن يجري مجراه ولا كانت إلا سكن الأمير أبو القاسم ابن الإمام المنتصير وإد الخليفة الحافظ^(٣)، وسكن حسام الملك صاحب^(٤) الباب دازه على الخليج .

وأمر متولي المعونة^٢ أن يكشف الآذر المطلة على الخليج قبلي اللؤلؤة ، ولا يمكن أحدًا من السكن في شيء منها إلا من كان له ملك ، ومن كان ساكنًا بالأجرة يُنقل ، ويقام بالأجرة لرب الملك ليشكن بها حواشي الخليفة مدة سنة .

وقرر من التوسعة في الثقفات ، وما يكون يرسم المستخدمين في المبيتات ، وما يختص بوزات القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام الليل ، مياومة من القنم والحيوان وجميع الأصناف ، وهي جملة كبيرة . وأمر متولي الباب أن يندب في كل يوم^(٥) حاجبًا وثلاثين من صبيان الركاب إلى مسجد الليمونة قبلي اللؤلؤة ويطلق لهم في كل يوم^(٦) خروف شياء وقنطار خبز . وكذلك جميع الدروب من تخبيرها^(٧) ، ويطلق لهم يرسم الغداء مثل ذلك ، وتكون نوبة دائرة بينهم ، وبقية مستخدمي الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم ، وفي يومي الركوب يجتمعون للخدمة إلا من هو في نوبته فيما رسم له .

وأمر متولي رَم^(٨) الممالك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة ، وفي الليل يبيت منهم عدة يرسم الخدمة تحت اللؤلؤة ، ولهم في كل يوم مثل ما تقدم . والرهجية تُقسم قسمين : أحدهما على أبواب القصور ، والآخر على أبواب اللؤلؤة ، وأصحاب الضوء مثل ذلك . وقرر للجماعة المقدم ذكرها في الليل ، عن رسم المبيت وعن قنن الوقود ، ما يخرج إليهم مخورًا بأسماء كل منهم . ويغرضهم متولي الباب في كل ليلة بنفسه عند رواجه وعوده . وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ، ولهم رسوم كما تقدم

(a-a) إضافة من المسودة . (b) النسخ وبولاق : حاجب . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق من بحرسها . (e) بولاق : زمام .

^١ منظره الغزاة . انظر فيما يلي ٥٣٣ - ٥٣٦ .
^٢ متولي المعونة . موظف يعاون متولي (صاحب) الشرطة في إقامة الأحكام وتثبيت الأيدي في الأملاك أو انتزاعها بناءً على أحكامه . (ابن المأمون : أخبار ١١٨
 المقرري : اتعاظ ٣ : ٦٩ ، عبد العزيز الدوري : «المؤسسات العامة في المدينة الإسلامية» ، مجلة الأبحاث ٢٧ (١٩٧٨) - (١٩٧٩) ، ١٧ - ١٨ .

لغيرهم ، والمتفرجون يخرجون كل ليلة للزُفَّة عليهم ، ويُقيمون إلى بعض الليل حتى يتصرفوا ، من غير خروج في شيء من ذلك عما يوجب الشُّرْع .

وفي يومي السلام يَمُضِي الخليفة من قُصُوره بحيث لا يراه إلا أستاذوه وخواصه ، إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويَحْضُرُ الوزير على عادته إليه ويكون السلام بها عليه^٥ على مستمر العادة ، والأنشطة بها في يومي الاثنين والخميس ، وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومي السبت والثلاثاء إلى المَقَرَّهات^١ .

وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة : ولما جرى الثُّبُلُ وبلغ خمسة عشر ذراعاً ، أُمِرَ بإخراج جميع^٢ الخيام والمُضَارِبِ الدُّيُوعِي والدُّيُاج ، وتحوَّل الخليفة الأير بأحكام الله إلى اللؤلؤة بحاشيته^٣ . وأُطْلِقَت التَّوَسِيعَةُ في كل يوم لما يُخَصُّ الخاص والجهات والأستاذين من جميع الأصناف . وانضاف إليها ما يُطْلَقُ كل ليلة غَيْتًا وورقًا وأطعمة للبياتين باللؤلؤة برسم الحرس بالنهار والشهر في طول الليل ، من باب قنطرة بهادر^٤ إلى مسجد الليمونة ، من البزئين^٥ من صبيان الخاص والركاب والرهجية والشودان والحُجَّاب ، كل طائفة بنقيها . والعرض من مُتَوَلِّي الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ، ولا يُمكن بعضهم بعضاً من المنام ، والرهجية تَحْدِمُ على الدوام^٦ . وتحوَّل الوزير المأمون إلى دار الذهب ، وأُطْلِقَت التَّوَسِيعَةُ ، والحال في إطلاق الأنشطة لهم في الليل والنهار مستمر .

وقال ابن عبد الظاهر : المَنْظَرَةُ المعروفة باللؤلؤة على بَرِّ الخليج ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم - يعني بعد ما هَدَمَهَا أبوه الحاكم - وكانت مُعَدَّةً للزُفَّة الخلفاء ، وكان التَّوَصُّلُ إليها من القصر - يعني القصر الغربي - من باب مُراد^٧ . وأُظِّلَتْ ، فيما ذَكَرَهُ لي عَلَمُ الدِّينِ بن تَمَاتِي الوَرَّاق ، أَنَّهُ شَاهَدَ فِي كُتُبِ دار ابن كوخيا العتيقة أَنَّهُ بَانِهَا .

(a) زيادة من المسودة . (b) زيادة من المسودة . (c) بولاق والنسخ والمسودة : القنطرة بما دار ، والتصويب مما يلي ٢٥ : ٢ . (d) بولاق : الترين .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٩٨-٩٩ للمقريزي : مسودة الحنفا ٣ : ٨١ .

^٢ المواعظ ٢٨١-٢٨٤ .

^٣ فيما يلي ٥٤١ .

^٤ ابن المأمون : أخبار مصر ٥٧ ، وفيما يلي ٢٤ : ٢٥ .
^٥ خان أبي طائفة بقسم الجمالية (أبو المحاسن : الهجوم الزاهرة وفارن المقريزي : مسودة المواعظ ٢٨٤-٢٨٥ ، وانعاط ٢٥٤ : ٤ هـ ١ : ٣٠٣ Fu'ad Sayyid, A., op.cit., p. ٣٠٣ .

^٦ تحذد محمد رمزي موضع باب مراد في عرض مدخل

شارع سوق السمك بالحرفش لجهة الشرق من مدخل شارع

خان أبي طائفة بقسم الجمالية (أبو المحاسن : الهجوم الزاهرة

وكانت عادة الخلفاء أن يُقيموا بها أيام النبل ؛ ولما حصل التوهم من الزارية والحشيشية قل^a تصرفهم - لا سيما إليها^b لصغر بين الخليفة وقلة حواشيه - وأمر بسد باب مراد المذكور - الذي يتوصل منه إلى الكافوري وإلى اللؤلؤة - وأُسكن في بعضها قراشون^c لحفظها .

فإذا كان في صبيحة كثر الخليج ، استودن الأفضل بن أمير الجيوش في فتح باب مراد ، الذي يتوصل منه إلى اللؤلؤة وغيرها ، فيفتح ويزوج الخليفة ليتزوج هو وأهله من النساء ، ثم يعود ويسد الباب ، هذا إلى آخر أيام الأفضل . فلما زوج^d الوزير المأمون في ذلك سارع / إليه ، فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر في مكانه إن شاء الله^e ، انتهى .

ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الأمر بأحكام الله ، والحافظ لدين الله ، والفائز ؛ وحملوا إلى القصر الكبير الشرقي من السراي^f .

ولما قدم نجم الدين أيوب بن شاذي من الشام على ولده صلاح الدين يوسف ، وخرج الخليفة العاضد لدين الله إلى لقائه بصحراء الهليلج بأخر الحصينة عند مسجد يبر^g وأكرم غاية الإكرام^h ، أنزل بمنظرة اللؤلؤة ، فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمس مائة . وأتفق أن حضر يوماً عنده الفقيه نجم الدين غمارة التمني ، والرضي أبو سالم يحيى الأخدب بن أبي حصينةⁱ الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد ، فأنشد ابن أبي حصينة نجم الدين أيوب فقال^j :

[البسط]

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفاً	منها وما كان منها لم يكن طرفاً
قد عجل الله هذي الدار تسكنها	وقد أعد لك الجنات والغرفاً
تسرفت بك غم من كان يسكنها	فأليس بها العز وتلتبس بك الشرفاً
كاثوا بها صدقاً والدائر لؤلؤة	وأنت لؤلؤة صارت لها صدقاً

(a) بولاق : قبل . (b) ساقطة من بولاق . (c) النسخ : فراشين . (d) بولاق : راجع . (e-e) زيادة من المسودة .

¹ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٠-١١١ ، وانظر كذلك ١٢٣-١٢٤ المقرئ : مسودة الموايظ ٢٨٠-٢٨١ ، وقارن أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٢٥٤ .
² انظر ابن مسير : أخبار ١١٠ ، وفيها تقدم ٤٩٦ .
³ يحيى بن سالم بن أبي حصينة الأخدب الشاعر

المتوفى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م (العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ١٥٧ ، ابن شاعر : فوات الوفيات ٤ : ٢٧٢-٢٧٥ ابن سعيد : التجوم الزاهرة ٣٣٩) .
⁴ عمارة اليميني : النكت المصرية ٢٩٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ١٨٧ .

فقال الفقيه عُمارة يَزِدُّ عليه^١:

[السيط]

أَيْمَتْ يَا مَنْ هَجَا السَّادَاتِ وَالْخُلَفَا
جَعَلَتْهُمْ صَدَقًا خَلُّوا بِلَوْلُوَّةِ
وَلَمَّا هِيَ دَارَ خَلٍّ جَوَّهَرُهُمْ
فَقَالَ لَوْلُوَّةٌ عَجَبًا بَيْتُجَتِهَا
فَهُمْ بِسُكْنَائِهَا^٢ الْآيَاتُ إِذْ سَكَنُوا
وَالْجَوَّهَرُ الْقَرْدُ نُورٌ لَيْسَ تَغْرِفُهُ
لَوْلَا تَجَسُّمُهُمْ فِيهِ لَكَانَ عَلَى
فَالْكَلْبُ بِأَكْلِبِ أَسْنَى مِنْكَ مَكْرَمَةٌ
وَقُلْتُ مَا قُلْتُهُ فِي تَلْبِيهِمْ سَخَفًا
وَالْعُرْفُ مَا زَالَ سُكْنَى اللُّوْلُوَّةِ الصَّدَقَا
فِيهَا وَشَفَّ فَأَسْنَاهَا الَّذِي وَصَفًا
وَكَوْنِهَا حَوَتْ الْأَشْرَافَ وَالشُّرَفَا
فِيهَا وَمِنْ قَبْلِهَا قَدْ أَشْكِنُوا الصُّحُفَا
مِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَرَفَا
ضَعِيفَ الْبَصَائِرِ لِلْأَبْصَارِ مُخْتَطَفَا
لَأَنَّ فِيهِ حِفَاطًا دَائِمًا وَوَقَا

فإنَّه دَرَّ عُمَارَةُ ، لَقَدْ قَامَ بِحَقِّ الْوَفَاءِ ، وَوَفَّى بِحُسْنِ الْحِفَاطِ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ ! لَا يَجْزِمُ أَنَّهُ قُتِلَ
فِي حُبِّ^٣ مِنْ يَهْوَى كَمَا هِيَ سُنَّةُ الْحَيِّينَ ، فَإِنَّهُ يَزَحُمُهُ وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ^٤.

منظرة العزالة

وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تُعرف بالعزالة على شاطئ الخليج ، تُقابل حُمام ابن قِرَوقَةَ ،
وقد خَرِبَتْ هذه المَنظَرَةُ أيضًا ، وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المَغْرِبِيِّ^٥ الذي من ناحية
الخليج . وقد خَرِبَتْ أيضًا حُمام ابن قِرَوقَةَ ، وصارَ مَوْضِعُهَا قُنْدَقًا بجوار حُمام السُّلْطَانِ^٦ التي هناك
يُعرفُ بِقُنْدُقِ عِمَاد . ومَوْضِعُ مَنظَرَةِ العزالة اليوم رُبْعٌ يُعرفُ بِرُبْعِ عَزَالَةٍ ، إلى جانب قَنَظَرَةِ
المُوشِكِيِّ فِي الْحَدِّ الشَّرْقِيِّ^٧.

وكان يَسْكُنُ بهذه المَنظَرَةِ الأميرُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْمُشْتَصِرِ وإلِدُ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ ، ثُمَّ
سَكَنَهَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي أَسَامَةَ كَاتِبُ الدَّسْتِ ، وكان بعد ذلك ينزلها من يتولَّى

(a) بولاق : بسكناهم والنكت المصرية : فهي بسكنائها . (b) بولاق : واجب .

^١ عبارة اليمنى : النكت المصرية ٢٢٩٢ ابن واصل :
^٢ انظر فيما يلي ٣٢٨ : ٢ .
^٣ انظر فيما يلي ٨١ : ٢ .
^٤ وهو يُعَادِلُ الآن المنطقة الواقعة شمال تقاطع شارع
الأمير مع شارع بورسعيد .
^٥ المقرئ : مسودة المواظ ٢٨٥ - ٢٨٦ .
^٦ مقرئ : مسودة المواظ ١٨٧ : ١ .
^٧ مقرئ : مسودة المواظ ٢٨٥ - ٢٨٦ .

الخدمة في الطراز أيام الخلفاء^١.

قال ابن المأمون، لما ذكر تحول الخليفة الأمير بأحكام الله إلى اللؤلؤة: وأشكر الشيخ أبو الحسن ابن أبي أسامة، كاتب الدمش، الغزاة التي على شاطئ الخليج، ولم يتمكن أخذ قبله فيها ممن يجري مجراه، ولا كانت إلا سكرن الأمير أبي القاسم ولد المشتنصر والد الإمام الحافظ^٢.

قال: وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الإstimار^٣، والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الأيام الأفضلية على أحد وثلاثين ألف دينار، فمن ذلك الشلف خاصة خمسة عشر ألف دينار، قيمة الذهب العراقي، والمصري ستة عشر ألف دينار. ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار، وتضاعفت في الأيام الآمرية^٤.

وقال ابن الطويز: الخدمة في الطراز ويُنعت بالطراز الشريف^٥، ولا يتولاه إلا أغنياء

262; Marzouk, M. "Ab., «The Tirāz Institution in Mediaeval Egypt» in *Studies in Islamic Arts and Architecture in Honour of K. A. C. Creswell*, London 1965, pp. 157-162; Yedida K. Stilman & Paula Sanders, *El*² art. *Tirāz* X, pp. 573-78.

^١ المقرزي: مسودة المواظ ٢٨٧، وقارن ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٤.

^٢ ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٠، المقرزي: مسودة المواظ ٢٨٢-٢٨٣.

^٣ انظر عن تذكرة الطراز والإstimار فيما تقدم ٣٢٣.

^٤ نفسه ٧٠، ١٠٠، المقرزي: المسودة ٢٨٨، وفيما تقدم ٣٢٦.

^٥ الطراز. كلمة فارسية بمعنى تعني في الأصل المذبح (البرودري) أو اللؤلؤ أو المزرکش، ثم أصبح يقصد بها بعد ذلك ملابس الخليفة الرسمية وأصبحت رمزاً من رموز السيادة، فتمى تولي الإمام أو شمي ولي العهد فتش اسمه على الطراز، وتطلق كذلك على ملابس كبار الشخصيات المنوزة وعلى الأخص المزدانة بشرائط الكتابة المزرکشة. وتطلق أخيراً على الدار التي تصنع هذه الملابس وهذه المنسوجات. Bahgat, A., «Les manufactures d'étoffes en Égypte au Moyen Âge», *BIE* (1903) pp. 351-361; Grohmann, A., *El*², art. *Tirāz* IV, pp. 825-834, Suppl. pp. 266-68; Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, Beirut 1972, pp. 138-160, 261-

وكانت العادة في الدولة الإسلامية أن يصحب سجل تولية كبار رجال الدولة منحهم خيطة أو أكثر على سبيل الشرف، كما كانوا يمنحون على الأقل خيطة في كل مناسبة أو عيد على مدار السنة. وكانت هذه الخيعة تُصنع عادة، في العصر الفاطمي، في دار الطراز بدمياط وتيس وشطاً وغيرها، والقماش الشائع استخدامه في عملها هو عادة ما يُطلق عليه الديبقي (نسبة إلى مدينة ديبق من ضواحي دمياط الحالية، وكانت تقع هي وشطاً وتونة في الموضع الذي حمرته بحيرة المنزلة الآن، فيما تقدم ٦١٢-٦١٣). وتبقا لما وصل إلينا من المنسوجات الفاطمية فيمكننا التمييز بين نوعين من دور الطراز: طراز الخاصة حيث كانت تُقفل ملابس الخليفة ونحوه. (Combe, E., & Wiet, G., *RCEA* n° 1852, 1886), (1899, 1924, 1957, 2013, 2023, 2045, 2053, 2055 وطراز العامة حيث كانت تعمل ملابس بقية رجال الدولة = (Ibid., n° 2041, 2048, 2056)

المُستَخدمين من أرباب القمائم أو الشيوف ، وله اختصاصٌ بالخليفة دون كافة المستخدمين ، ومقائمه بدمياط وتيس وغيرهما ، وجاريه أُمَيَّر الجوّاري ، وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى ، وله عُشارى ديماس موجود معه ، وثلاثة مراكب من الدُكّاسات^١ ، ولها رؤساء ونواتية لا يتزحون ، ونفقائهم جارية من مال الديوان .

٥. فإذا وَصَلَ بالاستعمالات الخاصة التي منها : المِظْلَة وبَدَلَتُها والبَدَنَة^٢ واللّباس الخاصّ الجُمعي وغيره ، لُقي^٣ بكرامة عظيمة ، وتُذَبّ له دابةٌ من مراكب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود إلى خدمته ، وينزل في « العزّالة » على شاطئ الخليج - وكانت من المناظر السلطانية ، وجَدُّها شُجاع^٤ بن شاور - ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عُشر دور لا يُمكن من نزوله إلّا بالعزّالة ، وتجري عليه الضيافة كالعزباء الواردين على الدّولة . فيُعْتَل^٥ بين يدي الخليفة بعد حملّ الأسفاط المشدودة على تلك الكساوي العظيمة ، ويُعرض بجميع ما معه ، وهو يُبْجِه على شيء فشيء بيد قواشي الخاصّ في دار الخليفة مكان سكّنه ، ولهذا حُرْمَةٌ عظيمة ، ولا سيّما إذا وافق استعماله غرضهم . فإذا انقضى غرض ذلك بالمرج الذي يحضره ، سلّم لمستخدمي خزائن^٦ الكشوات ، وُخْلِيع عليه بين يدي الخليفة باطنًا ، ولا يُخْلَع على أحدٍ كذلك سواه ، ثم ينكفى إلى مكانه .

(a) بولاق : هـ . (b) بولاق : شعاع . (c) بولاق : فينمئل . (d) ساقطة من بولاق .

Politics : The Impact of Fatimid Uses of Tiraz Fabrics, Ph. D. Dissertation, The Univ. of Chicago 1980.

^١ دُكّاسَة جـ. دُكّاسات . لم يرد هذا المصطلح في أي مصدر سوى ما ذكره ابن الطوير هنا . ويبدو من وصفه أنه نوع من المراكب النيلية المخصصة لاستخدام كبار رجال الدولة في مصر الفاطمي .

^٢ البَدَنَة . ثوبٌ من ثياب الخليفة الفاطمي كان يصنع بطراز تيس ولا يدخل فيه من الفزل سلاء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تنحج إلى تفصيل ولا خياطة ، وتبلغ قيمته ألف دينار (فيما تقدم ١: ١٧٧ ، وفيما يلي ٥٥٦) .

- وراجع كذلك ، Wiet, G., «Un nouveau tissu fatimide», *Orientalia* V (1936), pp. 388; Kühnel, E. & Bellenger, L., *Catalogue of Dated Tiraz Fabrics in the Textile Museum*, Washington 1952; Marzuk, M. 'Abd al-'Aziz, «Four Dated Tiraz Fabrics of the Fatimid Kalif al-Zāhir», *Kunst des Orients* II (1955), pp. 45-51; El-Habib, Mustafa, «Notes sur un Tirāz au nom de Abil-Mansūr al-'Aziz bil-Lāh, le fatimide (365-386 H./975-996 ap. J. C.)», *La Revue du Louvre* 23^e année (1973), pp. 299-302; Lombard, M., *Les Textiles dans le Monde musulman du VII^e au XII^e siècle* (Etudes d'Economie Médiévale III), Paris 1978, pp. 164-166; Bierman, I., *Art and*

وله في بعض الأوقات التي لا يتسع له فيها^(٥) الانفصال « نائب » يعمل عنه بذلك غير غريب منه ، ولا يمكن أن يكون إلا ولداً أو أخاً ، فإن الوثبة عظيمة ، والمطلق له من الحامية في الشهر سبعون ديناراً ، ولهذا « النائب » عشرون ديناراً ، لأنه يتولى ذلك^(٦) عنه إذا وصل بنفسه ، ويقوم إذا غاب في الاستعمال مقامه .

ومن أدواته أنه إذا غاب في الأشفاط ، استدعى والي ذلك المكان لإشاهدته عند ذلك ، ويكون الناس كلهم قياماً لحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز ، وهو جالس في مرتبه ، والوالي واقف على رأسه خذمة لذلك . وهذا من رسوم خدمته وميزتها^(٧) .

دار الذهب

وكان بجوار الغزاة دار الذهب ، وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة ، وكانت مظلّة على الخليج ، وفي مكانها اليوم دار تعرف بيهادر الأعسر^(٨) . وبقي منها عقد بجوار دار الأعسر ، تعرف الآن بقبر الذهب ، من خط^(٩) بين الشورين^(١٠) .

قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمير بأحكام الله إلى اللؤلؤة : ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان ، وأمره أن يمضي إلى داري القلک والذهب اللتين على شاطئ الخليج - فالدار الأولى التي من خير باب الخوخة ، بناها قلک الملك - وذكر أنه من الأستاذين الحاكيمية - ولم تكن تعرف إلا بدار القلک . ولما بنى الأفضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التي من خير باب سعادة ، وسماها بدار الذهب ، غلب الاسم على الدارين - ويضلع ما فسد منهما ويضيف إليهما دار الشابورة^(١١) . وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم إلا لأن جزءاً منها بيع في أيام الشدة في زمن المستنصر بشابورة خلواء^(١٢) .

(٥) زيادة من المسودة . (ب) بولاق : خطة .

^(٢) فيما يلي ٢ : ٧٤ .

^(٣) فيما يلي ٢ : ٦٣ - ٦٤ ، ٣٢٨ . ويحدد موضعها اليوم المكان الواقع بين محكمة باب الخلق وجامع الفخري (جامع البنات) في شارع بورسعيد .

^(٤) دار الشابورة انظر ابن عبد الظاهر : الروضة ١١٣ .

^(١) ابن الطوير : نزهة ١٠١ - ١٠٤ المقرري : المسودة ٢٨٨ - ٢٩٩ وانظر كذلك ابن ماتي : قوانين الدواوين ٣٣٠ - ٣٣١ محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة ٤٦ - ٤٩ ونقل مرجحت هذه الفقرة إلى الإنجليزية Serjeant, R. B. *Islamic Textiles* p. 152.

قال: وعندما قاربَ النَّيْلُ الوَفاءَ تَحَوَّلَ الخَلِيقَةُ في الليل من قُصُوره بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ وإِخْوَتِهِ وأَعْمَامِهِ والسُّيُودَاتِ كَرَامِهِ وَعَمَّاتِهِ، إلى اللُّؤْلُؤَةِ، وَتَحَوَّلَ الأَجُلُ المَأْمُونُ بالأَجَلَاءِ أَوْلَادِهِ إلى دارِ الذَّهَبِ وما أَضْيَفَ إِلَيْهَا^١.

- وقال ابنُ عبد الظَّاهر: دارُ الذَّهَبِ بناها الأَفْضَلُ بن أمير الجيُوش، وكانت عَادَةُ الأَفْضَلِ أن يَشْتَرِيخَ بها إذا كان الخَلِيقَةُ باللُّؤْلُؤَةِ يكون هو بدارِ الذَّهَبِ، وكذلك كان المَأْمُونُ من بَعْدِهِ.
- وكان حَرَسُ دارِ الذَّهَبِ يُسَلَّمُ للوَزيرية: من باب سَعَادَةِ يُسَلَّمُ لَهُمْ، ومن باب الخَوْخَةِ لِلْمَصَامِدَةِ أَرْبابِ الشُّعُورِ وَصِيَّانِ الخَاصِّ. وكان المَقْرُورُ لَهُمْ في كُلِّ يَوْمٍ سِمَاطِينَ: أَخَذَهُمَا بِقَاعَةِ القَلَكِ لِلْمَمَالِيكِ الخَاصِّ والحَاشِيَةِ وَأَرْبابِ الرُّسُومِ، والآخِرُ على باب الدَّارِ يَرْسُمُ المَصَامِدَةَ، حَتَّى إِنَّهُ من اخْتَارَ ورَأَى أَنَّهُ يَجْلِسُ مَعَهُمْ على السِّمَاطِ لَا يُتَمَتَّعُ، وَالضُّعْفَاءُ وَالصُّعَالِيكُ يَقْعُدُونَ بَعْدَهُمْ، وفي أَوَّلِ اللَّيْلِ يَمُتُّ ذَلِكَ. وَلِكُلِّ مِنْهُمْ رَسْمٌ لَجَمِيعٍ من يَبِيتُ من أَرْبابِ الضُّوءِ إلى الأَعْلَى^٢.
- ١٠

مَنْظَرَةُ الشُّكْرَةِ^٣

- وكان من مَجْمَلَةِ مَنَاطِرِ الخُلَفَاءِ، مَنْظَرَةُ تُعْرَفُ بِمَنْظَرَةِ الشُّكْرَةِ في بَرِّ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ، يجلس فيها الخَلِيقَةُ يَوْمَ فَتَحِ الخَلِيجِ، وكان لها بُسْتَانٌ عَظِيمٌ، بَنَاهَا العَزِيزُ باللهِ بن المَعِزِّ.
- وقد دَنَزَتْ هذه المَنْظَرَةُ، وَيُشَبَّهُ أن يَكُونُ مَوْضِعُهَا في المَكَانِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ اليَوْمَ المَرِيسُ^٤ قَرِيبًا من قُطْرَةِ السَّدِّ.
- ١٥

(a) آياصوفيا: ذكر السكرة.

(المريس) اليوم المنطقة التي تحدها من الشرق شارع بورسعيد ومن الغرب شارع علي يوسف بالقرب من القصر العيني . (أبو الحسن: النجوم ١٩٦:٩ هـ، ١١٣٨:١١ هـ^١). أما قنطرة السد التي أنشأها للملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٣ هـ، على خليج القاهرة بالقرب من فمه فكانت تقع تجاه النقطة التي يتلاقى فيها شارع الخليج (بورسعيد) بشارع مدرسة الطب (نفسه ٣٨١:٦).

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ١١٠٠ المرقري: مسودة المواعظ ٢٩١-٢٩٢.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٣، المرقري: المسودة ٢٩٠-٢٩١ وانظر فيما يلي ٦٤:٢.

^٣ المريس. هو مكان بستان الخشب وعرف بذلك لأن كثيرا من السودان والمريس والنوبة كانوا يسكنون به فعرف بهم (ابن دقماق: الانتصار ١٢١:٤)، ويحدد موضع

وكانت الشُّكْرَةُ من جَنَاحَاتِ الدُّنْيَا المَرْخُوفَةِ ، وفيها عِدَّةُ أَمَاكِينٍ مُعَدَّةٌ لِنُزُولِ الوَظِيرِ وَغيره من الأُسْتَاذِينَ .

ذِكْرُ مَا كَانَ يُعْمَلُ يَوْمَ فَتْحِ الْخَلِيجِ - قَالَ ابْنُ زُوَلَاقٍ فِي كِتَابِ « سِيرَةِ الْمُعْزِّ لَدِينِ اللَّهِ » : وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ - يَعْنِي مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا الْخَلِيفَةُ الْمُعْزُّ لَدِينِ اللَّهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ - رَكِبَ الْمُعْزُّ لَدِينِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِكُنُوسِ خَلِيجِ الْقَنْطَرَةِ ، فَكَسِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . ثُمَّ سَارَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ حَتَّى بَلَغَ إِلَى بَنِي وَائِلَ ، وَمَرَّ عَلَى سَطْحِ الْجُرُوفِ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ ، وَخَلَفَهُ وَجُوهُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، وَمَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ نَضْرٍ يَسِيرُ مَعَهُ ، وَيُخْرِفُهُ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي يَجْتَازُ عَلَيْهَا ، وَتَجَمَّعَتْ (a) لَهُ الرُّعْيَةُ بِالذِّعَاءِ ؛ ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بَرْكَةِ الْحَبَشِ ، ثُمَّ عَلَى الصُّخْرَاءِ عَلَى الْخَنْدَقِ الَّذِي حَفَرَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ، وَمَرَّ عَلَى قَبْرِ كَافُورٍ^١ وَعَلَى قَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طَبَاطِبَا الْحَسَنِيِّ^٢ وَغُرُوفٍ (b) بِهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى قَصْرِهِ .

(a) بولاق : ولجعت . (b) بولاق : وغرُوفه .

الوافي بالوفيات ١٧: ٤٢-٤٣ المقرئ: المقفى الكبير
٤: ٤٤١-٤٤٩). وقبره يقع في الموضع المعروف الآن بمشهد
آل طباطبا، والذي دفن فيه مجموعة من أشرف آل طباطبا
والذي يرجع تاريخه إلى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٣م. ويقع الآن
على بعد ٥٠٠ متر غربى قبة الإمام الشافعى ونحو ٢٣٠ متراً
شمالي عين الصيرة. وهو الأثر الوحيد الباقى من الفترة
الإخشيدية. ويحفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت
رقم ٣٩١٤ بكتابة محفورة على الخشب قادمة من هذا
المشهد، لتحمل تاريخ وفاة الشريف أبى محمد عبد الله بن
طباطبا (راجع، الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤٩-
٢٥٣؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٥٩-٦٣؛ سيدة
إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين ٢٩٩-
٣٠١؛ فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية
٥١٥؛ Creswell, K. A. C., MAE I, pp. 11-15; Weil, I. D.,
Les bois à épigraphes jusqu'à l'époque mamelouke, p. 49 et pl. n° IX; Fu'ād
(Saiyyid, A., La capitale de l'Égypte, pp. 70-71).

^١ ذكر أبو المحاسن (النجوم ١٠: ٤) أن كافوراً بعد وفاته
حمل تابوته إلى القدس فدفن بها ولم يحدد المقرئى في
ترجمته لكافور (فيما يلى ٢٦٢-٢٧) موضع قبر كافور وإن
اتفق مع أبى المحاسن في أنه وجد مكتوباً عليه:

مَا بَالُ قَبْرِكَ يَا كَافُورُ مَنفُوقًا

بِالشَّخْصِ الْمَوْتِ بَعْدَ الشُّكْرِ اللَّجْبِ

يَدُوسُ قَبْرَكَ أَحَادُ الرِّجَالِ وَقَدْ

كَانَتْ أَشْوَدُ الشُّرَى تَخْشَاكَ فِي الْكُتُبِ

وَحَدَّدَ الْمَوْقِعَ بِنِ عِثْمَانَ مَوْضِعَ قَبْرِ كَافُورٍ شَرْقَ قُبَّةِ الْإِمَامِ
الشَّافِعِيِّ بِالْقَرْبِ مِنْ رُتْبَةِ الشَّيْخِ أَبِي عَمْرٍو عِثْمَانَ بْنِ مَرْزُوقٍ
ابن سلامة القرشي (مرشد الزوار ٥١٣، ٥٢٣) وعند
الخندق الذي حفره عبد الله بن جحدم سنة ٨٦هـ وأعاد
حفره القائد جوهَر الصَّقَلِي (فيما يلى ٤٥٨: ٢).

^٢ الشريف عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن
إبراهيم طباطبا، «كان عثى بنى علي كلهم بمصر» توفي سنة
٣٤٨هـ/ ٩٥٩م (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٨١-٨٣؛
الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٤٩٦-٤٩٧؛ الصغدى:

وَذَكَرَ الْأَمِيرُ الْمُسَبِّحِيُّ فِي « تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ » رُكُوبَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ بْنِ الْمُعِزِّ، وَرُكُوبَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ
 اللَّهِ بْنِ الْعَزِيزِ، وَرُكُوبَ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ بْنِ الْحَاكِمِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ لِفَتْحِ الْخَلِيجِ^١.
 وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ: وَعِنْدَمَا بَلَغَ الثُّلُثُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، أُمِرَ
 بِالْخُرَاجِ الْحَيْتِمِ، وَأَنْ يُضْرَبَ الثُّوبُ الْكَبِيرُ الْأَفْضَلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِـ « الْقَاتُولِ » - وَهُوَ أَعْظَمُ مَا فِي
 الْحَاصِلِ^٢ - بِأَرْبَعَةِ دَهَالِيزٍ / وَأَرْبَعِ قَاعَاتٍ خَارِجًا عَنِ الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ، وَمِسَاحَتُهُ عَلَى مَا ذُكِرَ أَلْفٌ
 أَلْفِ ذِرَاعٍ وَأَرْبَعِ مِائَةِ ذِرَاعٍ^٣ بِالذِّرَاعِ الْكَبِيرِ خَارِجًا عَنْ سُرَادِقِهِ، وَعَمُودُ الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ مِنْهُ ارْتِفَاعُهُ
 خَمْسُونَ ذِرَاعًا.

وَلَمَّا كَمَلَ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَيَّامِ الْأَفْضَلِ وَنُصِبَ، تَأَذَّى مِنْهُ جَمَاعَةٌ وَمَاتَ رَجُلَانِ، فَسُمِّيَ
 بِـ«الْقَاتُولِ» لِأَجْلِ ذَلِكَ. وَمَا صَارَ^٤ يُضْرَبُ إِلَّا بِحُضُورِ الْمُهَنْدِسِينَ، وَتُنْصَبُ لَهُ أَسَاقِيلُ عِدَّةٌ
 بِأَخْشَابٍ كَثِيرَةٍ، وَالْمُسْتَخْدَمُونَ يَكْرَهُونَ ضَرْبَهُ وَيَرْغَبُونَ فِي ضَرْبِ أَحَدِ الثُّوبَيْنِ الْخِيُوشِيِّينَ، وَإِنْ
 كَانَ عَظِيمَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَا يَصْلَانِ بِجَمْلَتَهُمَا إِلَى مُقَابَلَتِهِ وَلَا مَتَوْتِهِ وَلَا صَنْعَتِهِ، وَأَقَامَ هَذَا الثُّوبُ
 فِي الْاسْتِعْمَالِ عِدَّةَ سِنِينَ مَعَ جَمْعِ الصُّنَّاعِ عَلَيْهِ، وَمَا يُضْرَبُ مِنْهُ سِوَى الْقَاعِدَةِ الْكَبِيرِ^٥ لَا غَيْرَ
 وَالْأَرْبَعَةِ الدَّهَالِيزِ وَبَعْضُ الشَّرَادِقِ الَّذِي هُوَ سُورٌ عَلَيْهِ، لَضَبِيقِ الْمَكَانِ الَّذِي يُضْرَبُ فِيهِ، وَكَوْنِهِ لَا
 يَسْتَعْمَلُهُ بِجَمْلَتِهِ^٦.

قَالَ: وَلَمَّا^٧ وَصَلَتْ كُشُودُ مَوْسِمِ فَتْحِ الْخَلِيجِ، وَهِيَ مَا يَخْتَصُّ بِالْخَلِيفَةِ وَأَخِيهِ وَبَعْضِ جِهَاتِهِ

(a) بولاق : وما زال لا . (b) بولاق : القاعة الكبيرة . (c) ساقطة من بولاق .

^١ المسيحي : نصوص ضائعة ٤٠.

وانظر عن خيمة «القاتول» التي عملها الوزير الأفضل

والتي تعرف أيضًا بـ«خيمة الفرج» : ابن المأمون : أخبار

مصر ١٠٢-١٠٣ : النويري : نهاية الأرب ٢٨٥:٢٨-

٢٨٧ : ابن مسير : أخبار مصر ٨٥-٨٦ : القرظي : اتعاظ

٧٢:٣-٧٣ : ابن الصيرفي : الأفضليات ٢٠٩-٢١٩.

وقارن كذلك مع القلقشندي : صبح ١٣٨:٢، ٤٧١:٣.

^٣ حاشية بخط المؤلف : «كذا ذكر ، وعندني في هنا

القول نظر ، فقلع مائة ألف ذراع».

^٤ ابن المأمون : أخبار مصر ٥٥-٥٦.

^٢ ذكر المقرئ فيما تقدم ٣٨٤ أنه أخرج من بين ما

أخرج من القصر الفاطمي وقت الشدة فسطاط كبير يسمى

«المنوارة» أمر بعمله الوزير الحسن بن عبد الرحمن البازوري

على مثال «القاتول» الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام

خلافة وأنه سُمي «القاتول» لأنه ما نصب قطدًا إلا وقتل رجلًا

أو رجلين ممن يتولى إتيانه . وهو يشبه بذلك «القاتول» الذي

أمر بعمله بعد ذلك الوزير الأفضل والذي يشير إليه نص ابن

المأمون .

والوزير . فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبذلة ، شرحها : بدنة طميم ، مئديل سلفه مائة وعشرون ديناراً ، أحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعاً ذهباً عراقياً ذمجا لواحاً واحداً ، و الثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون ديناراً ، ثوب طميم سلفه خمسون ديناراً ، والذهب الذي في الثوب والمئديل والحتك ألف دينار وخمسة دنانير . فتكون جملة السلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعون ديناراً .

شايبة طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً ، فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير . مئديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة ، قيمته كذلك . وسط برسم المئديل بخص ذهب سلفه اثنا عشر ديناراً وسبعون قصبة ، قيمة ذلك عشرون ديناراً . شقة ذيقى وسطاني حريري ، السلف اثنا عشر ديناراً . غلالة ذيقى حريري السلف عشرة دنانير .

مئديل كتم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتا قصبة وأربع قصبات ذهباً عراقياً ، قيمة ذلك خمسة وعشرون ديناراً ، مئديل كتم ثان حريري خمسة دنانير ، حجزه^(أ) أربعة دنانير ، عرضي لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالاً ذهباً مصرية ، فيكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين ديناراً ، عرضي ثان برسم تغطية الثخت ديناراً واحداً ونصف .

تخت ثان ضمنه بذلة خاص حريري برسم العود من الشكوة ، شرحها : مئديل حريري سلفه ستون ديناراً ، وسط شرب رشمه اثنا عشر ديناراً ، شقة ذيقى وكتم عشرون ديناراً ، شقة وسطاني اثنا عشر ديناراً ، غلالة خمسة عشر ديناراً ، غلالة عشرة دنانير ، مئديل سلام ديناران ، مئديل كتم خمسة دنانير ، مئديل كتم ثان أيضاً خمسة دنانير ، شايبة حريري ديناران ، حجزه^(أ) أربعة دنانير ، عرضي لفافة خمسة دنانير ، عرضي ثان برسم لفافة الثخت ديناراً واحداً ونصف .

قال : رأيته شاهداً أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها إذا كانت حريري ثلاث مائة وستة دنانير ، وإذا كانت مذهبية ألف دينار . واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخي الخليفة وأربع جهات .

وأما ما يختص بالوزير فبذلة مذهبية شرحها : مئديل سلفه سبعون ديناراً وخمسة مائة وسبعون قصبة عراقية ، جملة سلفه وذهبه مائثة وأربعة عشر ديناراً ، شقة ذيقى وكتم السلف ستة عشر ديناراً وثمانية وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً ، يكون جملة ذلك خمسين ديناراً ، نصف شقة ذيقى

(a) للْعَجَزِ ثلاثةَ دنانير، شُقَّةٌ دِيقِي^a وَشَطَانِي اثنا عشر دينارًا، ونصف شُقَّةٌ وَشَطَانِي بِرْشَمِ الْعَوْدِ ثلاثةَ دنانير، غِلَالَةٌ دِيقِي سبعةَ دنانير، ونصف شُقَّةٌ بِرْشَمِ الْغِلَالَةِ ديناران، ونصف مِثْدِيلُ كُتْمِ سبعةَ دنانير واثنا عشر مِثْقَالًا ذَهَبًا، تكون قيمته تسعة عشر دينارًا، حجْزُه^b ثلاثةَ دنانير، عرضي أربعةَ دنانير وأحد عشر مِثْقَالًا، تكون مِثْلُفُه وَذَهَبُه سبعة عشر دينارًا.

- ثم ذَكَرَ بعد ذلك ما يكون لجهةِ الْوَزِيرِ، وما يكون بِرْشَمِ صِبْيَانِ الْحَمَامِ، وما يُفْصَلُ بِرْشَمِ المَمَالِيكِ الْخَاصِّ صِبْيَانِ الرَّاياتِ وَالرَّمَاكِ: خمس مائة شُقَّةٌ سَقْلَاطُونِ دَارِي تكون قيمتها سبع مائة وخمسين قَبَاةً، يُحْتَمَلُ منها بِرْشَمُ غِلْمَانِ الْوَزِيرِ مائة قَبَاةً، ويفرَّقُ جَمِيعُ ذلك.

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ لِأَخِيذٍ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَوَاشِي وَغَيْرِهِمْ فِي هَذَا التَّوَسِيمِ شَيْءٌ فَيَذْكَرُ، بَلْ لَهُمْ مِنَ الْهَبَاتِ الْعَتِينَ وَالرُّسُومِ الْخَارِجَةِ عَنْ ذَلِكَ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي تَوْضِيحِهِ.

- وَفِي صَبِيحَةِ هَذَا التَّوَسِيمِ خُلِيعٌ عَلَى ابْنِ أَبِي الرَّؤَادِ^١ وَعَلَى رُؤَسَاءِ الْمَرَائِبِ وَغَيْرِهِمْ، وَحُجِلَ إِلَى الْجَفْيَاسِ - بِرْشَمِ الْمَبِيتِ، وَرُكُوبِ الْخَلِيفَةِ بِتَحْمِلِهِ وَمَوَازِيهِ إِلَى الشُّكْرَةِ^c - مَا فَضَّلَهُ وَيَبْنِيهِ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ.

وَقَالَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ: وَلَمَّا بَجَزَى الثَّيْلُ وَبَلَغَ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، أُمِرَ بِإِخْرَاجِ الْخِيَامِ وَالْمَضَارِبِ الدِّيْقِيَّةِ وَالذِّيْبَاجِ، وَتَحْوُلِ الْخَلِيفَةِ إِلَى اللَّؤْلُؤَةِ بِحَاشِيَتِهِ، وَتَحْوُلِ الْمَأْمُونِ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ.

وَوَصَلَتْ كُشُودُ التَّوَسِيمِ الْمَذْكُورِ مِنَ الطَّرَازِ، وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةُ الْعُدَّةِ فِيهِ كَثِيرَةً الْقِيَمَةِ، وَلَمْ تَكُنْ لِلْعُقُومِ مِنَ الْحَاشِيَةِ وَالْمُسْتَخْدَمِينَ، يَلُحُّ لِلْخَلِيفَةِ خَاصَّةً وَإِخْوَانَةً وَأَزْبَعٍ مِنْ خَوَاصِّ جِهَاتِهِ وَالْوُزَيْرِ وَأَوْلَادِهِ وَابْنِ أَبِي الرَّؤَادِ.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: حجره. (c) بولاق: الكرة.

الرؤاد (الكندي: ولاية مصر ٢٢٩: المسبحي: أخبار مصر ٣٧-٣٩، ٤١: ابن خلكان: وفیات ٣: ١١٢: الصفدي: الروافي ١٧: ٢٥٧: القلقشندي: صحيح ٣: ٢٩٥: أبو المحاسن: النجوم ٢: ٣٧٥-٣٧٦، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 89-91، وفيما يلي ١٥٢:١، وفيما يلي ١٨٥:٢).

^١ ابن أبي الرؤاد متولّي قياس النيل. كانت القصارى تتولّى قياس ماء النيل حتى عزلهم الحوكل العباسي بإشارة القاضي بكار بن قُتَيْبَةَ. ثم رُتِبَ والي مصر يزيد بن عبد الله التركي فيه أبا الرؤاد عبد الله بن عبد السلام المؤدب في سنة سبع وأربعين ومائتين، واستقر قياس النيل في يده إلى العصر العثماني، وصار كل من يتولّى أمر القياس يعرف بابن أبي

فلما وَفَى الثَّيْلُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى الصَّنَاعَةِ بِمَصْرَ، وَرُيِّعَتِ الْعُشَارِيَّاتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، ثُمَّ عَذَّبَا فِي إِحْدَاهَا إِلَى الْيَقِينِ وَضَلَّيَا، وَنَزَلَ الْفَقِيهُ^(٨) صَدَقَةُ ابْنِ أَبِي الرَّثَادِ مَنْزِلَتَهُ وَخَلَقَ الْعُمُودَ^١.

وَعَادَ الْخَلِيفَةُ عَلَى قَوْمِهِ، وَرَكِبَ الْبَحْرَ فِي الْعُشَارِيِّ الْفَيْضِيِّ وَالْوَزِيرُ صُحْبَتَهُ، وَالرَّهْجِيَّةُ تَخْدِمُ بَرًّا وَبَحْرًا، وَالْعَسَاكِرُ طُولَ الْبَرِّ قَبَالَتَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْمَقَسِّ.

وَرُتِبَ الْمُؤَكَّبُ، وَقَدِمَ الْعُشَارِيُّ لِلْخَلِيفَةِ^(٩) الْأَمِيرَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَالْوَزِيرَ الْمُأْمُونَ، وَسَارَ الْمُؤَكَّبُ وَالرَّهْجِيَّةُ تَخْدِمُ وَالصَّدَقَاتُ وَالرُّسُومُ تُفْرَقُ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْعِيدِ، وَاعْتَمَدَ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ تَقْدِيمِ الْوَزِيرِ وَتَرْجُلِهِ فِي رِكَابِهِ إِلَى أَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ إِلَى قَصْرِهِ.

وَتَقَدَّمَ بِالْخَلْعِ عَلَى ابْنِ أَبِي الرَّثَادِ: بَذْلَةُ مُذَهَّبَةٍ، وَثَوْبٌ دَقِيقِي خِرْيٍ، وَطَلْيَسَانٌ مُقَوَّرٌ بِيَاضٍ مُذَهَّبٍ، وَشُقَّةٌ سَقْلَاطُونَ، وَشُقَّةٌ عَتَائِي^(١٠)، وَشُقَّةٌ خَزْ، وَشُقَّةٌ دَقِيقِي، وَأَرْبَعَةُ أَكْيَاسٍ دِرَاهِمٍ. وَنُشِرَتْ قُدَامَهُ الْأَعْلَامُ الْخَاصَّةُ الدَّقِيقِيَّةُ الْمُجَاوِمَةُ بِالْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا قُدَامَهُ لِأَنَّهَا مِنْ جَمَلَةٍ تَجْمُلُ الْخَلِيفَةَ، وَأُطْلِقَ لَهُ بِرَسْمِ الْمَبِيتِ مِنَ الْبُخُورِ وَالشُّمُوعِ وَالْأَغْنَامِ وَالْحَلَاوَاتِ كَثِيرٌ. وَ^(d)ذَكَرَ مِنَ التَّجَمُّلاتِ وَتَرْتِيبِ الْعَسَاكِرِ فِي الرُّكُوبِ وَنَزُولِ الْخَلِيفَةِ بِالشُّكْرَةِ إِلَى أَنْ تُكْبِرَ الْخَلِيفُ مَا قَدْ اخْتَصَرْنَا ذَكَرَهُ^(d)

قَالَ: وَهَيِّئَتِ الْمَقْصُورَةُ فِي مَنْظَرَةِ الشُّكْرَةِ بِرَسْمِ رَاحَةِ الْخَلِيفَةِ وَتَغْيِيرِ ثِيَابِهِ^٢، وَقَدْ وَقَعَتِ الْمُبَالِغَةُ فِي تَغْلِيْقِهَا وَقَوَّشِهَا وَتَعْبِئِهَا، وَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الصُّوَانِي الدُّهَبُ الَّتِي وَقَعَ التَّنَاهِي فِيهَا مِنْ هَيْئَةِ الْجِهَاتِ، مِنْ أَشْكَالِ الصُّوَرِ الْأَدِيمَةِ وَالْوَحْشِيَّةِ مِنَ الْفَيْلَةِ وَالزَّرَافَاتِ وَنَحْوِهَا، الْمَعْمُولَةُ مِنَ الدُّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْعَتِيرِ وَالْمُؤَسِّنِ الْمَشْدُودِ وَالْمُظْفُورِ عَلَيْهَا، الْمَكْلَلُ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرْجَدِ، وَمِنْ^(٣) الصُّوَرِ الْوَحْشِيَّةِ مَا يُشَبِّهُ الْفَيْلَةَ جَمِيعَهَا عَتِيرٌ مَعْجُونٌ كَخَلْقَةِ الْفِيلِ، وَنَابَاهُ فِضَّةٌ وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا يَشْمَارُ دَهَبٌ مَجْرَى بِسَوَادٍ^(f)، وَعَلَيْهِ سَرِيرٌ مَتَّجُورٌ مِنْ عُودٍ بِمَتَكَاتٍ فِضَّةٌ وَدَهَبٌ، وَفِيهِ^(٤) عِدَّةٌ مِنَ الرِّجَالِ رُكْبَانٍ، وَعَلَيْهِمُ اللَّبُوسُ تَشَبُّهُ الرُّزْدِيَّاتِ، وَعَلَى

(٨) بولاق: اللفة. (b) بولاق: بالخليفة. (c) بولاق: تخاني. (d-d) هذه العبارة ساقطة من بولاق. (e) الواو ساقطة من بولاق. (f) بولاق مجرى سواده. (g) بولاق: عليه.

^١ هو ما يعرف برُكوب تَخْلِيْقِ الْمَقْيَاسِ (انظر فيما يلي ^٢ فيما تقدم ٥٣٧).

رعوسهم الخُود، وبأيديهم الشيوف المجردة والدُرَق، وجميع ذلك فِصَّة. ثم سَبَه^(a) صُور السَّبَاع مُنْجورة من عُود، وعَيْنَاه ياقوتتان خمرأوان وهو على فَرَسْتِه، وبقية الوُخْش^(b) وأصناف تُشَدُّ من المُرْسِين المَكَلَّل باللؤلؤ سَبَه الفاكِهَة .

قال : ومن جُمْلَة ما وَقَعَ الاهتمامُ به في هذا المَوْسَم ما صار يُسْتَعْمَل في الطَّرَاز، وإن لم يتقدَّم نَظِيرُه للولائم التي تُتَّخَذ بِرَسْم تَغطِيَة الصَّوَانِي، عِدَّة من غَرَضِي دَيِّقِي، ثم قَوَارَات شَرَب تكون من تحت الغَرَضِي على الصَّوَانِي، مَفْتَح كُلِّ قَوَارَة مِنْهُن دُور^(c) أربعة أَشْبَار، سَلَف كُلِّ وَاحِدَة مِنْهُن خَمْسَة عَشْر دِينَارًا، وَرَقَم في كُلِّ مِنْهُن سَجْفُ دَهَب عِرَاقِي ثَمَنه من أَرْبَعِينَ إِلَى ثَلَاثِينَ دِينَارًا، تكون الواجِدَة بِخَمْسِينَ دِينَارًا .

وَيُسْتَعْمَل أَيْضًا بِرَسْم الطَّرَح، من فوق القَوَارَات الإِسْكَندَرَانِي التي تُشَدُّ على المَوَائِد التي تُحْمَل من عِنْد كُلِّ جِهَة، قَوَارَات دَيِّقِي مَقْصُور من كُلِّ لَوْن مُجَاوِة بِالرُّقُوم الحَرِيرِي، مَفْتَح كُلِّ قَوَارَة أَرْبَعَة أَذْرَع، يَكُون الثَّنَن عن كُلِّ وَاحِدَة أَرْبَعِينَ دِينَارًا .

ولقد بيعت عِدَّة من القَوَارَات الشَّرَب، فَسَارَعَ التَّجَارُ العِرَاقِيُون إِلَى شِرَائِهَا، وَنَهَايَة مَا بَلَغَ ثَمَرُ كُلِّ وَاحِدَة مِنْهُن سِتَّة عَشْر دِينَارًا، وَسَافَرُوا بِهَا إِلَى الْبِلَاد، فَلَمْ يَبِعْ لَهُمْ مِنْهَا سِوَى اثْنَتَيْنِ، وَعَادُوا بِالْبَقِيَّةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ^(d) وَحَمَلُوا^(e) مِنْهُن شَيْئًا عَنِ الشُّوق فَلَمْ يُحْفَظْ لَهُمْ رَأْسُ مَا لَهَنَ .

قال : وَكَانَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الزُّبَادِي فِي الطِّيَافِير مِنَ الصَّنِيعِي إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ وَأَيَّامِ الْمَأْمُونِ، وَإِنَّمَا اسْتَحْجِدَّتِ الْأَوَانِي الدَّهَبُ فِي أَوَاخِرِ الْأَيَّامِ الْآمِرِيَّةِ . وَالَّذِي يُتَبَيَّنُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ قَوَائِمِيَّةٌ ضَمِنَهَا عِدَّةٌ مِنَ الطِّيَافِيرِ الْمَحْمُولَةِ بِالْمَرَايِعِ الْفِصَّةِ بِرَسْمِ الْأَطْبَاقِ الْخَازَةِ .

وَلَيْسَ فِي الْمَوَاسِمِ مَائِدَةٌ بَغِيرِ سِمَاطٍ لِلْأَمْرَاءِ وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا الْخَلِيفَةُ، غَيْرَ هَذَا الْمَوْسَمِ . وَإِنْ كَانَ يَجْرِي مَجْرَى الْأَعْيَادِ، وَلَهُ الْبُخُورُ مُطْلَقٌ مِثْلَهَا، وَيَنْفَرِدُ بِالْجُلُوسِ مَعَهُ الْجُلَسَاءُ الْمُمَيَّرُونَ وَالْمُسْتَخْدَمُونَ . وَعِنْدَ كَمَالِ تَعَبُّهَا وَبُخُورِهَا جَلَسَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهَا، عَنْ يَمِينِهِ وَزَيْرُهُ، وَعَنْ يَسَارِهِ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الوحوش . (c) بولاق : دون . (d) بولاق : حفظوا .

^١ هذا التاريخ يدل على أن ابن المأمون كتب تاريخه جمادى الأولى سنة ٥٨٨ هـ (المقريزي : السلوك ١: ١١١) . وأضاف إليه حتى آخر أيامه فقد توفي بعد ذلك بعامين في ١٦

أخوه ومن شَرَفَ بِحُضُورِهِ ؛ وفي آخرها فُزِقَ منها ما جَزَتْ به العادةُ على سَبِيلِ البركة^١ .

وقال في سنة ثمان عشرة وخمس مائة : وَوَصَلَتْ الكُشُورَةُ المختصةُ بفتح الخَلِيج ، وهي برسم الخليفةَ تَحْتَانَ ضمنهما بَدَلَتان : إحداهما يَنْدِلُها وتَوْبُها طَمِيمَ برسم المضي ، والأخرى جَمِيعُها خَرِيرِي برسم القود . وكذلك ما يَخْصُ إخوانه وجهاته بَدَلَتان مَذْهَبَتان ، وأربع حُلَلٍ مَذْهَبَةٍ . وبرسم الوزير بَدَلَةٌ مَوْكِبِيَّةٌ مَذْهَبَةٍ . وبرسم جِهَتِهِ حُلَّةٌ مَذْهَبَةٍ في تَحْت . وهؤلاء المُشِيرُونَ لكلِّ منهم تَحْت ، وبقية ما يَخْصُ المُستخدَمِينَ وابن أبي الرِّدَادِ في تَحْتِ ، كلٌّ تَحْتِ فيه عِدَّةٌ بَدَلَات .

وحَصَرَ مُتَوَلَّى الدَّقْتر ، واستأذن على ما يُحْمَلُ برسم الخليفة ، وما يُفَرَّقُ وما يُفْصَلُ برسم الخَلِيج ، وما يُخْرَجُ من حَاصِلِ الخَزَائِنِ غيرِ الوَاصِل ، وهو ما يُفْصَلُ برسم العُلَمان الخاصَّ عن سبع مائة قَباء خمس مائة وشَقَّتَانِ سَقَلاطون داري ، وبرسم رُؤَسَاءِ العُشَارِي من الشَّقِّ الدُّنْياطي والمَناديل الشُّوسِي والقُوطِ الحَرِيرِ الحُفَر^٢ ، وبرسم التَّوَاتِيَةِ التي برسم الخاصَّ من العُشَارِيَّةِ من الشَّقِّ الإِسْكَندَرَانِي والكَلُونَات .

فَوَقَّعَ بِإِنْفَاقٍ جَمِيعَ ذلك وتَفْصِيلَ ما يَجِبُ منه ، ثم اتَّبعَ ذلك بِمُطالَعَةٍ ثانية ، برسم ما هو مُستَمَرُّ العُمُومِ من الهِبَةِ^٣ العَيْنِ والوَرِقِ لِلْمَوْسَمِ المذكور ، وهو من العَيْنِ أربعة آلاف وخمس مائة/ دينار ، ومن الوَرِقِ خمسة عشر ألف درهم . فَوَقَّعَ بِإِطْلَاقِ ذلك . وَذَكَرَ تَفْصِيلَ الكُشُورَاتِ والهِبَاتِ بِأَسْمَاءِ أربابها .

وحَصَرَ مُتَوَلَّى المَائِدَةِ الأَمِيرِيَّةِ بِمُطالَعَةٍ يَسْتَدْعِي ما جَزَتْ به العادةُ في هذا المَوْسَمِ من الحَيَوَانِ والضَّانِّ والبَقَرِ ، وغير ذلك من الأصْنَافِ ، برسم التَّفَرُّقَةِ والأَشْجِطَةِ . وحَصَرَ مُتَوَلَّى دارِ الثَّقِيَّةِ يَسْتَدْعِي ما يَتِمَّاعُ به القَمَرَةُ والزُّهْرَةُ وَهِيَّة^٤ المتعَبِّتِينَ لَتَعْبَةِ الشُّكْرَةِ ، لأَجْلِ مُحَلُولِ الرُّكَّابِ بها ومُتَقَامِهِ فيها ، وتَقِيَّةِ جَمِيعِ مَقاصِيرِها التي برسم الأُسْتَاذِينَ والأَصْحَابِ والحَوَاشِي ، وهو مائة دينار ، فَوَقَّعَ بِإِطْلَاقِها .

وفي العَاشِرِ من الشَّهْرِ المذكور - يعني شَهِرِ رَجَب - وَفَى النَّيْلُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، فَوَجَّهَ المَأْمُونُ إلى صِنَاعَةِ العَصَائِرِ بِمَصْرِ ، وَرُمِيَتِ العُشَارِيَّاتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ مَجْدَدَتِ وَزُيِّنَتِ جَمِيعُها بِالسُّتُورِ

(a) بولاق : الأحمر . (b) بولاق : النقْد . (c) بولاق : هِبَةٍ .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٧١-٧٢ .

الدِّيَقِي المَلُونَةُ وَالكَوَابِج^(a) وَالْأَهْلَةُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَشَمَلُ بِالْإِنْعَامِ^(b) أَرْبَابَ الرُّسُومِ عَلَى عَادَتِهِمْ.

وَعَدِّي فِي إِحْدَى الْعَشَارِيَاتِ إِلَى الْمِقيَاسِ، وَخَلَقُ الْعَمُودِ بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ^(c) مِنَ الطَّيْبِ^(١)، وَفَرَّقَتْ رُسُومُ الْإِطْلَاقِ، وَانْكَفَأَ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ مَا يَخْصُصُ الْمَبِيتَ فِي الْمِقيَاسِ بِجَمِيعِ الشُّهُودِ وَالْمُتَصَدِّرِينَ وَهِيَ الْعَشَرَاتُ: مِنَ الْخُبْرِ عَشْرَةُ فَنَاطِيرَ، وَعَشْرَةُ خِرَافِ شَوِي، وَعَشْرُ جَامَاتِ خَلَوِي، وَعَشْرُ شَمْعَاتِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَخْضُرُ الْمَبِيتَ الشَّرِيفُ الْخَطِيبُ سَيِّدُ الْمُقَرَّبِينَ وَإِمَامُ الْمُتَصَدِّرِينَ، وَلَهُ وَلِلْجَمَاعَةِ مِنَ الدَّرَاهِمِ الَّتِي تُفَرَّقُ أَوْفَى نَصِيبِ.

قَالَ: وَخَرَجَ الْحَلِيفَةُ بَرِيَّ الْخِلَافَةِ وَوَقَارِهَا وَنَامُوسِهَا: بِالْقِيَابِ الطَّمِيمِ الَّتِي تُذِيلُ الْأَبْصَارَ، وَالْمُنْدِيلِ بِالسُّلَّةِ الْغَرِيَّةِ^(d) الَّتِي يَنْفَرِدُ بِلِبَاسِهَا فِي الْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ خَاصَّةً لَا عَلَى الدَّوَامِ - وَكَانَتْ تُسَمَّى عَنْدهُمْ «سُدَّةُ الْوَقَارِ»^٢ - مُرْصُوعَةً بِغَالِي الْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ وَالْجَوْهَرِ؛ وَعِنْدَ لِبَاسِهَا^(e) يَتَحَقَّقُ لَهَا الْإِسْمُ^(٥) وَيُتَجَنَّبُ الْكَلَامُ وَيُهَابُ، وَلَا يَكُونُ سَلَامٌ قَرِيبٌ مِنْهُ وَبِجَلِيلٍ غَيْرِ الْوَزِيرِ إِلَّا تَقْبِيلُ الْأَرْضِ مِنْ بَعِيدٍ مِنْ غَيْرِ دُنُو، ثُمَّ يَبْنِي يَدِيهِ مِنْ مَقْدَمِي خَزَائِنِهِ مِنْ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَرُمَحَهُ الْمُرْصِعِينَ بِأَفْخَرِ مَا يَكُونُ، ثُمَّ الْمَذَابُ الَّتِي كُلُّ مِنْهَا عَمُودُهَا ذَهَبٌ وَيَنْفَرِدُ بِحَمْلِهَا الصُّقَالِيَّةُ.

وَيَمْشِي بَيْنَ الصُّفَّيْنِ الْمُرْتَيْنِ رَاجِلًا عَلَى بُسْطٍ خَرِيرٍ فَرِشَتْ لَهُ، وَكُلُّ مِنَ الصُّفَّيْنِ يَتَنَاهَى فِي مُوَاصَلَةِ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَجْلِسِ خِلَافَتِهِ، وَصَعِدَ عَلَى الْكَرْسِيِّ الْمُغَشَّى بِالذَّبْيَاجِ الْمَنْصُوبِ بِرِسْمِ زُكُوبِهِ. وَقَدْ صَفَّتِ الرُّوَاضُ وَأَزْمَقَتِ الْإِسْطِيلَاتُ خَيْلُ الْمِظَلَّةِ بَعْدَ أَنْ أُرْزِلَتْ الْأَغْشِيَّةُ الْخَرِيرُ وَالشَّقَقُ الدِّيَقِي الْمَذْهَبَةُ عَنِ الشُّرُوجِ، وَبَقِيَتْ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ^٣، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ مَا وَقَعَ اخْتِيَاؤُهُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُجَنَّبَ الْبَقِيَّةُ فِي الْمَوْكِبِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَلَمَّا عَلَا مَا قُدِّمَ إِلَيْهِ اسْتَقْتَفَحَ مُقَرَّبُو الْحَضْرَةِ، وَتَسَلَّمُ جَمِيعُ مَقْدَمِ الرُّكَّابِ رِكَائِهِ وَالرُّوَاضُ الشُّكِيمَةَ، وَزَالَ حُكْمُ الْأُسْتَاذِينَ الْمُسْتَخْدَمِينَ فِي الرُّكَّابِ وَعَادَتْ الْمَوَالِي وَالْأَقَارِبُ إِلَى مَحَالَّتِهِمْ،

(a) بولاق: الكوابيخ. (b) بولاق: الإنعام. (c) بولاق: عادتهم. (d) بولاق: العربية. (e) بولاق: تخفف لها الأعلام.

^١ انظر الاحتفال بتخليق المقياس فيما يلي ٤٧٦:١-٤٧٧.

^٢ عن سُدَّةِ الْوَقَارِ، انظر فيما تقدم ٤٣٣، ٤٦٨.

^٣ يقصد الآية الكريمة ﴿إِذَا غَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصُّفُوفُ﴾ [الأنبياء ٣١ سورة ص].

واستدعي بالوزير بجميع نعوته، فواصل تقبيل الأرض إلى أن قَبِلَ رِكابه، وسَمَّهَ بِتَقْبِيلِ يده بِحُكْمِ خُلُوقِها من قَضِيبِ الحُلُك في هذا التَّوْصِيفِ^(٨).

ولمَّا أَدَّى ما يجب من فَرَضِ السَّلام، أَخَذَ السَّيْفَ من الأميرِ أَفِيخارِ الدَّوْلَةِ - أَحَدِ الأَمْرَاءِ الأَسْتَادِينَ الْمُتَّيِّبِينَ الْمُحْكَمِينَ - مُتَوَلِّيًا خِزَانَةَ الكَشُوفَةِ الخاصَّةِ، وَسَلَّمَهُ بعد أن قَبَّلَهُ لأَخِيهِ الَّذِي يَتَوَلَّى حَمْلَهُ فِي المَوْكِبِ بعد أن أُرْخِجَتْ عَذْبَتُهُ تَشْرِيفًا لَهُ مُدَّةَ حَمْلِهِ خاصَّةً وَتُرَوَّعَ بعد ذلك، وَشَدَّ وَسَطَهُ بِالْمِنْطَقَةِ الذَّهَبِ تَأْذُبًا وَتَعْظِيمًا لِمَا مَعَهُ، وَسَلَّمِ الرُّمَحَ وَالدَّرَقَةَ لِمَنْ يَتَوَلَّى حَمْلَهُمَا بلِوَاءِ المَوْكِبِ - وَلَمْ يَكُنْ لِلْخِدْمَةِ المذكورةِ عَذْبَةٌ مُرَوَّحَةٌ وَلَا مِنْطَقَةٌ. واستدعى رُكُوبَ الوَازِيرِ وأولاده من عند باب قَاعَةِ الذَّهَبِ.

وخرَجَ الخَلِيفَةُ من القَاعَةِ المذكورةِ إلى أَوَّلِ دِهْلِيزٍ، فتلَقَّته جَمَاعَةُ صِبيانِ رِكابهِ العشرةِ المُقَدَّمِينَ أَرْبابَ المِئْمَةِ والمِيسَرَةِ، وَصِبيانَ وراءِ صِبيانِ الرُّسائِلِ، وَصِبيانَ السَّلامِ، كُلٌّ مِنْهُمْ فِي الخِدْمَةِ المَعِينَةُ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا لِسِوَاهَا، وَجَمِيعُهُمْ بِالمَنَادِيلِ الشُّرُوبِ المُعَلَّمَةِ، وَبِأَوْسَاطِهِمُ القَرَّاضِي الدُّيُوعِي المَقْصُورَةُ، وَلَيْسَ الجَمِيعُ عَبِيدًا بِشِرَاءٍ وَلَا سُودَانِ، بَلْ مُؤَلَّدَةٌ وَأَوْلَادُ أَغْيَانٍ وَأَهْلُ فَهْمٍ وَلِسَانٍ. ثُمَّ اخْتِطَّ بِرِكابهِ بِقَدَمِهِمْ مَنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ رِجْلِهِمْ، بَلْ بِالقَنَادِيرِ^(٩) المُفَرَّجَةِ وَالمَنَادِيلِ الشُّوسِي، وَهُمْ المُتَوَلُّونَ لِحَمْلِ السَّلاحِ الخاصِّ - الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَوْكِبِهِ خاصَّةً عَلَى الاسْتِمْرَارِ - مِنْ الصُّوَارِي وَالفَرَنْجِيَّاتِ وَالدَّبَائِيسِ وَالثَّلُوتِ وَالصُّمَاصِمِ بِالدَّرَقِ الصُّبْنِيِّ وَاليَخْنِيِّ بِالكِوَابِجِ^(١٠) الْفِصَّةِ وَالدَّهَبِ.

وَيَحْصُلُ الاسْتِدْعَاءُ مِنْ صِبيانِ السَّلامِ فِي مَسَافَةِ الدَّهَالِيزِ، لِكُلِّ مَنْ هُوَ مُسْتَعْتَدٌ فِي المَوْكِبِ رُكُوبَهُ مِنْ مَحَلِّ حُجْبَتِهِ إِلَى أَنْ خَرَجَ الخَلِيفَةُ مِنْ بَابِ الذَّهَبِ، وَقَدْ صُيِّرَتِ الغَرِيَّةُ^(١) وَأَبْوَاقُ السَّلامِ، وَاجْتَمَعَ الرُّهَيجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَنُشِرَتِ المِظَلَّةُ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهَا الرُّوَيْلِيَّةُ بِالعُدَدِ الغَرِيَّةِ، وَظَلَّلَ بِهَا عَلَيْهِ^(٢) وَسَارَتْ بِسِرِّهِ، وَالْقُرَّانُ الْكَرِيمُ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ، وَالحُجْرِيَّةُ الصُّبْيَانُ الْمُتَشَدِّدُونَ. وَاجْتَمَعَ المَوْكِبُ بِجَمَلَتِهِ عَلَى مَا ذُكِرَ أَوَّلًا، وَالتَّرْتِيبُ أَمَامَهُ لِمَتَوَلَّى البَابَ وَحُجَّابِهِ وَتَلُوهُ لِمَتَوَلَّى السَّيْرَ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى حُكْمِ المَدَارِجِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهِ، لَا سَبِيلَ إِلَى الخُرُوجِ عَمَّا رُيِّمَ فِيهَا.

(٨) بولاق: هذه المواسم. (b) بولاق: القنايز. (c) بولاق: بالكوايح.

^(١) الغرية. بوق لطيف من ذهب معوج الرأس مثخن من الذهب صوته مخالف لصوت الأبواق. (فيما تقدم ٣٠٤).

٤٧ وَسَارَ بِجَمْلَةٍ مُؤَكِّبَةٍ عَلَى تَرْتِيبِ أَوْضَاعِهِ بَيْنَ حِصْنَيْنِ مَانِعِينَ مِنْ طَوَارِقِ عَسَاكِرِهِ فَارِسِيهَا وَرَاجِلُهَا/ كُلُّ طَائِفَةٍ يَتَقَدَّمُهَا زِمَامُهَا، وَقَدْ أُرْزَحِمُوا فِي الْمَصَفَّاتِ بِالْعُدَدِ الْمَذْهَبَةِ الْحَرِيَّةِ وَالْآلَاتِ الْمَائِنَةِ الْمُضِيغَةِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ طَرِيقٌ لِسَالِكٍ؛ وَقَدْ زُيِّنَ لَهُمْ جَمِيعُ مَا يَكُونُ تَلَوَّهُمْ^(a) مِنَ الطُّرُقِ جَمِيعُهَا، حَوَانِيتُهَا وَأَدْرَازُهَا وَجَمِيعُ مَسَاكِنِهَا وَأَبْوَابِ حَارَاتِهَا، بِأَنْوَاعٍ مِنَ الشُّتُورِ وَالذَّبَابِ وَالذَّبِيقِي عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا، ثُمَّ بِأَصْنَافِ السِّلَاحِ.

وَمَلَأَتْ النُّظَارَةُ الْفِجَاجَ وَالْبَطَاحَ وَالْوَهَادَ وَالزُّهَى، وَالصُّدَقَاتُ وَالرُّسُومُ تَعْمُ أَهْلَ الْجَانِبِينَ مِنْ أَرْبَابِ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ، وَتَوَاطِي الْأَبْوَابِ وَالشَّقَائِينَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ فِي طُولِ الطَّرِيقِ، إِلَى أَنْ أُطْلُ عَلَى الْخِيَامِ الْمَنْصُورَةِ^(b) فَوَقَّفَ بِمُؤَكِّبِهِ، وَاسْتَدْعَى الْوَزِيرَ بَعْدَهُ^(c) مِنْ مُقَدِّمِي رِكَابِهِ، فَاجْتَازَ رَاكِبًا بِمُفْرَدِهِ، وَجَمِيعُ^(d) حَاشِيَتِهِ بِسِلَاحِهِمْ رِجَالًا فِي رِكَابِهِ، بَعْدَ أَنْ بَالِغٌ فِي الْإِيمَاءِ بِتَقْيِيلِ الْأَرْضِ أَمَامَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بِكُفِّهِ^(e) السَّلَامَ.

وَعَادَ الْخَلِيفَةُ فِي سَيْرِهِ بِالْمُؤَكِّبِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْوَزِيرُ أَمَامَهُ، وَتَرَجَّلَ جَمِيعٌ مِنْ شَرَفَ بِحُجَّتِهِ فِي رِكَابِهِ وَآخَرَهُمْ مُتَوَلَّى خَلْفَ سَيْفِهِ وَرُؤُوسِهِ، وَصَبَّيَا السَّلَامَ يَسْتَدْعُونَ كَلًّا^(f) مِنْهُمْ إِلَى تَقْيِيلِ الْأَرْضِ بِجَمِيعِ نُعُوتِهِ؛ لِكِبَارِأَ لَهُ وَتَمَيِّزًا وَاحْتَاطُوا بِرِكَابِهِ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَضَارِبِ فِي الْحَرَسِ الشَّدِيدِ عَلَى أَبْوَابِهَا وَسُرَادِقَاتِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَقَدْ تَبَيَّنَ وَجَاهَةٌ مِنْ حَصَلَ بِهَا وَمُكِّنَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا.

وَتَرَجَّلَ الْوَزِيرُ فِي الدَّلْهِيزِ الثَّلَاثِ مِنْ ذَهَالِيزِهَا، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخَذَ شِكِيمَةَ الْفَرَسِ مِنْ يَدِ الرُّوَّاضِ، وَشَقَّ بِهِ الْخِيَامَ الَّتِي جَمَعَتْ جَمِيعَ الصُّورِ الْأَدْمِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ، وَقَدْ قُرِشَتْ جَمِيعُهَا بِالْبَيْسُطِ الْجَهْرَمِيِّ وَالْأَنْدَلُسِيِّ^(g)، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْقَاعَةِ الْكَبْرَى فِيهَا. وَتَرَجَّلَ عَلَى مَرِيرِ خِلَافَتِهِ، وَجَلَسَ فِي مَحَلٍّ عَظَمَتِهِ، وَأَجْلَسَ وَزِيرَهُ عَلَى الْكُرْسِيِّ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ، وَاحْتَاطَ الْمُسْتَعْمِدُونَ حِمْلَةَ السِّلَاحِ الْمُنْتَصِبِ جَمِيعُهُ، وَحَجَبُوا الْغِيُونَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَصَفَّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمْرَاءَ وَالصُّيُوفَ وَالْمُشْرِفُونَ بِحُجَّتِهِ، وَخَتَمَ الْمُقَرَّرُونَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَقَدَّمَ عِيْدِي الْمَلِكِ الثَّائِبِ سُقْرَاءَ الْمَجْلَسِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ.

وَعِنْدَ انْقِصَاءِ خِدْمَةِ آخَرِهِمْ، عَادَتِ الْمُسْتَعْمِدُونَ وَالرُّوَّاضُ مُقَدِّمَةً مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الدُّوَابِ، فَعَلَاهُ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ يُنْسِكُ الشُّكِيمَةَ بِيَدِهِ، وَانْتَظَمَ مُؤَكِّبَاتُ عَظِيمًا، وَالْقُرَاءُ عِيَّوُضَ الرُّهْجِيَّةِ،

(a) بولاق : أماسهم . (b) بولاق : المنصوبة . (c) بولاق : بعده . (d) بولاق : وجمع . (e) بولاق :

بكلمة . (f) بولاق : كل . (g) بولاق : الجهرمية والأندلسية .

والجماعة في ركابه رجالة على محكم ما كانوا عليه أولاً ، وصعد من القاعة التي^٥ دهايز الباب القبلي فيها^٦، فخرج منه ، وانفصلت خدمته جميع الأمراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الأرض .

وصعد الخليفة وزيره وأولاده وإخوته والأصحاب والحواشي إلى الشكوة - وهي من بجات الدنيا المرخرة - وتلقاه أخوه بعظمة سلايه وتقبيل الأرض بين يديه ، وجلس لوقته ، وتفتحت الطاقات التي في المنطرة ، وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان ، واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الأرض له وإدانة النظر نحوه . والمستخدمون جميعهم على الشد مشدودو الأوساط واقفون عليه ، فلما أمرهم الوزير أن يكسروه ، قبلوا الأرض جميعاً وانصرفوا عنه ، وتولته الفعلة في البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين ، والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة ، والرهج واللعب من الجانب الشرقي^١ .

ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات منه عن آخرهم^٢، اللطيف منها يقدم الكبير ، والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ، ورؤساؤهم وخدائهم بالكسوت الجميلة .

وبعد ذلك غلقت الطاقات ، وحل الخليفة بالمقصورة التي لراحته ، وكذلك الوزير وأولاده وإخوته ، وجميع الأمراء الأشراف والأصحاب والحواشي . واستدعي للوقت والي مصر من البر الشرقي ، وخلع عليه بذلة يثديها وثوبها مذهبان ، وثوبان عتاي وسقلاطون ، وقبيل الأرض من تحت المنطرة ، وعُد في البحر إلى حفظ مكانه . ثم استدعي بعده حامي البساتين ومشارفها ، فخلع عليهما بذلتين حريري وثوبين سقلاطون وعتاي . ثم متولّى ديوان القياث كذلك^٣ ، ثم مقّمي الرؤساء كذلك .

واعتمد كل من سلم إليه الإنباتات المشتملة على أصناف الإناعام من العنق والورق وصواني الفطر^٤، والموائد التي يهتم بها جميع الجهات ، والخراف الشواء^٥، والحامات الحلوى ، تفرقة ذلك على ما رُسم ، وهو شاميل غير مخصص : من أخى الخليفة والوزير ، إلى الأصحاب

(a) بولاق : التي في . (b) بولاق : منها . (c) بولاق : المشاريات على آخرها . (d) بولاق : البطرة . (e) بولاق : المشوية .

^١ هو الاحتفال بركوب كثر (فتح) الخليج (فيما يلي أي : متولي ديوان الجهاد المشرف على الأسطول (فيما

يلي ٥٧١ ، ٢ : ١٩٣) .

٥٥٥ ، ٢ : ١٤٣) .

والخوآشي من أزياب الشيوخ والأقلام ، ثم الأمراء الغير مستخدمين^(a) والصيوف المميزين من الأجناد ، وغيرهم من الأدوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالمؤيم من البحارة ، وأزياب اللعب وغيرهم .

وعُيِّنَت الأسيطة في المستطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربي من الخيام ، وأمر الوزير أخاه بالمضي إليها والجلوس عليها ، فتوجه وبين يديه متوَلَّى حُجْبَةِ الباب وتوآبه والمعروفة والحُجَاب ، واشتدعت الأمراء والصيوف بالسفاة^(b) من خيامهم ، وأجلس كل منهم على السباط في موضعه على عادتهم ، وتلاههم العساكر على طبقتاتهم ، ولم يمتنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم مَيزَتِه .

- ولما انقضى محكم الأسيطة المختصة بالأمراء الكبار ، عاد أخو الوزير إلى حيث مقر الخلافة ، وبقي متوَلَّى الباب/ جالسا لأسيطة القيد وجميع المستخدمين من الراجل والشودان ، وعُيِّنَت المائدة الخاص بالشركة التي ما يحضرها إلا القوالي الخاص المستخدمين في الخدم الكبار ، ويُجَمَع له حالتان : حضوره في أشرف مقام ، وجلوسه في محل تحضل له به حوزة وذمام .
- وجلس الخليفة عليها ، وأخوه على شماله ووزيره على يمينه ، بعد أن أدى كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه ، وحضر أولاد الوزير وإخوته ، والشيوخ أبو الحسن كاتيب الدست وابنه سالم ، ومن الأستاذين المحكين أزياب الخدم . وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مألوف ، وُفِرَّقَ ١٥ من جملتها لكل من أزياب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف . وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضي وشهوده والداعي ورجاله^(c) ، الذين يُخصَّصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيصة الكبرى أمام سرير الخلافة المنسوب مدة النهار ، مع ما يُحتمل إليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الإتياتات المذكور . ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الأرض ، وانصرف بعد أن استصحب منها ما ٢٠ تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة . ويقضي بعد ذلك الفرائض الواجبة في وقتها ، ولا بد من راحة بعدها .

وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتيب الدفتر على ما معها برشم تفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق ، فكمثل لهما على ما بقي معهما مثل ما كان أولا . ولما استحق القود ، عاد كل من

المُسْتَعْدَمِينَ إِلَى شُغْلِهِ مِنْ تَرْتِيبِ الْمُؤَكِّبِ وَمَصَفَّاتِ الْعَسَاكِرِ ، وَتَرْتِيبِ مَنْ يُشْرَفُ بِالْحُجَّةِ^(a) مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْعُصُوفِ .

وَفُرِّقَتِ الصُّوَانِي الْخَاصَّةُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ مَدَّةَ النَّهَارِ ، الْجَامِعَةُ لِلثَّرْوَةِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَالزَّيْنَةُ مِنْ كُلِّ مَعْنَى ، وَالغَزَبَةُ مِنْ كُلِّ صُنْعَةٍ^(b) ؛ وَقَدْ جُمِعَتْ مَلَأْدُ جَمِيعِ الْحَوَاسِّ ، وَالْعُدَّةُ مِنْهَا بِسِيرَةٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَتَقْصِيرٍ مِنْ هِمِّ الْجِهَاتِ الَّتِي تَتَنَوَّعُ فِيهَا بِالْعَرَائِبِ ، بَلْ لِلتَّعَبِ الشَّدِيدِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ لَضَيْقِ الزَّمَانِ ، لِأَنَّ كَلَامًا مِنْهَا لَا مَتَدَوِّحَةً أَنْ يَكُونَ فِيهَا زَهْرَةٌ وَتَمَرَةٌ ، وَطُولُ الْمُكْثِ كَذَلِكَ يُثْلِفُ مَا فِيهَا . وَإِذَا شَبِلَتْ - مَعَ قِلَّتِهَا - مِنْ لَهْ الْوَجَاهَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ أَخِي الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُ صَنِيعَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَأَخَذَ كُلُّ مَنْ الْحَاشِيَةِ أَهْبَةَ تَجَمُّلِهِ لِمَوْضِعِ مِيزَتِهِ ، وَغَيَّرَ الْخَلِيفَةُ ثِيَابَهُ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْمَوْكِبُ وَهُوَ بَذْلَةُ خَرِيرِي بِشَدَّةِ الْوَقَارِ وَعِلْمِ الْجَوْهَرِ .

وَسُيِّرَ إِلَى الْوَزِيرِ ، صُحْبَتُهُ مَقْدَمُ خِزَانَةِ الْكُشُوفَةِ الْخَاصَّةِ عَلَى يَدِ الْمُسْتَعْدَمِينَ عِنْدَهُ مِنَ الْأُسْتَاذِينَ ، مِنْ مَجْمَلَةِ بَذَلَاتِ الْجُمُعِ الَّتِي يَتَوَجَّهُ فِيهِمْ إِلَى رَبِّهِ^(c) وَيَوْمَ يَمُوتُ^(d) يَسْعَى إِلَيْهِ ، بِذَلَّةٍ مَكْمَلَةٍ خَرِيرِي وَمُنْدِيلِهَا يَبَاضُ بِالشَّدَّةِ الدَّائِمَةِ غَيْرِ الْغَرِيَةِ^(e) . وَلَمَّا لَبَسَ مَا سُيِّرَ إِلَيْهِ ، وَخَصَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَشُكْرِ نِعْمَتِهِ ، أَمَرَهُ بِرُكُوبِ أَخِيهِ فِي إِحْدَى الْعُشَارِيَّاتِ ، فَانْتَقَلَ أَمْرَهُ ، وَتَوَجَّهَ صُحْبَتُهُ مِنَ الشُّكْرَةِ بِجَمِيعِ خَوَاصِّهِ وَخَوَاشِيهِ ، وَفُتِّحَ لَهُمُ الْبَابُ الَّذِي هُوَ مِنْهَا بِشَاطِئِ الْخَلِيجِ ، وَقُدِّمَ لَهُ إِحْدَى الْعُشَارِيَّاتِ الْمَوْكِبِيَّةِ ، وَفِيهَا مَقْدَمُ رِئَاسَةِ الْبَحْرِيَّةِ فَرَكِبَ فِيهَا بِجَنَفِهِ ، وَالْوَزِيرُ وَاقِفٌ رَاجِلٌ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ يَخْدُمُهُ لَهُ ، إِلَى أَنْ انْتَحَدَرَتِ الْعُشَارِيَّاتُ جَمِيعُهَا قُدَّامَهُ ، وَمَرَاكِبُ اللَّعِيبِ بِغَيْرِ أَحَدٍ مِنْ أَرْبَابِ الرَّهَجِ ، وَالْمُسْتَعْدَمُونَ فِي الْبَرِّ يَمْنَعُونَ مِنْ يُقَارِبِهِ ، وَالْمَتَفَرِّجُونَ لَا يَصُدُّهُمْ وَيُرَدُّهُمْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ ، بَلْ يَزُمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَلَى الدُّوَابِ ، وَيَسِيرُونَ بِسِيرِهِ .

وَعَادَ الْوَزِيرُ إِلَى الشُّكْرَةِ ، فَلَمَّا شَاهَدَ الْخَلِيفَةُ الدُّوَابَّ الْخَاصَّةَ الَّتِي يَرْسُمُ رُكُوبَهُ ، أَمَرَهُ بِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُهُ مِنْهَا وَعِلَالَهُ ، فَاخْتَارَ بِرُكَايَةِ مَقْدَمِ الرُّكَايَةِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْقَوَائِمَ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الشُّكْرَةِ ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْخَفِيفَةِ^(f) الْقِبْلِيَّ وَشَقَّ قَاعَتَهَا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ ، وَخَصَرَ بِالسَّلَامِ فِيهَا شُبُوحَ الْكُتَّابِ الْعَوَالِي وَالْقَاضِي وَالِدَّاعِي وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَلَهُمْ بِذَلِكَ مِيزَةٌ عَظِيمَةٌ يَخْتَصُّونَ بِهَا دُونَ

(a) بولاق : بالحضرة . (b) بولاق : والغرابة من كل صنف . (c) بولاق : منها إلى زيه . (d) بولاق : ما يؤمر به من . (e) بولاق : الدانيه غير العربية . (f) بولاق : الخليفة .

غيرهم . وخرَجَ منها إلى البُشتان المعروف بِنِزار ، وسارَ في مَيدانه وجميعه من الجانبين سُورَ معقودَ من شَجَرٍ نارِجٍ أصولُها مُفَرَّقة^(a) وفروعُها مُجْتَمِعة قد^(b) ظَلَلَت الطَّرِيقَ ، وعليها من الشَّجرة التي آخِرَ جميعها في وَقتِه^(c) إلى هذا اليوم ، وقد خَرَجْتَ بِهَاجَتِها عن المعتاد ، وَحَصَلَ عليها ثَمَرَةٌ سَتِين : إحداهما انتهت ، والأخرى في الابتداء . وهو بهيئته وزِيَّه وتَرتيب غسَاكِره وأُحْرَائِه ، وخرَجَ من الباب بعد أن عَمَّ مَنْ لَهُ رَسم يأنعاه ، وعاد الوَهَجُ والمَوْكِبُ على ما كان عليه ، فَلَمَّا وَصَلَ إلى السَّدِّ الذي على يَزَكَةِ المَقْسي^(d) كَسِرَ بين يديه^(e) .

وقال في كتاب «الدُّخَائِرِ» : إنَّ مِمَّا أُخْرِجَ من القصر في سنة إحدى وستين وأربع مائة في خِلَافَةِ المُسْتَنصِرِ ، قُبَّةُ العُشَارِي وفازَتُه^(f) وكُشُوَّةُ رَحْلِه . وهو مِمَّا استعمله الوَزيزُ أحمد بن علي الحُجُوجَرائِي في سنة سِتٍّ وثلاثين وأربع مائة ، وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفًا وسبع مائة دِرْهَمَ فِضَّةٍ ثَمَرَةٌ . وأنَّ المُطَلَّقَ للصَّنَاعِ الصَّاعَةَ من أَجْرَةِ ذلك وفي ثَمَنٍ دَهَبٍ لِطِلَالِهِ خَاصَّةً ، ألفان وسبع مائة دينار . وعَمِلَ (أبو سَعْدٍ إبراهيم بن^(g) سَهْلُ التُّشْتَرِي لوالِدَةِ المُسْتَنصِرِ عُشَارِيًّا يُعْرِفُ بِالْفِضِّي ، وَحُلِّي رِوَاقَه بِفِضَّةٍ تَقْدِيرُهَا مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، وَلَزِمَ ذلك أَجْرَةُ للصَّنَاعَةِ^(h) ولِطِلَاءٍ بَعْضُهُ أَلْفَانِ وأربع مائة دينار ، واستعمل كُشُوَّةَ بِرَسمه/ بِمَالٍ جَلِيل .

وَأَتَّفَقَ على العُشَارِيَّاتِ التي بِرَسم الثَّرَه البَحْرِيَّة - التي عِدَّتُهَا سِتَّةٌ وثلاثون عُشَارِيًّا بِالتَّقْدِيرِ ، بِجَمِيعِ آلَاتِهَا وكُسَامِهَا وحُلَاهَا من مَنَاطِقٍ ورءوس مَنُجَوِّقَاتٍ وَأَهْلَةٍ وَصُفُفِيَّاتٍ وَغَيْرِ ذلك - أَرْبَع مائة أَلْفٍ دينار⁽ⁱ⁾ .

وقال ابنُ الطُّوَيْزِ : إِذَا أَدْنَى اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى بِزِيَادَةِ النِّيلِ المَبَارَكِ ، طَالَعَ ابنُ أَبِي الرُّؤَادِ بِمَا اسْتَقَرَّ عليه أَذْرَعُ القَاعِ في اليومِ الخَامِيسِ والعَشْرِينَ من بَيُوتَةٍ ، وَأَرْوَحَهُ بِمَا يُوَافِقُهُ من أَيَّامِ الشَّهْرِ^(j) العَرَبِيِّ . فَعَلِمَ ذلك من مُطَالَعَتِهِ ، وَأُخْرِجَتْ إلى دِيوانِ المَكَاتِبَاتِ ، فَتَزَلَّتْ في المَسِيرِ المُرْتَبِّ بِأَصْلِ القَاعِ ، والزِيَادَةُ بعد ذلك كُلُّ يَوْمٍ مُؤَرَّخًا بِيَوْمِهِ^(k) من الشَّهْرِ العَرَبِيِّ ، وما وَافَقَهُ من أَيَّامِ الشَّهْرِ القِبْطِيِّ ، لَا

(a) بولاق : مفترقة . (b) بولاق : و . (c) بولاق : أخرجهما من . (d) بولاق : الحبش . (e) بولاق : قاربه . (f-g) ساقطة من بولاق . (g) بولاق : الصناعة . (h) بولاق : الشهور . (i) بولاق : في كل يوم تؤرخ بيومه .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٧٤ - ٨٠ . «الدخائر والتحف» ، وأعاد المقرئ استخدام نفس النص

^٢ هذا النص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب فيما يلي ٥٦٠ .

يزال كذلك وهو مُحَافِظٌ على كَيْثَمَانِ ذلك لا يَعْلَمُ به أَحَدٌ قبل الخَلِيفَةِ وبعده الوَزِيرُ . فإذا انتهى في ذِرَاعِ الوَفَاءِ ، وهو السَّادِسُ عشر ، إلى أن يَبْقَى مِنْهُ إَصْبُعٌ أَوْ إَصْبَعَانِ ، وَعِلِمٌ ذَلِكَ مِنْ مُطَالَعَتِهِ ، أَمَرَ أَنْ يُحْتَمَلَ إِلَى المِيقَاسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ المَطَايِخِ عَشْرَةُ قَنَاطِيرٍ مِنَ الخُبْزِ السَّمِيدِ ، وَعَشْرَةُ مِنَ الخِرَافِ المَشْوِيَةِ ، وَعَشْرَةُ مِنَ الجَمَامَاتِ الحَلْوَى ، وَعَشْرُ شَمْعَاتٍ .

وَيُؤَمَّرُ بِالمَبِيتِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِالمِيقَاسِ ، فيحضر إليه قُرَاءُ الحَضْرَةِ والمتصدِّرونَ بِالجَوَامِعِ بِالقَاهِرَةِ ومِصْرَ ، وَمَنْ يَجْرِي مَتَجَرَاهُمْ . فيستعملون ذلك ، وَيَقْدُونَ الشَّمْعَ عَلَيْهِمْ مِنَ العِشَاءِ الآخِرَةِ ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْقُرْآنَ بِرِفْقٍ وَيُطَرِّبُونَ مَكَانَ التَّطَرُّبِ ، فيُخْتَمُونَ الخَتْمَةَ الشَّرِيفَةَ . ويكون هذا الاجتماعُ فِي جَامِعِ المِيقَاسِ ^١ ، فيوفِّي المَاءُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

وَلَوْفَاءُ الثَّيْلِ عِنْدَهُمْ قَدْرٌ عَظِيمٌ ، وَيَتَهَجُونَ بِهِ ابْتِهَاجًا زَائِدًا . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عِمَارَةُ الدِّيارِ ، وَبِهِ التَّامُّ الخَلْقُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ ، فيخْشَنُ عِنْدَ الخَلِيفَةِ مَوْقِعُهُ ، وَيَهْتَمُّ بِأَمْرِهِ ^٢ اِهْتِمَامًا عَظِيمًا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ المَوَاسِمِ . فإذا أَصْبَحَ الصُّبْحُ مِنْ هَذَا اليَوْمِ ، وَخَضَرَتْ مُطَالَعَةُ ابْنِ أَبِي الرَّدَادِ إِلَيْهِ بِالْوَفَاءِ ، رَكِبَ إِلَى المِيقَاسِ لِتَحْلِيلِهِ ، فيَسْتَدْعِي الوَزِيرَ عَلَى الْعَادَةِ فيُخَضِّرُ إِلَى القَصْرِ ، فيركب الخَلِيفَةُ بِرِيَّ أَيَّامِ الرُّكُوبِ ، مِنْ غَيْرِ مِظْلَةٍ وَلَا مَا يَجْرِي مَتَجَرَاهَا بَلْ فِي هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الثِّيَابِ ، وَالْوَزِيرُ تَابِعُهُ فِي الجَمْعِ الهَائِلِ عَلَى تَرْتِيبِ المَوْكِبِ . ويخرج شاقًّا القَاهِرَةَ ^٣ مِنْ بَابِ زَوِيلَةٍ ، وَسَالِكًا الشَّارِعَ إِلَى آخِرِ الرُّحْنِ مِنْ بُسْتَانِ عَبَّاسٍ المَعْرُوفِ اليَوْمَ بِسَيِّفِ الْإِسْلَامِ ^٤ ، فيُعْطِفُ سَالِكًا عَلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ - وَالْجِشْرِ الْأَعْظَمِ بَيْنَ الْبُزْكَتَيْنِ ^٥ - إِلَى السَّاحِلِ بِمِصْرَ ، إِلَى الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ عَلَى طَرَفِ الْحَشَايِنِ الشَّرْقِيِّ عَلَى دَارِ الْفَاضِلِ إِلَى بَابِ الصَّنَاعَةِ ^٦ بِجَوَارِهَا - وَلَهُ دِهْلِيزٌ مَادَّةً بِمَسَاطِبِ مَفْرُوشَةٍ بِالْحَضَرِ الْعَبْدَانِيِّ بُسْطًا وَتَأْزِيرًا - فيشَقُّهَا وَالْوَزِيرُ تَابِعُهُ ، وَيُخْرِجُ مِنْهَا مُتَعَطِّفًا عَلَى الصَّنَاعَةِ ^٧ الْآخَرَى - وَكَانَتْ يَرْسُمُ الْمَكْسَ - إِلَى الشَّيُوفِيِّينَ ، ثُمَّ عَلَى مَنَازِلِ الْجَزِّ الَّتِي هِيَ اليَوْمَ مَدْرَسَةٌ ^٨ ،

(a) بولاق : بأمره . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الركنين . (d) بولاق : الصاغة .

^١ عن جامع المقياس انظر فيما يلي ٢ : ٢٩٠ . الآن .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «بستان عباس هذا موضعه اليوم يعرف بدير ابن البها تجاه المدرسة البندقدارية وجوار خُطَامِ الغارقاني قرب الصليبة» . وفي صبح الأعشى ٣ : ٥١٣ بعد ذلك : «عند رأس الصليبة بالقرب من الخانقاه الشيعونية

^٣ حاشية بخط المؤلف : «منظرة الصناعة موضعها الآن بستان يعرف ببستان الطواشي على يسرة السالك من المراغة إلى مصر» .

^٤ انظر فيما يلي ٥٧٦ ، ٢ : ٣٦٤ .

ثم إلى دار الملك^١، فيدخل من الباب المقابل لسلوكه، فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا إلى المكان المعد له. ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري الخاص^٢. وهو بيت مئتين من عاج وأنتوس، عرض كل جزء ثلاثة أذرع، وطوله قامة رجل تام، فيجتمع بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتا دؤره أربعة وعشرون ذراعا، وعليه قبة من خشب مُحَكَّم الصنّاعة، وهو وقبّه ملبّس صفائح الفضة المذهبة^٣ فيتسلّمه رئيس العشاريات الخاص، ويُرْكَبه على العشاري المختص بالخليفة، ويجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب الخليفة فيه على الباب الذي يخرج منه للركوب إلى المقياس.

فإذا استقر الخليفة بالمظنرة بدار الملك التي يخرج من بابها إلى العشاري وأسند إليه، استدعى الوزير من مكانه، فيخضّر إليه ويخرج بين يديه إلى أن يركب في العشاري، فيدخل البيت المذهب وخذه، ومعه من الأستاذين المحكّكين من يأمره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطّلع في العشاري خواص الخليفة خاصّة، ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصّه؛ وليس في العشاري من هو جالس سوى الخليفة باطلا والوزير ظاهرا في رواق من باب البيت الذهبي^٤ بقرانيس من الجانبين قائمة منخروطة من أخفّ الخشب، وهي مدهونة مذهبة، وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها.

فإذا اجتمع في العشاري من جرت عادته بالاجتماع، اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالي على الدرج التي يعلوها الثيل^٥، فيدخل الوزير ومعه الأستاذون بين يدي الخليفة إلى الفسقية، فيصلي هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده. فإذا قرع من صلاته، أُحضرت الآلة التي فيها الزعفران والميثك، فيديقها في إناء بيده بألة معه^٦، ثم يتناولها صاحب بيت المال، فيناولها لابن أبي الرّداد، فيلقى نفسه في الفسقية وعليه غلّالته وِعِمَامَتُهُ، والقُمُودُ قَرِيبٌ مِنْ دَرَجِ الفسقية، فيتعلّق فيه برجليه ويده اليسرى، ويحلّقه بيده اليمنى، وقراء الحاضرة من الجانب الآخر يقرأون القرآن نوبة بنوبة؛ ثم يخرج على قوره راكبا في العشاري المذكور، وهو بالخيار: إمّا أن

(a) بولاق: بصفائح الفضة والذهب. (b) بولاق: الذي هو. (c) ميونخ: والذي يعلوها الماء فيه. (d) بولاق وآياصوفيا: فيديها يده بألة والمثبت من نسخة ميونخ. (e) بولاق وآياصوفيا: ويتناولها والتصويب من ميونخ.

^١ حاشية بخط المؤلف: ١ دار الملك بجوار المدرسة ٥٧٣-٥٧٦.

المعزبة ... جدار يجلس إليه تجار الخناء... وانظر فيما يلي ^٢ انظر عن العشاريات فيما يلي ٥٥٩.

يعود إلى دار الملك ويركب منها عائداً إلى القاهرة، أو ينحدر في العشاري إلى المسق فتنبه المراكب^(٨) إلى القاهرة، ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرورة^١ مشحونة بالعالم فرحاً/ بوفاء النيل وبنظر الخليفة. فإذا استقر بالقصر اهتتم بركوب فتح الخليج، وفيه هيئة عظيمة ظاهرة للاحتياج بذلك.

ثم يصير ابن أبي الرزاد باكر ثاني ذلك اليوم، إلى القصر بالإيوان الكبير الذي فيه^(٩) الشباك إلى باب الملك بجواره، فيجد خلعة معبأة هناك، يؤمر بلبسها، ويخرج من باب العيد شاقاً بها يتن القصرين من أوله قصداً لإشاعة ذلك - فإن ذلك من علامة وفاء النيل، ولأهل البلاد إلى ذلك تطلع - وتكون خلعة مذهبة.

وإذا كان من العدول المحنكين، فيشرف في الخلعة بالطيلسان المقور، ويثدب له من الثغيرات^٢ ولن يريده خمس تغييرات مركبات بالخلي، ويحمل أمانته على أربع بغال مع أربعة من مستخدمي بيت المال أربعة أكياس في كل كيس خمس مائة درهم ظاهرة في أكفهم، وتحجبه^(١٠) أقاربه وبنو عمه وأصدقائه، ويثدب له الطبل والبوق، وتكلف إليه^(١١) عدة كبيرة من المنصرفين الرجال. فيخرج من باب العيد، ويتركب إحدى الثغيرات - وهي أميرها - وشرف أمانته بجملين من الثقارات التي قدمنها ذكرها - يعني في ركوب أول العام - من زبي الموكب^٣ فيسير شاقاً القاهرة، والأبواق تضرب أمانته كباراً وصغاراً والطبل ورائه مثل الأمراء، وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة، ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب، وهكذا يعمل كل من يدخل عليه من كبير وصغير من الأمراء المطوقين إلى من دونهم سيقاً وقلماً.

(٨) بولاق: فيته الموكب. (ب) بولاق: في. (ج) بولاق: وتصبه. (د) بولاق: ويكتف به.

^١ قرورة جم. قرار وقرار. ورد اللفظ في معظم المعاجم العربية وبعض المصادر خالياً من الهاء في آخره: قرورة كقصور: السفينة (الفيروزآبادي: القاموس ٥٩٣). وذكر الجواليقي أنه ضرب من السفن أعجمي وقد تكلمت به العرب. (المعرب ٢٧١).

^٢ حاشية بخط المؤلف: «الثغيرات هي حبال تحضر من الإسطبلات يركبها من يخلع عليه أو يتركب في ركوبات الخليفة ثم تعاد إلى مكانها».

^٣ فيما تقدم ٤٦٥.

وتفيد المصادر الإسلامية - كما ذكرها النخيلي - أن القرائر كان منها الكبير والصغير وأنها تستخدم في التجارة.

وَيَخْرُجُ مِنْ بَابِ زَوِيلَةٍ طَالِيًا مَصْرَ مِنَ الشَّارِعِ الْأَعْظَمِ إِلَى مَسْجِدِ عَبْدِ اللَّهِ^١ إِلَى دَارِ الْأَمْعَاطِ^٢،
جَائِزًا عَلَى الْجَمَاعِ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَيَعْدِي إِلَى الْمِقْيَاسِ بِخَلْعِهِ وَأَكْيَاسِهِ. وَهَذِهِ الْأَكْيَاسُ مُعَدَّةٌ
لِأَرْبَابِ الرُّشُومِ عَلَيْهِ فِي خَلْعِهِ وَلِتَقَسِّمَهُ وَلِبْنِي عَمَّهُ بِتَقْرِيرٍ مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ^٣.

فَإِذَا انْقَضَى هَذَا الشَّأْنُ شَرَعَ فِي الرُّكُوبِ إِلَى «فَتْحِ الْخَلِيجِ» ثَانِي يَوْمٍ - وَقَدْ كَانَ وَقَعَ الْاهْتِمَامُ
بِهِ مِنْذُ دَخَلَتْ زِيَادَةُ النَّبْلِ ذِرَاعَ الْوَفَاءِ اهْتِمَامًا عَظِيمًا - فَيَعْمَلُ فِي تَيْتِ الْمَالِ مَوَائِدَ^٤ مِنَ الثَّمَانِ
شَكْلُ الْوُحُوشِ مِنَ الْغِزْلَانِ وَالسَّبَاعِ وَالْفَيْلَةِ وَالزَّرَافَاتِ عِدَّةٌ وَافرةٌ: مِنْهَا مَا هُوَ مُلَبَّسٌ بِالْعَبِيرِ،
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُلَبَّسٌ بِالصُّنْدَلِ، ثُمَّ شَكْلُ الثَّفَاحِ وَالْأَثْرَجِ اللَّطَافِ، وَالْوُحُوشُ مُفَشَّرَةٌ الْأَعْيُنِ
وَالْأَعْضَاءُ بِالذَّهَبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ تَخْرُجُ الْخَيْمَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: «الْقَاثُولُ»^٥ - لِأَنَّ قَوَائِمَهَا سَقَطَتْ مِنْ أَعْلَى عَمُودِهَا فَمَاتَتْ
فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ - وَطَوَّلَهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَأَعْلَاهُ صُفْرِيَّةٌ فِصَّةٌ تَسَعُ رَاوِيَةَ مَاءٍ، وَعَلَيْهِ الْفَلَكَةُ الَّتِي
كَانَتْ فِي الْإِيوَانِ إِلَى قَرِيبٍ. ثُمَّ يُعْمَلُ فِي أَوَّلِ الْعُمُودِ شُقَّةٌ دَائِرَةٌ، ثُمَّ أَوْسَعُ مِنْهَا، وَيَتَوَالَى ذَلِكَ
إِلَى إِحْدَى عَشْرَةِ شُقَّةٍ، فَتَصِيرُ سَعَةُ الْخَيْمَةِ مَا يَزِيدُ عَلَى قَدَانَيْنِ مُسْتَدِيرَةٍ، وَتُنْتَضَبُ فِي بَرِّ الْخَلِيجِ
الْغَرَبِيِّ عَلَى حَافَتِهِ مَكَانَ بُشْتَانِ الْحَلِيِّ^٦ الْيَوْمِ^٧.

وَكَانَتْ ثُمَّ مَنْظَرَةٌ يُقَالُ لَهَا الشُّكْرَةُ، بِرَسْمِ مُجْلُوسِ الْخَلِيفَةِ لِفَتْحِ الْخَلِيجِ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ^٨.
وَيُنْتَضَبُ أَرْبَابُ الرُّتَبِ مِنَ الْأَمْرَاءِ مِنْ بَغْرِيٍّ تِلْكَ الْخَيْمَةِ الْكُبْرَى خِيَامًا كَثِيرَةً، وَيَتَمَازِيُونَ فِيهَا
عَلَى قَدَرِ رُتَبِهِمْ^٩، وَضَرَبَهُمْ إِثَابًا فِي الْأَمَاكِنِ الْأَقْرَبِ فَلِأَقْرَبِ عَلَى قَدَرِ رُتَبِهِمْ.

فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ، وَعَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الرُّكُوبِ ثَالِثَ يَوْمِ التَّخْلِيْقِ أَوْ رَابِعَهُ، أَخْرَجَ كُلٌّ مِنْ
الْمُسْتَعْمِلِينَ فِي الْمَوَاضِعِ الْمَقْدُمِ ذِكْرَهَا - ^(د) يَعْنِي خَزَائِنَ السِّلَاحِ وَخَزَائِنَ الشُّرُوجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
الْخَزَائِنِ - مِنَ السِّلَاحِ وَالْمَرْكَبَاتِ الْحَلِيِّ لِلتَّغْيِيرَاتِ وَجَنَائِبِ الْخَلِيفَةِ الْمَقْدُمِ ذِكْرَهَا^(د) فِي رُكُوبِ أَوَّلِ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الحلبي. (c) بولاق: همهم. (d-d) ساقطة من بولاق.

^٤ انظر فيما تقدم ٣٨٤، ٥٣٩.

^١ عن مسجد عبد الله انظر فيما تقدم ١٢٥.

^٥ حاشية بخط المؤلف: «بستان الحلبي هذا موضع يعرف
اليوم بالمرس وما جاوزته إلى نحو قنطرة السند من ساقطة الخليفة»

^٢ حاشية بخط المؤلف: «دار الأمعاط من جملة زقاق
القنديل الذي تخرب اليوم».

وانظر ابن دقماق: الانتصار ١١٩: ١٢٠، ١٢١.

^٣ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٩-١٩٥ القلقشندي:

^٦ فيما تقدم ٥٣٧.

صحيح ٥١٢: ٥١٤.

العام والآلات المواكب على تمامه^(١)، ويُزاد فيه إخراج أربعين بوقاً، عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة، ويكون بواقوها رُكبائاً، وأرباب الأثواق الثحاس مشاةً، ومن الطبول الكبار التي مكان تحشبا فضة عشرة.

فإذا حضر الوزير إلى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهيئة عالية، وقد تضاعفت عُدَدُ^(٢) الأجناد في ذلك اليوم فارسها وراجلها، ويخرج زِيّ الخليفة من المظلة والشفيف والرمح والألوية والدواة، وغير ذلك من الأشتاذين المحتكين.

ويُركب في ذلك اليوم من الأقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون، وهم بالنوبة في كل سنة فيتقدمون إلى المنظرة في مكان لهم ضحبة أشتاذين لخدمتهم ويحفظهم، ويكون قد نُفّ عمود الخيصة الكبرى المشار إليها إما بدياج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه إلى أسفله، ويُنصب مُستنداً إليه سرير الملك، ويُغشى بقرقوبى، وعرانيسه ذهب ظاهرة.

فيخرج الخليفة للركوب ويركب، فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له: «البسدة»^(٣) - وهو كله ذهب وخيريز مزقوم، والمظلة من شكله، ولا تلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم - ويسير المؤكب الهائل، شاقاً القاهرة من الطريق التي ركب منها لتخليق المقياس، إلا أنه لا يدخل طروق مصر من الحشابين، بل خارجها من طريق الساحل. فإذا جاز على جامع ابن طولون، وجد قد رُبط من رأس المنارة - من مكان العشاري الثحاس - خيلاً طويلاً قوياً موضوعاً آخره في الطريق، وفيه قوّم يُقال لهم البختيارية^(٤)، واحد في زِيّ فارس على شكل فرس وفي يده زُمخ ويكتفه ذرقة، فينحدر على بكرة وفي رجله آخر يُمسكها، وهو يتقلب في الهواء بطلًا وظهوراً حتى يصل إلى الأرض.

ويكون قاضي القضاة وأعيان الشهود جلوساً في باب الجامع من هذه الجهة، فإذا وازاهم الخليفة - وكانوا قد ركبوا - وقَفَ لهم وقفةً، فيستلم على القاضي، ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جانبه لا غير، ويدخل بالشهود في الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبية المساحة، فيستلم عليهم، ويجمعون إلى دوابهم فيركبون.

(a) الواو ساقطة من بولاق. (b) بولاق: على عادته. (c) بولاق: هم. (d) بولاق: جبل ... موضوع.

^١ فيما تقدم ٥٣٥. ^٢ البختيارية (أو النختيارية)، انظر عنهم فيما تقدم ٤٨٨، ٤٩٤.

ويكون قد نُصِبَ لهم بالقُوب من الخَيْمَةِ الْكُبْرَى خَيْمَتَانِ : إحداهما دِيْبَاجٌ أَحْمَرٌ ، والأُخْرَى دَبِيقِي أَيْضٌ بَصْفَارِي فَضَّةٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ ، فَيَتِمُّ الْخَلِيفَةُ بِهِيْتَهُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ ، ويكون الْوَزِيرُ قد تقدَّمه على الْعَادَةِ لِيَخْدُمَهُ ، فَيَجِدُهُ رَاجِلًا عَلَى بَابِ الْخَيْمَةِ ، فَيُعْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ ؛ فَيَنْزِلُ وَيَجْلِسُ عَلَى الْمَرْتَبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِيهِ ، وَيُحِيطُ بِهِ الْأُسْتَاذُونَ الْمُحْتَكَونَ وَالْأُمَرَاءُ الْمُطْلُوقُونَ بَعْدَهُمْ . وَيُوضَعُ لِلْوَزِيرِ الْكُرْسِيُّ الْجَارِي بِهِ عَادَتُهُ ، فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَرِجْلَاهُ مُحْكَمَتَا الْأَرْضِ ، وَيَقِفُ أَرْبَابُ الرَّتَبِ صَافِينَ مِنْ نَاحِيَةِ سَرِيرِ الْمُلْكِ إِلَى نَاحِيَةِ الْخَيْمَةِ ، وَالْقُرَاءُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ سَاعَةً زَمَانِيَةً ؛ فَإِذَا خَتَمُوا قِرَاءَتَهُمْ ، اسْتَأْذَنَ صَاحِبُ الْبَابِ عَلَى مُحْضُورِ الشُّعْرَاءِ لِلْخِدْمَةِ بِمَا يُطَاقِي^١ هَذَا الْيَوْمَ ، فَيُؤَمَّرُ بِتَقْدِيمِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَلَهُمْ مَنَازِلُ عَلَى مِقْدَارِ أَقْدَارِهِمْ ، فَالْوَاحِدُ يَتَقَدَّمُ الْوَاحِدَ بِخُطْوَةٍ فِي الْإِنْشَادِ ، وَهُوَ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ مُسْتَعْدِمٍ يُقَالُ لَهُ «الْثَّائِبُ»^٢ . وَتَقَدَّمُ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ جَبْرِ^٣ ، وَأَنْشَدَ قَصِيدَةً مِنْهَا :

[الكامل]

فُتِّحَ الْخَلِيجُ فَسَالَ مِنْهُ الْمَاءُ وَغَلَّتْ عَلَيْهِ الرَّهَابَةُ الْبَيْضَاءُ
فَصَفَّتْ مَوَارِدُهُ لَنَا فَكَانَتْ كَفَتْ الْإِمَامَ فَعَزَّوْهُمَا الْإِعْطَاءُ

فَانْتَقَدَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ : «فَسَالَ مِنْهُ الْمَاءُ» ، وَقَالُوا : أَيُّ شَيْءٍ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الْمَاءِ ؟ فَضَيَّعَ مَا قَالَهُ بَعْدَ هَذَا الْمَطْلَعِ .

وَتَقَدَّمُ شَاعِرٌ ، يُقَالُ لَهُ مَسْعُودُ الدَّوْلَةِ بْنُ مُحَرَّرٍ^٤ ، وَأَنْشَدَ :

[الكامل]

مَا زَالَ هَذَا الشَّدُّ يَنْظُرُ فَخْهَ إِذْ ذُنُ الْخَلِيفَةِ بِالنُّوَالِ الْمَوْسَلِ
حَتَّى إِذَا هَزَزَ الْإِمَامُ بَوَاجِهَهُ وَسَطًا عَلَيْهِ كُلُّ حَامِلٍ يَقُولِ
فَجَزَى كَأَنَّ أُدَيْفَ^٥ فِيهِ عَثِيرٌ يَعْلُوهُ كَأَقْوَرُ لَطِيبِ الْمُنْدَلِ

فَانْتَقَدَ^٦ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ، وَقَالُوا : أَهْلَكَ وَجْهَ الْإِمَامِ بِسَطَوَاتِ الْمَعَاوِلِ عَلَيْهِ ،

(a) بولاق : يطلنق . (b) بولاق : ابن جرير . (c) بولاق : قد ديف . (d) بولاق : فانتقدوا .

الكاتب : خريدة القصير (قسم مصر) ٢: ٢٣١-٢٣٢ ٢٢٣٢ ابن

^١ انظر فيما تقدم ١: ٤٦١ ، ومسودة المواظ ٢٥٠ . سعيد : النجوم ٣٤٤-٣٤٥ .

^٢ شرف الدولة أبو محمد يحيى بن حسن بن جبر ،
^٣ انظر ترجمته عند الصمد الكاتب : الخريدة ٢: ٢٢٥
ابن سعيد : النجوم ٣٤٤ .

وإن كان قصد فتح الشد بالمعاول ، لكئنه ما نظمته إلا قليلاً .

ثم تقدم له شاعرٌ شاهدٌ يُقال له كافي الدولة أبو العباس أحمد ، وأنشد قصيدةً شهده له جماعةٌ منهم القاضي الأثير بن سنان ، أنه^(٥) عملها بحضوره بديها :

[الكامل]

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد الليل أم لك يائنه بنت محمد
أم لا اجتماعكما معا في مؤبدين وأيضاً فيه لأصدي مؤيد
ليس اجتماع الخلق إلا للذي حاز الفضيلة منكما في المولد
شكروا لكل منكما لوفائه بالشفي لكن مثلهم للأجود
ولن إذا اعتمد الوفاء ففعله بالقصد ليس كمن لم يقصد
هذا يعني ويغرؤ يفتن تارة وتشد أنت النقص إن لم يزد
وقواه إن بلغ النهاية قصرت وإذا بلغت إلى النهاية تبتدي
فالآن قد ضاقت مسالك سفيه بالشد فهو به بحال مقيد
فإذا أزدت صلاحه فافتح له نرى جنائاً مخصباً وترى ندي
وأمر بقصد العرق منه فما ابثلي^(٦) جشم فصع الجسم إن لم يقصد
واسلم إلى أمثال يؤمك هكذا في عيش مقبوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين ديناراً ، وخلع عليه وزيد في جارية .

ثم يقوم الخليفة عن السرير راكباً ، والوزير بين يديه ، حتى يطلع على المنظر المعروفة بالشكرة ، وقد فرشت بالفرش المعدة لها ، فيجلس فيها ، ويتبها أيضاً للوزير مكاناً يجلس فيه ، ويحيط بالشد حامي البساتين ومشارفها لأنه من محقوق جذمتها ، فتفتح إحدى طاقات المنظر ، وبطل منها الخليفة على الخليج ، وطاقة ثغاربها يتطلع منها أستاذ من الخواص ، ويشير بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول ، ويخدم بالطبل والبوق من البوثن .

فإذا اعتدل الماء في الخليج ، دخلت العشاريات اللطاف - ويقال لها العشاريات^(٧) - وكانت

(a) بولاق : فإنه . (b) بولاق : شكاً . (c) بولاق : السماويات .

^١ الشمارية ويقال أيضاً شمترية جـ. شماريات وسميريات . تطلق في مصر على نوع من العشاريات اللطاف - أي الصغار - ونفس ابن الطوير هو الوحيد الذي يشير إليها (النخيلي : السفن الإسلامية ٦٩ - ٧٠ ، ٩٩) .

خَدَمَ بين يدي العُشاريِّ الذَّهَبِيِّ المُقَدَّم ذكره، ثم العُشاريات الخاصَّ الكبار^١ وهي ستة: الذَّهَبِيُّ المذكور، والفضِّي، والأخضر، والأصفر، والأزَّوَردي، والصَّبْغِيُّ - وكان أنشأه نَجَّازٌ من رؤساء الصَّنَاعَةِ صِبْغِيٍّ، وزاد فيه على الإنشاء المعتاد فنُسِبَ إليه - وهذه العُشاريات لا تُخْرَجُ عن خِدْمَةِ^٢ خاصِّ الخليفة في أيام النيل وتحوَّله إلى اللُّؤْلُؤَةِ للفرجة، وسارت في الخليج، وعلى نيت كلِّ منها الشُّور الدِّيقي الملوَّنة، وبرءوسها وفي أعناقها الأَهْلَةُ وقلائد من/ الخز، فتشند إلى البَرِّ الذي فيه المتَّظرة الجالِس فيها^٣ الخليفة.

٤٧٩:١

فإذا استقرَّ جُلُوسُ الخليفة والوزير بالمتَّظرة ودخلَ قاضي القضاة والشُّهود الخيِّمة الدِّيقي البيضاء، وصَلَّت المائدة من القصر في الجانب الغربي من الخليج، على رءوس القُرَّاشين صُحْبَةِ صاحب المائدة، وعِدَّتْها مائة شِدَّة في الطِّيافير^٤ الواسعة، وعليها القُرَّارات الحرير، وفَوْقَهَا الطُّرَاحات^٥، ولها رِواءٌ عَظِيمٌ ومِشْكٌ فائِحٌ، فتوضع في خيِّمة واسعة منصوبة لذلك. ويُحْمَل ١٠ للوزير ما هو مستقرُّ له بعادة جاريه ومن صَوَانِي التَّمائيل المذكورة ثلاث صَوَانٍ، ويُخَصَّصُ منها أيضًا لأولاده وإخوته خارجًا عن ذلك إكرامًا وافتقارًا، ويُحْمَلُ إلى قاضي القضاة والشُّهود شِدَّة من الطَّعام الخاصِّ من غير تَمَائيل توقيرًا للشرع، ويُحْمَلُ إلى كلِّ أميرٍ في خيِّمته شِدَّة طَعام وصينية تَمَائيل، ويَصِلُ من ذلك إلى النَّاس شيء كثير.

ولا يزالون كذلك إلى أن يُؤدَّن بالظُّهر، فيصَلُّون ويقيمون إلى العصر، فإذا أُذِّنَ به صَلَّيْ، ١٥ وَرَكِبَ المركب كله لانتظار رُكوب الخليفة، فيركب لا يَشا غير البدنة بل بهيئته، والمِظَلَّة مُناسبة لِشِبابِهِ التي عليه، واليَمِيَّة والترتيب بأجمعه على حاله. ويسيرُ في البَرِّ الغربي من الخليج، شاقًّا

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: فيه.

أورده المسيحي (أخبار مصر ٤٥) أن العشاريات كانت تستخدم كذلك مع المراكب الحربية حيث أرسلت في عام ٤١٥ هـ لحفظ الحصون الشامية. (راجع، المسيحي: أخبار مصر ١١، ٢٣، ٤٣، ٤٦، ٤٩٥ درويش النخيلي: السفن الإسلامية ٩٥-١٠١).

^٢ الطِّيافير انظر فيما تقدم ٣٧٨، ٤٠٥.

^٣ القُرَّارات والطُّرَاحات، انظر فيما تقدم ٤٠٣.

^١ عُشاري ج. عُشاريات. نوع من السفن كان يستخدم في البحر المتوسط والبحر الأحمر والنيل. ويبدو أن المستخدم منه في البحر نوع من القوارب الصغار التي تلحق بالمراكب الكبيرة بغرض نقل المسافرين فيها من الساحل وإليها والعكس.

أما النوع المشار إليه في نص ابن الطوير فهو من المراكب البلية وخاص باستخدام الخلفاء الفاطميين وعلى الأخص في موسم الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج. ويفهم مما

للبيستين هناك ، حتى يدخل من باب القنطرة [فيحطف على يمينه ويسير]^(a) إلى القصر ، والوزير تابعه على الرسم المعتاد ، ويمر فيه للقوم أحسن الأيام ويمضي الوزير إلى داره متخدوماً على العادة^(١) .

وقال في كتاب «الذخائر والتحف» : إن المشتغل من الفضة في^(b) قبة العشاري المعروف بالمقدم وفازته^(c) وكشوة رخله ، في سنة ست وثلاثين وأربع مائة في وزارة علي بن أحمد الجزجرائي ، مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبع مائة درهم نفقة . وإن المطلق للصناع عن أجرة الصياغة^(d) ، وفي ثمن ذهب لطلاته خاصة ، ألفان وتسع مائة دينار ، ويسفر الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم ستة دنانير وربع ، سعر ستة عشر درهماً بدینار .

ولما تولى أبو سغد [إبراهيم بن] سهل التشرقي الوساطة سنة ست وثلاثين وأربع مائة ، استعمل لأتم المنتصر عشارياً يُعرف بالفضي ، وحلي زواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، ولزم ذلك أجرة الصياغة^(d) ولطلاء بعضه ألفان وأربع مائة دينار ، سوى سنوة له بمال جليل .

والتقى على ستة وثلاثين عشارياً يرسم النزه البحرية لآلاتها وحلاها ، من مناطق ورعوس متجوقات وأهلّه وصُفريات وغير ذلك ؛ أربع مائة ألف دينار^(٢) .

وكانت العادة عندهم إذا حصل وفاء النيل أن يكتب إلى العمال . فمما كُتب من إنشاء تاج الرئاسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي :

«أما بعد ، فإن أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى ، وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى ، وكان من اللطائف التي غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ، ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه ، وظلت النعمة به عامة لصايت الحيوان وناطقه . وتلك المؤهبة بوفاء النيل المبارك الذي يشره الله تعالى - وله الحمد - يوم كذا ؛ فإن هذه العطية تؤدي إلى خصيب البلاد وعمارتهما ، وشمول المصالح وعزازتها ، وتفضي بتضاغف المنافع

(a) زيادة من صبح الأعشى . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : قاره . (d) بولاق : الصناعة .

^١ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٩٥-٢٠٣ ، وقارن القلقشندي :
^٢ هذا النص غير موجود في نسخة «الذخائر والتحف»
 صبح ٥١٤: ٣-٥١٧ ؛ أبا الحسن : النجوم ٩٩: ٤-١٠٠ ؛ أمين
 التي وصلت إلينا ، وقد استخدمه المقرئ فيما تقدم ٥٥١ .
 فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٤٧-٤٦٠ .

والخيرات ، وتكاثر الأزواق والأقوات ، ويتساقط الفائدة فيها لجميع العباد .
وتنتهي البركة بها إلى كل دابة وناية وكل حاضِر وباد . فأذع هذه النعمة
قيلك ، وأنشزها في كل من يتدبر عَمَلَك ، وحثهم على مواصلة الشكر
لهذه الألطاف الشاملة لهم ولك . فاعلم هذا ، واعمل به إن شاء الله .

وكتب أيضًا:

«أول ما تضاعف به الابتهاج والجدل ، وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل ،
ما عَمَّ نَفْعُه صاميت الحيوان وناطقه ، وأحدث لكل أحد اغتياطاً لِرَمِّه وأبى
أن^٥ يُغَارِقَه . وذلك ما من الله به من وقاء النيل المبارك الذي تحيا به كل
أرض موات ، وتكتسي بعد اقشعرارها حلّة الثبات ، ويكون سبباً لتوافر
الأقوات . فإنه وتلى المقدار الذي يُحتاج إليه . فلئذع هذه المنة في القاصي
والداني ، لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والثعاني ، إن شاء الله » .

وكتب أيضًا:

«من لطف الله الواجب حمده ، اللّازم شكره وفضله ، الذي لا يُملَّ
بشره ، ولا يُنَامُ ذكره ومُنَّه ، الذي استبشّر به الأنام ، وتضاعف فيه
الإنعام ، ومثل الله الحياة به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾ [آلۃ
٢٤ سورة يونس] ، أمر النيل المبارك الذي يعم النجود والثعائم ، وتنتفع به
الخلائق ، وتزوع فيما يُظهره الثعائم .

وقد توجه إليك بهذا الكتاب بهذه البشيرة فلان ، فأجره على رُسْمِهِ فِي
إظهاره مُجْتَمَلًا وإبصاله إلى رُسْمِهِ مَكْتُمًا ، وإذاعة هذه النعمة على الكافة
لبتساقطوا الاغتياط بها ، ويألفوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها
وعلى حبسها . فاعلم ذلك ، واعمل به إن شاء الله .

مَنْظَرَةُ الدُّكَّةِ

وكان من مجملّة مناظر الخلفاء الفاطميين مَنْظَرَةُ تُعْرَفُ بِالدُّكَّةِ^١، لها بُشْتَانٌ عَظِيمٌ بجوار المَقْصِ، فيما بينه وبين أراضي اللُّوق، وما زالت باقية حتى زالت الدُّوْلَةُ، وحِكِرَ مكان البُشْتَانِ وصارَ حِطَّةً تُعْرَفُ إلى اليوم/ بِحُطِّ الدُّكَّةِ، فَخَرِبَتِ الْمَنْظَرَةُ وزالَ أثرُها.

٤٨٠:١

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: الدُّكَّةُ بِالمَقْصِ كانت [أَوَّلًا]^٢ بُشْتَانًا، وكان الخليفةُ إِذَا رَكِبَ من كُشْرِ الخَلِيجِ مِنَ الشُّكْرَةِ بِمِظْلَتِهِ يَسِيرُ فِي البَرِّ القَرِيِّ، وَمَضَارِبُ النَّاسِ والأُمَرَاءِ وَجِيحَتُهُمْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى هَذَا البُشْتَانِ المَعْرُوفِ بِالدُّكَّةِ، وَقَدْ عُلِقَتْ أُبُوأَيْهِ وَدَهَالِيُوهُ، فَيَدْخُلُ إِلَيْهِ بِمُفْرَدِهِ، وَتَسْقِي مِنْهُ الْفَرَسَ الَّذِي تَحْتَهُ - وَهِيَ قَصِيَّةٌ ذَكَرَ المَوْزُخُ لِلسَّيْرَةِ المَأْمُونِيَّةِ^٣ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَمِدُونَهَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، وَلَمْ يُغْلَمْ سَبِيحُهَا - ثُمَّ يُخْرَجُ وَيَسِيرُ إِلَى أَنْ يَقِفَ عَلَى التَّرْعَةِ الْآتِيَةِ ذَكَرَهَا^٤، وَيَدْخُلُ مِنْ بَابِ القَنْطَرَةِ، وَيَنْزِلُ إِلَى القَصْرِ.

١٠

وَالدُّكَّةُ الْآنَ أَذُرٌّ وَحَارَاتٌ شُهِرَتْهَا تُغْنِي عَنْ وَصْفِهَا، فَصُبْحَانِ مَنْ لَا يَتَغَيَّرُ^٥ !
وقال ابنُ الطُّوَيْزِ عَنْ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أُمِّي هَاشِمٍ عَلِيِّ بْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ: كَانَ بِمَنْظَرَةِ يُقَالُ لَهَا الدُّكَّةُ بِسَاحِلِ المَقْصِ - يَعْنِي أَنَّهُ مَاتَ بِهَا.

زَكَرَتْ مَنْظَرَةُ المَقْصِ

وكان من مجملّة مناظرهم أيضًا مَنْظَرَةُ بجوار جامع المَقْصِ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَائِلَةُ الْيَوْمَ جَامِعَ المَقْصِيِّ^٦، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَنْظَرَةُ بِخَرِي الجَامِعِ الْمَذْكُورِ، وَهِيَ مُطْلَعَةٌ عَلَى النَّيْلِ

١٥

(a) زيادة من ابن عبد الظاهر.

^١ مَنْظَرَةُ الدُّكَّةِ. يحدّد موضعها اليوم الموضع الذي يمر به البقعة وقد ذُكِرَتْ فِي ظَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ فَانْظُرْهَا. (فيما يلي شارع قنطرة الدكة عند تلافية بشارع عماد الدين قرب شارع رمسيس حيث كان يجري النيل قديمًا).

^٢ أي جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون مؤلف «السيرة المأمونية» أو «أخبار مصر». مسودة المواضع ٣٠٧.

^٣ حاشية بخط المؤلف: «هذه التربة كان يقال لها بطن أولاد عنان يقع في أول شارع الجمهورية من جهة ميدان»

^٤ كان جامع المقص الذي أصبح يعرف بعد ذلك بجامع

الْأَعْظَمَ، وَكَانَ حِينَئِذٍ سَاحِلُ الثَّيْلِ بِالْمَقْسِ.

وكانت هذه المَنْظَرَةُ مُعَدَّةً لِنُزُولِ الْخَلِيفَةِ بِهَا عِنْدَ تَجْهِيزِ الْأَسْطُولِ إِلَى غَزْوِ الْفِرْجِ، فَتَحْضُرُ رُؤَسَاءُ الْمَرَائِبِ بِالشَّوَانِي^١ وَهِيَ مُزَيَّنَةٌ بِأَنْوَاعِ الْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ وَيَلْعَبُونَ بِهَا فِي الثَّيْلِ، حَيْثُ الْآنَ الْخَلِيجُ النَّاصِرِيُّ تَجَاهَ الْجَامِعِ، وَمَا وَرَاءَ الْخَلِيجِ مِنْ غَرْبِهِ^٢.

- ٥ قال ابنُ المأمُون، وَذَكَرَ تَجْهِيزَ الْعَسَاكِرِ فِي الْبَيْزِ عِنْدَ وُرُودِ كُتُبِ صَاحِبَيْهِ دِمَشْقَ وَحَلَبَ، فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ، مَا يَحْثُ عَلَى غَزْوِ الْفِرْجِ وَمَسِيرِهَا مَعَ مُحْسِمِ الْمُلْكِ: وَرَكِبَ الْخَلِيفَةُ الْأَمِيرُ بِالْحُكَامِ اللَّهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجَامِعِ بِالْمَقْسِ، وَجَلَسَ بِالْمَنْظَرَةِ فِي أَغْلَاهِ، وَاسْتَدْعَى مُقَدِّمَ الْأَسْطُولِ الثَّانِي، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَانْحَدَرَتِ الْأَسَاطِيلُ مَشْحُونَةً بِالرِّجَالِ وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ، وَاعْتَمِدَ مَا بَجَرَتْ الْعَادَةُ بِهِ مِنَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ. وَعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْبَيْشْتَانِ الْمَعْرُوفِ بِالنَّبَلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى قَصْرِهِ بَعْدَ تَفْرِيقِ جَمِيعِ الرُّسُومِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْهَبَاتِ الْجَارِيَةِ بِهَا الْعَادَةُ فِي الرُّكُوبَاتِ^٣.
- ١٠

- وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: فَإِذَا تَكَمَّلَتِ التَّجْفَةُ، وَتَجَهَّزَتِ الْمَرَائِبُ وَتَهَيَّأَتِ لِلشَّقْرِ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى سَاحِلِ الثَّيْلِ بِالْمَقْسِ^٤. وَكَانَ هُنَاكَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ بِالْجَامِعِ مَنْظَرَةٌ يَجْلِسُ فِيهَا الْخَلِيفَةُ بِرُشْمٍ وَدَاعِيَةٍ - يَعْنِي الْأَسْطُولَ - وَلِقَائِهِ إِذَا عَادَ. فَإِذَا جَلَسَ هُوَ وَالْوَزِيرُ لِلدَّوَادِعِ، جَاءَتِ الْقَوَاذِ بِالْمَرَائِبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هُنَاكَ لِلخَرَكَاتِ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهِيَ مُزَيَّنَةٌ بِأَسْلِحَتِهَا وَلُبُوسِهَا، وَفِيهَا الْمُتَجَنِّقَاتُ تَلْعَبُ، فَتَنْحَدِرُ وَتَقْلَعُ بِالْمَجَادِيفِ كَمَا يُفْعَلُ فِي لِقَاءِ الْعُدُوِّ بِالْبَحْرِ الْمَلِجِ.
- ١٥

(a) بولاق والنسخ: ساحل المقس، والمثبت مما يلي ٢: ١٩٣.

بأبراج وقلاع تستخدم لأغراض الدفاع والهجوم، ولعظمها كانت تشتمل على أفرار لحزن الماء القلْب. وكان يرمي فيها النار والثَّلَط على العدو؛ وانظر كذلك: درويش النخيلي: السفن الإسلامية ٨٣-٨٥؛ أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٤.

^٢ المقرئ: مسودة الموعظ ٢٩٣، ٣٢٥-٣٢٦.

^٣ ابن المأمون: أخبار مصر ٦٩٩ المقرئ: مسودة الموعظ ٣٢٦؛ وفيما يلي ٥٦٨.

= رسميس، وحل محله الآن جامع الفتح المطل على ميدان رسميس، وكان النيل في العصر الفاطمي يمر إلى الغرب حيث شارع عماد الدين الآن.

^١ شني ج. شواني (ويقال أيضًا شاني أو شينة أو شونة). السفينة الحرية الكبيرة، وكانت تطلق عليها أحيانًا أسماء معينة مثل «الغراب» الذي ذكر ابن فُتَيْم أنه كان يجذف بمائة وأربعين سجدًا وفيه المقاتلة والجذافون. (قوانين الدواوين ٣٤٠) والطريدة والجفنة والحراقة. كانت مُزَوَّنة

ثم^(a) يَحْضُرُ بين يدي الخليفة «المقدم» والرئيس» فيوصيهما ويدعو للجماعة بالسلامة والنصرة^(b)، ويُعْطِي المَقدم مائة دينار، والرئيس عشرين دينارًا. وينحدر إلى دُمياط ويَخْرُجُ إلى البحر المِلْح، فيكون لها بيلاد العَدُوِّ صَيْتٌ وَهَيْتَةٌ. فإذا وَقَعَ لهم مركبٌ لا يسألون عَمَّا فيه سوى الصُّغار والرِّجال والنِّساء والسِّلاح، وما عَدَا ذلك فللأُسْطُول.

وَأَتَّفَقَ مَرَّةً أَنْ قُدِّمَ عَلَى الْأُسْطُولِ سَيْفُ الْمَلِكِ الْجَمَلِ فَكَبِسَتْ^(c) بُطْسَةً^١ عَظِيمَةً فِيهَا أَلْفٌ وَخَمْسٌ مِائَةً شَخْصٍ بَعْدَ أَنْ شَنَعَتْ عَلَيْهِمُ بِالْقَتَالِ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ مِائَتَيْنِ^(d) وَعِشْرِينَ رَجُلًا، وَحَضَرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ. فَفَرَّخَ الْخَلِيفَةُ وَرَكِبَ إِلَى الْمَقَسِ وَجَلَسَ بِالنَّظَرَةِ لِلْقَائِمِ، وَأَطْلَقُوا الْأَشْرَى بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمَنْظَرَةِ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ. فَاشْتَدَّ عَيْتُ الْجِمَالِ لُرُكُوبِهِمْ، وَشَقَّ بِهِمُ الْقَاهِرَةُ وَمِصْرُ،^(e) فَمَا وَجَدَتْ فِي الْحَالِ جِمَالًا كَعَدَّتِهِمْ فَرَكِبُوا الرِّجَالُ^(e) مِنْهُمْ كُلُّ اثْنَيْنِ عَلَى جَمَلٍ ظَهَرًا لِيُظْهَرُوا. وَعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْقَصْرِ^(e) وَمَا كَفَاهُ نَظَرُهُ لَهُمْ فِي الْمَنْظَرَةِ فَرَحًا بِهِمْ^(e)، فَجَلَسَ فِي إِحْدَى مَنَازِرِهِ لِيَنْظُرَهُمْ فِي جَوَازِهِمْ.

فَلَمَّا عَادُوا مِنْ مِصْرَ، صَارُوا بِهِمْ إِلَى الْمَنَاحَاتِ، فَصَحَّ مِنْهُمْ أَلْفٌ رَجُلٌ. فَانْضَافُوا إِلَى مَنْ فِي الْمَنَاحِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا بِهِمْ إِلَى الْقَصْرِ، بَعْدَ أَنْ حُمِلَ مِنْهُمْ لِلزَّوْجِ نَصِيبٌ وَافِزٌ، وَأَخَذَتْ الْجِيَهَاتُ وَالْأَقَارِبُ بَقِيَّتَهُنَّ، فَيَسْتَخْدِمُونَهُنَّ وَيَعْلَمُونَهُنَّ الصَّنَائِعَ، وَيَتَوَلَّى الْأُسْتَاذُونَ تَرْبِيَةَ الصَّبِيَّانِ وَتَعْلِيمَهُمُ الْحَطَّ وَالرِّمَايَةَ^(e) وَيَمُوتُ أَكْثَرُهُمْ لِتَغْيِيرِ الْعَادَاتِ^(e)، وَيُقَالُ لَهُمْ: «التَّرَايِي». ^(e)فَمَنْ هَؤُلَاءِ التَّرَايِي مِنْ كَبِيرٍ وَأَنْثَى وَتَغْيِيرٍ فِي الرِّمَايَةِ وَالْمَعَارِفِ فَصَارَ أَمِيرًا مِنْ صَبِيَّانٍ خَاصِ الْخَلِيفَةِ مِنْهُمْ: غَلَامُ اللَّهِ وَبَاتَكِينُ وَشُومَانُ وَمِيمُونُ وَتُرُوسُ الْقَضْرِيَانِ^(e) ٢.

(a) بولاق : و . (b) بولاق : بالنصرة والسلامة . (c) بولاق : فكسب . (d) بولاق : مائه . (e-e) زيادة من مسودة المواعظ .

^١ بُطْسَةٌ أَوْ بُطْسَةٌ وَيُقَالُ أَحْيَانًا: بُطْسَةٌ. وتجمع على بُطْسَاتٍ وَبُطْسٍ. تعني مركبا حربية أو تجارية بلغة الأسيان، وهي سفينة كبيرة الحجم كثيرة القلوع، قد يصل عدد القلوع في البُطْسَةِ الواحدة إلى أربعين قلعا، وكانت تختص بشحن الفلال والأهوات والخبز والإمدادات الحربية. (ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٧٧ هـ^١، التخلي: السفن الإسلامية ١٤-١٧) وقد تحمل عددًا كبيرًا من الرجال كما في النص قد يصل إلى ألفين وخمسمائة شخص. (ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ١١٣-١١٤).

^٢ أسماء هؤلاء الأعلام غير واضحة ولم ترد سوى في مسودة المواعظ.

ومن اشترى به من الأشرى، ونجّه عليه بقوة، أوقع به؛ والشَّيخ الذي لا يُتَنَفَّع به يُمَضَى فيه لحكم الشَّيخ بِمَكَانٍ يُقال له: «بئر المَنَامَة» في الحَرَابِ قَرِيبَ مِصر^١. ولم يُسَمَّع على الدَّوْلَة قَطَّ أَنَّهَا فَادَتْ أَسِيرًا بِمَالٍ وَلَا بِأَسِيرٍ مِثْلَهُ^٢. وهذه الحالُ في كُلِّ سَنَة آخِذَةً فِي الزِّيَادَةِ لَا التَّنْقِصِ. وَتُذَمُّ عَلَى الْأَسْطُولِ مَرَّةً أَمِيرٌ يُقال له حَرْبُ بْنُ قَوْزٍ، صَاحِبُ الْحَاجِبِ لَوْلُو، فَكَبَسَ بُطْسَةً حَصَلَ فِيهَا خَمْسُ مِائَةِ رَجُلٍ^٣ (فَاعْتَمَدَ فِيهَا كَذَلِكَ^٤). انْتَهَى.

وَقَدْ خَرِبَتْ هَذِهِ الْمَنْظَرَةُ، وَكَانَ مَوْضِعُهَا يُزَجُّ كَبِيرٌ صَارَ يُعْرَفُ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ بِقَلْعَةِ الْمَقْسِ، مُشْرِفٌ عَلَى الثَّيْلِ. فَلَمَّا جَدَّدَ الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ شَعْسُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْسِي جَامِعَ الْمَقْسِ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، هَدَمَ هَذَا الْبُوجَ وَجَعَلَ مَكَانَهُ جُنَيْتَةً شَرْقِيَّ الْجَامِعِ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُ وَجَدَ فِيهِ مَالًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^٥.

منظرة البغل

وَكَانَ مِنْ مَنَاطِرِهِمْ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ مَنْظَرَةٌ فِي بُشْتَانِ أَنْبِي يُعْرَفُ بِالْبَغْلِ، أَنْشَأَهُ الْأَفْضَلُ شَاهِنْشَاهُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَذَرُ الْجَمَالِي. وَمَوْضِعُ هَذَا الْبُشْتَانِ إِلَى الْيَوْمِ يُعْرَفُ بِالْبَغْلِ، وَصَارَتْ أَرْضُهُ مَرْزَعَةً/ فِي جَانِبِ الْخَلِيجِ الْغَرِبِيِّ بِخَرِي أَرْضِ الطَّبَالَةِ فِي كُومِ الرُّيْشِ مُقَابِلَ قَنَاطِرِ الْإَوْزِ°. وَقَدْ خَرِبَتْ الْمَنْظَرَةُ وَبَقِيَ مِنْهَا أَثَارٌ أَدْرَكَتْهَا يَغْطِي بِهَا الْكُثَانُ، تَدُلُّ عَلَى عِظَمِهَا وَجَلَالِهَا فِي حَالِ

(٥-٤) زيادة من مسودة المواعظ.

رَمْسِي، فَيَكُونُ مَكَانَ الْقَلْعَةِ الْيَوْمَ عِمَارَةُ الْأَوْقَافِ الْمُجَاوِرَةِ لِجَامِعِ الْفَتْحِ بِأَوَّلِ شَارِعِ الْجُمْهُورِيَّةِ (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُوم ٣٩٠:٤ هـ، ٣٠٨:٧ هـ، تعليقات محمد رمزي بك).

° البغل. كُلُّ شَجَرٍ أَوْ زَوْجٍ لَا يَسْتَقِي، وَدَخَلَ أَغْلَبُ أَرْضِ مَنْظَرَةِ الْبَغْلِ فِي الثَّرْعَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَبَقِيَهَا مَعَ سَائِرِ الْمَنَاطِرِ الْآخَرِي الْمَوْجُودَةِ بِهَذَا الْمَكَانِ، يَحْدُدُ مَكَانَهَا الْيَوْمَ الْأَرْضُ الْمُتَدَلِّجَةُ بَيْنَ مَنَاطِقِ غَمْرَةٍ وَشَارِعِ رَمْسِي وَالْوَالِييَةِ الْكَبِيرِ عَلَى الثَّرْعَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِالسُّوَّاحِ. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُوم ١١٤:١٠ هـ، تعليقات محمد رمزي بك).

^١ يَظُنُّ أَنَّ يَكُونُ فِي الْمَنَاطِقِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَمَلِ قَوْزٍ، شَمَالِ شَرْقِ الْقَسْطَاطِ.

^٢ انْظُرْ عَنِ فِدَاءِ الْأَسْرَى فِيمَا يَلِي ١٩١:٢-١٩٣.

^٣ ابْنُ الطَّوِيلِ: نَزْعَةُ الْمُقَاتِلِينَ ٩٧-١٠٠؛ الْقُرَيْشِيُّ: الْمُسَوْدَةُ ٢٩٧-٢٩٩، وَفِيمَا يَلِي ١٩٣:٢.

^٤ كَانَتْ أَجْزَاءً مِنْ سُورِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي أَقَامَهُ صَلَاحُ الدِّينِ بَيْنَ بَابِ الشَّعْرِيَّةِ وَبَابِ الْبَحْرِ قَائِمَةً فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى غَرِيبَةِ أَثَارِ الْقَاهِرَةِ، وَبِمَا أَنَّ قَلْعَةَ الْمَقْسِ كَانَتْ وَاقِعَةً فِي نَهَايَةِ هَذَا السُّورِ عَلَى امْتِدَادِهِ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَمَوْضِعُ جَامِعِ الْمَقْسِ حُلَّ مَحَلِّهِ الْآنَ جَامِعُ الْفَتْحِ الْمَطْلُ عَلَى مِيدَانِ

عمارتهما . وكانت منظره البغل من أجل متنتهاهم ، وكان لهم بها أوقات عميمة المبررات بجليلة الخيرات .

قال ابن المأمون : فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجية ، ويتوجه إلى القصر . فيركب الخليفة إلى ضواحي القاهرة للترفة في مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبغل وقبة الهواء والخمسة والأوجه^(a) والبستان الكبير . وكان لكل منظره منهن فوز معلوم مستقر فيها من الأيام الأفضلية للضيف والشاء .

وتفرق الرسوم ، وتسلم لمقدمي الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون ديناراً وخمسون رباعياً ، ولتالي مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة في كل كاغدة ثلاثة دراهم ، ومائة كاغدة في كل كاغدة درهمان ، ولتالي مقدم الشمال مثل ذلك . أما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ، ولكل باب يدخل منه دينار ، ولكل جامع يجتاز عليه دينار ، ما خلا جامع مصر فإن رسمه خمسة دنانير ، ولكل مسجد يجتاز عليه رباعي ، ولكل من يقف ويثلو القرآن كاغدة ، والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ، ولكل فارس يزكبه^(b) الخليفة ديناران . ويكون مع هذا متولّى صناديق الإنفاق يخجّب الخليفة ، ويده خريطة دياج فيها خمس مائة دينار لما عساه يؤمر به .

فإذا حصل في إحدى المناظر المذكورة ، فرق من العين ما يبلغه سبعة وخمسون ديناراً ، ومن الرباعية مائة وستة وثمانون ديناراً للخواشي والأستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمتجملين وغيرهم ، ومن الخراف الشواء خمسون رأساً : منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص - مضافاً لما يخصّر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات - وطبق واحد برسم مائدة الوزير ، وبقية ذلك بأسماء أربابه ، ورأساً بقر برسم الهرايس .

فإذا جلس الخليفة على المائدة ، استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه . ومن تأخر عن المائدة من جرت عادته بحضورها ، حيل إليه من بين يدي الخليفة على سبيل الشرف ، وعند غود الخليفة إلى القصر ، يحاسب متولّى الدفتر مقدمي الركاب على ما أتفق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة . وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الأمانة .

(a) بولاق : وجوه . (b) بولاق : ولكل من يركب .

قال : وإذا وَقَعَ الرُّكُوبُ إلى الميادين ، جَزَى الحالُ فيها على الرُّسْمِ المستقرِّ من الإنعام ، ويُؤمَّرُ مُتَوَلَّى خَزَائِنِ الحَاصِّ وصناديق الإنفاق أن يكون معه خَريطةٌ في السُّرُجِ دِياج ، تسمَّى «خَريطةُ المَرْكَبِ» ، فيها ألف دينار معدَّة لمن يُؤمَّر بالإنعام عليه في حال الرُّكُوب ^١.

منظرة الناح

- ٥ هي من مجفلة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للترفة ، بناها الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها فَوْشٌ مُعدٌّ بها^(a) للشتاء والصيف . وقد خربت ولم يبق لها سوى أَثَرِ كُوم ، تُوجد تحته الحِجَارَةُ الكبار ، وما حوَّلها هذا الكُوم صارَ مَزَارِعٌ من جملة أراضي مُنية السَّيِّح .
- قال ابنُ عبد الظاهر : وأما النَّاحُ فكان حوْلَه من^(b) البساتين عدَّة ، وأَعْظَمُ ما كان حوْلَه قُبَّةُ الهَوَاء ، وبعدها الخَمْسُ وُجُوه التي هي باقية الآن^(c).

١٠ منظرة الخمس الوجوه^(c)

- كانت أيضًا من مناظرهم التي يتزَّهون فيها ، وهي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها فَوْشٌ مُعدٌّ لها ، وبقي منها آثارٌ بناءً جليل على يَفْرِ مَسْجِدُ كان بها حَفْصَةُ أُوْجِه من الحمال الخشب التي تَتَوَلَّى الماء لِسْقِي البستان العظيم الوصف البديع الزُّيَّ البهيج الهَيَّجَة . والعائمة تقول :
- النَّاحُ ، والسَّبْعُ وُجُوه . إلى الآن .

- ١٥ ومَوْضِعُها إلى وقتنا هذا من أعظم مُفْتَرِجات القاهرة ، وَبُنِيَتْ هناك في أيام النُّيل عندما يعم تلك الأراضي البَشْنِين ^٢ ، تَقْنِيْنَ رُؤْيَه وتُبْهَجُ التُّفُوسَ نَضارُته وزينته ، فإذا نَضَبَ ماءُ النُّيل زُرِعَتْ تلك البَشْطَةُ قُرْطًا وَكثَانًا يقصر الوصف عن تعداد محسنه . وأدركت حَوْلَ الخَمْسِ الوجوه^(c) غُرُوسًا من نَحْلِ وغيره تُشْبِه أن تكون من بقايا البستان القديم ، وقد تلاشت الآن ^٤.

(a) بولاق : لها . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : وجوه .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٩٦ - ٩٨ . المنطقة المعروفة بِمَهْمَسَةِ غرب القاهرة .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٨ ، المقرئ : البشنين هو الثيلوفر .

^٤ يقع مجموع هذه المناظر التي أنشأها الوزير الفاطمي = مسودة المواعظ ٣١٩ ، ويحدد مواقع الناح وقبة الهواء اليوم

ثم إن السلطان الملك المؤيد شينغ الحمودي الظاهري، جدد عِمَارَةَ مَنْظَرَةِ فَوْقَ الْخَمْسِ
الرُّجُومِ، ابتدأ بِنَآءِهَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ١.

مَنْظَرَةُ بَابِ الْقُتُوحِ

وكان للخلفاء الفاطميين مَنْظَرَةٌ خَارِجَ بَابِ الْقُتُوحِ، وكان يومئذ ما خَرَجَ عَنِ بَابِ الْقُتُوحِ
بِرَاحًا فِيمَا بَيْنَ الْبَابِ وَبَيْنَ الْبَسَاتِينِ الْجُبُوشِيَّةِ. وكانت هذه الْمَنْظَرَةُ مُعَدَّةً لَجُلُوسِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا عِنْدَ
عَرُوضِ الْعَسَاكِرِ وَوَدَاعِهَا إِذَا سَارَتْ فِي الْبَرِّ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ٢.

قال ابنُ الْمَأْمُونِ: وفي هذا الشهر - يعني المحرم سنة سبع عشرة وخمسة مائة - وَصَلَتْ رُسُلُ
ظَهِيرِ الدِّينِ طُغْتَكِينِ صَاحِبِ دِمَشْقَ، وَأَقْبَى سُنْقُرُ صَاحِبِ حَلَبَ، بِكُتُبٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْآمِرِ
بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَإِلَى الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ إِلَى الْقَصْرِ، فَاسْتَدْعَوْا لَتَقْبِيلِ الْأَرْضِ كَمَا جَزَتْ الْعَادَةُ مِنْ إظهارِ
التَّجَمُّلِ ١٠.

وكان مَضْمُونُ الْكُتُبِ - بعد التَّصْدِيرِ وَالتَّقْطِيعِ وَالسُّؤَالِ وَالضَّرَاعَةِ - أَنَّ الْأَخْبَارَ تَنَظَّاهَرَتْ بِقِلَّةِ
الْفِرْنَجِ بِالْأَعْمَالِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ وَالتُّغُورِ السَّاحِلِيَّةِ، وَأَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ أَمْنَكْتَ فِيهِمْ وَاللَّهُ قَدْ أَذِنَ
بِهَلَاكِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ إِنْغَامَ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ وَعَوَائِدَ أَفْضَالِهَا، وَيَسْتَنْصِرُونَ بِقُوَّتِهَا، وَيَحْتَسِبُونَ
عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَقَطَعَ شَاقَّةَ الْكُفْرِ، وَتَجَهَّزَ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ وَالْأَسَاطِيلُ الْمُنْقَطِرَةُ،
وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَى التَّوَجُّهِ نَحْوَهُمْ لَعَلَّأ يَتَوَاصَلَ مَدَدُهُمْ، وَتَعَوَّدَ إِلَى الْقُوَّةِ شَوْكَهُمْ ١٥.

فَقَوِيَ الْعَزْمُ عَلَى التَّفَقُّعِ فِي الْعَسَاكِرِ فَارْسَهَا وَرَاجِلِهَا وَتَجَرِيدَهَا، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَرِيْمَةِ بِاحْضَارِ
الرِّجَالِ الْأَقْوِيَاءِ، وَابْتَدَأَ بِالتَّفَقُّعِ فِي الْفُرْسَانِ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ فِي قَاعَةِ الذُّهَبِ، وَأَخْضَرَ

(a) بولاق : الخمس وجوه. (b) النسخ وبولاق : دابر والمخت من مسودة المواظ.

de l'Égypte, pp. 477-82.

١ المقرئ: السلوك ٤: ٥٢٦، وأضاف أنه جعل ذلك
عوضاً عن قصور بيزياقوس وليسرح إليها كما كانت الملوك
تسرح إلى سرياقوس أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٤٩٤
وانظر فيما يلي ٢: ٤٢٢.

٢ المقرئ: مسودة المواظ ٣٢٣.

= الأفضل شاهنشاه وزير المستعلي والأمر بأحكام الله، على
الشاطئ الغربي للخليج المصري الذي حلَّ محله الآن بعد
ردمه سنة ١٨٩٦ شارع بورسعيد (الخليج المصري سابقاً) في
المسافة ما بين كوبري غفزة وشارع مصر والسودان وما بين
الوادي الكبير على التربة الإسماعيلية. وانظر عن المناظر التي
أنشأها الوزير الأفضل Fu'ad Sayyid, A., *La capitale*

الوزانون وصناديق المال، وأفرغت الأكياس على البساط. واستمر الحال بعد ذلك في الدار المأثومية، وتردد الرأي فيمن يتقدم، فوقع الاتفاق على حسام الملك البيزني، وأخضر مقدم الأساطيل الثانية لأن الأساطيل توجهت في الغزو، ولخلف عليه، وأمر بأن ينزل إلى الصناعتين بمصر والجزيرة، ويؤفق في أربعين شيئاً، ويكمل ثقايتها وعقدتها، ويكون التوجه بها صعبة العسكر.

وأنفق في عشرين من الأمراء للتوجه صعبته فكملت الثقة في الفارس والراجل، وفي الأمراء السائرين، وفي الأطباء والمؤذنين والقراء، ونذبت من الحجاب عدة، وجعل لكل منهم خدمة: فممنهم من يتولى خزانة الخيام، وشيّر معه من حاصيل الخزائن - يرسم صنفاء العسكر ومن لا يقدر على خيطة - خيم، ومنهم حاجب على خزائن السلاح. وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش لغرض العساكر، وفي كتاب الغزبان. وأخضر مقدمو الجذامين بالجفار^(٨)، وتقدم إليها بأنه من تأخر عن الغرض بعشقلان وقبض الثقة، فلا واجب له ولا إقطاع.

وكتب الكتب إلى المستخدمين بالثغور الثلاثة: الإسكندرية ودمياط وعشقلان، بإطلاق وإتياع ما يشتدعى يرسم الأسيطة على ثغر عشقلان للعساكر والغزبان من الأضناف والغلال، ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين.

وكتب الأجوبة عن كتبهم، وجهاز المال والخيل المذهبات، والأطواق والسيوف والمناطق الذهب، والخيل بالمرابك الخيل الثقيل وغير ذلك من التجهيزات. ولخلف على الرسل، وأطلق لهم التشفير^(٩)، وسلمت إليهم الكتب والتذاكير، وتوجهوا صعبة العسكر.

وزكب الخليفة الأمر بأحكام الله إلى باب الفتوح ونزل بالمنظرة، واستدعى حسام الملك وخلع عليه بذلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب، وقلده ومنطقه بمثل ذلك. ثم قال الوزير المأمون للأمراء، بحيث يشجع الخليفة: هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها، وما وعد به أنجزته، وما قرره أمضته فقبلوا الأرض، وخرجوا من بين يديه.

وسلم متولى بيت المال وخزائن الكشوة لحسام الملك الكتب بما ضمته الصناديق من المال وأعدال الكشوات، وحملت قدامه.

وَفُتِحَتْ طَائِقُ^(a) الْمُنْظَرَةِ ، فَلَمَّا شَاهَدَ الْعَسَاكِرُ الْخَلِيفَةَ قَبَلُوا الْأَرْضَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِالتَّوَجُّهِ ، فَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ . وَرَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجَامِعِ بِالْمَقْسِ وَجَلَسَ بِالْمُنْظَرَةِ ، وَاسْتَدْعَى مُقَدِّمَ الْأُسْطُولِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَاتَّحَدَرَتْ الْأَسَاطِيلُ مَسْخُوتَةً بِالرِّجَالِ وَالْعُدَّةِ^١ .

مَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةِ

• وكان من مجملّة مناظر الخلفاء مَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةِ فِي السَّاحِلِ الْقَدِيمِ مِنْ مِصْرَ ، يَجْلِسُ بِهَا الْخَلِيفَةُ تَارَةً حَتَّى تُقَدِّمَ لَهُ الْعُشَارِيَّاتُ ، فِيرْكَبُهَا وَيَسِيرُ لِلْمِقْيَاسِ حَتَّى يُخْلُقَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِنْدَ الْوَفَاءِ . وَكَانَ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ دِيْوَانُ الْقِمَائِرِ^٢ .

وَأُنْشِأَ هَذِهِ الْمُنْظَرَةُ - وَالصَّنَاعَةُ الَّتِي هِيَ فِيهَا - الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ ، وَلَمْ تَزَلْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ ، وَدِهْلِيْزُهَا مَا ذُو بِمَسَاطِبَ مَقْرُوشَةٍ بِالْحَضَرِ الْعَبْدَانِيِّ بَشْطًا وَتَأْزِيرًا . وَقَدْ خَرِبَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَالْمُنْظَرَةُ ، وَصَارَ مَوْضِعُهَا الْآنَ بُشْتَانًا كَانَ يُعْرَفُ بِبُشْتَانِ ابْنِ كَهْسَانَ ، وَيُعْرَفُ فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ الْآنَ بِبُشْتَانِ الطَّوَّاشِي ، وَهُوَ بِأَوَّلِ مَرَاغَةِ مِصْرَ تَحَاةَ غِيْطِ الْجُوفِ ، عَلَى يَمْنَانِ مِنْ يَمْنَانِكَ مِنَ الْمَرَاغَةِ يُرِيدُ الْكِبَارَةَ وَبَابُ مِصْرَ^٣ .

قَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ : وَكَانَتْ جَمِيعُ مَرَاكِبِ الْأَسَاطِيلِ مَا تُنْشَأُ إِلَّا بِالصَّنَاعَةِ الَّتِي بِالْجَزِيرَةِ ، فَأُنْكَرَ الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِأَنْ يَكُونَ إِنْشَاءُ الشَّوَانِي^٤ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَرَاكِبِ الثَّلَاثَةِ الدَّيْوَانِيَةِ بِالصَّنَاعَةِ بِمِصْرَ ، وَأُضَافَ إِلَيْهَا دَارُ الرَّيِّبِ ، وَأُنْشِأَ الْمُنْظَرَةُ بِهَا ، وَاسْمُهُ بَاقِي إِلَى الْآنَ عَلَيْهَا . وَقَصَدَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُحَلُولُ الْخَلِيفَةِ يَوْمَ تَقْدِيمَةِ الْأَسَاطِيلِ وَرَمِيهَا بِالْمُنْظَرَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُنْشَأُ مِنَ الْحَرَابِي^(b) وَالشَّلَنْدِيَّاتِ^٥ فِي الصَّنَاعَةِ بِالْجَزِيرَةِ .

(a) بولاق : طاقات . (b) بولاق : الحراني .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ٦٠ - ٦٢ : المقرئ : مسودة المواظع ٣٢٣ - ٣٢٥ .
^٢ الشيني . انظر فيما تقدم ٥٦٣ هـ .
^٣ عن بستان الطواشي انظر فيما يلي ١٣٣ ، ١٩٧ .

^٤ الحرابي والحرابية (جـ . حرابي وحرابات) نوع من المراكب الحربية التي استخدمها الفاطميون منذ كانوا بإفريقية ونقلوها معهم إلى مصر (التخيلي : السفن الإسلامية ٣٧ - ٤٠) .
^٥ الشلندي جـ . الشلنديات . ذكر ابن مماتي (قوانين =
^٦ انظر عن هذا الديوان الذي يعرف أيضًا بديوان الجهاد ، ابن الطوير : نزعة المقتل ٩٤ - ١٠٠ ، المقلشندي : صبح ٣ : ٥١٩ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٠ - ٧٤٢ ، وفيما يلي ٥٧١ ، ١٩٣ : ٢ .

قَالَ: وَلَمَّا وَفَى الثَّيْلُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى الصَّنَاعَةِ بِمِصْرَ، وَرُيِّتَ الْعُشَارِيَّاتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، ثُمَّ عَدَّيَا فِي إِحْدَاهَا إِلَى الْمِقْيَاسِ^١.

وَقَالَ ابْنُ الطَّوِيلِ: الْحِذْمَةُ فِي «دِيوان الجِهَاد»^٢ - وَيُقَالُ لَهُ «دِيوانُ الْعَمَائِر» - وَكَانَ مَحَلُّهُ بِصِنَاعَةِ الْإِنِّشَاءِ بِمِصْرَ لِلْأَسْطُولِ وَالْمَرَائِبِ الْحَامِلَةِ لِلْعَلَّاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْأَخْطَابِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَتْ تُزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ عُشَارِيًّا، وَبِلَيْهَا عَشْرُونَ دِيْمَاسًا/، مِنْهَا عَشْرَةٌ يَرْسُمُ خَاصَّ الْخَلِيفَةَ أَيَّامَ الْحَلِيجِ وَغَيْرِهَا. وَلِكُلِّ مِنْهَا رَئِيسٌ وَتَوَاتِي لَا يَرْحُونَ يُتَّفَقُ فِيهِمْ مِنْ مَالِ هَذَا الدِّيوانِ.

٤٨٣:١

وَبَقِيَّةُ الْعُشَارِيَّاتِ الدِّيَامِيسُ يَرْسُمُ وَلَاةَ الْأَعْمَالِ الْمُحَرِّةِ، فَهِيَ تُجَرَّدُ لَهُمْ، وَيُتَّفَقُ فِي رُؤُسَائِهَا وَرِجَالِهَا أَتَمًّا كَانُوا مِنْ مَالِ هَذَا الدِّيوانِ، وَتَقِيمُ مَعَ أَحَدِهِمْ مُدَّةَ مَقَامِهِ، فَإِذَا حُصِرَ عَادَ فِيهِ، وَخَرَجَ الْمُتَوَلَّى الْجَدِيدُ فِي الْعُشَارِيِّ الْمُرْسِيِّ بِالصَّنَاعَةِ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِتَوْقِيعِ بِإِطْلَاقِهِ وَالْإِتِّفَاقِ فِيهِ، وَلِلْمُشَارِفِينَ بِالْأَعْمَالِ عُشَارِيَّاتٌ دُونَ هَذِهِ.

وَفِي هَذَا الدِّيوانِ، يَرْسُمُ خِذْمَةَ مَا يَجْرِي فِي الْأَسَاطِيلِ، نَائِيَانِ مِنْ قِبَلِ مُقَدِّمِ الْأَسْطُولِ، وَفِيهِ مِنَ الْخَوَاصِلِ لِعِمَارَةِ الْمَرَائِبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَإِذَا لَمْ يَفِ ارْتِفَاعُهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ اسْتَدْعَى لَهُ مِنْ يَتِّتِ الْمَالِ مَا يَسُدُّ خَلْلَهُ^٣.

قَالَ: وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِهِمْ احْتِفَالُهُمْ بِالْأَسَاطِيلِ وَالْأَجْنَادِ، وَمُواصَلَةُ إِنِّشَاءِ الْمَرَائِبِ بِمِصْرَ وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَدِيْمَاطِ، مِنَ الشُّوَانِي الْخَرِيبَةِ، وَالشُّلُنْدِيَّاتِ^٤ وَالْمُسْطَحَّاتِ^٥.

الدَّوَابِ ٣٤٠) أَنَّهُ مَرَكَبٌ مُسَقَّفٌ تَقَاتِلُ الْفُرَاةَ عَلَى ظَهْرِهَا وَاجْتِدُونَ يَجِدُونَ تَحْتَهُمْ، وَهِيَ تَعَادِلُ فِي أَهْمِيَّتِهَا الشُّونَةَ وَالْحَوَاقَّةَ. عَرَفَهَا الْأَوْرُوبِيُّونَ وَهِيَ فِي اللَّاتِينَةِ Chelandium وَخَرَفَهَا الْعَرَبُ عَنْهُمْ فَقَالُوا أَيْضًا: صَنَدَلٌ وَتَقْلُوهُ عَنِ الْبِيْزَنْطِيِّينَ (دُرُوشِ النَّحِيلِيِّ: السَّفْنُ الْإِسْلَامِيَّةُ ٧٨-٨١) أَيْمَنُ فَوَادٍ: الدَّوَلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ (٧٤٤).

^١ ابْنُ الْمَأْمُونِ: أَخْبَارُ مِصْرَ ١٠٠-١٠١.

^٢ اسْتَحْدَثَ هَذَا الدِّيوانُ الْوَزِيرُ الشُّيْ رِضْوَانُ بْنُ وَحْشِي فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٥٣١هـ / ١١٣٧م (ابْنُ مِيسَرٍ: أَخْبَارُ مِصْرَ ١٢٨-١٢٩) الْمَقْرِزِيُّ: انْتِظَارُ الْخَفَا ٣: ١٦٣، أَيْمَنُ وَذَكَرَ الْمَقْرِزِيُّ (فِيْمَا يَلِي) أَنَّ عَدَدَ مَرَائِبِ الْأَسْطُولِ =

فَوَادٍ: الدَّوَلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ٧٤٠-٧٤٢). وَأَوْرَدَ الْفَلَقْشَنْدِيُّ: صَبِيحُ الْأَعْيُنِ ١٠: ٤٠٦-٤١٦ نَسْخَةً تَقْلِيدَ لِلْإِمَارَةِ عَلَى الْجِهَادِ صَادِرَةً عَنْ أَحَدِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ.

^٣ ابْنُ الطَّوِيلِ: نَزْهَةُ الْمُقْلَتَيْنِ ٩٤-٩٥، ابْنُ الْفَرَاتِ: تَارِيخُ الدَّوَلِ وَالْمُلُوكِ ١/٤: ١٤٩، الْفَلَقْشَنْدِيُّ: صَبِيحُ ٣: ٤٩٢.

^٤ الشُّوَانِي، انْظُرْ فِيْمَا تَهْدُمُ ٥٦٣هـ^١.

^٥ الشُّلُنْدِيَّةُ ج. الشُّلُنْدِيَّاتُ. انْظُرْ هـ ٦: صَفْحَةُ ٥٧٠.

^٦ الْمُسْطَحَّاتُ ج. مُسْطَحَّاتٌ. نَوْعٌ مِنَ السَّفَنِ الْخَرِيبَةِ الْكَبِيرَةِ يَشْبَهُ بِالشُّلُنْدِيِّ، كَانَ يَسْعُ نَحْرَ خَمْسِمِائَةِ رَاكِبٍ. وَذَكَرَ الْمَقْرِزِيُّ (فِيْمَا يَلِي) أَنَّ عَدَدَ مَرَائِبِ الْأَسْطُولِ =

[وإنفاذها]^(a) إلى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم ، مثل صور وعكا وعسقلان^١.

وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة : منهم عشرة أغنيان^(b) يقال لهم : « القواد » واجدهم « قائد »^(b) تصل جامكية كل منهم إلى عشرين ديناراً ، ثم إلى خمسة عشر ، ثم إلى عشرة دنانير ، ثم إلى ثمانية ، ثم إلى دينارين وهي أقلها . ولهم إقطاعات تُعرف بـ « أبواب الغزاة » بما فيه من النطرون ، فيصل دنائهم بالنسبة إلى نصف دينار وحواليه . ويُعَيَّن من هؤلاء القواد العشرة من يقع الإجماع عليه لرئاسة الأسطول المتوجه للغزو^(c) ، فيكون معه المقدم^(d) والفائوس ، وكلهم يَهْتَدُونَ به ، ويُقْلَعُونَ بِأَقْلَاعِهِ ، وَيُؤَسِّنُونَ بِإِرْسَائِهِ .

وَيَقْدُم على الأسطول أمير كبير من أغنيان الأمراء وأقواهم نفساً و^(d)جنائنا ، ويتولى الثقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير ؛ فإذا أراد الثقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة - وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شيئاً ، وعشر حُمالات^(e) - فيتقدم إلى الثقباء بإحضار الرجال ، ويستمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة ، فيدخل إليها . ولهم المشاهرة والجرابات المشتهرة^(f) مدة أيام الشفر ، وهم معروفون عند عشرين نقيتاً ، ولا يتعرض أحدًا أحدًا إلا مَنْ رَغِبَ في ذلك من نفسه .

فإذا اجتمعت العدة المغلفة للمراكب المطلوبة ، أَعْلَمَ المقدم بذلك الوزير ، فطالع الخليفة بالخال ، وقرَّر يوم للثقة ، فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة . فيجلس الخليفة على هَيْئَتِهِ في مجلس ، ويجلس الوزير في مكانه ، ويحضر صاجبا ديوان الجيش وهما المستوفي ، وهو أَمِيرُهُمَا^(g) ، ويجلس داخل عتبة المجلس - وهذه رُبَّةٌ له مُمَيَّزَةٌ - وكاتب الجيش الأضل ويجلس

(a) زيادة يستقيم بها المعنى . (b-b) إضافة مما يلي ١٩٣ : ٢ . (c) مسودة المواظ : أسطول الغزو . (d) زيادة من مسودة المواظ . (e) النسخ وبولاقي : حمالة والتصويب من المسودة . (f) بولاقي : المقررة . (g) بولاقي : أميرهما .

^٢ حمالة جد . حمالات . من مراكب الثقل المخصصة في الأساس لنقل الغلال ، وتضاف كذلك إلى ملحقات الأسطول العربي لتقوم بنقل مونة الجيش وأزواده . وكانت الواحدة منها تسع ١٢٥ رجلاً ، وكانت الحمالات تستخدم كذلك في حمل الحبوب (درويش النخيلي : المرجع السابق ٤٠-٤١) .

= الفاطمي في آخر عهده بلغت خمسة وسبعين شيئاً وعشر مُسَطَّحات وعشر حمالات . وعرف المسلمون والفرنج في العصور الوسطى هذا الضرب من السفن واستعملوه في مياه البحر المتوسط . (النخيلي : السفن الإسلامية ١٤١-١٤٣) .
أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية (٧٤٤) .

^١ انظر كذلك فيما يلي ١٩٣ : ٢ .

بجانبه تحت العتبة على حُضْبٍ مغروشة بالقاعة . ولا يخلو المُسْتَوْفِي أن يكون عدلاً ، أو من أعيان الكُتَّاب المسلمين . وأما كَاتِبُ الْجَيْش فيهِودِيٌّ فِي الْأَغْلَبِ !

وَيُفَرِّشُ أَمَامَ الْمَجْلِسِ أَنْطَاعَ تُصَبُّ عَلَيْهَا الدَّرَاهِمُ ، وَيَحْضُرُ الْوَزَّانُونَ يَبْتَئِ الْمَالُ بِذَلِكَ . فَإِذَا تَهَيَّأَ الْإِنْفَاقُ أُذْخِلَ الْقَابِضُونَ مِائَةَ مِائَةٍ ، وَيَقْفُونَ فِي آخِرِ الْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ بِقَاعَةٍ ، وَتَكُونُ أَسْمَاؤُهُمْ قَدْ رُتِبَتْ فِي أَوْرَاقٍ لَا سَدْعَاءَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ وَيَسْتَدْعِي مُسْتَوْفِي الْجَيْشِ مِنْ تِلْكَ الْأَوْرَاقِ ^(أ) الْمُتَّفَقَ عَلَيْهَا ^(ب) وَاحِدًا وَاحِدًا ، فَإِذَا خَرَجَ اسْمُهُ غَبَرَ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ إِلَى الْجَانِبِ الْخَالِي ، فَإِذَا تَكَمَّلَ عَشْرَةُ رِجَالٍ وَزَنَ الْوَزَّانُونَ لَهُمُ الثَّقَقَةَ - وَكَانَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ خَمْسَةُ دِينَائِرٍ ، صَرَفَ كُلُّ دِينَارٍ سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا - فَيَسْلُمُهَا ^(ب) التَّقِيبُ ، وَتُكْتَبُ بِيَدِهِ وَبِاسْمِهِ وَتَمْضِي الثَّقَقَةُ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِهَا .

فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، رَكِبَ الْوَزِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ ، وَانْقَضَ ذَلِكَ الْجَمْعُ ، فَيَحْتَمِلُ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ مِائَتَةً يُقَالُ لَهَا «عَدَاءُ الْوَزِيرِ» ، وَهِيَ سَبْعُ مَخَفِيَّاتٍ ^(ج) أَوْسَاطُ ، إِحْدَاهَا بَلْعَمُ دَجَاجٍ وَقُشْتُقٍ وَالبَقِيَّةُ مِنْ شِوَاءٍ ، وَهِيَ مَكْمُورَةٌ بِالْأَزْهَارِ ، فَتَكُونُ هَذِهِ عِدَّةُ أَيَّامٍ تَارَةً مُتَوَالِيَةً وَتَارَةً مُتَفَرِّقَةً . فَإِذَا تَكَمَّلَتِ الثَّقَقَةُ ، وَتَجَهَّزَتِ الْمَرَائِكِبُ وَتَهَيَّأَتِ لِلْمَقَرِّ ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى سَاحِلِ الْمَقْسِ ^١ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي طَلْحٍ أَنَّ الْمِيرْزَةَ لَدِينِ اللَّهِ أَنْشَأَ سِتَّةَ مَرَكَبٍ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا فِي الْبَحْرِ عَلَى مَدِينَةٍ ، وَغَمِلَ دَارَ صِنَاعَةٍ بِالْمَقْسِ ^٢ .

دَارُ الْمَلِكِ

وَكَانَ مِنْ مَجْمَلَةِ مَنَاطِرِهِمْ دَارُ الْمَلِكِ بِمِصْرَ ، وَهِيَ مِنْ إِنْشَاءِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ . ابْتَدَأَ فِي بِنَائِهَا وَإِنْشَائِهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِ مِائَةٍ ، فَلَمَّا كَمَلَتْ تَحَوَّلَ إِلَيْهَا مِنْ دَارِ الْقِبَابِ بِالْقَاهِرَةِ وَسَكَنَهَا ، وَخَوَّلَ إِلَيْهَا الدَّوَابِينَ مِنَ الْقَصْرِ فَصَارَتْ بِهَا ، وَجَعَلَ فِيهَا الْأَسْمِطَةَ ، وَاتَّخَذَ بِهَا مَجْلِسًا سَمَاءَ «مَجْلِسِ الْقَطَايَا» كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ .

(a-b) زيادة من مسودة الواضع . (b) المسودة : فيسلمها لهم . (c) النسخ و بولاق : مجنقات والمكتب من المسودة .

^١ ابن الطوير : نزهة ٩٥-٩٨ القريزي : مسودة ١٩٣:٢ ، بلي ١٩٣:٢ ، وقارن مع القلقشندي : صبح ٥١٩:٣ .
^٢ القريزي : مسودة الواضع ٢٩٩-٢٩٧ ، وانظر فيما تقدم ٥٧٠-٥٧١ وفيما

فلما قِيلَ الْأَفْضَلُ صَارَتْ دَارُ الْمُلْكِ هَذِهِ مِنْ جَمَلَةِ مَتَرُهَا الْخَلَفَاءِ، وَكَانَ بِهَا بُشْتَانٌ عَظِيمٌ، وَمَا زَالَتْ عَظِيمَةً إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ، فَجَعَلَهَا الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ دَارَ مَتَجَرٍّ، ثُمَّ عُيِّلَتْ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبُرسُ الْبَنْدُوقْدَارِي دَارَ وَكَائَةٍ. وَمَوْضِعُ دَارِ الْمُلْكِ مَا وَرَاءَ رَحْبَةِ الْخُرُوبِ بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ الْمُعْرِزِيَّةِ، وَبَقِيَ مِنْهَا جِدَارٌ يَجْلِسُ تَحْتَهُ يَتَاوَعُونَ الْحَيَاءَ^١.

قال ابن المأمون: ومن جملة ما قَوَّرَهُ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ تَعْظِيمِ الْمَمْلُوكَةِ، وَتَفْخِيمِ أَمْرِ السُّلْطَنَةِ، أَنَّ/ الْمَجْلِسَ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْأَفْضَلُ بِدَارِ الْمُلْكِ يُسَمَّى «مَجْلِسَ الْعَطَايَا»^٢، فَقَالَ الْقَائِدُ: مَجْلِسٌ يُدْعَى بِهَذَا الْأَسْمِ مَا يُشَاهَدُ فِيهِ دِينَارٌ يُدْفَعُ لِمَنْ يَشَاءُ! وَأَمَرَ بِتَفْصِيلِ ثَمَانِيَةِ ظُرُوفٍ دِينَارٍ أَطْلَسَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ اثْنَيْنِ، وَجَعَلَ فِي سَبْعَةٍ مِنْهَا خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فِي كُلِّ ظَرْفٍ خَمْسَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ سَكَبَ، وَبِطَاقَةٍ يُوَزَنُهُ وَعَدَدُهُ وَشَوَابَةُ خَرِيرٍ كَبِيرَةٍ: مِنْ ذَلِكَ سِتَّةَ ظُرُوفٍ دَنَانِيرَ بِالصُّوْبَةِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ فِي مَجْلِسِ الْعَطَايَا الَّذِي يَرْسُمُ الْجُلُوسَ، وَعِنْدَ مَرْتَبَةِ الْأَفْضَلِ بَقَاعَةُ اللَّوْلُؤَةِ ظُرُوفَانِ: أَحَدُهُمَا دَنَانِيرَ، وَالْآخَرُ دَرَاهِمَ مُجَدَّدَ. فَالَّذِي فِي اللَّوْلُؤَةِ يَرْسُمُ مَا يَشْتَدِعِيهِ الْأَفْضَلُ إِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرَمِ. وَأَمَّا الَّذِي فِي مَجْلِسِ الْعَطَايَا فَإِنَّ جَمِيعَ الشُّعْرَاءِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ وَلَا فِيمَا قَبْلَهَا عَلَى الشُّعْرِ جَارٍ؛ وَأَمَّا كَانَ لَهُمْ، إِذَا اتَّفَقَ طَرِبُ السُّلْطَانِ وَاسْتَحْسَانُهُ لِشِعْرِ مَنْ أُنْشِدَ مِنْهُمْ، مَا يُسَهِّلُهُ اللَّهُ عَلَى مُحْكَمِ الْجَائِزَةِ. فَرَأَى الْقَائِدُ أَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنَ الظُّرُوفِ. وَكَذَلِكَ مِنْ يَتَضَرَّعُ وَيَسْأَلُ فِي طَلَبِ صَدَقَةٍ أَوْ يُنْعَمَ عَلَيْهِ ابْتِدَاءً بِغَيْرِ سُؤَالٍ يُخْرِجُ ذَلِكَ مِنَ الظُّرُوفِ. وَإِذَا انْصَرَفَ الْحَاضِرُونَ نَزَلَ الْقَائِدُ الْمُبْلَغَ بِخَطِّهِ فِي الْبِطَاقَةِ، وَيَكْتُبُ عَلَيْهِ الْأَفْضَلُ بِخَطِّهِ «صَحَّحَ»، وَيُعَادُ إِلَى الظُّرُوفِ وَيُخْتَمَ عَلَيْهِ.

فلما استهلَّ رَجَبُ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَجَلَسَ الْأَفْضَلُ فِي «مَجْلِسِ الْعَطَايَا» عَلَى عَادَتِهِ، وَخَضَرَ الْأَجَلُ الْمُظَفَّرُ أَخُوهُ لِلْهَنَاءِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَشَاهَدَ الظُّرُوفَ، وَالْقَائِدُ وَوَلَدُهُ وَأَخُوهُ قِيَامَ عَلَى رَأْسِهِ، وَتَقَدَّمَ الشُّعْرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ - أَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِجَائِزَةٍ. وَشَاعَ خَبَرُ

^١ ابن مسير: أخبار مصر ٧٦-٧٧؛ التوحي: نهاية الأرب ٢٧٤:٢٨-٢٧٥؛ المغري: انعاظ ٣:٣٧؛ أبو المحاسن: النجوم ٩٢:٤هـ.

ولم تزل المدرسة المعزية التي أنشأها الملك للمعز أبيك الركناني في سنة ٦٥٤ خارج حدود دار الملك معروفة،
^٢ انظر كذلك عن مجلس العطايا فيما تقدم ٤١٩.

الظُروف ، وَكَثُرَ الْقَوْلُ فِيهَا ، وَاسْتُعْظِمَ أَمْرُهَا ، وَضُرِعَتْ مَبْلُثُهَا . وَاتَّسَعَ هَذَا الْإِنْعَامُ بِالصَّدَقَاتِ الْجَارِي بِهَا الْعَادَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ لِنُفْقَاءِ مِصْرَ وَالرِّبَاطَاتِ بِالْقَرَاءَةِ وَقَفَرَاتِهَا^١ .

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ ، وَقَدْ ذَكَرَ رُكُوبَ الْخَلِيفَةِ فِي أَوَّلِ الْعَامِ وَحُضُورَ الْعُرَّةِ : وَلَا يَنْقَطِعُ^(أ) الرُّكُوبُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْعَامِ ، فَيَرْكَبُونَ فِي أَحَادِ الْأَيَّامِ إِلَى أَنْ يَكْمُلَ شَهْرٌ ، وَلَا يَتَعَدَّى ذَلِكَ يَوْمِي السَّبْتِ وَالثَّلَاثَةِ . فَإِذَا عَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الرُّكُوبِ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْأَيَّامِ أَهْلَمَ بِذَلِكَ - وَعَلَانَتُهُ - إِنْفَاقَ الْأُسْلُحَةِ فِي صِيَانِ الرُّكَّابِ مِنْ خِزَانَةِ السَّلَاحِ خَاصَّةً دُونَ مَا سِوَاهَا ، وَأَكْثَرَ ذَلِكَ إِلَى مِصْرَ - وَيَرْكَبُ الْوَزِيرُ صُحْبَتَهُ مِنْ وَرَائِهِ عَلَى أَخْصَرِ مِنَ النِّظَامِ الْمُتَقَدِّمِ - يَعْنِي فِي رُكُوبِ أَوَّلِ الْعَامِ - وَأَقْلَ جَمْعٍ ، فَيُخْرَجُ شَاقًّا الْقَاهِرَةَ وَشَوَارِعَهَا عَلَى الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ عَلَى الْمَشَاهِدِ^٢ ، إِلَى دَرْبِ الصَّفَا - وَيُقَالُ لَهُ : «الشارع الأعظم» - إِلَى دَارِ الْأَحْمَاطِ إِلَى الْجَامِعِ الْقَتِيقِ^٣ .

- ١٠ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِهِ ، وَجَدَ الشَّرِيفَ الْخَطِيبَ قَدْ وَقَفَ عَلَى مَسْطَبَةٍ بِجَانِبِهِ فِيهَا مِخْرَابٌ ، مَفْرُوشَةٌ بِخَضِرٍ مُتَعَلِّقٌ عَلَيْهَا سِجَّادَةٌ ، وَفِي يَدِهِ الْمُضْخَفُ الْمُنْسُوبُ خَطُّهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مِنْ حَاصِلِهِ ؛ فَإِذَا وَازَاهُ وَقَفَ فِي مَوْضِعِهِ وَنَازَلَهُ الْمُضْخَفُ مِنْ يَدِهِ ، فَيَتَسَلَّمُهُ مِنْهُ وَيَقْبَلُهُ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ مِرَازًا ، وَيُعْطِيهِ صَاحِبُ الْخَرِيطَةِ الْمُرْسُومَةِ لِلصَّلَاتِ ثَلَاثِينَ دِينَارًا ، وَهِيَ رَسْمُهُ مَتَى اجْتَنَازَ بِهِ ، فَيُؤَصِّلُهُ الشَّرِيفُ إِلَى مُشَارِفِ الْجَامِعِ ، فَيَكُونُ نَصِيبُهُمَا مِنْهَا خَمْسَةُ عَشَرَ دِينَارًا ، وَالْبَاقِي لِلْقَوَّةِ وَالْمُؤَدِّينَ دُونَ غَيْرِهِمْ . وَيَسِيرُ إِلَى أَنْ يَصِلَ دَارَ الْمُلْكِ فَيَتَزَلَّهَا وَالْوَزِيرُ مَعَهُ . وَمِنْذَ يُخْرَجُ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى دَارِ الْمُلْكِ ، لَا يَمُرُّ بِمَسْجِدٍ إِلَّا أُعْطِيَ قِيَمَتُهُ مِنَ الْخَرِيطَةِ دِينَارًا .

- ١٥ فَلَا يَزَالُ بَدَارُ الْمُلْكِ نَهَارَهُ ، فَتَأْتِيهِ الْمَائِدَةُ مِنَ الْقَصْرِ ، وَجِدَّتْهَا خَمْسُونَ شِدَّةً عَلَى رَعُوسِ الْقَرَّاشِينَ مَعَ صَاحِبِ الْمَائِدَةِ^٤ - وَهُوَ أَشْتَادُ بَجَلِيلٍ غَيْرُ مُحَنَّكَ - وَكُلَّ شِدَّةٍ فِيهَا طَيِّفُورٌ فِيهَا الْأَوَانِي الْخَاصَّةُ ، وَفِيهَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ شَبَّهٍ وَكُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْمَطَايِمِ الْعَالِيَةِ ، وَلَهَا رُؤَاةٌ وَرَائِحَةُ الْمِشْكِ فَائِحَةٌ مِنْهَا ، وَعَلَى كُلِّ شِدَّةٍ طَرِخَةٌ خَرِيرٌ تَعْلُو الْقَوَارِةَ الَّتِي هِيَ الشُّنْذَةُ . فَيَحْتَمِلُ إِلَى

(أ) النسخ وبولاق : وينقطع ، والمثبت من المسودة .

^١ ابن المأمون : أخبار مصر ١٠١ - ١٠٢ . موضع آخر (فيما يلي ١٤٣:٢) ، أما ابن المأمون فسأه

^٢ المشاهد . انظر فيما تقدم ٥٢٥ . متولِّي المائدة ، وذكر أن متولِّي المائدة في زمن الخليفة الأمر

^٣ الشارع الأعظم ، انظر فيما تقدم ٨٦ . كان يدعى وفي الدولة إسعاف (فيما تقدم ١٢: ٣٦٣) ،

^٤ صاحب المائدة هكذا أطلق عليه أيضًا ابن الطوير في ٤٨٧ : ١٧ ، ٥٤٤ : ١٦ ، ٤٥٤ ، ٤٧٣ .

الوزير منها جزء وإير، ولمن صحبته وللأمرء ولكافة الحاضرين في الخدمة، ويصل منها إلى الناس بمصر من بعضهم بعضاً شيئاً عظيماً^(٨).

ولا يزال إلى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلي، ويتحرك إلى القود إلى القاهرة، والناس في طريقه لتظّره، فيركب وزيه في هذه الأيام أنه تلبس الثياب المذهبّة البيضاء والملونة، والمنديل من النسبة، وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس، وذواته مؤخاة من جانبه الأيسر، ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير خنك ولا مظلة ولا يميته، فإن ذلك في أوقات مخصوصة.

ولا يمر أيضاً بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالشاحل إلا ويغطي قيمته ديناراً أيضاً كما تجزى في الزواح، وينعطف من الخوق^(٩) ويدخل من باب زويلة، شاقاً القاهرة حتى يدخل القصر، فيكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان إما أوتى عزات أو خمس عزات^(١٠).

ومن شعر الأشعد أشعد بن مهذب بن زكريا بن أبي مليح بما في دار الملك هذه^(١١):

[الطويل]

خللت بدار الملك والنيل آخذ
بأطرافها والمؤج يوسعها ضرتا
فحيلته قد غار لنا وطقتنا
عليها فأضحى عند ذاك لها حوتنا

منازل العرة

١٥ / بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز^(١٢)، ولم يكن بمصر أحسن منها، وكانت مبطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظره. وما زال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها، وكانت معتدة لثقتهم، وكان بجوارها حشام، ولها منها باب، وموضعها الآن مدرسة تُعرف بالمدرسة الثقوية؛ منسوبة للملك المظفر تقي الدين غمر^(١٣) ابن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي^(١٤).

(a) بولاق: كثير. (b) بولاق: باب الحرف. (c) بولاق: عمرو.

^١ ابن الطوير: نزعة ١٦٨-١٧١، وقارن مع ^٢ عن السيرة تغريد أم العزيز بالله بنار، وتدعى كوزان القلقشندي: صبح ٥١٧:٣، أبي الحسن: النجوم (انظر فيما يلي ٥٨٠:٢، ٣١٨).

^٤ اشترى الملك المعظم تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل ٩١:٩٢-٩٢.

^٢ وردت هذه الأبيات عند الإبريسي: أنوار علوي العز بمصر في شعبان سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م (أبو الحسن: الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤. النجوم ٣٨٦:٥)، بعد أن أنزله بها السلطان صلاح الدين=

الهودج

وكان من مُتَنَزِّهاتهم العظيمة البناء الغربية البديعة الرُّي، بناءً في جزيرة المُسطاط - التي تُعرف اليوم بالروضة - يُقال له : «الهودج». بناء الخليفة الأمير بأحكام الله لحيوته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار، وكان يتردد إليه كثيرًا، وقيل وهو مُتَوَجِّه إليه^١، وما زال مُتَنَزِّهاً للخلفاء من بعده.

قال ابن سَعيد في كتاب «المُحَلَّى بالأشعار» : قال القُرطبي في تاريخه : تَذَاكُرُ النَّاسُ فِي حَدِيثِ الْبَدْوِيَّةِ وَابْنِ مَيْيَاحٍ مِنْ بَنِي عَمَّهَا ، وَمَا يَتَّعَلَقُ بِذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَمِيرِ ، حَتَّى صَارَتْ رَوَايَاتُهُمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ كَأَحَادِيثِ الْبَطَالِ وَأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَالْاِخْتِصَارُ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ كَانَ قَدْ تَلَّى بِمَشْرِقِ الْجَوَارِي الْعَرَبِيَّاتِ ، وَصَارَتْ لَهُ عُيُونٌ بِالْبَوَادِي . فَبَلَغَهُ أَنَّ جَارِيَةً بِالصَّعِيدِ مِنْ أَكْمَلِ الْعَرَبِ وَأَطْرَفِهِمْ شَاعِرَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ تَرَبَّيًّا بِزَيِّ بُدَاةِ الْأَغْرَابِ ، وَكَانَ يَجُولُ فِي الْأَحْيَاءِ ، إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى حَيِّهَا ، وَبَاتَ هُنَاكَ فِي ضَائِفَةٍ ، وَتَحَيَّلَ حَتَّى عَاتَيْهَا هُنَاكَ ، فَمَا مَلَكَ صَبْرُهُ ، وَرَجَعَ إِلَى مَقَرِّ مُلْكِهِ ، وَأُرْسِلَ إِلَى أَهْلِهَا يَخْطُبُهَا وَتَزَوُّجَهَا .

فَلَمَّا وَصَلَتْ صَغَبَ عَلَيْهَا مُفَارَقَةُ مَا اعْتَادَتْهُ ، وَأَحْبَبَتْ أَنْ تُشْرَحَ طَرَفُهَا فِي الْفَضَاءِ وَلَا تَنْقَبِضَ نَفْسُهَا تَحْتَ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ . فَبَنَى لَهَا الْبِنَاءَ الْمَشْهُورَ فِي جَزِيرَةِ الْمُسْطَاطِ الْمَعْرُوفِ بِالْهُودَجِ ، وَكَانَ غَرِيبَ الشَّكْلِ ، عَلَى شَعْلِ النَّيْلِ^٢.

وبقيت متعلقة الخاطر بآبن عَمَّ لها رُئِيت معه يُعْرِفُ بِآبن مَيْيَاحٍ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ مِنْ قَصْرِ الْأَمِيرِ :

[الرملة]

يا ابن مَيَّاح إِلَيْكَ الْمُشْتَكَى مَا لَكَ مِنْ بَعْدِكُمْ قَدْ مُلِكََا

= (أبو الهاسن : النجوم الزاهرة ٣٨٦:٥ هـ^١).

^١ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٨٥.

^٢ كتاب «المُحَلَّى بالأشعار» لابن سعيد لم يصل إلينا؛

وانظر المقرئ : انعاظ الخنفا ٣: ١٣١ هـ وفيما يلي

١٨١:٢ - ١٨٢.

يوسف بن أيوب، ولما ولّاه نيابة حمّة وما معها سنة

٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م، وقفها على فقهاء الشافعية (فيما يلي

٣٦٤:٢ هـ) وهي التي يقول فيها عبارة الهمي :

مَنَازِلُ الْوَرْدِ يُكْسِنِي تَفْهُنُهَا

مَنَازِلُ لَمْ تَزَلْ عِنْدِي غَزَوَاتِ

وكانت منازل العز تقع على شاطئ النيل بمصر القديمة

كنث في حيي مطلقاً أمراً^(a) نائلاً ما شئت منكم مذكراً
فأنا الآن بقصر موصد لا أرى إلا حبيماً^(b) ثمناً
كم قد^(c) تنبتنا كأغصان اللوا حيث لا نخشى علينا ذرّاً

فأجابها : [الرمز]

يشث عمي والتي غذيئها بالهوى حتى علا واحتكاً^(d)
بخت بالشكوى وعندي ضيقها لو غدا ينفق بنا المشتكى
مالك الأمر إليه أشكى مالكاً^(e) وهو الذي قد ملكا

قال : ولئناس في طلب ابن مباح واختفائه أخبار طول . وكان من عزب طي في عصر^(f) الأمير طراد بن مهليل الشيبسي ، فبلغته هذه القضية فقال : [المقارب]

ألا بلغوا الأمير المضطفي مقال طراد ونعم المقال
قطعت الألفين عند ألفه بها سمر الحي بين الرجال
كذا كان أبائك الأكرمون^(g) سألت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمير لما بلغته الأبيات : جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله . وطلب في أحياء العرب فلم يوجد ، فقالت العرب : ما أخسر صفقة طراد ، باع أبيات الحي بثلاثة أبيات^١

وكان بالإسكندرية مكي الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد ، له مؤرودة عظيمة ، ويحتذي أفعال البرامكة ، ولشعراء فيه أمداح كثيرة ، مدحه طافز الحداد ، وأميئة بن أبي الصلت وغيرهما^٢ .

وكان له بستان يتفرج فيه به مجون كبير من رحام ، وهو قطعة واحدة ، وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره . وكان يجذ في نفسه برؤيته زيادة على أهل التثمم والمباهاة في عصره . فوشى

(a) بولاق : مطاعاً أمراً ، وفيما يلي ١٨٢:٢ أمراً مطلقاً . (b) بولاق : خبيثاً . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : واحتكاً . (e) بولاق : مالك . (f) بولاق : قصر . (g) فيما يلي ١٨٢:٢ الأكرمون . (h) بولاق : يتفرج .

^١ فيما يلي ١٨٢:٢ .
^٢ القاضي مكي الدولة وأمينها أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد بن حمدون الكتاني قاضي الإسكندرية ، توفي بقر رشيد وهو عالد من مصر في ٥٠٧ ، ٢٩٧-٢٩٨ .
جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م (راجع ، ابن سير : أخبار مصر ١٢٠ ، السلفي : معجم الشعراء ٤٣-٤٤ ، المقرئ : أتعاط الخفا ٣ : ١٥١ ، المقفى الكبير ١ : ٥٠٥-٥٠٧ ، ٢ : ٢٩٧-٢٩٨) .

به للبُدْوِيَّة محبوبه الأمير، فسألت الخليفة الأمير في حتمل الجزن إليها، فأرسل إلى ابن حديد بإحضار الجزن، فلم يجد بُدًا من حمله من البستان. فلما صار إلى الأمير، أمر بعمله في الهودج. فقلق ابن حديد، وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجزن، فأخذ يخدم البُدْوِيَّة ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة، حتى قالت البُدْوِيَّة: هذا الرجل أضحلنا بكثرة تحبه، ولم يكلفنا قط أمرًا نقدر عليه عند الخليفة مؤلانا.

فلما قيل له هذا القول عنها قال: ما لي حاجة، بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عز، غير رد الشقية التي قُلت من داري التي بنتها/ في أيامهم من نعمتهم، تُرد إلى مكانها. فتعجبت من ذلك، وردتها عليه، فقيل له: حصلت في حد أن خيرت لك البُدْوِيَّة في جميع المطالب، فتزلت همتك إلى قطعة حجر! فقال: أنا أعرف بنفسي، ما كان لها أمل سوى ألا تُغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه، وقد بلغها الله أملها^١.

وكان هذا المكين يتولى قضاء الإشكندرية وتظرها في أيام الأمير، وبلغ من علو هيمته وعظم مروءته أن سلطان الملوك خندرة، أخا الوزير المأمون بن البطايعي، لما قلده الأمير ولاية نجر الإشكندرية في سنة سبع عشرة وخمس مائة، وأضاف إليه الأعمال البخرية، ووصل إلى الثغر، ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضي المذكور، فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضي إلى داره لإحضار دهن شمع. فما كان أكثر من مسافة الطريق إلى^(٥) أن أخضر حقا محتوما فلك عنه، فوجد فيه مندبل لطيف مذهب على مذاف يلور فيه ثلاثة بيوت، كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر: بيت دهن يمشك، وبيت دهن بكافور، وبيت دهن بعثير طيب. ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته.

فعندما أحضره الرسول، تعجب المؤمن والحاضرون من علو هيمته. فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر إنعامه، وحلف بالحرام إن عاد إلى ملكه. فكان جواب المؤمن: قد قيلت منك لا حاجة إليه، ولا لتظير في قيمته، بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها. وذكر أن قيمة هذا المذاف وما عليه خمس مائة دينار.

(٥) بولاق: متولي. (٥) بولاق: إلا.

فانظر - رَجَمَكَ اللهُ - إلى مَنْ يكون دُهنُ الشَّمْعِ عنده في إناءٍ قيمته خمس مائة دينار ، ودُهنُ الشَّمْعِ لا يكاد أكثرُ النَّاسِ يحتاجُ إليه ألبتَّةَ ، فماذا تكونُ ثِيابُه ومحَلِّي نِسائِه وفَرْش داره وغير ذلك من التَّجَمُّلات . وهذا إنَّما هو حالُ قاضي الإسكَنْدَريَّة ، ومَنْ قاضي الإسكَنْدَريَّة بالنسبة إلى أغنيان الدَّوْلَةِ بالحَضْرَةِ ، وما يَنْبَغِي أغنيان الدَّوْلَةِ - وإن عَظُمَتْ أحوالُهم - إلى أقر الخِلافة وأُبْهَتها إلَّا بِمِيزٍ خَفِيرٍ .

وما زال الخَلِيفَةُ الأَمير يتردَّد إلى الهَوْدَج المذكور ، إلى أن رَكِبَ يوم الثلاثاء رابع ذي القِعدة سنة أربع وعشرين وخميس مائة تُريد الهَوْدَج ، وقد كَمُنَ له عِدَّةٌ من التَّرايَّة في فُزْنٍ عند رأس الجِسر من ناحية الرُّوضَةِ ، فوثبوا عليه وأثخنوه بالحِراخَةِ حتَّى هَلَكَ ، ومَحْمِلٌ في العُشاري إلى اللُّؤلؤة فمات بها ، وقيل قبل أن يصل إليها ^١ .

وقد خَرِبَ هذا الهَوْدَج ومَحْمِلَ مكانه من الرُّوضَةِ ، والله عاقبةُ الأُمور .

قَصْرُ الأَنْدلس بِالْقَرَّاقَةِ ^(هـ)

وكان لهم بِالْقَرَّاقَةِ قَصْرٌ بَنَتْهُ السَّيِّدَةُ تَغْرِيدُ أُمِّ الغَزير بالله بن المِعْز في سنة ستٍّ وستين وثلاث مائة على يد الحُسَيْن بن عبد الغَزير الفارِسِي المَحْتَسِب ، هو والحَمَام الذي في غريبه ، وبَنَتْ البِزْر والبُشْتانَ وجامِعَ القَرَّاقَةِ ^٢ .

وكان هذا القَصْرُ نُزْهَةً من النُّزْه من أحسن الآثار في إتقان بُنيانه وصِحْحة أركانِه ، وله مَنْظَرَةٌ مَلِيحَةٌ كَبيرةٌ مَحْمولةٌ على قَنْبَرٍ مَادٌّ تَجُوزُ المارَّةَ من تحته ، ويُقِيلُ المسافرون في أيام القَيْظِ هناك ، ويركبُ الرَّاكِبُ إليه على زَلَّاقَةٍ . وكان كأحسن ما يكون من البِئاء ، وتحته حَوْضٌ لِسْقِي الدُّواب يوم الحُلُول فيه ، وكان مَكَانُه بِالقُرْبِ من مَسْجِدِ الفَتْح ^٣ .

ولمَّا كان في سنة عشرين وخميس مائة ^(ب) جَلَدَهُ الخَلِيفَةُ الأَمير ، وعمل تحته مَسْطَبَةً للصُوفِيَّة ، وكان يجلسُ في الطَّاقِ بأعلى القصر ، ويَقْصُصُ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ من الصُّوفِيَّة ، والجَّامِرِ بالألوية

(هـ) النسخ وبولاق : قصر القرافة ، والصواب ما أثبتناه كما في آخر الفقرة . (ب) بولاق والنسخ : وأربع مائة ، وهو غير صواب .

^١ حول وفاة الخليفة الأمر وتفاصيل مقتله انظر ابن الطوير : نزهة المقتلين ٢٤-٢٦ ؛ ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان . تحقيق محمود علي مكِّي ، بيروت ١٩٩٠ ، ٢١٧-٢٢١ ، ٢٣١-٢٣٣ المقرئزي :
^٢ انظر فيما يلي ٢ : ٣١٨ ، ٤٥٣ .
^٣ فيما يلي ٢ : ٤٤٧ .

اتعاط ٣ : ١٢٨-١٢٩ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٥ : ١٨٤-

١٨٥ ؛ وفيما يلي ٢ : ١٨٢ ، ٢٩٠ .

موضوعة بين أيديهم ، والشُّموع الكثيرة تزهو ، وقد بَسَطَتْ تحتهم خُضر من فوقها بُسْط ، ومُدَّت لهم الأَشْمِطَةُ التي عليها كُلُّ نوعٍ لذيذٍ وشهيٍّ من الأطعمة والحلوى أصنافًا مصنَّعة .

فَاتَّفَقَ أَنْ تَوَاجِدَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(أ) بِنَ الْجَوْهَرِيِّ الْوَاعِظُ ^١، وَمَرَّقُ مُرْقَعَتِهِ، وَفُرِّقَتْ عَلَى الْعَادَةِ خِزْوَانًا، وَسَأَلَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ - الْمَعْرُوفَ بِالْقَارِاحِ الْمَقْرِيُّ - خِزْوَانَةً مِنْهَا وَوَضَعَهَا فِي رَأْسِهِ. فَلَمَّا فَرَّغَ التَّمْرِيقَ قَالَ الْحَلِيقَةُ الْآمِرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ مِنْ طَلَقٍ بِالْمَنْظَرَةِ : يَا شَيْخَ أَبَا إِسْحَاقَ ؛ قَالَ : لَيْبِكَ يَا مَوْلَانَا ؛ قَالَ : أَيْنَ خِزْوَتِي؟ فَقَالَ مُجِيبًا فِي الْحَالِ : هَا هِيَ عَلَى رَأْسِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَاسْتَحْسَنَ الْآمِرُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَتْهُ مَوْقِعُهُ، فَأَمَرَ فِي السَّاعَةِ وَالْوَقْتُ مَنْ أَحْضَرَ مِنْ خِزَائِنِ الْكُنُشَوَاتِ أَلْفَ يَصْفُوفِيَّةٍ، فَفُرِّقَتْ عَلَى الْحَاضِرِينَ وَعَلَى فَقَرَاءِ الْقَرَفَةِ، وَنَتَرَ عَلَيْهِمْ مُتَوَلَّى بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الطَّلَاقِ أَلْفَ دِينَارٍ، فَتَخَاطَفَهَا الْحَاضِرُونَ، وَتَعَاهَدَ الْمُعْرَبِلُونَ الْأَرْضَ الَّتِي هُنَاكَ أَيَّامًا لِأَتَّخِذَ مَا يُؤَارِيهِ الثَّرَابُ ^٢.

وما برح قَصُرُ الأَنْدَلُسِ بِالْعِرَاقَةِ حَتَّى زَالَتِ الدَّوْلَةُ ، فَهَدِمَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ .

المنظرة بيزك الحبحش

وكانت لهم منظرَةٌ تُشْرِفُ على بِرْكَةِ الْحَبَشِ . قال الشَّرِيفُ أَبُو عبد الله محمد [بن أسعد]^a الجَوَانِي في كتاب «النَّقْط على الخِطَط» : إِنَّ الخَلِيفَةَ الْآمِرَ بِأحكامِ الله بَنَى على الْمَنْظَرَةِ التي يُقَالُ لها بِرْكَةُ الْحَزْرَاةِ ، منظرَةً من خَشَبٍ مدهونة فيها طاقات تُشْرِفُ على خُصْرَةِ بِرْكَةِ الْحَبَشِ ، وَصَوَّرَ فيها الشُّعْرَاءُ كُلَّ شَاعِرٍ وبَلَدَهُ ، واستدعى من كُلِّ وَاحِدٍ منهم قطعةً من الشُّعْرِ في الْمَدْحِ وَذِكْرِ الْحَزْرَاةِ ، وَكَبِبَ ذلك عند رَأْسِ كُلِّ شَاعِرٍ ، وبجَانِبِ صورة/ كُلِّ منهم رَفٌّ لَطِيفٌ مُذَمِّبٌ .

(a) يياض بالأصول. (b) زيادة اقتضاها السياق.

دمياط، وبها مات في جمادى الأولى سنة ٤٥٢٨هـ (ابن ميسر):
 أخبار مصر ١: ١٢٠، المقرئ: اعطاء ١٥١: ٣-١٥٢، والمقفى
 الكبير ٣: ٥١٦؛ وقيل يلى (٤٤٨: ٢).
 ٢ المقرئ: اعطاء ٣: ١٣١.

١ الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أبي الفضل عبد الله بن الحسين الزاهد الناطق بالحكم ، ابن يثري ، المعروف بابن الجوهري ، قال ابن يثري : وإعطاء ابن إعطاء وإعطاء ابن إعطاء ، قرأ عليه السلفي وكان خلوا للوطظ لم يكن في بينهم أحلى كلاماً منه ، وتعرض في آخر عمره لما ينيه ، فوشى به إلى الخليفة فسيه إلى

فلما دَخَلَ الأَمِيرُ وقَرَأَ الأشعارَ ، أَمَرَ أَنْ يُحَطَّ عَلَى كُلِّ رَفٍّ صُرَّةٌ مَخْتومةٌ فيها خمسون دينارًا ، وأن يدخل كلُّ شاعرٍ ويأخذ صُرَّتَهُ بيده . ففعلوا ذلك وأخذوا صُرَرَهُمْ ، وكانوا عِدَّةَ شُعراء .

البساتين

وكان للخلفاء عِدَّةُ بساتين^١ ينتزهون بها ، منها البساتينُ الجيوشيةُ ، وهما بُستانان كبيران : أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية ، والآخر يمتدُّ من خارج باب القنطرة إلى الخندق وكان لهما شأنٌ عظيم^٢ .

ومن شِدَّةِ غَرامِ الأفضَلُ بالبستان الذي كان يجاور بُستان البغل ، عَمِلَ له شُورًا مثل سُورِ القاهرة ، وعَمِلَ فيه بحرًا كبيرًا وقُبَّةَ عُشاري تحمل ثمانية أَرادبَ ، وبَنَى في وَسَطِ البحرِ مَنظَرَةً محمولةً على أَرْبعِ عواميد من أَحْسَنِ الرُّخامِ ، وحَفَّها بِشَجَرِ النَّارُجُ ، فكان نَارِجُهَا لا يَقْطَعُ حَتَّى يَتَساقَطَ ، وسَلَطَ على هذا البحرِ أَرْبعَ سَواقٍ ، وجَعَلَ له مَغْبَرًا من نُحاسٍ مخروط زنته قَنطار ، وكان يُبَلِّأُ في عِدَّةِ أَيَّامٍ . وجَلَبَ إليه من الطُّيُورِ المسموعةِ شَيْئًا كثيرًا ، واستخدم للحمام الذي كان به عِدَّةُ مُطَيَّرين ، وعَمَّرَ به أَبراجًا عِدَّةً للحمام والطُّيُورِ المسموعةِ ، وسَرَحَ فيه كثيرًا من الطَّاوُوسِ .

وكان البُستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بُستانُ الخندق ، لكلٍّ منهما أربعة أبواب من الأَربَعِ جِهاتٍ ، على كُلِّ منها عِدَّةٌ من الأَزمِنِ . وجميعُ الدَّهاليزِ مُؤَزَّزَةٌ بالحُصُرِ العَبْداني ، وعلى أبوابها سلاسلٌ كثيرة من حَدِيدٍ ، ولا يدخل منها إِلَّا السُّلطان وأولاده وأقاربه^٣ .

قال ابنُ عبد الظَّاهر : وَاتَّفَقَتْ جَماعَةٌ على أَنَّ الذي يشتمل عليه بيوعهما^٤ في السَّنَةِ ، من زَهْرٍ وَنَمَرٍ ، نِيفٍ وَثَلَاثُونَ ألفَ دينارٍ ، وَأَنَّها لا تَقُومُ بِمُؤَنِّهِمَا على حُكْمِ اليَقينِ لا الشكِّ . وكان

(a) بولاق : مبيهما .

^٢ يعادل زقاق الكحل اليوم الشارع المعروف بسكة الظاهر أو شارع المنسي خارج باب الفتوح وجنوب جامع الظاهر ببيرس . والخندق يُعادل منطقة الدَّيُوداش الآن خلف شارع رمسيس .

^٣ هذا النص نقله المقرئ بتصرف عن ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤١٣٩ المقرئ : مسودة المواظط ٣٩٠ .

^١ حاشية بخط المؤلف : «البستان أصله بالفارسية براستان ومعناه معادن الروائع ، وذلك أن منوشجر ابن إرج ابن فريدبشت بن أنفنيان (كدام) أحد ملوك الفُرس الأول الذين يقال لهم النيشدانية نقل من الجبال أنواطًا من الرياحين وأحاط عليها فلما فاحت روائحها سُمِّي تلك الحيطان براستان» .

الحاصلُ بالبستان الكبير والحصلُ إلى آخر الأيام الآمرية - وهي سنة أربع وعشرين وخمسة مائة - ثمان مائة وأخذَ عشر رأسًا من البقر، ومن الجِمال مائة وثلاثة رؤوس، ومن الغنم وغيرهم ألف رجل -

وَذَكَرَ أَنَّ الَّذِي دَارَ سُورَ الْبَسَاتِينَ^a، وَمِنْ سَنُطَ وَجِيمِيزِ وَأَثَلِ، مِنْ أَوَّلِ حَذْمِهِمَا الشَّرْقِيِّ - وَهُوَ رُكْنُ يَزْكَةِ الْأَرْمَنِ - مَعَ حَذْمِهِمَا الْبَحْرِيِّ وَالْغَرْبِيِّ جَمِيعًا، إِلَى آخِرِ رُقَاقِ الْكَخْلِ فِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ سَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ^b وَمِائَتِي شَجَرَةٍ، وَبَقِيَ قَبْلَهُمَا جَمِيعًا لَمْ يُحْصَ. وَأَنَّ السَّنُطَ تَقْطَعُ^c حَتَّى لَحِيقَ بِالْجِيمِيزِ فِي الْعِظَمِ، وَأَنَّ مَعْظَمَ قُوْظِهِ يَسْقُطُ إِلَى الطَّرِيقِ فَيَأْخُذُهُ النَّاسُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يُبَاعُ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ. وَكَانَ بِهِ كُلُّ ثَمَرَةٍ لَهَا ذُوْنُزَةٌ مَفْرَدَةٌ، وَعَلَيْهَا بِيَاضٌ، وَفِيهَا نَخْلٌ مَنَقُوشٌ فِي أَلْوَاَحٍ عَلَيْهَا يَرْسُمُ الْخَاصَّ، لَا تُجْنَى إِلَّا بِحُضُورِ الْمُشَارِفِ، وَكَانَ فِيهِمَا لَيَمُونُ تُفَاجِي يُوْكُلُ بِقَشْرِهِ بِغَيْرِ شُكْرِ.

وَأَقَامَ هَذَانِ الْبُسْتَانَانِ بِيَدَ الْوَرَثَةِ الْجَيُوشِيَّةِ مَعَ الْبِلَادِ الَّتِي لَهُمْ مُدَّةَ أَيَّامِ الْوَزِيرِ الْمُتَأَمِّنِ، لَمْ تَخْرُجْ عَنْهُمْ، وَكُشِفَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ، فَكَانَ فِيهَا سِتُّ مِائَةِ رَأْسٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَثَمَانُونَ جَمَلًا. وَقُوْمٌ مَا عَلَيْهِمَا مِنَ الْأَثَلِ وَالْجِيمِيزِ، فَكَانَتْ قِيَمَتُهُ مِائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ. وَطَلَبَ الْأَمِيرُ شَرْفُ الْخِلَافَةِ بَنَاءً^d - وَكَانَتْ لَهُ حُرْمَةٌ عَظِيمَةٌ - مِنَ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ قَطَعَ شَجَرَةَ وَاحِدَةً مِنَ سَنُطَ، فَأَتَى عَلَيْهِ، فَتَشَفَّعَ إِلَيْهِ وَقُوْمَتْ بِسَبْعِينَ دِينَارًا، فَرَسَمَ الْخَلِيفَةُ إِنْ كَانَتْ وَسَطَ الْبُسْتَانِ تُقْطَعُ وَإِلَّا فَلَا.

وَلَمَّا جَزَى فِي آخِرِ أَيَّامِ الْحَافِظِ مَا جَزَى مِنَ الْخَلْفِ، دُيِّحَتْ أَهْبَاقُهُ وَجَمَالُهُ، وَنُهِبَتْ مَا فِيهِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَنْقَاضِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِيمِيزُ وَالسَّنُطُ وَالْأَثَلُ لَعَدَمٍ مِنْ يَشْتَرِيهِ^١. انْتَهَى.

وَكَانَ هَذَانِ الْبُسْتَانَانِ مِنْ جَمَلَةِ «الْحَبْسِ الْجَيُوشِيِّ»؛ وَهُوَ أَنَّ أَمِيرَ الْجَيُوشِ يَذَرُ الْجَمَالِي حَبْسَ عِدَّةٍ بِلَادٍ وَغَيْرِهَا - مِنْهَا فِي الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ نَاحِيَةُ بَهْتِمِتِ وَالْأَمِيرِيَّةِ وَالْمُتَيْةِ، وَفِي الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ نَاحِيَةُ سَفْطَ وَنَهْيَا وَوَسِيمَ - مَعَ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ عَلَى عَقِبِهِ. فَاسْتَأْجَرَ هَذَا الْحَبْسَ الْوُزَرَءُ

(a) بولاق: البساتين. (b) ألف الثانية ساقطة من ابن عبد الظاهر. (c) النسخ: تعفر، بولاق: تنغنن والمثبت من ابن عبد الظاهر. (d) بولاق: الأمير شرف الدين.

مئة سنين بأجرة يسيرة، وصار يُزرع في الشرفي منه الكنان، ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفاً وربعاً عن كل قدان، فيتناولون فيه ربحاً جزئياً لأنفسهم. فلما بغد العهد انقرضت أغقابه، ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة، فأفنى الفقهاء بأن هذا الحيس باطل، فصار للديوان السلطاني يتصرف فيه، ويخيل متحصله مع أموال بيت المال. وتلاشت البساتين، وبني في أماكنها ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى^١.

وبني العزيز بالله بُشْتَانًا بناحية سزودوس.

قُبَّةُ الْمَسَاءِ

وكان من أحسن منتزهات الخلفاء الفاطميين قُبَّةُ الْهَوَاءِ، وهي مُشْتَرَفٌ بهج بديع فيما بين الناج والخمس وجوه، يُحيط به عِدَّةُ بساتين لكل بُشْتَانٍ منها اسم، ولهذه القُبَّةُ فُرْشٌ مُعَدَّةٌ في الشتاء والصيف، ويركب إليها الخليفة في أيام الركوبات التي هي يومي السبت والثلاثاء.

بَحْرُ أَبِي الْمُنْجَا

وكان من مُنْتَزَهَاتِ الْخُلَفَاءِ يَوْمَ فَتْحِ بَحْرِ أَبِي الْمُنْجَا. قال ابن المأمون: وكان الماء لا يصل إلى الشرفية إلا من السزودوسي ومن الصصاص ومن المواضع البعيدة، فكان أكثرها يَشْرُقُ في أكثر السنين. وكان أبو المنجاء اليهودي مُشَارِفَ الأعمال المذكورة^٢، فَتَصَوَّرَ الْمُرَارِعُونَ إِلَيْهِ، وَسَلَّوْا فِي فَتْحِ تَرْغَةِ يَصِلُ الْمَاءُ مِنْهَا فِي ابْتِدَائِهِ إِلَيْهِمْ، فَابْتَدَأَ بِخَفْرِ خَلِيجِ أَبِي الْمُنْجَا فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ السَّادِسِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسٍ وَمِائَةٍ^٣.

وَرَكِبَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرٍ الْجِيُوشِ صُحْبَتَهُ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَاتِكٍ الْبَطْلَانِيَّ وَجَمِيعَ إِخْوَتِهِ، وَالْعَسَاكِرُ تُحَاذِيهِ فِي الْبَرِّ، وَجُمِعَتِ شُبُوحُ الْبِلَادِ وَأَوْلَادُهَا، وَرَكِبُوا فِي الْمَرَائِبِ وَمَعَهُمْ جِزْمُ الْبُوصِ فِي الْبَحْرِ، وَصَارَ الْعُشَارِيُّ وَالْمَرَائِبُ تَتَّبَعُهَا إِلَى أَنْ رَمَاهَا الْمَوْجُ إِلَى

^١ فيما تقدم ٢٩٦:١، وفيما يلي ١٢٩:٢-١٣٠،

وقارن: ابن عثاني: قوانين الدولتين ٣٣٦-٣٣٩، ومحمد رمزي: القاموس الجغرافي ٤٤:١.

^٢ المقرئ: اتعاط ٣: ٥٠.

^٣ ورد اسمه في أوراق الجنيزة Cairo Geniza

المَوْضِعَ الَّذِي حَفَرُوا فِيهِ الْبَحْرَ، وَأَقَامَ الْحَفَرَ فِيهِ سَتَيْنَ، وَفِي كُلِّ سَنَةٍ تَتَبَّعْنَ الْفَائِذَةُ فِيهِ، وَيَتَضَاعَفُ مِنْ اِرْتِفَاعِ الْبِلَادِ مَا يُهَوِّنُ الْقَرَامَةَ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا عُرِضَ عَلَى الْأَفْضَلِ مُجْمَلَةٌ مَا أُتِفِقَ فِيهِ اسْتَقْطَمَهُ، وَقَالَ : غَرِمْنَا هَذَا الْمَالَ جَمِيعَهُ وَالْأَسْمَ لِأَبِي الْمُتَّجَا . فَغَيَّرَ اسْمَهُ وَدَّعَى بِهِ «الْبَحْرَ الْأَفْضَلِي» فَلَمْ يَتَمَّ ذَلِكَ، وَلَمْ يُعْرِفْ إِلَّا بِأَبِي الْمُتَّجَا^١ .

- ثم جَزَى بَيْنَ أَبِي الْمُتَّجَا وَبَيْنَ ابْنِ أَبِي اللَّيْثِ صَاحِبِ الدِّيَّانِ، بِسَبَبِ الَّذِي أُتِفِقَ، حُطُوبُ
أَدَّتْ إِلَى اغْتِقَالِ أَبِي الْمُتَّجَا عِدَّةَ سِنِينَ، ثُمَّ نُفِيَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ^٢ نَفْسُهُ تَتَلَفُ، وَلَمْ
تَزَلْ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَاتِكٍ يَتَلَطَّفُ حَالَهُ إِلَى أَنْ^٣ تَضَاعَفَ مِنْ عِزَّةِ الْبِلَادِ مَا سَهَّلَ أَمْرَ الثَّقَفَةِ
فِيهِ^٤ .

وَرَأَيْتُ بِحَظِّ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ : وَهَذَا أَبُو الْمُتَّجَا هُوَ بَحْدُ بَنِي صُفَيْرِ الْحُكَمَاءِ الْيَهُودِ، وَالَّذِينَ
أَسْلَمُوا مِنْهُمْ^٥ .

وَلَمَّا طَالَ اغْتِقَالُ أَبِي الْمُتَّجَا فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي مَكَانٍ بِمُفْرَدِهِ مُضَيَّقًا عَلَيْهِ، تَحَيَّلَ فِي تَحْصِيلِ
مُضْخِفٍ وَكَتَبَ خَتْمَةً، وَكَتَبَ فِي آخِرِهَا : «كَتَبَهَا أَبُو الْمُتَّجَا الْيَهُودِي»، وَبَعَثَهَا إِلَى السُّوقِ
لِيَبِيعَهَا . فَقَامَتِ قِيَامَةُ أَهْلِ الثَّقَرِ، وَطَوَّلَ بِأَمْرِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَأُخْرِجَ وَقِيلَ لَهُ : مَا حَقَّكَ عَلَى هَذَا؟
فَقَالَ : طَلَبْتُ الْخَلَاصَ بِالْقَتْلِ . فَأُدْبَ، وَأُطْلِقَ سَبِيلُهُ .

- وقيل : إِنَّهُ كَانَ فِي مَحَبَّةٍ حَيَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَأُخْضِرَ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَبَنٌ، فَرَأَى الْحَيَّةَ وَقَدْ
شَرِبَتْ مِنْهُ وَدَخَلَتْ بِجُحْرِهَا، فَصَارَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُخْضِرُ لَهَا لَبَنًا فَتُخْرِجُ وَتَشْرَبُ مِنْهُ وَتَدْخُلُ
مَكَانَهَا وَلَمْ تَزُده .

وَلَمَّا وَلَّى الْمَأْمُونُ الْبَطْلَانِي وَزَارَ الْآمِرَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ، بَعْدَ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ، تَحَدَّثَ الْآمِرُ
مَعَهُ فِي رُؤْيَا فَتَحَ هَذَا الْخَلِيجَ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ يَوْمٌ كَخَلِيجِ الْقَاهِرَةِ . فَتَدَبَّ الْمَأْمُونُ^٦ مَعَهُ عِدَّةَ الْمَلِكِ
أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنِ عُثْمَانَ وَكَيْلَهُ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبْنِيَ عَلَى مَكَانِ السَّدِّ مَنَظَرَةً مُتَّسِعَةً تَكُونُ مِنْ بَحْرِي
السَّدِّ، وَشَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا بَعْدَ كَمَالِ الثَّيْلِ .

(a) بولاق : كانت . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الأمر معه .

^١ المقرئزي : اتعاظ الحنقا ٣ : ٥٠ . ^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة ١٢٩ : ابن دقماق :

^٣ ابن المأمون : أخبار مصر ١١ : ابن عبد الظاهر : الانتصار ٥ : ٤٦ .

الروضة البهية ١٢٩ : ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٤٦ .

وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوماً مشهوداً إلى أن زالت الدولة الفاطمية؛ فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا الحال فيه على ما كان^١.

قال القاضي الفاضل في «متجددات» سنة سبع وسبعين وخمس مائة: وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المتبحر وعاد^٢.

وقال: وفي سنة تسعين وخمس مائة، كسّر بحر أبي المتبحر بعد أن تأخر كشره عن عيد الصليب بسبعة أيام^٣، وكان ذلك لقصور النيل في هذه السنة، ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه، وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكشره. وبذت في هذا اليوم من مخايل القنوط ما يوجب شوء الأفعال، من المجاهرة بالمتكرات، والإعلان بالقواحيش. وقد أقرط هذا الأمر، واشترك فيه الأمير والمأمور، ولم يتسليخ شهر رمضان إلا وقد شهّد ما لم يشهده رمضان قبله في الإسلام.

وبدا عقاب الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره، فإن المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفتات الوجوه، وأيدي الرجال تنال منها ما تنال في الخلوات، والطبول والعيان مرتفعات الأصوات والصنجات، واشتأبوا في الليل عن الحفر بالماء والجلاب ظاهراً، وقيل: إنهم شربوا الحمر مستورا، وقربت المراكب بعضها من بعض، وعجز المتكر عن الإنكار إلا بقلبه. ورفع الأمر إلى السلطان، فتدب حاجته في بعض الليالي، ففرق منهم من وجدّه في الحالة الحاضرة، ثم عادوا بعد عودته. وذكر أنه وجد في بعض المعادي خمرًا فأراقه.

ولما استهل سؤال، وهو مطروح فيه، تضاعف هذا المتكر، وفشت هذه الفاجشة. ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر، والتجاوز عما تشق في المعاذير.

وقال في سنة اثنين وتسعين وخمس مائة: كسّر بحر أبي المتبحر، وباشر العزيز كشره، وزاد النيل فيه أضبعاً وهي الأضبع الثامنة عشرة من ثماني عشر ذراعاً؛ وهذا الحد

(a) بولاق: القنوط.

^٢ المقرئ: السلوك ١: ٧٣.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة ١٢٩-١٣٠: ابن دقاق:

^٣ نفسه ١: ١١٩، وانظر عن عيد الصليب فيما تقدم

الانتصار ٥: ٢٦: ابن المأمون: أخبار مصر ١١-١٢: المقرئ:

١: ٧٢١-٧٢٤.

٣: ٣٠١-٣٠٢: صبح الأعشى ٣: ٥٠: القفشدني: صبح الأعشى ٣: ٣٠١-٣٠٢.

يسمى عند أهل مصر «اللجة الكبرى»^١.

وقد تلاشى في زمننا أقر الاجتماع في يوم فتح سدّ بحر أبي المتّجّ، وقُلّ لاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة.

قصر الوزد

بالخاقانية

وكان من أيام مُتَنَزّهات الخُلَفَاء يوم قصر الوزد بناحية الخاقانية^٢، وهي قرية من قُرى قُلُوب كانت من خاصّ الخليفة، وبها جناحٌ كثيرةٌ للخليفة، وكانت من أحسن المتنزهات المصرية، وكان بها عدّة دُورَات يُزْرَع فيها الوزد. فيسير إليها الخليفة يومًا، ويُصنَع له فيها قصرٌ عظيم من الوزد، ويُخَدَم بضيافةٍ عظيمة.

- ١٠ قال ابن الطوثر عن الخليفة الأمير بأحكام الله: وعُمِلَ له بالخاقانية - وكانت من خاصّ الخليفة - قصرٌ من وزد، فسارَ إليها يومًا، ولُحِدِمَ بضيافةٍ عظيمة. فلما استقرّ هناك خرجَ إليه أمير - يُقال له: حُسامُ المُلْك - من الأمراء الذين كانوا مع المُوْتَمَن أخِي المأمون البطائحي وتخاذلوا عنه، فوصلَ إلى الخاقانية وهو لايس لأمة حزبه^٣، والتَمَسَ المَثول بين يديه - يعني الخليفة. ٤٨٩:١

- فاستقبل ما جاء به في ذلك الوقت، ممّا يُنافي ما فيه الخليفة من الرّاحة والثّروة، وجيل بينه وبين مقصوده، فقال لجماعةٍ من خواشي الخليفة: أنتم مُنافقون على الخليفة، إن لم أصِلَ إليه فإنّه يُعاقِبكم بذلك. فأطلقوا الخليفة على أمره وجلّيته بالسّلاح وقوله، فأمر بإحضاره. فلما وقّعت ١٥

^١ المقرئ: السلوك ١٣٨:١، وانظر فيما تقدم ٨٥:١ ابن واصل: مفرج ١١٧٦:١ ابن الجيعان: الصفحة السنية ٨ المقرئ: تماض ٣:٢٦، ٢١، ٢١٠، ٢٦٠،

^٢ الخاقانية أو الخرقانية. من أعمال القلوية على الشاطئ الشرقي للنيل، تقرب من القناطر الخيرية ... وهي من القرى

القديمة ورد اسمها محوفاً في كثير من المصادر، فهو يرد تارة الخرقانية وتارة أخرى الخرقانية، بينما ذكرها ابن تُمّاتي وابن الجيعان والمقرئ وقبلهم ابن الطوثر باسم الخاقانية، ويبدو أن هذا هو اسمها الذي عرفت به في العصر الإسلامي، وعرفت باسمها الحالي: الخرقانية ابتداءً من سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م (راجع، أبا شامة: الروضتين ١: ٤٥٠؛ ابن تُمّاتي: قوانين

٨٥:١ ابن واصل: مفرج ١١٧٦:١ ابن الجيعان: الصفحة السنية ٨ المقرئ: تماض ٣:٢٦، ٢١، ٢١٠، ٢٦٠، ٣١٢ علي مبارك: الخطط التوقفية ١٠: ٩٧؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ج ٢ ص ٥٤).

^٣ لأمة وجمعها لؤم كشرذ. الذّرع (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٤٩٢-١٤٩٣).

عنه عليه قال : يا مولانا لمن تركت أعداءك - يعني الوزير المأمون بن البطائحي وأخاه ، وكان الأمر قد قبضَ عليهما واعتقلهما - وهذا والعهد قريب غير بعيد ، أأمنت العذر؟ فما أجابه إلا وهو على الرهاويج من الخيل . فلم تَمُص ساعة إلا وهو بالقصر ، فمضى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه ، فزادهما وثاقاً وجِراسَةً .

وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة^١ الذي كان سيّره المأمون في وزارته إلى اليمن ، ليحقق^٢ نَسبه أنه وُلِدَ من جارية يزار بن المشتصر لما خَرَجَتْ من القصر وهي به حامل ، ويدعو إليه بقيّة الناس . وأُخْضِر إلى القاهرة على بَحْلٍ مَشْوَ به^٣ ، فأذِلَّ خِزَانَةَ البُنُود ، وقُتِلَ هو والمأمون وبجَمَاعَةٍ في تلك الليلة وصُلِبُوا ظَاهِر القاهرة^٤ .

بِرْكَةُ الْحُبِّ

بظَاهِر القاهرة من بَحْرِيهَا ، وتُسَمِّيها العامة في زَمَنِنَا هذا الذي نحن فيه «بِرْكَةُ الْحَاج» ، لتُرْوَل الْحُجَّاج بِهَا عند مَسِيرِهِمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْحَيِّجِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، ونزولُهُمْ عِنْد الْعَوْدِ بِهَا ، ومنها يَدْخُلُونَ إِلَى الْقَاهِرَةِ^٥ .

ومن النَّاسِ من يقول : حُبُّ يَوْسُفَ ، وهو حَطَأٌ ، وأما هي أَرْضُ حُبِّ عُثْمِيَّة . وعُثْمِيَّة هذا هو ابن تميم بن جَزْءِ التَّجِيبِيِّ من بني الْقَرْزَاءِ ، تُسَمِّي هذه الأَرْضَ إِلَيْهِ ، فقليل لها : «أَرْضُ حُبِّ عُثْمِيَّة» ، ذَكَرَهُ ابْنُ يُونُسَ .

(a) بولاق : لتحقيق (b) بولاق : مشوه .

^١ انظر عن علي بن نجيب الدولة ومهمته في اليمن ، عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٧٥-٨٠ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٢٣٩:٧-٢٤٣ أمين فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ١٦٠-١٦٤ .

^٢ ابن الطوير : نزعة المقتلين ١٨-١٩ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك - خ ٢٠٧:١ ظ-٢٠٨ و المقريزي : اتعاظ ١٢٢:٣-١٢٣ .

^٣ بركة الحب أو بركة الحاج . محلها اليوم القرية التي

تعرف باسم البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية في الشمال الشرقي من القاهرة شرقي محطة المَوجَ وبالقرب منها . عرفت قديماً بحُبِّ عُثْمِيَّة نسبة إلى عُثْمِيَّة بن تميم التجيبِي صاحب الحب المعروف باسمه في الموضع الذي يبرز إليه الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة . (أبو المحاسن : النجوم ١٨٠:٥ هـ^١ ، المسيحي : أخبار مصر ٦٩ هـ^١ ، وفيما يلي ١٦٣:٢) .

وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم مقدّ بن الظاهر بن الحاكم، في كل سنة أن يركب على الثَّجَب مع النساء والحشم إلى حُبِّ عُمَيْرَة هذا - وهو موضع نُزْهَة - بهيمة أنّه خارج إلى الحَجِّ على سبيل اللُّب والجمانة، ورُبّما حَمَلَ معه الحَمَر في الزَّوَايا عَوْصًا عن الماء، ويشقيه من معه^١.

وَأَنشَدَهُ مَرْوَةُ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَيْثَرَةَ الْعُقَيْلِيِّ^٢ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ^٣:

[البسيط]

قُمْ فَأَنْجِزِ الرِّوَاخَ يَوْمَ الثَّغْرِ بِالْمَاءِ وَلَا تُضْضِعْ ضُحَى إِلَّا بِضَهْبَاءِ
وَاذْكِرْ حَجِيجَ التَّدَامَى قَبْلَ نَفَرِهِمْ إِلَى مَنَى قَضَفَهُمْ مَعَ كُلِّ مَهْفَاءِ
وَعُجْجَ عَلَى مَكَّةَ الزُّوْحَاءِ مُبْتَكِرًا فَطُفْ بِهَا حَوْلَ رُكْنِي الْعُودِ وَالنَّاءِ

١٠ قَالَ ابْنُ دُحَيْبَةَ: فَخَرَجَ فِي سَاعَتِهِ بِزَوَايَا الْحَمَرِ تُزْجِي بِنِعَمَاتِ حُدَاةِ الْمَلَاهِي وَتُسَاقُ، حَتَّى أَنَاخَ بَعَيْنَ شَمْسٍ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْفُسَاقِ، فَأَقَامَ بِهَا سَوْقَ الْفُسُوقِ عَلَى سَاقٍ. وَفِي ذَلِكَ الْعَامِ أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَهْلَ مِصْرَ بِالسَّنَنِ، حَتَّى يَبِيعَ فِي أَيَّامِهِ الرِّغِيفُ بِالثَّمَنِ الثَّمِينِ، وَعَادَ مَاءُ النَّيْلِ بَعْدَ غُذُوبَتِهِ كَالْغَيْلَيْنِ، وَلَمْ يَبْقَ بِشَاطِئِهِ أَحَدٌ بَعْدَ أَنْ كَانَا مَخْضُوفَيْنِ بِخُورِ عَيْنٍ^٤.

١٥ وَقَالَ ابْنُ مُيَسَّرٍ: فَلَمَّا كَانَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ - مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ - خَرَجَ الْمُسْتَنْصَرُ عَلَى عَادَتِهِ إِلَى بِرْكَةِ الْحُبِّ، فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ الْأَتْرَاكِ جَزَوْهَ سَيْفًا فِي سُكْرِ مَنْهُ عَلَى بَعْضِ غَيْبِ الشَّرَاءِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَبِيدِ وَقَتَلُوهُ. فَاجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ بِالْمُسْتَنْصَرِ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ هَذَا عَنْ رِضَاكَ فَالْشُّعْغُ وَالطَّاعَةُ، وَإِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِ رِضَاكَ فَلَا تَرْضَى بِذَلِكَ؛ فَأَتَكَرَّ الْمُسْتَنْصَرُ مَا وَقَعَ وَتَبَرَّأَ مِمَّا فَعَلَهُ الْعَبِيدُ، فَتَجَمَّعَ الْأَتْرَاكُ لِحُزْبِ الْعَبِيدِ، وَبَرَزَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. وَكَانَ بَيْنَ الْقَرِيقَيْنِ قِتَالٌ شَدِيدٌ عَلَى كُومِ شَرِيكِ^٥ أَنْهَزَمَ فِيهِ الْعَبِيدُ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَبِيرٌ.

^١ ابن ميسر: أخبار مصر ٢٤٤؛ المقرئ: اتعاط ٢٦٥:٢.

^٢ شاعر مصري من أهل الفسطاط توفي بعد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، راجع العماد الكاتب: خريدة القصر

(قسم مصر) ٢: ٦٢٢؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب

(قسم مصر) ٢٠٥-٢٤٩؛ الصفيدي: الوافي بالوفيات ٢٠

(تحت الطبع) ٤؛ ابن شاکر: فوات الوفيات ٣: ١٨-٢٣،

ونُشِرَ ديوانه زكي المحاسني في القاهرة دون تاريخ.

^٣ وردت الأبيات في الديوان ٤٢ وعند ابن سعيد:

المغرب ٢٠٧؛ ابن شاکر: فوات الوفيات ٣: ١٨-١٩،

وانظر فيما يلي ١٦٣:٢-١٦٤.

^٤ ابن دحية: النبراس في تاريخ بني العباس ١٤١.

^٥ كوم شريك. إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة

البحيرة، عرف هذا الكوم بشريك بن سمي عبد بنو بن

جزء المرادي أحد صحابة رسول الله ﷺ، كان على مقدمة جيش عمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية وأبو الحسن =

وكانت أُمُّ الْمُشْتَنَصِر تُعِين الْعَبِيدَ وَتُحَذِّمُهُم بِالْأَمْوَالِ وَالْأَسْلِحَةِ ، فَاتَّفَقَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنَّ بَعْضَ الْأَثْرَاكِ ظَفِرَ بِشَيْءٍ مِمَّا تَبَعَتْ بِهِ أُمُّ الْمُشْتَنَصِر إِلَى الْعَبِيدِ ، فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ أَصْحَابَتِهِ - وَقَدْ قَوَّيَتْ شَوْكَتَهُمْ بِانْهَزَامِ الْعَبِيدِ - فَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمُشْتَنَصِرِ ، وَخَاطَبُوهُ فِي ذَلِكَ وَأَعْلَنُوا فِي الْقَوْلِ وَجْهَهُمَا بِمَا لَا يَنْبَغِي . وَصَارَ الشَّيْفُ قَائِمًا ، وَالْحُرُوبُ مُتَابِعَةً ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ خَرَابِ مِصْرَ بِالْقَلَاءِ وَالْفَيْقَنِ مَا كَانَ . وَكَانَ مَنْ قَبْلَ الْمُشْتَنَصِرِ يَتَرَدَّدُونَ إِلَى يَرْكَةِ الْجُبِّ ^١ .

قال المُشْتَحِي : وَلَاثْنِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، عَرَضَ الْقَزِيرُ بِاللَّهِ عَسَاكِرَهُ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ عِنْدَ سَطْحِ الْجُبِّ ، فَتُصِبَ لَهُ مَضْرِبٌ دِيَّاجٌ رُومِيٌّ فِيهِ أَلْفُ نَوْبٍ بِصُفْرَةٍ فِضَّةٍ ، وَتُصِبَتْ لَهُ فَازَةٌ مُثْقَلَةٌ وَفُتَّةٌ مُثْقَلَةٌ بِالْجَوْهَرِ ، وَضُرِبَ لِابْنَةِ الْأَمِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مَنُصُورٌ مَضْرِبٌ آخَرٌ . وَغَرَضَتْ الْعَسَاكِرُ ، وَكَانَ عِذَّتُهَا مِائَةٌ عَشْكَرِيٍّ ، وَأَقْبَلَتْ أَسَاكِرُ الرُّومِ وَعِدَّتُهُمْ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ ، فَطُيِّفَ بِهِمْ . وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا حَسَنًا لَمْ تَزَلِ الْعَسَاكِرُ تَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صَبْحَةِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرَبِ ^٢ .

وما زالت يَرْكَةُ الْجُبِّ مُتَنَزِّهًا لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ مِنْ بَنِي أَيْتُوبَ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُتَزَرَّعُ إِلَيْهَا لِلصَّيْدِ وَيُقِيمُ فِيهَا الْأَيَّامَ ، وَقَعَلَ ذَلِكَ الْمُلُوكُ مِنْ بَعْدِهِ . وَاعْتَنَى بِهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَبَنَى بِهَا أَخْوَاشًا وَتَقْدَانًا كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^٣ .

^١ (وَبَرْكَةُ الْجُبِّ وَمَا يَلِيهَا فِي أَذْرَاكِ بَنِي صَبْرَةَ . وَهَمْ يُنْسِبُونَ إِلَى صَبْرَةَ/ بْنِ بَطِيحِ بْنِ مَغَالَةَ بْنِ دَعْبَجَانَ بْنِ غَمِيَّتِ بْنِ الْكَلْبِيِّ بْنِ أَبِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ دَمِيمَةَ بْنِ حَدَسَ بْنِ أَرْشَ بْنِ أَرَاشَ بْنِ بَجْرِيْلَةَ ابْنِ لَحْمٍ . فَهَمْ أَخَذُوا بَطُولُونَ لَحْمَ ، وَفِيهِمْ بَنُو مَجْدَامَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ نَصْرَةَ بْنِ غَنَمَ بْنِ عَطْفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَرَامِ بْنِ مَجْدَامَ أَخِي لَحْمٍ ^٤ .

الشَّيْخُ

وكان من مواضعهم التي أُعِدَّتْ لِلزَّهَةِ الْمُشْتَهَى ^٤ .

(a-a) هذه الفقرة حاشية بخط المؤلف .

=النجوم ١٨:٥ هـ^٢ ، وفيما تقدم ٤٩٦:١ . وعند ابن

الأنبار: الكامل ٨٢:١٠ أن هذه الواقعة كانت على كوم الرمش ، وهي بلدة فيما بين أرض النبل وثنية السرج .

^٣ أعاد المقرئ هذا الخبر فيما يلي ١٦٤:٢-١٦٤ .

^٤ ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤-٢٥ المقرئ : اتمام

انظر فيما يلي ١٤٣:٢ .

^٢ المسيحي : نصوص ضائعة ١٤ ، وفيما يلي ١٦٣:٢ .

ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون

يتخذونها أعياداً ومواسم تشيع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياداً ومواسم^١، وهي : مؤيسم رأس السنة ، ومؤيسم أول العام ، ومؤيم عاشوراء ، ومؤيلد النبي ﷺ ، ومؤيلد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه ، ومؤيلد الحسن ، ومؤيلد الحسين - عليهما السلام ، ومؤيلد فاطمة الزهراء - عليها السلام ، ومؤيلد الخليفة الحاضر ، وليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه ، ومؤيسم ليلة رمضان ، وعرة رمضان ، وسباط رمضان ، وليلة الحشم ، ومؤيسم عيد الفطر ، ومؤيسم عيد النحر ، وعيد الغدير ، وكشوة الشتاء ، وكشوة الصيف ، ومؤيسم فتح الخليج ، ومؤيم الثوروز ، ومؤيم الغطاس ، ومؤيم الميلاد ، وخميس القدس ، وأيام الركوبات .

مؤيسم رأس السنة

وكان للخلفاء الفاطميين اعتناءً بليلة أول المحرم في كل عام لأنها أول ليالي السنة وابتداء أوقاتها . وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يُفعل بِطَبَنج القصر عدّة كثيرة من الخراف المقموم ، والكثير من الرعوس المقشوم ، وتُفَرَّق على جميع أزباب الرتب وأصحاب الدواوين من القوالي والأذوان أزباب السيوف والأقلام ، مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء . فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والأشتاذين المحنكين إلى أزباب الضوء وهم المشاعيلية ، ويتنقل ذلك في أيدي أهل القاهرة ومصر .

١٠٠-٤٦٤؛ وكذلك مقال إسيرونه عن الأعياد القومية

في العصر الفاطمي Espéronnier, M., «Les fêtes civiles et les cérémonies d'origine antiques sous les Fatimides d'Égypte», *Der Islam* 65 (1988), pp. 59-146؛ أيمن فؤاد : المرجع السابق ٤٤٧-٤٦٠ .

انظر حول هذا الموضوع مقال دي سميت الذي خصّصه فقط للأعياد الشيعية في مصر الفاطمية وهي : عيد عاشوراء وعيد غدیر خم والمواليد الستة De Smet, D., «Les fêtes chiites en Égypte fatimide», *AOB* X (1995-96), pp. 187-96؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر

موسم أول العام

وكان لهم بأول العام عناية كبيرة ، فيه يزكّب الخليفة بزيه المفعّم وهيبته العظيمة كما تقدّم ، ويفرق فيه ذنانير الفضة التي مرّ ذكرها عند ذكر دار الصُروب ، ويفرق من السّماط الذي يُعمل بالقصر لأعيان أبواب الحيدم من أزباب السيوف والأقلام ، بتقرير مُرتّب : خِزفان شيّء ، وزبادي طعام ، وجامات خلّواء ونُخيز ، وقطع منقوشة من سُكّر ، وأرز بلّبن وسُكّر . فيتناول الناس من ذلك ما يجلّ وصفه ، ويتبسّطون بما يصل إليهم من ذنانير الفضة من رُشوم الرُكوب كما سُرخ فيما تقدّم^١.

يوم عاشوراء

كانوا يَخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأشواق ، ويُتمل فيه السّماط العظيم المستى «سماط الحزن» . وقد ذُكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره . وكان يصلّ إلى الناس منه شيء كثير^٢ . فلما زالت الدّولة ، اتّخذ الملوك من بني أيّوب يوم عاشوراء يوم سُرور ، يُوسعون فيه على عيالهم ، ويتبسّطون في المطاعم ، ويصنعون الحلّوات ، ويَخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ، جزئياً على عادة أهل الشّام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ، ليُزيغوا بذلك أناف شيعة عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - الذين يَخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن عليّ ؛ لأنّه قُتل فيه . وقد أدرّكنا بقايا ممّا عمله بنو أيّوب من اتّخاذ يوم عاشوراء يوم سُرور وتبسّط . وكلا الفِعلين غير جيّد ، والصّواب ترك ذلك والاعتداء بفعل السّلف فقط^٣.

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشّاعر^٤ يُخاطبُ الشّريف شهاب الدّين ناظر الأهراء ، وكتب بها إليه ليّلة عاشوراء عندما أضر عنه ما كان من جاريه في الأهراء :

[الرجز]

قُلْ لشهاب الدّين ذي الفضل الثّدي والعبيد بن العبيد بن العبيد

^١ فيما تقدّم ٤٦١ - ٤٧٧ .

^٢ فيما تقدّم ٤١٧ - ٤٢١ .

^٣ راجع عن احتفال عاشوراء وصومه عند أهل السنة .

الوفيات ٢٧٧: ٤ - ٢٩٣ .

Et² art. 'Ashūrā I, p.

أُقَسِّمُ بِالْفَرْدِ الْعَلِيِّ الصُّمْدَ إِنَّ لَمْ يُبَادِرْ لِنَجَازِ مَوْعِدِي
لَأَحْضُرَنَّ لِلْهَنَاءِ فِي عَدٍ مُكْحَلٌ الْعَيْنَيْنِ مَخْضُوبُ الْيَدِ
يُعْرَضُ لِلشَّرِيفِ بِمَا يُزَمِّي بِهِ الْأَشْرَافُ مِنَ الشَّيْعِ ، وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ بِهِيَّةُ الشَّرُّورِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ
غَاطَهُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ النَّصَبِ ^(١) . وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا سَبِقَتْهُ فِي التَّعْرِيفِ فَلِلَّهِ دَرُّهُ !

عيد النضر

وهو السادس عشر من المحرم ، عَمِلَهُ الْخَلِيفَةُ الْحَافِظُ لِدِينِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ
مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتُفْعَلُ فِيهِ مَا يُفْعَلُ فِي الْأَعْيَادِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزُّنْبَةِ وَالتَّوْبَةِ فِي
الْتَّفَقَةِ ^١ .

وَكُتِبَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الصَّيْزَرِيِّ إِلَى بَعْضِ الْخُطَبَاءِ :

«عِيدُ النَّضْرِ ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْأَعْيَادِ وَأَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، وَأَذْلَاهَا عَلَى تَقْصِيرِ
الْوَاصِفِ/ إِذَا بَلَغَ وَتَنَاقَى . وَنَحْنُ نَأْمُرُكَ أَنْ تَبْزِزَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ
عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ عَلَى الْهَيْبَةِ الَّتِي جَزَتْ الْعَادَةَ
بِمَثَلِهَا فِي الْأَعْيَادِ ، وَتُوْعِدُ بِأَنْ تَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَيَزِنَاهَا إِلَيْكَ قَرِينِ
هَذَا الْأَمْرِ بِشَرْحِ هَذَا الْيَوْمِ وَتَقْصِيلِهِ وَذِكْرِهِ مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ تَشْرِيفِهِ
وَتَقْضِيلِهِ ، وَتَعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ مَا جَزَى الرَّثْمُ فِيهِ فِي كُلِّ عِيدٍ ، وَتَنْتَهِي فِيهِ إِلَى
الْغَايَةِ الَّتِي لَيْسَ عَلَيْهَا مَزِيدٌ . فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

المواليذ الستة

كَانَتْ مَوَاسِمَ جَلِيلَةٍ يَهْتَمُّ ^(ب) النَّاسُ فِيهَا مَبْرَاتٍ ^(ج) مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَخَشَكَنَاجٍ وَخَلْوَاءٍ كَمَا مَرَّ
ذَكَرُهُ ^(د) ^٢ .

(a) بولاق : الغضب . (b) بولاق : يعمل . (c) بولاق : مبرات . (d) بولاق : ذلك .

^١ فيما تقدم ٣٠٢ - ٣٠٣ ؛ وابن الطوير : لزعة المقلتين
^٢ فيما تقدم ٤٢٣ - ٤٢٥ .
٣٤ - ٣٥ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ ١١٢ - ١١٣ .

لَيْسَالِي الْوُقُودِ الْأَرْبَعِ

كَانَتْ مِنْ أَهْجِ اللَّيَالِي وَأَحْسَنِهَا، يُخَشِّرُ النَّاسَ لِمَشَاهِدَتِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَيَصِلُ إِلَى النَّاسِ فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْبِرِّ، وَتَعْظُمُ فِيهَا مَيِّزَةُ أَهْلِ الْجَوَامِعِ وَالْمَشَاهِدِ، فَاَنْظُرْهُ فِي مَوْضِعِهِ تَجِدْهُ^١.

مَوْسِمُ شَهْرِ رَمَضَانَ

وَكَانَ لَهُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْبِرِّ، مِنْهَا كَشَفُ الْمَسَاجِدِ. قَالَ الشَّرِيفُ الْجَوَانِي فِي كِتَابِ «التَّقَطُّ»: كَانَ الْقَضَاءُ بِمِصْرَ إِذَا بَقِيَ لَشَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، طَافُوا يَوْمًا عَلَى الْمَشَاهِدِ وَالْمَسَاجِدِ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، فَيَبْدَأُونَ بِجَامِعِ الْمَقْسِ، ثُمَّ يَخْتَارُونَ الْقَاهِرَةَ، ثُمَّ بِالْمَشَاهِدِ، ثُمَّ بِالْقَرَّافَةِ، ثُمَّ بِجَامِعِ مِصْرَ، ثُمَّ بِمَشْهَدِ الرَّأْسِ لِنَظَرِ حَصِيرِ^(أ) ذَلِكَ وَقَنَادِيلِهِ وَعِمَارَتِهِ وَإِزَالَةِ شَعْبَتِهِ وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ، مَنْ يَلُودُ بِيَابِ الْحُكْمِ وَالشُّهُودِ وَالطُّفَافِيَّيْنَ، يَتَعَبَّوْنَ لَذَلِكَ الْيَوْمِ وَالتَّطَوُّافِ^(ب) مَعَ الْقَاضِي لِحُضُورِ السَّمَاطِ.

لِبَطْطَانِ الْمَشْكِرَاتِ^(ج)

قَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ: وَكَانَتْ الْعَادَةُ جَارِيَةً مِنَ الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ، فِي آخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، أَنْ تُغْلَقَ جَمِيعُ قَاعَاتِ الْحُكَّامِينَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَتُخْتَمَ، وَيُخَذَّرُ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ. فَرَأَى الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ لَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ بَعْدَ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ أَعْمَالِ الدَّوْلَةِ. فَكَتَبَ بِهِ إِلَى جَمِيعِ وُلاَةِ الْأَعْمَالِ، وَأَنْ يُنَادِيَ بِأَنَّهُ مَنْ تَعَرَّضَ لِبَيْعِ شَيْءٍ مِنَ الْمَشْكِرَاتِ أَوْ لَشِرَائِهَا سِيرًا أَوْ جَهْرًا، فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لَتَلَايِهَا، وَبَرِثَ الذَّمَّةَ مِنْ هَلَاكِهَا^١.

وَمِنْهَا عُرَّةُ رَمَضَانَ

وَكَانَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يُرْسَلُ لِجَمِيعِ الْأَمْتَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَزْيَابِ الرُّتَبِ وَالْخِدَمِ، لِكُلِّ وَاجِدٍ طَبَقٌ، وَلِكُلِّ وَاجِدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ وَنِسَائِهِ طَبَقٌ، فِيهِ حَلَوَاءٌ وَبُوسَطِيَّةٌ صُرَّةٌ

(أ) بولاق: حصير. (ب) بولاق: الطواف. (ج) بولاق: المسكرات.

من ذهب . فيعم ذلك سائر أهل الدولة ، ويُقال لذلك : «عُرّة رَمَضان» .

ومنها رُكُوبُ الخليفة في أول شهر رَمَضان

قال ابن الطُّوَيْر : فإذا انقضى شَعْبَان ، اهتم برُكُوب أول شهر رَمَضان - وهو يقوم مقام الرؤية عند المُتَشَبِّهين - فيجري أمره في اللباس والآلات والأسلحة والقروض والركوب والترتيب والمؤكّب والطريق المشلوكة ، كما وصفناه في أول العام ، لا يَخْتَلُ بوجهه ويُكْتَب إلى الولاة والثواب والأعمال بمساطر مخلقة يُذَكّر فيها رُكُوب الخليفة^١ .

ومنها سِمَاطُ شهر رَمَضان

وقد تقدّم ذكر السِماط في قاعة الذهب من القصر^٢ .

مَحْوَرُ الخليفة

- ١٠ قال ابن المأمون - وقد ذَكَرَ أَسْجِطَةَ رَمَضان ومجلوس الخليفة بعد ذلك في الرؤشن إلى وقت السحور ، والمقرئون تحته يملّون عَشْرًا وَيُطَرَّبُونَ بحيث يُشَاهِدُهُم الخليفة - : ثم حضر بعدهم المؤذنون وأخذوا في التكبير وذكروا فضائل السحور ، وختّموا بالدعاء ، وقُدِّمَت الخُاد للوعاظ ، فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات ، وقام كل من الجماعة للرقص ؛ ولم يزلوا إلى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه ، فحضر من^٣ بين يدي الخليفة أستاذ بما أُنعم به عليهم وعلى القراشين ، وأخضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسيمهم ، فأكلوا وملأوا أكمامهم ، وفَضَّلَ عنهم ما تُحَطِّفُهُ القراشون .
- ١٥ ثم جلس الخليفة في السِدْلَا^٤ التي كان بها عند القُطور ، وبين يديه المائدة معبأة بجميعها من جميع الحيوان وغيره ، والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساط بالهئة المعروفة ، وحضر الجلُساء

(a) ساقطة من يولاتي .

(الجواليقي : المغرب ٢٣٥) . وذكر ابن منظور أن السِدْلَى

^١ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٧١ .

على فَيْلِيّ معرب وأصله بالفارسية سهيلة ، كأنه ثلاثة بيوت في

^٢ فيما تقدم ١ : ٣٨٧ .

بيت كالخيري بكثين (لسان العرب ١٣ : ٣٥٥) -

^٣ السِدْلَا ويقال : السِدْلَى والسِدْلَى : لفظ فارسي معرب

واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه ، وأوما الخليفة بأن يُستعمل من القبة فيفترق الفراشون عليهم أجمعين . وكل من تناول شيئا قام وقبّل الأرض وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده وأهله - لأنّ ذلك كان مُستفاضاً عندهم غير معيب على فاعله - ثم قُدّمت الصُّحُون الصّيني مملوءة قَطَائِف ، فَأَخَذَ منها الجماعةُ الكفاية .

٥ وقام الخليفة وجلس بالاذنّج ، وبين يديه الشحورات المطيّات من لبّابين^(a) رطبٍ ومُخصّص^(b) ، وعِدَّة أنواع عَصارات وأقطلوات ، وسَوِيْق ناعِم وجريش بجميع ذلك بقلوبات ومُزّز ، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة شُفُوفاً . وحضّر الجُلساء ، وأخذ كل منهم في تقبيل الأرض والسؤال بما يُنتقم عليه منه . فنأوله المستخدمون والأشتاذون/ وقوّقوه ، فأخذَه القَوْمُ في أكرامهم ، ثم سلّم الجميع وانصرفتوا^١ .

ومنها التَّحَنُّمُ في آخرَ رَمَضَانَ

١٠ وكان يُعْمَلُ في الثَّاسِعِ والعشرين منه ،^(c) الأضَلُ في عَمَلِ الحَنَمِ في شهر رَمَضَانَ ما رواه ابن وهب : حدّثني يحيى بن أزهر عن الحجاج بن شدّاد ، أنّ أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفاري أخبره أنّ أبا هُرَيْرَةَ كان إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ذَبَحَ جِزْزَةً فعرَقها ثم أحضر أَهْلَهُ الصَّغِيرَ منهم والكبير ليلة ثلاث وعشرين^(d) . قال ابنُ المَأْمُونِ : ولما كان الثَّاسِعُ والعشرين من شهر رَمَضَانَ ، خَرَجَ الأَثَرُ بأَضْعَافِ ما هو مستقرٌّ للمُتَقَرِّين والمُؤَدِّين في كُلِّ ليلة يرسمُ الشحور ، بِمُحْكَمٍ أَنَّهَا لَيْلَةُ حَنَمِ الشَّهْرِ . وحضّر الأَجَلُ الوَزِيرُ المَأْمُونُ في آخِرِ النَّهَارِ إلى القصر للفقْطُور مع الخليفة والحُضُور على الأسيطة على العادة ، وحضّر إخوته وعمومته وجميعُ الجُلساء ، وحضّر المُقَرَّرُونَ والمُؤَدِّون وسلّموا على عاداتهم ، وجلسوا تحت الرُّؤُوسِ .

٢٠ وحُيِّلَ من عند مُعْظَمِ الجهات والسُّلُطات والمُتَّيَّرات من أَهْلِ القُصُور ثَلاَجِي ومُوكِبِيَّات مملوءة ماءً ملفوفةً في غِراسِي دِيفِي ، وجُعِلَتْ^(d) أمام المذكورين لَتَشْمَلَهَا بَرَكَةُ حَنَمِ الْقُرْآنِ

(a) بولاق : لبين . (b) بولاق : مخص . (c-c) حاشية بخط المؤلف . (d) بولاق : جعلها .

= والسُّلُوات الفاطمية أشبه ببناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح على التقريب في وسط القصر بين باب العيد وباب البحر .
١ ابن المأْمُون : أخبار مصر ٨٢-٨٣ .

الكریم، واستفتخ المقرنون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوةً وتطريفاً.

ثم وَقَفَ بعد ذلك من خطب فاستمع، ودَعَا فَأَتْلَغَ، ورَفَعَ القَرَّاشُونَ ما أعدَّوه برسم الجهات، ثم كَبَّرَ المؤذنون وقللوا، وأخذوا في الصوفيات إلى أن نُيِّرَ عليهم من الرُّؤُوسِ دنانير ودرهم ورُباعيات، وقُدِّمَتْ جِفَانُ القَطَائِفِ على الرسم مع البُسْتَنُود والحلواء، فجزوا على عاداتهم وملأوا أكنامهم. ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلَقها على الخطيب وغيره، ودرهم تُفَرَّقُ على الطائفتين من المقرنين والمؤذنين^١.

ذِكْرُ مَذَاهِبِهِمْ فِي أَوَائِلِ الشُّهُورِ

اعْلَمَ أَنَّ القَوْمَ كانوا شيعَةً، ثم عَلَوْا حتى عُذُّوا من غلاة أهل الرِّفْص. وللشَّيعة في أثناء الشُّهُور عَمَلٌ أحسن ما رأيت فيه ما حكاه أبو الرُّيْحَانِ محمد بن أحمد البيروني في كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» قال: ^(b) «ثم منذ سنين نَبَتَتْ نَابِتَةٌ وَنَجَمَتْ نَاجِمَةٌ وَنَبَغَتْ نَبَغَةٌ جاهليةً فَتَطَرَّوا إلى ^(b) أَخَذَهُم بالتأويل، ^(c) وَوُلَّوْهُمْ بِسَبَبِ الآخِذِينَ بِالظَّاهِرِ بِزَعْمِهِمْ ^(c) إلى اليهود والنصارى، فإذا لهم جداول وحسابات يَشْتَخِرُونَ بها شهرَهم، ويَعْرِفُونَ منها صِيَامَهُمْ - والمسلمون مُضْطَرُونَ إلى رؤية الهلال، وَتَقْفُدُ ما اكْتَسَاه القَمَرُ من النُّور ^(c) وَاشْتَرِكَ بَيْنَ نَصِيفِهِ المَرْئِي وَنَصِيفِهِ المَشْتَرِ ^(c) - وَوَجَدُوهُمْ شَاكِينَ في ذلك، مختلفين فيه، مقلِّدين بعضهم بعضاً في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات.

فَرَجَحُوا ^(d) إلى أصحاب عِلْمِ الهَيْئَةِ، فَأَلْفَوْا زِيَجَاتَهُمْ وكتبهم مفتحة بمعرفة أوائِلِ ما يُراد من شُهُورِ العَرَبِ بِصُوفِ الحُسْبَانَاتِ ^(c) وَأَنْوَاعِ الجَدَاوِلِ ^(c)، فَظَنُّوا أَنَّهَا مَعْمُولَةٌ لرؤية الأَهْلَةِ، فَأَخَذُوا بعضها ونَسَبُوه إلى جَعْفَرِ بن محمد الصَّادِق - عليهما السَّلام، وَزَعَمُوا أَنَّهُ سِرٌّ من أَسْرَارِ الثَّبُوتِ. وتلك الحُسْبَانَاتُ مَبْنِيَّةٌ على حَرَكَاتِ النُّجُومِ ^(c) الوُسطَى دون ^(c) المَعْدَلَةِ - أو مَعْمُولَةٌ على أَنَّ ^(c) سَنَةَ القَمَرِ التي هي ثلاث مائة وأربعة وخمسون يوماً وثمانين يوماً وشذس يوم، وَأَنَّ سَنَةَ

(a) بولاق : أول. (b-b) بولاق : وفي سنين من الهجرة نجمت ناجمة لأجل، والعمارة المطبوعة من الآثار الباقية للبيروني. (c-c) زيادة من الآثار الباقية. (d) عند البيروني : ثم رجعوا. (e) بولاق : التدوير.

أشهر من السنة تامة، ورسنة أشهر ناقصة، وأن كل ناقص منها فهو تالي لتام.
فلما قصدوا استخراج (أ) أول الصوم وأول (ب) الفطر بها، خرجت قبل الواجب يوم في أغلب الأحوال، فأولوا قوله عليه السلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». وقالوا: معنى صوموا لرؤيته، أي صوموا اليوم الذي يرى الهلال^(ب) في عشيته، كما يقال تهيأوا لاستقباله، فيقدم التهيؤ على الاستقبال. قالوا^(ج): و(هـ) إن شهر (د) رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً أبداً^١.

قافلة الحاج

قال في كتاب «الذخائر والتحف»: إن المتفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار: منها ثمن الطيب والخلوق^(د) والشع راتين في كل سنة عشرة آلاف دينار، ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار، ومنها في ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وأمير^(هـ) الموسم وخدم القافلة وخفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار. وأن النفقة كانت في أيام الوزير التازوري قد زادت في كل سنة، وتلفت إلى مائتي ألف دينار، ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول^٢.

موسم عيد الفطر

وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات: منها تفرقة الفطرة، وتفرقة الكسوة، وعمل السحاط، وركوب الخليفة لصلاة العيد. وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق^٣.

(a-b) زيادة من البيروني (b) زيادة من البيروني (c) بولاق: قال (d) بولاق: الحلواء (e) بولاق: كبر.

^١ البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ٦٤-٦٥، والبيروني توفي سنة ٤٤٠ هـ بقوله: ثم مثل سنين نبت ...
^٢ لا وجود لهذا النص في الذخائر والتحف الذي وصل إلينا.

^٣ فيما تقدم ٢٩٣-٢٩٤، ٤٠١، ٤٠٥-٤٧٨-٤٨٩.
يعني به التعديلات التي أدخلتها الدولة الفاطمية، وانظر فيما تقدم ٤٨٩.

عيد النحر

فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة ، وتفرقة الكشوة لأزباب الخدم من أهل الصيف والقلم ، وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد ، وفيه تفرقة الأصاحي (١) وعمل الأميطة (٢) ، كما مر ذلك مبيّناً في موضعه من هذا الكتاب (٣) .

عيد القدير

فيه تزويج الأمامي ، وفيه الكشوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وصيورها والأستاذين المحققين والمختبرين ، وفيه النحر أيضاً وتفرقة التحاير على أزباب الرسوم ، وعشق/ الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم (٤) .

كشوة الشتاء والصيف

- ١٠ وكان لهم في كل من فضلي الشتاء والصيف كشوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم . وقد مرّ ذكر ذلك (٥) .

موسم فتح الخليج

- وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوة من البر : منها الركوب لتخليق المقياس ، ومبيّث القراء بجامع المقياس ، وتشريف ابن أبي الرّداد بالخلع وغيرها ، وركوب الخليفة إلى فتح الخليج ، وتفرقة الرسوم على أزباب الدولة من الكشوة والعين والمأكّل والثحف . وقد تقدّم تفصيل ذلك (٦) .

(a-a) ساقطة من بولاق .

١ فيما تقدم ٤٣٦:١ - ٤٣٨ .

٢ فيما تقدم ٢٩٨ - ٣٠٥ .

٣ فيما تقدم ٣٥٩ .

٤ فيما تقدم ٥٣٨ - ٥٥١ .

ذكر الثوروز

وكان الثوروز القبطي في أيامهم من جملة المايسم ، فتتعلل فيه الأشواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات ، وتفرق فيه الكشوة لرجال أهل النولة وأولادهم ونسائهم والزشوم من المال وخوايج الثوروز

قال ابن زولاق : وفي هذه السنة - يعني سنة ثلاث وستين وثلاث مائة - منع المعز لدين الله من وقود الثيران ليلة الثوروز في الشكك ، ومن صب الماء يوم الثوروز^١.

وقال في سنة أربع وستين وثلاث مائة : وفي يوم الثوروز زاد اللب بالماء ووقود الثيران ، وطاف أهل الأشواق ، وعملوا فيلة وخرجوا إلى القاهرة بلعهم ، ولعبوا ثلاثة أيام ، وأظهروا الشماجات^٢ والحلي في الأسواق . ثم أمر المعز بالثناء بالكف ، وألا توقد نار ، ولا يصب ماء ، وأخذ قوم فحسبوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجيما^٣.

وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة وخمس مائة : وفيها أراد الأير بأحكام الله أن يحضر إلى دار الملك في الثوروز الكائن في جمادى الآخرة في المراكب ، على ما كان عليه الأفضل بن أمير الجيوش ، فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن ، فإن الأفضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة ، وحل إليه من الثياب الفاخرة برسم الثوروز للجهات ما له قيمة جليلة^٤.

وقال ابن المأمون : وحل مؤسس الثوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمس مائة ، ووصلت الكشوة المختصة به من الطراز وقر الإسكندرية ، مع ما يتناع من اللاذات^٥ المذهبة والحري والسودج ، وأطلق جميع ما هو مستقر من الكشوات الرجالية والنسائية والعين والورق ، وجميع الأصناف المختصة بالمؤيسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أزيائها .

(٥) بولاق : المذاب .

^١ فيما تقدم ١ : ٧٢٧ .
^٢ ابن ميسر : أخبار مصر ٩٢ : المقرزي : اتعاظ الحنفا

^٣ : ٨٧ .

^٤ انظر عن الشماجات فيما تقدم ١ : ٥٦٤ .

^٥ اللاذ جد . اللاذات . نسيج حرير أحمر .

^٦ فيما تقدم ١ : ٧٢٧ .

وأصنافُ التُّوروز: البَطِيخ، والرَّمْثان، وعِراجين المَوْز، وأفراد البشر، وأقفاص الثَّمر القُوصي، وأقفاص الشَّفَرَجِل، وبُكُل الهَرِيَسَة المعمولة من لَحْم الدَّجاج ولَحْم الضَّأن ولَحْم البَقَر، من كُلِّ لَوْنٍ بِكُلَّةٍ مع حُبِّيرٍ بَرٍّ مَارِقٍ^١.

قَالَ: وَأَخْضَرَ كَاتِبُ الدَّقْرِ الإنباتات بما جَزَتْ العَادَةُ به من إطلاق العَيْن والوَرِق والكُشوات على اختلافها في يوم التُّوروز، وغير ذلك من جميع الأصناف، وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف دِرْهَم فِضَّة، والكُشوات عِدَّة كثيرة من شَقَقٍ دَبِيْقِي مُدْهَبَاتٍ وخِريرَاتٍ ومَعَاجِرٍ وَعَصَائِبٍ يَسَاوِيَاتٍ^٢ مُلَوَّنَاتٍ وشَقَقٍ لَازٍ مُدْهَبٍ وخِريري ومُشْفَعٍ، وقُوطٍ دَبِيْقِي خِريري. فَأَمَّا الْعَيْنُ والوَرِقُ والكُشوات، فذلك لا يَخْرُجُ عَمَّنْ تَحْوِزُهُ القُصُورُ ودَارُ الوِزَارَةِ والشُّيُوخِ والأَصْحَابِ والحَوَاشِي والمُسْتَخْدَمُونَ ورُؤَسَاءِ العُشَايِرِ لِيَاتٍ وَبَحَارَتِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ على اختلاف دَرَجَاتِهِمْ في ذلك نَصِيبٌ.

وَأَمَّا الْأَصْنَافُ مِنَ البَطِيخِ والرَّمْثَانِ والبَشَرِ والثَّمرِ والشَّفَرَجِلِ والعِثَابِ والهِرَائِسِ على اختلافها، فَيَشْمَلُ ذلكَ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَيَشْرُكُهُمْ فِي ذلكَ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ أَرْبَابِ الْأَطْوَاقِ والأَقْصَابِ وَسَائِرِ الْأُمَائِلِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ ذلكَ، فَوَقَعَ الْوَزِيرُ المَأْمُونُ على جَمِيعِ ذلكَ بِالْإِنْفَاقِ^٣.

وَقَالَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي «تَغْلِيْقِ الْمُتَجَدِّدَاتِ» لِسَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ: يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ عَشَرَ رَجَبِ يَوْمِ التُّورُوزِ الْقِبْطِيِّ، وَهُوَ مُسْتَهْلٌ ثَوْتُ - وَثَوْتُ أَوَّلِ سَنَتِهِمْ - وَقَدْ كَانَ بِمِصْرَ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ وَالْدَوْلَةِ الْحَالِيَةِ - يَعْنِي دَوْلَةَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ - مِنْ مَوَاسِمِ بَطَالَتِهِمْ، وَمَوَاقِيتِ ضَلَالَتِهِمْ. فَكَانَتِ الْمُتَكَرَّاتُ ظَاهِرَةً فِيهِ، وَالْفَوَاجِشُ صَرِيحَةً فِي يَوْمِهِ. وَيَزَكُّ فِيهِ أَمِيرُ مَوْسُومِ بَأَمِيرِ التُّورُوزِ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ^٤، وَيَتَسَلَّطُ عَلَى النَّاسِ فِي طَلَبِ رَشْمِ رُتَبِهِ عَلَى دُورِ الْأَكَابِرِ بِالْجُمْلِ الْكِبَارِ، وَيَكْتُبُ مَنَاشِيرَ، وَيُنْدَبُ مَرْتَسِمِينَ، كُلُّ ذَلِكَ بِمَخْرَجِ مَخْرَجِ الطُّنْزِ^٥، وَيَقْنَعُ بِالْمِيسُورِ مِنَ الْهَبَاتِ.

(a) بولاق: مشاومات. (b) بولاق: كثير. (c) بولاق: العزيز.

^١ انظر فيما تقدم ٧٢٧-٧٢٨. ^٣ الطُّنْزُ: السخرة.

^٢ ابن المأمون: أخبار مصر ٦٥، وفيما تقدم ٧٢٨.

وَيَجْمَعُ الْمُؤْتُونَ وَالْفَاسِقَاتُ تَحْتَ قَصْرِ اللُّؤْلُؤَةِ بِحَيْثُ يُشَاهِدُهُمُ الْحَلِيقَةُ ، وَبِأَيْدِيهِمُ الْمَلَاهِي ، وَتَرْفَعُ الْأَصْوَاتُ ، وَتُشْرَبُ الْحَمَرُ وَالْمِزُّ شُرْبًا ظَاهِرًا بَيْنَهُمْ وَفِي الطُّرُقَاتِ ، وَتَهْرَاشُ النَّاسُ بِالْمَاءِ ، وَبِالْمَاءِ وَالْحَمَرِ ، وَبِالْمَاءِ تَمْزُوجًا بِالْأَقْدَارِ . فَإِنْ عَلِطَ مَشْتَوٍ وَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ ، لَقِيَهُ مَنْ يَرُدُّهُ وَيُفْسِدُ ثِيَابَهُ ، وَيَسْتَحْفُ بِحَرَمَتِهِ ، فَإِذَا قَدَى نَفْسَهُ وَإِذَا فُضِحَ . وَلَمْ يَجِرْ / الْحَالُ فِي هَذَا التَّوَرُوزِ عَلَى هَذَا ، وَلَكِنْ قَدْ رُشَّ الْمَاءُ فِي الْحَارَاتِ ، وَأُخِيَا الْمُنَكَّرِ فِي الدُّورِ أَزْبَابُ الْحُسَارَاتِ ^١ .

وَقَالَ فِي [مَنْجِدَات] ^(أ) سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : وَجَزَى الْأَمْرُ فِي التَّوَرُوزِ عَلَى الْعَادَةِ مِنْ رَشِّ الْمَاءِ ، وَاسْتُجِدَّ فِيهِ هَذَا الْعَامُ التَّرَاجُمُ بِالْبَيْضِ وَالتَّصَاوُحُ بِالْأَنْطَاعِ ، وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنِ التَّصَرُّفِ ، وَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فِي الطَّرِيقِ رُشٌّ بِمِاءٍ نَجِسَةٍ وَخَرِقَ بِهِ ^٢ .

وَقَالَ كَاتِبُهُ ^(ب) : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ التَّوَرُوزَ جَلْمَشِيدَ - وَيُقَالُ فِي اسْمِهِ أَيْضًا : جَلْمَشَادَ - أَخَذَ مَلُوكَ الْفُرْسِ الْأَوَّلَ ، وَمَعْنَاهُ : «الْيَوْمُ الْجَدِيدُ» . وَلِلْفُرْسِ فِيهِ آرَاءٌ وَأَعْمَالٌ عَلَى مُضْطَلَحِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ .

وَقَدْ صَنَّفَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْأَصْفَهَانِي كِتَابَهَا مَفِيدًا فِي أَعْيَادِ الْفُرْسِ ^٣ .

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ ، مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي رَدَّ اللَّهُ فِيهِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ خَاتَمَهُ يَوْمَ التَّوَرُوزِ ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ بِالتَّحْفِ ، وَكَانَتْ تُحْفَةُ الْخَطَّاطِيْفِ أَنْ جَاءَتْ بِالْمَاءِ فِي مَنَاقِيرِهَا فَرَشَّتْهُ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ . فَاتَّخَذَ النَّاسُ رَشَّ الْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^٤ .

وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : سُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ تَوَرُوزًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَافَقَ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوَرُوزَ ، فَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَتِمَّنُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَاتَّخَذُوهُ عِيدًا ، وَكَانُوا يَرُشُّونَ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيُهْدُونَ كَفْعَلَ الْخَطَّافِ ، وَيَتِمَّنُونَ بِذَلِكَ .

وَلَهُ ذِكْرُ الْقَائِلِ :

(أ) إضافة مما تقدم . (ب) بولاق : مؤلفه .

^١ فيما تقدم ١: ٧٢٨ - ٧٢٩ . ^٣ أورد المقرئ ذلك فيما تقدم ١: ٧٢٦ نقلًا من كتاب

^٢ المقرئ : السلوك ١: ١٣٦ - ١٣٧ ، وفيما تقدم «أعياد الفرس» لحمزة الأصفهانى .

^٤ فيما تقدم ١: ٧٢٥ .

[البيط]

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سَكَنِي
وكل ما فيه يَحْكِينِي وأُخْكِيهِ
فنازه كلَّهيب التار في كَيْدِي
وماؤه كتوالي دُمعَتِي فيه

وقال آخر :

• [الرملي]

نَوُوزُ النَّاسِ وَنَوُوزُ
وَذَكَتْ نازِهِم والنَّاسِ
ث وَلَكِنْ بِدُمُوعِي
ساز ما بين ضُلُوعِي

وقال غيره :

[الطويل]

ولمَّا أتَى النُّورُوزُ بِأَغَايَةِ الْمُنَى
وَأَنْتَ عَلَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرِ وَالصُّدَى
بَمَنْتَ بِنَارِ الشُّوقِ لَيْلًا إِلَى الْحَشَى
فَنَوُوزْتُ ضُبْحًا بِالدُّمُوعِ عَلَى الْخَدَى^١

الميلاد

وهو اليوم الذي وُلِدَ فيه عبدُ الله ورَسُولُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
والتُّصَارِيّ تَتَّخِذُ لَيْلَةَ يَوْمِ الْمِيلَادِ عِيدًا ، وتعمله قِبَطُ مِصْرَ فِي التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كِبْهَكْ ، وما
بَرِّحَ لِأَهْلِ مِصْرَ بِهِ اغْتِنَاءً .

١٥

وكان من رُسُومِ الدُّوَلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِيهِ تَفْرِقَةُ الْجَمَّاتِ الْمَمْلُوءَةِ مِنَ الْحَلَالَاتِ الْقَاهِرِيَّةِ ، وَالْمَتَارِدِ
الَّتِي فِيهَا السُّمُكُ ، وَقَرَابَاتِ الْجَلَّابِ وَطُيَافِرِ الرُّلَايَةِ وَالْبُورِي . فيشمل ذلك أَوْبَابَ الدُّوَلَةِ
أَصْحَابَ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، بِتَقْرِيرِ مَعْلُومٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمَأْمُونِ فِي تَارِيخِهِ^٢ .

الغطاس

٢٠

ومن مَوَاسِمِ التُّصَارِيّ بِمِصْرَ عَمَلُ الْغِطَاسِ فِي الْيَوْمِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ طُوبَةِ .
قال المَشْعُودِي فِي «مُزُوجِ الذَّهَبِ» : وَلِلَّيْلَةِ الْغِطَاسِ بِمِصْرَ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ أَهْلِهَا لَا يَنَامُ النَّاسُ
فِيهَا ، وَهِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى عَشْرَةِ مِنْ طُوبَةِ . وَلَقَدْ حَضَرْتُ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةِ لَيْلَةِ الْغِطَاسِ بِمِصْرَ

صَبَاحُ ٢ : ٤٢٦ ، وَفِيهَا تَقْدِمُ ١ : ٧١٧ .

^١ فِيمَا تَقْدِمُ ١ : ٧٢٩ .

^٢ ابْنُ الْمَأْمُونِ : أَخْبَارُ مِصْرَ ١٠٤ ، وَقَارَنَ الْقَلْتَشَنْدِي :

والإخشيد محمد بن طُفَّع في داره المعروفة بالختار في الجزيرة الراكبة على النيل، والنيل مُطَيَّف بها. وقد أَمَرَ فَأُشْرِجَ من جانب الجزيرة وجانب القنسطاط ألف مشعل غير ما أُشْرِجَ أهل مصر من المشاعيل والشُّفع.

وقد حَضَرَ النَّيْلَ في تلك الليلة مئو ألف من الناس من المسلمين والنَّصَارَى، منهم في الزَّوارق، ومنهم في الدُّور الدانية من النيل، ومنهم على الشُّطوط. لا يَتَنَاقَرُونَ [الحضور ويظهرون]^٨ كل ما يمكنهم إظهاره في المأكِل والمشارِب [والملايس]^٩ وآلات الذَّهَب والفضَّة والجواهر والملاهي والعزف والقصف. وهي أَحْسَنُ لَيْلَةٍ تكون بمصر وأشملها سُرُورًا، ولا تُغْلَقُ فيها الدُّروب، ويُفْطَسُ أكثرهم في النيل، ويَزْعَمُونَ أَنَّ ذلك أمانٌ من المَرَضِ ونُشْرَةِ اللداء^١.

وقال المُسَبِّحِي في سنة ثمانٍ وثمانين وثلاث مائة: كان غِطَاسُ النَّصَارَى، فَضَرِبَتْ الحِيَامُ والمَضَارِبُ والأشْرَعَةُ في عِدَّةِ مواضع على شاطئ النيل، فَتَصِبَتْ أَسِيرَةٌ للرئيس فَهَدَ بن إبراهيم النُّصْرَانِي كاتب الأستاذ بَرْجَوَان، وأَوَقَدَتْ له الشُّمُوعُ والمشاعِلُ، وَحَضَرَ الْمُعْتُونُ والمُلهُونَ، وَجَلَسَ مع أَهله يَشْرَبُ إلى أن كان وقت الغِطاس، فَفُطَسَ وانصَرَفَ^٢.

وقال في سنة خمس عشرة وأربع مائة: وفي لَيْلَةِ الأربعاء رابع ذي القعدة، كان غِطَاسُ النَّصَارَى، فَجَزَى الرُّشْمُ من الناس في شراء الفَوَاكِه والضَّان وغيره، وَنَزَلَ أميرُ المؤمنين الظَّاهِر لإِعْزَاز دين الله بن الحَاكِمِ لَقَضَرَ جَدُّه العَزِيز بالله بمصر، لِنَظَرِ الغِطاسِ ومعه الحَرَم. ونودي أَلَّا يَخْتَلِطَ المسلمون مع النَّصَارَى عند نُزُولِهِم إلى البحر في الليل، وَضَرَبَ بِدُرِّ الدولة الخادِمَ الأسود، مُتَوَلَّى الشُّرْطَتَيْنِ خِيَمَةً عند الجِشْرِ/ وَجَلَسَ فيها.

وأَمَرَ الخَلِيفَةُ الظَّاهِر لإِعْزَاز دين الله بِأَن تُوقَدَ المَشَاعِلُ والنَّارُ في الليل، فَكَانَ وَقِيدًا كَثِيرًا، وَحَضَرَ الرُّهْبَانُ والقُسُوسُ بالعُصْلَبَانِ والْبِرَان، فَحَسُّوا هناك طَوِيلًا إلى أن غَطَّسُوا^٣.

(a) إضافة من مروج الذهب.

^١ المسعودي: مروج الذهب ٢: ٦٩-٧٠ وفيما تقدم ١٨: ٧١٨.

^٢ ٧١٨: ١. ^٣ المسيحي: أخبار مصر ٧٠ وفيما تقدم ١: ٧١٩.

^٤ المسيحي: نصوص ضائعة ١٨-١٩، وفيما تقدم

وقال ابن المأمون: إنه كان من رسوم الدولة أنه يفروق على سائر أهل الدولة التزنج والتارنج والليمون المراكبي، وأطنان القصب والسكك البوري، برؤوس مقررة لكل واحد من أزياب الشيوف والأقلام^١.

خميس العهد

٥. ويُستحى أهل مصر من العائمة خميس القدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهادون فيه. وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس القدس ضرب خمس مائة دينار ذهباً عشرة آلاف خزوبة، وتفرقتها على جميع أزياب الرسوم كما تقدم^٢.

آيات الركوبات

١٠. وكان الخليفة يركب في كل يوم سبب وثلاثاء إلى مئزرهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والحفس وجوه وبشتان البغل ودار الملك ومنازل العز والروضة، فيعم الناس في هذه الأيام من الصدقات أنواع ما بين ذهب وماكل وأشربة وخلوات، وغير ذلك كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب^٣.

صلاة الجمعة

١٥. وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس: في جامع القاهرة - الذي يُعرف بالجامع الأزهر - مرة، وفي جامع الخطبة - المعروف بالجامع الحاكمي - مرة، وفي جامع عمرو بن العاص بمصر أخرى. فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث رؤوس وهبات وصدقات، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الأزهر^٤.
- ولله در الفقهاء عمارة اليمنى، فقد ضمر مزيجته أهل القصر مجملًا بما ذكر؛ وهي

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ٤٦٣؛ ولها تقدم ٧١٩:١.

^٢ فيما تقدم ٧١٩:١ - ٧٢٠.

^٣ فيما تقدم ٥٦٢ - ٥٧٦.

^٤ ذكر المقرئ هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء

الفاطميين فيما يلي ٢٨٠:٢ - ٢٨٢ عند ذكر الجامع الأنور (جامع الحاكم) لا الجامع الأزهر.

القَصِيدَةُ التي قال ابنُ سَعِيدٍ فيها : «ولم يُسمع في ما بُكيت به»^(١) دَوْلَةٌ بعد انقراضها أحسن منها^١ :

[البيط]

وَجِيئَهُ بعد حُشْنِ الحَلِيِّ بالعَطَلِ
قَدَّرَتْ من عَثَرَاتِ الدَّهْرِ فاشتَقِلِ
يُنْفَكُ ما بين قُرُوعِ الشَّيْنِ والحَجَلِ
شَقِيقٌ ، مَهْلًا أَمَا تَمْشِي على مَهَلٍ
على فَجِيعَتِهَا في أَكْزَمِ الدُّوَلِ
من المَكَارِمِ ما أَرَتِي على الأَمَلِ
تَحَالِيهَا أَلْهَا بجَاءَتْ ولم أَسَلِ
رَأْسُ الحِصَانِ بهَادِيهِ على الكَفَلِ
وَحُلَّةٌ حُرِسَتْ من عَارِضِ الخَلَلِ
لَكَ لِللَّامَةِ إِنْ قَصُرَتْ في عَذَلِي
عَلَيْهِمَا لا على صِغِيرٍ والحِجَلِ
فيكم جِرَاحِي ولا قَرْحِي بِمُتَدَلِ
في نَشْلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي
مَلِكُكُمْ بَيْنَ حُكْمِ الشَّيْثِ والنَّفَلِ
مُحَمَّدٌ وَأَبُوكُمْ غَيْرِ مُتَعَمَلِ
من الوُفُودِ وَكَانَتْ قِيْلَةُ القُبَلِ
من الأَعَادِي ، وَوَجْهُ الْوُدِّ لم يَمَلِ
رِحَابُكُمْ وَغَدَتْ مَهْجُورَةُ الشُّبُلِ
حَالُ الرُّمَانِ عَلَيْهَا وَهِيَ لم تَحُلِ
وَالْيَوْمُ أَوْحَشَ من رَسَمٍ ومن طَلَلِ
تَشْكُو من الدَّهْرِ حَيْثَمَا غَيْرِ مُتَحَمَلِ

رَمَيْتْ بِأَذْهَرِ كَتَفِ الْمَجِيدِ بِالشَّلَلِ
سَعَيْتِ في مَنَهْجِ الرَّأْيِ العُثُورِ فَإِنْ
جَدَدْتُ مَارِنَكَ الْأَقْنَى فَأَنْفَكُ لا
هَدَمْتُ قَاعَتَهُ الْمَعْرُوفِ عن عَجَلِ
لَهْفِي وَلَهْفَ بَنِي الْأَمَالِ قَاطِبَةً
قَدِمْتُ مِضْرَ فَأَوْلَتْني غِلَافُهَا
قَوْمٌ عَرَفْتُ بِهِمْ كَسْبَ الْأُكُوفِ وَمِنْ
وَكُنْتُ من وُزَرَاءِ الدُّنْيَا حِينَ سَمَا
وَنَلْتُ من عَظَمَاءِ الحَيْشِ مَكْرَمَةً
يَا عَاذِلِي في هَوَى أَهْنَاءِ قَاطِبَةٍ
بِاللهِ! رُزْ سَاحَةَ القُصْرَيْنِ وَابْكِ مَعِي
وَقُلْ لِأَهْلِيهِمَا : والله ما التَّحَمُّتُ
مَاذَا عَسَى كَانَتْ الإِفْرَاجُ فَاعِلَةً
هَلْ كَانَ في الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ قِسْمَةٍ مَا
وَقَدْ حَصَلْتُكُمْ عَلَيْهَا ، وَأَنْتُمْ جَدُّكُمْ
مَمْرُوثٌ بِالْقُصْرِ والأَرْكَانِ خَالِيَةً
فَمِلْتُ عَنْهَا بِوَجْهِهِ خَوْفَ مُتَبَيِّدِ
أَسْبَلْتُ من أَسْفَى دَلْعِي عِدَاةَ خَلَّتْ
أَبْكِي على مَأْوَاثِ من مَكَارِمِكُمْ
(دَارُ الضِّيَافَةِ) كَانَتْ أَنْسَ وَإِفْدِكُمْ
(وَفِطْرَةُ الصُّومِ) إِذَا أَضْحَتْ مَكَارِمُكُمْ

(١) يولاق : فيما يكتب في .

^١ نص ابن سعيد (النجوم الزاهرة ٩٨) : «ولم أسمع في ما بُكيت به دولة بعد انقراضها أحسن من قصيدة عمارة الهنسي» .

- و(كُثْرَةُ النَّاسِ) فِي الْفَضَائِلِ قَدْ دَرَسَتْ
وَمَوْسِمٌ كَانَ فِي (تَوْمِ الْخَلِيجِ) لَكُمْ
و(أَوَّلُ الْعَامِ) وَ(الْعِيدَيْنِ) كَمْ لَكُمْ
/وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ فِي (يَوْمِ الْقَدِيرِ) كَمَا
وَالْخَيْلُ تُغْرَضُ فِي وَشْيٍ وَفِي شَيْتَةٍ
وَمَا^٥ عَمَلْتُمْ فَرَى الْأَضْيَافُ مِنْ سَفَةِ الْأَطْ
وَمَا خَصَصْتُمْ بِبِرٍّ أَهْلَ بِلَادِكُمْ
كَانَتْ رَوَاتِبُكُمْ لِلذَّمِّ وَلِلضَّمِّ
ثُمَّ (الطَّرَائِفُ) يَتَّبِعُ الَّذِي عَظُمَتْ
وَلِلْجَوَامِعِ مِنْ إِحْسَائِكُمْ^٦ نَعَمْ
وَرُبَّمَا عَادَتْ الدُّنْيَا فَمَتَّقِلُهَا
وَاللَّهُ! لَا قَارَ يَوْمَ الْحَشْرِ مُبِغِضُكُمْ
وَلَا شَقِيَّ الْمَاءِ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ ظَمَأٍ
وَلَا رَأَى جَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خُلِقَتْ
أَيْمَتِي وَهَدَاتِي وَالذَّخِيرَةَ لِي
تَاللَّهِ لَمْ أَوْفُقْهُمْ فِي الْمَدْحِ حَقُّهُمْ
وَلَوْ تَضَاعَفَتِ الْأَقْوَالُ وَاتَّسَعَتْ
بَابُ السُّجَاةِ هُمْ ذُنُوبًا وَآخِرَةً
نُورُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى وَمَخْرَجُ
أَيْمَتِهِ خُلِقُوا نُورًا فَنُورُهُمْ
وَاللَّهُ مَا زِلْتُ عَنْ حُبِّي لَهُمْ أَبَدًا
وَبَسَبَبِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قُبُلَ عِمَارَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَتَمَحَّلَتْ لَهُ الذُّنُوبُ .

(a) بولاق واناظ : ولا حملتم ، والمثبت من صحيح . (b) اناظ : أحباسكم ، وصبح : أحباسكم .

^١ انظر ديوان عمارة السني ٦١٢-٦١٦ ، أبا شامة :
الروضتين ٥٧٠:١-٥٧١ : ابن واصل : مفرج ٢١٢:١-
٢١٦ : القلقشندي : صبح ٥٢٦:٣-٥٢٨ : المقرئ :
اناظ ٣٣٢:٣-٣٣٤ : عماد الدين إدريس : عيون الأخبار
٣١٧:٧-٣١٨ .

عمارة

ذكر ما كان من أفر القصرين والمنظر بعد زوال الدولة الفاطمية

ولما مات العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمس مائة ، احتاط الطواشي قراقوش على أهل العاضد وأولاده - فكانت عيثة الأشراف في القصور مائة وثلاثين ، والأطفال خمسة وسبعين - وجعلهم في مكانٍ أفرَدَ لهم خارج القصر ، وجمع عُمومته وعثرته^١ في إيوان بالقصر واخترَزَ عليهم ، وفَرَّقَ بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا ، وليكون ذلك أشْرَعَ لائقريضهم .

وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الأموال والثغائس ، وكانت عظيمة الوصف ، واشترَضَ مَنْ فيه من الجوّاري والعبيد ، فأطلق من كان حُرّاً ، ووهب واستخدم باقيهم ، وأطلق البيع في كلِّ تجديدٍ وعتيقٍ ، فاستمرَّ البيعُ فيما وُجِدَ بالقصر عشرَ سنين .

وأخلى القصور من سُكَّانها ، وأغلق أبوابها ، ثم ملكها أمراءه وضربت الألواع على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع ، وأقطع خواصه منها وباع بعضها ، ثم قسم القصور : فأعطى القصر الكبير للأمراء فسكنوا فيه ، وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شاذي في قصر النُّؤلوة على الخليج ، وأخذ أصحابه دور من كان يتسبب^٢ إلى الدولة الفاطمية ، فكان الرجل إذا استحسن داراً أخرج منها سُكَّانها ونزل بها^٣ .

قال القاضي الفاضل : وفي ثالث عشره - يعني ربيعاً الآخر سنة سبع وستين - كُشِفَ حاصِلُ الخزائن الخاصة بالقصر ، فقيل : إن الموجود فيه مائة صندوق كُشِوة فاجرة من موشع ومُرضع وعُقود ثميّة ودخائر فخمة وجواهر نفيسة ، وغير ذلك من دُخائر جمّة الحُفَر ، وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان^٤ .

وأُخليت أُمكنة من القصر الغربي سَكَنَ بها الأمير مؤسك ، والأمير أبو الهيجاء السمين^٥ وغيره من الغرّ ، ومُلبت المتأطّر المصونة عن التواظير^٦ ، والمتنزهات التي لم يخطر ابتذالها في

(a) بولاق : عشرته . (b) بولاق : ينسب . (c) بولاق : السمني . (d) بولاق : الناظر .

^٢ قارن المقرئ : اتعاط الحنفا ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ .

^٣ فيما تقدم ٣٧٠ .

^١ كعب المقرئ اسم عمارة على أن ترجم له في نسخه ، وتركت الشخ المنعولة عن أصله بعد ذلك يابهاً كان في الأصل .

الخَوَاطِر^٥، فسُبْحان مُظْهِر العَجَائِب ومُخْدِنُها، ووَارِث الأَرْضِ ومُورِثُها^١

قال: ومقدار ما يُخَدَسُ أَنَّهُ خَرَجَ من القَصْرِ، ما بين دينار أُخِذَ^٦ ودِزْهم ومِصْغ وجَوْهَر
وَنُحاس ومَلْبوس وأَثاث وقُماش وصِلاح، ما لا يَنِي به مُلْك الأكاسِرَة ولا تَتَصَوَّرُه الخَوَاطِرُ
الحَاضِرَة، ولا يَشْتَمَل على مثله المَمالِك العامرة، ولا يَقدِر على حِسابِه إلّا مَنْ يَقدِر على حِساب
الخالق في الآخرة.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغموري^١: وَجَدْتُ بِحَظِّ المَهْدَبِ أَبِي طَالِبِ مُحَمَّد بن
عَلِي بن الحِمْي: / حَدَّثَنِي الأَميرُ عُثْمَانُ بْنُ مُرْقَف بن مُجَدِّدِ الدِّين مُؤَيَّدُ^٥ الدَّوْلَة بن مُنْقِذ، أَنَّ
القَصْرَ أُغْلِقَ على ثمانية عشر أَلْف نَسَمَة: عشرة أَلْف شَرِيف وشَرِيفَة، وثمانية أَلْف عَبْد
وخادِم وأَمَة ومَوْلَدَة وتَرْبِية.

وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أَخَذَهُ صلاح الدين وَأَخْرَجَ مَنْ به: كان فيه اثنا عشر أَلْف
نَسَمَة ليس فيهِم فَخْصٌ إلّا الخَلِيفَة وأهلُه وأولادُه، ولما أُخْرِجَهُم^٥ مِنْهُ أَشْكَنُوا في دارِ
المُظَفَّر^٥ بحارة يَزْجوان، وكانت تُعرَف بدار الضيافة^٥.

وقَبِضَ أيضًا صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد - وكان وَلِيَّ العَهْد، وتُيْنِعت بالحايد
لله - واعتَقَلَ معه جميع إخْوَتِه: الأمير أبو الأمانة جبريل، وأبو الفُتُوح، وابنه أبو القاسم،
ومُشَلِّمان ابن داود، وعبد الظاهر بن^٥ حَيْدَرَة بن العاضد، وعبد الوهَّاب بن إبراهيم بن العاضد،
واسماعيل بن العاضد، وجَعْفَر بن أبي الظاهر بن جبريل، وعبد الظاهر بن أبي الفُتُوح بن جبريل
ابن الحافظ، وجماعة من بني أَعْمامِه. فلم تَرَالوا في الاغْتِقال بدار الأفضَل من حارة يَزْجوان،
إلى أن انتقل الملكُ الكامِلُ مُحَمَّد بن العادِل أبي بكر بن أُوْب من دار الوزارة بالقاهرة إلى قَلْعَة
الجبل، فنَقَلَ معه وَلَدُ العاضد وإخْوَتُه وأولاد عَمِّه واعتقلهم بالقَلْعَة، وبها مات^١ (داود بن^٥)
العاضد؛ واستمرَّ البَقِيَّةُ حتى انقرضت الدَّوْلَة الأيوبيَّة^٣.

(a) بولاق: الخاطر. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: سويد. (d) بولاق: أخرجو. (e-e) زيادة من
مسودة المراعظ ومما تقدم ٢٨٥. (f-f) ساقطة من بولاق.

^١ فيما تقدم ١٦:١. المراعظ ٦٨، ١٣٠.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة ١١٤؛ المقريزي: مسودة ^٣ فيما تقدم ٢٨٦.

وَمَلَكَ الْأَثْرَاقُ إِلَى أَنْ تَسْلُطَنَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكُنُ الدِّينِ بَيْتُوسَ الْبُنْدُقَادِي، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ
 سِتِينَ وَسِتْ مِائَةٍ أَشْهَدَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ - وَهُمْ : كَمَالُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَاضِدِ، وَعِمَادُ
 الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي الْفَتْوحِ بْنِ الْعَاضِدِ، وَتَدْرُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَاضِدِ -
 أَنَّ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قِبَلِي الْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ مِنَ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ، وَالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالثَّرْبَةِ ظَاهِرًا
 وَبَاطِنًا بِحُطِّ الْخَوْخِ السَّيْعِ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ الثَّانِي بِالْحُطِّ الْمَذْكُورِ، ^(٨) وَجَمِيعِ
 الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْجِبَّاسَةِ بِالْحُطِّ الْمَذْكُورِ ^(٩)، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِسَكَنِ أَوْلَادِ شَيْخِ الشُّيُوخِ
 وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَصْرِ الشَّارِعِ بَائِهِ قُبَالَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الثَّبَوِيِّ - الْكَامِلِيَّةِ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ
 بِالْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الْفِطْرَةِ بِحُطِّ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ
 الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الصُّبَاغَةِ بِحَازَةِ بَرْجَوَانَ، ^(١٠) وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الذَّهَبِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ ^(١١)،
 وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِاللُّؤْلُؤَةِ، وَجَمِيعِ قَصْرِ الرُّمُودِ، وَجَمِيعِ الْبُنْتَانِ الْكَافُورِيِّ مِلْكُ لَيْتِ
 الْمَالِ بِالنَّظَرِ ^(١٢) الْمُؤَلَّوِي الشُّلْطَانِي الْمَلِكِي الظَّاهِرِيِّ مِنْ وَجْهِ صَحِيحِ شَرْعِي لَا رَجْعَةَ لَهُمْ فِيهِ، وَلَا
 لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا مَتْنُونَةٍ ^(١٣) بِسَبَبِ يَدٍ وَلَا مِلْكٍ وَلَا وَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ
 كُلِّهَا، تَحَلَا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَوْ مَذْفَنٍ لَأَبَائِهِمْ.

وَوُزِّعَ ذَلِكَ الْإِشْهَادُ بِثَلَاثِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى ^(١٤) سَنَةِ سِتِينَ وَسِتْ مِائَةٍ، وَاتَّيَتْ عَلَى قَاضِي
 الْقَضَاةِ الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ بَنَتِ الْأَعَزِّ الشَّافِعِيِّ. وَتَقَرَّرَ مَعَ الْمَذْكُورِينَ أَنَّ مَهْمَا
 كَانَ قَبْضُوهُ مِنْ أَمَانٍ بَعْضِ الْأَمَاكِينِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي عَاقَدَ عَلَيْهَا وَكَلَامُهُمْ، وَاتَّصَلُوا إِلَيْهِ،
 يُحَاسِبُوا بِهِ مِنْ جُمْلَةٍ مَا يُعْخِزُ ثَمَنُهُ عِنْدَ وَكِيلِ بَيْتِ الْمَالِ.

وَقُبِضَتْ أَيْدِي الْمَذْكُورِينَ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمَاكِينِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا وَرُسِمَ بِبَيْعِهَا. فَبَاعَهَا
 وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ كَمَالُ الدِّينِ ظَافِرُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا، وَتَقَبَّضَتْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ^(١٥)، وَبُنِيَ فِي أَمَاكِينِهَا مَا
 يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَاشْتَرَى قَاعَةَ السُّدْرَةِ بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ وَالثَّرْبَةِ الصَّالِحِيَّةِ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ
 إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَسْرُورِ الْمُقْدِسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مُدْرَسَ الْحَنَابِلَةِ بِالْمَدْرَسَةِ

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: مثوبة. (c) بولاق: ربيع الأول، وانظر فيما تقدم ٢٨٧. (d) بولاق:

الصالحية^١، بألف وخمسة وتسعين^٢ ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر^٣ سنة ستين وست مائة، من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال، ثم باعها المذكور للملك الظاهر^٤ ركن الدين^٥ يئزس في حادي عشرين ربيع الآخر^٦ المذكور.

وقاعة السدرة هذه^٧ هي قاعة الذهب^٨، وقد صارت هي وقاعة الخيم المدرسة^٩ الظاهرية الركنية البيبرسية البندقارية.

قال القاضي الفاضل^{١٠} في «تعلق المتجددات» لسنة أربع وثمانين وخمس مائة ومن خطه نقلت ما نصه^{١١}: يوم^{١٢} الاثنين سادس رجب^{١٣}، يعني من سنة أربع وثمانين وخمس مائة: فيه ظهر تسحب رجليّن من المعتقلين في القصر: أحدهما من أقارب المشتصير، والآخر من أقارب الحافظ؛ وأكبرهما سناً كان معتقلاً بالإيوان، حدث به مرض وأثخن فيه، ففكّ خديده وتُقل إلى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث وثمانين، واستمر لما به ولم يستقل من المرض، وطلب فقيد واسمه موسى بن عبد الرحمن بن حيدرة بن أبي الحسن أخي الحافظ. واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي البشر^{١٤} بن مخلص بن المشتصير، وكان طفلاً في وقت الكائنة بأهله، وأقام بالقصر الغربي فمتر به^{١٥} إلى أن كبر وسب.

قال: وذكر أنّ القصر الغربي قد استولى عليه الخراب، وغلا على مجترانه التشنع والهدم، وأنه يجاور إسطبلات فيها جماعة من المفسدين، وربما تُسلق إليه للتطرق للنساء المعتقلات. والمتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقّله في القصر المذكور مائة من التسحب^{١٦}.

(a) بولاق ولیدن: سبعين. (b) بولاق: جمادى الآخرة. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: أصل المدرسة. (e) زيادة من مسودة المواعظ. (f) بولاق: وفي يوم. (g) بولاق ولیدن: شهر رجب. (h) ساقطة من بولاق. (i) بولاق: ابن أبي السر. (j) بولاق: مع من أسر به. (k) مسودة المواعظ: مائة منه.

^١ القاضي شمس الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي الحنابلي الحنطلي، قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية وشيخ الشيوخ بخانقاه سعيد الشقاء. دمشق الأصل قدم إلى مصر سنة أربعين وست مائة وهو في السابعة والثلاثين من عمره وتولى تدريس المدرسة الصالحية النجمية. وهو أول من تولى قضاء القضاة الحنابلة بمصر عندما قُور السلطان الظاهر بيبرس في سنة ١٢٦٣/١٢٦٥م إمامة قضاة أربعة، وتوفي سنة ١٢٧٦/١٢٧٧م (ابن رجب: النيل على طبقات الحنابلة، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي، القاهرة ١٩٥٣، ٢: ٢٩٤-٢٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩٠٢-٩١٠، المقريري: المقفى الكبير ١٠٣: ١٠٧).

قال : وعدد من بقي من هذه الدرّة بدار المظفر والقصر الغربي والإيوان ، مائتان واثنان وخمسون شخصاً . ذكور ثمانية وتسعون ، وإناث مائة وأربعة وخمسون ، تفصيل ذلك : المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون : / ذكور أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه ، إناث : عشرون بنات العاضد ، خمس : إخوته ، أربع : جهات العاضد ، أربع . بنات الحافظ ، ثلاثة : جهات يوسف ابنه ، وجيريل عنه أربع .

المقتتلون بالإيوان خمسة وخمسون رجلاً ، منهم الأمير أبو الطاهر بن جبريل بن الحافظ . المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصاً : ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة ، وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة ؛ إناث مائة وأربع وثلاثون ؛ بنات أربع وستون ؛ حالات وعلمات وزوجات سبعون .

قال : وفي جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مائة ، كانت عِدَّة مَنْ فِي دار المظفر بحارة بَرَجوان والقصر الغربي والإيوان ، من أولاد العاضد وأقاربه وَمَنْ معهم مُضَافاً إليهم : ثلاث مائة واثنان وسبعون نفساً ؛ دار المظفر أحرار ومماليك : مائة وستة وستون نفساً . القصر الغربي أحرار مائة وأربعون نفساً ؛ الإيوان تسعة وسبعون رجلاً بالغون^١ .

وأما منازل العز فاشترها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي في نصف شعبان سنة ست وستين وخمس مائة ، وجعلها مدرّسة للفقهاء الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفاً على المدرّسة المذكورة^٢ .

هذا آخر ما وجدته في هذا الجزء المبارك المتقول منه

هذا الجزء والذي يليه وهو بخط مؤلفه

تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ووافق الفراع من كتابته يوم الأحد المبارك

الموافق للثامن والعشرين من شهر رجب الفزد

سنة ثمانٍ وسبعين وثمان مائة

^١ المقرئ : مسودة المواظ ١٢٩ - ١٣٠ : Fu'ad آخر الموجود في المجلد الثاني من المواظ والاعتبار ، وجاء بعد ذلك : يتلوه فوائد إذا المسحق الطائي

Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 300-303.

^٢ فيما تقدم ٥٧٦ ، وفيما يلي ٣٦٤ .

على يد الفقير إلى الله تعالى أبي الحسن علي
ابن حسن بن علي بن أحمد بن نعيم الأزهرى
الشافعى الخطيب البشيشي الجد المعروف
بالشروى ، عَفَرَ الله له
ولوالديه ولكل المسلمين . آمين
ولمن كان السبب في ذلك ولمن نظر فيه
ودعا لكاتبه بالمغفرة ولكل
المسلمين أجمعين
آمين^١.

٥

١٠

• •

آخر الجزء الثاني ، ثُمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ
على يد فقير رَحْمَةِ رَبِّهِ علي بن عيسى المرحومي
لَطَفَ اللَّهُ بِهِ وَعَفَرَ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ
وكان القَرَأُ من كِتَابَتِهِ في يوم الأحد المبارك
الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر
سنة خمس وثمانين و[ثمان] مائة^٢.

١٥

^١ نَصُّ خَزْدِ الثَّنَخِ (Colophon) نسخة الأصل
المحملة في النشر .
^٢ نَصُّ خَزْدِ الثَّنَخِ (Colophon) نسخة مكتبة حسين
جلي .

•
•

تَمَّ الجزء الثاني من خَطِّ مُؤَلِّفِهِ رحمه الله
وبتمامه تَمَّ النُّصْفُ الأوَّلُ ، وحسبنا الله
ونعم الوكيل وصلى الله على سيِّدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم
تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم
الدين^١.

•
•

تَمَّ الجزء الثاني من خَطِّ مُؤَلِّفِهِ رحمه الله تعالى
وبتمامه تَمَّ النُّصْفُ الأوَّلُ على يد أَقَلِّ عبيد ربِّه
وأخوَّجهم إلى غَفَرِ ذَنْبِهِ الفقير سالم
الشُّهري المالكي لَطَفَ اللهُ تعالى به
وَعَفَرَ له ولوالديه ولجميع المسلمين
آمين . وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصَلَّى اللهُ على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم .
وكان القَرَأُ من ذلك بُعِيدَ غَضَرِ الجُمُعَةِ المبارك سادس محروم
الحرام سنة سَبْعٍ وسبعين وتسع مائة^٢.

^١ نَصْرُ حُرُودِ مَثْنٍ (Colophon) نسخة مكتبة جامعة ^٢ نَصْرُ حُرُودِ مَثْنٍ (Colophon) نُصْحَةُ مكتبة